سُورَةُ الفَاتِحَةِ

مكية، سبع آيات بالبسملة

وهي أعظم سورة في القرآن لما جاء في «صحيح البخاري» (٥٠٠٦) أن أبا سعيد بن المعلّىٰ قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد؟» فأخذ بيدي، فلما أردنا أن نخرج قلتُ: يا رسول الله، إنك قلت: «ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن؟» قال: «(ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ) هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته». ١ ـ ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ والبسملة آية منها علىٰ القول الراجح، وأقوىٰ دليل علىٰ ذلك رسم الصحابة الذين لم يكتبوا في المصاحف الأئمة إلا القرآن. وتستحبّ في أول كلّ عمل وقول لما ورد من الأحاديث في ذلك. إن هذه السورة جمعت أصول الدين وأركان الإيمان بالله واليوم الآخر، وجمعت إفراد الله بالعبادة، والاستعانة به وحده، وجمعت حمد الله والثناء عليه وتمجيده وتوحيده ودعاءه والتضرع إليه أن يهدينا الطريق الحق. ويقدّر في أولها قبل البسملة: (قولوا) ليكون ما قبل (إِيَّاكَ نَعۡبُدُ . . .) مناسباً له في كونها كلها من مقول العباد. ٢ ـ ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ جملة خبرية لفظاً، وإنشائية معنى، لحصول الحمد بالتكلم بها، وقُصد بها الثناء علىٰ الله تبارك وتعالىٰ بمضمونها من أنه تعالىٰ مالك لجميع الحمد من الخلق أو مستحق لأن يحمدوه، والله: عَلَم علىٰ المعبود بحق، وهو الذات المستجمع لجميع صفات الكمال. ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ أي: مالك جميع الخلق من الإنس والجنّ والملائكة والدوابّ وغيرهم. وكلٌّ منها يطلق عليه (عالَم) يقال: عالَمُ الإنس، وعالَمُ الجنّ، وعالَمُ الملائكة. . . إلىٰ غير ذلك. وغُلّب في جمعه بالياء والنون أولو العلم علىٰ غيرهم. والعالَم من العلامة لأنه علامة علىٰ موجده. فهو سبحانه مالك هذه الخلائق والمتصرف في إصلاحها ورعايتها، فهو سبحانه خلقها ولم يتركها دون رعاية وتوجيه، بل أرسل إلىٰ العقلاء منها الرسل هادين ومبشرين ومنذرين. فإذا كان الله سبحانه موجداً للعالمين منعماً عليهم بالنعم الظاهرة والباطنة، مالكاً لأمورهم يوم القيامة كان ذلك دليلاً علىٰ أنه تعالىٰ الجدير بالحمد، لا أحد أحق به منه، بل لا يستحقه علىٰ الحقيقة سواه. ٣ ـ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ أي: ذي الرحمة، فالصلة بين الرب تعالىٰ ومخلوقاته هي الرحمة والعناية و(ٱلرَّحۡمَٰنِ) وصف لم يستعمل في غير الله، وهو مشتق من الرحمة و(ٱلرَّحِيمِ) صيغة مبالغة، وهي فعيل من فاعل. ٤ ـ ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ وهو يوم القيامة، والدين: الجزاء. فهو سبحانه مالك الأمر كله في يوم القيامة، وقرأ عاصم والكسائي: (مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ). وقرأ الباقون (مَلِكِ يوم الدين). ٥ ـ ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ أي: لا نعبد إلا إياك ولا نستعين إلا إياك، أي: نخصك بالعبادة، والعبادة في الإسلام تشمل أعمال العبد التي ينوي بها طاعة الله والتقوّي علىٰ طاعته، وتشمل الاعتقاد بوحدانية الله وكماله والأعمال التعبدية من صلاة وزكاة وصيام وحج ونحو ذلك ونخصك بطلب المعونة علىٰ العبادة وغيرها.

سُورَةُ البَقَرَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾

٦ ـ ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ أي: أرشدنا إليه ووفقنا لسلوكه وزدنا هداية إليه، والمراد بالصراط المستقيم: دين الإسلام. وهذا الصراط هو: ٧ ـ ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ بالهداية ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ وهم اليهود ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ وهم النصارىٰ. فليحذر العبد من متابعة اليهود والنصارىٰ فإنّ متابعتهم سبيل الهلاك. قال تعالىٰ: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ) [المائدة: ٥١]، وقال: (وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ) [البقرة: ١٢٠].

سُورَةُ البَقَرَةِ

سورة البقرة مدنية.

وقد ورد في فضلها أحاديث عدة.

منها ما رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال:

«لا تجعلوا بيوتكم قبوراً؛ فإنّ البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة لا يدخله الشيطان» رواه أحمد (٢/ ٢٨٤)، ومسلم (٧٨٠) وغيرهما.

ومنها ما رواه أبو أمامة الباهلي عن النبيّ ﷺ أنه قال: «اقرؤوا سورة البقرة فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة» رواه أحمد (٥/ ٢٤٩)، ومسلم (٨٠٤). والبطلة: السحرة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١ ـ ﴿الٓمٓ﴾ اللهُ أعلمُ بمراده بذلك.

٢ ـ ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: هذا ﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾ الذي يقرؤه محمدٌ ﷺ ﴿لَا رَيْبَ﴾: لا شكَّ ﴿فِيهِ﴾ أنه من عند الله.

وجملةُ النفي خبرٌ مبتدؤه (ذلك)، والإشارة بـ(ذلك) للتعظيم ﴿هُدًى﴾، خَبرٌ ثان، أي: هادٍ ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾: الصائرين إلىٰ التقوىٰ بامتثال الأوامر، واجتناب النواهي، لاتّقائهم بذلك النار.

٣ ـ ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾: يُصدِّقون ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾: بما غابَ عنهم من البعث والجنة والنار.

﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي: يأتون بها بحقوقها ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾: أعطيناهم ﴿يُنفِقُونَ﴾ في طاعة الله.

٤ ـ ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ أي: القرآن ﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ أي: التوراة والإنجيل وغيرهما ﴿وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾: من الإيقان وهو العلم، والمعنىٰ: يستيقنون ويعلمون أنها كائنة.

٥ ـ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ الموصوفون بما ذُكِرَ ﴿عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: الفائزون بالجنة، الناجون من النار.
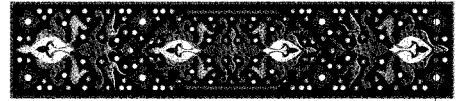
إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴿١٦﴾

٦ ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ كأبي جهل وأبي لهب ونحوهما ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ لِعلم الله منهم ذلك، فلا تطمع في إيمانهم، والإنذار: إعلامٌ مع تخويف.

٧ ـ ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾: طبع عليها واستوثق، فلا يدخلها خيرٌ ﴿وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ﴾ أي: مواضعه، فلا ينتفعون بما يسمعونه من الحقّ ﴿وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ﴾: غطاء، فلا يُبصرون الحق ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾: قويٌّ دائم.

٨ ـ ونزل في المنافقين: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ أي: يوم القيامة، لأنه آخر الأيام ﴿وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ﴾، روعي فيه معنىٰ (مَنْ) وفي ضمير (يقول) لفظُها.

٩ ـ ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بإظهار خلاف ما أبطنوه من الكفر، ليَدْفَعوا عنهم أحكامه الدنيوية ﴿وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ﴾ لأن وبال خداعهم راجعٌ إليهم، فيفتضحون في الدنيا بإطْلاع اللهِ نبيَّهُ علىٰ ما أبطنوه، ويُعاقَبون في الآخرة ﴿وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾: يعلمون أنَّ خداعهم لأنفسهم، والمخادعة هنا من واحد، كـ(عاقبتُ اللص). وذِكْرُ الله فيها تحسينٌ.

١٠ ـ ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ﴾: شَكٌّ ونفاق، فهو يُمرض قلوبَهم، أي: يُضْعِفُها ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ﴾ بما أنزله من القرآن، لكفرهم به ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ﴾: مؤلم ﴿بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ﴾ أي: في قولهم: آمنا.

١١ ـ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ﴾ أي: لهؤلاء: ﴿لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ بالكفر والتعويق عن الإيمان ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ﴾ وليس ما نحن فيه بفساد.

١٢ ـ قال الله تعالىٰ ردّاً عليهم: ﴿أَلَآ﴾، للتنبيه ﴿إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ﴾ بذلك.

١٣ ـ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾: أصحابُ النبي ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ﴾: الجُهّال؟ أي: لا نفعل كفعلهم، قال تعالىٰ ردّاً عليهم: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ﴾ ذلك.

١٤ ـ ﴿وَإِذَا لَقُواْ﴾، أصلُه لَقِيُوا، حُذفت الضمةُ للاستثقال، ثم الياء لالتقائها ساكنة مع الواو ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ﴾ من خلوت بفلان، وإليه، إذا انفردت به ﴿إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ﴾: رؤسائهم ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ﴾ في الدين ﴿إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ﴾ بهم بإظهار الإيمان.

١٥ ـ ﴿ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ﴾: يُمهلهم ﴿فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ﴾ بتجاوزهم الحدَّ بالكفر ﴿يَعۡمَهُونَ﴾: يتردَّدون تحيُّراً، حال.

١٦ ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾ أي: استبدلوها به ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ﴾ أي: ما ربحوا فيها، بل خسروا، لمصيرهم إلىٰ النار المؤبَّدة عليهم ﴿وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ﴾ فيما فعلوا.

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾

١٧ ـ ﴿مَثَلُهُمْ﴾ : صِفَتُهم في نفاقهم ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ﴾ : أوقد ﴿نَارًا﴾ في ظُلْمة ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتْ﴾ : أنارَتْ ﴿مَا حَوْلَهُۥ﴾ فأبصرَ واستدفأ، وأمِنَ مما يخافه ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ : أطفأه، وجُمع الضميرُ مراعاة لمعنىٰ (الذي) ﴿وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾ ما حولَهم، مُتحيِّرين عن الطريق خائفين، فكذلك هؤلاء، أمِنُوا بإظهار كلمة الإيمان، فإذا ماتوا، جاءهم الخوفُ والعذاب. ١٨ ـ هم ﴿صُمٌّۢ﴾ عن الحق، فلا يسمعونه سماعَ قبول ﴿بُكْمٌ﴾ : خُرْسٌ عن الخير، فلا يقولونه ﴿عُمْىٌ﴾ عن طريق الهدىٰ، فلا يرونه ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ عن الضلالة. ١٩ ـ ﴿أَوْ﴾ مَثَلُهم ﴿كَصَيِّبٍ﴾ أي: كأصحاب مطر، من صاب يصوب، أي: ينزل ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ : السحاب ﴿فِيهِ﴾ أي: السحاب ﴿ظُلُمَٰتٌ﴾ مُتكاثفة ﴿وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ﴾ أي: أصحابُ الصَّيِّب ﴿أَصَٰبِعَهُمْ﴾ أي: أناملها ﴿فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ﴾ أجل ﴿ٱلصَّوَٰعِقِ﴾ : شِدَّةِ صوت الرعد لئلا يسمعوها ﴿حَذَرَ﴾ : خوفَ ﴿ٱلْمَوْتِ﴾ من سماعها. كذلك هؤلاء؛ إذا نزل القرآن وفيه ذِكر الكفر المشبَّه بالظلمات، والوعيدُ عليه المشبَّه بالرعد، والحججُ البيِّنة المشبَّهة بالبرق، يَسدُّون آذانهم لئلا يسمعوه، فيميلوا إلىٰ الإيمان وتركِ دينهم، وهو عندهم موت ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ عِلماً وقدرة، فلا يفوتونه. ٢٠ ـ ﴿يَكَادُ﴾ : يَقْرُب ﴿ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ : يأخذها بسرعة ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ﴾ أي: في ضوئه ﴿وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟﴾ : وقفوا، تمثيلٌ لإزعاج ما في القرآنِ من الحجج قلوبَهم، وتصديقهمْ لِمَا سمعوا فيه مما يُحبون ووقوفِهم عما يكرهون ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ﴾ بمعنىٰ أسماعهم ﴿وَأَبْصَٰرِهِمْ﴾ الظَّاهرة كما ذهب بالباطنة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ شاءَهُ ﴿قَدِيرٌ﴾ ومنه إذهابُ ما ذُكر. ٢١ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟﴾ : وحِّدوا ﴿رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ : أنشأكم ولم تكونوا شيئاً ﴿وَ﴾ خلق ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ بعبادته عقابَه، و(لعلَّ) في الأصل للترجي، وفي كلامه تعالىٰ للتحقيق. ٢٢ ـ ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ﴾ : خلق ﴿لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾، حال: بساطاً يُفترش لا غاية في الصلابة، أو الليونة، فلا يمكن الاستقرارُ عليها ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ : سقفاً ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ﴾ أنواع ﴿ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ تأكلونه، وتعلِفون به دوابّكم ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ : شركاء في العبادة ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه الخالق وأنّ هذه الأنداد لا يخلقون، ولا يكون إلٰهاً إلّا من يخلق. ٢٣ ـ ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ﴾ : شك ﴿مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ محمدٍ من القرآن أنه من عند الله ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ أي: المنزَّل، و(من) للبيان، أي: هي مثلُه في البلاغة، وحسنِ النظم، والإخبار عن الغيب، والسورة: طائفة من آيات القرآن لها أول وآخر، أقلها ثلاث آيات ﴿وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم﴾ : آلهتَكم التي تعبدونها ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيرَه، لتُعينكم ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في أن محمداً قاله من عند نفسه، فافعلوا ذلك، فإنكم عربيون فصحاءُ مثله. ٢٤ ـ ولما عجزوا عن ذلك قال تعالىٰ: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟﴾ ما ذُكر، لعجزكم ﴿وَلَن تَفْعَلُوا۟﴾ ذلك أبداً، لظهور إعجازه، وقوله: (لَن تَفْعَلُوا۟) اعتراض ﴿فَٱتَّقُوا۟﴾ بالإيمان بالله، وأنه ليس من كلام البشر ﴿ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ﴾ : الكفارُ ﴿وَٱلْحِجَارَةُ﴾ كأصنامهم منها، يعني أنها مُفْرِطةُ الحرارة، تتّقد بما ذُكر، لا كنَارِ الدنيا تتّقد بالحطب ونحوه ﴿أُعِدَّتْ﴾ : هُيِّئَتْ ﴿لِلْكَٰفِرِينَ﴾ يُعذَّبون بها.

وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾

ربع الحزب ١

٢٥ ـ ﴿وَبَشِّرِ﴾: أخبر ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: صدَّقوا بالله ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ من الفروض والنوافل ﴿أَنَّ﴾ أي: بأن ﴿لَهُمْ جَنَّٰتٍ﴾: حدائق ذات شجر ومساكنَ ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا﴾ أي: تحتَ أشجارِها وقصورها ﴿ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ أي: المياه فيها، والنَّهَرُ: الموضع الذي يجري فيه الماء، لأن الماء ينهرُه، أي: يحفرُه، وإسناد الجري إليه مجاز ﴿كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا﴾ أُطعموا من تلك الجنات ﴿مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي﴾ أي: مثل ما ﴿رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ أي: قبلَه في الجنة، لتشابه ثمارها، بقرينة: ﴿وَأُتُواْ بِهِۦ﴾ أي: جيئوا بالرِّزق ﴿مُتَشَٰبِهًا﴾: يُشْبهُ بعضُه بعضاً لوناً، ويختلف طعماً ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ﴾ من الحُور وغيرها ﴿مُّطَهَّرَةٌ﴾ من الحيض وكلِّ قذر ﴿وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾: ماكثون أبداً لا يفنَوْن ولا يُخرجون.

٢٦ ـ ونزل ردّاً لقول اليهود ـ لما ضرب اللهُ المَثَل بالذُّباب في قوله: (وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا) والعنكبوت في قوله: (كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ) ـ: ما أراد اللهُ بذكر هذه الأشياء الخسيسة؟: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ﴾: يجعل ﴿مَثَلًا﴾، مفعول أول ﴿مَّا﴾، نكرة موصوفة، بما بعدها، مفعولٌ ثانٍ، أيْ: أيُّ مَثَلٍ كان، أو زائدة لتأكيد الخِسَّة، فما بَعْدَها المفعولُ الثاني ﴿بَعُوضَةً﴾، مفرد البعوض، وهو صغار البَقِّ ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ أي: أكبر منها، أي: لا يترُكُ بيانَه لما فيه من الحِكَم ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾ أي: المَثَلَ ﴿ٱلْحَقُّ﴾: الثابت الواقع مَوْقِعه ﴿مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾، تمييز، أي: بهذا المَثَل، و(ما) استفهام إنكار، مبتدأ، و(ذا) بمعنىٰ (الذي) بِصِلَتِهِ خبرُه، أي: أيُّ فائدة فيه؟. قال تعالىٰ في جوابهم: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ﴾ أي: بهذا المثل ﴿كَثِيرًا﴾ عن الحق لكفرهم به ﴿وَيَهْدِي بِهِۦ كَثِيرًا﴾ من المؤمنين لتصديقهم به ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾: الخارجين عن طاعته.

٢٧ ـ ﴿ٱلَّذِينَ﴾، نعتٌ ﴿يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ﴾: ما عهدَه إليهم في الكتب من الإيمان بمحمد ﷺ ﴿مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾: توكيدِه عليهم ﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ من الإيمان بالنبي، والرحم، وغير ذلك، وأن وما بعدها في تأويلِ مصدر في محل جر بدل من ضمير (به) ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ بالمعاصي والتعويق عن الإيمان ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الموصوفون بما ذُكر ﴿هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ لمصيرهم إلىٰ النار المُؤبَّدةِ عليهم.

٢٨ ـ ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَ﴾ قد ﴿كُنتُمْ أَمْوَٰتًا﴾: نُطَفاً في الأصلاب ﴿فَأَحْيَٰكُمْ﴾ في الأرحام والدُّنيا، بنفخ الروح فيكم، والاستفهام للتعجيب من كفرهم مع قيام البرهان، أو للتوبيخ ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ عند انتهاء آجالكم ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ بالبعث ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: تُردُّون بعد البعث، فيجازيكم بأعمالكم. ٢٩ ـ وقال دليلاً علىٰ البعث لمَّا أنكروه: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: الأرض وما فيها ﴿جَمِيعًا﴾ لتنتفعوا به وتعتبروا ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ﴾، الضمير يرجع إلىٰ (السماء)، لأنها في معنىٰ الجمع الآيلة إليه، أي: صيَّرها، كما في آية أخرىٰ: (فَقَضَىٰهُنَّ) ﴿سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ مُجملاً ومُفصَّلاً، أفلا تعتبرون أن القادر علىٰ خلق ذلك ابتداءً ـ وهو أعظم منكم ـ قادرٌ علىٰ إعادتكم؟

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَـٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾

٣٠ ـ ﴿وَ﴾ اذكر يا محمد ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ : لا خلاف بين المفسرين في أنَّ المراد من قوله سبحانه (خَلِيفَةً) هو آدم وذريته، ولكن اختلفوا في كون آدم خليفة عمّن؟ فقد ذهب جمهور أهل التفسير من السلف والخلف ـ كما يقول ابن القيم ـ إلىٰ أنه سبحانه جعل آدم خليفة عمّن كان قبله في الأرض. وأصحاب هذا القول يقررون ـ كما ذكر ابن القيم ـ أنه لا يقال لأحد: إنه خليفة الله، فإنّ الخليفة إنما يكون عمّن يغيب ويخلفه غيره، والله تعالىٰ شاهد غير غائب، قريب غير بعيد، راءٍ وسامع، فمحال أن يخلفه غيره، بل هو سبحانه الذي يخلف عبده المؤمن فيكون خليفته كما جاء في حديث الدجال الذي أخرجه مسلم (٢١٧٣): «. . . وإن يخرج ولستُ فيكم فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتي علىٰ كل مؤمن» وكما جاء في حديث دعاء السفر الذي أخرجه مسلم (١٣٤٢): «اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل» وكما جاء في قوله تعالىٰ: (وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَـٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ) [الأنعام: ١٦٥] أي: يخلف بعضكم بعضاً. وذهب آخرون من المفسرين إلىٰ أنه تبارك وتعالىٰ جعل آدم خليفة عنه سبحانه يخلفه في تنفيذ أحكامه. والقول الأول هو الأرجح، والله أعلم. ﴿قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ بالمعاصي ﴿وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ : يُريقها بالقتل ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ﴾ مُتلبِّسين ﴿بِحَمْدِكَ﴾ أي: نقول: سبحان الله وبحمده ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ : نُنزِّهك عمّا لا يليق بك، فاللام زائدة، والجملة حال، أي: فنحن أحقُّ بالاستخلاف ﴿قَالَ﴾ تعالىٰ: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من المصلحة في استخلاف آدم، وأن ذُرِّيَّته فيهم المطيع والعاصي، فيظهر العدلُ بينهم، فقالوا: لن يخلق ربُّنا خلقاً أكرمَ عليه منَّا، ولا أعلم، لسبقنا له، ورؤيتنا ما لم يرَهُ، فخلق تعالىٰ آدمَ من أديم الأرض، أي: وجهها، بأن قبض منها قبضة من جميع ألوانها، وعُجِنَتْ بالمياه المختلفة، وسوَّاهُ، ونفخ فيه الروح، فصار حيواناً حساساً بعد أن كان جماداً. ٣١ ـ ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ﴾ أي: أسماء المُسمَّيات ﴿كُلَّهَا﴾ بأن ألقىٰ في قلبه عِلمها ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾ أي: المُسميات، وفيه تغليب العقلاء، ﴿عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ﴾ لهم تبكيتاً: ﴿أَنۢبِـُٔونِي﴾ : أخبروني ﴿بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ﴾ المُسمَّيات ﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ في أني لا أخلُق أعلَمَ منكم، أو أنكم أحقُّ بالخلافة، وجواب الشرط دلَّ عليه ما قبله. ٣٢ ـ ﴿قَالُواْ سُبْحَـٰنَكَ﴾ : تنزيهاً لك عن الاعتراض عليك ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ إياه ﴿إِنَّكَ أَنتَ﴾ ، تأكيد للكاف ﴿ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ الذي لا يخرج شيءٌ عن علمه وحكمته. ٣٣ ـ ﴿قَالَ﴾ تعالىٰ: ﴿يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم﴾ أي: الملائكة ﴿بِأَسْمَآئِهِمْ﴾ أي: المُسمَّيات، فسمَّىٰ كلَّ شيء باسمه، وذكر حِكمتَه التي خُلِقَ لها ﴿فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ﴾ تعالىٰ لهم موبِّخاً: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ : ما غاب فيهما ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾ : تُظهرون من قولكم: (أَتَجْعَلُ فِيهَا) إلخ ﴿وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ : تُسِرُّون من قولكم: لن يَخْلُقَ اللهُ أكرمَ عليه منَّا ولا أعلم. ٣٤ ـ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ﴾ سجود تحيةٍ بالانحناء ﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ هو أبو الجن، كان بين الملائكة ﴿أَبَىٰ﴾ : امتنع من السجود ﴿وَٱسْتَكْبَرَ﴾ : تكبَّر عنه، وقال: أنا خير منه ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ في علم الله. ٣٥ ـ ﴿وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ﴾ ، تأكيد للضمير المستتر لِيُعْطَف عليه: ﴿وَزَوْجُكَ﴾ حوَّاء ـ بالمد ـ وكان خلقها من ضِلَعه الأيسر ﴿ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا﴾ أكلاً ﴿رَغَدًا﴾ : واسعاً لا حَجْرَ فيه ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ بالأكل منها ﴿فَتَكُونَا﴾ : فتصيرا ﴿مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ : العاصين. ٣٦ ـ ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ﴾ : إبليس: أذهبهما، وفي قراءة: فأزالهما: نحّاهما ﴿عَنْهَا﴾ أي: الجنة بأن قال لهما: هل أدلُّكما علىٰ شجرة الخُلد، وقاسمهما بالله إنه لهما لمن الناصحين، فأكلا منها ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ من النعيم ﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ﴾ إلىٰ الأرض، أي: أنتما بما اشتملتما عليه من ذُرِّيَّتكما ﴿بَعْضُكُمْ﴾ : بعضُ الذرية ﴿لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ من ظلم بعضكم بعضاً ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ : موضع قرار ﴿وَمَتَـٰعٌ﴾ : ما تتمتعون به من نباتها ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ : وقتِ انقضاء آجالكم. ٣٧ ـ ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَـٰتٍ﴾ ألهمه إياها، وهي: (رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا) الآية، فدعا بها ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ : قَبِلَ توبته ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ﴾ علىٰ عباده ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بهم.

قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ
هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾
يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ
أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ
مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى
ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ
وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟
ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ
وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾
وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ
﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾
يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ
عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا
يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾

نصف الحزب

٣٨ ـ ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا﴾: من الجنة ﴿جَمِيعًا﴾، كرره ليعطف عليه: ﴿فَإِمَّا﴾، فيه إدغام نون (إنْ) الشرطية في (ما) الزائدة ﴿يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى﴾: كتابٌ ورسولٌ ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ﴾ فآمن بي وعمل بطاعتي ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة، بأن يدخلوا الجنة.

٣٩ ـ ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾: كُتُبنا ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾: ماكثون أبداً لا يفنَوْن ولا يُخرجون.

٤٠ ـ ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: أولاد يعقوب ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ أي: علىٰ آبائكم، من الإنجاء من فرعون، وفَلْقِ البحر، وتظليل الغمام، وغير ذلك، بأن تشكروها بطاعتي ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ﴾ الذي عهدته إليكم من الإيمان بمحمد ﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ الذي عَهِدتُه إليكم من الثواب عليه بدخول الجنة ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾: خافون في ترك الوفاء به دون غيري.

٤١ ـ ﴿وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ﴾ من القرآن ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ من التوراة، بموافقته له في التوحيد والنبوة ﴿وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ﴾ من أهل الكتاب، لأن خَلفَكُمْ تَبعٌ لكم، فإثمهم عليكم ﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟﴾: تستبدلوا ﴿بِـَٔايَٰتِى﴾ التي في كتابكم من نعت محمد ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾: عِوضاً يسيراً من الدنيا، أي: لا تكتموها خوفَ فوات ما تأخذونه من سِفْلَتكم ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ﴾: خافون في ذلك دون غيري. ٤٢ ـ ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟﴾: تَخلِطوا ﴿ٱلْحَقَّ﴾ الذي أنزلتُ عليكم ﴿بِٱلْبَٰطِلِ﴾ الذي تفترونه ﴿وَ﴾ لا ﴿تَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ﴾، نعت محمد ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه الحق. ٤٣ ـ ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾: صلُّوا مع المصلين محمدٍ وأصحابه.
٤٤ ـ ونزل في علمائهم، وكانوا يقولون لأقربائهم المسلمين: اثبتوا علىٰ دين محمد فإنه حق: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ﴾ بالإيمان بمحمد ﴿وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾: تتركونها فلا تأمرونها به ﴿وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾: التوراة، وفيها الوعيد علىٰ مخالفة القول العملَ ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ سوءَ فِعلكم، فترجعون، فجملة النسيان محلُّ الاستفهام الإنكاري. ٤٥ ـ ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟﴾: اطلبوا المعونة علىٰ أموركم ﴿بِٱلصَّبْرِ﴾: الحبس للنفس علىٰ ما تكره ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ﴾، أفردها بالذكر تعظيماً لشأنها، وفي الحديث: كان ﷺ إذا حَزَبَهُ أمرٌ بادرَ إلىٰ الصلاة. وقيل: الخطاب لليهود لمَّا عاقهم عن الإيمان الشَّرَهُ وحبُّ الرياسة، فأُمروا بالصبر، وهو الصوم، لأنه يكسر الشهوة، والصلاة، لأنها تورث الخشوع وتنفي الكِبْرَ ﴿وَإِنَّهَا﴾ أي: الصلاة ﴿لَكَبِيرَةٌ﴾: ثقيلة ﴿إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾: الساكنين إلىٰ الطاعة. ٤٦ ـ ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾: يوقنون ﴿أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ﴾ بالبعث ﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ في الآخرة فيجازيهم. ٤٧ ـ ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ بالشكر عليها بطاعتي ﴿وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ﴾ أي: آباءكم ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: عالمي زمانهم. ٤٨ ـ ﴿وَٱتَّقُوا۟﴾: خافوا ﴿يَوْمًا لَّا تَجْزِى﴾ فيه ﴿نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾: هو يوم القيامة ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ﴾ أي: ليس لها شفاعة فتُقبل (فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ) ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾: فداء ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾: يمنعون من عذاب الله.

وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾

٤٩ ـ ﴿وَ﴾ اذكروا ﴿إِذْ نَجَّيْنَٰكُم﴾ أي: آباءكم، والخطاب به وبما بعده للموجودين في زمن نبينا بما أنعم علىٰ آبائهم، تذكيراً لهم بنعمة الله تعالىٰ ليؤمنوا ﴿مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ﴾: يُذيقونكم ﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾: أشدّهُ، والجملة حال من ضمير «نجيناكم» ﴿يُذَبِّحُونَ﴾، بيان لما قبله ﴿أَبْنَآءَكُمْ﴾ المولودين ﴿وَيَسْتَحْيُونَ﴾: يستبقون ﴿نِسَآءَكُمْ﴾ لقول بعض الكهنة له: إن مولوداً يولد في بني إسرائيل، يكون سبباً لذهاب ملكك ﴿وَفِى ذَٰلِكُم﴾ العذاب، أو الإنجاء ﴿بَلَآءٌ﴾: ابتلاء، أو إنعام ﴿مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾.

٥٠ ـ ﴿وَ﴾ اذكروا ﴿إِذْ فَرَقْنَا﴾: فلقْنا ﴿بِكُمُ﴾: بسببكم ﴿ٱلْبَحْرَ﴾ حتىٰ دخلتموه هاربين من عدوّكم ﴿فَأَنجَيْنَٰكُمْ﴾ من الغرق ﴿وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾: قومه معه ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ إلىٰ انطباق البحر عليهم.

٥١ ـ ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ نعطيه عند انقضائها التوراة لتعملوا بها ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ الذي صاغه لكم السامريُّ إلٰهاً ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي: بعد ذهابه إلىٰ ميعادنا ﴿وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ باتخاذه، لوضعكم العبادة في غير محلها.

٥٢ ـ ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم﴾: محوْنا ذنوبكم ﴿مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ الاتخاذ ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمتَنا عليكم.

٥٣ ـ ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾: التوراة ﴿وَٱلْفُرْقَانَ﴾، عطف تفسير، أي: الفارق بين الحق والباطل، والحلال والحرام ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ به من الضلال.

٥٤ ـ ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ﴾ الذين عبدوا العجل: ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ إلٰهاً ﴿فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾: خالقكم، من عبادته ﴿فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ أي: ليقتلِ البريءُ منكم المجرمَ ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ القتل ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ﴾ فوفّقكم لفعل ذلك، ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾: قَبِل توبتكم ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

٥٥ ـ ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ﴾ وقد خرجتم مع موسىٰ لتعتذروا إلىٰ الله من عبادة العجل وسمعتم كلامه: ﴿يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾: عياناً ﴿فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾: الصيحة، فمُتّم ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ ما حلَّ بكم.

٥٦ ـ ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم﴾: أحييناكم ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمتَنا بذلك.

٥٧ ـ ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ﴾: ستَرناكم بالسحاب الرقيق من حَرِّ الشمس في التيه ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ﴾ فيه ﴿ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾. قال ابن كثير: والظاهر ـ والله أعلم ـ أنَّ (ٱلْمَنَّ) كل ما امتنّ الله به عليهم من طعام ليس فيه عمل ولا كدّ. وفي «الصحيحين»: «الكمأة من المنّ وماؤها شفاء للعين» وفي «مسلم»: «إنَّ الكمأة من المنّ الذي أنزل الله تعالىٰ علىٰ بني إسرائيل». (وَٱلسَّلْوَىٰ) عن ابن عبّاس أنّه طائر شبيه بالسُّمانَىٰ بتخفيف الميم والقصر. وقلنا: ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ ولا تدَّخروا، فكفروا النعمة وادَّخروا فقُطِع عنهم ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ بذلك ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ لأن وباله عليهم.

وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾

ثلاثة أرباع الحزب ١

٥٨ ـ ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ لهم بعد خروجهم من التيه: ﴿ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾: بيت المقدس.

﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾: واسعاً لا حَجْر فيه ﴿وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ﴾ أي: بابها ﴿سُجَّدًا﴾: مُنْحَنين ﴿وَقُولُوا۟﴾: مسألتُنا ﴿حِطَّةٌ﴾ أي: أن تحطَّ عنا خطايانا ﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ بالطاعة ثواباً.

٥٩ ـ ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ منهم ﴿قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾ فقالوا: حبةٌ في شعرةٍ، ودخلوا يزحفون على أستاههم كما جاء في «صحيح البخاري» (٤٤٧٩)، ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾، فيه وضعُ الظاهر موضع المضمر مبالغةً في تقبيح شأنهم ﴿رِجْزًا﴾: عذاباً طاعوناً ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾: بسبب فسقهم، أي: خروجهم عن الطاعة فهلكوا.

٦٠ ـ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ﴾ أي: طلب السُّقْيا ﴿لِقَوْمِهِۦ﴾ وقد عطشوا في التيه ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ﴾ فضربه ﴿فَٱنفَجَرَتْ﴾: انشقت وسالت ﴿مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ بعدد الأسباط.

﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾: سِبْطٍ منهم ﴿مَّشْرَبَهُمْ﴾: موضِعَ شُربهم فلا يَشْرَكُهم فيه غيرُهم. وقلنا لهم: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾، حال مؤكِّدة لعاملها، من عثِيَ بكسر المثلثة: أفسد.

٦١ ـ ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ﴾ أي: نوع منه ﴿وَٰحِدٍ﴾ وهو المنُّ والسلوىٰ.

﴿فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا﴾ شيئاً ﴿مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ﴾، للبيان.

﴿بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا﴾: حنطتها.

﴿وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ﴾ لهم موسىٰ: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ﴾: أخسُّ.

﴿بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾: أشرف؟ أي: أتأخذونه بَدَلَهُ، والهمزة للإنكار، فأبَوْا أن يرجعوا، فدعا الله تعالىٰ، فقال تعالىٰ: ﴿ٱهْبِطُوا۟﴾: انزلوا ﴿مِصْرًا﴾ من الأمصار ﴿فَإِنَّ لَكُم﴾ فيه ﴿مَّا سَأَلْتُمْ﴾ من النبات ﴿وَضُرِبَتْ﴾: جُعلت ﴿عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾: الذُّل والهوان ﴿وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾ أي: أثر الفقر من السكون والخِزْي، فهي لازمة لهم ـ وإن كانوا أغنياء ـ لزومَ الدرهم المضروب لسِكَّته ﴿وَبَآءُو﴾: رجعوا ﴿بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ﴾ أي: الضرب والغضب ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ أي: بسبب أنهم ﴿كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ كزكريا ويحيىٰ ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ أي: ظلماً.

﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾: يتجاوزون الحدَّ في المعاصي، وكرره للتأكيد.

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا ءَاتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿٦٩﴾

٦٢ ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بالأنبياء من قبلُ ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾: هم اليهود ﴿وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِـِٔينَ﴾: طائفة من اليهود أو النصارىٰ، أو هم قوم باقون علىٰ فطرتهم خرجوا عن سائر الأديان عندما شكُّوا في صحتها، إذن هي فرقة اخْتُلِفَ في تحديد حقيقتها وتعريفها والله أعلم. ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ منهم ﴿بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ في زمن نبيِّنا ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ بشريعته ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ أي: ثواب أعمالهم ﴿عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، رُوعي في ضمير (آمَنَ) و(عَمِلَ) لفظُ (مَنْ) وفيما بعده معناها.

٦٣ ـ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾: عهدكم بالعمل بما في التوراة ﴿وَ﴾ قد ﴿رَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾: الجبل، اقتلعناه من أصله عليكم لمَّا أبيتُم قبولها وقلنا: ﴿خُذُوا مَا ءَاتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ﴾: بِجِدٍّ واجتهاد ﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ بالعمل به ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ النار أو المعاصي.

٦٤ ـ ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم﴾: أعرضتم ﴿مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ الميثاق عن الطاعة ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ لكم بالتوبة، أو تأخير العذاب ﴿لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾: الهالكين.

٦٥ ـ ﴿وَلَقَدْ﴾، لام قسم ﴿عَلِمْتُمُ﴾: عرفتم ﴿الَّذِينَ اعْتَدَوْا﴾: تجاوزوا الحدَّ ﴿مِنكُمْ فِي السَّبْتِ﴾ لصيد السمك وقد نهيناهم عنه، وهم أهل أيْلَةَ ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾: مُبْعَدِينَ، فكانوها وهَلَكوا بعد ثلاثة أيام.

٦٦ ـ ﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾ أي: تلك العقوبة ﴿نَكَالًا﴾: عبرةً مانعة من ارتكاب مثل ما عملوا ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ أي: للأمم التي في زمانها وبعدَها ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ الله، وخُصُّوا بالذكر لأنهم المنتفعون بها، بخلاف غيرهم.

٦٧ ـ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ﴾ وقد قُتِلَ لهم قتيلٌ لا يُدْرَىٰ قاتِلُه، وسألوه أن يدعوَ الله أن يُبيِّنَهُ لهم، فدعاه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾: مهزوءاً بنا حيث تجيبنا بمثل ذلك؟ ﴿قَالَ أَعُوذُ﴾: أمتنع ﴿بِاللَّهِ﴾ مِن ﴿أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ المستهزئين.

٦٨ ـ فلما علموا أنه عزْمٌ ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ﴾ أي: ما سِنُّها؟ ﴿قَالَ﴾ موسىٰ: ﴿إِنَّهُ﴾ أي: الله ﴿يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ﴾: مُسِنَّة ﴿وَلَا بِكْرٌ﴾: صغيرة ﴿عَوَانٌ﴾: نَصَفٌ ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ المذكور من السِّنين ﴿فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾ به من ذَبْحِها.

٦٩ ـ ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾: شديد الصُّفرة ﴿تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾ إليها بحُسنها، أي: تعجبهم.

قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا قَالُواْ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَا وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾

الحزب ٢

٧٠ ـ ﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ﴾ أسائمةٌ أم عاملةٌ؟ ﴿إِنَّ ٱلْبَقَرَ﴾ أي: جنسه المنعوت بما ذكر ﴿تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا﴾ لكثرته فلم نهتدِ إلىٰ المقصودة ﴿وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ إليها، وفي الحديث: «لو لم يستثنوا لما بُيِّنَتْ لهم آخرَ الأبد».

٧١ ـ ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ﴾: غير مذللة بالعمل ﴿تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ﴾: تقلبها للزراعة، والجملة صفة (ذلول) داخلة في النفي ﴿وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ﴾: الأرض المهيَّأة للزراعة ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ من العيوب وآثار العمل ﴿لَّا شِيَةَ﴾: لون ﴿فِيهَا﴾ غير لونها ﴿قَالُواْ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ﴾: نطقتَ بالبيان التام، فطلبوها، فوجدوها ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾: أي إنهم مع هذا البيان وهذه الأسئلة والأجوبة والإيضاح ما ذبحوها إلا بعد الجهد. وفي هذا ذمٌّ لهم، وذلك لأنه لم يكن غرضهم إلا التعنت، فلهذا ما كادوا يذبحونها. وعن ابن عباس رضي الله عنهما بسند صحيح: لو أخذوا أدنىٰ بقرة اكتفوا بها، ولكنّهم شدّدوا، فشدّد الله عليهم.

٧٢ ـ ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ﴾، فيه إدغام التاء في الأصل في الدال، أي: تخاصمتم وتدافعتم ﴿فِيهَا وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ﴾: مُظهر ﴿مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ من أمرها، وهذا اعتراض، وهو أول القصة.

٧٣ ـ ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ﴾ أي: القتيلَ ﴿بِبَعْضِهَا﴾ فَضُرِبَ فَحَيِيَ، وقال: قتلني فلان وفلان ومات، قال تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ الإحياءِ ﴿يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾: دلائل قدرته ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: تتدبَّرون، فتعلمون أن القادر علىٰ إحياء نفس واحدة قادر علىٰ إحياء نفوس كثيرة فتؤمنون.

٧٤ ـ ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم﴾ أيها اليهود، صَلُبت عن قبول الحق ﴿مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ المذكور من إحياء القتيل، وما قبله من الآيات ﴿فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ﴾ في القسوة ﴿أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ منها ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ﴾، فيه إدغام التاء في الأصل في الشين ﴿فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ﴾: ينزل من علوٍّ إلىٰ أسفل ﴿مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ وقلوبُكم لا تتأثَّر ولا تلين ولا تخشع ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وإنما يؤخِّركم لوقتكم.

٧٥ ـ ﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾ أيها المؤمنون ﴿أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ﴾ أي: اليهود. ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ﴾: طائفة ﴿مِّنْهُمْ﴾: أحبارُهم ﴿يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ في التوراة ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ﴾: يُغيِّرونه ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾: فهموه ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنهم مفترون، والهمزة للإنكار، أي: لا تطمعوا، فلهم سابقة في الكفر. ٧٦ ـ ﴿وَإِذَا لَقُواْ﴾ أي: منافقو اليهود ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ بأن محمداً نبيٌّ، وهو المُبشَّر به في كتابنا ﴿وَإِذَا خَلَا﴾: رجع ﴿بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓاْ﴾ أي: رؤساؤهم الذين لم يُنافقوا لمن نافق: ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم﴾ أي: المؤمنين ﴿بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ أي: عرَّفَكُمْ في التوراة من نعت محمد ﴿لِيُحَآجُّوكُم﴾: ليُخاصموكم، واللام للصيرورة ﴿بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ﴾ في الآخرة، ويُقيموا عليكم الحجة في ترك اتِّباعه مع علمكم بصدقه ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أنهم يُحاجُّونكم إذا حدَّثتموهم فتنتهوا.

أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾

٧٧ ـ قال تعالىٰ: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ﴾، الاستفهام للتقرير، وقد تقدَّمَ علىٰ الواو؛ لأن الاستفهام من الألفاظ التي لها حقّ الصدارة. والواو للعطف، وقد عطفت الفعل بعدها علىٰ فعل محذوف، والتقدير: أتلومونهم علىٰ التحدث بما ذكر ولا يعلمون... ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾: ما يُخفون وما يُظهرون من ذلك وغيره، فيرعَوُوا عن ذلك؟

٧٨ ـ ﴿وَمِنْهُمْ﴾ أي: اليهود ﴿أُمِّيُّونَ﴾: عوامُّ ﴿لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾: التوراة ﴿إِلَّآ﴾: لكن ﴿أَمَانِيَّ﴾: أي: لكن يعتقدون أكاذيب تَلَقَّوْها من رؤسائهم فاعتمدوها أو مواعيد فارغة سمعوها منهم من أنّ الجنّة لا يدخلها إلّا من كان هوداً، وأنّ النّار لا تمسُّهم إلّا أيّاماً معدودة ﴿وَإِنْ﴾: ما ﴿هُمْ﴾ في جَحْدِ نبوَّة النبي وغيره مما يختلقونه ﴿إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ ظناً، ولا علم لهم.

٧٩ ـ ﴿فَوَيْلٌ﴾: شدة عذاب ﴿لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ أي: مُخْتَلَقاً من عندهم ﴿ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ من الدنيا، وهم اليهود، غيَّروا صفةَ النبي في التوراة، وآية الرجم، وغيرَهما، وكتبوها علىٰ خلاف ما أُنزل ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من المُختلَق ﴿وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ من الرُّشا.

٨٠ ـ ﴿وَقَالُوا۟﴾ لمَّا وعدهم النبيُّ النارَ: ﴿لَن تَمَسَّنَا﴾: تُصيبنا ﴿ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾: قليلة، أربعين مدة عبادة آبائهم العجل، ثم تزول ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد: ﴿أَتَّخَذْتُمْ﴾، حذفت منه همزة الوصل استغناءً بهمزة الاستفهام ﴿عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا﴾: ميثاقاً منه بذلك ﴿فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ﴾ به؟ لا ﴿أَمْ﴾: بل ﴿تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

٨١ ـ ﴿بَلَىٰ﴾ تَمَسُّكم وتخلدون فيها ﴿مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾: شِركاً ﴿وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾، أي: استولت عليه وأحدقَتْ به من كل جانب، بأن مات مُشركاً ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾، رُوعي فيه معنىٰ (مَنْ).

٨٢ ـ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

٨٣ ـ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ في التوراة وقلنا: ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾، خبر بمعنىٰ النهي، ﴿وَ﴾ أحسِنُوا ﴿بِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾: برّاً ﴿وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾: القرابة، عطف علىٰ (الوالدين) ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصدق في شأن محمد، والرفق بهم، و(حُسْناً) بضم الحاء وسكون السين، مصدر وُصف به مبالغةً ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ فقبلتم ذلك ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾: أعرضتُم عن الوفاء به، فيه التفاتٌ عن الغيبة، والمراد آباؤهم ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾ عنه كآبائكم.

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾

٨٤ ـ ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ﴾ وقلنا: ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ﴾: تُريقونها بقتل بعضكم بعضاً ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾: لا يُخرج بعضكم بعضاً من داره ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾: قبلتم ذلك الميثاق ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ علىٰ أنفسكم.

٨٥ ـ ﴿ثُمَّ أَنتُمْ﴾ يا ﴿هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ بقتل بعضكم بعضاً ﴿وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ﴾، و[تَظاهَرُونَ] علىٰ حذف التاء أي: تتعاونون ﴿عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ﴾: بالمعصية ﴿وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾: الظلم ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ﴾ تنقذوهم من الأسر بالمال، أو غيره، وهو مما عُهِدَ إليهم ﴿وَهُوَ﴾ أي: الشأن ﴿مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ﴾، متصل بقوله: (وتخرجون)، والجملة بينهما اعتراض، أي: كما حُرِّم تركُ الفداء، وكانت قُريظةُ حالفوا الأوسَ، والنَّضيرُ الخزرجَ، فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه، ويُخرب ديارهم ويخرجهم، فإذا أُسِرُوا فَدَوْهُم، وكانوا إذا سئلوا: لِمَ تقاتلونهم وتفدونهم؟ قالوا: أُمرنا بالفداء، فيقال: فلِمَ تقاتلونهم؟ فيقولون: حياء أن يُستذَلَّ حلفاؤنا، قال تعالىٰ: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ وهو الفداء ﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ﴾ وهو ترك القتل والإخراج والمظاهرة ﴿فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ﴾: هوانٌ وذلٌّ ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ﴾ وقد خَزُوا بقتل قُريظة، ونفي النَّضير إلىٰ الشام، وضرب الجزية ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

٨٦ ـ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ﴾ بأن آثروها عليها ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾: يُمنعون منه.

٨٧ ـ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾: التوراة ﴿وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ﴾: أي: أتبعناهم رسولاً في إثر رسول ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: المعجزات، كإحياء الموتىٰ، وإبراء الأكمه والأبرص ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ﴾: قوّيناه ﴿بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ﴾ من إضافة الموصوف إلىٰ الصفة، أي: الروح المقدسة جبريل لطهارته، يسير معه حيث سار، فلم تستقيموا ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ﴾: تحبُّ ﴿أَنفُسُكُمُ﴾ من الحق ﴿ٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾: تكبّرتم عن اتّباعه؟ جواب (كلّما)، وهو محل الاستفهام، والمراد به التوبيخ ﴿فَفَرِيقًا﴾ منهم ﴿كَذَّبْتُمْ﴾ كعيسىٰ ﴿وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾، المضارع لحكاية الحال الماضية، أي: قتلتم، كزكريا ويحيىٰ.

٨٨ ـ ﴿وَقَالُوا۟﴾ للنبي استهزاءً: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ﴾، جمع أغلَف، أي: مغشاة بأغطية فلا تعي ما تقول، قال تعالىٰ: ﴿بَل﴾ للإضراب ﴿لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾: أبعدهم عن رحمته وخذلهم عن القبول ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ وليس عدم قبولهم لخلل في قلوبهم ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾، (ما) زائدة لتأكيد القلة، أي: إيمانهم قليل جداً.

وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٌ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئۡسَمَا ٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡ أَن يَكۡفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغۡيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍۚ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤۡمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَيَكۡفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمۡۗ قُلۡ فَلِمَ تَقۡتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبۡلُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٩١﴾ ۞ وَلَقَدۡ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱسۡمَعُواْۖ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ بِكُفۡرِهِمۡۚ قُلۡ بِئۡسَمَا يَأۡمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٩٣﴾

ربع الحزب ٢

٨٩ ـ ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٌ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمۡ﴾ من التوراة، هو القرآن ﴿وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ﴾: قبل مجيئه ﴿يَسۡتَفۡتِحُونَ﴾: يستنصرون ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾: يقولون: اللهم انصرنا عليهم بالنبي المبعوث آخر الزمان، ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ﴾ من الحقِّ وهو بعثة النبي ﴿كَفَرُواْ بِهِۦ﴾ حسداً وخوفاً على الرياسة، وجوابُ (لمّا) الأولىٰ دلَّ عليه جواب الثانية ﴿فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾.

٩٠ ـ ﴿بِئۡسَمَا ٱشۡتَرَوۡاْ﴾: باعوا ﴿بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡ﴾ أي: حظَّها من الثواب، و(ما) نكرة بمعنىٰ شيئاً تمييز لفاعل بئس وهو الضمير المستتر في (بئس)، والمخصوص بالذم: ﴿أَن يَكۡفُرُواْ﴾ أي: كفرهم ﴿بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ من القرآن ﴿بَغۡيًا﴾، مفعول له لـ(يكفروا)، أي: حسداً علىٰ ﴿أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ الوحيَ ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ للرسالة ﴿مِنۡ عِبَادِهِۦۖ فَبَآءُو﴾: رجعوا ﴿بِغَضَبٍ﴾ من الله بكفرهم بما أنزل، والتنكيرُ للتعظيم.

﴿عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ استحقوه من قبلُ بتضييع التوراة والكفر بعيسىٰ ﴿وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾: ذو إهانة.

٩١ ـ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾: القرآن وغيره.

﴿قَالُواْ نُؤۡمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا﴾ أي: التوراة.

قال تعالىٰ: ﴿وَيَكۡفُرُونَ﴾، الواو للحال ﴿بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾: سواه، أو بعده، من القرآن ﴿وَهُوَ ٱلۡحَقُّ﴾، حال ﴿مُصَدِّقًا﴾، حال ثانية مؤكدة ﴿لِّمَا مَعَهُمۡۗ قُلۡ﴾ لهم: ﴿فَلِمَ تَقۡتُلُونَ﴾ أي: قتلتم ﴿أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبۡلُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ بالتوراة، وقد نُهيتم فيها عن قتلهم؟ والخطاب للموجودين في زمن نبينا بما فعل آباؤهم لرضاهم به.

٩٢ ـ ﴿وَلَقَدۡ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾: المعجزات، كالعصا واليد وفلق البحر ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ﴾ إلٰهاً ﴿مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾: من بعد ذهابه إلىٰ الميقات ﴿وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ﴾ باتّخاذه.

٩٣ ـ ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ﴾ علىٰ العمل بما في التوراة ﴿وَ﴾ قد ﴿رَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾: الجبل حين امتنعتم من قبولها ليسقط عليكم، وقلنا: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ﴾: بجدٍّ واجتهاد ﴿وَٱسۡمَعُواْۖ﴾ ما تؤمرون به سماع قبول ﴿قَالُواْ سَمِعۡنَا﴾ قولَك ﴿وَعَصَيۡنَا﴾ أمرَك ﴿وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ﴾ أي: خالط حُبُّهُ قلوبَهُم كما يخالط الشراب ﴿بِكُفۡرِهِمۡۚ قُلۡ﴾ لهم: ﴿بِئۡسَمَا﴾ شيئاً ﴿يَأۡمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمۡ﴾ بالتوراة عبادةُ العجل ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ بها كما زعمتم، المعنىٰ: لستم بمؤمنين؛ لأن الإيمان لا يأمر بعبادة العجل، والمراد آباؤهم، أي: فكذلك أنتم لستم بمؤمنين بالتوراة وقد كذّبتم محمداً، والإيمانُ بها لا يأمر بتكذيبه.

قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾

٩٤ ـ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ﴾ أي: الجنة ﴿عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً﴾: خاصة ﴿مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ﴾ كما زعمتم ﴿فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أي: إن صدقتم في زعمكم أنَّ الدار الآخرة خالصة لكم من دون الناس فتمنَّوا الموت؛ لأن الموت هو الموصل إليها.

٩٥ ـ ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من كُفرهم بالنبي المستلزم لكذبهم ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الكافرين فيجازيهم.

٩٦ ـ ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ﴾، لام قسم ﴿أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَ﴾ أحرص ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾: المنكرين للبعث عليها، لعلمهم بأن مصيرهم النار، دون المشركين لإنكارهم له ﴿يَوَدُّ﴾: يتمنَّىٰ ﴿أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾، (لو) مصدرية بمعنىٰ (أنْ)، وهي بصلتها في تأويل مصدر مفعول (يود) ﴿وَمَا هُوَ﴾ أي: أحدُهم ﴿بِمُزَحْزِحِهِۦ﴾ مبعده ﴿مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾: النار ﴿أَن يُعَمَّرَ﴾، فاعل (مزحزحه) أي: تعميره ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ فيجازيهم.

٩٧ ـ وسأل ابن صوريا النبيَّ أو عُمَرَ عمن يأتي بالوحي من الملائكة، فقال: جبريل، فقال: هو عدوُّنا يأتي بالعذاب، ولو كان ميكائيل لآمنا لأنَّه يأتي بالخصب والسِّلم، فنزل: ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ فليمت غيظاً ﴿فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ﴾ أي: القرآن ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ﴾: بأمر ﴿ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: قبله من الكتب ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَبُشْرَىٰ﴾ بالجنة ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

٩٨ ـ ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ﴾، بكسر الجيم ﴿وَمِيكَىٰلَ﴾، عطف علىٰ الملائكة، من عطف الخاص علىٰ العام، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ أوقعه موقع (لهم) بياناً لحالهم.

٩٩ ـ ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾: واضحات، حال، ردٌّ لقول ابن صوريا للنبي: ما جئتنا بشيء ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ﴾.

١٠٠ ـ ﴿أَ﴾ كفروا بها ﴿وَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟﴾ الله ﴿عَهْدًا﴾ علىٰ الإيمان بالنبي إن خرج، أو النبي أن لا يعاونوا عليه المشركين ﴿نَّبَذَهُۥ﴾: طرحه ﴿فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾ بنقضه، جوابُ (كلّما)، وهو محل الاستفهام الإنكاري ﴿بَلْ﴾ للانتقال ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

١٠١ ـ ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾: محمد ﷺ ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ أي: التوراة ﴿وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ أي: لم يعملوا بما فيها من الإيمان بالرسول وغيره ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ما فيها من أنه نبي حق، أو أنها كتاب الله.

وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾

١٠٢ ـ ﴿وَٱتَّبَعُواْ﴾، عطف على (نبذ) ﴿مَا تَتْلُواْ﴾ أي: تلت ﴿ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ﴾ عهد ﴿مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ أي: واتّبعت اليهود ما تتلو الشياطينُ كاذبة على ملك سليمان، وأعرضت عن كتاب الله التوراة الذي كان بأيديها، وخالفت رسول الله محمداً ﷺ وعُدِّي الفعل (تتلو) بـ(على) لأنه ضُمِّن معنى (تكذب). ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ وهذه الآية تبرئةٌ لسليمان وردٌّ على اليهود في اتّهامهم نبيّ الله سليمان بالسحر. وجملة (يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ) في محل نصب حال من ضمير (كفروا). وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ﴾ اختلف العلماء في معنى (ما) فذهب بعضهم إلى أنها نافية، وذهب آخرون إلى أنها موصولة. وقد رجَّح كثيرٌ من العلماء القول الأول أي: كونها نافية والمعنى على ذلك ـ والله أعلم ـ: وما كفر سليمان وما أنزل الله شيئاً من السحر على الملكين اللذين هما فتنة للناس. وبابل: بلد في العراق. ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ﴾، زائدة ﴿أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ﴾ له نصحاً: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾: بليَّةٌ من الله للناس ليمتحنهم بتعليمه، فمن تعلّمه كفر، ومن تركه فهو مؤمن ﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾ بتعلُّمه، فإن أبى إلّا التعلُّم علَّماه ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ بأن يُبغِّض كُلّاً إلى الآخر ﴿وَمَا هُم﴾ أي: السحرة ﴿بِضَآرِّينَ بِهِۦ﴾: بالسحر ﴿مِّنْ﴾، زائدة ﴿أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: بإرادته ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ﴾ في الآخرة ﴿وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ وهو السحر ﴿وَلَقَدْ﴾، لام قسم ﴿عَلِمُواْ﴾ أي: اليهود ﴿لَمَنِ﴾، لام ابتداء مُعلِّقة لما قبلها، و(مَنْ) موصولة ﴿ٱشْتَرَىٰهُ﴾: اختاره، أو استبدله بكتاب الله ﴿مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾: نصيب في الجنة ﴿وَلَبِئْسَ مَا﴾ شيئاً ﴿شَرَوْاْ﴾: باعوا ﴿بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾ أي: الشارين، أي: حظُّها من الآخرة أنْ تَعَلَّمُوهُ، حيث أوجب لهم النار ﴿لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ حقيقةَ ما يصيرون إليه من العذاب ما تعلّموه.

١٠٣ ـ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ﴾ أي: اليهود ﴿ءَامَنُواْ﴾ بالنبي والقرآن ﴿وَٱتَّقَوْاْ﴾ عقابَ الله بترك معاصيه كالسحر، وجوابُ (لو) محذوف، أي لأثيبوا، دلَّ عليه: ﴿لَمَثُوبَةٌ﴾: ثواب، وهو مبتدأ، واللام فيه للقسم ﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾ خبَرُهُ، مما شَرَوْا به أنفسهم ﴿لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ أنه خير لما آثروه عليه.

١٠٤ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ﴾ للنبي: ﴿رَٰعِنَا﴾: أمْرٌ من المراعاة، وكانوا يقولون له ذلك، وهي بلغة اليهود سَبٌّ، من الرعونة، فَسُرُّوا بذلك، وخاطبوا بها النبي، فَنُهِيَ المؤمنون عنها ﴿وَقُولُواْ﴾ بدلها: ﴿ٱنظُرْنَا﴾ أي: انظر إلينا ﴿وَٱسْمَعُواْ﴾ ما تؤمرون به سماع قبول ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مؤلم هو النار.

١٠٥ ـ ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ من العرب عطف على (أهل الكتاب)، و(من) للبيان ﴿أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ﴾، زائدة ﴿خَيْرٍ﴾: وحي ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ حسداً لكم ﴿وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ﴾: نبوته ﴿مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾.

﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾

١٠٦ ـ ولما طعنَ الكفارُ في النسخ وقالوا: إن محمداً يأمر أصحابه اليوم بأمر وينهىٰ عنه غداً، نزل: ﴿مَا﴾، شرطية ﴿نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾ أي: نُزل حُكمَها، إمَّا مع لفظها، أوْ لا، ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾ بلا همز من النسيان، أي: نُنْسِكَها، أي: نمحها من قلبك، وجواب الشرط: ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ﴾: أنفع للعباد في السهولة، أو كثرة الأجر ﴿أَوْ مِثْلِهَآ﴾ في التكليف والثواب ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾؟ ومنه النسخ والتبديل، والاستفهام للتقرير.

١٠٧ ـ ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يفعل فيهما ما يشاء ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿مِن﴾، زائدة ﴿وَلِىٍّ﴾ يحفظكم ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ يمنع عذابه عنكم إن أتاكم.

١٠٨ ـ ونزل لما سأله أهل مكة أن يوسعها ويجعل الصفا ذهباً: ﴿أَمْ﴾: بل ﴿تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ﴾ أي: سأله قومه ﴿مِن قَبْلُ﴾ من قولهم: أرنا الله جهرة، وغير ذلك ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ أي: يأخذه بدلَه بترك النظر في الآيات البينات، واقتراح غيرها ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾: أخطأ الطريق الحق، والسواءُ في الأصل الوسَط.

١٠٩ ـ ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ﴾، مصدرية ﴿يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا﴾، مفعول له، كائناً ﴿مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ أي: حَمَلَتْهُم عليه أنفسُهم الخبيثة ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ﴾ في التوراة ﴿ٱلْحَقُّ﴾ في شأن النبي ﴿فَٱعْفُوا۟﴾ عنهم، أي: اتركوهم ﴿وَٱصْفَحُوا۟﴾: أعرضوا، فلا تجازوهم ﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ فيهم من القتال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

١١٠ ـ ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ﴾: طاعة كصلة وصدقة ﴿تَجِدُوهُ﴾ أي: ثوابه ﴿عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم به.

١١١ ـ ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا﴾، جمع هائد ﴿أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ قال ذلك يهود المدينة ونصارىٰ نجران لما تناظروا بين يدي النبي ﷺ، أي: قال اليهود: لن يدخلها إلّا اليهود، وقال النصارىٰ: لن يدخلها إلّا النصارىٰ ﴿تِلْكَ﴾ القولة ﴿أَمَانِيُّهُمْ﴾: شهواتُهم الباطلة ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾: حجّتكم علىٰ ذلك ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ فيه.

١١٢ ـ ﴿بَلَىٰ﴾ يدخل الجنة غيرُهم ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ أي: انقاد لأمره، وخَصَّ الوجهَ لأنه أشرف الأعضاء، فغيرُه أولىٰ ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾: مُوحِّدٌ ﴿فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ أي: ثواب عمله الجنةُ ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة.

وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُمۡ يَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمۡ أَن يَدۡخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿١١٥﴾ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١١٩﴾

١١٣ ـ ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ﴾ مُعْتَدٍّ به، وكفرتْ بعيسىٰ ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ﴾ مُعْتَدٍّ به، ﴿وَهُمۡ﴾ أي: الفريقان ﴿يَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۗ﴾ المُنزَّل عليهم، وفي كتاب اليهود تصديق عيسىٰ، وفي كتاب النصارىٰ تصديق موسىٰ، والجملة حال ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما قال هؤلاء ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ أي: المشركون من العرب وغيرهم ﴿مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡۚ﴾، بيان لمعنىٰ (ذلك) أي: قالوا لكل ذي دين: ليسوا علىٰ شيء ﴿فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾ من أمر الدين، فيُدْخِلُ المُحِقَّ الجنةَ والمُبطِلَ النار.

١١٤ ـ ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ﴾ أي: لا أحد أظلم ﴿مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ﴾ بالصلاة والتسبيح ﴿وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآۚ﴾ بالهدم، أو التعطيل، نزلت إخباراً عن الروم الذين خرَّبوا بيت المقدس، أو في المشركين لما صدُّوا النبي ﷺ عامَ الحُدَيْبية عن البيت ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمۡ أَن يَدۡخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ﴾، خبر بمعنىٰ الأمر، أي: أخيفوهم بالجهاد، فلا يدخلُها أحد آمناً ﴿لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞ﴾: هوانٌ بالقتل والسَّبي والجزية ﴿وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ هو النار.

١١٥ ـ ونزل لما طعن اليهود في نسخ القبلة، أو نزل في صلاة النافلة علىٰ الراحلة في السفر حيثما توجهت: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ﴾ أي: الأرض كلُّها لأنهما ناحيتاها ﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ﴾ وجوهكم في الصلاة بأمره ﴿فَثَمَّ﴾: هناك ﴿وَجۡهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ﴾: يسعُ فضلُه كلَّ شيء ﴿عَلِيمٞ﴾ بتدبير خلقه.

١١٦ ـ ﴿وَقَالُواْ﴾ أي: اليهودُ والنصارىٰ ومن زعم أنَّ الملائكة بناتُ الله: ﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ﴾ قال تعالىٰ: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥۖ﴾: تنزيهاً له عنه ﴿بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ مُلْكاً وخَلقاً وعَبيداً، والملكية تنافي الولادة، وعبَّر بـ(ما) تغليباً لما لا يعقل ﴿كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾: مُطيعون طاعة تسخير وقهر، كُلٌّ بما يُرادُ منه، وفيه تغليبُ العاقل.

١١٧ ـ ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾: موجِدُهما لا علىٰ مثال سبق ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ﴾: أراد ﴿أَمۡرٗا﴾ أي: إيجاده ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ أي: فهو يكون.

١١٨ ـ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ أي: كفار مكة للنبي ﷺ: ﴿لَوۡلَا﴾: هلَّا ﴿يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ﴾ أنك رسوله ﴿أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ﴾ مما اقترحناه علىٰ صدقك ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما قال هؤلاء ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم﴾ من كفار الأمم الماضية لأنبيائهم ﴿مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ﴾ من التَّعنُّت وطلب الآيات ﴿تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ﴾ في الكفر والعناد، فيه تسليةٌ للنبي ﷺ ﴿قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾: يعلمون أنها آيات، فيؤمنون، فاقتراحُ آيةٍ معها تَعنُّت.

١١٩ ـ ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ﴾ يا محمد ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾: بالهدىٰ ﴿بَشِيرٗا﴾ من أجاب إليه بالجنة ﴿وَنَذِيرٗاۖ﴾ مَن لم يُجب إليه بالنار ﴿وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ﴾: النار، أي: الكفار، ما لهم لم يؤمنوا؟ إنما عليك البلاغ.

وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِۦمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾

ثلاثة أرباع الحزب

١٢٠ ـ ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾: دينهم ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ﴾ أي: الإسلام ﴿هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ وما عداه ضلال ﴿وَلَئِنِ﴾، لام قسم ﴿ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾ التي يدعونك إليها فرضاً ﴿بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾: الوحي من الله ﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ﴾ يحفظك ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ يمنعُك منه.

١٢١ ـ ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾، مبتدأ ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ أي: يقرؤونه كما أُنزل، والجملة حال، و(حَقَّ) نصب على المصدر، والخبر ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ﴾ أي: بالكتاب المؤتى بأن يُحرِّفه ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبَّدة عليهم.

١٢٢ ـ ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، تقدَّم مثله.

١٢٣ ـ ﴿وَٱتَّقُوا۟﴾: خافوا ﴿يَوْمًا لَّا تَجْزِى﴾: تُغني ﴿نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ﴾ فيه ﴿شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾: فداءٌ ﴿وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾: يُمنعون من عذاب الله. ١٢٤ ـ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذِ ٱبْتَلَىٰٓ﴾: اختبرَ ﴿إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ﴾: بأوامرَ ونَواهٍ كلَّفه بها، قيل: هي مناسك الحج، وقيل: المضمضة، والاستنشاق، والسِّواك، وقصُّ الشارب، وفَرْقُ الرأس، وقَلْمُ الأظفار، ونتف الإبْط، وحَلْقُ العانة، والخِتانُ، والاستنجاء، وقيل: ابتلاه بالهجرة، وبذبح ابنه، وقذفه في النار. قال ابن كثير: قال أبو جعفر ما حاصله: إنه يجوز أن يكون المراد بالكلمات جميع ما ذكر، وجائز أن يكون بعض ذلك. ولا يجوز الجزم بشيء منها أنه المراد على التعيين إلا بحديث أو إجماع. قال: ولم يصح في ذلك خبر بنقل الواحد ولا بنقل الجماعة الذي يجب التسليم له ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾: أدَّاهُنَّ تامّاتٍ ﴿قَالَ﴾ تعالى له: ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾: قُدوة في الدين ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾: أولادي، اجعلْ أئمةً ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى﴾ بالإمامة ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الكافرين منهم، دلَّ على أنه يناله غيرُ الظالم. ١٢٥ ـ ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ﴾: الكعبة ﴿مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾: مَرْجعاً يَثُوبون إليه من كلِّ جانب ﴿وَأَمْنًا﴾: مَأمناً لهم من الظلم والإغارات الواقعة في غيره، كان الرجل يلقى قاتلَ أبيه فيه فلا يَهيجه ﴿وَٱتَّخِذُوا۟﴾ أيها الناس ﴿مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِۦمَ﴾: هو الحَجَرُ الذي قام عليه عند بناء البيت ﴿مُصَلًّى﴾: مكانَ صلاة، بأن تُصلُّوا خلفه ركعتي الطواف، ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ﴾: أمرناهما ﴿أَن﴾ أي: بأن ﴿طَهِّرَا بَيْتِىَ﴾ من الأوثان ﴿لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ﴾: المُقيمين فيه ﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾، جمع راكع وساجد: المصلِّين. ١٢٦ ـ ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا﴾ المكان ﴿بَلَدًا ءَامِنًا﴾: ذا أمن، وقد أجاب الله دعاءه، فجعله حَرَماً لا يُسفك فيه دمُ إنسان، ولا يُظلَم فيه أحدٌ، ولا يُصاد صيدُه، ولا يُختلى خَلاهُ ﴿وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾، بدل من (أهله)، وخصَّهم بالدعاء لهم موافقةً لقوله: (لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ) ﴿قَالَ﴾ تعالى: ﴿وَ﴾ أرزقُ ﴿مَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ﴾ في الدنيا بالرزق ﴿قَلِيلًا﴾: مدة حياته ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ﴾: أُلجئُهُ في الآخرة ﴿إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ﴾ فلا يجد عنها محيصاً ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾: المرجع هي.

وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِۦمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِۦمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾

١٢٧ ـ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِۦمُ ٱلْقَوَاعِدَ﴾ الأسس، أو الجُدُر ﴿مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾ يبنيه، متعلِّق بـ(يرفع) ﴿وَإِسْمَٰعِيلُ﴾، عطف على (إبراهيم)، يقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾ بناءنا ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ﴾ للقول ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بالفعل.

١٢٨ ـ ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ﴾: مُنْقادَيْن ﴿لَكَ وَ﴾ اجعل ﴿مِن ذُرِّيَّتِنَآ﴾: أولادنا ﴿أُمَّةً﴾: جماعة ﴿مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ و(مِنْ) للتبعيض، وأتى به لتقدم قوله له: (لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ) ﴿وَأَرِنَا﴾: عَلِّمْنا ﴿مَنَاسِكَنَا﴾: شرائع عبادتنا، أو حَجَّنا ﴿وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ سألاه التوبة مع عصمتهما تواضعاً وتعليماً لذريتهما.

١٢٩ ـ ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ﴾ أي: أهل البيت ﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾: من أنفسهم، وقد أجاب الله دعاءه بمحمد ﷺ ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ﴾: القرآن ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾: القرآن ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ أي: ما فيه من الأحكام ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾: يُطَهِّرُهم من الشِّرك ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ﴾: الغالب ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في صنعه.

١٣٠ ـ ﴿وَمَن﴾ أي: لا ﴿يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِۦمَ﴾ فيتركُها ﴿إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾: جهل أنها مخلوقة لله يجب عليها عبادتُه، أو استخفَّ بها وامتهنها ﴿وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ﴾: اخترناه ﴿فِى ٱلدُّنْيَا﴾ بالرسالة والخُلَّة ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ الذين لهم الدرجات العلىٰ.

١٣١ ـ واذكر ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ﴾: انقَدْ لله وأخْلِصْ له دينك ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

١٣٢ ـ ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ﴾: بالملة ﴿إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾ بنيه قال: ﴿يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾: دين الإسلام ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾، نهيٌ عن تركِ الإسلام، وأمرٌ بالثبات عليه إلىٰ مصادفة الموت.

١٣٣ ـ: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ﴾: حضوراً ﴿إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ﴾، بدل من (إذ) قبله ﴿قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى﴾: بعد موتي ﴿قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾ عَدُّ إسماعيل من الآباء تغليب، ولأن العم بمنزلة الأب ﴿إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾، بدل من (إلٰهك) ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ و(أَم) بمعنىٰ همزة الإنكار، أي: لم تحضروه وقتَ موته، فكيف تنسبون إليه ما لا يليق به.

١٣٤ ـ ﴿تِلْكَ﴾، مبتدأ، والإشارة إلىٰ إبراهيم ويعقوب وبنيهما، وأُنِّث لتأنيث خبره ﴿أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾: سلفت ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ من العمل، أي: جزاؤه، استئناف ﴿وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ كما لا يسألون عن عملكم، والجملة تأكيد لما قبلها.

وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةًۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾

١٣٥ ـ ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْۗ﴾ (أو) للتفصيل، وقائل الأول: يهود المدينة، والثاني: نصارىٰ نجران ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿بَلْ﴾ نتَّبع ﴿مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًاۖ﴾، حال من (إبراهيم)، مائلاً عن الأديان كلها إلىٰ الدين القيِّم ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

١٣٦ ـ ﴿قُولُوٓاْ﴾، خطاب للمؤمنين: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ من القرآن ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ من الصحف العشر ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ﴾: أولاده ﴿وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ﴾ من التوراة ﴿وَعِيسَىٰ﴾ من الإنجيل ﴿وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ﴾ من الكتب والآيات ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ فنؤمن ببعض، ونكفر ببعض، كاليهود والنصارىٰ ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾

١٣٧ ـ ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ﴾ أي: اليهود والنصارىٰ ﴿بِمِثْلِ﴾ (مثل) زائدة ﴿مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ﴾ عن الإيمان به ﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍۖ﴾: خلاف معكم ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ﴾ يا محمد شقاقهم ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوالهم ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بأحوالهم، وقد كفاه إياهم بقتل قُرَيْظَةَ ونَفْيِ النَّضِيرِ وضربِ الجزية عليهم.

١٣٨ ـ ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِۖ﴾ مصدرٌ مؤكِّد لـ(آمنَّا) ونصبُه بفعل مقدر، أي: صَبَغَنا الله، والمُراد بها دينُه الذي فطر الناس عليه، لظهور أثره علىٰ صاحبه كالصبغ في الثوب ﴿وَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةًۖ﴾، تمييز ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾.

١٣٩ ـ قال اليهود للمسلمين: نحن أهل الكتاب الأول، وقِبْلَتُنا أقدمُ، ولم تكن الأنبياء من العرب، ولو كان محمد نبياً، لكان مِنّا، فنزل: ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أَتُحَآجُّونَنَا﴾: تُخاصموننا ﴿فِي ٱللَّهِ﴾ أن اصطفىٰ نبيّاً من العرب ﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ فله أن يصطفِيَ من عباده مَن يشاء ﴿وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا﴾ نُجازَىٰ بها ﴿وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ تُجازَوْن بها، فلا يبعد أن يكون في أعمالنا ما نستحقُّ به الإكرام ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ﴾ الدينَ والعملَ دونكم، فنحن أوْلىٰ بالاصطفاء، والهمزة للإنكار، والجمل الثلاث أحوال.

١٤٠ ـ ﴿أَمْ﴾: بل أ﴿تَقُولُونَ﴾: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰۗ قُلْ﴾ لهم: ﴿ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ﴾ أي: الله أعلم، وقد برَّأ منهما إبراهيمَ بقوله: (مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا)، والمذكورون معه تَبعٌ له ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ﴾: أخفىٰ الناس ﴿شَهَٰدَةً عِندَهُۥ﴾: كائنةً ﴿مِنَ ٱللَّهِۗ﴾؟ أي: لا أحدَ أظلمُ منه، وهم اليهود، كتموا شهادة الله في التوراة لإبراهيم بالحنيفية ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ تهديد لهم.

١٤١ ـ ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ تقدَّم مثله.

﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾

١٤٢ ـ ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾: الجهال ﴿مِنَ ٱلنَّاسِ﴾: اليهود والمشركين: ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ﴾: أيُّ شيءٍ صرفَ النبي ﷺ والمؤمنين ﴿عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَاۚ﴾: علىٰ استقبالها في الصلاة، وهي بيتُ المقدس، والإتيان بالسين الدالة علىٰ الاستقبال من الإخبار بالغيب ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ﴾ أي: الجهات كلُّها، فيأمر بالتوجُّه إلىٰ أيِّ جهة شاء، لا اعتراض عليه ﴿يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ هدايته ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ﴾ طريق: ﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾: دين الإسلام، أي: ومنهم أنتم.

١٤٣ ـ دلَّ علىٰ هذا ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما هديناكم إليه ﴿جَعَلْنَٰكُمْ﴾ يا أمة محمد ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾: خياراً عُدولاً ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ يوم القيامة أنَّ رسلهم بلَّغتهم ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ﴾ أنه بلَّغكم ﴿وَمَا جَعَلْنَا﴾: صيَّرنا ﴿ٱلْقِبْلَةَ﴾ لك الآن، الجهة ﴿ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ﴾ أولاً: وهي الكعبة، وكان ﷺ يُصلِّي إليها، فلما هاجر، أُمر باستقبال بيت المقدس تألُّفاً لليهود، فصلىٰ إليه ستة ـ أو سبعة ـ عشرَ شهراً، ثم حُوِّلَ ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ علمَ ظهور ﴿مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ﴾ فيُصدِّقُه ﴿مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِۚ﴾ أي: يرجع إلىٰ الكفر شكاً في الدين، وظناً أن النبي ﷺ في حيرة من أمره، وقد ارتدَّ لذلك جماعةٌ ﴿وَإِن﴾، مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف، أي: وإنها ﴿كَانَتْ﴾ أي: التَوْلِيَةُ إليها ﴿لَكَبِيرَةً﴾: شاقَّةً علىٰ الناس ﴿إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ﴾ منهم ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ﴾ أي: صلاتكم إلىٰ بيت المقدس، بل يُثيبكُم عليه، لأن سبب نزولها السؤالُ عمّن مات قبل التحويل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ﴾ المؤمنين ﴿لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ في عدم إضاعة أعمالهم، والرأفةُ شدَّةُ الرحمة، وقُدِّم الأبلغ للفاصلة.

١٤٤ ـ ﴿قَدْ﴾، للتحقيق ﴿نَرَىٰ تَقَلُّبَ﴾: تصرُّف ﴿وَجْهِكَ فِي﴾ جهة ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾ مُتطلِّعاً إلىٰ الوحي ومتشوِّقاً للأمر باستقبال الكعبة، وكان يودُّ ذلك، لأنها قبلة إبراهيم، ولأنه أدعىٰ إلىٰ إسلام العرب ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ﴾: نُحوِّلنَّك ﴿قِبْلَةً تَرْضَىٰهَاۚ﴾: تُحبُّها ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ﴾: استقْبِلْ في الصلاة ﴿شَطْرَ﴾: نحو ﴿ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ﴾ أي: الكعبة ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ﴾ خطابٌ للأمة ﴿فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ﴾ في الصلاة ﴿شَطْرَهُۥۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾ أي: التولِّي إلىٰ الكعبة ﴿ٱلْحَقُّ﴾: الثابت ﴿مِن رَّبِّهِمْۗ﴾ لما في كتبهم من نَعْتِ النبي ﷺ من أنه يتحوَّل إليها ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾، أي: اليهود من إنكار أمر القبلة.

١٤٥ ـ ﴿وَلَئِنْ﴾، لام القسم ﴿أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ﴾ علىٰ صدقك في أمر القبلة ﴿مَّا تَبِعُواْ﴾ أي: لا يتبعون ﴿قِبْلَتَكَۚ﴾ عناداً ﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْۚ﴾: قَطْعٌ لطمعه في إسلامهم، وطمعِهم في عَوْدِهِ إليها ﴿وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍۚ﴾ أي: اليهود قبلةَ النصارىٰ، وبالعكس ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾ التي يدعونك إليها ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾: الوحي ﴿إِنَّكَ إِذًا﴾: إن اتَّبعْتَهم فَرضاً ﴿لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ
فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن
رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ
فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ
وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا
ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ
شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ
شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟
مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ
تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ
يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ
وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذْكُرُونِىٓ
أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾

١٤٦ ـ ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ﴾ أي: محمداً ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ بنعته في كتبهم، قال ابن سلام: لقد عرفتُه حين رأيته كما أعرف ابني، ومعرفتي لمحمد أشدُّ ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ﴾: نعته ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ هذا الذي أنت عليه.

١٤٧ ـ ﴿ٱلْحَقُّ﴾ كائنٌ ﴿مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾: الشاكّين فيه، أي: من هذا النوع، فهو أبلغ من: لا تَمْتَرِ.

١٤٨ ـ ﴿وَلِكُلٍّ﴾ من الأمم ﴿وِجْهَةٌ﴾: قِبلةٌ ﴿هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ وجْهَهُ في صلاته، ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾: بادِروا إلىٰ الطاعات وقبولِها ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾: يجمعكم يوم القيامة فيُجازيكم بأعمالكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

١٤٩ ـ ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾ لسفر ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾، تقدم مثله، وكرره لبيان تساوي حكم السفر وغيره.

١٥٠ ـ ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾، كرّره للتأكيد ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ﴾: اليهود أو المشركين ﴿عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ أي: مُجادَلةٌ في التولّي إلىٰ غيره، لتنتفي مُجادَلتُهم لكم من قول اليهود: يَجْحَدُ ديننا ويتَّبعُ قِبْلَتَنا، وقول المشركين: يَدَّعِي مِلَّة إبراهيم ويُخالفُ قِبْلَتَهُ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾ بالعناد، فإنهم يقولون: ما تحوَّل إليها إلّا ميلاً إلىٰ دين آبائه، والاستثناء متَّصل، والمعنىٰ: لا يكون لأحد عليكم كلام إلّا كلام هؤلاء ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾: تخافوا جدالهم في التولّي إليها ﴿وَٱخْشَوْنِى﴾ بامتثال أمري ﴿وَلِأُتِمَّ﴾، عطف علىٰ (لئلا يكون) ﴿نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ﴾ بالهداية إلىٰ معالم دينكم ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إلىٰ الحقِّ.

١٥١ ـ ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا﴾، متعلِّق بـ(أُتمّ) أي: إتماماً كإتمامها بإرسالنا ﴿فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ﴾: محمداً ﷺ ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا﴾: القرآن ﴿وَيُزَكِّيكُمْ﴾: يُطَهِّرُكم من الشِّرك ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾: القرآن ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾: ما فيه من الأحكام أو السنة ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ﴾.

١٥٢ ـ ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ﴾ بالصلاة والتسبيح ونحوه ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ قيل: معناه أُجازيكم، وفي الحديث عن الله: «مَن ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي، ومَن ذكرني في مَلإٍ، ذكرتُهُ في مَلإٍ خَيْرٍ من مَلَئِهِ» رواه البخاري (٧٤٠٥) ومسلم (٢٦٧٥). ﴿وَٱشْكُرُوا۟ لِى﴾ نعمتي بالطاعة ﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ بالمعصية.

١٥٣ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟﴾ في كل ما تأتون وما تذرون في حياتكم ﴿بِٱلصَّبْرِ﴾ علىٰ الطاعة والبلاء ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ خصَّها بالذكر لتكررها وعِظَمها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ بالعون.

وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ۞ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ۙ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾

ربع الحزب ٣

١٥٤ ـ ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: هم ﴿أَمْوَاتٌ بَلْ﴾ هم ﴿أَحْيَاءٌ﴾ أرواحهم في حواصل طيور خضر تَسْرَحُ في الجنَّة حيث شاءت، لحديث بذلك رواه مسلم (١٨٨٧). ﴿وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾: تعلمون ما هم فيه. ١٥٥ ـ ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ﴾ للعدوِّ ﴿وَالْجُوعِ﴾: القحط ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ﴾ بالهلاك ﴿وَالْأَنفُسِ﴾ بالقتل والموت والأمراض ﴿وَالثَّمَرَاتِ﴾ بالجوائح، أي: لنختبرنكم فننظر أتصبرون أم لا؟ ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ على البلاء بالجنَّة. ١٥٦ ـ هم ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ﴾: بلاءٌ ﴿قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ﴾ مُلكاً وعبيداً يفعل بنا ما يشاء ﴿وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ في الآخرة، فيُجازينا، جاء في الحديث: من استرجَعَ عند المصيبة، أجَرَهُ الله فيها، وأَخلَفَ عليه خيراً. الحديث رواه مسلم في «صحيحه» (٩١٨) بلفظ: «ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها؛ إلا أجره الله وأخلف له خيراً منها». وفيه: أنَّ مصباحَ النبي ﷺ طَفِئَ فاسترجع، فقالت عائشة: إنما هذا مصباح، فقال: «كلُّ ما ساءَ المؤمنَ فهو مُصيبةٌ» رواه أبو داود في «مراسيله» (٤١٢).

١٥٧ ـ ﴿أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ﴾: مغفرة ﴿مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾: نعمة ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ إلى الصواب. ١٥٨ ـ ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ﴾: جبلان بمكة ﴿مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾: أعلام دينه، جمع شعيرة ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ﴾ أي: تلبَّس بالحجِّ أو العمرة، وأصلُهما القصدُ والزيارة ﴿فَلَا جُنَاحَ﴾: إثمَ ﴿عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ﴾، فيه إدغام التاء في الأصل في الطاء ﴿بِهِمَا﴾ بأن يسعىٰ بينهما سبعاً، نزلت لما كره المسلمون ذلك لأن أهل الجاهلية كانوا يطوفون بهما وعليهما صنمان يمسحونهما، وقال الشافعي وغيره: إن السعي ركنٌ، وبيَّن ﷺ فرضيته بقوله: «إن الله كتبَ عليكم السعي» رواه البيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٥/٩٨) وغيره، وقال: «ابدؤوا بما بَدَأَ الله به» يعني: الصفا، رواه مسلم (١٢١٨). ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ أي: بخير، أي عمل ما لم يجب عليه من طواف وغيره ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ﴾ لعمله بالإثابة عليه ﴿عَلِيمٌ﴾ به. ١٥٩ ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾ الناس ﴿مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ﴾ كآية الرجم ونعتِ محمد ﷺ ﴿مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ﴾: التوراة ﴿أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ﴾: يُبعِدُهم من رحمته ﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾: الملائكة والمؤمنون، أو كلُّ شيء، بالدعاء عليهم باللعنة. وهذه الآية يدخل في مضمونها اليهود الذين كتموا ما أنزل الله في التوراة من نعت محمد ﷺ وغيره، وهي عامَّةٌ في كلِّ من كتم شيئاً من أحكام الدين، لعموم الحكم للكل. وقد جاء في الحديث: «من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار» رواه أبو داود (٣٦٥٨)، والترمذي وحسّنه (٢٦٤٩)، وابن ماجه (٢٦٦)، وفي رواية: «من كتم علماً...» رواه ابن حبان والحاكم. ١٦٠ ـ ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾: رجعوا عن ذلك ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ عملهم ﴿وَبَيَّنُوا﴾ ما كتموا ﴿فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾: أقبَلُ توبتهم ﴿وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ بالمؤمنين. ١٦١ ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾، حال ﴿أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ أي: هم مُستحقُّون ذلك في الدنيا والآخرة، و(الناس) قيل: عامٌّ، وقيل: المؤمنون. ١٦٢ ـ ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أي: اللعنة، أو النار المدلولِ بها عليها ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ﴾ طَرْفَةَ عينٍ ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾: يُمهلون لتوبة أو معذرة. ١٦٣ ـ ﴿وَإِلَٰهُكُمْ﴾ المستحقُّ للعبادة منكم ﴿إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ لا نظير له في ذاته ولا في صفاته ﴿لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ هو ﴿الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾.

إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا وَرَأَوُا ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾

١٦٤ ـ ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وما فيهما من العجائب ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ بالذهاب والمجيء، والزيادة والنقصان ﴿وَٱلْفُلْكِ﴾: السفن ﴿ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ﴾ ولا ترسُبُ مُوْقَرة ﴿بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ من التجارات والحمل ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ﴾ مطر ﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ بالنبات ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يبسها ﴿وَبَثَّ﴾: فرّق ونَشَر به ﴿فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ لأنهم ينمون بالخصب الكائن عنه ﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾: تقليبها جنوباً وشمالاً، حارّةً وباردةً ﴿وَٱلسَّحَابِ﴾: الغيم ﴿ٱلْمُسَخَّرِ﴾: المُذلَّل بأمر الله تعالىٰ، يسير إلىٰ حيث شاء الله ﴿بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ﴾: دلالاتٍ علىٰ وحدانيته تعالىٰ ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: يتدبَّرون.

١٦٥ ـ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿أَندَادًا﴾: أصناماً ﴿يُحِبُّونَهُمْ﴾ بالتعظيم والخضوع ﴿كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ أي: كحبهم له ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ من حبِّهم للأنداد، لأنهم لا يَعدِلونَ عنه بحالٍ ما، والكفارُ يعدِلون في الشدَّة إلىٰ الله ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا﴾ باتّخاذ الأنداد ﴿إِذْ يَرَوْنَ﴾، بالبناء للفاعل: يُبصرون ﴿ٱلْعَذَابَ﴾، و(إذ) بمعنىٰ (إذا) ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ﴾: القدرة والغلبة ﴿لِلَّهِ جَمِيعًا﴾، حال ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾ فهي بمعنىٰ يعلم، و(أنَّ) وما بعدها سدَّت مسدَّ المفعولين، وجواب (لو) محذوف، والمعنىٰ لو علموا في الدنيا شدَّةَ عذاب الله وأنَّ القدرة لله وحدهُ وقت معاينتهم له وهو يوم القيامة، لما اتَّخذوا من دونه أنداداً.

١٦٦ ـ ﴿إِذْ﴾، بدل من (إذ) قبله ﴿تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا﴾ أي: الرؤساء ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا﴾ أي: أنكروا إضلالهم ﴿وَ﴾ قد ﴿رَأَوُا ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ﴾، عطف علىٰ تبرأ ﴿بِهِمُ﴾ عنهم ﴿ٱلْأَسْبَابُ﴾ التي كانت بينهم في الدنيا من الأرحام والمودَّة.

١٦٧ ـ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾: رَجْعةً إلىٰ الدنيا ﴿فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ﴾ أي: المتبوعين ﴿كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا﴾، اليوم و(لو) للتمني، و(نتبرأ) جوابه ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: كما أراهم شدَّةَ عذابه، وتبرؤ بعضهم من بعض ﴿يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ السيِّئة ﴿حَسَرَٰتٍ﴾، حال: نداماتٍ ﴿عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ بعد دخولها.

١٦٨ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا﴾، حال ﴿طَيِّبًا﴾، صفة مؤكدة، أي: مُستلذّاً، وجاء في «صحيح مسلم» (٢٨٦٥) أنه ﷺ قال: «إنّ ربي أمرني أن أعلمكم. . . كل مال نحلته عبداً حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنّهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرّمت عليهم ما أحللت لهم. .» ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَٰتِ﴾ طُرُق ﴿ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ أي: تزيينه ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾: بيِّن العداوة.

١٦٩ ـ ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ﴾: الإثم ﴿وَٱلْفَحْشَآءِ﴾: القبيح شرعاً ﴿وَأَن تَقُولُوا عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من تحريم ما لم يُحرَم وغيره.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ
ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا
يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ
بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ
﴿١٧١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ
وَٱشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ
عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ
لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ
ٱلْكِتَـٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُولَـٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ
فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ
وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُولَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ
ٱشْتَرَوُا ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ
أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ
بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا فِى ٱلْكِتَـٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾

١٧٠ ـ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ أي: الكفار: ﴿ٱتَّبِعُوا مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ من التوحيد وتحليل الطيّبات ﴿قَالُوا﴾: لا ﴿بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا﴾: وجدنا ﴿عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ من عبادة الأصنام وتحريم السوائب والبحائر، قال تعالىٰ: ﴿أ﴾يتبعونهم ﴿وَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا﴾ من أمر الدِّين ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ إلىٰ الحق؟ والهمزةُ للإنكار. ١٧١ ـ ﴿وَمَثَلُ﴾: صفة ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ومَنْ يدعوهم إلىٰ الهدىٰ ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ﴾: يُصوِّتُ ﴿بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً﴾ أي: صوتاً، ولا يُفهم معناه، أي: هم في سماع الموعظة وعدم تدبُّرها كالبهائم، تسمع صوت راعيها ولا تفهمه، هم ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ الموعظة. وفي الآية صورة بيانية رائعة، وتوضيحها كما يأتي: أي: مثل الذين كفروا في دعوة الداعي إياهم إلىٰ الحقّ والهدىٰ وإعراضهم عنه كمثل بهائم الراعي الذي ينعق علىٰ غنمه، والغنم لا تسمع إلّا مجرّد الصوت، ولا تفقه ماذا يعني، بل إنّ الكفّار أضلّ من هذه البهائم؛ لأنّ البهائم ترىٰ وتسمع وتصيح، وهم صمٌّ بكم عمي. والباء في الآية بمعنىٰ (علىٰ). ولا يقال: نعق إلا لراعي الغنم وحدها. ١٧٢ ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَـٰتِ﴾: حلالات ﴿مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَٱشْكُرُوا لِلَّهِ﴾ علىٰ ما أحَلَّ لكم ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾. ١٧٣ ـ ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ﴾ أي: أكلَها، إذ الكلامُ فيه، وكذا ما بعدها، وهي ما لم يُذكَّ شرعاً، وأُلحق بها بالسُّنَّة ما أُبينَ من حيٍّ، وخصَّ منها السمك والجراد ﴿وَٱلدَّمَ﴾ أي: المسفوح كما في (الأنعام) ﴿وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ﴾ خصَّ اللحم لأنه معظم المقصود، وغيره تَبَعٌ له ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ أي: ذُبح علىٰ اسم غيره، والإهلال: رفعُ الصوت، وكانوا يرفعونه عند الذبح لآلهتهم ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾ أي: ألجأتْهُ الضرورةُ إلىٰ أكل شيء مما ذُكِرَ فأكله ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾: خارج علىٰ المسلمين ﴿وَلَا عَادٍ﴾: مُتَعَدٍّ عليهم بقطع الطريق ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ في أكله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لأوليائه ﴿رَّحِيمٌ﴾ بأهل طاعته، حيث وسَّع لهم في ذلك، وخرج الباغي والعادي، ويُلحَقُ بهما كلُّ عاصٍ بسفره كالآبق والمَكَّاس، فلا يحلُّ لهم أكل شيءٍ من ذلك ما لم يتوبوا، وعليه الشافعي. ١٧٤ ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ من الدنيا، يأخذونه بَدَلَهُ من سِفْلَتهم، فلا يُظهرونه خوفَ فوته عليهم ﴿أُولَـٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ﴾ لأنها مآلُهم ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ غضباً عليهم ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾: يُطَهِّرُهم من دنس الذنوب ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مؤلم هو النار. ١٧٥ ـ ﴿أُولَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾: أخذوها بدله في الدنيا ﴿وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ﴾ المُعدَّة لهم في الآخرة لو لم يكتموا ﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ أي: ما أشدَّ صبرهم؟ وهو تعجيب للمؤمنين من ارتكابهم موجباتها من غير مبالاة، وإلّا، فأيُّ صبرٍ لهم؟. ١٧٦ ـ ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي ذُكِرَ من أكلهم النار وما بعده ﴿بِأَنَّ﴾: بسبب أن ﴿ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾، متعلِّق بـ(نزّل) فاختلفوا فيه، حيث آمنوا ببعضه وكفروا ببعضه بكَتْمِهِ ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا فِى ٱلْكِتَـٰبِ﴾بذلك، وهم اليهود، وقيل: المشركون، في القرآن حيثُ قال بعضهم: شعر، وبعضهم: سحر. وبعضهم: كَهَانة ﴿لَفِى شِقَاقٍۭ﴾: خلاف ﴿بَعِيدٍ﴾ عن الحق.

﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۖ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى ۖ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾

نصف الحزب ٣

١٧٧ ـ لـمّا أمر الله المؤمنين أولاً بالتوجه إلىٰ بيت المقدس، ثمّ حوّلهم إلىٰ الكعبة شقّ ذلك علىٰ نفوس طائفة من أهل الكتاب وبعض المسلمين، فأنزل الله تعالىٰ بيان حكمته في ذلك وهو: أن المراد إنّما هو طاعة الله ﷻ وامتثال أمره، والتوجّه حيثما وُجّه، واتّباع ما شرع، فهذا هو البرّ والتقوىٰ والإيمان الكامل، وليس في لزوم التوجّه إلىٰ جهة من المشرق إلىٰ المغرب برٌّ ولا طاعةٌ إن لم يكن عن أمر الله وشرعه قال تعالىٰ: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ﴾ في الصلاة ﴿قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ نزل ردّاً علىٰ اليهود والنصارىٰ حيث زعموا ذلك ﴿وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ﴾ أي: ذا البر ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ﴾ أي: الكتب ﴿وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ﴾: مع ﴿حُبِّهِ﴾ له أي: آتىٰ المال حالة محبته إياه ﴿ذَوِي الْقُرْبَىٰ﴾ أي: أقرباءه الفقراء ﴿وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾: المسافر ﴿وَالسَّائِلِينَ﴾: الطالبين ﴿وَفِي﴾ فكِّ ﴿الرِّقَابِ﴾ المكاتبين والأسرىٰ ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ﴾ المفروضة، وما قبله في التطوع ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾ الله، أو الناس إذا وعدوا أنجزوا، وإذا نذروا وفوا، وإذا حلفوا برّوا في أيمانهم، وإذا ائتمنوا أدّوا الأمانة ﴿وَالصَّابِرِينَ﴾، نصب علىٰ المدح ذلك أنّ من أساليب العرب أن ينبهوا علىٰ أهمية الأمر بأن يخالفوا في إعرابه، وفي ذلك تنبيه علىٰ فضيلة الصبر ﴿فِي الْبَأْسَاءِ﴾: شدّة الفقر ﴿وَالضَّرَّاءِ﴾: المرض ﴿وَحِينَ الْبَأْسِ﴾: وقتَ شدَّة القتال في سبيل الله ﴿أُولَٰئِكَ﴾ الموصوفون بما ذكر ﴿الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ في إيمانهم، أو ادّعاء البرِّ ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ الله. ١٧٨ ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ﴾: فُرض ﴿عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ﴾: المماثلة ﴿فِي الْقَتْلَى﴾ وصفاً وفعلاً ﴿الْحُرُّ﴾ يُقتَلُ ﴿بِالْحُرِّ﴾ ولا يُقتل بالعبد ﴿وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ﴾ وبيّنت السُّنَّةُ أن الذَّكر يُقتل بها، وأنه تعتبر المماثلة في الدين، فلا يُقتل مسلم ولو عبداً بكافر ولو حرّاً ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ﴾ من القاتلين ﴿مِنْ﴾ دم ﴿أَخِيهِ﴾ المقتولِ ﴿شَيْءٌ﴾ بأن تُرك القصاصُ منه، وتنكيرُ (شيء) يفيد سقوط القصاص بالعفو عن بعضه ومن بعض الورثة، وفي ذكر (أخيه) تعطُّفٌ داعٍ إلىٰ العفو، وإيذانٌ بأن القتل لا يقطع أُخوّة الإيمان، و(مَنْ) مبتدأ، شرطية، أو موصولة، والخبر: ﴿فَاتِّبَاعٌ﴾ أي: فعلىٰ العافي اتِّباعٌ للقاتل ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بأن يطالبه بالدِّيَة بلا عنف، وترتيب الاتِّباع علىٰ العفو يُفيد أن الواجب أحدُهما، أي إما القصاص أو الدية، وهو أحد قولي الشافعي، والثاني: الواجب القصاص، والديةُ بدل عنه، فلو عفا ولم يُسمِّها فلا شيء، ورُجِّح ﴿وَ﴾ علىٰ القاتل ﴿أَدَاءٌ﴾ للدية ﴿إِلَيْهِ﴾ أي: العافي وهو الوارث ﴿بِإِحْسَانٍ﴾ بلا مَطْلٍ ولا بَخْسٍ ﴿ذَٰلِكَ﴾ الحكم المذكور من جواز القصاص والعفو عنه علىٰ الدية ﴿تَخْفِيفٌ﴾: تسهيلٌ ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ عليكم ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ بكم، حيث وسَّع في ذلك ولم يَحتِمْ واحداً منهما، كما حَتَم علىٰ اليهود القصاص وعلىٰ النصارىٰ الدية ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ﴾: ظلمَ القاتلَ بأن قتله ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ أي: العفو ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مؤلم في الآخرة بالنار، أو في الدنيا بالقتل. ١٧٩ ـ ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ أي: بقاء عظيم ﴿يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾: ذوي العقول، لأن القاتل إذا علم أنه يُقتل، ارتدع، فأحيا نفسه ومن أراد قتله، فشُرعَ ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ القتلَ مخافة القَوَد. ١٨٠ ـ ﴿كُتِبَ﴾: فُرضَ ﴿عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ أي: أسبابُه ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾: مالاً ﴿الْوَصِيَّةُ﴾، مرفوع بـ(كُتِبَ) ومتعلّقُ (إذا) إن كانت ظرفية، ودالٌّ علىٰ جوابها إن كانت شرطية، وجواب (إنْ)، أي: فَلْيُوصِ ﴿لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ﴾: بالعدل بأن لا يزيد علىٰ الثلث، ولا يُفضِّل الغنيَّ ﴿حَقًّا﴾، مصدر مؤكِّد لمضمون الجملة قبله ﴿عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ الله، وهذا منسوخٌ بآية الميراثِ وبحديث: «لا وصية لوارث» رواه الترمذي (٢١٢٠ و٢١٢١). ١٨١ ـ ﴿فَمَن بَدَّلَهُ﴾ أي: الإيصاء من شاهد ووصيٍّ ﴿بَعْدَمَا سَمِعَهُ﴾: عَلِمَهُ ﴿فَإِنَّمَا إِثْمُهُ﴾ أي: الإيصاء المبدَّل ﴿عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ﴾، فيه إقامة الظاهر مقام المضمر ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لقول الموصي ﴿عَلِيمٌ﴾ بفعل الوصيّ، فمجازٍ عليه.

فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾

١٨٢ ـ ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا﴾: مَيْلاً عن الحقِّ خطأً ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ بأن تعمَّد ذلك بالزيادة علىٰ الثلث، أو تخصيص غنيٍّ مثلاً ﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾: بين الموصي والموصَىٰ له بالأمر بالعدل ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ في ذلك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. ١٨٣ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ﴾: فُرِضَ ﴿عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ من الأمم ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ المعاصي، فإنه يكسر الشهوة التي هي مبدؤها. ١٨٤ ـ ﴿أَيَّامًا﴾، نصب بالصيام، أو بـ (صوموا) مُقدَّراً ﴿مَّعْدُودَٰتٍ﴾ أي: قلائل، أو مؤقتات بعدد معلوم، وهي رمضان كما سيأتي، وقلَّله تسهيلاً علىٰ المكلَّفين ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم﴾ حين شهوده ﴿مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ أي: مسافراً سفَرَ القصر وأجهده الصومُ في الحالين فأفطر ﴿فَعِدَّةٌ﴾: فعليه عِدَّةُ ما أفطر ﴿مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ يصومُها بدلَه ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ﴾ لا ﴿يُطِيقُونَهُۥ﴾ لكِبَرٍ أو مَرَضٍ لا يُرجىٰ بُرؤه ﴿فِدْيَةٌ﴾ هي ﴿طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ أي: قدر ما يأكله في يومه، وهو مُدٌّ من غالب قوت البلد لكل يوم، وقيل: (لا) غيرُ مقدَّرة، وكانوا مُخيَّرين في صدر الإسلام بين الصوم والفدية، ثم نسخ بتعيين الصوم بقوله: (فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ)، قال ابن عباس: إلّا الحاملَ والمُرضعَ إذا أفطرتا خوفاً علىٰ الولد، فإنها باقية بلا نسخ في حقِّهما، أي: فهما مخيرتان بين الصوم وبين الفطر مع القضاء والفدية، هذا إذا أفطرتا للخوف علىٰ الولد وحده، أمّا إذا خافتا علىٰ أنفسهما فقط، أو علىٰ أنفسهما والولد فالواجب عليهما القضاء فقط. ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ بالزيادة علىٰ القدر المذكور في الفدية ﴿فَهُوَ﴾ أي: التطوُّع ﴿خَيْرٌ لَّهُۥ وَأَن تَصُومُوا۟﴾، مبتدأ خبره: ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من الإفطار والفدية ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه خير لكم، فافعلوه تلك الأيام. ١٨٥ ـ ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى﴾، حال، هادياً من الضلالة ﴿لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ﴾: آياتٍ واضحاتٍ ﴿مِّنَ ٱلْهُدَىٰ﴾ بما يهدي إلىٰ الحق من الأحكام ﴿وَ﴾ من ﴿ٱلْفُرْقَانِ﴾: مما يُفرِّق بين الحقِّ والباطل ﴿فَمَن شَهِدَ﴾: حضر ﴿مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾، تقدَّم مثله، وكُرِّرَ لئلا يُتَوهَّم نَسْخُه بتعميم (مَن شهد) ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ ولذا أباح لكم الفطر في المرض والسفر، ولكون ذلك في معنىٰ العلَّة أيضاً للأمر بالصوم عطف عليه: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ﴾ أي: عِدَّة صوم رمضان، أي: لتكملوها بتدارك ما فات منها بالقضاء من غير تقييد بتتابع أو تفريق أو مبادرة أو تراخ. ﴿وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ عند إكمالها ﴿عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾، أرشدكم لمعالم دينه ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الله علىٰ ذلك. ١٨٦ ـ وسأل جماعةٌ النبيَّ ﷺ: أقريبٌ ربُّنا فنُناجِيَهُ، أم بعيدٌ فنُناديَهُ؟ فنزل: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ منهم بعلمي، فأَخبِرْهم بذلك ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ بإنالته ما سأل ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى﴾ دعائي بالطاعة ﴿وَلْيُؤْمِنُوا۟﴾: يدوموا علىٰ الإيمان ﴿بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾: يهتدون.

أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْۖ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَٰجِدِۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِۖ قُلْ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾

١٨٧ ـ ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ﴾ بمعنىٰ الإفضاء ﴿إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ بالجماع، نزل نسخاً لِما كان في صدر الإسلام من تحريمه، وتحريم الأكل والشرب بعد العشاء ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾، كناية عن تعانقهما أو احتياج كلٍّ منهما إلىٰ صاحبه ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ﴾: تخونون ﴿أَنفُسَكُمْ﴾ بالجماع ليلةَ الصيام، وقع ذلك لعمر وغيره، واعتذروا إلىٰ النبي ﷺ ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾: قَبِلَ توبتكم ﴿وَعَفَا عَنكُمْ فَٱلْـَٰٔنَ﴾ إذْ أُحِلَّ لكم ﴿بَٰشِرُوهُنَّ﴾: جامعوهن ﴿وَٱبْتَغُواْ﴾: اطلبوا ﴿مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ أي: أباحه من الجماع، أو قدَّره من الولد ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ﴾ الليل كلَّه ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ﴾: يظهر ﴿لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ أي: الصادق، بيانٌ للخيط الأبيض، وبيانُ الأسود محذوف، أي: من الليل، شُبِّهَ ما يبدو من البياض وما يمتدُّ معه من الغبش بخيطين أبيض وأسود في الامتداد ﴿ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ﴾ من الفجر ﴿إِلَى ٱلَّيْلِ﴾ أي: إلىٰ دخوله بغروب الشمس ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ﴾ أي: نساءكم ﴿وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ﴾: مقيمون بنِيَّة الاعتكاف ﴿فِي ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ متعلِّق بـ (عاكفون)، نَهْيٌ لمن كان يخرج وهو معتكف، فيُجامع امرأته ويعود ﴿تِلْكَ﴾ الأحكام المذكورة ﴿حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ حَدَّها لعباده ليقفوا عندها ﴿فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ أبْلَغُ من: (لا تعتدوها) المُعبَّر به في آية أخرىٰ ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما بيَّن لكم ما ذُكِرَ ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ محارمَه. ١٨٨ ـ ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم﴾ أي: لا يأكلْ بعضُكم مالَ بعض ﴿بِٱلْبَٰطِلِ﴾: الحرام شرعاً، كالسَّرقة والغَصْب ﴿وَ﴾ لا ﴿تُدْلُواْ﴾: تُلْقوا ﴿بِهَآ﴾ أي: بحكومتها، أو بالأموال رشوة ﴿إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ﴾ بالتَّحاكُم ﴿فَرِيقًا﴾: طائفةً ﴿مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ﴾ مُتلبِّسين ﴿بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنكم مُبطلون. ١٨٩ ـ ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ يا محمد ﴿عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾، جمع هلال: لِمَ تَبدو دقيقةً، ثم تزيدُ حتىٰ تمتلئ نوراً، ثم تعود كما بَدَتْ، ولا تكونُ علىٰ حالة واحدة كالشمس؟ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿هِيَ مَوَٰقِيتُ﴾، جمع ميقات ﴿لِلنَّاسِ﴾ يعلمون بها أوقاتَ زرعهم ومتاجرهم وعِدَدَ نسائهم وصيامهم وإفطارهم ﴿وَٱلْحَجِّ﴾، عطف علىٰ (الناس) أي: يُعْلَمُ بها وقتُه، فلو استمرَّت علىٰ حالة، لم يُعرف ذلك ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾ في الإحرام، بأن تَنْقُبُوا فيها نَقْباً تدخلون منه وتخرجون، وتتركوا الباب، وكانوا يفعلون ذلك، ويزعُمونه برّاً ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ﴾ أي: ذا البر ﴿مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ اللهَ بترك مخالفته ﴿وَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾ في الإحرام كغيره ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: تفوزون. ١٩٠ ـ ولما صُدَّ ﷺ عن البيت عام الحديبية، وصالحَ الكفار علىٰ أن يعود العام القابل ويُخْلُوا له مكَّة ثلاثةَ أيام، وتجهَّزَ لعمرة القضاء، وخافوا أن لا تَفِيَ قريشٌ ويقاتلوهم، وكره المسلمون قتالَهم في الحَرَم والإحرام والشهر الحرام، نزل: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: لإعلاء دينه ﴿ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾ من الكفار ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ﴾ عليهم بالابتداء بالقتال. قوله تعالىٰ: (الَّذينَ يُقاتِلونَكُم) تهييج وإغراء بالأعداء الذين همتهم قتال المسلمين والعدوان علىٰ دينهم، أي: كما يقاتلونكم فاقتلوهم أنتم. وقوله تعالىٰ: (وَلَا تَعْتَدُوٓاْ) أي: لا تعتدوا في ذلك ويدخل فيه ارتكاب المناهي من المثلة والغلول وقتل النساء والصبيان والشيوخ الذين لا رأي لهم ولا قتال منهم والرهبان وأصحاب الصوامع وتحريق الأشجار وغير ذلك. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾: المتجاوزين ما حدَّ لهم، وهذا منسوخ بآية براءة أو بقوله:

وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ
أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ
فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ انتَهَوْا
فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ
الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾ الشَّهْرُ الْحَرَامُ
بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا
عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ
الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ
وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ
فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ
الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ
مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ
فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ
إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي
الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾

١٩١ ـ ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ وجدتموهم ﴿وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ﴾: الشِّرك منهم ﴿أَشَدُّ﴾: أعظم ﴿مِنَ الْقَتْلِ﴾ لهم في الحَرَم، أو الإحرام الذي استعظمْتموه ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي: في الحَرَم ﴿حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ﴾ فيه ﴿فَاقْتُلُوهُمْ﴾ فيه ﴿كَذَٰلِكَ﴾ القتل والإخراج ﴿جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾. ١٩٢ ـ ﴿فَإِنِ انتَهَوْا﴾ عن الكفر وأسلموا ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم. ١٩٣ ـ ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ﴾: توجد ﴿فِتْنَةٌ﴾: شِرْك ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ﴾: العبادة ﴿لِلَّهِ﴾ وحده لا يُعْبَدُ سواه ﴿فَإِنِ انتَهَوْا﴾ عن الشِّرك، فلا تعتدوا عليهم، دلَّ على هذا ﴿فَلَا عُدْوَانَ﴾: اعتداءَ بقتلٍ، أو غيره ﴿إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ ومن انتهىٰ فليس بظالم، فلا عدوان عليه. ١٩٤ ـ ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ﴾: المحرَّم مقابلٌ ﴿بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ فكما قاتلوكم فيه، فاقتلوهم في مثله، رَدٌّ لاستعظام المسلمين ذلك ﴿وَالْحُرُمَاتُ﴾ جمع حُرْمَةٍ: ما يجب احترامُه ﴿قِصَاصٌ﴾ أي: يُقْتَصُّ بمثلها إذا انتهكت ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ بالقتال في الحَرَم، أو الإحرام، أو الشهر الحرام ﴿فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ سمَّىٰ مقابلته اعتداءً لشِبْهها بالمقابل به في الصورة ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في الانتصار وترك الاعتداء ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ بالعَون والنَّصر. ١٩٥ ـ ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾: طاعتِه، الجهادِ وغيره ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ﴾ أي: أنفسكم، والباء زائدة ﴿إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾: الهلاك بالإمساك عن النَّفقة في الجهاد، أو تركه، لأنه يُقَوِّي العدوَّ عليكم ﴿وَأَحْسِنُوا﴾ بالنفقة وغيرها ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: يحبهم فيُثيبهم. ١٩٦ ـ ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾: أدُّوهما بحقوقهما ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾: مُنعتم عن إتمامهما بعدوٍّ ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ﴾: تيسَّر ﴿مِنَ الْهَدْيِ﴾ عليكم، وهو شاة ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ﴾ أي: لا تتحللوا ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ﴾ المذكور ﴿مَحِلَّهُ﴾: حيث يَحِلُّ ذبحُه، وهو مكان الإحصار عند الشافعي، فيُذْبَحُ فيه بِنيَّة التَّحلُّل، ويُفرَّق علىٰ مساكينه، ويَحلِقُ، وبه يحصل التحلّل ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ﴾ كقمل وصُداع، فحَلَقَ في الإحرام ﴿فَفِدْيَةٌ﴾ عليه ﴿مِّن صِيَامٍ﴾ ثلاثة أيام ﴿أَوْ صَدَقَةٍ﴾ بثلاثة آصُع من غالب قُوتِ البلد. علىٰ ستة مساكين ﴿أَوْ نُسُكٍ﴾ أي: ذبح شاة، و(أو) للتخيير، وأُلحِق به مَنْ حلق لغير عذر، لأنه أَوْلىٰ بالكفارة، وكذا من استمتع بغير الحَلْق، كالطِّيب واللبس والدهن لعذر، أو غيره ﴿فَإِذَا أَمِنتُمْ﴾ العدوَّ، بأن ذهب، أو لم يكن ﴿فَمَن تَمَتَّعَ﴾: استمتع ﴿بِالْعُمْرَةِ﴾ أي: بسبب فراغه منها بمحظورات الإحرام ﴿إِلَى الْحَجِّ﴾ أي: إلىٰ الإحرام به، بأن يكون أحرم بها في أشهره ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ﴾: تيسَّر ﴿مِنَ الْهَدْيِ﴾ عليه، وهو شاة يذبحها بعد الإحرام به، والأفضل يوم النَّحر ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ الهَدْي، لِفَقْدِهِ أو فَقْدِ ثمنه ﴿فَصِيَامُ﴾ أي: فعليه صيام ﴿ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ﴾ أي: في حال الإحرام به، فيجب حينئذٍ أن يُحْرِمَ قبل السابع من ذي الحِجة، والأفضل قبل السادس، لكراهة صوم يوم عرفة، ولا يجوز صومُها أيامَ التشريق علىٰ أصحِّ قولي الشافعي ﴿وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ إلىٰ وطنكم، وقيل: إذا فرغتم من أعمال الحج، وفيه التفاتٌ عن الغَيْبة ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾، جملة تأكيد لما قبلها ﴿ذَٰلِكَ﴾ الحُكمُ المذكور من وجوب الهَدْي، أو الصيام علىٰ مَن تمتَّع ﴿لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ بأن لم يكونوا علىٰ دون مرحلتَيْن من الحرم عند الشافعي، فإن كان، فلا دمَ عليه، ولا صيام، وإن تمتع، وفي ذكر الأهل إشعارٌ باشتراط الاستيطان، فلو أقام قبل أشهر الحج، ولم يستوطن وتمتَّع، فعليه ذلك، وهو أحدُ وجهين عند الشافعي، والثاني: لا، والأهل كنايةٌ عن النَّفس، وأُلحِق بالمُتمتع فيما ذُكِر بالسُّنَّة القارنُ، وهو من أحرم بالعمرة والحجِّ معاً، أو يُدخل الحج عليها قبل الطواف ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فيما يأمركم به، وينهاكم عنه ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لمن خالفه.

ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾

١٩٧ ـ ﴿ٱلْحَجُّ﴾: وقته ﴿أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾: شَوَّال وذو القَعْدَة، وعشر ليالٍ من ذي الحِجَّة، وقيل: كله ﴿فَمَن فَرَضَ﴾ علىٰ نفسه ﴿فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ﴾ بالإحرام به ﴿فَلَا رَفَثَ﴾: جِماعَ فيه ﴿وَلَا فُسُوقَ﴾: مَعاصٍ ﴿وَلَا جِدَالَ﴾: خصام ﴿فِى ٱلْحَجِّ﴾، والمُراد في الثلاثة النهي ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ﴾ كصدقة ﴿يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾ فيجازيكم به. ونزل في أهل اليمن وكانوا يحجُّون بلا زاد، فيكونون كَلّاً علىٰ الناس: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟﴾ ما يُبَلِّغكم لسفركم ﴿فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾: ما يُتَّقىٰ به سؤالُ الناس وغيرُه ﴿وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: ذوي العقول.

١٩٨ ـ ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ في ﴿أَن تَبْتَغُوا۟﴾: تطلُبوا ﴿فَضْلًا﴾: رزقاً ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ بالتجارة في الحج، نزل ردّاً لكراهتهم ذلك ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم﴾: دَفَعتُمْ ﴿مِّنْ عَرَفَٰتٍ﴾ بعد الوقوف بها ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ بعد المبيت بمزدلفة، بالتلبية والتهليل والدعاء ﴿عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ﴾: هو جبل في آخر المزدلفة يقال له: قُزَح، وفي الحديث أنه ﷺ وقفَ به يذكرُ الله ويدعو حتىٰ أسفر جدّاً، رواه مسلم (١٢١٨). ﴿وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ﴾ لمعالم دينه ومناسكِ حَجِّه، والكافُ للتعليل ﴿وَإِن﴾، مخففة ﴿كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ﴾: قبلَ هُداه ﴿لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾.

١٩٩ ـ ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ أي: من عرفة، بأن تقفوا بها معهم، وكان القرشيون يقفون بالمزدلفة ترفُّعاً عن الوقوف معهم، و(ثُمَّ) للترتيب في الذكر ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ من ذنوبكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ للمؤمنين ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم.

٢٠٠ ـ ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم﴾: أدَّيْتُم ﴿مَّنَٰسِكَكُمْ﴾: عباداتِ حَجِّكم، بأن رميتُم جمرةَ العقبة، وطُفتم، واستقْرَرْتم بمنًى ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ بالتكبير والثناء ﴿كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ﴾ كما كنتم تذكرونهم عند فراغ حجِّكم بالمفاخرة ﴿أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ من ذكركم إياهم، ونَصْبُ (أشدَّ) علىٰ الحال من (ذكر) المنصوب بـ (اذكروا) إذ لو تأخَّر عنه، لكان صفةً له ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا﴾ نصيبنا ﴿فِى ٱلدُّنْيَا﴾ فيؤتاه فيها ﴿وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾: نصيب.

٢٠١ ـ ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾: نعمة ﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً﴾ هي الجنة ﴿وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ بعدم دخولها، وهذا بيانٌ لما كان عليه المشركون، ولحالِ المؤمنين، والقصدُ به الحثُّ علىٰ طلب خير الدارين، كما وعد بالثواب عليه بقوله.

٢٠٢ ـ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ﴾: ثوابٌ ﴿مِّن﴾ أجل ﴿مَا كَسَبُوا۟﴾: عَمِلوا من الحجِّ والدعاء ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ يُحاسِبُ الخلقَ كلَّهم في قَدْرِ نصف نهار من أيام الدُّنيا لحديث بذلك.

۞ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ ۚ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ اتَّقَىٰ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ۚ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾

٢٠٣ ـ ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ بالتكبير عند رمي الجمرات ﴿فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾ أي: أيام التشريق الثلاثة ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ﴾ أي: استعجل بالنَّفر من مِنى ﴿فِي يَوْمَيْنِ﴾ أي: في ثاني أيام التَّشريق بعد رمي جماره ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ بالتَّعجيل ﴿وَمَنْ تَأَخَّرَ﴾ بها حتىٰ بات ليلة الثالث ورمىٰ جماره ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ بذلك، أي: هم مخيَّرون في ذلك، ونفيُ الإثم ﴿لِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ الله في حَجِّه، لأنه الحاجُّ في الحقيقة ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ في الآخرة، فيُجازيكم بأعمالكم.

٢٠٤ ـ هذه الآية والآيات الثلاث التي بعدها ذكر المفسرون أنها نزلت في شخصين معينين، والصحيح أنها عامة في الناس، ففي الناس منافقون، ألسنتهم أحلىٰ من العسل، وقلوبهم أمرُّ من الصبر، وفيهم من يبيع نفسه لله. والعبرة بعموم النصّ لا بخصوص السبب، وكما قال بعض أهل العلم: تنزل الآية في الرجل ثم تكون عامّة بعد. ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ولا يعجبُك في الآخرة، لمخالفته لاعتقاده ﴿وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ﴾ أنه موافقٌ لقوله: ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾: شديدُ الخُصومة لك ولأتباعك لعداوته لك، وهو الأخنَسُ بن شَرِيق، كان منافقاً حُلْوَ الكلام للنبي ﷺ، يحلف أنه مؤمنٌ به ومحبٌّ له، فيُدْني مَجْلِسَهُ، فأَكْذَبَهُ الله في ذلك، ومرَّ بزرعٍ وحُمُرٍ لبعض المسلمين، فأحرقه، وعقرها ليلاً، كما قال تعالىٰ:

٢٠٥ ـ ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ﴾: انصرف عنك ﴿سَعَىٰ﴾: مشىٰ ﴿فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾ من جملة الفساد ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ أي: لا يرضىٰ به. ٢٠٦ ـ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ﴾ في فعلك ﴿أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ﴾: حملته الأنفةُ والحَمِيَّةُ علىٰ العمل ﴿بِالْإِثْمِ﴾ الذي أُمِرَ باتِّقائه ﴿فَحَسْبُهُ﴾: كافيه ﴿جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ الفراشُ هي. ٢٠٧ ـ ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي﴾: يبيعُ ﴿نَفْسَهُ﴾ أي: يبذُلها في طاعة الله ﴿ابْتِغَاءَ﴾: طلب ﴿مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾: رضاه، وهو صهيب، لما آذاه المشركون، هاجرَ إلىٰ المدينة، وترك لهم ماله ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ حيث أرشدَهم لما فيه رضاه. ٢٠٨ ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ﴾: الإسلام ﴿كَافَّةً﴾، حالٌ من (السِّلم) أي: في جميع شرائعه يأمر الله تعالىٰ عباده المؤمنين به المصدقين برسوله أن يأخذوا بجميع عُرىٰ الإسلام وشرائعه، وأن يعملوا بجميع أوامره ما استطاعوا، وأن يتركوا جميع زواجره. ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ﴾: طُرُقَ ﴿الشَّيْطَانِ﴾ أي: تزيينه بالتفريق ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾: بيِّنُ العداوة. ٢٠٩ ـ ﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ﴾: مِلتم عن الدخول في جميعه ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾: الحججُ الظَّاهرة علىٰ أنه حق ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يُعجِزُه شيءٌ عن انتقامه منكم ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه. ٢١٠ ـ ﴿هَلْ﴾: ما ﴿يَنْظُرُونَ﴾: ينتظر التاركون الدخول فيه ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ﴾، جمع ظُلَّةٍ ﴿مِنَ الْغَمَامِ﴾: السَّحاب ﴿وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾: تمَّ أمرُ هلاكهم ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾، في الآخرة، فيجازي كلاً بعمله.

سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾

٢١١ ـ ﴿سَلْ﴾ يا محمد ﴿بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ تبكيتاً: ﴿كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم﴾ (كم) استفهامية مُعلِّقة (سَلْ) عن المفعول الثاني، وهي ثاني مفعولَي (آتينا)، ومميِّزُها: ﴿مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍۗ﴾: ظاهرة، كَفَلْق البحر وإنزال المنِّ والسلوىٰ، فبدَّلوها كفراً ﴿وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ﴾ أي: ما أنعمَ به عليه من الآيات، لأنها سببُ الهداية ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ﴾ كفراً ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ له.

٢١٢ ـ ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ بالتمويه فأحَبُّوها ﴿وَ﴾ هم ﴿يَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ لفقرهم، كبلال وعمَّار وصهيب، أي: يستهزئون بهم، ويتعالَوْن عليهم بالمال ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾ الشركَ، وهم هؤلاء ﴿فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي: رزقاً واسعاً في الآخرة، أو الدنيا، بأن يُملِّكَ المسخور منهم أموالَ الساخرين ورقابَهم.

٢١٣ ـ ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ علىٰ الإيمان، فاختلفوا، بأن آمن بعضٌ، وكفر بعضٌ ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ إليهم ﴿مُبَشِّرِينَ﴾ من آمن بالجنة ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ مَن كفر بالنار ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ بمعنىٰ الكُتُب ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ متعلِّق بـ(أنزل) ﴿لِيَحْكُمَ﴾ به ﴿بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِۚ﴾ من الدِّين ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ﴾ أي: الدِّين ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ﴾ أي: الكتاب، فآمن بعضٌ، وكفر بعض ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾: الحُجج الظاهرة علىٰ التوحيد و(مِنْ) متعلِّقة بـ(اختلف) وهي وما بعدها مقدَّم علىٰ الاستثناء في المعنىٰ ﴿بَغْيًۢا﴾ من الكافرين ﴿بَيْنَهُمْۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ﴾، للبيان ﴿ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦۗ﴾: بإرادته ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ هدايته ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: طريق الحق.

٢١٤ ـ ونزل في جَهْدٍ أصاب المسلمين ﴿أَمْ﴾: بل أ﴿حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا﴾: لم ﴿يَأْتِكُم مَّثَلُ﴾: شَبَهُ ما أتىٰ ﴿ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمۖ﴾ من المؤمنين من المِحَن فتصبرُوا كما صبروا ﴿مَّسَّتْهُمُ﴾، جملةٌ مستأنفة مبيِّنَةٌ ما قبلَها ﴿ٱلْبَأْسَآءُ﴾: شِدَّةُ الفقر ﴿وَٱلضَّرَّآءُ﴾: المرضُ ﴿وَزُلْزِلُوا۟﴾: أزعجوا بأنواع البلاء ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ﴾، بالنصب أي: قال: ﴿ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ استبطاءً للنصر لتناهي الشدَّة عليهم: ﴿مَتَىٰ﴾ يأتي ﴿نَصْرُ ٱللَّهِۗ﴾ الذي وُعِدناه؟ فأُجيبوا من قِبَل الله: ﴿أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ إتيانه.

٢١٥ ـ ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ يا محمد: ﴿مَاذَا يُنفِقُونَۖ﴾ أي: الذي يُنفِقونه، والسائل عمرُو بنُ الجَمُوح، وكان شيخاً ذا مال، فسأل النبيَّ ﷺ عمّا يُنفق، وعلىٰ من يُنفق ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ﴾، بيان لـ(ما) شاملٌ للقليل والكثير، وفيه بيانُ المُنْفَق الذي هو أحد شِقَّي السؤال، وأجاب عن المَصْرِف الذي هو الشِّقُّ الآخر بقوله: ﴿فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِۗ﴾ أي: هم أوْلىٰ به ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ﴾: إنفاق أو غيره ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ فمُجازٍ عليه.

كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾

ربع الحزب

٢١٦ ـ ﴿كُتِبَ﴾: فُرِضَ ﴿عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ﴾ للكفار ﴿وَهُوَ كُرْهٌ﴾: مكروهٌ ﴿لَّكُمْ﴾ طبعاً لمشقَّته ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾ لميل النفس إلىٰ الشهوات الموجبة لهلاكها، ونفورها عن التكليفات الموجبةِ لسعادتها، فلعلَّ لكم في القتال وإن كرهتموه خيراً، لأن فيه إمَّا الظفر والغنيمةُ، أو الشهادةُ والأجر، وفي تركه وإن أحببتموه شرّاً، لأنَّ فيه الذلَّ والفقر، وحرمانَ الأجر ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ ما هو خيرٌ لكم ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك، فبادِروا إلىٰ ما يأمركم به.

٢١٧ ـ وأرسل النبيُّ ﷺ سرية، وعليها عبد الله بنُ جحش، فقاتَلوا المشركين، وقتلوا ابن الحضرميِّ آخر يوم من جُمادىٰ الآخرة، والْتبس عليهم برجَب، فعيَّرهم الكفّارُ باستحلاله، فنزل: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾: المُحرَّم ﴿قِتَالٍ فِيهِ﴾، بدل اشتمال ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾: عظيمٌ وزراً، مبتدأ وخبر ﴿وَصَدٌّ﴾، مبتدأ: منعٌ للناس ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: دينه ﴿وَكُفْرٌۢ بِهِۦ﴾: بالله ﴿وَ﴾ صدٌّ عن ﴿ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ أي: مكة ﴿وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ﴾ وهم النبيُّ ﷺ والمؤمنون، وخبر المبتدأ: ﴿أَكْبَرُ﴾: أعظمُ وزراً ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ من القتال فيه ﴿وَٱلْفِتْنَةُ﴾: الشِّرك منكم ﴿أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ لكم فيه ﴿وَلَا يَزَالُونَ﴾ أي: الكفار ﴿يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾ أيها المؤمنون ﴿حَتَّىٰ﴾: كي ﴿يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ﴾ إلىٰ الكفر ﴿إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ﴾: بَطَلَتْ ﴿أَعْمَٰلُهُمْ﴾ الصالحة ﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ فلا اعتداد بها، ولا ثواب عليها، والتقييد بالموت عليه يفيد أنه لو رجع إلىٰ الإسلام لم يبطُلْ عمله، فيثاب عليه، ولا يعيده، كالحجِّ مثلاً، وعليه الشافعي ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

٢١٨ ـ ولما ظنَّ السريَّة أنهم إن سلِموا من الإثم، فلا يحصل لهم أجر، نزل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟﴾: فارقوا أوطانهم ﴿وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ لإعلاء دينه ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ﴾: ثوابه ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ للمؤمنين ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم.

٢١٩ ـ ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾: القمار، ما حكمهما؟ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿فِيهِمَآ﴾ أي: في تعاطيهما ﴿إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾: عظيم، لما يحصل بسببهما من المُخاصمة والمُشاتمة، وقولِ الفُحْشِ ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ باللذة والفرح في الخمر، وإصابة المال بلا كَدٍّ في الميسر ﴿وَإِثْمُهُمَآ﴾ أي: ما ينشأ عنهما من المفاسد ﴿أَكْبَرُ﴾: أعظم ﴿مِن نَّفْعِهِمَا﴾، ولمّا نزلت، شربها قوم، وامتنع آخرون، إلىٰ أن حرَّمتها آية المائدة ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ أي: ما قَدْرُه؟ ﴿قُلِ﴾: أنفقوا ﴿ٱلْعَفْوَ﴾ أي: الفاضلَ عن الحاجة، ولا تنفقوا ما تحتاجون إليه وتضيِّعوا أنفسكم، ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: كما بَيَّنَ لكم ما ذُكر ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾.

فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ
خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ
ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾
وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ
مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ
يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ
يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ
وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ
عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ
وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ
أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾
نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ
وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ
﴿٢٢٣﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟
وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾

٢٢٠ ـ ﴿فِي﴾ أمرِ ﴿ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾ فتأخذون بالأصلح لكم فيهما ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ وما يَلْقَوْنه من الحرَج في شأنهم، فإن واكلوهم يأثموا، وإن عزلوا مالهم من أموالهم وصنعوا لهم طعاماً وحدَهم، فَحَرَج ﴿قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ﴾ في أموالهم بتنميتِها ومُداخَلَتِكم ﴿خَيْرٌ﴾ من ترك ذلك ﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ﴾ أي: تخلِطوا نفقتكم بنفقتهم ﴿فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾ أي: فَهُمْ إخوانُكم في الدِّين، ومن شأن الأخ أن يُخالط أخاه، أي: فلكُم ذلك ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ﴾ لأموالهم بمخالطته ﴿مِنَ ٱلْمُصْلِحِ﴾ بها، فيجازي كلّاً منهما ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾: لَضَيَّقَ عليكم بتحريم المُخالطة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾: غالبٌ علىٰ أمره ﴿حَكِيمٌ﴾ في صُنعه.

٢٢١ ـ ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟﴾: تتزوَّجوا أيها المسلمون ﴿ٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾ أي: الكافرات ﴿حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ﴾ حُرَّةٍ، لأن سببَ نزولها العيبُ علىٰ من تزوَّج أَمَةً وترغيبُه في نكاح حُرَّةٍ مشركة ﴿وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ لجمالها ومالها، وهذا مخصوص بغير الكتابيات بآية: (وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ) ﴿وَلَا تُنكِحُوا۟﴾: تُزَوِّجوا ﴿ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ أي: الكفارَ المؤمناتِ ﴿حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ لِماله وجماله ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ أي: أهل الشرك ﴿يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ بدعائهم إلىٰ العمل الموجِب لها، فلا تليقُ مُناكحتُهم ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟﴾ علىٰ لسان رسله ﴿إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ﴾ أي: العمل الموجِبِ لهما ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾: بإرادته، فتجب إجابتُه بتزويج أوليائه ﴿وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: يتَّعظون.

٢٢٢ ـ ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾ أي: الحيض، أو مكانه، ماذا يُفعل بالنساء فيه؟ ﴿قُلْ هُوَ أَذًى﴾: قَذَرٌ، أو مَحَلُّهُ ﴿فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ﴾: اتركوا وَطْأهُنَّ ﴿فِى ٱلْمَحِيضِ﴾ أي: وقته، أو مكانه ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ﴾ بالجماع ﴿حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾، أي: يغتسلْنَ بعد انقطاعه ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ﴾ بالجماع ﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾ بتجنُّبه في الحيض، وهو القُبُلُ، ولا تعدُوه إلىٰ غيره ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ من الذنوب ﴿وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ من الأقذار. ٢٢٣ ـ ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ أي: محلُّ زرعِكم الولدَ ﴿فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ﴾ أي: محلَّه، وهو القُبُلُ ﴿أَنَّىٰ﴾: كيف ﴿شِئْتُمْ﴾ من قيام وقعود، واضطجاع، وإقبال وإدبار، نزل ردّاً لقول اليهود: مَنْ أتىٰ امرأته في قُبُلِهَا من جهة دُبُرها، جاء الولد أحولَ ﴿وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ﴾ العمل الصالح، ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في أمره ونهيه ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ﴾ بالبعث، فيُجازيكم بأعمالكم ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الذين اتَّقَوْه بالجنَّة. ٢٢٤ ـ ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أي: الحَلِفَ به ﴿عُرْضَةً﴾: علَّة مانعة ﴿لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾ أي: لا تجعلوا الحلف بالله سبباً مانعاً لكم من البر والتقوىٰ. ﴿أَن﴾ لا ﴿تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟﴾ فتُكره اليمين علىٰ ذلك، ويُسَنُّ فيه الحِنْثُ ويُكفِّر، بخلافها علىٰ فعل البِرِّ ونحوه، فهي طاعة ﴿وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ المعنىٰ: لا تمتنعوا من فعل ما ذُكر من البِرِّ ونحوه إذا حلفتم عليه، بل ائتوه وكفِّروا، لأن سبب نزولها الامتناعُ من ذلك ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لأقوالكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بأحوالكم.

لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِي عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾

٢٢٥ ـ ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ﴾ الكائن ﴿فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾: وهو ما يسبق إليه اللسانُ من غير قصد الحَلِفِ، نحو: لا والله، وبلىٰ والله، فلا إثم فيه ولا كفارة ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ أي: قَصَدَتْه من الأيمان إذا حَنِثتُم ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ لما كان من اللَّغْوِ ﴿حَلِيمٌ﴾ بتأخير العقوبة عن مُستحقِّها. ٢٢٦ ـ ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ﴾ أي: يحلفون أن لا يُجامعوهنَّ ﴿تَرَبُّصُ﴾: انتظار ﴿أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآءُو﴾: رجعوا فيها ـ أو بعدها ـ عن اليمين إلىٰ الوطء ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لهم ما أتَوْه من ضرر المرأة بالحَلِف ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم. ٢٢٧ ـ ﴿وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ﴾ أي: عليه بأن لم يَفيئوا، فَلْيُوقِعُوه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لقولهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بعزمهم. المعنىٰ: ليس لهم بعد تَرَبُّص ما ذُكِرَ إلّا الفَيْئَةُ، أو الطَّلاقُ. ٢٢٨ ـ ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ﴾ أي: لِيَنْتَظِرنَ ﴿بِأَنفُسِهِنَّ﴾ عن النكاح ﴿ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ تمضي من حين الطلاق، جمع قَرْء، بفتح القاف، وهو الطُّهْرُ، أو الحيض قولان. وهذا في المدخول بهنَّ، أما غيرهنَّ، فلا عِدَّةَ عليهن، لقوله: (فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ)، وفي غير الآيسة والصغيرة، فعدتهنَّ ثلاثة أشهر، والحوامل، فعدتهنَّ أن يضعن حملهن، كما في سورة الطلاق، والإماء، فعدتهنَّ قَرْءان بالسُّنَّة ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرْحَامِهِنَّ﴾ من الولد، أو الحيض ﴿إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ﴾: أزواجهن ﴿أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾: بمراجعتهن، ولو أبَيْنَ ﴿فِي ذَٰلِكَ﴾ أي: في زمن التربُّص ﴿إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا﴾ بينهما، لا ضِرار المرأة، وهو تحريض علىٰ قصده، لا شرطٌ لجواز الرجعة، وهذا في الطلاق الرجعي، وقوله: (أحق) اسم تفضيل ولكن لا تفضيل فيه هنا، فكأنه قال: وبعولتهنّ حقيقون بردّهن؛ إذ لا حق لغيرهم في ردّهن في العدة ﴿وَلَهُنَّ﴾ علىٰ الأزواج ﴿مِثْلُ ٱلَّذِي﴾ لهم ﴿عَلَيْهِنَّ﴾ من الحقوق ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ شرعاً، من حُسن العُشرة، وترك الضرار، ونحو ذلك ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾: فضيلةٌ في الحقِّ، من وجوب طاعتهنَّ لهم لِما ساقوه من المَهْر والإنفاق ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ في ملكه ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما دبَّره لخلقه. ٢٢٩ ـ ﴿ٱلطَّلَٰقُ﴾ أي: التطليق الذي يُراجَعُ بعده ﴿مَرَّتَانِ﴾ أي: اثنتان ﴿فَإِمْسَاكٌ﴾ أي: فعليكم إمساكُهنَّ بعده بأن تُراجعوهنَّ ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ من غير ضِرارٍ ﴿أَوْ تَسْرِيحٌ﴾ أي: إرسالٌ لهنَّ ﴿بِإِحْسَٰنٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ﴾ أيها الأزواج ﴿أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾ من المهور ﴿شَيْـًٔا﴾ إذا طلقتموهن ﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ﴾ أي: الزوجان ﴿أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ أي: أن لا يأتيا بما حَدَّهُ لهما من الحقوق ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾ نفسَها من المال ليُطلِّقها، أي: لا حرج علىٰ الزوج في أخذه، ولا الزوجة في بذله ﴿تِلْكَ﴾ الأحكام المذكورة ﴿حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

٢٣٠ ـ ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ الزوج بعد الثِّنْتين ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ﴾: بعد الطلقة الثالثة ﴿حَتَّىٰ تَنكِحَ﴾: تتزوّج ﴿زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾ ويطأها كما في الحديث الذي رواه البخاري (٥٣١٧) ومسلم (١٤٣٣). ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ أي: الزوج الثاني ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ﴾ أي: الزوجة والزوج الأول ﴿أَن يَتَرَاجَعَآ﴾ إلىٰ النكاح بعد انقضاء العِدَّة ﴿إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ وَتِلْكَ﴾ المذكورات ﴿حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: يتدبرون.

وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾

نصف الحزب

٢٣١ ـ ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾: قاربن انقضاء عِدَّتهن ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ بأن تراجعوهن ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ من غير ضِرار ﴿أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾: اتركوهن حتىٰ تنقضيَ عدتُهنَّ ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ﴾ بالرَّجْعةِ ﴿ضِرَارًا﴾، مفعول له ﴿لِّتَعْتَدُوا۟﴾ عليهنَّ بالإلجاء إلىٰ الافتداءِ والتطليقِ وتطويل الحبس ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ بتعريضها إلىٰ عذاب الله ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا﴾: مهزوءاً بها بمخالفتها ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بالإسلام ﴿وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: القرآن ﴿وَٱلْحِكْمَةِ﴾: ما فيه من الأحكام ﴿يَعِظُكُم بِهِۦ﴾ بأن تشكروها بالعمل به ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾: لا يخفىٰ عليه شيءٌ.

٢٣٢ ـ ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾: انقضت عِدَّتُهنَّ ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾، خطاب للأولياء، أي: تمنعوهن من ﴿أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ﴾ المطلِّقين لهن، لأن سبب نزولها أن أختَ مَعْقِلِ بنِ يَسار طلَّقها زوجُها، فأراد أن يُراجعها، فمنعها معقل بنُ يسار، كما رواه الحاكم ﴿إِذَا تَرَٰضَوْا۟﴾ أي: الأزواج والنساء ﴿بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ شرعاً ﴿ذَٰلِكَ﴾ النهيُ عن العَضْل ﴿يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ لأنه المنتفِعُ به ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ أي: ترك العَضْلِ ﴿أَزْكَىٰ﴾: خيرٌ ﴿لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ لكم ولهم، لِما يُخشىٰ علىٰ الزَّوجين من الريبة، بسبب العلاقة بينهما ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ ما فيه المصلحة ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك، فاتَّبعوا أمره.

٢٣٣ ـ ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ﴾ أي: لِيُرضِعنَ ﴿أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ﴾: عامين ﴿كَامِلَيْنِ﴾، صفة مؤكِّدة، ذلك ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾ ولا زيادةَ عليه ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ﴾ أي: الأب ﴿رِزْقُهُنَّ﴾: إطعامُ الوالدات ﴿وَكِسْوَتُهُنَّ﴾ علىٰ الإرضاع إذا كُنَّ مُطلَّقاتٍ ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾، بقَدْر طاقته ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾: طاقتها ﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا﴾: بسببه، بأن تُكرَهَ علىٰ إرضاعه إذا امتنعت ﴿وَلَا﴾ يُضارَّ ﴿مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ﴾ أي: بسببه، بأن يُكلَّف فوق طاقته. وإضافة الولد إلىٰ كلٍّ منهما في الموضعين للاستعطاف ﴿وَعَلَى ٱلْوَارِثِ﴾: في تفسير (الوارث) أقوال عدة للعلماء، والذي ذهب إليه الجلال السيوطي أنه وارث الأب وهو الصبيُّ، أي: علىٰ وليِّه في ماله ﴿مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾ الذي علىٰ الأب للوالدة من الرزق والكسوة ﴿فَإِنْ أَرَادَا﴾ أي: الوالدان ﴿فِصَالًا﴾: فطاماً له قبل الحولين صادراً ﴿عَن تَرَاضٍ﴾: اتِّفاق ﴿مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ﴾ بينهما لتظهرَ مصلحةُ الصبي فيه ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ في ذلك ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمْ﴾ خطابٌ للآباء ﴿أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ﴾ مراضعَ غيرَ الوالدات ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ فيه ﴿إِذَا سَلَّمْتُم﴾ إليهنَّ ﴿مَّآ ءَاتَيْتُم﴾ أي: أردتم إيتاءَه لهنَّ من الأجرة ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: بالجميل، كطيب النَّفسِ ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: لا يخفىٰ عليه شيءٌ منه.

وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾

٢٣٤ ـ ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ﴾: يموتون ﴿مِنكُمْ وَيَذَرُونَ﴾: يتركون ﴿أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ﴾ أي: لِيَتربَّصْنَ ﴿بِأَنفُسِهِنَّ﴾ بعدَهم عن النكاح ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ من الليالي، وهذا في غير الحوامل، أما الحوامل فعِدَّتهنَّ أن يَضَعْنَ حملهنَّ بآية الطلاق، والأَمَةُ على النصف من ذلك بالسُّنَّة ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾: انقضتْ مدَّةُ تربُّصِهنَّ ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أيها الأولياء ﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ﴾ من التزيّن والتعرُّض للخُطَّاب ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ شرعاً ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾: عالمٌ بباطنه كظاهره.

٢٣٥ ـ ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم﴾: لوَّحتم ﴿بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ﴾ المتوفَّىٰ عنهن أزواجهن في العدَّة، كقول الإنسان مثلاً: إنَّكِ لجميلة، ومن يجد مثْلَكِ؟ ورُبَّ راغبٍ فيكِ.

﴿أَوْ أَكْنَنتُمْ﴾: أضمرتم ﴿فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ من قَصْد نكاحهن ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾ بالخطبة ولا تصبرون عنهن، فأباحَ لكم التعريض ﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ أي: نكاحاً ﴿إِلَّآ﴾: لكن ﴿أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ أي: ما عُرفَ شرعاً من التعريض، فلكم ذلك ﴿وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ﴾ أي: علىٰ عقده ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ أي: المكتوبُ من العِدَّة ﴿أَجَلَهُۥ﴾ بأن ينتهي ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ من العزم وغيره ﴿فَٱحْذَرُوهُ﴾ أن يُعاقبكم إذا عزمتم ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لمن يحذَره ﴿حَلِيمٌ﴾ بتأخير العقوبة عن مُستحقِّها.

٢٣٦ ـ ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ﴾ أي: تُجامعوهنَّ ﴿أَوْ﴾ لم ﴿تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾: مَهْراً، و(ما) مصدرية ظرفية، أي: لا تَبِعَة عليكم في الطلاق زمنَ عدم المسيس والفرض بإثمٍ ولا مهرٍ، فطلقوهنَّ.

﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾: أعطوهن ما يتمتَّعن به ﴿عَلَى ٱلْمُوسِعِ﴾: الغني منكم ﴿قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ﴾: الضيِّق الرزقِ ﴿قَدَرُهُۥ﴾ يفيد أنه لا نظر إلىٰ قَدر الزوجة.

﴿مَتَٰعًا﴾: تمتيعاً ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ شرعاً، صفة (متاعاً) ﴿حَقًّا﴾، صفة ثانية، أو مصدر مؤكِّد ﴿عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: المطيعين.

٢٣٧ ـ ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ يجب لهن، ويرجعُ لكم النصفُ ﴿إِلَّآ﴾: لكن ﴿أَن يَعْفُونَ﴾ أي: الزوجاتُ فيتركْنَه ﴿أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾ وهو الزوج، فيترك لها الكلَّ ﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟﴾، مبتدأ، خبره: ﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ أي: أن يتفضَّل بعضُكم علىٰ بعض ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيُجازيكم به.

حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٤

٢٣٨ ـ ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾ الخمس بأدائها في أوقاتها ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾: هي العصر أو الصبح، أو الظهر، أو غيرها، أقوال، وأفردها بالذكر لِفَضْلها، وأرجح هذه الأقوال أنّها صلاة العصر. ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ﴾ في الصلاة ﴿قَٰنِتِينَ﴾ قيل: مطيعين، لقوله ﷺ: «كلُّ قُنوتٍ في القرآن فهو طاعة» رواه أحمد وغيره، وقيل: ساكتين وهذا الأرجح؛ لأنّ حديث أحمد ضعيف، لحديث زيد بن أرقم: كنا نتكلم في الصلاة حتىٰ نَزَلَتْ، فأُمرنا بالسكوت، ونُهينا عن الكلام. رواه البخاري (٤٥٣٤) ومسلم (٥٣٩). **٢٣٩** ـ ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ من عدوٍّ، أو سيلٍ، أو سَبُعٍ ﴿فَرِجَالًا﴾، جمع راجل، أي: مشاةً صلُّوا ﴿أَوْ رُكْبَانًا﴾، جمع راكب، أي: كيف أمكن، مستقبلي القبلة، أو غيرها، ويُومئُ بالركوع والسجود. ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ﴾ من الخوف ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ﴾ أي: صلُّوا ﴿كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾ قبل تعليمه من فرائضها وحقوقها، والكاف بمعنىٰ مِثْلَ، و(ما) مصدرية، أو موصولة. **٢٤٠** ـ ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا﴾ فَلْيُوصوا ﴿وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم﴾ ويُعطوهنَّ ﴿مَّتَٰعًا﴾: ما يتمتَّعن به من النفقة والكسوة ﴿إِلَى﴾ تمام ﴿ٱلْحَوْلِ﴾ من موتهم، الواجب عليهن تربُّصه ﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾، حالٌ، أي: غير مُخرَجات من مسكنهن ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾ بأنفسهن ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ يا أولياء الميِّت ﴿فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ﴾ شرعاً، كالتزيُّن وترك الإحداد، وقطع النفقة عنها ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ في ملكه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه، والوصية المذكورة منسوخة بآية الميراث، وتربُّص الحول بآية: ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ السابقة، المتأخرة في النزول، والسكنىٰ ثابتةٌ لها عند الشافعي رحمه الله. **٢٤١** ـ ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌ﴾ يُعطينَهُ ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: بقدر الإمكان ﴿حَقًّا﴾، نصب بفعله المقدر ﴿عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ الله تعالىٰ، كرَّره ليَعُمَّ الممسوسة أيضاً، إذ الآية السابقة في غيرها. **٢٤٢** ـ ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما يُبيِّن لكم ما ذُكر ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: تتدبَّرون. **٢٤٣** ـ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾، استفهامُ تعجيب وتشويق إلىٰ استماع ما بعده، أي: ينتهِ علمُك ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾، مفعول له، وهم قومٌ من بني إسرائيل وقع الطاعون ببلادهم ففرّوا ﴿فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ﴾ فماتوا ﴿ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ ومنه إحياء هؤلاء ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ وهم الكفار ﴿لَا يَشْكُرُونَ﴾. والقصدُ من ذكر خبر هؤلاء بيان أنّه لا يغني حذرٌ من قدر، وأنّ بعث الأجساد يوم القيامة ممكن، فالذي أحيا هؤلاء يحيي الخلائق يوم القيامة وتشجيعُ المؤمنين علىٰ القتال، ولذا عطف عليه. **٢٤٤** ـ ﴿وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: لإعلاء دينه ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لأقوالكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بأحوالكم، فمجازيكم. **٢٤٥** ـ ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ﴾ بإنفاق ماله في سبيل الله ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ بأن يُنفقه لله عزّ وجلّ عن طيب قلب ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ من عشر إلىٰ أكثر من سبع مئة، كما سيأتي ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ﴾: يُمسكُ الرِّزقَ عمَّن يشاءُ ابتلاءً ﴿وَيَبْصُۜطُ﴾: يُوسِعُه لمن يشاء امتحاناً ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ في الآخرة بالبعث، فيُجازيكم بأعمالكم.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ۖ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ۖ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾

٢٤٦ ـ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ﴾: الجماعة ﴿مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ﴾ موت ﴿مُوسَىٰ﴾ أي: إلىٰ قصَّتهم وخبرهم ﴿إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ﴾: أقم ﴿لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ﴾ معه ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ تنتظم به كلمتنا ونرجع إليه ﴿قَالَ﴾ النبيُّ لهم: ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَ﴾نْ ﴿لا تُقَاتِلُوا﴾؟ خبر (عسىٰ)، والاستفهام لتقرير التوقُّع بها ﴿قَالُوا وَمَا لَنَا أَ﴾نْ ﴿لا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا﴾ بسبيهم وقتلهم، وقد فعل بهم ذلك قومُ جالوت، أي: لا مانع لنا منه مع وجود مقتضيه.

قال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا﴾ عنه وجَبُنوا ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ وهم الذين عبروا النهر مع طالوت كما سيأتي ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ فمُجازيهم. وسأل النبيُّ ربَّه إرسالَ مَلِكٍ، فأجابه إلىٰ إرسال طالوت.

٢٤٧ ـ ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّىٰ﴾: كيف ﴿يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ﴾ يستعين بها علىٰ إقامة المُلك ﴿قَالَ﴾ النبيُّ لهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ﴾: اختاره للمُلك ﴿عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً﴾: سَعَةً ﴿فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ وكان أعلمَ بني إسرائيل يومئذٍ، وأجملَهم، وأتمَّهم خَلْقاً ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ﴾ إيتاءَه، لا اعتراض عليه ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ فضلُه ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن هو أهلٌ له.

٢٤٨ ـ ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ﴾ لمّا طلبوا منه آيةً علىٰ مُلْكه: ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾: الصندوق، وكانوا يستفتحونَ به علىٰ عدوِّهم ويقدِّمونه في القتال ويسكنون إليه.

كما قال تعالىٰ: ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ﴾: طُمأنينةٌ لقلوبكم ﴿مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ﴾ أي: تركاه هما، وهي نعلا موسىٰ، وعصاه، وعمامةُ هارون، وقَفِيزٌ من المَنِّ الذي كان ينزل عليهم، ورُضاضٌ من الألواح ﴿تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾، حال من فاعل (يأتيكم).

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَكُمْ﴾ علىٰ مُلْكه ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ فحملته الملائكة، حتىٰ وضعتْه عند طالوت، فأقرُّوا بملكه، وتسارعوا إلىٰ الجهاد، فاختار من شبابهم سبعين ألفاً.

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ۚ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۚ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾

٢٤٩ ـ ﴿فَلَمَّا فَصَلَ﴾: خرج ﴿طَالُوتُ بِالْجُنُودِ﴾ من بيت المقدس، وكان حَرّاً شديداً، وطلبوا منه الماءَ ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم﴾: مُختبركم ﴿بِنَهَرٍ﴾ ليظهر المُطيعُ منكم والعاصي، وهو بين الأرْدُنِّ وفلسطين ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ﴾ أي: من مائه ﴿فَلَيْسَ مِنِّي﴾ أي: من أتباعي ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ﴾: يَذُقْه ﴿فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾ فاكتفىٰ بها، ولم يزد عليها، فإنه منِّي ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ﴾ لمَّا وافَوْه بكثرة ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ فاقتصروا علىٰ الغُرْفة، ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ وهم الذين اقتصروا علىٰ الغُرْفة ﴿قَالُوا﴾ أي: الذين شربوا: ﴿لَا طَاقَةَ﴾: قُوَّة ﴿لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ أي: بقتالهم، وجَبُنوا، ولم يُجاوزوه ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾: يُوقنون ﴿أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ﴾ بالبعث، وهم الذين جاوزوه: ﴿كَم﴾، خبرية بمعنىٰ كثير ﴿مِّن فِئَةٍ﴾: جماعة ﴿قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: بإرادته ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ بالعون والنصر.

٢٥٠ ـ ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ أي: ظهروا لقتالهم وتَصافُّوا ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ﴾: اصْبُبْ ﴿عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ بتقوية قلوبنا علىٰ الجهاد ﴿وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

٢٥١ ـ ﴿فَهَزَمُوهُم﴾: كَسَرُوهم ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: بإرادته.

﴿وَقَتَلَ دَاوُودُ﴾ ـ وكان في عسكر طالوت ـ ﴿جَالُوتَ وَآتَاهُ﴾ أي: داودَ ﴿اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ في بني إسرائيل ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾: النُّبوَّة بعد موت شمويل وطالوت، ولم يجتمعا لأحد قبلَه.

﴿وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ كصَنْعَةِ الدُّروع ومَنْطِقِ الطير.

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم﴾، بدلُ بعضٍ من (الناس) ﴿بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ بغلبة المشركين، وقتل المسلمين، وتخريب المساجد.

﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ فدفعَ بعضهم ببعض.

٢٥٢ ـ ﴿تِلْكَ﴾: هذه الآيات ﴿آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا﴾: نقصُّها ﴿عَلَيْكَ﴾ يا محمدُ ﴿بِالْحَقِّ﴾: بالصدق ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾، التأكيد بـ(إنَّ) وغيرها ردٌّ لقول الكفار له: لستَ مرسلاً.

﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾

٢٥٣ ـ ﴿تِلْكَ﴾، مبتدأ ﴿الرُّسُلُ﴾، صفة، والخبر: ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ بتخصيصه بمَنْقَبةٍ ليست لغيره ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ﴾ كموسىٰ ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ﴾ أي: محمداً ﷺ ﴿دَرَجَاتٍ﴾ علىٰ غيره بعموم الدعوة، وخَتْم النبوّة، وتفضيل أمّته علىٰ سائر الأمم، والمعجزات المتكاثرة، والخصائص العديدة ﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ﴾: قوّيْناه ﴿بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾: جبريل، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ هُدىٰ الناسِ جميعاً ﴿مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم﴾: بعد الرسل، أي: أُمَمُهم ﴿مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ لاختلافهم وتضليل بعضِهم بعضاً ﴿وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا﴾ لمشيئة ذلك ﴿فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ﴾: ثبتَ علىٰ إيمانه ﴿وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ﴾ كالنصارىٰ بعد المسيح ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا﴾، تأكيد ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ من توفيق من شاء، وخُذلان من شاء. ٢٥٤ ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم﴾ زكاته ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ﴾: فداءٌ ﴿فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ﴾: صداقةٌ تنفع ﴿وَلَا شَفَاعَةٌ﴾ بغير إذنه، وهو يوم القيامة ﴿وَالْكَافِرُونَ﴾ بالله، أو بما فُرض عليهم ﴿هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ لوضعهم أمرَ الله في غير محلّه ٢٥٥ ـ ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ﴾ أي: لا معبودَ بحقٍّ في الوجود ﴿إِلَّا هُوَ الْحَيُّ﴾: الدائم البقاء ﴿الْقَيُّومُ﴾: المبالغ في القيام بتدبير خلقه ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ﴾: نعاس ﴿وَلَا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ مُلكاً وخلقاً وعبيداً ﴿مَن ذَا الَّذِي﴾ أي: لا أحد ﴿يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ له فيها ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: الخلق ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أي: من أمر الدنيا والآخرة ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾ أي: لا يعلمون شيئاً من معلوماته ﴿إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ أن يُعلِمَهُم به منها بإخبار الرُّسل ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ﴾: يُثقِله ﴿حِفْظُهُمَا﴾ أي: السماوات والأرض ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾ فوق خلقه بالقهر ﴿الْعَظِيمُ﴾: الكبير. هذه آية الكرسيّ، ولها شأن عظيم، وقد صحّ الحديث عن رسول الله ﷺ بأنّها أفضل آية في كتاب الله، فقد أخرج مسلم (٨١٠) عن أُبَيّ بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا المنذر، أتدري أيّ آية من كتاب الله معك أعظم؟» قال: قلت: (اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ . .) قال: فضرب في صدري وقال: «ليهنك العلم أبا المنذر». ٢٥٦ ـ ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ علىٰ الدخول فيه ﴿قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ أي: ظهر بالآيات البيِّنات أن الإيمان رُشدٌ، والكُفْرَ غيٌّ، نزلت فيمن كان له من الأنصار أولاد، أراد أن يُكرههم علىٰ الإسلام ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾: الشيطان، أو الأصنام، وهو يُطلق علىٰ المفرد والجمع ﴿وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ﴾: تمسّك ﴿بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾: بالعَقْد المُحكم ﴿لَا انفِصَامَ﴾: انقطاع ﴿لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لما يقال ﴿عَلِيمٌ﴾ بما يُفعل. قال ابن كثير: وقد ذهبت طائفة كثيرة من العلماء أنّ هذه الآية محمولة علىٰ أهل الكتاب ومن دخل في دينهم قبل النسخ والتبديل إذا بذلوا الجزية. وقال آخرون: بل هي منسوخة بآية القتال، فإنّه يجب أن يدعىٰ جميع الأمم إلىٰ الدخول في الدين الحنيف دين الإسلام، فإن أبىٰ أحد منهم الدخول فيه ولم ينقد له ولم يبذل الجزية قوتل حتىٰ يقتل.

اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَٰتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَٰتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَٰبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَٰهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ ءَاتَىٰهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾

٢٥٧ ـ ﴿اللَّهُ وَلِيُّ﴾: ناصر ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَٰتِ﴾: الكفر ﴿إِلَى النُّورِ﴾: الإيمان ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَٰتِ﴾، ذِكرُ الإخراج جواب عن سؤال هو: كيف يخرج الكفار من النور مع أنّهم لم يكونوا في نور؟. وحاصل الجواب: أنه إمّا للمقابلة والمشاكلة، أو أنّ المراد بهم من سبق لهم نور ثم أخرجوا منه بالفعل، وهم الذين آمنوا بالنبي قبل البعثة ثم كفروا به بعدها ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَٰبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

٢٥٨ ـ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ﴾: جادل ﴿إِبْرَٰهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ لـ﴿أَنْ ءَاتَىٰهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ أي: حمله بَطَرُهُ بنعمة الله علىٰ ذلك، ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ﴾ ـ لمّا قال له: مَنْ ربُّك الذي تدعونا إليه؟ ـ: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ أي: يخلق الحياة والموت في الأجساد ﴿قَالَ﴾ هو: ﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ بالقتل والعفو عنه، ودعا برجلين، فقتل أحدهما، وترك الآخر، فلما رآه غبياً ﴿قَالَ إِبْرَٰهِيمُ﴾ منتقلاً إلىٰ حجّة أوضح منها: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا﴾ أنت ﴿مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾: تحيَّر ودَهِشَ ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّٰلِمِينَ﴾ بالكفر إلىٰ محجّة الاحتجاج.

٢٥٩ ـ ﴿أَوْ﴾ رأيت ﴿كَالَّذِي﴾، الكاف زائدة ﴿مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾: قيل: هي بيت المقدس، راكباً علىٰ حمار، ومعه طعامه وشرابه.

﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾: ساقطة ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾: سقوفها ﴿قَالَ أَنَّىٰ﴾: كيف ﴿يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ استعظاماً لقدرته تعالىٰ: ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ﴾ وألبثه ﴿مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾: أحياه ليُريهُ كيفيَّة ذلك.

﴿قَالَ﴾ تعالىٰ له: ﴿كَمْ لَبِثْتَ﴾: مكثت هنا.

﴿قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ لأنه نام أولَ النهار، فَقُبِضَ، وأُحييَ عند الغروب، فظنَّ أنه يوم النوم ﴿قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾: لم يتغيَّر مع طول الزمان، والهاء قيل: أصلٌ من سَانَهْتُ، وقيل: للسكت من سَانَيْتُ، ﴿وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾ كيف هو؟ فرآه ميتاً وعظامه بيضٌ تلوح، فَعَلْنا ذلك لتعلم ﴿وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً﴾ علىٰ البعث ﴿لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ﴾ من حمارك ﴿كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾: نُحرِّكها ونرفعُها، فنركب بعضها علىٰ بعض ﴿ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾ فنظر إليها وقد تركَّبت وكُسيت لحماً، ونُفخ فيه الرُّوحُ ونَهَق ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ﴾ ذلك بالمشاهدة ﴿قَالَ أَعْلَمُ﴾ عِلْمَ مشاهدة ﴿أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾

ربع الحزب

٢٦٠ ـ ﴿وَ﴾ اذكـر ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ﴾ تعالىٰ له: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾ بقدرتي علىٰ الإحياء؟ سأله مع علمه بإيمانه بذلك، ليُجيبه بما سأل، فيعلمَ السامعون غرضَه ﴿قَالَ بَلَىٰ﴾ آمنتُ ﴿وَلَٰكِن﴾ سألتُك ﴿لِّيَطْمَئِنَّ﴾: يسكُنَ ﴿قَلْبِى﴾ بالمعاينة المضمومة إلىٰ الاستدلال ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾: أَمِلْهُنَّ إليك وقطِّعهنَّ، واخلِط لحمهن وريشهن ﴿ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ﴾ من جبال أرضِك ﴿مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ﴾ إليك ﴿يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾: سريعاً ﴿وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يُعجزه شيءٌ ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه، فأخذ أربعة من الطير، وفعل بهنَّ ما ذكر، وأمسك رؤوسهن عنده، ودعاهن، فتطايرت الأجزاء إلىٰ بعضها حتىٰ تكاملت، ثم أقبلتْ إلىٰ رؤوسها.

٢٦١ ـ ﴿مَّثَلُ﴾: صفةُ نفقات ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: طاعته ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ﴾ فكذلك نفقاتهم، تُضاعف لسبع مئة ضعف ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ﴾ أكثرَ من ذلك ﴿لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ فضله ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن يستحقُّ المضاعفة.

٢٦٢ ـ ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا﴾ علىٰ المُنفَق عليه، بقولهم مثلاً: قد أحسَنتُ إليه وجَبَرْتُ حالَه ﴿وَلَآ أَذًى﴾ له، بذكر ذلك إلىٰ مَن لا يُحب وقوفه عليه، ونحوه ﴿لَّهُمْ أَجْرُهُمْ﴾: ثوابُ إنفاقهم ﴿عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة.

٢٦٣ ـ ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾: كلامٌ حسنٌ وردٌّ علىٰ السائل جميلٌ ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ له في إلحاحه ﴿خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى﴾ بالمنِّ، وتعيير له بالسؤال ﴿وَٱللَّهُ غَنِىٌّ﴾ عن صدقة العباد ﴿حَلِيمٌ﴾ بتأخير العقوبة عن المانِّ والمؤذي.

٢٦٤ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم﴾ أي: أُجورها ﴿بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ إبطالاً ﴿كَٱلَّذِى﴾ أي: كإبطال نفقة الذي ﴿يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾: مُرائياً لهم ﴿وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾: وهو المنافق ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾: حجر أملس ﴿عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ﴾: مطر شديد ﴿فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا﴾: صلباً أملس لا شيء عليه ﴿لَّا يَقْدِرُونَ﴾، استئنافٌ لبيان مَثَلِ المنافق المنفق رئاء الناس، وجمع الضمير باعتبار معنىٰ (الذي) ﴿عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟﴾: عملوا، أي: لا يجدون له ثواباً في الآخرة، كما لا يوجد علىٰ الصفوان شيء من التراب الذي كان عليه، لإذهاب المطر له ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾

٢٦٥ ـ ﴿وَمَثَلُ﴾ نفقاتِ ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ﴾: طلب ﴿مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: تحقيقاً للثواب عليه، بخلاف المنافقين الذين لا يرجونه، لإنكارهم له، و(مِنْ) ابتدائية ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ﴾: بستانٍ ﴿بِرَبْوَةٍ﴾: مكان مرتفع مُستوٍ ﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ﴾: أعطت ﴿أُكُلَهَا﴾: ثمرها ﴿ضِعْفَيْنِ﴾: مِثْلَيْ ما يُثمر غيرُها ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾: مطر خفيف، يصيبُها ويكفيها لارتفاعها، المعنىٰ: تُثمر وتزكو، كَثُرَ المطرُ أم قلَّ، فكذلك نفقات مَن ذُكر، تزكو عند الله كَثُرت أم قلَّت ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيُجازيكم به.

٢٦٦ ـ ﴿أَيَوَدُّ﴾: أيحبُّ ﴿أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ﴾: بستانٌ ﴿مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا﴾ ثمر ﴿مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَ﴾ قد ﴿أَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ﴾ فضعُف من الكِبرِ عن الكسب ﴿وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ﴾: أولادٌ صغار لا يقدرون عليه ﴿فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ﴾: ريحٌ شديدةٌ ﴿فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ﴾ ففقَدَها أحوجَ ما كان إليها، وبقي هو وأولاده عَجَزَةً مُتحيِّرين لا حيلة لهم؟ وهذا تمثيلٌ لنفقة المرائي والمانِّ في ذهابها وعدم نفعها أحوجَ ما يكون إليها في الآخرة، والاستفهام بمعنىٰ النفي، وعن ابن عباس: هو لرجلٍ عملَ بالطاعات، ثم بُعث له الشيطانُ، فعمل بالمعاصي حتىٰ أحرق أعماله ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما بَيَّن ما ذُكر ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ فتعتبرون.

٢٦٧ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟﴾ أي: زكُّوا ﴿مِن طَيِّبَٰتِ﴾: جياد ﴿مَا كَسَبْتُمْ﴾ من المال ﴿وَمِنْ﴾ طيبات ﴿مَآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ من الحبوب والثمار ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا۟﴾: تقصدوا ﴿ٱلْخَبِيثَ﴾: الرَّديءَ ﴿مِنْهُ﴾ أي: من المذكور ﴿تُنفِقُونَ﴾هُ في الزكاة، حال من ضمير (تيمموا) ﴿وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ﴾ أي: الخبيث لو أُعطيتموه في حقوقكم ﴿إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ﴾ بالتساهل وغضِّ البصر، فكيف تؤدُّون منه حق الله؟ ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ﴾ عن نفقاتكم ﴿حَمِيدٌ﴾: محمود علىٰ كل حال.

٢٦٨ ـ ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ﴾: يُخوِّفُكم به إن تصدَّقتم، فتُمسكوا ﴿وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾: البخل ومنع الزكاة ﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم﴾ علىٰ الإنفاق ﴿مَّغْفِرَةً مِّنْهُ﴾ لذنوبكم ﴿وَفَضْلًا﴾: رزقاً خَلَفاً منه ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ فضلُه ﴿عَلِيمٌ﴾ بالمُنفق.

٢٦٩ ـ ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ﴾ أي: العلمَ النافعَ المؤدِّيَ إلىٰ العمل ﴿مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ لمصيره إلىٰ السعادة الأبدية ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ﴾، فيه إدغام التاء في الأصل في الذال: يتَّعظ ﴿إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: أصحاب العقول.

وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ ۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾

٢٧٠ ـ ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ﴾: أدّيتم من زكاة، أو صدقة ﴿أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ﴾ فوفّيتم به ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾ فيجازيكم عليه ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ بمنع الزكاة، أو النّذر، أو بوضع الإنفاق في غير محله في معاصي الله ﴿مِنْ أَنصَارٍ﴾: مانعين لهم من عذابه.

٢٧١ ـ ﴿إِن تُبْدُوا۟﴾: تُظهروا ﴿ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ أي: النوافلَ ﴿فَنِعِمَّا هِىَ﴾ أي: نِعْمَ شيئاً إبداؤُها ﴿وَإِن تُخْفُوهَا﴾: تُسِرُّوها ﴿وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من إبدائها وإيتائها الأغنياء، أما صدقةُ الفرض، فالأفضل إظهارُها ليُقتدىٰ به، ولئلا يُتَّهم، وإيتاؤها الفقراء مُتعَيِّن ﴿وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن﴾ بعض ﴿سَيِّـَٔاتِكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾: عالم بباطنه كظاهره، لا يخفىٰ عليه شيء منه.

٢٧٢ ـ ولما مَنَع ﷺ من التصدُّق علىٰ المشركين ليُسلِمُوا نزل: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ﴾ أي: الناس إلىٰ الدخول في الإسلام، إنما عليك البلاغُ ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ هدايته إلىٰ الدخول فيه ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ﴾: مال ﴿فَلِأَنفُسِكُمْ﴾ لأن ثوابه لها ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾ أي: ثوابه، لا غيره من أعراض الدنيا، خبر بمعنىٰ النهي ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ جزاؤه ﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾: تُنْقَصون منه شيئاً، والجملتان تأكيد للأولىٰ.

٢٧٣ ـ ﴿لِلْفُقَرَآءِ﴾، خبر مبتدأ محذوف، أي: الصدقاتُ، ﴿ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: حَبَسوا أنفسهم علىٰ الجهاد نزلت في أهل الصُّفَّة.

وهم أربع مئة من المهاجرين، أُرصدوا لتعلُّم القرآن والخروج مع السرايا.

﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا﴾: سفراً ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ للتجارة والمعاش، لشُغلهم عنه بالجهاد.

﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ﴾ بحالِهم ﴿أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ أي: لتعففهم عن السؤال، وتركِه.

﴿تَعْرِفُهُم﴾ يا مخاطب ﴿بِسِيمَٰهُمْ﴾: علامتِهم من التواضع وأثر الجَهد.

﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ﴾ شيئاً، فيُلحِفون ﴿إِلْحَافًا﴾ أي: لا سؤال لهم أصلاً، فلا يقع منهم إلحاف، وهو الإلحاح.

﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ فمجازٍ عليه.

٢٧٤ ـ ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾

٢٧٥ ـ ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ أي: يأخذونه، وهو الزيادة في المعاملة بالنقود والمطعومات في القدْرِ أو الأجل ﴿لَا يَقُومُونَ﴾ من قبورهم ﴿إِلَّا﴾ قياماً ﴿كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ﴾: يصرعُه ﴿ٱلشَّيْطَـٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾: الجنون بهم، متعلِّق بـ(يقومون) ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي نزل بهم ﴿بِأَنَّهُمْ﴾: بسبب أنهم ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ في الجواز، وهذا من عكس التشبيه مبالغةً، فقال تعالىٰ ردّاً عليهم: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ فَمَن جَآءَهُۥ﴾: بلغه ﴿مَوْعِظَةٌ﴾: وعْظٌ ﴿مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ﴾ عن أكله ﴿فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾ قبل النهي أي: لا يُستردُّ منه ﴿وَأَمْرُهُۥٓ﴾ في العفو عنه ﴿إِلَى ٱللَّهِ وَمَنْ عَادَ﴾ إلىٰ أكله مُشبِّهاً له بالبيع في الحِلِّ ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾.

٢٧٦ ـ ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾: يَنْقُصُه ويُذهب بركته ﴿وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَـٰتِ﴾: يَزيدها ويُنمِّيها ويُضاعف ثوابها ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ﴾ بتحليل الرِّبا ﴿أَثِيمٍ﴾: فاجر بأكله، أي: لا يحبّه، ويلزم عن عدم محبته سبحانه لكل كفار أثيم أن يعاقبه العقوبة التي يستحقّها.

٢٧٧ ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

٢٧٨ ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ﴾: اتركوا ﴿مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: صادقين في إيمانكم، فإنَّ من شأن المؤمن امتثالَ أمر الله تعالىٰ. نزلت لمَّا طالبَ بعضُ الصحابة ـ بعد النهي ـ بِرِباً كان له قبلُ.

٢٧٩ ـ ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ﴾ ما أُمِرْتم به ﴿فَأْذَنُواْ﴾: اعلموا ﴿بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ لكم، فيه تهديدٌ شديد لهم. ولما نزلت، قالوا: لا يَدَ لنا بحربه ﴿وَإِن تُبْتُمْ﴾: رجعتم عنه ﴿فَلَكُمْ رُءُوسُ﴾: أُصول ﴿أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ﴾ بزيادة ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ بنقص.

٢٨٠ ـ ﴿وَإِن كَانَ﴾ وقعَ غريمٌ ﴿ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ﴾ له، أي: عليكم تأخيره ﴿إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾، بفتح السين، أي: وقت يُسْرٍ ﴿وَأَن تَصَدَّقُواْ﴾ أي: تتصدَّقوا علىٰ المُعسر بالإبراء ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه خير، فافعلوه، وفي الحديث: «من أَنْظَرَ مُعْسِراً، أو وَضَعَ عنه، أظلَّه الله في ظلِّه يوم لا ظلَّ إلّا ظلُّه» رواه مسلم (٣٠٠٦).

٢٨١ ـ ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ﴾، بالبناء للمفعول: تُردُّون، ﴿فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ هو يوم القيامة ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ﴾ فيه ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ جزاءَ ﴿مَّا كَسَبَتْ﴾: عملت من خير وشرٍّ ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ بنقص حسنة، أو زيادة سيِّئة.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٨٢﴾

٢٨٢ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم﴾: تعاملتم ﴿بِدَيۡنٍ﴾ كسَلَم وقرض ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾: معلوم ﴿فَٱكۡتُبُوهُۚ﴾ استيثاقاً ودفعاً للنِّزاع ﴿وَلۡيَكۡتُب﴾ كتاب الدَّين ﴿بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾: بالحقِّ في كتابته، لا يزيد في المال والأجل، ولا ينقُص ﴿وَلَا يَأۡبَ﴾: يمتنع ﴿كَاتِبٌ﴾ من ﴿أَن يَكۡتُبَ﴾ إذا دُعي إليها ﴿كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ﴾ أي: فضَّله بالكتابة، فلا يبخل بها، والكاف متعلِّقة بـ(يأب) ﴿فَلۡيَكۡتُبۡ﴾، تأكيد ﴿وَلۡيُمۡلِلِ﴾: يُملِ الكاتبَ ﴿ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ﴾: الدَّيْنُ، لأنه المشهود عليه، فيُقرّ ليُعلم ما عليه، أي: إنّ الذي عليه الحقّ يقرّ بلسانه ليعلم ما عليه من الحقّ، فيذكر قدره وجنسه وصفة الأجل. ﴿وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾ في إملائه ﴿وَلَا يَبۡخَسۡ﴾: يَنْقُص ﴿مِنۡهُ﴾ أي: الحق ﴿شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا﴾: مبذِّراً ﴿أَوۡ ضَعِيفًا﴾ عن الإملاء لصِغَر أو كِبَر ﴿أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ﴾ لخَرَس أو جهل باللغة، أو نحو ذلك ﴿فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ﴾: مُتولِّي أمره، من والد ووصيٍّ وقيِّم ومُترجم ﴿بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ﴾: أَشْهِدُوا علىٰ الدَّيْن ﴿شَهِيدَيۡنِ﴾: شاهِدَيْن ﴿مِن رِّجَالِكُمۡۖ﴾ أي: بالغي المسلمين الأحرار ﴿فَإِن لَّمۡ يَكُونَا﴾ أي: الشهيدان ﴿رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ﴾ يشهدون ﴿مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾ لدِينه وعدالته، وتعدُّد النساء لأجل ﴿أَن تَضِلَّ﴾: تنسىٰ ﴿إِحۡدَىٰهُمَا﴾ الشهادةَ لنقْص عقلهن وضبطهنَّ ﴿فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا﴾ الذاكرةُ ﴿ٱلۡأُخۡرَىٰۚ﴾ الناسيةَ، وجملةُ التذكير محلُّ العلَّة، أي: لِتُذَكِّرَ إن ضلَّت، ودخلت علىٰ الضلال لأنه سببه، ﴿وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا﴾، زائدة ﴿دُعُواْۚ﴾ إلىٰ تحمُّل الشهادة وأدائها ﴿وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ﴾: تملُّوا من ﴿أَن تَكۡتُبُوهُ﴾ أي: ما شهدتم عليه من الحق لكثرة وقوع ذلك ﴿صَغِيرًا﴾ كان ﴿أَوۡ كَبِيرًا﴾: قليلاً أو كثيراً ﴿إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ﴾: وقت حُلوله، حال من الهاء في (تكتبوه) ﴿ذَٰلِكُمۡ﴾ أي: الكَتْبُ ﴿أَقۡسَطُ﴾: أعدلُ ﴿عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ﴾ أي: أعْوَنُ علىٰ إقامتها لأنه يُذكِّرها ﴿وَأَدۡنَىٰٓ﴾: أقرب إلىٰ ﴿أَ﴾نْ ﴿لا تَرۡتَابُوٓاْ﴾: تشكُّوا في قدر الحق والأجل ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ﴾: تقع ﴿تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ﴾ فـ(تكون) ناقصة، واسمها ضمير يعود علىٰ التجارة ﴿تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ﴾ أي: تقبضونها ولا أجل فيها. ﴿فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ﴾ في ﴿أَ﴾نْ ﴿لا تَكۡتُبُوهَاۗ﴾ والمُراد بالتجارة المتَّجرُ فيه ﴿وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ﴾ عليه، فإنه أدفعُ للاختلاف، وهذا وما قبله أَمْرُ نَدْبٍ ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ﴾ صاحب الحقِّ ومَنْ عليه بتحريف، أو امتناع من الشهادة، أو الكتابة، أو لا يضرُّهما صاحبُ الحق، بتكليفهما ما لا يليق في الكتابة والشهادة ﴿وَإِن تَفۡعَلُواْ﴾ ما نُهيتم عنه ﴿فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ﴾: خُروج عن الطاعة لاحِقٌ ﴿بِكُمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ﴾ في أمره ونهيه ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾ مصالحَ أمورِكم، حال مقدرة، أو مستأنف ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾.

ثلاثة أرباع الحزب

۞ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۚ أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

٢٨٣ - ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ أي: مسافرين وتداينتم ﴿وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ﴾ جمع رَهْنٍ، ﴿مَّقْبُوضَةٌ﴾ تستوثقون بها. وبيَّنت السُّنَّةُ جواز الرهن في الحَضَر ووجودِ الكاتب، فالتقييدُ بما ذُكر، لأنَّ التوثيق فيه أشدُّ، وأفاد قولُه: (مقبوضة) اشتراطَ القبض في الرهن، والاكتفاء به من المرتهن ووكيله ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ أي: الدائنُ المدينَ على حقِّه فلم يرتهن ﴿فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ﴾ أي: المدينُ ﴿أَمَانَتَهُ﴾: دَيْنه ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ في أدائه ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ﴾ إذا دُعيتم لإقامتها ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ خُصَّ بالذِكر لأنه محلُّ الشهادة، ولأنه إذا أَثِم، تَبِعه غيرُه، فيُعاقب عليه معاقبة الآثمين ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾: لا يخفى عليه شيءٌ منه.

٢٨٤ - ﴿لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا﴾: تُظْهروا ﴿مَا فِي أَنفُسِكُمْ﴾ من السوء والعزم عليه ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾: تُسِرُّوه ﴿يُحَاسِبْكُم﴾: يخبركم ﴿بِهِ اللَّهُ﴾ يوم القيامة ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾ المغفرة له ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ تعذيبه، ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه محاسبتُكم وجزاؤُكم.

٢٨٥ - ﴿آمَنَ﴾: صدَّق ﴿الرَّسُولُ﴾ محمدٌ ﷺ ﴿بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ﴾ من القرآن ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ عطفٌ عليه ﴿كُلٌّ﴾، تنوينه عِوض من المضاف إليه ﴿آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ يقولون: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ فنؤمن ببعض ونكفر ببعض، كما فعل اليهود والنصارى ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا﴾ أي: ما أُمرنا به سَماعَ قبول ﴿وَأَطَعْنَا﴾، نسألك ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾: المرجع بالبعث، ولما نزلت الآية قبلَها، شكا المؤمنون من الوسوسة، وشقَّ عليهم المحاسبةُ بها، فنزل:

٢٨٦ - ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ أي: ما تَسعُهُ قدرتُها ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ من الخير، أي: ثوابه ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ من الشرِّ، أي: وِزْره، ولا يؤاخَذُ أحدٌ بذنب أحد، ولا بما لم يكسبه مما وسوستْ به نفسه، قولوا: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا﴾ بالعقاب ﴿إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾: تركنا الصواب لا عن عَمْدٍ، كما آخَذْتَ به مَنْ قَبْلَنا، وقد رفع الله ذلك عن هذه الأمَّة كما ورد في الحديث الذي أخرجه مسلم (١٢٥). فسؤاله اعترافٌ بنعمة الله ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا﴾: أمراً يَثْقُلُ علينا حملُه ﴿كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ أي: بني إسرائيل، من قتل النفس في التوبة، وإخراج رُبُع المال في الزكاة، وقَرْضِ موضع النجاسة ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ﴾: قوة ﴿لَنَا بِهِ﴾ من التكاليف والبلاء ﴿وَاعْفُ عَنَّا﴾: امْحُ ذنوبنا ﴿وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا﴾ في الرحمة زيادة على المغفرة ﴿أَنتَ مَوْلَانَا﴾: سيِّدُنا ومُتولِّي أمورنا ﴿فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ بإقامة الحجة والغلبة في قتالهم، فإن من شأن المولى أن ينصُرَ مواليَه على الأعداء، وفي الحديث الذي أخرجه مسلم (١٢٦) لما نزلت هذه الآية، فقرأها ﷺ، قيل له عَقِبَ كل كلمة: قد فعَلْتُ.

سورة آل عمران

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٦﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿٩﴾

سورة آل عمران

مدنية، مئتان، أو إلّا آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ ـ ﴿الٓمٓ﴾ الله أعلم بمراده بذلك. ٢ ـ ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾. ٣ ـ ﴿نَزَّلَ عَلَيۡكَ﴾ يا محمد ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾ القرآن ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾: بالصِّدق في أخباره، والجارّ والمجرور متعلّقان بمحذوف، فيكون في محل نصب على الحال من الكتاب. ﴿مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾: قبلَه من الكتب ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ﴾. ٤ ـ ﴿مِن قَبۡلُ﴾ أي: قبلَ تنزيله ﴿هُدٗى﴾، حال، بمعنى هادِيَيْن من الضَّلالة ﴿لِّلنَّاسِ﴾ ممن تبِعهما، ﴿وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ﴾ بمعنى الكتب الفارقة بين الحق والباطل، وذِكْرُهُ بعد ذكر الثلاثة ليَعُمَّ ما عداها. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: القرآنِ وغيره ﴿لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ﴾: غالبٌ على أمره، فلا يمنعُه شيء من إنجاز وعده ووعيده ﴿ذُو ٱنتِقَامٍ﴾: عقوبة شديدة ممن عصاه، لا يقدر على مثلها أحد. ٥ ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ﴾: كائن ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ لِعلمه بما يقع في العالَم من كلّيٍّ وجزئيٍّ، وخصَّهما بالذكر لأن الحسَّ لا يتجاوزهما. ٦ ـ ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ﴾ من ذكورة وأنوثة، وبياض وسواد، وغير ذلك ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ في صُنعه. ٧ ـ ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ﴾: واضحاتُ الدَّلالة ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾: أصلُه المعتمد عليه في الأحكام ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ﴾: لا تُفهم معانيها كأوائل السور، وجَعلُه كلِّه مُحكَماً في قوله: (أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ) بمعنى أنه ليس فيه عيبٌ، ومُتشابهاً في قوله: (كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا) بمعنى أنه يُشبه بعضُه بعضاً في الحُسْن والصدق ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ﴾: مَيْلٌ عن الحق ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ﴾: طلَبَ ﴿ٱلۡفِتۡنَةِ﴾ لجُهّالهم، بوقوعهم في الشبهات واللَّبس ﴿وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ﴾: تفسيره ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ﴾: تفسيره ﴿إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾ وحدَه ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ﴾: الثابتون المتمكِّنونَ ﴿فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾، مبتدأ، خبره: ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ أي: بالمتشابه أنه من عند الله، ولا نعلم معناه ﴿كُلّٞ﴾ من المُحكم والمتشابه ﴿مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ﴾، بإدغام التاء في الأصل في الذال، أي: يتّعظ ﴿إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾: أصحابُ العقول. ٨ ـ ويقولون أيضاً إذا رأوا من يتَّبعه: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا﴾: تُمِلْها عن الحق بابتغاءِ تأويله الذي لا يليق بنا، كما أزَغْتَ قلوبَ أولئك ﴿بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا﴾: أرشدْتَنا إليه ﴿وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ﴾: من عندك ﴿رَحۡمَةًۚ﴾: تثبيتاً ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ﴾. ٩ ـ يا ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ﴾: تجمعُهم ﴿لِيَوۡمٖ﴾ أي: في يوم ﴿لَّا رَيۡبَ﴾: شكَّ ﴿فِيهِۚ﴾ هو يوم القيامة، فتُجازيهم بأعمالهم كما وَعَدْتَ بذلك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾: موْعِدَه بالبعث. فيه التفاتٌ عن الخطاب، ويحتمل أن يكون من كلامه تعالى، والغرضُ من الدعاء بذلك بيانُ أن همَّهم أمرُ الآخرة، ولذلك سألوا الثباتَ على الهداية لينالوا ثوابَها. روى البخاري (٤٥٤٧) ومسلم (٢٦٦٥) عن عائشة رضي الله عنها قالت: تلا رسولُ الله ﷺ هذه الآية: (هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ) إلى آخرها، وقال: «فإذا رأيتِ الذين يتّبعون ما تشابَهَ منه، فأولئك الذين سمَّى اللهُ فاحذَروهم»، وروى الطبرانيُّ في «الكبير» عن أبي مالك الأشعري أنه سمع النبي ﷺ يقول: «ما أخاف على أمّتي إلّا ثلاث خلال» وذكر منها: «أن يُفتح لهم الكتابُ، فيأخذَه المؤمنُ يبتغي تأويلَه، وليس يعلم تأويله إلّا الله، والراسخونَ في العلم يقولون: آمنَّا به كلٌّ من عند ربنا، وما يذَّكّر إلّا أولو الألباب» الحديث. رواه الطبراني في «الكبير» (٣/ ٢٩٣). وقد ورد في الأصل اسم الصحابي خطأً (أبو موسى)، والتصويب من «المعجم الكبير».

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾

الجزب ٦

١٠ ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ﴾: تدفع ﴿عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾: أي: عذابه ﴿شَيْـًٔا ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ﴾ بفتح الواو: ما تُوقد به.

١١ ـ دأبهم ﴿كَدَأْبِ﴾: كعادة ﴿ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ﴾ من الأمم، كعاد وثمود ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ﴾: أهلكهم ﴿بِذُنُوبِهِمْ ۗ﴾، والجملة مفسِّرة لما قبلَها ﴿وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾.

١٢ ـ ونزل لما أَمرَ النبي ﷺ اليهودَ بالإسلام مَرْجِعَهُ من بدر، فقالوا له: لا يغرنَّك أن قتلتَ نفراً من قريش أغماراً لا يعرفون القتال: ﴿قُل﴾ يا محمد ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من اليهود: ﴿سَتُغْلَبُونَ﴾ في الدنيا بالقتل والأسر وضَرْبِ الجزية، وقد وقع ذلك ﴿وَتُحْشَرُونَ﴾ في الآخرة ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ﴾ فتدخلونها ﴿وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾: الفراش هي.

١٣ ـ ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ﴾: عبرةٌ، وذُكِّرَ الفعلُ للفصل ﴿فِى فِئَتَيْنِ﴾: فرقتين ﴿ٱلْتَقَتَا ۖ﴾ يومَ بدر للقتال ﴿فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: طاعته. وهم النبي وأصحابه، وكانوا ثلاث مئة وثلاثةَ عشرَ رجلاً، معهم فَرسانِ، وسِتُّ أَدْرُع، وثمانيةُ سُيوف، وأكثرهم رَجّالَةٌ ﴿وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم﴾ أي: الكفار ﴿مِّثْلَيْهِمْ﴾ أي: المسلمين، أي: أكثر منهم، وكانوا نحو ألف ﴿رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ﴾ أي: رؤية ظاهرة معاينة، وقد نصرهم الله مع قِلَّتهم ﴿وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ﴾: يقوّي ﴿بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ﴾ نصره ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾: لِذوي البصائر، أفلا تعتبرونِ بذلك فتؤمنون؟

١٤ ـ ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾: ما تشتهيه النفس وتدعُو إليه، زيَّنها الله ابتلاءً، أو الشيطانُ ﴿مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ﴾: الأموال الكثيرة ﴿ٱلْمُقَنطَرَةِ﴾: المُجمَّعة ﴿مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ﴾: الحِسان ﴿وَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ أي: الإبل والبقر والغنم ﴿وَٱلْحَرْثِ ۗ﴾: الزرع ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ﴾: يُتمتَّعُ به فيها ثم يفنىٰ ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾: المرجعُ، وهو الجنة، فينبغي الرغبةُ فيه دون غيره.

١٥ ـ ﴿قُلْ﴾ يا محمد لقومك: ﴿أَؤُنَبِّئُكُم﴾: أخبركم ﴿بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ﴾ المذكور من الشهوات؟ استفهام تقرير: ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ﴾ الشركَ ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾، خبرٌ، مبتدؤه: ﴿جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ﴾ أي: مقدِّرين الخلودَ ﴿فِيهَا﴾ إذا دخلوها ﴿وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ من الحيض وغيره مما يُستقذر ﴿وَرِضْوَٰنٌ﴾، بكسر أوله، أي: رضًى كثير ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ﴾: عالمٌ ﴿بِٱلْعِبَادِ﴾ فيجازي كلّاً منهم بعمله.

ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾

١٦ ـ ﴿ٱلَّذِينَ﴾، نعت أو بدل من (الذين) قبله ﴿يَقُولُونَ﴾: يا ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا﴾: صدَّقنا بك وبرسولك ﴿فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾.

١٧ ـ ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ علىٰ الطاعة وعن المعصية، نعت ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في الإيمان ﴿وَٱلْقَٰنِتِينَ﴾: المطيعين الله ﴿وَٱلْمُنفِقِينَ﴾: المتصدقين ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ﴾ الله بأن يقولوا: اللهم اغفر لنا ﴿بِٱلْأَسْحَارِ﴾: أواخر الليل، خُصَّت بالذِّكر لأنها وقت الغفلة ولذَّةِ النوم.

١٨ ـ ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾: بيَّن لخلقه بالدلائل والآيات ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ﴾ أي: لا معبود في الوجود بحق ﴿إِلَّا هُوَ وَ﴾ شهد بذلك ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ بالإقرار ﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ﴾ من الأنبياء والمؤمنين، بالاعتقاد واللفظ ﴿قَآئِمًۢا﴾ بتدبير مصنوعاته، ونصبُه علىٰ الحال، والعاملُ فيها معنىٰ الجملة، أي: تفرَّد ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾: بالعدل ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾، كرَّره تأكيداً ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في صنعه.

١٩ ـ ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ﴾ المَرْضِيَّ ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ هو ﴿ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ أي: الشرعُ المبعوثُ به الرسل، المبنيُّ علىٰ التوحيد ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾: اليهود والنصارىٰ في الدِّين، بأن وحَّد بعضٌ وكفَرَ بعضٌ ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ بالتوحيد ﴿بَغْيًۢا﴾ من الكافرين ﴿بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ أي: المجازاة له.

٢٠ ـ ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ﴾: خاصَمَك الكفارُ يا محمد في الدِّين ﴿فَقُلْ﴾ لهم: ﴿أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ﴾: انْقَدْتُ له أنا ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ﴾ وخُصَّ الوجهُ بالذكر لشرفه، فغيره أوْلىٰ ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾: اليهود والنصارىٰ ﴿وَٱلْأُمِّيِّۦنَ﴾: مشركي العرب: ﴿ءَأَسْلَمْتُمْ﴾ أي: أسلِموا ﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟﴾ من الضلال ﴿وَّإِن تَوَلَّوْا۟﴾ عن الإسلام ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ﴾: التبليغُ للرسالة ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ فيجازيهم بأعمالهم وهذا قبل الأمر بالقتال.

٢١ ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ﴾: بالعدل ﴿مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ وهذه الآية تشمل اليهود الذين كانوا يقتلون الأنبياء بغير حقّ، وتشمل الطواغيت والظلمة الذين يقتلون الدعاة إلىٰ الله الآمرين بالقسط والناهين عن المنكر. ﴿فَبَشِّرْهُم﴾: أعْلِمْهُمْ ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: مُؤلم، وذِكْرُ البِشارة تَهَكُّمٌ بهم، ودخلت الفاء في خبر (إنَّ) لشَبَهِ اسمها الموصول بالشرط.

٢٢ ـ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ﴾: بَطَلتْ ﴿أَعْمَٰلُهُمْ﴾: ما عملوا من خير كصدقة وصِلة رحم ﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ فلا اعتدادَ بها لعدم شرطها وهو الإسلام ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾: مانعين من العذاب.

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾

٢٣ ـ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: تنظُرْ ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا﴾: حظّاً ﴿مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: التوراة ﴿يُدْعَوْنَ﴾، حالٌ ﴿إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ عن قبول حُكمه. نزل في اليهود، زنىٰ منهم اثنان، فتحاكموا إلىٰ النبيِّ ﷺ فحكم عليهما بالرَّجم، فأبَوْا، فجيءَ بالتوراة، فُوجِدَ فيها، فرُجما، فغضبوا. وقيل في سبب النزول غير ذلك، ولم يصحّ في ذلك شيء. والآية علىٰ عمومها تدلّ علىٰ أنّ اليهود والنصارىٰ إذا دعوا إلىٰ التحاكم إلىٰ ما في كتابيهما تولّوا وهم معرضون.

٢٤ ـ ﴿ذَٰلِكَ﴾ التولّي والإعراضُ ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُواْ﴾ أي: بسبب قولهم: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾ أربعين يوماً، مدة عبادة آبائهم العجل، ثم تزول عنهم ﴿وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ من قولهم ذلك.

٢٥ ـ ﴿فَكَيْفَ﴾ حالُهم ﴿إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ﴾ أي: في يوم ﴿لَّا رَيْبَ﴾: شكَّ ﴿فِيهِ﴾: هو يوم القيامة ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ﴾ من أهل الكتاب وغيرهم جزاءَ ﴿مَّا كَسَبَتْ﴾: عَمِلت من خير وشرٍّ ﴿وَهُمْ﴾ أي: الناس ﴿لَا يُظْلَمُونَ﴾ بنقص حسنة، أو زيادة سيئة.

٢٦ ـ ونزل لمّا وعَد ﷺ أمته مُلكَ فارس والروم، فقال المنافقون: هيهات: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ﴾: يا الله ﴿مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي﴾: تُعطي ﴿ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ﴾ من خلقك ﴿وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾ بإيتائه ﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ بنزعه منه ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾ أي: والشرُّ ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

٢٧ ـ ﴿تُولِجُ﴾: تُدخِلُ ﴿ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ﴾: تُدخِلُه ﴿فِي ٱلَّيْلِ﴾ فيزيدُ كلٌّ منهما بما نقص من الآخر ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ كالإنسان والطائر، من النطفة والبيضة ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ﴾ كالنطفة والبيضة ﴿مِنَ ٱلْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي: رزقاً واسعاً.

٢٨ ـ ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ﴾ يوالونهم ﴿مِن دُونِ﴾ أي: غير ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ أي: يُواليهم ﴿فَلَيْسَ مِنَ﴾ دين ﴿ٱللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾، مصدر (تقَيْته) أي: تخافوا مخافةً، فلكم موالاتُهم باللسان دون القلب، وهذا قبل عزة الإسلام، ويجري في مَنْ هو في بلد ليس قويّاً فيها ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ﴾: يُخوِّفُكم ﴿ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ أن يغضبَ عليكم إن واليتُموهم ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾: المرجع، فيُجازيكم.

٢٩ ـ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿إِن تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾: قلوبكم من مُوالاتهم ﴿أَوْ تُبْدُوهُ﴾: تُظْهِرُوه ﴿يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَ﴾ هو ﴿يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه تعذيبُ مَنْ والاهم.

يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾

٣٠ ـ اذكر ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ه ﴿مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ﴾ه ﴿مِن سُوٓءٍ﴾، مبتدأ، خبرُه: ﴿تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾: غاية في نهاية البُعد، فلا يصل إليها ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾، كُرِّرَ للتأكيد ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾. ٣١ ـ ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد: ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ لمن اتّبعني ما سلف منه قبل ذلك ﴿رَّحِيمٌ﴾ به. ٣٢ ـ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ فيما يأمركم به من التوحيد ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾: أعرضوا عن الطاعة ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، فيه إقامةُ الظاهر مقام المُضمر، أي: لا يُحبهم. ٣٣ ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾: اختار ﴿ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ﴾ بمعنىٰ أنفسهما: أي: واصطفىٰ إبراهيم وعمران. وعدّىٰ الفعل (اصطفىٰ) بـ (علىٰ) لأنه ضُمِّنَ معنىٰ (فَضَّلَ) أي: فضَّلهم بالاصطفاء ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ بجعل الأنبياء من نسلهم. ٣٤ ـ ﴿ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ﴾ ولدِ ﴿بَعْضٍ﴾ منهم، ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾. ٣٥ ـ اذكر ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ﴾ (حَنَّة) لما أسنَّت واشتاقت للولد، فدعَتِ الله وأحسَّتْ بالحمل: يا ﴿رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ﴾ أَنْ أجعلَ ﴿لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا﴾: عتيقاً خالصاً من شواغل الدنيا مفرغاً للعبادة ولخدمة بيتك المقدس ﴿فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ﴾ للدعاء ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بالنيّات، وهلك عمران وهي حامل. ٣٦ ـ ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا﴾: وَلَدَتْها جارية، وكانت ترجُو أن يكونَ غلاماً، إذ لم يكن يُحرَّر إلّا الغلمان ﴿قَالَتْ﴾ معتذرة: يا ﴿رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ﴾ أي: عالِمٌ ﴿بِمَا وَضَعَتْ﴾، جملة اعتراض من كلامه تعالىٰ ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ﴾ الذي طلبتُ ﴿كَٱلْأُنثَىٰ﴾ التي وُهِبْتُ، لأنه يُقصد للخدمة، وهي لا تصلح لها لضَعْفِها وعَوْرَتها، وما يعتريها من الحيض ونحوه ﴿وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا﴾: أولادها ﴿مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾: المطرود. في الحديث: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إلّا مَسَّهُ الشيطانُ حين يُولَدُ، فيَستَهِلُّ صارخاً إلّا مريمَ وابنَها» رواه الشيخان: البخاري (٣٤٣١)، ومسلم (٢٣٦٦). ٣٧ ـ ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا﴾ أي: قَبِلَ مريمَ من أمها ﴿بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾: أنشأها بخَلق حسن، وأتَتْ بها أُمُّها الأحبارَ سدنةَ بيت المقدس، فقالت: دونكم هذه النذيرة، فتنافسوا فيها لأنها بنتُ إمامهم، فقال زكريا: أنا أحقُّ بها لأن خالتها عندي، فقالوا: لا، حتىٰ نقترع. فانطلقوا ـ وهم تسعة وعشرون ـ إلىٰ نهر الأردن، وألقوْا أقلامَهم، علىٰ أنَّ من ثَبَتَ قلمُه في الماء وصعد فهو أوْلىٰ بها، فثبت قلمُ زكريا، فأخذها، وبنىٰ لها غُرفةً في المسجد بسُلَّم لا يصعَد إليها غيرُه، وكان يأتيها بأكلها وشربها ودهنها، فيجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف، كما قال تعالىٰ: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾: ضمَّها إليه، و(زكريا) مفعول به والفاعل ضمير يعود علىٰ الله ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ﴾ الغرفة، وهي أشرف المجالس ﴿وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ﴾: من أين ﴿لَكِ هَٰذَا قَالَتْ﴾ وهي صغيرة: ﴿هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾: يأتيني به من الجنة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ رزقاً واسعاً بلا تبعة.

هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِي وَٱرْكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾

٣٨ ـ ﴿هُنَالِكَ﴾ أي: لما رأىٰ زكريا ذلك، وعلم أنَّ القادر علىٰ الإتيان بالشيء في غير حينه قادر علىٰ الإتيان بالولد علىٰ الكِبَر، وكان أهلُ بيته انقرضوا ﴿دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ﴾ لما دخلَ المحرابَ للصلاة جوفَ الليل ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ﴾: من عندك ﴿ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾: ولداً صالحاً ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ﴾: مجيبُ ﴿ٱلدُّعَآءِ﴾.

٣٩ ـ ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ﴾ أي: المسجد ﴿أَنَّ﴾ أي: بأن ﴿ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ﴾ كائنة ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: بعيسىٰ، وسُمي كلمةً لأنه خُلِقَ بكلمة: (كُنْ) ﴿وَسَيِّدًا﴾: متبوعاً ﴿وَحَصُورًا﴾: ممنوعاً من النساء ﴿وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ روي أنه لم يعمل خطيئة ولم يَهُمَّ بها.

٤٠ ـ ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ﴾: كيف ﴿يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ﴾: ولدٌ ﴿وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ﴾ أي: بلغتُ نهاية السن ﴿وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ وهي كبيرة أيضاً ﴿قَالَ﴾: الأمر ﴿كَذَٰلِكَ﴾ من خلقِ اللهِ غلاماً منكما ﴿ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾: لا يُعجزه عنه شيءٌ، ولإظهار هذه القدرة العظيمة ألهمه السؤال لِيُجاب بها. ولما تاقتْ نفسه إلىٰ سرعة المبشَّر به:

٤١ ـ ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً﴾ أي: علامة علىٰ حمل امرأتي ﴿قَالَ ءَايَتُكَ﴾ عليه ﴿أَ﴾نْ ﴿لا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ﴾ أي: تمتنع من كلامهم، بخلاف ذكر الله تعالىٰ ﴿ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾ أي: بلياليها ﴿إِلَّا رَمْزًا﴾: إشارةً، ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ﴾: صَلِّ ﴿بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾: أواخرَ النهار وأوائله.

٤٢ ـ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ﴾: اختاركِ ﴿وَطَهَّرَكِ﴾ من مسيس الرجال ﴿وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: أهل زمانك.

٤٣ ـ ﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِي لِرَبِّكِ﴾: أطيعيه ﴿وَٱسْجُدِي وَٱرْكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ أي: صَلِّي مع المصلين.

٤٤ ـ ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور من أمر زكريا ومريم ﴿مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ﴾: أخبار ما غاب عنك ﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ﴾ في الماء يقترعون ليظهر لهم ﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ﴾: يُربّي ﴿مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ في كفالتها، فتعرف ذلك، فتخبر به، وإنما عَرَفْتَه من جهة الوحي.

٤٥ ـ اذكر ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾ أي: ولد ﴿ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ خاطبها بنسبته إليها تنبيهاً علىٰ أنها تَلِدُه بلا أب، إذ عادةُ الرجال نسبتهم إلىٰ آبائهم ﴿وَجِيهًا﴾: ذا جاه ﴿فِي ٱلدُّنْيَا﴾ بالنبوة ﴿وَٱلْآخِرَةِ﴾ بالشفاعة والدرجات العلا ﴿وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ عند الله.

وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾

نصف الحزب ٦

٤٦ ـ ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ﴾ أي: طفلاً قبل وقت الكلام ﴿وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

٤٧ ـ ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ﴾: كيف ﴿يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ﴾ بتزوُّج ولا غيره ﴿قَالَ﴾: الأمر ﴿كَذَٰلِكِ﴾ مِنْ خلْقِ ولدٍ منك بلا أب ﴿ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾: أراد خلقه ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ أي: فهو يكون.

٤٨ ـ ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ﴾: الخطَّ ﴿وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾.

٤٩ ـ ﴿وَ﴾ نجعله ﴿رَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ في الصِّبا، أو بعد البلوغ، فنفَخَ جبريلُ في جيب درعها، فحملت، وكان من أمرها ما ذُكِرَ في سورة مريم، فلما بعثه اللهُ إلىٰ بني إسرائيل قال لهم: إني رسولُ الله إليكم ﴿أَنِّى﴾ أي: بأني ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ﴾: علامة علىٰ صدقي ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ هي ﴿أَنِّىٓ أَخْلُقُ﴾: أُصوِّر ﴿لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ﴾: مِثل صورته، فالكاف اسم، مفعول به لـ (أخلق) ﴿فَأَنفُخُ فِيهِ﴾، الضمير للكاف ﴿فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: بإرادته، فخلقَ لهم الخُفَّاش لأنه أكملُ الطيرِ خَلْقاً، فكان يطيرُ وهم ينظرونه، فإذا غابَ عن أعينهم، سقَطَ ميِّتاً ﴿وَأُبْرِئُ﴾: أشفي ﴿ٱلْأَكْمَهَ﴾ الذي وُلد أعمىٰ ﴿وَٱلْأَبْرَصَ﴾ وخُصّا بالذكر لأنهما داءا إعياء. وكان بعثُه في زمن الطب، فأبرأ الكثير بالدعاء بشرط الإيمان ﴿وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ كرَّره لنفي توهّم الألوهية فيه ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ﴾: تُخبئون ﴿فِى بُيُوتِكُمْ﴾ مما لم أُعاينْه، فكان يُخبر الشخص بما أكل، وبما يأكل بعدُ ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

٥٠ ـ ﴿وَ﴾ جئتكم ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ﴾: قبلي ﴿مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ فيها، فأحلَّ لهم بعض ما حرم عليهم وقيل: أحل الجميع، فـ(بعض) بمعنىٰ (كل) ﴿وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ كرره تأكيداً، وليبنيَ عليه ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ فيما آمرُكم به من توحيد الله وطاعته.

٥١ ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا﴾ الذي آمركم به ﴿صِرَٰطٌ﴾: طريقٌ ﴿مُّسْتَقِيمٌ﴾ فكذبوه، ولم يؤمنوا به.

٥٢ ـ ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ﴾: عَلِمَ ﴿عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ﴾ وأرادوا قتلَه ﴿قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ﴾: أعواني، ذاهباً ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ لأنصر دينه ﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾: أعوانُ دينه، وهم أصفياء عيسىٰ أولُ من آمن به، وكانوا اثني عشر رجلاً، من (الحَوَر) وهو البياض الخالص، وقيل: كانوا قَصَّارين يُحَوِّرون الثياب، أي: يُبيِّضونها، والحواريّ: الناصر، كما ثبت في «الصحيحين»: البخاري (٢٨٤٦) ومسلم (٢٤١٥)، أنه ﷺ قال: «إن لكلّ نبيٍّ حوارِيّاً، وحوارِيِّ الزبير».

﴿ءَامَنَّا﴾: صدَّقنا ﴿بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ﴾ يا عيسىٰ ﴿بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾

٥٣ ـ ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ﴾ من الإنجيل ﴿وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ﴾ عيسىٰ ﴿فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ لك بالوحدانية، ولرسولك بالصدق. ٥٤ ـ قال تعالىٰ: ﴿وَمَكَرُوا۟﴾ أي كفّارُ بني إسرائيل بعيسىٰ، إذ وكّلوا به من يقتلُه غِيلةً ﴿وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ بهم، بأن ألقىٰ شَبَه عيسىٰ علىٰ من قصد قتله، فقتلوه، ورفع عيسىٰ إلىٰ السماء ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾: أي: أقواهم مكراً وأحذرهم. ٥٥ ـ اذكر ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ﴾: قابضك، أي: قابضك من الأرض، وذلك من قولهم: توفيّتُ مالي. أو متوفّيك نائماً، ويكون المراد بالوفاة النوم كما قال تعالىٰ: (وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ) وقال: (ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا). ﴿وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ من الدنيا من غير موت ﴿وَمُطَهِّرُكَ﴾: مُبْعِدُك ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ﴾: صدّقوا بنُبُوّتك من المسلمين والنصارىٰ ﴿فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ بك، وهم اليهود، يَعْلُونهم بالحُجّة والسيف ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ من أمر الدين. ٥٦ ـ ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا﴾ بالقتل والسَّبي والجِزْيَة ﴿وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ بالنار ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾: مانعين منه. ٥٧ ـ ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: يعاقبهم. رُوي أن الله تعالىٰ أرسلَ إليه سحابة، فرفعته، فتعلقت به أمُّه وبكت، فقال لها: إن القيامة تجمعنا، وكان ذلك ليلةَ القدر ببيت المقدس، وله ثلاث وثلاثون سنة، وعاشت أمه بعده ستَّ سنين، وروىٰ البخاري (٣٤٤٨) ومسلم (١٥٥) حديث: أنه ينزلُ قُرب الساعة، ويحكمُ بشريعة نبينا، ويقتلُ الدَّجّال والخنزير، ويكسر الصليب، ويَضَعُ الجزية، وفي حديث مسلم (٢٩٤٠): أنه يمكُثُ سبعَ سنين، وفي حديث عند أبي داود الطيالسي: أربعين سنة ويُتوفّىٰ ويُصلّىٰ عليه، فيحتمل أن المرادَ مجموعُ لَبْثِه في الأرض قبل الرفع وبعده. ٥٨ ـ ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور من أمر عيسىٰ ﴿نَتْلُوهُ﴾: نقصُّهُ ﴿عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿مِنَ ٱلْءَايَٰتِ﴾، حال من الهاء من (نتلوه) وعامله ما في (ذلك) من معنىٰ الإشارة ﴿وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ﴾: المُحكم، أي: القرآن. ٥٩ ـ ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ﴾: شأنه الغريب ﴿عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾: كشأنه في خلقه من غير أب، وهو من تشبيه الغريب بالأغرب، ليكون أقْطعَ للخصم، وأوقعَ في النفس ﴿خَلَقَهُۥ﴾ أي: آدم ﴿مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن﴾ بشراً ﴿فَيَكُونُ﴾ أي: فكان، وكذلك عيسىٰ، قال له: كُن من غير أب، فكان. ٦٠ ـ ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾، خبر مبتدأ محذوف، أي: أمر عيسىٰ ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾: الشاكّين فيه. ٦١ ـ ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ﴾: جادَلك من النصارىٰ ﴿فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ بأمره ﴿فَقُلْ﴾ لهم: ﴿تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ فنجمعُهم ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾: نتضرَّع في الدعاء ﴿فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ بأن نقول: اللهم العَنِ الكاذبَ في شأن عيسىٰ، وقد دعا ﷺ وفد نجران لذلك لما حاجُّوه فيه، فقالوا: حتىٰ ننظر في أمرنا، ثم نأتيك، فقال ذو رأيهم: لقد عرفتُم نبوته، وأنه ما باهَلَ قومٌ نبيّاً إلا هَلَكوا، فوادِعوا الرجل وانصَرِفوا، فأتوه وقد خرج ومعه الحسنُ والحسينُ وفاطمة وعليٌّ، وقال لهم: «إذا دعوتُ فأمِّنوا»، فأبَوْا أن يُلاعنوا، وصالحوه علىٰ الجزية، رواه أبو نُعيم، وعن ابن عباس قال: لو خرج الذين يباهلون، لرجعوا لا يجدون مالاً ولا أهلاً، وروي: لو خرجوا لاحترقوا.

إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾

٦٢ ـ ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ المذكور ﴿لَهُوَ ٱلْقَصَصُ﴾: الخبر ﴿ٱلْحَقُّ﴾ الذي لا شكَّ فيه ﴿وَمَا مِنْ﴾، زائدة ﴿إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في صنعه.

٦٣ ـ ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾: أعرضوا عن الإيمان ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾ فيُجازيهم، وفيه وضع الظاهر موضع المضمر.

٦٤ ـ ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: اليهود والنصارىٰ ﴿تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ﴾ مصدر بمعنىٰ مستوٍ أمرُها ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ هي ﴿أَ﴾نْ ﴿لا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ كما اتخذتم الأحبار والرهبان ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾: أعرضوا عن التوحيد ﴿فَقُولُوا۟﴾ أنتم لهم: ﴿ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾: مُوحِّدون.

٦٥ ـ ونزل لما قال اليهود: إبراهيمُ يهوديٌّ ونحن علىٰ دينه، وقالت النصارىٰ كذلك: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ﴾: تخاصمون ﴿فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ بزعمكم أنه علىٰ دينكم ﴿وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾ بزمن طويل، وبعد نزولهما حدثت اليهودية والنصرانية ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ بطلانَ قولكم؟

٦٦ ـ ﴿هَٰٓ﴾، للتنبيه ﴿أَنتُمْ﴾ مبتدأ، يا ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ والخبر: ﴿حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ من أمر موسىٰ وعيسىٰ وزَعْمِكم أنكم علىٰ دينهما ﴿فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ من شأن إبراهيم ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ شأنه ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، قال تعالىٰ تبرئةً لإبراهيم:

٦٧ ـ ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا﴾: مائلاً عن الأديان كلِّها إلىٰ الدِّين القيِّم ﴿مُّسْلِمًا﴾: مُوحِّداً ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

٦٨ ـ ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ﴾: أحقَّهم ﴿بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾ في زمانه ﴿وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ﴾: محمد، لموافقته له في أكثر شرعه ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ من أمته، فهم الذين ينبغي أن يقولوا: نحنُ علىٰ دينه لا أنتم ﴿وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: ناصرهُم وحافظُهم.

٦٩ ـ ﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ لأن إثم إضلالهم عليهم، والمؤمنون لا يُطيعونهم فيه ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ بذلك.

٧٠ ـ ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: القرآن المشتمل علىٰ نعت محمد ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾: تعلمونَ أنه حق؟.

يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٞ مِّثۡلَ مَآ أُوتِيتُمۡ أَوۡ يُحَآجُّوكُمۡ عِندَ رَبِّكُمۡۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٧٣﴾ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ۞ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ إِلَّا مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗاۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٞ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَىٰۚ مَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٧٧﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٦

٧١ ـ ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ﴾: تخلطون ﴿ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ بالتحريف والتزوير ﴿وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ﴾ أي: نَعْتَ النبي ﴿وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ أنه حق؟

٧٢ ـ ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾: اليهود لبعضهم: ﴿ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي: القرآن ﴿وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ﴾: أوّله ﴿وَٱكۡفُرُوٓاْ﴾ به ﴿ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ﴾ أي: المؤمنين ﴿يَرۡجِعُونَ﴾ عن دينهم إذ يقولون: ما رَجع هؤلاء عنه بعد دخولهم فيه وهم أولو علم إلا لِعلمِهِم بُطلانَه.

٧٣ ـ وقالوا أيضاً: ﴿وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ﴾: تُصدِّقوا ﴿إِلَّا لِمَن﴾، اللام زائدة ﴿تَبِعَ﴾: وافق ﴿دِينَكُمۡ﴾ قال تعالىٰ: ﴿قُلۡ﴾ لهم يا محمد: ﴿إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ الذي هو الإسلام، وما عداه ضلال، والجملة اعتراض ﴿أَن﴾ أي: بأن ﴿يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٞ مِّثۡلَ مَآ أُوتِيتُمۡ﴾ من الكتاب والحكمة والفضائل و(أن) وما بعدها في محل نصب مفعول به لـ(تؤمنوا) ويمكن أن يكون معنىٰ (تؤمنوا): (تقرّوا)، ويكون المعنىٰ عندئذٍ: لا تُقرُّوا بأنَّ أحداً يُؤتىٰ ذلك إلّا لمن تَبع دينكم ﴿أَوۡ﴾ بأن ﴿يُحَآجُّوكُمۡ﴾ أي: المؤمنون، يغلبوكم ﴿عِندَ رَبِّكُمۡۗ﴾ يوم القيامة، لأنكم أصحُّ ديناً، قال تعالىٰ: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ﴾ فمن أين لكم أنه لا يُؤتىٰ أحدٌ مثل ما أوتيتُم؟ ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾: كثير الفضل ﴿عَلِيمٞ﴾ بمن هو أهله.

٧٤ ـ ﴿يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾.

٧٥ ـ ﴿وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ﴾ أي: بمال كثير ﴿يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ﴾ لأمانته كعبد الله بن سلام، أوْدَعَهُ رجلٌ ألفاً ومئتي أُوقِيَةٍ ذهباً، فأدَّاها إليه ﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ﴾ لخيانته ﴿إِلَّا مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗاۗ﴾: لا تفارقُه، فمتىٰ فارقتَه أنكرَه، ككعب بن الأشرف، استودعه قرشي ديناراً فجحده ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: تركُ الأداء ﴿بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ﴾: بسبب قولهم: ﴿لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ﴾ أي: العرب ﴿سَبِيلٞ﴾ أي: إثم، لاستحلالهم ظُلْم من خالف دينهم، ونسبوه إليه تعالىٰ، قال تعالىٰ: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ﴾ في نسبة ذلك إليه ﴿وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ أنهم كاذبون.

٧٦ ـ ﴿بَلَىٰ﴾ عليهم فيه سبيل ﴿مَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ﴾ الذي عاهد عليه؛ أو بعهد الله إليه من أداء الأمانة وغيره ﴿وَٱتَّقَىٰ﴾ الله بترك المعاصي وعمل الطاعات ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾، فيه وضعُ الظاهر موضع المضمر، أي: يحبهم.

٧٧ ـ ونزل في اليهود لما بدّلوا نَعتَ النبيِّ ﷺ وعَهْدَ الله إليهم في التوراة، أو فيمن حلف كاذباً في دعوىٰ، أو في بيع سلعة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ﴾: يستبدلون ﴿بِعَهۡدِ ٱللَّهِ﴾ إليهم في الإيمان بالنبي وأداء الأمانة ﴿وَأَيۡمَٰنِهِمۡ﴾: حَلِفِهم به تعالىٰ كاذبين ﴿ثَمَنٗا قَلِيلًا﴾ من الدنيا ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ﴾: نصيبَ ﴿لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ غضباً عليهم ﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ﴾: يُطهِّرُهم ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾: مؤلم.

وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ ۚ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ۖ قَالُوا أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

٧٨ ـ ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ﴾ أي: أهل الكتاب ﴿لَفَرِيقًا﴾: طائفة، ككعب بن الأشرف ﴿يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ﴾ أي: يَعطِفُونها بقراءته عن المنزَّل إلىٰ ما حرَّفوه من نَعْتِ النبيِّ ﷺ ونحوه ﴿لِتَحْسَبُوهُ﴾ أي: المحرَّف ﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾ الذي أنزله الله ﴿وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنهم كاذبون.

٧٩ ـ ونزل لما قال نصارىٰ نجران: إن عيسىٰ أَمرَهم أن يتخذوه ربّاً، أو لما طلب بعضُ المسلمين السجودَ له ﷺ: ﴿مَا كَانَ﴾ ينبغي ﴿لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ﴾ أي: الفهم للشريعة ﴿وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن﴾ يقول: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾: علماء عاملين، منسوب إلىٰ الربِّ، بزيادة ألف ونون تفخيماً ﴿بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ أي: بسبب ذلك، فإن فائدته أن تعملوا.

٨٠ ـ ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ﴾، بالنصب عطفاً علىٰ (يقول) أي: البشر ﴿أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا﴾ كما اتخذتِ الصابئةُ الملائكةَ، واليهودُ عُزَيْراً، والنصارىٰ عيسىٰ.

﴿أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾؟ لا ينبغي له هذا.

٨١ ـ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ﴾: حين ﴿أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾: عهدَهم ﴿لَمَا﴾، بفتح اللام للابتداء وتوكيد معنىٰ القسم الذي في أخذ الميثاق، أي: للذي ﴿آتَيْتُكُم﴾ إياه ﴿مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ﴾ من الكتاب والحكمة، وهو محمد ﷺ ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ﴾ جواب القسم، إنْ أدركتموه، وأُممُهم تبعٌ لهم في ذلك.

﴿قَالَ﴾ تعالىٰ لهم: ﴿أَأَقْرَرْتُمْ﴾ بذلك ﴿وَأَخَذْتُمْ﴾: قَبِلْتم ﴿عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي﴾: عهدي.

﴿قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا﴾ علىٰ أنفسكم وأتباعكم بذلك ﴿وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾ عليكم وعليهم.

٨٢ ـ ﴿فَمَن تَوَلَّىٰ﴾: أعرضَ ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ الميثاق ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

٨٣ ـ ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ﴾، بالياء، أي: المتولون ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ﴾: انقادَ ﴿مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا﴾: بلا إباء ﴿وَكَرْهًا﴾: بالسيف، ومعاينة ما يُلجِئ إليه ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾، والهمزة للإنكار.

قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾

٨٤ ـ ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد:

﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ﴾: أولاده.

﴿وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ بالتصديق والتكذيب.

﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ مُخلصون في العبادة.

٨٥ ـ ونزل فيمن ارتد ولحق بالكفار: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ لمصيره إلىٰ النار المؤبَّدة عليه.

٨٦ ـ ﴿كَيْفَ﴾ أي: لا ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟﴾ أي: وشهادتهم.

﴿أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَ﴾ قد ﴿جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾: الحُجَجُ الظاهراتُ علىٰ صدقِ النبيِّ.

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: الكافرين.

٨٧ ـ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾.

٨٨ ـ ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ أي: اللعنة، أو النار المدلول بها عليها ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾: يُمْهَلُون.

٨٩ ـ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟﴾ عملَهم ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم.

٩٠ ـ ونزل في اليهود: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بعيسىٰ ﴿بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ بموسىٰ ﴿ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا﴾ بمحمد ﴿لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ إذا غرغروا أو ماتوا كفاراً بأن تابوا في الآخرة عند معاينة العذاب ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ﴾.

٩١ ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ﴾: مقدارُ ما يملؤها ﴿ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾.

أدخل الفاء في خبر (إنّ) لشبه (الذين) بالشرط، وإيذاناً بتسبب عدم القبول عن الموت علىٰ الكفر ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مؤلم ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾: مانعين منه.

لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ ۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ قُلْ فَأْتُواْ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾

٩٢ ـ ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ﴾ أي: ثوابه، وهو الجنة ﴿حَتَّىٰ تُنفِقُواْ﴾: تصدَّقوا ﴿مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ من أموالكم ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ فيجازي عليه.

٩٣ ـ ونزل لما قال اليهود: إنك تزعم أنك على ملَّة إبراهيم وكان لا يأكلُ لحومَ الإبل وألبانها ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا﴾: حلالاً ﴿لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ﴾: يعقوب ﴿عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾: وهو الإبل لمّا حصل له عِرْقُ النَّسَا ـ بالفتح والقصر ـ فنذرَ إن شُفي لا يأكلها، فحُرِّمَ عليهم ﴿مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ﴾ وذلك بعد إبراهيم، ولم تكن على عهده حراماً كما زعموا ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿فَأْتُواْ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ﴾ ليتبيَّنَ صدقُ قولكم ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ فيه، فبُهتوا، ولم يأتوا بها. ٩٤ ـ قال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ أي: ظهور الحجة بأن التحريم إنما كان من جهة يعقوب لا على عهد إبراهيم ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: المتجاوزون الحقَّ إلى الباطل. ٩٥ ـ ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ﴾ في هذا كجميع ما أخبر به ﴿فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ التي أنا عليها ﴿حَنِيفًا﴾: مائلاً عن كلِّ دين إلى الإسلام ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾. ٩٦ ـ ونزل لما قالوا: قِبْلَتُنا قبل قِبْلَتِكُم: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ﴾ مُتعبَّداً ﴿لِلنَّاسِ﴾ في الأرض ﴿لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾، بالباء، لغة في مكة، سُمِّيَتْ بذلك لأنها تَبُكُّ أعناق الجبابرة، أي: تدقُّها، بناه الملائكة قبل خلق آدم، ووُضع بعده الأقصى، وبينهما أربعون سنة كما في حديث «الصحيحين»: أخرجه البخاري (٣٣٦٦) ومسلم (٥٢٠). ﴿مُبَارَكًا﴾، حال من (الذي) أي: ذا بركة ﴿وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ لأنه قِبْلَتُهم. ٩٧ ـ ﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ﴾ منها ﴿مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ﴾ أي: الحَجَر الذي قام عليه عند بناء البيت، فأثَّر قدماه فيه، وبقي إلى الآن مع تطاول الزمان وتداول الأيدي عليه، ومنها تضعيف الحسنات فيه ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ لا يُتعَرَّضَ إليه بقتل، أو ظلم أو غير ذلك ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ واجب، بكسر الحاء مصدر (حج) بمعنى قصد، ويُبدَل من (الناس): ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾: طريقاً، فَسَّرَهُ ﷺ بالزاد والراحلة، رواه الحاكم في «المستدرك» (١/٤٤٢) وغيره ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ بالله أو بما فرضه من الحج ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: الإنس والجن والملائكة، وعن عبادتهم. ٩٨ ـ ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: القرآن ﴿وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم عليه. ٩٩ ـ ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ﴾: تصرِفُون ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: دينه ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ بتكذيبكم النبيَّ وكتم نعته ﴿تَبْغُونَهَا﴾ أي: تطلبون السبيل ﴿عِوَجًا﴾، مصدر بمعنى مُعوجة، أي: مائلة عن الحق ﴿وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ﴾: عالمون بأن الدينَ المرضيَّ القيم دينُ الإسلام كما في كتابكم ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ من الكفر والتكذيب، وإنما يؤخِّرُكم إلى وقتكم ليجازيكم. ١٠٠ ـ ونزل لما مرَّ بعض اليهود على الأوس والخزرج فغاظه تآلفُهم، فذكَّرهم بما كان بينهم في الجاهلية من الفتن، فتشاجروا وكادوا يقتتلون: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ﴾.

وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾

١٠١ ـ ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾، استفهام تعجيب وتوبيخ ﴿وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم﴾: يتمسك ﴿بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

١٠٢ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ بأن يُطاعَ فلا يُعصىٰ، ويُشكَرَ فلا يُكفر، ويُذكَرَ فلا يُنسىٰ، فقالوا: يا رسول الله، ومَن يقوىٰ علىٰ هذا؟ فنُسخ بقوله تعالىٰ: (فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ). وعن ابن عبّاس قال: لم تنسخ ولكن (حَقَّ تُقَاتِهِۦ) أن يجاهدوا في سبيله حقّ جهاده، ولا تأخذهم في الله لومة لائم ولو علىٰ أنفسهم وآبائهم وأبنائهم. ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾: مُوَحِّدون.

١٠٣ ـ ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟﴾: تمسّكوا ﴿بِحَبْلِ ٱللَّهِ﴾ أي: دينه ﴿جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ﴾ بعد الإسلام ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾: إنعامه ﴿عَلَيْكُمْ﴾ يا معشرَ الأوس والخزرج ﴿إِذْ كُنتُمْ﴾ قبل الإسلام ﴿أَعْدَآءً فَأَلَّفَ﴾: جمع ﴿بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ بالإسلام ﴿فَأَصْبَحْتُم﴾: فصِرْتُم ﴿بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ في الدين والولاية ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا﴾: طَرَفِ ﴿حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾: ليس بينكم وبين الوقوع فيها إلا أن تموتوا كفاراً ﴿فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ﴾ بالإيمان ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما بَيَّنَ لكم ما ذُكر ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

١٠٤ ـ ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ﴾: الإسلام ﴿وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ﴾ الدَّاعون، الآمرون، الناهون ﴿هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: الفائزون، و(من) للتبعيض، لأن ما ذُكر فرضُ كفاية لا يَلزم كلَّ الأمة، ولا يليق بكل أحد كالجاهل، وقيل: زائدة، أي: لتكونوا أمةً.

١٠٥ ـ ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟﴾ عن دينهم ﴿وَٱخْتَلَفُوا۟﴾ فيه ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ﴾ وهم اليهود والنصارىٰ ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

١٠٦ ـ ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ﴾ أي: يوم القيامة ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ وهم الكافرون، فيُلقون في النار، ويُقال لهم توبيخاً: ﴿أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ يوم أخذِ الميثاق ﴿فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

١٠٧ ـ ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ وهم المؤمنون ﴿فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ أي: جنّته ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

١٠٨ ـ ﴿تِلْكَ﴾ أي: هذه الآيات ﴿ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ بأن يأخذهم بغير جُرم.

وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ ۞ لَيْسُوا۟ سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾

ربع الحزب

١٠٩ ـ ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ مُلكاً وخَلقاً وعَبيداً ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ﴾: تصير ﴿ٱلْأُمُورُ﴾.

١١٠ ـ ﴿كُنتُمْ﴾ يا أمةَ محمد في علم الله تعالىٰ ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ﴾: أُظهرت ﴿لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ﴾ الإيمانُ ﴿خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ كعبد الله بن سلام ﷺ وأصحابه ﴿وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾: الكافرون.

١١١ ـ ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ﴾ أي: اليهود يا معشر المسلمين بشيءٍ ﴿إِلَّآ أَذًى﴾ باللسان من سبٍّ ووعيد ﴿وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ منهزمين ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ عليكم، بل لكم النصر عليهم.

١١٢ ـ ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟﴾: حيثما وُجدوا، فلا عِزَّ لهم ولا اعتصام ﴿إِلَّا﴾ كائنين ﴿بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾: المؤمنين، وهو عهدُهم إليهم بالأمان علىٰ أداء الجزية. وقوله: (وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ) نصٌّ عامٌّ يدخل فيه أيضاً غير المؤمنين، كما نرىٰ في وقتنا هذا من دعم أمريكا وإنكلترا وكثير من دول الغرب والشرق لليهود، إذ أقاموا لهم دولة في قلب بلاد المسلمين لتكون محققة لمصالحهم، ولتكون مخلباً للعدوان علىٰ المسلمين فكريّاً واقتصاديّاً وعسكريّاً، وقد أخبرنا ربُّنا أنّ اليهود والنصارىٰ بعضهم أولياء بعض في قوله سبحانه: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ) نسأل الله أن يعيد المسلمين إلىٰ دينهم، ويومئذٍ يعود لهم عزّهم ويطهرون بلادهم من هؤلاء الغزاة المعتدين. أي: لا عصمة لهم غير ذلك ﴿وَبَآءُو﴾: رجعوا ﴿بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ أي: بسبب أنهم ﴿كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ﴾، تأكيد ﴿بِمَا عَصَوا۟﴾ أمرَ الله ﴿وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾: يتجاوزون الحلال إلىٰ الحرام.

١١٣ ـ ﴿لَيْسُوا۟﴾ أي: أهل الكتاب ﴿سَوَآءً﴾: مستوين ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾: مستقيمةٌ ثابتةٌ علىٰ الحقّ كعبدِ الله بنِ سَلام ﷺ وأصحابه ﴿يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾ أي: في ساعاته ﴿وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾: يُصلُّون، حال.

١١٤ ـ ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ﴾ الموصوفون بما ذُكر ﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ ومنهم من ليسوا كذلك وليسوا من الصالحين.

١١٥ ـ ﴿وَمَا يَفْعَلُوا۟﴾ أي: الأمة القائمة ﴿مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ﴾، أي: يعدموا ثوابَه، بل يجازَوْن عليه ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۚ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾

١١٦ ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ﴾: تدفع ﴿عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: من عذابه ﴿شَيْـًٔا﴾ وخصَّهما بالذكر، لأن الإنسان يدفع عن نفسه تارة بفداء المال، وتارة بالاستعانة بالأولاد ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۚ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

١١٧ ـ ﴿مَثَلُ﴾: صفة ﴿مَا يُنفِقُونَ﴾ أي: الكفار ﴿فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ في عداوةِ النبي، أو صدقة ونحوها ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾: حَرٌّ، أو بَرْدٌ شديدٌ ﴿أَصَابَتْ حَرْثَ﴾: زرع ﴿قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ بالكفر والمعصية ﴿فَأَهْلَكَتْهُ﴾ فلم ينتفعوا به، فكذلك نفقاتهم ذاهبة لا ينتفعون بها ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾ بضياع نفقاتهم ﴿وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بالكفر الموجِب لضياعها.

١١٨ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً﴾: أصفياء تُطلِعونهم علىٰ سِرِّكم ﴿مِّن دُونِكُمْ﴾ أي: غيركم من اليهود والنصارىٰ والمنافقين ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾، نصب بنزع الخافض، أي: لا يُقصِّرون لكم في الفساد ﴿وَدُّواْ﴾: تمنَّوْا ﴿مَا عَنِتُّمْ﴾ أي: عنَتكم، وهو شدَّةُ الضرر ﴿قَدْ بَدَتِ﴾: ظهرت ﴿ٱلْبَغْضَآءُ﴾: العداوةُ لكم ﴿مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ بالوقيعة فيكم وإطلاع المشركين علىٰ سرِّكم ﴿وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ﴾ من العداوة ﴿أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ علىٰ عداوتهم ﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ذلك، فلا تُوالوهم.

١١٩ ـ ﴿هَا﴾، للتنبيه ﴿أَنتُمْ﴾ يا ﴿أُوْلَآءِ﴾ المؤمنين ﴿تُحِبُّونَهُمْ﴾ لِقَرابتهم منكم وصداقتهم ﴿وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾ لمخالفتهم لكم في الدِّين ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ﴾ أي: بالكتب كلها، ولا يؤمنون بكتابكم ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ﴾: أطرافَ الأصابع ﴿مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾: شدَّة الغضب، لِما يرون من ائتلافكم. ويُعبَّرُ عن شدة الغضب بِعَضِّ الأنامل مجازاً وإن لم يكن ثَمَّ عَضٌّ ﴿قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ﴾ أي: ابقوْا عليه إلىٰ الموت، فلن تَرَوْا ما يسرُّكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: بما في القلوب، ومنه ما يُضمِره هؤلاء.

١٢٠ ـ ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ﴾: تُصبْكم ﴿حَسَنَةٌ﴾: نعمةٌ كنصر وغنيمة ﴿تَسُؤْهُمْ﴾: تُحْزِنْهم ﴿وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ﴾ كهزيمة وجَدْب ﴿يَفْرَحُواْ بِهَا﴾، والمعنىٰ: أنهم متناهون في عداوتكم، فلِمَ توالونهم؟ فاجتنبوهم ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ﴾ علىٰ أذاهم ﴿وَتَتَّقُواْ﴾ اللهَ في موالاتهم وغيرها ﴿لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾: عالم، فيجازيهم به. ١٢١ ـ ﴿وَ﴾ اذكر يا محمد ﴿إِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾: من المدينة ﴿تُبَوِّئُ﴾: تُنْزِلُ ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ﴾: مراكز يقفون فيها ﴿لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لأقوالكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بأحوالكم، وهو يوم أُحد، خرج ﷺ بألف ـ أو إلا خمسين رجلاً ـ والمشركون ثلاثةُ آلاف، ونزل بالشِّعب يوم السبت سابع شوال سنة ثلاث من الهجرة، وجعل ظهره وعسكره إلىٰ أُحد، وسوّىٰ صفوفهم، وأجلس جيشاً من الرماة، وأمَّر عليهم عبد الله بن جُبير بسفح الجبل، وقال: «انضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من ورائنا، ولا تبرحوا، غُلبنا أو نُصرنا»

إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى
ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ
أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ
أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ
مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ
هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ
﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ وَمَا
ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا
مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ
مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ
﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ
وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا ٱلرِّبَوٰٓا أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُوا ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ
﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾

١٢٢ ـ ﴿إِذْ﴾، بدل من (إذ) قبله ﴿هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ﴾: بنو سلمة وبنو حارثة، جناحا العسكر ﴿أَن تَفْشَلَا﴾: تجبُنا عن القتال وترجعا لمَّا رجع عبد الله بن أُبيّ المنافق وأصحابه، وقال: عَلامَ نقتل أنفسنا وأولادنا؟ وقال لأبي جابر السَّلَمي ـ القائلِ له: أَنْشُدُكم اللهَ في نبيكم وأنفسكم ـ: لو نعلم قتالاً لاتبعناكم، فثبتهما الله ولم ينصرفا ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾: ناصرهما ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: ليثقوا به دون غيره.

١٢٣ ـ ونزل لما هُزموا تذكيراً لهم بنعمة الله: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ﴾: موضع بين مكة والمدينة ﴿وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ بقِلّةِ العدد والسلاح ﴿فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نِعمَه.

١٢٤ ـ ﴿إِذْ﴾، ظرف لـ(نصركم) ﴿تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: تعدهم تطميناً ﴿أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ﴾: يُعينكم ﴿رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ﴾.

١٢٥ ـ ﴿بَلَىٰٓ﴾ يكفيكم ذلك، وفي الأنفال: (بألْفٍ)، لأنه أمدَّهم أوّلاً بها، ثم صارت ثلاثة، ثم صارت خمسة، كما قال تعالىٰ: ﴿إِن تَصْبِرُوا﴾ علىٰ لقاء العدوّ ﴿وَتَتَّقُوا﴾ الله في المخالفة ﴿وَيَأْتُوكُم﴾ أي: المشركون ﴿مِّن فَوْرِهِمْ﴾: وقتهم ﴿هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ أي: مُعلَّمين وقد صبروا، وأنجز الله وعده بأن قاتلت معهم الملائكة علىٰ خيل بُلْق عليهم عمائم صفر أو بيض أرسلوها بين أكتافهم.

١٢٦ ـ ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ﴾ أي: الإمداد ﴿إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ﴾ بالنصر ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ﴾: تسكن ﴿قُلُوبُكُم بِهِۦ﴾ فلا تجزع من كثرة العدوّ وقِلَّتكم ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ يُؤتيهِ من يشاءُ، وليس بكثرة الجندِ.

١٢٧ ـ ﴿لِيَقْطَعَ﴾، متعلق بـ(نصركم) أي: لِيُهلك ﴿طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا﴾ بالقتل والأسر ﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾: يُذِلَّهم بالهزيمة ﴿فَيَنقَلِبُوا﴾: يرجعوا ﴿خَآئِبِينَ﴾: لم ينالوا ما راموه.

١٢٨ ـ ونزل لما كُسرت رَباعِيَتُهُ ﷺ، وشُجَّ وجهُه يوم أُحد، وقال: «كيف يُفلِحُ قومٌ خَضبوا وَجْهَ نبيِّهم بالدَّم» أخرجه مسلم (١٧٩١): ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ بل الأمر لله فاصبر ﴿أَوْ﴾، بمعنىٰ إلىٰ أن ﴿يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ بالإسلام ﴿أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ بالكفر.

١٢٩ ـ ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ مُلكاً وخلقاً وعبيداً ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ المغفرةَ له ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ تعذيبه ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ لأوليائه ﴿رَّحِيمٌ﴾ بأهل طاعته.

١٣٠ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا ٱلرِّبَوٰٓا أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً﴾، بأن تزيدوا في المال عند حلول الأجل وتُؤَخِّروا الطلبَ ﴿وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ﴾ بتركه ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: تفوزون.

١٣١ ـ ﴿وَٱتَّقُوا ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ أن تُعذَّبوا بها. ١٣٢ ـ ﴿وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾

نصف الحزب

۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ١٣٦ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ١٣٧ هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ١٣٨ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣٩ إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٠

١٣٣ - ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾ أي: كعرضهما لو وصلت إحداهما بالأخرىٰ.

والعَرض: السَّعة ﴿أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ الله بعمل الطاعات.

١٣٤ - ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ﴾ في طاعة الله ﴿فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾: اليُسر والعسر.

﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ﴾: الكافِّين عن إمضائه مع القدرة.

﴿وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ﴾ ممن ظلمهم، أي: التاركين عقوبتهم.

﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ بهذه الأفعال.

١٣٥ - ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً﴾ ذنباً قبيحاً، كالزِّنىٰ ﴿أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ بما دونه ﴿ذَكَرُواْ ٱللَّهَ﴾ أي: وعيده ﴿فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن﴾ أي: لا ﴿يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ﴾: يُديموا ﴿عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ﴾ بل أقلعوا عنه ﴿وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ أن الذي أتوه معصية.

١٣٦ - ﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ﴾، حالٌ مقدرة، أي: مقدِّرين الخلود فيها إذا دخلوها ﴿وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾ بالطاعة هذا الأجرُ.

١٣٧ - ونزل في هزيمة أُحد: ﴿قَدۡ خَلَتۡ﴾: مضت ﴿مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ﴾: طرائق في الكفار بإمهالهم ثم أخذهم ﴿فَسِيرُواْ﴾ أيها المؤمنون ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ الرسلَ، أي: آخرُ أمرهم من الهلاك، فلا تحزنوا لغلبتهم، فأنا أمهلهم لوقتهم.

١٣٨ - ﴿هَٰذَا﴾ القرآنُ ﴿بَيَانٞ لِّلنَّاسِ﴾ كلِّهم ﴿وَهُدٗى﴾ من الضلالة ﴿وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ منهم.

١٣٩ - ﴿وَلَا تَهِنُواْ﴾: تضعُفوا عن قتال الكفار ﴿وَلَا تَحۡزَنُواْ﴾ علىٰ ما أصابكم بأُحد ﴿وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ﴾ بالغلبة عليهم ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ حقّاً، وجوابُه دلَّ عليه مجموع ما قبله.

١٤٠ - ﴿إِن يَمۡسَسۡكُمۡ﴾: يُصبْكُم بأُحد ﴿قَرۡحٞ﴾: جَهْدٌ من جرح ونحوه ﴿فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ﴾: الكفار ﴿قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ﴾ ببدر ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا﴾: نُصَرِّفُها ﴿بَيۡنَ ٱلنَّاسِ﴾ يوماً لفرقة، ويوماً لأخرىٰ، ليتعظوا ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ﴾ عِلْمَ ظُهور ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: أخلصوا في إيمانهم من غيرهم ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ﴾ يكرمهم بالشهادة ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الكافرين، أي: يلزم عن عدم حبه لهم أن يعاقبهم، وما ينعم به عليهم استدراجٌ.

وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدۡ كُنتُمۡ تَمَنَّوۡنَ ٱلۡمَوۡتَ مِن قَبۡلِ أَن تَلۡقَوۡهُ فَقَدۡ رَأَيۡتُمُوهُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ كِتَٰبٗا مُّؤَجَّلٗاۗ وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلۡأٓخِرَةِ نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَاۚ وَسَنَجۡزِي ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيّٖ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوۡلَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٤٨﴾

١٤١ ـ ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: يُطهِّرُهُم من الذنوب بما يصيبهم ﴿وَيَمۡحَقَ﴾: يُهلك ﴿ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾.

١٤٢ ـ ﴿أَمۡ﴾ بل أ﴿حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا﴾: لم ﴿يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ﴾ علم ظهور ﴿وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ في الشدائد.

١٤٣ ـ ﴿وَلَقَدۡ كُنتُمۡ تَمَنَّوۡنَ﴾، فيه حذف إحدىٰ التاءين في الأصل ﴿ٱلۡمَوۡتَ مِن قَبۡلِ أَن تَلۡقَوۡهُ﴾ حيث قلتم: ليت لنا يوماً كيوم بدر، لننالَ ما نال شهداؤه ﴿فَقَدۡ رَأَيۡتُمُوهُ﴾ أي: سببه، الحرب ﴿وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ﴾ أي: بُصراء تتأملون الحال كيف هي، فلِمَ انهزمتم؟

١٤٤ ـ ونزل في هزيمتهم لما أشيع أن النبي قُتِلَ وقال لهم المنافقون: إنْ كان قُتل فارجعوا إلىٰ دينكم: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ﴾: كغيره ﴿ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ﴾ رجعتُم إلىٰ الكفر، والجملةُ الأخيرة محلُّ الاستفهام الإنكاري، أي: ما كان معبوداً فترجعوا ﴿وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ﴾ وإنما يَضُرُّ نفسه ﴿وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ نِعَمه بالثبات.

١٤٥ ـ ﴿وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾: بقضائه ﴿كِتَٰبٗا﴾، مصدر، أي: كتبَ الله ذلك ﴿مُّؤَجَّلٗاۗ﴾: مؤقتاً لا يتقدم ولا يتأخر، فلِمَ انهزمتُم؟ والهزيمةُ لا تدفع الموت، والثباتُ لا يقطع الحياة ﴿وَمَن يُرِدۡ﴾ بعمله ﴿ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا﴾ أي: جزاءه منها ﴿نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا﴾ ما قُسم له، ولا حظَّ له في الآخرة ﴿وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلۡأٓخِرَةِ نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَاۚ﴾ أي: من ثوابها ﴿وَسَنَجۡزِي ٱلشَّٰكِرِينَ﴾.

١٤٦ ـ ﴿وَكَأَيِّن﴾: كم ﴿مِّن نَّبِيّٖ قَٰتَلَ﴾، والفاعل ضميرُهُ ﴿مَعَهُۥ﴾، خبر مبتدؤه: ﴿رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ﴾: جموعٌ كثيرة ﴿فَمَا وَهَنُواْ﴾: جَبُنوا ﴿لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ من الجراح وقَتْل أنبيائهم وأصحابهم ﴿وَمَا ضَعُفُواْ﴾ عن الجهاد ﴿وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ﴾: خضعوا لعدوِّهم كما فعلتم حين قيل: قُتل النبيُّ ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ علىٰ البلاء.

١٤٧ ـ ﴿وَمَا كَانَ قَوۡلَهُمۡ﴾ عند قتل نبيِّهم مع ثباتهم وصبرهم ﴿إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا﴾: تجاوزنا الحدَّ ﴿فِيٓ أَمۡرِنَا﴾ إيذاناً بأنَّ ما أصابهم لسوء فعلهم وهضماً لأنفسهم ﴿وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا﴾ بالقوة علىٰ الجهاد ﴿وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾.

١٤٨ ـ ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا﴾: النصرَ والغنيمة ﴿وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِۗ﴾ أي: الجنة، وحُسْنُهُ التَّفَضُّلُ فوق الاستحقاق ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾

١٤٩ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ فيما يأمرونكم به ﴿يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ إلىٰ الكفر ﴿فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ﴾.

١٥٠ ـ ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ﴾: ناصركم ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ﴾ فأطيعوه دونهم.

١٥١ ـ ﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ﴾، بسكون العين: الخوف، وقد عزموا بعد ارتحالهم من أُحد علىٰ العود واستئصال المسلمين، فرُعبوا ولم يرجعوا ﴿بِمَآ أَشْرَكُواْ﴾: بسبب إشراكهم ﴿بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾: حُجَّة علىٰ عبادته، وهو الأصنام ﴿وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى﴾: مأوىٰ ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرين هي.

١٥٢ ـ ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ﴾ إياكم بالنصر ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُم﴾: تقتلونهم ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾: بإرادته ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ﴾: جَبُنْتُم عن القتال ﴿وَتَنَٰزَعْتُمْ﴾: اختلفتم ﴿فِى ٱلْأَمْرِ﴾ أي: أمْرِ النبيِّ ﷺ بالمُقام في سفح الجبل للرمي.

فقال بعضكم: نذهب فقد نُصر أصحابنا.

وبعضكم: لا نخالف أمرَ النبي ﷺ ﴿وَعَصَيْتُم﴾ أمرَه، فتركتم المركز لطلب الغنيمة ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم﴾ الله ﴿مَّا تُحِبُّونَ﴾ من النصر.

وجواب (إذا) دل عليه ما قبله، أي: منعَكم نصرَه ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا﴾ فترك المركز للغنيمة ﴿وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ فثبت به حتىٰ قُتِلَ، كعبد الله بنِ جبير وأصحابه.

﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ﴾، عطف علىٰ جواب (إذا) المقدَّر: ردَّكم بالهزيمة ﴿عَنْهُمْ﴾ أي: الكفار.

﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾: لِيمتَحِنكم، فيظهر المخلصُ من غيره ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ﴾ ما ارتكبتموه ﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بالعفو.

١٥٣ ـ اذكروا ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾: تُبعِدون في الأرض هاربين ﴿وَلَا تَلْوُۥنَ﴾: تُعرِّجُون ﴿عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ﴾ أي: من ورائكم يقول: «إليَّ عبادَ الله، إليَّ عبادَ الله» ﴿فَأَثَٰبَكُمْ﴾: فجازاكم ﴿غَمًّۢا﴾ بالهزيمة ﴿بِغَمٍّ﴾: بسبب غَمِّكم للرسول بالمخالفة، وقيل: الباء بمعنىٰ (علىٰ)، أي: مضاعفاً علىٰ غَمِّ فوتِ الغنيمة ﴿لِّكَيْلَا﴾، متعلق بـ(عفا)، أو بـ(أثابكم) فـ(لا) زائدة ﴿تَحْزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ من الغنيمة ﴿وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ﴾ من القتل والهزيمة ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾

١٥٤ ـ ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً﴾: أمناً ﴿نُّعَاسًا﴾، بدل ﴿يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ﴾ وهم المؤمنون، فكانوا يميدون تحت التروس وتسقط السيوفُ منهم ﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ أي: حملتهم على الهمِّ، فلا رغبة لهم إلا نجاتُها دون النبي وأصحابه، فلم يناموا، وهم المنافقون ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ﴾ ظناً ﴿غَيْرَ﴾ الظَّنِّ ﴿ٱلْحَقِّ ظَنَّ﴾ أي: كظَنِّ ﴿ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ حيث اعتقدوا أن النبي قُتل أو لا يُنصر ﴿يَقُولُونَ هَل﴾: ما ﴿لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ﴾ أي: النصر الذي وُعدناهُ ﴿مِن شَيْءٍ قُلْ﴾ لهم: ﴿إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ﴾، بالنصب توكيد ﴿لِلَّهِ﴾ أي: القضاء له يفعل ما يشاء ﴿يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ﴾: يُظهرون ﴿لَكَ يَقُولُونَ﴾، بيان لما قبله: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ أي: لو كان الاختيار إلينا لم نخرج فلم نقتل، لكن أُخرجنا كرهاً ﴿قُل﴾ لهم: ﴿لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ﴾ وفيكم من كتب اللهُ عليه القتلَ ﴿لَبَرَزَ﴾: خرج ﴿ٱلَّذِينَ كُتِبَ﴾: قُضي ﴿عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ﴾ منكم ﴿إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾: مصارعهم، فيقتلوا ولم يُنجهم قعودُهم، لأن قضاءه تعالىٰ كائن لا محالة، فهو حكم لازم لا يُحاد عنه ولا مناص منه ﴿وَ﴾ فعل ما فَعل بأُحد ﴿لِيَبْتَلِىَ﴾: يختبر ﴿ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ﴾: قلوبكم من الإخلاص والنفاق ﴿وَلِيُمَحِّصَ﴾: يميزَ ﴿مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: بما في القلوب، لا يخفىٰ عليه شيءٌ، وإنما يَبتلي ليظهر للناس.

١٥٥ ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ﴾ عن القتال ﴿يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾: جمعُ المسلمين وجمع الكفار بأُحد، وهُمُ المسلمون إلا اثني عشر رجلاً ﴿إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ﴾: أزلَّهم ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ بوسوسته ﴿بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟﴾ من الذنوب، وهو مخالفة أمر النبي ﴿وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ للمؤمنين ﴿حَلِيمٌ﴾ لا يَعجل علىٰ العصاة.

١٥٦ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: المنافقين ﴿وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾ أي: في شأنهم ﴿إِذَا ضَرَبُوا۟﴾: سافروا ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فماتوا ﴿أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى﴾ جمع غاز فقتلوا: ﴿لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟﴾ أي: لا تقولوا كقولهم: ﴿لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ﴾ القولَ في عاقبة أمرهم ﴿حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ فلا يمنع عن الموت قعودٌ ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم به.

١٥٧ ـ ﴿وَلَئِن﴾، لام قسم ﴿قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: الجهاد ﴿أَوْ مُتُّمْ﴾، بضم الميم أي: أتاكم الموتُ فيه ﴿لَمَغْفِرَةٌ﴾ كائنة ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ لذنوبكم ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ منه لكم علىٰ ذلك، واللام ومدخولها جوابُ القسم، وقوله: (لَمَغْفِرَةٌ) مبتدأ، خبره: ﴿خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ من الدنيا.

وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾

١٥٨ ـ ﴿وَلَئِن﴾، لام قسم ﴿مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ﴾ في الجهاد وغيره ﴿لَإِلَى ٱللَّهِ﴾ لا إلىٰ غيره ﴿تُحْشَرُونَ﴾ في الآخرة، فيجازيكم.

١٥٩ ـ ﴿فَبِمَا﴾، (ما) زائدة ﴿رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ﴾ يا محمد ﴿لَهُمْ﴾ أي: فبرحمة من الله لنت لهم أي: سَهَّلْتَ أخلاقَك إذ خالفوك ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا﴾: سيِّئ الخُلُق ﴿غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ﴾: جافياً، فأغلظت لهم ﴿لَٱنفَضُّوا۟﴾: تَفَرَّقُوا ﴿مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ﴾: تجاوزْ ﴿عَنْهُمْ﴾ ما أتوه ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ ذنبهم حتىٰ أغفر لهم ﴿وَشَاوِرْهُمْ﴾: استخرج آراءهم ﴿فِى ٱلْأَمْرِ﴾ أي: شأنك من الحرب وغيره، تطييباً لقلوبهم ولِيُسْتَنَّ بك، وكان ﷺ كثير المشاورة لهم ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾ علىٰ إمضاء ما تُريد بعد المشاورة ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾: ثِقْ به لا بالمشاورة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ عليه.

١٦٠ ـ ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ﴾: يُعِنْكم علىٰ عدوكم كيوم بدر ﴿فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ﴾: يتركْ نصركم كيوم أُحد ﴿فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي: بعد خذلانه، أي: لا ناصر لكم ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ﴾ لا غيره ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ﴾: ليثِق ﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾.

١٦١ ـ ونزل لما فُقدت قَطيفة حمراءُ يوم بدر، فقال بعض الناس: لعل النبي أخذها: ﴿وَمَا كَانَ﴾: ما ينبغي ﴿لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ﴾: يخونَ في الغنيمة، فلا تظنوا به ذلك ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ حاملاً له علىٰ عنقه ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ﴾: الغالُّ وغيرُه جزاءَ ﴿مَّا كَسَبَتْ﴾: عملت ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ شيئاً.

١٦٢ ـ ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ﴾ فأطاع ولم يَغُلَّ ﴿كَمَنۢ بَآءَ﴾: رجع ﴿بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ لمعصيته وغُلوله ﴿وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾: المرجع هي؟ لا.

١٦٣ ـ ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ﴾ أي: أصحاب درجات ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: مختلفو المنازل. فلِمَنِ اتبعَ رضوانه الثواب، ولمن باء بسخطه العقاب ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ فيجازيهم به.

١٦٤ ـ ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: عربيّاً مثلهم ليفهموا عنه ويَشْرُفُوا به، لا مَلَكاً ولا عجمياً ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾: القرآن ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾: يُطهِّرهم من الذنوب ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾: القرآنَ ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾: السُّنةَ ﴿وَإِن﴾، مخففة، أي: إنهم ﴿كَانُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ أي: قبل بعثه ﴿لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾: بيِّنٍ.

١٦٥ ـ ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾ بأُحد بقتلِ سبعين منكم ﴿قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾ ببدر بقَتْل سبعين وأَسْر سبعين منهم ﴿قُلْتُمْ﴾ متعجبين: ﴿أَنَّىٰ﴾: من أين لنا ﴿هَٰذَا﴾ الخذلانُ ونحن مسلمون ورسولُ الله فينا؟ والجملة الأخيرة محل الاستفهام الإنكاري، ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ لأنكم تركتم المركز فخُذلتم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه النصر ومنعُه، وقد جازاكم بخلافكم.

وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾

الحزب ٨

١٦٦ ـ ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ﴾ بأُحد ﴿فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾: بإرادته ﴿وَلِيَعۡلَمَ﴾ الله علم ظهور ﴿ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ حقاً. ١٦٧ ـ ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَ﴾ الذين ﴿قِيلَ لَهُمۡ﴾ لما انصرفوا عن القتال، وهم عبد الله بن أُبيٍّ وأصحابُه: ﴿تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أعداءَه ﴿أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ﴾ عنَّا القومَ، بتكثير سوادكم إن لم تقاتلوا ﴿قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ﴾: أي: لو نعلم أنكم تلقون حرباً ﴿قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ﴾ قال تعالىٰ تكذيباً لهم: ﴿هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ﴾ بما أظهروا من خذلانهم للمؤمنين، وكانوا قبلُ أقربَ إلىٰ الإيمان من حيث الظاهر ﴿يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ﴾ ولو علموا قتالاً لم يتبعوكم ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ﴾ من النفاق. ١٦٨ ـ ﴿ٱلَّذِينَ﴾، بدل من (الذين) قبله، أو نعت ﴿قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ﴾ في الدِّين ﴿وَ﴾ قد ﴿قَعَدُواْ﴾ عن الجهاد: ﴿لَوۡ أَطَاعُونَا﴾ أي: شهداء أُحد، أو إخواننا أي: من المنافقين الذين قتلوا في أحد في القعود ﴿مَا قُتِلُواْۗ قُلۡ﴾ لهم: ﴿فَٱدۡرَءُواْ﴾: ادفعوا ﴿عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ في أن القعود ينجي منه. ١٦٩ ـ ونزل في الشهداء: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: لأجل دينه ﴿أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ﴾ هم ﴿أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ أرواحُهم في حواصل طيور خُضْر تَسْرَحُ في الجنة حيثُ شاءَتْ، كما ورد في الحديث الذي أخرجه مسلم (١٨٨٧) ﴿يُرۡزَقُونَ﴾: يأكلون من ثمار الجنة. ١٧٠ ـ ﴿فَرِحِينَ﴾، حال من ضمير (يرزقون) ﴿بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَ﴾ هم ﴿يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾: يفرحون ﴿بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾ من إخوانهم المؤمنين، ويبدل من (الذين): ﴿أَ﴾ن، أي: بأن ﴿لا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ أي: الذين لم يَلحقوا بهم ﴿وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ في الآخرة، المعنىٰ: يفرحون بأمنهم وفرحهم. ١٧١ ـ ﴿يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ﴾: ثواب ﴿مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ﴾: زيادة عليه ﴿وَأَنَّ﴾، بالفتح عطفاً علىٰ (نعمة) ﴿ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ بل يأجرهم. ١٧٢ ـ ﴿ٱلَّذِينَ﴾، مبتدأ ﴿ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ﴾ بأُحد. وخبر المبتدأ: ﴿لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ﴾ بطاعته ﴿وَٱتَّقَوۡاْ﴾ مخالفته ﴿أَجۡرٌ عَظِيمٌ﴾: هو الجنة. جاء في «صحيح البخاري» (٤٠٧٧): (ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ) الآية.. قالت عائشة لعروة: يا ابن أختي كان أبواك منهم: الزبير وأبو بكر، لما أصاب نبيَّ الله ما أصاب يوم أحد، وانصرف عنه المشركون خاف أن يرجعوا، فقال: مَنْ يذهب في إثرهم؟ فانتدب منهم سبعون رجلاً منهم أبو بكر والزبير. ويبدو أنّ كلّ مَنْ كان في أحد تبعوه. وذكر ابن هشام أنّ أبا سفيان ومن معه أجمعوا الرجعة إلىٰ رسول الله ﷺ وأصحابه، وأنَّهم مرُّوا بمعبد الخزاعي، فسأل أبو سفيان: ما وراءك يا معبد؟ فقال: قد خرج محمّد في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثلهم قطُّ، فثنىٰ ذلك أبا سفيان ورجع. ١٧٣ ـ ﴿ٱلَّذِينَ﴾، بدل من (الذين) قبله أو نعت ﴿قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ﴾ الجموعَ ليستأصلوكم ﴿فَٱخۡشَوۡهُمۡ﴾ ولا تأتوهم ﴿فَزَادَهُمۡ﴾ ذلك القولُ ﴿إِيمَٰنٗا﴾: تصديقاً بالله ويقيناً ﴿وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ﴾: كافينا أمرهم ﴿وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾: المُفوَّضُ إليه الأمرُ هو، وخرجوا مع النبي ﷺ، وألقىٰ الله الرُّعبَ في قلب أبي سفيان وأصحابه.

﴿فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾

١٧٤ ـ ﴿فَانقَلَبُوا﴾: رجعوا ﴿بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ﴾: بسلامة وربح ﴿لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾ من قتل أو جرح ﴿وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ بطاعته وطاعة رسوله في الخروج ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ على أهل طاعته.

١٧٥ ـ ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ﴾ أي: القائل لكم: إن الناس ﴿الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ﴾ كُمْ ﴿أَوْلِيَاءَهُ﴾: الكفار ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ﴾ في ترك أمري ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ حقاً.

١٧٦ ـ ﴿وَلَا يَحْزُنكَ﴾، من (حَزَنَهُ)، لغة في (أحزنه) ﴿الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾: يقعون فيه سريعاً بنصرته، أي: لا تهتم لكفرهم ﴿إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾ بفعلهم وإنما يضُرُّون أنفسهم ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا﴾: نصيباً ﴿فِي الْآخِرَةِ﴾ أي: الجنة، فلذلك خذلهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في النار.

١٧٧ ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ﴾ أي: أخذوه بَدَلَهُ ﴿لَن يَضُرُّوا اللَّهَ﴾ بكفرهم ﴿شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مؤلم.

١٧٨ ـ ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي﴾ أي: إملاءنا ﴿لَهُمْ﴾ بتطويل الأعمار وتأخيرهم ﴿خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ﴾ و(أنَّ) ومعمولاها سدَّت مسدَّ المفعولين ﴿إِنَّمَا نُمْلِي﴾: نُمهل ﴿لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾ بكثرة المعاصي ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾: ذو إهانة في الآخرة.

١٧٩ ـ ﴿مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ﴾: ليترك ﴿الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ﴾ أيها الناس ﴿عَلَيْهِ﴾ من اختلاط المُخلص بغيره ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ﴾: يفصل ﴿الْخَبِيثَ﴾: المنافق ﴿مِنَ الطَّيِّبِ﴾: المؤمن بالتكاليف الشاقَّة المبينة لذلك، ففعل ذلك يوم أُحُد ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ فتعرفوا المنافقَ من غيره قبل التمييز ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي﴾: يختار ﴿مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ﴾ فيطلعه على غيبه كما أطلع النبيَّ ﷺ على حال المنافقين ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا﴾ النفاق ﴿فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

١٨٠ ـ ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ أي: بزكاته ﴿هُوَ﴾ أي: بخلهم ﴿خَيْرًا لَّهُم﴾، مفعول ثان والضمير للفصل، والأول (بُخلهم)، مقدراً قبل الضمير، والتقدير: ولا يحسبنّ الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله بخلهم هو خيراً لهم ﴿بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ﴾ أي: بزكاته من المال ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ بأن يُجعَلَ حيَّةً في عنقه تنهشه كما ورد في الحديث الذي أخرجه البخاري (٤٥٦٥): «مَنْ آتاهُ اللهُ مالاً فلم يؤدِّ زكاته مُثِّلَ له مالُه شجاعاً أقرع له زبيبتان يطوّقه يوم القيامة، يأخذ بلهزمتيه ـ يعني بشدقيه ـ يقول: أنا مالك أنا كنزك. ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: يرثهما بعد فناء أهلهما ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ فيجازيكم به.

لَقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾

ربع الحزب ٨

١٨١ ـ ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ وهم اليهود.

قالوه لما نزل: (مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا) وقالوا: لو كان غنياً ما استقرضنا.

﴿سَنَكْتُبُ﴾ نأمرُ بِكَتْبِ ﴿مَا قَالُوا۟﴾ في صحائف أعمالهم ليُجازَوْا عليه.

﴿وَ﴾ نكتب ﴿قَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ﴾، لهم في الآخرة علىٰ لسان الملائكة: ﴿ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾: النارِ.

١٨٢ ـ ويقال لهم إذا أُلقوا فيها: ﴿ذَٰلِكَ﴾ العذاب ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ عَبَّرَ بها عن الإنسان، لأن أكثر الأفعال تُزاول بها ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ﴾ أي: بذي ظلم ﴿لِّلْعَبِيدِ﴾ فيعذبهم بغير ذنب.

١٨٣ ـ ﴿ٱلَّذِينَ﴾، نعت لـ(الذين) قبله ﴿قَالُوٓا۟﴾ لمحمد: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ﴾ قد ﴿عَهِدَ إِلَيْنَآ﴾ في التوراة ﴿أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ﴾: نصدِّقه ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ﴾ فلا نؤمن لك حتىٰ تأتينا به، وهو ما يُتقرب به إلىٰ الله من نَعَم وغيرها، فإن قُبِلَ جاءت نارٌ بيضاءُ من السماء فأحرقته، وإلّا بقيَ مكانه، وعَهِدَ إلىٰ بني إسرائيل ذلك إلاّ في المسيح ومحمد، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ﴾ لهم توبيخاً: ﴿قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: بالمعجزات ﴿وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ﴾ كزكريا ويحيىٰ، فقتلتموهم، والخطاب لمن في زمن نبيِّنا محمد ﷺ وإن كان الفعل لأجدادهم لرضاهم به ﴿فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في أنكم تؤمنون عند الإتيان به.

١٨٤ ـ ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: المعجزات ﴿وَٱلزُّبُرِ﴾ كصحف إبراهيم ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾: الواضح، هو التوراة والإنجيل، فاصبر كما صبروا.

١٨٥ ـ ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ﴾: جزاء أعمالكم ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ﴾: بُعِّدَ ﴿عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾: نال غاية مطلوبه ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ﴾ أي: العيش فيها ﴿إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾: الباطل، يُتمتَّع به قليلاً ثم يفنىٰ.

١٨٦ ـ ﴿لَتُبْلَوُنَّ﴾، حذف منه نونُ الرفع لتوالي النونات، والواوُ ـ ضمير الجمع ـ لالتقاء الساكنين: لتُخْتَبَرُنَّ ﴿فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ بالفرائض فيها والجوائح ﴿وَأَنفُسِكُمْ﴾ بالعبادات والبلاء ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾: اليهود والنصارىٰ ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟﴾ من العرب ﴿أَذًى كَثِيرًا﴾ من السبِّ والطعن والتشبيب بنسائكم ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟﴾ علىٰ ذلك ﴿وَتَتَّقُوا۟﴾ الله ﴿فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ أي: من معزوماتها التي يُعزم عليها لوجوبها.

وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾

١٨٧ ـ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: العهد عليهم في التوراة ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ﴾ أي: الكتاب ﴿لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ أي: الكتاب ﴿فَنَبَذُوهُ﴾: طرحوا الميثاق ﴿وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ فلم يعملوا به ﴿وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ﴾: أخذوا بدله ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ من الدنيا من سِفْلتهم برياستهم في العلم، فكتموه خوفَ فَوْته عليهم ﴿فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ شراؤهم هذا.

١٨٨ ـ ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟﴾: فعلوا من إضلال الناس ﴿وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟﴾ من التمسك بالحق وهم على ضلال ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُم﴾، تأكيد ﴿بِمَفَازَةٍ﴾: بمكان ينجون فيه ﴿مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾ في الآخرة، بل هم في مكان يعذَّبون فيه، وهو جهنم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مؤلم فيها.

١٨٩ ـ ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: خزائنُ المطر والرزق والنبات وغيرها ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه تعذيب الكافرين، وإنجاء المؤمنين.

١٩٠ ـ ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وما فيهما من العجائب ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ بالمجيء والذهاب، والزيادة والنقصان ﴿لَءَايَٰتٍ﴾: دلالات على قدرته تعالىٰ ﴿لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: لذوي العقول.

١٩١ ـ ﴿ٱلَّذِينَ﴾، نعت لما قبله، أو بدل ﴿يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ مضطجعين، أي: في كل حال، وعن ابن عباس: يصلُّون كذلك حسب الطاقة ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ليستدلوا به على قُدرة صانعهما، يقولون: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا﴾ الخلقَ الذي نراه ﴿بَٰطِلًا﴾، حال: عَبَثاً، بل دليلاً على كمال قُدرتك ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾: تنزيهاً لك عن العَبَث ﴿فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾.

١٩٢ ـ ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ﴾ للخلود فيها ﴿فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾: أهنْتَهُ ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾: الكافرين، فيه وضعُ الظاهر موضع المضمر إشعاراً بتخصيص الخزي بهم ﴿مِنْ﴾، زائدة ﴿أَنصَارٍ﴾ يمنعونهم من عذاب الله تعالىٰ.

١٩٣ ـ ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى﴾: يدعو الناس ﴿لِلْإِيمَٰنِ﴾ أي: إليه، وهو محمد، أو القرآن ﴿أَنْ﴾ أي: بأن ﴿ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا﴾ به ﴿رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ﴾: غطِّ ﴿عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا﴾ فلا تُظهرها بالعقاب عليها ﴿وَتَوَفَّنَا﴾: اقبض أرواحنا ﴿مَعَ﴾: في جملة ﴿ٱلْأَبْرَارِ﴾: الأنبياء والصالحين.

١٩٤ ـ ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا﴾: أعْطِنا ﴿مَا وَعَدتَّنَا﴾ به ﴿عَلَىٰ﴾ ألسنةِ ﴿رُسُلِكَ﴾ من الرحمة والفضل، وسؤالُهم ذلك وإن كان وعدُه تعالىٰ لا يُخلَفُ سؤالٌ أن يجعلهم من مستحقيه، لأنهم لم يتيقنوا استحقاقهم له، وتكرير (ربنا) مبالغة في التضرُّع ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾: الوعدَ بالبعث والجزاء.

فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِي ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾

سُورَةُ النِّسَاءِ — ترتيبها ٤ — آياتها ١٧٦

١٩٥ ـ ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ دعاءهم ﴿أَنِّي﴾ أي: بأني ﴿لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم﴾ كائنٌ ﴿مِّنۢ بَعْضٍ ۖ﴾ أي: الذكور من الإناث وبالعكس، والجملة مؤكِّدة لما قبلها، أي: هم سواءٌ في المجازاة بالأعمال وترك تضييعها. نزلت لما قالت أم سلمة: يا رسول الله، إني لا أسمع ذكر النساء في الهجرة بشيء ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟﴾ من مكة إلىٰ المدينة ﴿وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِي سَبِيلِي﴾: ديني ﴿وَقَٰتَلُوا۟﴾ الكفار ﴿وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾: أستُرُها بالمغفرة ﴿وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا﴾، مصدر أي: مفعول مطلق من معنىٰ: (لأكفرن) مؤكد له ﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ﴾، فيه التفاتٌ عن التكلم ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾: الجزاء.

١٩٦ ـ ونزل لما قال المسلمون: أعداءُ الله فيما نرىٰ من الخير ونحن في الجَهْد: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: تصرُّفهم ﴿فِي ٱلْبِلَٰدِ﴾ بالتجارة والكسب.

١٩٧ ـ هو ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ﴾: يتمتعون به يسيراً في الدنيا ويفنىٰ ﴿ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾: الفراش هي.

١٩٨ ـ ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ﴾ أي: مقدِّرين الخلودَ ﴿فِيهَا نُزُلًا﴾: هو ما يُعَدُّ للضيف، ونصبُه علىٰ الحال من (جنات)، والعامل فيها معنىٰ الظرف: ﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ من الثواب ﴿خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾ من متاع الدنيا.

١٩٩ ـ ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ﴾ كعبد الله بن سلام وأصحابه والنجاشيِّ ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ أي: القرآن ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ﴾ أي: التوراة والإنجيل ﴿خَٰشِعِينَ﴾ حال من ضمير (يؤمن) مراعى فيه معنىٰ (مَنْ)، أي: متواضعين ﴿لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ التي عندهم في التوراة والإنجيل من نعت النبيِّ ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ﴾ من الدنيا بأن يكتُموها خوفاً علىٰ الرياسة كفعل غيرهم من اليهود ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾: ثوابُ أعمالهم ﴿عِندَ رَبِّهِمْ ۗ﴾ يُؤْتَوْنه مرَّتين كما في القصص ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾؛ يُحاسِبُ الخلق في قدر نصف نهار من أيام الدنيا.

٢٠٠ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟﴾ علىٰ الطاعات، والمصائب، وعن المعاصي ﴿وَصَابِرُوا۟﴾ الكفارَ، فلا يكونوا أشدَّ صبراً منكم ﴿وَرَابِطُوا۟﴾: أقيموا علىٰ الجهاد ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في جميع أحوالكم ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: تفوزُون بالجنة وتنجُون من النار.

سُورَةُ النِّسَاءِ

مدنية، مئة وخمس ـ أو ست أو سبع ـ وسبعون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ﴾ أي: عقابه بأن تطيعوه ﴿ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾: آدم ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ حواء ـ بالمد ـ من ضِلَع من أضلاعه اليسرىٰ ﴿وَبَثَّ﴾: فرَّق ونشَر ﴿مِنْهُمَا﴾: من آدم وحواء ﴿رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ﴾ كثيرةً. ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴿٣﴾ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾ وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾

﴿تَسَآءَلُونَ﴾، أي: تتساءلون ﴿بِهِۦ﴾ فيما بينكم حيث يقول بعضكم لبعض: أسألك بالله، وأنْشُدُك بالله ﴿وَ﴾ اتَّقُوا ﴿ٱلْأَرْحَامَ﴾ أن تقطعوها، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾: حافظاً لأعمالكم، فمُجازيكم بها، أي: لم يزل متَّصفاً بذلك. ٢ - ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ﴾: الصغار الألىٰ لا أبَ لهم ﴿أَمْوَٰلَهُمْ﴾ إذا بلغوا ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ﴾: الحرام ﴿بِٱلطَّيِّبِ﴾: الحلال، أي: تأخذوه بدله كما تفعلون من أخذ الجيِّد من مال اليتيم وجعل الرديء من مالكم مكانه ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ مضمومةً ﴿إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ﴾ أي: أكلها ﴿كَانَ حُوبًا﴾: ذنباً ﴿كَبِيرًا﴾: عظيماً. ولمَّا نزلت، تحرَّجوا من ولاية اليتامىٰ. ٣ - ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ أي: إذا كان تحت ولاية أحدكم يتيمة وخاف ألَّا يعطيها مهر مثلها فليعدل إلىٰ ما سواها من النساء، فإنهنّ كثير، ولم يُضيِّق الله عليه. أخرج البخاريّ (٤٥٧٤) عن عائشة أنّها قالت: هذه اليتيمة تكون في حجر وليّها تشركه في ماله، ويعجبه مالها وجمالها، فيريد وليّها أن يتزوجها بغير أن يقسط في صداقها فيعطيها مثل ما يعطيها غيره، فنُهُوا عن ذلك، إلّا أن يقسطوا لهنّ، ويبلغوا لهنّ أعلىٰ سُنّتهنّ في الصداق، فأُمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهنّ. وقال الحسن: كان الرجل تكون عنده الأيتام، وفيهنّ مَنْ يحلُّ له نكاحها، فيتزوّجها لأجل مالها وهي لا تعجبه، وإنما تزوّجها كراهية أن يدخل غريب فيشاركه في مالها، ثم يسيء صحبتها، ويتربّصُ بها إلىٰ أن تموت فيرثها. أقول: من أجل ذلك نُهُوا أن ينكحوا مَنْ رغبوا في مالها وجمالها إلّا بالقسط، من أجل رغبتهم عنهنّ إذا كنَّ قليلات المال والجمال، وأُمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء، فالنساء كثير. قال الله تعالىٰ: ﴿فَٱنكِحُوا۟﴾: تزوَّجوا ﴿مَا﴾، بمعنىٰ (مَنْ) ﴿طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ أي: اثنتين اثنتين، وثلاثاً ثلاثاً، وأربعاً أربعاً، ولا تزيدوا علىٰ ذلك ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ ﴿أَ﴾نْ ﴿لا تَعْدِلُوا۟﴾ فيهن بالنفقة والقَسْم ﴿فَوَٰحِدَةً﴾ انكحوها ﴿أَوْ﴾ اقتصروا علىٰ ﴿مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ من الإماء، إذ ليس لهن من الحقوق ما للزوجات ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: نكاح الأربع فقط، أو الواحدة، أو التسرِّي ﴿أَدْنَىٰٓ﴾: أقربُ إلىٰ ﴿أَلَّا تَعُولُوا۟﴾: تجُوروا. ٤ - ﴿وَءَاتُوا۟﴾: أعطُوا ﴿ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ﴾، جمع صَدُقَة: مُهورَهن ﴿نِحْلَةً﴾، مصدر: عطية عن طيب نفس ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا﴾، تمييز محول عن الفاعل، أي: طابت أنفسُهن لكم عن شيءٍ من الصداق، فوهبنه لكم ﴿فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا﴾: طَيِّباً ﴿مَّرِيٓـًٔا﴾: محمودَ العاقبة لا ضرر فيه عليكم في الآخرة. ٥ - ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟﴾ أيها الأولياء ﴿ٱلسُّفَهَآءَ﴾ المبذِّرين من الرجال والنساء والصبيان ﴿أَمْوَٰلَكُمُ﴾ أي: أموالهم التي في أيديكم ﴿ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾، مصدر قام أي: تقوم بمعاشكم وصلاح أَوَدِكم فيضيّعوها في غير وجهها ﴿وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾: أطعموهم منها ﴿وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾: عِدُوهم عِدَةً جميلة بإعطائهم أموالهم إذا رَشَدُوا. ٦ - ﴿وَٱبْتَلُوا۟﴾: اختبروا ﴿ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ قبلَ البلوغ في دينهم وتصرفهم في أحوالهم ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ﴾ أي: صاروا أهلاً له بالاحتلام، أو السنِّ، وهو استكمال خمسَ عشرة سنة عند الشافعي ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم﴾: أبصرتم ﴿مِّنْهُمْ رُشْدًا﴾: صلاحاً في دينهم ومالهم ﴿فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ﴾ أيها الأولياء ﴿إِسْرَافًا﴾: بغير حق، حال ﴿وَبِدَارًا﴾ أي: مبادرين إلىٰ إنفاقها مخافة ﴿أَن يَكْبَرُوا۟﴾ رشداء، فيلزَمُكم تسليمها إليهم ﴿وَمَن كَانَ﴾ من الأولياء ﴿غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾ أي: يَعِفُّ عن مال اليتيم ويمتنعُ من أكله ﴿وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ﴾ منه ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: بقدر أجرة عمله ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ أي: إلىٰ اليتامىٰ ﴿أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ﴾ أنهم تَسلَّموها وبرئْتُم لئلا يقع اختلافٌ، فترجعوا إلىٰ البينة، وهذا أمرُ إرشاد ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ﴾، الباء زائدة ﴿حَسِيبًا﴾: حافظاً لأعمال خلقه ومحاسبهم.

لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾

٧ - ونزل ردّاً لما كان عليه الجاهلية من عدم توريث النساء والصغار: ﴿لِّلرِّجَالِ﴾: الأولاد والأقرباء ﴿نَصِيبٌ﴾: حظٌّ ﴿مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ المتوفَّوْنَ ﴿وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ﴾ أي: المال ﴿أَوْ كَثُرَ﴾ جعله الله ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾: مقطوعاً بتسليمه إليهم. ٨ - ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ﴾ للميراث ﴿أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ﴾: ذوو القرابة ممن لا يرث ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾ شيئاً قبل القسمة ﴿وَقُولُواْ﴾ أيها الأولياءُ ﴿لَهُمْ﴾ إذا كان الورثةُ صغاراً ﴿قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾: جميلاً بأن تعتذروا إليهم أنكم لا تملكونه وأنه للصغار، وهذا قيل: إنه منسوخ، وقيل: لا، ولكن تهاون الناس في تركه، وعليه فهو نَدْبٌ، وعن ابن عباس واجبٌ. ٩ - ﴿وَلْيَخْشَ﴾ هذا أمر للأوصياء بأن يخشوا الله تعالىٰ ويتّقوه في أمر اليتامىٰ، فيفعلوا بهم ما يُحبُّون أن يفعل بذراريهم الضعاف بعد وفاتهم. ﴿ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ﴾ أي: قاربوا أن يتركوا ﴿مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ أي: بعد موتهم ﴿ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا﴾: أولاداً صغاراً ﴿خَافُواْ عَلَيْهِمْ﴾ الضياع ﴿فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في أمر اليتامىٰ، ولْيأْتوا إليهم ما يحبون أن يفعل بذرِّيّتهم من بعدهم ﴿وَلْيَقُولُواْ﴾ لليتامىٰ الذين هم تحت ولايتهم ﴿قَوْلًا سَدِيدًا﴾ أي: مثل ما يقولون لأولادهم من الخطاب الليّن الهيّن المتضمّن للشفقه والتأديب. ١٠ - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا﴾ بغير حقٍّ ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ﴾ أي: مِلأَها ﴿نَارًا﴾ لأنه يؤول إليها ﴿وَسَيَصْلَوْنَ﴾: يدخلون ﴿سَعِيرًا﴾: ناراً شديدة يحترقون فيها. ١١ - ﴿يُوصِيكُمُ﴾: يأمُركم ﴿ٱللَّهُ فِيٓ﴾ شأن ﴿أَوْلَٰدِكُمْ﴾ بما يُذْكَر: ﴿لِلذَّكَرِ﴾ منهم ﴿مِثْلُ حَظِّ﴾: نصيب ﴿ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ إذا اجتمعتا معه، فله نصف المال، ولهما النصف، فإن كان معه واحدة، فلها الثلث، وله الثلثان، وإن انفرد حاز المال ﴿فَإِن كُنَّ﴾ أي: الأولاد ﴿نِسَآءً﴾ فقط ﴿فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾ الميتُ، وكذا الاثنتان لأنه للأختين بقوله: (فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ) فهما أولىٰ، ولأن البنت تستحقُّ الثلثَ مع الذكر، فمع الأنثىٰ أولىٰ، و(فوق) قيل: صلة، وقيل: لدفع توهُّم زيادة النصيب بزيادة العدد لما فُهم استحْقَاقُ البنتين الثُّلثين من جَعْل الثلثِ للواحدة مع الذكر ﴿وَإِن كَانَتْ﴾ المولودة ﴿وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ﴾ أي: الميِّت، ويبدل منهما: ﴿لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾: ذكر أو أنثىٰ، ونكتة البدل إفادة أنهما لا يشتركان فيه، وأُلحقَ بالولد ولدُ الابن، وبالأب الجدُّ ﴿فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ﴾ فقط، أو مع زوج ﴿فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ﴾ أي: ثلث المال أو ما يبقى بعد الزوج، والباقي للأب ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ﴾ أي: اثنان فصاعداً، ذكورٌ أو إناث ﴿فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ﴾ والباقي للأب، ولا شيء للإخوة، وإرثُ مَنْ ذُكر ما ذُكر ﴿مِنۢ بَعْدِ﴾ تنفيذ ﴿وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَآ أَوْ﴾ قضاء ﴿دَيْنٍ﴾ عليه، وتقديم الوصية علىٰ الدين - وإن كانت مؤخَّرة عنه في الوفاء - للاهتمام بها ﴿ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ﴾، مبتدأ، خبره: ﴿لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ في الدنيا والآخرة، أي: فمنكم فريق ظانٌّ أنّ ابنه أنفع له فيعطيه الميراث وحده، ويكون الأب أنفع له في نفس الأمر. ومنكم فريق

﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾

ظانٌّ أنّ أباه أنفع له فيعطيه الميراث وحده، ويكون ابنه أنفع له في نفس الأمر. والمراد بنفع الآخرة ما ينفعه في الآخرة كالشفاعة. وبنفع الدنيا ما ينفعه في الدنيا كحسن خلافة الميت فيما يحب، وإنما العالِمُ بذلك الله، ففرَضَ لكم الميراثَ ﴿فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمًا﴾ فيما دبَّره لهم، أي: لم يزل متَّصفاً بذلك.

١٢ ـ ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ﴾ منكم أو من غيركم.

﴿فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ وأُلحِق بالولد في ذلك وَلَدُ الابن بالإجماع.

﴿وَلَهُنَّ﴾ أي: الزوجات، تعدَّدْن أو لا ﴿الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ﴾ منهن أو من غيرهن ﴿فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾.

وولد الابن في ذلك كالولد إجماعاً ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ﴾، صفة، والخبر: ﴿كَلَالَةً﴾ أي: لا والد له ولا ولد.

﴿أَوِ امْرَأَةٌ﴾ تورث كلالةً ﴿وَلَهُ﴾ أي: للموروث كلالةً ﴿أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾ أي: من أمٍّ. وقرأ به ابن مسعود وغيره ﴿فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ﴾ مما ترك.

﴿فَإِن كَانُوا﴾ أي: الإخوة والأخوات من الأم ﴿أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ﴾ أي: من واحد ﴿فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ﴾ يستوي فيه ذَكَرُهُم وأُنثاهُم.

﴿مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ﴾، حال من ضمير (يُوصَىٰ) أي: غير مدخل الضررَ على الورثة، بأن يوصي بأكثر من الثلث.

﴿وَصِيَّةً﴾، مصدر مؤكِّد لـ(يوصيكم) ﴿مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بما دبَّرهُ لخلقه من الفرائض ﴿حَلِيمٌ﴾ بتأخير العقوبة عمن خالفه.

وخصَّت السُّنَّةُ توريثَ مَنْ ذكر بمن ليس فيه مانعٌ من قتل، أو اختلافِ دين، أو رقٍّ.

١٣ ـ ﴿تِلْكَ﴾ الأحكامُ المذكورةُ من أمر اليتامىٰ وما بعده ﴿حُدُودُ اللَّهِ﴾: شرائعهُ التي حدَّها لعباده ليعملوا بها ولا يعتدوها.

﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ فيما حكم به ﴿يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

١٤ ـ ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ﴾ فيها ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾: ذو إهانة.

وروعي في الضمائر في الآيتين لفظ (مَن)، وفي (خالدين) معناها.

وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ﴿١٥﴾ وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾ إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١٧﴾ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴿١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ﴿١٩﴾

١٥ ـ ﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ﴾: الزنىٰ ﴿مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ﴾ أي: من رجالكم المسلمين ﴿فَإِن شَهِدُواْ﴾ عليهن بها ﴿فَأَمۡسِكُوهُنَّ﴾: احبسوهن ﴿فِي ٱلۡبُيُوتِ﴾ وامنعوهن من مخالطة الناس ﴿حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ﴾ أي: ملائكتُه ﴿أَوۡ﴾ إلىٰ أن ﴿يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا﴾: طريقاً إلىٰ الخروج منها. أُمِروا بذلك أول الإسلام، ثم جَعل لهن سبيلاً بجلد البكر مئة وتغريبها عاماً، ورجم المُحْصَنة، وفي الحديث: لمَّا بيَّن الحدَّ قال: «خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلاً» رواه مسلم (١٦٩٠). ١٦ ـ ﴿وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا﴾ أي: الفاحشة، الزنىٰ أو اللواط. أورد الجلال رحمه الله قولين في تفسير هذه الآية: الأول أنّها في الزنىٰ، والثاني أنها في اللواط. وقد ذهب إلىٰ القول الثاني، وردّ علىٰ من قال إنها في الزنىٰ، كما سيأتي: ﴿مِنكُمۡ﴾ أي: الرجال ﴿فَـَٔاذُوهُمَاۖ﴾ بالسبِّ والضرب بالنعال ﴿فَإِن تَابَا﴾ منها ﴿وَأَصۡلَحَا﴾ العمل ﴿فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ﴾ ولا تؤذوهما ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا﴾ علىٰ من تاب ﴿رَّحِيمًا﴾ به. وهذا منسوخ بالحدِّ إن أريد بها الزنىٰ، وكذا إن أريد بها اللواط عند الشافعي، لكن المفعول به لا يرجم عنده وإن كان مُحصَناً، بل يُجلد ويُغرَّب، وإرادة اللواط أظهر بدليل تثنية الضمير، والدليل علىٰ أنّ الآية في اللواط لا في الزنىٰ أنّ ضمير التثنية (اللذان) قد بُيِّن بـ(مِنْ) المتصلة بضمير الرجال واشتراكُهما في الأذىٰ والتوبة والإعراض، وهو مخصوص بالرجال لما تقدم في النساء من الحبس. ١٧ ـ ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي: التي كتب علىٰ نفسه قبولَها بفضله ﴿لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ﴾: المعصية ﴿بِجَهَٰلَةٖ﴾، حال، أي: جاهلين إذ عصوا ربهم، أي: فالحامل لهم علىٰ المعصية الجهل بقدر قبح المعصية وسوء عاقبتها لا بكونها معصية وذنباً. ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن﴾ زمن ﴿قَرِيبٖ﴾ قبل أن يُغرغروا ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ﴾: يقبل توبتهم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٗا﴾ في صنعه بهم. ١٨ ـ ﴿وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: الذنوب ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾ وأخذ في النزع ﴿قَالَ﴾ عند مشاهدة ما هو فيه: ﴿إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ﴾ فلا ينفعه ذلك ولا يُقبل منه ﴿وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ﴾ إذا تابوا في الآخرة عند معاينة العذاب لا تقبل منهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا﴾: أعددنا ﴿لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا﴾: مؤلماً. ١٩ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ﴾ أي: ذاتهن، أي: فليس المراد النهي عن إرث مالهنّ، بل النهي عن إرث نفس المرأة كما كانوا يفعلون ﴿كَرۡهٗاۖ﴾، أي: مكرهيهنَّ بصيغة اسم الفاعل أي: مكرهين لهنّ علىٰ ذلك، كانوا في الجاهلية يرثون نساءَ أقربائهم، فإن شاؤوا تزوجوها بلا صَداق، أو زوَّجوها وأخذوا صَداقها، أو عَضلوها حتىٰ تفتديَ بما ورثَتْهُ، أو تموتَ فيرثوها، فنُهوا عن ذلك ﴿وَلَا﴾ أن ﴿تَعۡضُلُوهُنَّ﴾ أي: تمنعوا أزواجكم عن نكاح غيركم بإمساكهن ولا رغبة لكم فيهن ضراراً ﴿لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ﴾ من المهر ﴿إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ﴾ أي: بُيِّنَتْ، أو هي بيّنة، أي: زنى، أو نشوز فلكم أن تُضارُّوهنّ حتىٰ يفتدين منكم ويختلعن ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ﴾ أي: بالإجمال في القول والنفقة والمبيت ﴿فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ﴾ فاصبروا ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾ ولعله يجعل فيهن ذلك بأن يرزقكم منهن ولداً صالحاً.

وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾

٢٠ ـ ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ﴾ أي: أخذها بَدَلَها بأن طلقتموها ﴿وَ﴾ قد ﴿ءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ﴾ أي: الزوجات ﴿قِنطَارًا﴾: مالاً كثيراً صداقاً ﴿فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا﴾: ظلماً ﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾: بيّناً؟ ونصبهما على الحال، والاستفهام للتوبيخ، وللإنكار في:

٢١ ـ ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ﴾ أي: بأيِّ وجه ﴿وَقَدْ أَفْضَىٰ﴾: وصل ﴿بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ بالجماع المقرِّر للمهر ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا﴾: عهداً ﴿غَلِيظًا﴾: شديداً؟ وهو ما أمر الله به من إمساكهن بمعروف، أو تسريحهن بإحسان.

٢٢ ـ ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا﴾ بمعنى مَنْ ﴿نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا﴾: لكن ﴿مَا قَدْ سَلَفَ﴾ مِنْ فعلكم ذلك، فإنه معفوٌّ عنه ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي: نكاحهن ﴿كَانَ فَٰحِشَةً﴾: قبيحاً ﴿وَمَقْتًا﴾: سبباً للمقت من الله، وهو أشدُّ البغض ﴿وَسَآءَ﴾: بئس ﴿سَبِيلًا﴾: طريقاً ذلك.

٢٣ ـ ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ﴾ أن تنكحوهن، وشملت الجدات من قِبل الأب، أو الأم ﴿وَبَنَاتُكُمْ﴾ وشملت بناتِ الأولاد، وإن سفلن ﴿وَأَخَوَٰتُكُمْ﴾ من جهة الأب أو الأم ﴿وَعَمَّٰتُكُمْ﴾ أي: أخوات آبائكم وأجدادكم ﴿وَخَٰلَٰتُكُمْ﴾ أي: أخوات أمهاتكم وجداتكم ﴿وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ﴾ ويدخل فيهن أولادهم ﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ﴾ قبل استكمال الحولين خمس رضعات كما بينه الحديث ﴿وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ﴾ ويُلحق بذلك بالسنَّة البناتُ منها، وهنَّ من أرضعتْهن مَوْطوءتُه، والعماتُ، والخالات، وبنات الأخ، وبنات الأخت منها، لحديث: «يَحْرُمُ من الرَّضاع ما يَحْرُمُ من النَّسب» رواه البخاري (٢٦٤٦) ورواه مسلم (١٤٤٤). ﴿وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ﴾، جمع ربيبة، وهي بنت الزوجة من غيره ﴿ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم﴾: تربُّونها، صفة موافقة للغالب، فلا مفهوم لها، ﴿مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾ أي: جامعتموهن ﴿فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ في نكاح بناتهن إذا فارقتموهن ﴿وَحَلَٰٓئِلُ﴾: أزواجُ ﴿أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ﴾ بخلاف مَنْ تبنَّيْتُموهم، فلكم نكاح حلائلهم ﴿وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ﴾ من نسب أو رضاع بالنكاح، ويُلحق بهما بالسنَّة الجمعُ بينها وبين عمتها، أو خالتها. الحديث أخرجه البخاري (٥١٠٩) ومسلم (١٤٠٨). ويجوز نكاح كل واحدة على الانفراد، وملكُهما معاً ويطأ واحدة، ﴿إِلَّا﴾: لكن ﴿مَا قَدْ سَلَفَ﴾ في الجاهلية من نكاحكم بعض ما ذُكر، فلا جُناح عليكم فيه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا﴾ لما سلف منكم قبل النهي ﴿رَّحِيمًا﴾ بكم في ذلك.

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٥﴾ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾

٢٤ ـ ﴿وَ﴾ حُرِّمت عليكم ﴿الْمُحْصَنَاتُ﴾ أي: ذوات الأزواج ﴿مِنَ النِّسَاءِ﴾ أن تنكحوهن قبل مفارقة أزواجهن حرائرَ مسلماتٍ كُنَّ أو لا ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ من الإماء بالسبي، فلكم وطْؤهن وإن كان لهن أزواج في دار الحرب بعد الاستبراء ﴿كِتَابَ اللَّهِ﴾، نصب على المصدر، أي: كَتَبَ ذلك ﴿عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ﴾ أي: سِوىٰ ما حُرِّم عليكم من النساء ﴿أَنْ تَبْتَغُوا﴾: تطلبوا النساء ﴿بِأَمْوَالِكُمْ﴾ بصداق أو ثمن ﴿مُحْصِنِينَ﴾: متزوجين ﴿غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾: زانين ﴿فَمَا﴾: فمَن ﴿اسْتَمْتَعْتُمْ﴾: تمتَّعتم ﴿بِهِ مِنْهُنَّ﴾: ممن تزوَّجتم بالوطء ﴿فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾: مهورهن التي فرضتم لهن ﴿فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ﴾ أنتم وهُنَّ ﴿بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ﴾ من حطِّها، أو بعضِها، أو زيادة عليها ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمًا﴾ فيما دبَّره لهم.

٢٥ ـ ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا﴾ أي: غِنًى لـ﴿أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ﴾: الحرائرَ ﴿الْمُؤْمِنَاتِ﴾ هو جريٌ علىٰ الغالب، فلا مفهوم له ﴿فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ يَنكح ﴿مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ﴾ فاكتفوا بظاهره، وكِلوا السرائر إليه، فإنه العالِمُ بتفصيلها، ورُبَّ أَمَةٍ تفْضُل الحُرَّةَ فيه، وهذا تأنيس بنكاح الإماء ﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ أي: أنتم وهُنَّ سواءٌ في الدين، فلا تستنكفوا من نكاحهن ﴿فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾: مَواليهن ﴿وَآتُوهُنَّ﴾: أعطوهن ﴿أُجُورَهُنَّ﴾: مهورهن ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ من غير مَطْل ونَقص ﴿مُحْصَنَاتٍ﴾: عفائفَ، حالٌ ﴿غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ﴾: زانياتٍ جهراً ﴿وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾: أخلَّاءَ يزنون بهنَّ سرّاً ﴿فَإِذَا أُحْصِنَّ﴾: زُوِّجْنَ ﴿فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ﴾: زنًى ﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ﴾: الحرائر الأبكار إذا زنين ﴿مِنَ الْعَذَابِ﴾: الحدّ، فيُجلدن خمسين، ويُغرَّبن نصفَ سنة، ويقاس عليهن العبيد، ولم يُجعل الإحصانُ شرطاً لوجوب الحدّ، بل لإفادة أنه لا رجم عليهن أصلاً ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: نكاح المملوكات عند عدم الطَّول ﴿لِمَنْ خَشِيَ﴾: خاف ﴿الْعَنَتَ﴾: الزنىٰ، وأصله المشقة، سُمِّي به الزنىٰ لأنه سببها بالحدّ في الدنيا والعقوبة في الآخرة ﴿مِنْكُمْ﴾ بخلاف من لا يخافه من الأحرار، فلا يحلُّ له نكاحها، وكذا مَن استطاع طَوْلَ حرة، وعليه الشافعي، وخَرَجَ بقوله: (مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ) الكافراتُ، فلا يَحِلُّ له نكاحها ولو عَدِمَ وخافَ ﴿وَأَنْ تَصْبِرُوا﴾ عن نكاح المملوكات ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾ لئلا يصير الولدُ رقيقاً ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ بالتوسعة في ذلك.

٢٦ ـ ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ شرائعَ دينكم ومَصالحَ أمركم ﴿وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ﴾: طرائق ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ من الأنبياء، في التحليل والتحريم، فتتّبعوهم ﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾: يرجعَ بكم عن معصيته التي كنتم عليها إلىٰ طاعته ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بكم ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما دبَّره لكم.

وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾

٢٧ ـ ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ كرَّره ليبني عليه: ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ﴾: اليهودُ والنصارىٰ، أو المجوس، أو الزناة ﴿أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾: تعدلوا عن الحق بارتكاب ما حرَّم عليكم فتكونوا مثلهم.

٢٨ ـ ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾ يُسهِّلَ عليكم أحكام الشرع ﴿وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ لا يصبر عن النساء والشهوات.

٢٩ ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾ بالحرام في الشرع، كالرِّبا والغصب ﴿إِلَّا﴾: لكن ﴿أَن تَكُونَ﴾: تقع ﴿تِجَارَةً﴾ أي: تكون الأموال أموالَ تجارة صادرة ﴿عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ وطِيب نفس، فلكم أن تأكلوها ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ بارتكاب ما يُؤدي إلىٰ هلاكها أيّاً كان، في الدنيا أو الآخرة، بقرينة: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ في منعه لكم من ذلك.

٣٠ ـ ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ أي: ما نُهي عنه ﴿عُدْوَانًا﴾: تجاوزاً للحلال، حالٌ ﴿وَظُلْمًا﴾، تأكيدٌ ﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ﴾: ندخلُه ﴿نَارًا﴾ يحترق فيها ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾: هيِّناً.

٣١ ـ ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ وهي ما ورد عليها وعيد، كالقتل والزنىٰ والسرقة، وعن ابن عباس: هي إلىٰ السبعمائة أقرب ﴿نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ الصغائر بالطاعات ﴿وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا﴾، أي: إدخالاً، ﴿كَرِيمًا﴾ هو الجنَّة.

٣٢ ـ ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ من جهة الدنيا أو الدين لئلا يؤدي إلىٰ التحاسد والتباغض ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ﴾: ثواب ﴿مِّمَّا اكْتَسَبُوا﴾ بسبب ما عملوا من الجهاد وغيره ﴿وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ من طاعة أزواجهن وحفظ فروجهنّ، نزلت لما قالت أم سلمة: ليتنا كنا رجالاً فجاهدنا وكان لنا مثلُ أجر الرجال ﴿وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ﴾ ما احتجتم إليه يُعطكم ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ ومنه محلُّ الفضل، وسؤالُكم.

٣٣ ـ ﴿وَلِكُلٍّ﴾ من الرجال والنساء ﴿جَعَلْنَا مَوَالِيَ﴾: عَصَبَةً يُعطَوْن ﴿مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ لهم من المال ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾، جمع يمين بمعنىٰ القسم، أو اليد، أي: الحلفاء الذين عاهدتموهم في الجاهلية علىٰ النُّصرة والإرث ﴿فَآتُوهُمْ﴾ الآن ﴿نَصِيبَهُمْ﴾: حظوظَهم من الميراث، وهو السدس ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾: مطَّلعاً، ومنه حالكم، وهذا منسوخ بقوله: (وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ).

ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ ۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾

ربع الحزب

٣٤ - ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ إنّ الأسرة مؤسّسة مهمة في المجتمع، والقوامة فيها للرجل؛ لأنه لا بُدّ لكلّ مؤسّسة من إدارة، وكانت للرجل لسببين: أوّلهما: لما خصّ الله الرجل بخصائص كثيرة منها: القوة، والصلابة، والموهبة الأقوىٰ، وتغليب التفكير علىٰ العاطفة وغير ذلك. وثانيهما: لأنه هو الذي يقوم بالإنفاق. إذن هذه القوامة لها أسبابها من التكوين والاستعداد، ولها أسبابها من التوزيع العادل للوظائف والاختصاصات بين الرجل والمرأة، فقد كُلِّف كلّ منهما بالجانب الميّسر له. وبهذا ستكون قوامة الرجل محقّقةً لسعادة الأسرة واستقامة أمورها. وقوله: (بِما فَضّلَ) أي: بتفضيله لهم عليهن بالعلم والعقل والولاية وغير ذلك ﴿وَبِمَآ أَنفَقُواْ﴾ عليهن ﴿مِنْ أَمْوَٰلِهِمْۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ منهن ﴿قَٰنِتَٰتٌ﴾: مطيعات لأزواجهن ﴿حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ﴾ أي: لفروجهن وغيرها في غَيبة أزواجهن ﴿بِمَا حَفِظَ﴾ لهن ﴿ٱللَّهُ﴾ حيث أوصىٰ عليهن الأزواج ﴿وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾: عصيانهن لكم بأن ظهرت أمارته ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾: فخوّفوهن الله ﴿وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ﴾: اعتزلوا إلىٰ فراش آخر إن أظهرن النشوز ﴿وَٱضْرِبُوهُنَّۖ﴾ ضرباً غير مُبرِّح إن لم يرجعن بالهجران ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ﴾ فيما يراد منهنّ ﴿فَلَا تَبْغُواْ﴾: تطلبوا ﴿عَلَيْهِنَّ سَبِيلًاۗ﴾: طريقاً إلىٰ ضربهن ظلماً ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ فاحذروه أن يعاقبكم إن ظلمتموهن.

٣٥ - ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ﴾: عَلِمْتم ﴿شِقَاقَ﴾: خلاف ﴿بَيْنِهِمَا﴾ بين الزوجين، أي: شقاقاً بينهما ﴿فَٱبْعَثُواْ﴾ إليهما برضاهما ﴿حَكَمًا﴾: رجلاً عَدْلاً ﴿مِّنْ أَهْلِهِۦ﴾: أقاربه ﴿وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ ويوكِّلُ الزوجُ حَكَمَهُ في طلاقٍ وقبولِ عِوض عليه، وتُوكِّلُ هي حَكَمها في الاختلاع، فيجتهدان، ويأمران الظالم بالرجوع، أو يفرِّقان إن رأياه، قال تعالىٰ: ﴿إِن يُرِيدَآ﴾ أي: الحَكَمان أو الزوجان ﴿إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآۗ﴾: بين الزوجين، أي: يُقدِّرهما علىٰ ما هو الطاعة من إصلاح أو فراق ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بكل شيء ﴿خَبِيرًا﴾ بالبواطن كالظواهر.

٣٦ - ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾: وحِّدوه ﴿وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَ﴾ أحسنوا ﴿بِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾: برّاً ولينَ جانب ﴿وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾: القرابة ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾: القريب منك في الجوار أو النسب ﴿وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾: البعيد عنك في الجوار أو النسب ﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾: الرفيق في سفر أو صناعة، وقيل: الزوجة ﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: المنقطع في سفره ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْۗ﴾ من الأرقاء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا﴾: متكبراً ﴿فَخُورًا﴾ علىٰ الناس بما أوتي.

٣٧ - ﴿ٱلَّذِينَ﴾، مبتدأ ﴿يَبْخَلُونَ﴾ بما يجب عليهم ﴿وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾ به ﴿وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦۗ﴾ من العلم والمال، وخبر المبتدأ: لهم وعيد شديد ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ﴾ بذلك وبغيره ﴿عَذَابًا مُّهِينًا﴾: ذا إهانة.

وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴿٤٤﴾

٣٨ ـ ﴿وَالَّذِينَ﴾، عطف على (الذين) قبله ﴿يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ﴾: مرائين لهم ﴿وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ كالمنافقين وأهل مكة ﴿وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا﴾: صاحباً يعمل بأمره كهؤلاء ﴿فَسَاءَ﴾: بئس ﴿قَرِينًا﴾ هو.

٣٩ ـ ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾ أي: أيُّ ضرر عليهم في ذلك؟ والاستفهام للإنكار، و(لو) مصدرية، أي: لا ضرر فيه، وإنما الضرر فيما هم عليه ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾ فيجازيهم بما عملوا.

٤٠ ـ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ﴾ أحداً ﴿مِثْقَالَ﴾: وزن ﴿ذَرَّةٍ﴾: أصغر نملة بأن يَنقصها من حسناته، أو يَزيدها في سيئاته ﴿وَإِن تَكُ﴾ الذرةُ ﴿حَسَنَةً﴾ من مؤمن ﴿يُضَاعِفْهَا﴾ من عشر إلىٰ أكثر من سبع مئة ﴿وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ﴾: من عنده مع المضاعفة ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾: لا يُقدِّره أحد.

٤١ ـ ﴿فَكَيْفَ﴾ حالُ الكفار ﴿إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ يشهد عليها بعملها، وهو نبيُّها ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ يا محمد ﴿عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾.

٤٢ ـ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: يوم المجيء ﴿يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ﴾ أي: أن ﴿تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ﴾ بأن يكونوا تراباً مثلها لعظم هوله، كما في آية أخرىٰ: (وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا) ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ عما عملوه، وفي وقت آخرَ يكتمونه، ويقولون: واللهِ رَبِّنا ما كُنَّا مُشركين.

٤٣ ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ﴾ أي: لا تُصلُّوا ﴿وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ﴾ من الشراب، لأن سبب نزولها صلاةُ جماعة في حال السُّكر ﴿حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ بأن تَصْحُوا ﴿وَلَا جُنُبًا﴾ بإيلاج أو إنزال، ونصبُه علىٰ الحال وهو يُطلَق علىٰ المفرد وغيره ﴿إِلَّا عَابِرِي﴾: مُجتازي ﴿سَبِيلٍ﴾: طريق، أي: مسافرين ﴿حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا﴾ فلكم أن تُصلُّوا، واستثناء المسافر لأن له حُكماً آخر سيأتي، وقيل: المراد النهيُ عن قربان مواضع الصلاة، أي: المساجد إلّا عبورَها من غير مُكث ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ﴾ مَرَضاً يضرُّه الماء ﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ أي: مسافرين وأنتم جنب، أو مُحدِثون ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ﴾: هو المكان المعدُّ لقضاء الحاجة، أي: أحدَثَ ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ بمعنىٰ اللمس، وهو الجَسُّ باليد، قاله ابن عمر، وعليه الشافعي، وأُلحق به الجَسُّ بباقي البشرة، وعن ابن عباس: هو الجماع ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً﴾ تتطهرون به للصلاة بعد الطلب والتفتيش، وهو راجع إلىٰ ما عدا المرضىٰ ﴿فَتَيَمَّمُوا﴾: اقصدوا بعد دخول الوقت ﴿صَعِيدًا طَيِّبًا﴾: تراباً طاهراً، فاضربوا به ضربتين ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ مع المرفقين منه، و(مَسَح) يتعدىٰ بنفسه وبالحرف ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾.

٤٤ ـ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا﴾: حظاً ﴿مِّنَ الْكِتَابِ﴾ وهم اليهود ﴿يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ﴾ بالهدىٰ ﴿وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾: تخطؤوا الطريق الحقَّ لتكونوا مثلهم.

وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾

٤٥ ـ ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ﴾ منكم، فيخبركم بهم لتجتنبوهم ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا﴾: حافظاً لكم منهم ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾: مانعاً لكم من كيدهم.

٤٦ ـ ﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ قومٌ ﴿يُحَرِّفُونَ﴾: يُغيِّرون ﴿الْكَلِمَ﴾ الذي أنزل الله في التوراة من نعت محمد ﷺ ﴿عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ التي وضع عليها ﴿وَيَقُولُونَ﴾ للنبي ﷺ إذا أمرهم بشيء: ﴿سَمِعْنَا﴾ قولك ﴿وَعَصَيْنَا﴾ أمرك ﴿وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾، حال بمعنىٰ الدعاء أي: لا سمعت ﴿وَ﴾ يقولون له: ﴿رَاعِنَا﴾ وقد نُهي عن خطابه بها، وهي كلمة سبٍّ بلغتهم ﴿لَيًّا﴾: تحريفاً ﴿بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا﴾: قدحاً ﴿فِي الدِّينِ﴾: الإسلام ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ بدلَ (وعصينا) ﴿وَاسْمَعْ﴾ فقط ﴿وَانظُرْنَا﴾: انظر إلينا بدلَ (راعنا) ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ مما قالوه ﴿وَأَقْوَمَ﴾: أعدلَ منه ﴿وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ﴾: أبعدَهُم عن رحمته ﴿بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ منهم، كعبد الله بن سلام وأصحابه.

٤٧ ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا﴾ من القرآن ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم﴾ من التوراة ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا﴾: نمحوَ ما فيها من العين والأنف والحاجب ﴿فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا﴾ فنجعلَها كالأقفاء لوحاً واحداً ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ﴾: نمسخَهم قردة ﴿كَمَا لَعَنَّا﴾: مسَخْنا ﴿أَصْحَابَ السَّبْتِ﴾ منهم ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ﴾: قضاؤه ﴿مَفْعُولًا﴾. ولما نزلت أسلم عبد الله بنُ سلام، فقيل: كان وعيداً بشرط، فلما أسلم بعضهم رُفعَ، وقيل: يكون طمسٌ ومسخٌ قبل قيام الساعة.

٤٨ ـ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ﴾ أي: الإشراك ﴿بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ﴾: سوىٰ ﴿ذَٰلِكَ﴾ من الذنوب ﴿لِمَن يَشَاءُ﴾ المغفرة له بأن يُدخلَه الجنة بلا عذاب، ومن شاء عذَّبه منَ المؤمنين بذنوبه، ثم يدخله الجنة ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا﴾: ذنباً ﴿عَظِيمًا﴾: كبيراً.

٤٩ ـ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم﴾ النص عام ويدخل فيه اليهود، حيث قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه، أي: ليس الأمر بتزكيتهم أنفسهم ﴿بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي﴾: يطهِّر ﴿مَن يَشَاءُ﴾ بالإيمان ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ﴾: يُنقَصون من أعمالهم ﴿فَتِيلًا﴾ أي: قدر الذي في شق النواة.

٥٠ ـ ﴿انظُرْ﴾ متعجباً ﴿كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ بذلك ﴿وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا﴾: بيِّناً.

٥١ ـ ونزل في كعب بن الأشرف ونحوه من علماء اليهود لمّا قدموا مكة وشاهدوا قتلىٰ بدر وحرَّضوا المشركين علىٰ الأخذ بثأرهم ومحاربة النبي ﷺ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾: صنمان لقريش ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أبي سفيان وأصحابه، حين قالوا لهم: أنحن أهدىٰ سبيلاً ـ ونحن ولاة البيت، نَسقي الحاج، ونَقري الضيفَ، ونفُكُّ العانيَ، ونفعلُ ـ أم محمدٌ، وقد خالف دين آبائه، وقطع الرحم، وفارق الحرم؟: ﴿هَٰؤُلَاءِ﴾ أي: أنتم ﴿أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾: أقومُ طريقاً.

أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۖ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ ۞ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾

نصف الحزب

٥٢ ـ ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ﴾ه ﴿اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾: مانعاً من عذابه.

٥٣ ـ ﴿أَمْ﴾: بل أ﴿لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ﴾ أي: ليس لهم شيء منه، ولو كان ﴿فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾ أي: شيئاً تافهاً قدر النُّقْرة في ظهر النواة لفرط بخلهم.

٥٤ ـ ﴿أَمْ﴾: بل أ﴿يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾ أي: النبيَّ ﷺ ﴿عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۖ﴾ من النبوّة، أي: يتمنون زواله عنه ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ﴾: جدّه كموسىٰ وداود وسليمان ﴿الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾: النبوة ﴿وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾.

٥٥ ـ ﴿فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ بِهِ﴾: بمحمد ﷺ ﴿وَمِنْهُم مَّن صَدَّ﴾: أعرض ﴿عَنْهُ ۚ﴾ فلم يؤمن ﴿وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ عذاباً لمن لا يؤمن.

٥٦ ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ﴾: نُدخلهم ﴿نَارًا﴾ يحترقون فيها ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ﴾: احترقت ﴿جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ بأن تعاد إلىٰ حالها الأول غير محترقة ﴿لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ۗ﴾: ليقاسوا شدته ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا﴾: لا يُعجزه شيء ﴿حَكِيمًا﴾ في خلقه.

٥٧ ـ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ﴾ من الحيض وكل قذر ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾: دائماً لا تنسخه شمس، هو ظل الجنة.

٥٨ ـ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ﴾ أي: ما اؤتمن عليه من الحقوق ﴿إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾، نزلت لما أخذ علي رضي الله عنه مفتاح الكعبة من عثمان بن طلحة الحَجَبي سادنها قسراً لمّا قدم النبي ﷺ مكة عام الفتح ومنعه، وقال: لو علمتُ أنه رسول الله لم أمنعه، فأمر رسول الله ﷺ بردِّه إليه، وقال: «هاكَ خالدةً تالدةً» فعجب من ذلك، فقرأ له عليٌّ الآية، فأسلم، وأعطاه عند موته لأخيه شَيبة، فبقي في ولده. والآية وإن وردت علىٰ سبب خاص، فعمومها معتبر بقرينة الجمع ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ﴾ يأمركم ﴿أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا﴾ فيه إدغام ميم (نِعْم) في (ما) النكرة الموصوفة، أي: نِعْمَ شيئاً ﴿يَعِظُكُم بِهِ ۗ﴾ تأديةُ الأمانة والحُكمُ بالعدل ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا﴾ لما يُقال ﴿بَصِيرًا﴾ بما يُفعل.

٥٩ ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي﴾: أصحاب ﴿الْأَمْرِ﴾ أي: الولاة ﴿مِنكُمْ ۖ﴾ إذا أمروكم بطاعة الله ورسوله ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ﴾: اختلفتم ﴿فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ﴾ أي: إلىٰ كتابه ﴿وَالرَّسُولِ﴾ مدة حياته، وبعده إلىٰ سنته، أي: اكشفوا عليه منهما ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ﴾ أي: الردُّ إليهما ﴿خَيْرٌ﴾ لكم من التنازع والقول بالرأي ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾: مآلاً.

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا ۝٦٠ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودٗا ۝٦١ فَكَيۡفَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّآ إِحۡسَٰنٗا وَتَوۡفِيقًا ۝٦٢ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا ۝٦٣ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ۝٦٤ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ۝٦٥﴾

٦٠ ـ ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾: الكثير الطغيان ﴿وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ﴾ ولا يوالوه ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا﴾ عن الحق.

٦١ ـ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ في القرآن من الحُكم ﴿وَإِلَى ٱلرَّسُولِ﴾ ليحكم بينكم ﴿رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ﴾: يُعرضون ﴿عَنكَ﴾ إلىٰ غيرك ﴿صُدُودٗا﴾.

٦٢ ـ ﴿فَكَيۡفَ﴾ يصنعون ﴿إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةُۢ﴾: عقوبةٌ ﴿بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾ من الكفر والمعاصي، أي: أيقدرون علىٰ الإعراض والفرار منها؟ لا ﴿ثُمَّ جَآءُوكَ﴾، معطوف علىٰ (يصدون) ﴿يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنۡ﴾: ما ﴿أَرَدۡنَآ﴾ بالمحاكمة إلىٰ غيرك ﴿إِلَّآ إِحۡسَٰنٗا﴾: صلحاً ﴿وَتَوۡفِيقًا﴾: تأليفاً بين الخصمين بالتقريب في الحُكم دون الحمل علىٰ مُرِّ الحق.

٦٣ ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ﴾ من النفاق وكذبهم في عذرهم ﴿فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ﴾ بالصفح ﴿وَعِظۡهُمۡ﴾: خوِّفهم الله ﴿وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ﴾ شأن ﴿أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا﴾: مُؤثراً فيهم، أي: ازجرهم ليرجعوا عن كفرهم.

٦٤ ـ ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ﴾ فيما يأمر به ويحكم ﴿بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾: بأمره، لا لِيُعصىٰ ويُخالَف ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ بتحاكمهم إلىٰ الطاغوت ﴿جَآءُوكَ﴾ تائبين ﴿فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾، فيه التفات عن الخطاب تفخيماً لشأنه ﴿لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا﴾ عليهم ﴿رَّحِيمٗا﴾ بهم.

٦٥ ـ ﴿فَلَا وَرَبِّكَ﴾ (لا) زائدة ﴿لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ﴾: اختلط ﴿بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا﴾: ضيقاً، أو شكّاً ﴿مِّمَّا قَضَيۡتَ﴾ به ﴿وَيُسَلِّمُواْ﴾: ينقادوا لحكمك ﴿تَسۡلِيمٗا﴾ من غير معارضة. جاء في «صحيح البخاري» (٤٥٨٥) و«صحيح مسلم» (٢٣٥٧) عن عبد الله بن الزبير: أنّ رجلاً من الأنصار خاصم الزبير عند رسول الله ﷺ في شراج الحرة (وهي مسيل الماء في الحرّة) التي يسقون بها النخل. فقال الأنصاري: سَرِّح الماء يمرّ، فأبىٰ عليهم، فاختصموا عند رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ للزبير: «اسقِ يا زبير، ثم أرسل الماء إلىٰ جارك» فغضب الأنصاري، فقال: يا رسول الله أن كان ابن عمتك! فتلوّن وجه نبيّ الله ﷺ ثم قال: «يا زبير اسقِ، ثم احبس الماء حتّىٰ يرجع إلىٰ الجَدْر» (والجدر: الحوابس التي تحبس الماء) فقال الزبير: واللهِ إنّي لأحسب هذه الآية نزلت في ذلك: (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ. . .).

وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا۟ مِن دِيَـٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّـَٔاتَيْنَـٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَـٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّـۧنَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَآءِ وَالصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا۟ ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا۟ جَمِيعًا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَـٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَـٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ ۞ فَلْيُقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا بِالْـَٔاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٩

٦٦ ـ ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ﴾، مفسّرة ﴿اقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا۟ مِن دِيَـٰرِكُم﴾ كما كتبنا علىٰ بني إسرائيل ﴿مَّا فَعَلُوهُ﴾ أي: المكتوب عليهم ﴿إِلَّا قَلِيلٌ﴾، بالرفع علىٰ البدل، ﴿مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ﴾ من طاعة الرسول ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾: تحقيقاً لإيمانهم.

٦٧ ـ ﴿وَإِذًا﴾ أي: لو ثبتوا ﴿لَّـَٔاتَيْنَـٰهُم مِّن لَّدُنَّآ﴾: من عندنا ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ هو الجنة.

٦٨ ـ ﴿وَلَهَدَيْنَـٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾.

٦٩ ـ قال بعض الصحابة للنبي ﷺ: كيف نراك في الجنة وأنت في الدرجات العلا ونحن أسفل منك؟ فنزل: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ فيما أمر به ﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّـۧنَ وَالصِّدِّيقِينَ﴾: أفاضل أصحاب الأنبياء، لمبالغتهم في الصدق والتصديق ﴿وَالشُّهَدَآءِ﴾: القتلىٰ في سبيل الله ﴿وَالصَّـٰلِحِينَ ۚ﴾ غير مَنْ ذُكر ﴿وَحَسُنَ أُو۟لَـٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾: رفقاء في الجنة، بأن يُستمتعَ فيها برؤيتهم وزيارتهم والحضور معهم وإن كان مقرُّهم في الدرجات العالية بالنسبة إلىٰ غيرهم.

٧٠ ـ ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: كونهم مع من ذكر، مبتدأ، خبره ﴿الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ ۚ﴾ تفضلَ به عليهم، لا أنهم نالوه بطاعتهم ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾ بثواب الآخرة، أي: فثقوا بما أخبركم به، (وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ) [فاطر: ١٤].

٧١ ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ﴾ من عدوكم، أي: احترزوا منه وتيقظوا له ﴿فَانفِرُوا۟﴾: انهضوا إلىٰ قتاله ﴿ثُبَاتٍ﴾: متفرقين، سريةً بعد أخرىٰ ﴿أَوِ انفِرُوا۟ جَمِيعًا﴾: مجتمعين.

٧٢ ـ ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾: ليتأخرنّ عن القتال كعبد الله بن أُبي المنافق وأصحابه، وجعله منهم من حيث الظاهر، واللام في الفعل للقسم ﴿فَإِنْ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾ كقتل وهزيمة ﴿قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا﴾: حاضراً فأُصاب.

٧٣ ـ ﴿وَلَئِنْ﴾، لام قسم ﴿أَصَـٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ كفتح وغنيمة ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ نادماً ﴿كَأَن﴾، مخففة، واسمها محذوف، أي: كأنه ﴿لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ﴾، معرفة وصداقة، وهذا راجع إلىٰ قوله: (قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَىَّ)، اعتُرض به بين القول ومقوله وهو: ﴿يَـٰ﴾، للتنبيه ﴿لَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ آخذُ حظّاً وافراً من الغنيمة.

٧٤ ـ قال تعالىٰ: ﴿فَلْيُقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ﴾: لإعلاء دينه ﴿الَّذِينَ يَشْرُونَ﴾: يبيعون ﴿الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا بِالْـَٔاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ﴾: يستشهد ﴿أَوْ يَغْلِبْ﴾: يظفر بعدوّه ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾: ثواباً جزيلاً.

وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾

٧٥ ـ ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ﴾، استفهام توبيخ، أي: لا مانع لكم من القتال ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَ﴾ في تخليص ﴿ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ﴾ الذين حبسهم الكفار عن الهجرة وآذَوْهم؟ قال ابن عباس رضي الله عنهما: كنت أنا وأمي منهم ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ داعين: يا ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾: مكة ﴿ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ بالكفر ﴿وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ﴾: من عندك ﴿وَلِيًّا﴾ يتولىٰ أمورنا ﴿وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ يمنعنا منهم، وقد استجاب الله دعاءهم، فيسّر لبعضهم الخروج، وبقي بعضهم إلىٰ أن فُتحت مكة، وولّىٰ ﷺ عتّابَ بنَ أَسِيد، فأنصف مظلومهم من ظالمهم.

٧٦ ـ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ﴾: الشيطان ﴿فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ﴾: أنصار دينه، تغلبوهم لقوتكم بالله ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ بالمؤمنين ﴿كَانَ ضَعِيفًا﴾: واهياً لا يقاوم كيد الله بالكافرين.

٧٧ ـ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ﴾ عن قتال الكفار لما طلبوه بمكة لأذىٰ الكفار لهم، وهم جماعة من الصحابة ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ﴾: فُرض ﴿عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ﴾: يخافون ﴿ٱلنَّاسَ﴾: الكفار، أي: عذابهم بالقتل ﴿كَخَشْيَةِ﴾هم عذاب ﴿ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ﴾ من خشيتهم له، ونصب (أشدَّ) علىٰ الحال، وجواب (لمّا) دلَّ عليه (إذا) وما بعدها، أي: فاجأتهم الخشية ﴿وَقَالُوا۟﴾ جزعاً من الموت: ﴿رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ﴾: هلّا ﴿أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ﴾ لهم: ﴿مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا﴾: ما يُتمتع بها فيها، أو الاستمتاع بها ﴿قَلِيلٌ﴾: آيلٌ إلىٰ الفناء ﴿وَٱلْءَاخِرَةُ﴾ أي: الجنة ﴿خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ عقابَ الله بترك معصيته ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ﴾: تُنقصون من أعمالكم ﴿فَتِيلًا﴾: قدر الذي في شق النواة طولاً، فجاهِدوا.

٧٨ ـ ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ﴾: حصون ﴿مُّشَيَّدَةٍ ۗ﴾: مرتفعة، فلا تخشَوُا القتال خوف الموت ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ﴾ أي: اليهود ﴿حَسَنَةٌ﴾: خِصْب وسَعة ﴿يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾: جَدْبٌ وبلاء، كما حصل لهم عند قدوم النبي ﷺ المدينة ﴿يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ﴾ يا محمد، أي: بشؤمك ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿كُلٌّ﴾ من الحسنة والسيئة ﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ﴾: من قِبَله ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ﴾ أي: لا يُقاربون أن يفهموا ﴿حَدِيثًا﴾ يُلقىٰ إليهم؟ و(ما) استفهام تعجيب من فرط جهلهم، ونفيُ مقاربة الفعل أشدُّ من نفيه.

٧٩ ـ ﴿مَّآ أَصَابَكَ﴾ أيها الإنسان ﴿مِنْ حَسَنَةٍ﴾: خير ﴿فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ﴾: أتتك فضلاً منه ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ﴾: بليّة ﴿فَمِن نَّفْسِكَ ۚ﴾: أتتك حيث ارتكبتَ ما يستوجِبُها من الذنوب ﴿وَأَرْسَلْنَٰكَ﴾ يا محمد ﴿لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ﴾، حال مؤكّدة ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ علىٰ رسالتك.

مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا۟ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾

٨٠ ـ ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ﴾: أعرضَ عن طاعته فلا يُهِمَّنَّك ﴿فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾: حافظاً لأعمالهم بل نذيراً، وإلينا أمرهم فنجازيهم، وهذا قبل الأمر بالقتال.

٨١ ـ ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أي: المنافقون إذا جاؤوك: أَمْرُنا ﴿طَاعَةٌ﴾ لك ﴿فَإِذَا بَرَزُوا۟﴾: خرجوا ﴿مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ أي: أضمرت ﴿غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ﴾ لك في حضورك من الطاعة، أي: عصيانك ﴿وَٱللَّهُ يَكْتُبُ﴾: يأمر بكتب ﴿مَا يُبَيِّتُونَ﴾ في صحائفهم ليجازوا عليه ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ بالصفح ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾: ثِقْ به، فإنه كافيك ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾: مفوَّضاً إليه.

٨٢ ـ ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ﴾: يتأملون ﴿ٱلْقُرْءَانَ﴾ وما فيه من المعاني البديعة ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾: تناقضاً في معانيه وتبايناً في نظمه.

٨٣ ـ ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ﴾ عن سرايا النبي ﷺ بما حصل لهم ﴿مِّنَ ٱلْأَمْنِ﴾ بالنصر ﴿أَوِ ٱلْخَوْفِ﴾ بالهزيمة ﴿أَذَاعُوا۟ بِهِۦ﴾: أفْشَوْه، نزل في جماعة من المنافقين، أو في ضعفاء المؤمنين، كانوا يفعلون ذلك، فتضعف قلوب المؤمنين ويتأذىٰ النبي ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ﴾ أي: الخبر ﴿إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾ أي: ذوي الرأي من أكابر الصحابة، أي: لو سكتوا عنه حتىٰ يُخْبَروا به ﴿لَعَلِمَهُ﴾ هل هو مما ينبغي أن يذاع أوْ لا ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ﴾: يتَّبعونه ويطلبون علمه، وهم المذيعون ﴿مِنْهُمْ﴾ من الرسول وأولي الأمر ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بالإسلام ﴿وَرَحْمَتُهُۥ﴾ لكم بالقرآن ﴿لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ فيما يأمركم به من الفواحش ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾.

٨٤ ـ ﴿فَقَٰتِلْ﴾ يا محمد ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ فلا تهتم بتخلفهم عنك، المعنىٰ: قاتلْ ولو وحدك فإنك موعود بالنصر ﴿وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: حُثَّهم علىٰ القتال ورغِّبْهم فيه ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ﴾: حرب ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا﴾ منهم ﴿وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾: تعذيباً منهم، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لأخرجَنَّ ولو وحدي» فخرج بسبعين راكباً إلىٰ بدر الصغرىٰ، فكفَّ الله بأسَ الكفار بإلقاءِ الرعب في قلوبهم. ٨٥ ـ ﴿مَّن يَشْفَعْ﴾ بين الناس ﴿شَفَٰعَةً حَسَنَةً﴾: مُوافقةً للشَّرع ﴿يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ﴾ من الأجر ﴿مِّنْهَا﴾: بسببها ﴿وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً﴾: مخالفةً له ﴿يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ﴾: نصيب من الوزر ﴿مِّنْهَا﴾: بسببها ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا﴾: مقتدراً، فيجازي كلَّ أحد بما عمل. ٨٦ ـ ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ﴾ كأن قيل لكم: سلام عليكم ﴿فَحَيُّوا۟﴾ المُحيِّيَ ﴿بِأَحْسَنَ مِنْهَآ﴾ بأن تقولوا له: عليك السلام ورحمة الله وبركاته ﴿أَوْ رُدُّوهَآ﴾ بأن تقولوا له كما قال، أي: الواجب أحدُهما، والأول أفضل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا﴾: محاسباً فيجازي عليه، ومنه ردُّ السلام، وخَصَّت السُّنة الكافرَ، والمبتدِعَ، والفاسقَ، والمسلِّم علىٰ قاضي الحاجة، ومَن في الحمام، والآكل، فلا يجب الردُّ عليهم بل يكره في غير الأخير، ويقال للكافر: وعليك.

الحزب ١٠

اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ۞ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ ۖ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ۖ فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ۖ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ ۚ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا ۚ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ۚ وَأُولَٰئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾

٨٧ ـ ﴿اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ والله ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ من قبوركم ﴿إِلَىٰ﴾: في ﴿يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ﴾: شكَّ ﴿فِيهِ وَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾: قولاً.

٨٨ ـ ولما رجع ناس من أُحد، اختلف الناس فيهم، فقال فريق: اقتلهم، وقال فريق: لا، فنزل كما روىٰ البخاريُّ (٤٥٨٩) ومسلم (٢٧٧٦): ﴿فَمَا لَكُمْ﴾ أي: ما شأنكم صِرْتُم ﴿فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾: فِرْقَتين ﴿وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم﴾: ردَّهم ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾ من الكفر والمعاصي ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ﴾ه ﴿اللَّهُ﴾ أي: تعدُّوهم من جملة المهتدين؟ والاستفهام في الموضعين للإنكار ﴿وَمَن يُضْلِلِ﴾ه ﴿اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾: طريقاً إلىٰ الهدىٰ.

٨٩ ـ ﴿وَدُّوا﴾: تمنَّوا ﴿لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ﴾ أنتم وهم ﴿سَوَاءً﴾ في الكفر ﴿فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ تُوالونهم وإن أظهروا الإيمان ﴿حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ هجرة صحيحة تحقق إيمانهم ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ وأقاموا علىٰ ما هم عليه ﴿فَخُذُوهُمْ﴾ بالأسر ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ۖ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا﴾ تُوالونه ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ تُنصرون به علىٰ عدوّكم.

٩٠ ـ ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ﴾: يلجؤون ﴿إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾: عهد بالأمان لهم ولمن وصل إليهم، كما عاهد النبيُّ ﷺ هلالَ بنَ عويمر الأسلمي ﴿أَوْ﴾ الذين ﴿جَاءُوكُمْ﴾ وقد ﴿حَصِرَتْ﴾: ضاقت ﴿صُدُورُهُمْ﴾ عن ﴿أَن يُقَاتِلُوكُمْ﴾ مع قومهم ﴿أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ﴾ معكم، أي: ممسكين عن قتالكم وقتالهم، فلا تتعرضوا إليهم بأخذ ولا قتل، وهذا وما بعده منسوخ بآية السيف ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ تسليطهم عليكم ﴿لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ﴾ بأن يُقوِّيَ قلوبهم ﴿فَلَقَاتَلُوكُمْ﴾ ولكنه لم يشأه، فألقىٰ في قلوبهم الرعب ﴿فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ﴾: الصُّلْح، أي: انقادوا ﴿فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾: طريقاً بالأخذ والقتل.

٩١ ـ ﴿سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ﴾ بإظهار الإيمان عندكم ﴿وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ﴾ بالكفر إذا رجعوا إليهم، وهم أسد وغطفان ﴿كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ﴾: دُعُوا إلىٰ الشرك ﴿أُرْكِسُوا فِيهَا﴾: وقعوا أشدَّ وقوع ﴿فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ﴾ بترك قتالكم ﴿وَ﴾ لم ﴿يُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَ﴾ لم ﴿يَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ﴾ عنكم ﴿فَخُذُوهُمْ﴾ بالأسر ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾: وجدتموهم ﴿وَأُولَٰئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾: برهاناً بيِّناً ظاهراً علىٰ قتلهم وسَبْيِهم لغدرهم.

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾

٩٢ ـ ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا﴾: أي: ما ينبغي أن يصدر منه قتل له ﴿إِلَّا خَطَـًٔا﴾: مُخطئاً في قتله من غير قصد ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا﴾ بأن قصد رميَ غيرِه كصيد أو شجرة فأصابه، أو ضربه بما لا يقتل غالباً ﴿فَتَحْرِيرُ﴾: عِتق ﴿رَقَبَةٍ﴾: نَسمة ﴿مُّؤْمِنَةٍ﴾ عليه ﴿وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ﴾: مؤدّاة ﴿إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ﴾ أي: ورثة المقتول ﴿إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟﴾: يتصدقوا عليه بها بأن يعفوا عنها، وبيَّنت السُّنَّة أنها مئةٌ من الإبل: عشرون بنت مخاض، وكذا بنات لبون وبنو لبون، وحِقاق، وجِذاع، وأنها علىٰ عاقلة القاتل، وهم عَصَبتُه إلا الأصل والفرع، موزعةً عليهم علىٰ ثلاث سنين: علىٰ الغنيِّ منهم نصفُ دينار، والمتوسط ربع، كلَّ سنة، فإن لم يفوا، فمِن بيت المال، فإن تعذر فعلىٰ الجاني ﴿فَإِن كَانَ﴾ المقتول ﴿مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ﴾ حرب ﴿لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ علىٰ قاتله كفارةً، ولا دِيَةَ تُسلَّمُ إلىٰ أهله لحرابتهم ﴿وَإِن كَانَ﴾ المقتول ﴿مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ﴾: عهدٌ كأهل الذمة ﴿فَدِيَةٌ﴾ له ﴿مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾ وهي ثلث دِيَة المؤمن إن كان يهودياً أو نصرانياً، وثلثا عشرها إن كان مجوسيّاً ﴿وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ علىٰ قاتله ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ الرقبةَ بأن فقدها وما يُحصِّلها به ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ عليه كفارةً. ولم يذكر اللهُ تعالىٰ الانتقالَ إلىٰ الطعام كالظِّهار ـ وبه، أي: بعدم الانتقال إلىٰ الطعام ـ أخذ الشافعي في أصح قوليه ﴿تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾ مصدر منصوب بفعله المقدر ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمًا﴾ فيما دبَّره لهم. ٩٣ ـ ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ بأن يقصدَ قتلَه بما يَقتل غالباً عالماً بإيمانه ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ﴾: أبعده من رحمته ﴿وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ في النار، وهذا مؤوَّل بمن يستحلّه، أو بأنَّ هذا جزاؤه إن جوزي، ولا بِدْعَ في خُلْف الوعيد لقوله: (وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ) وعن ابن عباس أنها علىٰ ظاهرها، وأنها ناسخة لغيرها من آيات المغفرة، وبينت آية البقرة أن قاتل العمد يُقتل به، وأن عليه الدِّيَة إن عُفي عنه، وسبق قَدرُها، وبينت السُّنَّة أن بين العمد والخطأ قتلاً يسمىٰ شِبْهَ العمد، وهو أن يقتله بما لا يَقتل غالباً، فلا قصاص فيه بل دِيَةٌ كالعمد في الصفة، ويريد بالصفة أنَّ دية العمد مثلثة أي: ثلاثون حقّة، وثلاثون جذعة، وأربعون خَلِفَة. وكالخطأ في التأجيل، والحمل، ويريد بالتأجيل أنها تؤدّىٰ علىٰ ثلاث سنين ويريد بالحمل أنّ الدية تحملها العاقلة، وهو والعمدُ أولىٰ بالكفارة من الخطأ. ٩٤ ـ ونزل لما مَرَّ نفرٌ من الصحابة برجلٍ من بني سُليم وهو يسوقُ غنماً، فسلَّم عليهم، فقالوا: ما سلم علينا إلا تَقِيَّةً، فقتلوه واستاقوا غنمه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ﴾: سافرتم للجهاد ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ﴾ أي: التحية ﴿لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ وإنما قلتَ هذا تَقِيَّةً لنفسك ومالك، فتقتلوه ﴿تَبْتَغُونَ﴾: تطلبون بذلك ﴿عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: متاعَها من الغنيمة ﴿فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾ تغنيكم عن قتل مثله لماله ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ﴾: تُعصم دماؤكم وأموالكم بمجرد قولكم الشهادةَ ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ بالاشتهار بالإيمان والاستقامة ﴿فَتَبَيَّنُوٓا۟﴾ أن تقتلوا مؤمناً، وافعلوا بالداخل في الإسلام كما فُعل بكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ فيجازيكم به.

لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ ۚ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ۚ فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾

ربع الحزب ١٠

٩٥ ـ ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ عن الجهاد ﴿غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾، بالرفع صفة، من زمانةٍ، أو عمًى، أو نحوه ﴿وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ﴾ لضرر ﴿دَرَجَةً﴾: فضيلة، لاستوائهما في النية، وزيادة المجاهدين بالمباشرة ﴿وَكُلًّا﴾ من الفريقين ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾: الجنة ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ﴾ لغير ضرر ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾. ويبدل منه:

٩٦ ـ ﴿دَرَجَاتٍ مِّنْهُ﴾ منازلَ بعضُها فوق بعض من الكرامة ﴿وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً﴾، منصوبان بفعلهما المقدر ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ لأوليائه ﴿رَّحِيمًا﴾ بأهل طاعته.

٩٧ ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾ بالمُقام مع الكفار وترك الهجرة ﴿قَالُوا﴾ لهم موبِّخين: ﴿فِيمَ كُنتُمْ﴾ أي: في أيِّ شيء كنتم في أمر دينكم؟ ﴿قَالُوا﴾ معتذرين: ﴿كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ﴾: عاجزين عن إقامة الدين ﴿فِي الْأَرْضِ ۚ قَالُوا﴾ لهم توبيخاً: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ من أرض الكفر إلىٰ بلد آخر كما فعل غيركم؟ قال الله تعالىٰ: ﴿فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ هي.

٩٨ ـ ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾ الذين ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾: لا قوة لهم علىٰ الهجرة ولا نفقة ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾: طريقاً إلىٰ أرض الهجرة.

٩٩ ـ ﴿فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾.

١٠٠ ـ ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا﴾: مُهاجَراً ﴿كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ في الرزق ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ﴾ في الطريق، كما وقع لجُنْدَع بنِ ضَمْرَة الليثي ﴿فَقَدْ وَقَعَ﴾: ثبت ﴿أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

١٠١ ـ ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ﴾: سافرتم ﴿فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ في ﴿أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾ بأن تَرُدُّوها من أربع إلىٰ اثنتين ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ﴾ أي: ينالكم بمكروه ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، بيان للواقع إذ ذاك، فلا مفهوم له، وبيَّنت السُّنَّة أن المرادَ بالسفر الطويلُ، وهو أربعة بُرُدٍ، وهي مرحلتان، ويؤخذ من قوله: (فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ) أنه رخصة لا واجب، وعليه الشافعي ﴿إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾: بيِّن العداوة.

وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا۟ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾

١٠٢ ـ ﴿وَإِذَا كُنتَ﴾ يا محمد حاضراً ﴿فِيهِمْ﴾ وأنتم تخافون العدوَّ ﴿فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، وهذا جريٌ علىٰ عادة القرآن في الخطاب، فلا مفهوم له ﴿فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ﴾ وتتأخر طائفة ﴿وَلْيَأْخُذُوٓا۟﴾ أي: الطائفة التي قامت معك ﴿أَسْلِحَتَهُمْ﴾ معهم ﴿فَإِذَا سَجَدُوا۟﴾ أي: صلَّوا ﴿فَلْيَكُونُوا۟﴾ أي: الطائفة الأخرىٰ ﴿مِن وَرَآئِكُمْ﴾ يحرسون إلىٰ أن تقضوا الصلاة، وتذهب هذه الطائفة تحرس ﴿وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ معهم إلىٰ أن تقضوا الصلاة، وقد فعل ﷺ كذلك ببطن نخل. وقد وردت أحاديث عدة في صلاة الخوف، منها ما أخرجه البخاري (٩٤٢) وما بعده وما أخرجه مسلم (٨٣٩). ﴿وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ﴾ إذا قمتم إلىٰ الصلاة ﴿عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً﴾ بأن يحملوا عليكم فيأخذوكم، وهذا علّة الأمر بأخذ السلاح ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا۟ أَسْلِحَتَكُمْ﴾ فلا تحملوها، وهذا يفيد إيجاب حملها عند عدم العذر وهو أحد قولين للشافعي، والثاني أنه سنة، ورُجِّح ﴿وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ﴾ من العدو، أي: احترزوا منه ما استطعتم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾: ذا إهانة.

١٠٣ ـ ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: فرغتم منها ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ بالتهليل والتسبيح ﴿قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾: مضطجعين، أي: في كل حال ﴿فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ﴾: أمِنْتُم ﴿فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: أدُّوها بحقوقها ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا﴾: مكتوباً، أي: مفروضاً ﴿مَّوْقُوتًا﴾ أي: مقدراً وقتُها، فلا تؤخر عنه.

١٠٤ ـ ونزل لما بعث ﷺ طائفةً في طلب أبي سفيان وأصحابه لمَّا رجعوا من أُحد فشكَوْا الجراحات: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟﴾: تضعُفوا ﴿فِى ٱبْتِغَآءِ﴾: طلب ﴿ٱلْقَوْمِ﴾: الكفار لتقاتلوهم. ﴿إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ﴾: تجدون ألَم الجراح ﴿فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ﴾ أي: مثلكم، ولا يجبنون عن قتالكم ﴿وَتَرْجُونَ﴾ أنتم ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ من النصر والثواب عليه ﴿مَا لَا يَرْجُونَ﴾ هم، فأنتم تزيدون عليهم بذلك، فينبغي أن تكونوا أرغب منهم فيه ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بكل شيء ﴿حَكِيمًا﴾ في صنعه.

١٠٥ ـ وسرق طِعمةُ بنُ أُبَيْرِق درعاً وخبأها عند يهودي، فوُجدت عنده، فرماه طِعمةُ بها، وحلف إنه ما سرقها، فسأل قومُه النبيَّ ﷺ أن يجادل عنه ويُبرئه، فنزل: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾: القرآن ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ متعلق بـ(أنزل) ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ﴾: أعلمك ﴿ٱللَّهُ﴾ فيه ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ﴾ كطِعمةَ ﴿خَصِيمًا﴾: مخاصماً عنهم.

وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾

١٠٦ ـ ﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَۖ﴾ مما هممت به ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

١٠٧ ـ ﴿وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْۚ﴾: يخونونها بالمعاصي، لأن وبال خيانتهم عليهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا﴾: كثير الخيانة ﴿أَثِيمًا﴾ أي: يعاقبه.

١٠٨ ـ ﴿يَسْتَخْفُونَ﴾ أي: طِعمة بن أُبيْرق وقومه حياءً ﴿مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ بعلمه.

﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ﴾: يضمرون ﴿مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِۚ﴾ من عزمهم علىٰ الحَلِف علىٰ نفي السرقة ورمي اليهودي بها ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ علماً.

١٠٩ ـ ﴿هَٰٓأَنتُمْ﴾ يا ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ خطابٌ لقوم طِعمة ﴿جَٰدَلْتُمْ﴾: خاصمتم ﴿عَنْهُمْ﴾ أي: عن طِعمة وذويه، ﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ إذا عذبهم ﴿أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾: يتولىٰ أمرهم ويذُبُّ عنهم؟ أي: لا أحد يفعل ذلك.

١١٠ ـ ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا﴾: ذنباً يسوءُ به غيره ﴿أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ﴾: يعمل ذنباً قاصراً عليه ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ﴾ منه، أي: يَتُبْ ﴿يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا﴾ له ﴿رَّحِيمًا﴾ به.

١١١ ـ ﴿وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا﴾: ذنباً ﴿فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦۚ﴾ لأن وباله عليها، ولا يضر غيره ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ في صنعه.

١١٢ ـ ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً﴾: ذنباً صغيراً ﴿أَوْ إِثْمًا﴾: ذنباً كبيراً ﴿ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا﴾ منه ﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلَ﴾: تحمَّل ﴿بُهْتَٰنًا﴾ برميه ﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾: بيِّناً بكسبه.

١١٣ ـ ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿وَرَحْمَتُهُۥ﴾ بالعصمة ﴿لَهَمَّت﴾: أضمرت ﴿طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ من قوم طِعمة ﴿أَن يُضِلُّوكَ﴾ عن القضاء بالحق بتلبيسهم عليك.

﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن﴾، زائدة ﴿شَيْءٍۚ﴾ لأن وبال إضلالهم عليهم.

﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾: القرآن ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾: ما فيه من الأحكام.

﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُۚ﴾ من الأحكام والغيب.

﴿وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ﴾ بذلك وغيره ﴿عَظِيمًا﴾.

﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ اللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾

١١٤ - ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ﴾ أي: الناس، أي: ما يتناجَوْن فيه ويتحدثون ﴿إِلَّا﴾ نجوىٰ ﴿مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ﴾: عمل برٍّ ﴿أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿ابْتِغَاءَ﴾: طلب ﴿مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ لا غيره من أمور الدنيا ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

١١٥ - ﴿وَمَن يُشَاقِقِ﴾: يخالف ﴿الرَّسُولَ﴾ فيما جاء به من الحق ﴿مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ﴾: ظهر له الحق بالمعجزات ﴿وَيَتَّبِعْ﴾ طريقاً ﴿غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: طريقهم الذي هم عليه من الدين بأن يكفر ﴿نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ﴾: نجعله والياً لما تولاه من الضلال، بأن نخلّي بينه وبينه في الدنيا ﴿وَنُصْلِهِ﴾: نُدخله في الآخرة ﴿جَهَنَّمَ﴾ فيحترق فيها ﴿وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾: مرجعاً هي.

١١٦ - ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ عن الحق.

١١٧ - ﴿إِن﴾: ما ﴿يَدْعُونَ﴾: يعبد المشركون ﴿مِن دُونِهِ﴾ أي: الله، أي: غيره ﴿إِلَّا إِنَاثًا﴾: أصناماً مؤنثة، كاللّات والعُزّىٰ ومناة ﴿وَإِن﴾: ما ﴿يَدْعُونَ﴾: يعبدون بعبادتها ﴿إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا﴾: خارجاً عن الطاعة لطاعتهم له فيها، وهو إبليس.

١١٨ - ﴿لَّعَنَهُ اللَّهُ﴾: أبعده عن رحمته ﴿وَقَالَ﴾ أي: الشيطان ﴿لَأَتَّخِذَنَّ﴾: لأجعلنَّ لي ﴿مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا﴾: حظّاً ﴿مَّفْرُوضًا﴾: مقطوعاً أدعوهم إلىٰ طاعتي.

١١٩ - ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ﴾ عن الحق بالوسوسة ﴿وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾: ألقي في قلوبهم طول الحياة وأن لا بعث ولا حساب ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ﴾: يُقطِّعنَّ ﴿آذَانَ الْأَنْعَامِ﴾ وقد فُعِلَ ذلك بالبحائر ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾: دينه بالكفر وإحلال ما حرَّم، وتحليل ما أحلَّ. هذا قولٌ مرويّ عن ابن عبّاس وغيره. وهناك قول آخر يدلّ عليه ما جاء في «صحيح مسلم» (٢١٢٥) عن عبد الله بن مسعود قال: «لعن الله الواشمات والمستوشمات، والنامصات والمتنمّصات، والمتفلجات للحسن، المغيرات خلق الله». والواشمة: التي تغرز إبرة في يدها أو شفتها أو غير ذلك من بدنها ثم تحشو ذلك الموضع بالكحل أو غيره. والنامصة: التي تزيل شعر الوجه. والمتفلجة: التي تبرد ما بين أسنانها الثنايا والرَّباعيات. ﴿وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا﴾ يتولاه ويطيعه ﴿مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾: بيِّناً لمصيره إلىٰ النار المؤبّدة عليه.

١٢٠ - ﴿يَعِدُهُمْ﴾ طولَ العمر ﴿وَيُمَنِّيهِمْ﴾ نيلَ الآمال في الدنيا وأن لا بعث ولا جزاء ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ بذلك ﴿إِلَّا غُرُورًا﴾: باطلاً.

١٢١ - ﴿أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾: مَعدِلاً.

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ﴿١٢٢﴾ لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا ﴿١٢٤﴾ وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطٗا ﴿١٢٦﴾ وَيَسۡتَفۡتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِيهِنَّ وَمَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤۡتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرۡغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلۡوِلۡدَٰنِ وَأَن تَقُومُواْ لِلۡيَتَٰمَىٰ بِٱلۡقِسۡطِۚ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمٗا ﴿١٢٧﴾

١٢٢ ـ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ﴾ أي: وعدهم الله ذلك وحقَّه حقاً.

﴿وَمَنۡ﴾ أي: لا أحد ﴿أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا﴾ أي: قولاً.

١٢٣ ـ ونزل لما افتخر المسلمون وأهل الكتاب: ﴿لَّيۡسَ﴾ الأمرُ منوطاً ﴿بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ﴾ بل بالعمل الصالح.

﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾ إما في الآخرة، أو في الدنيا بالبلاء والمحن كما ورد في الحديث.

﴿وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿وَلِيّٗا﴾ يحفظه ﴿وَلَا نَصِيرٗا﴾ يمنعه منه.

١٢٤ ـ ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ﴾ شيئاً ﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا﴾: قدر نُقرة النواة.

١٢٥ ـ ﴿وَمَنۡ﴾ أي: لا أحد ﴿أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ﴾ أي: انقاد وأخلص عمله ﴿لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ﴾: موحِّد ﴿وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ الموافقة لملَّة الإسلام ﴿حَنِيفٗاۗ﴾، حال، أي: مائلاً عن الأديان كلها إلىٰ الدين القيم.

﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾: صفيّاً خالص المحبة له.

١٢٦ ـ ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ مُلكاً وخلقاً وعبيداً.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطٗا﴾ علماً وقدرة، أي: لم يزل متصفاً بذلك.

١٢٧ ـ ﴿وَيَسۡتَفۡتُونَكَ﴾: يطلبون منك الفتوىٰ ﴿فِي﴾ شأن ﴿ٱلنِّسَآءِۖ﴾ وميراثهن.

﴿قُلِ﴾ لهم: ﴿ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِيهِنَّ وَمَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾: القرآن من آية الميراث.

ويُفتيكم أيضاً ﴿فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤۡتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ﴾: فُرض ﴿لَهُنَّ﴾ من الميراث.

﴿وَتَرۡغَبُونَ﴾ أيها الأولياء عن ﴿أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ لدمامتهن.

وتعضُلونهن أن يتزوجن طمعاً في ميراثهن.

أي: يفتيكم أن لا تفعلوا ذلك ﴿وَ﴾ في ﴿ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ﴾: الصغار ﴿مِنَ ٱلۡوِلۡدَٰنِ﴾ أن تعطوهم حقوقهم ﴿وَ﴾ يأمركم ﴿أَن تَقُومُواْ لِلۡيَتَٰمَىٰ بِٱلۡقِسۡطِۚ﴾: بالعدل في الميراث والمهر.

﴿وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمٗا﴾ فيجازيكم به.

وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾

١٢٨ - ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ﴾، مرفوع بفعل يفسره: ﴿خَافَتْ﴾: توقَّعت ﴿مِنْ بَعْلِهَا﴾: زوجها ﴿نُشُوزًا﴾: تَرفُّعاً عليها بترك مضاجعتها والتقصير في نفقتها لبغضها وطموح عينه إلىٰ أجمل منها ﴿أَوْ إِعْرَاضًا﴾ عنها بوجهه ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا﴾ من (أصلح) ﴿بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ في القَسْم والنفقة، بأن تترك له شيئاً طلباً لبقاء الصحبة، فإن رَضيتْ بذلك، وإلّا فعلىٰ الزوج أن يوفِّيها حقها، أو يفارقها ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ من الفرقة والنشوز والإعراض، قال تعالىٰ في بيان ما جُبل عليه الإنسان: ﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾: شدة البخل، أي: جُبلت عليه، فكأنها حاضرته لا تغيب عنه، المعنىٰ أن المرأة لا تكاد تسمح بنصيبها من زوجها، والرجلُ لا يكاد يسمح عليها بنفسه إذا أحبَّ غيرها ﴿وَإِنْ تُحْسِنُوا﴾ عشرة النساء ﴿وَتَتَّقُوا﴾ الجوْرَ عليهن ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ فيجازيكم به.

١٢٩ - ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا﴾: تُسوُّوا ﴿بَيْنَ النِّسَاءِ﴾ في المحبة ﴿وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ علىٰ ذلك ﴿فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ﴾ إلىٰ التي تحبونها في القَسْم والنفقة ﴿فَتَذَرُوهَا﴾ أي: تتركوا الممال عنها ﴿كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ التي لا هي أيِّم، ولا ذات بعل ﴿وَإِنْ تُصْلِحُوا﴾ بالعدل في القسم ﴿وَتَتَّقُوا﴾ الجوْر ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا﴾ لما في قلبكم من الميل ﴿رَحِيمًا﴾ بكم في ذلك.

١٣٠ - ﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا﴾ أي: الزوجان بالطلاق ﴿يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا﴾ عن صاحبه ﴿مِنْ سَعَتِهِ﴾ أي: فضله بأن يرزقها زوجاً غيره ويرزقه غيرها ﴿وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا﴾ لخلقه في الفضل ﴿حَكِيمًا﴾ فيما دبَّره لهم.

١٣١ - ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ بمعنىٰ الكتب ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ أي: اليهود والنصارىٰ ﴿وَإِيَّاكُمْ﴾ يا أهل القرآن ﴿أَنِ﴾: بأن ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾: خافوا عقابه بأن تطيعوه ﴿وَ﴾ قلنا لهم ولكم: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا﴾ بما وُصِّيتم به ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ خلقاً ومُلكاً وعبيداً، فلا يضره كفرُكم ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا﴾ عن خلقه وعبادتهم ﴿حَمِيدًا﴾: محموداً في صنعه بهم.

١٣٢ - ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، كرَّره تأكيداً لتقرير موجب التقوىٰ. ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾: شهيداً بأنَّ ما فيهما له.

١٣٣ - ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ يا ﴿أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ﴾ بدلكم ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا﴾.

١٣٤ - ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ﴾ بعمله ﴿ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ لمن أراده لا عند غيره، فَلِمَ يَطلبُ أحَدَهما الأخسَّ؟ وهلّا طلب الأعلىٰ بإخلاصه له، حيث كان مطلبه لا يوجد إلا عنده؟ ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴿١٣٧﴾ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾

١٣٥ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ﴾ : قائمين ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾ : بالعدل ﴿شُهَدَآءَ﴾ بالحق ﴿لِلَّهِ وَلَوْ﴾ كانت الشهادة ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ فاشهدوا عليها بأن تُقِرُّوا بالحق ولا تكتموه.

﴿أَوِ﴾ على ﴿ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ﴾ المشهود عليه ﴿غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾ منكم وأعلم بمصالحهما.

﴿فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ في شهادتكم بأن تُحابوا الغني لرضاه، أو الفقير رحمة له، لِـ﴿أَن﴾ لا ﴿تَعْدِلُواْ﴾ : تميلوا عن الحق.

﴿وَإِن تَلْوُۥٓاْ﴾ : تُحرِّفوا الشهادة ﴿أَوْ تُعْرِضُواْ﴾ عن أدائها ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ فيجازيكم به.

١٣٦ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ﴾ : داوموا على الإيمان ﴿بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ : محمد ﷺ وهو القرآن ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾ على الرسل، بمعنى الكتب.

﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ عن الحق.

١٣٧ ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾ ما أقاموا عليه ﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا﴾ : طريقاً إلى الحق.

١٣٨ ـ ﴿بَشِّرِ﴾ : أخبر يا محمد ﴿ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ : مؤلماً هو عذاب النار.

١٣٩ ـ ﴿ٱلَّذِينَ﴾، بدل أو نعت للمنافقين ﴿يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ لما يتوهَّمون فيهم من القوة.

﴿أَيَبْتَغُونَ﴾ : يطلبون ﴿عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ﴾، استفهام إنكار، أي: لا يجدونها عندهم.

﴿فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ في الدنيا والآخرة، ولا ينالها إلا أولياؤه.

١٤٠ ـ ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ : القرآن في سورة الأنعام.

﴿أَنْ﴾، مخففة واسمها محذوف، أي: أنه ﴿إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ : القرآن ﴿يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ﴾ أي: الكافرين والمستهزئين ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا﴾ إن قعدتم معهم ﴿مِّثْلُهُمْ﴾ في الإثم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ كما اجتمعوا في الدنيا على الكفر والاستهزاء.

ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَـٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَـٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَـٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾

١٤١ ـ ﴿ٱلَّذِينَ﴾، بدل من (الذين) قبله ﴿يَتَرَبَّصُونَ﴾: ينتظرون ﴿بِكُمْ﴾ الدوائر ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ﴾: ظفرٌ وغنيمةٌ ﴿مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟﴾ لكم: ﴿أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ في الدين والجهاد، فأعطونا من الغنيمة ﴿وَإِن كَانَ لِلْكَـٰفِرِينَ نَصِيبٌ﴾ من الظَّفر عليكم ﴿قَالُوٓا۟﴾ لهم: ﴿أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ﴾: نستولِ ﴿عَلَيْكُمْ﴾ ونَقدر علىٰ أخذكم وقتلكم فأبقينا عليكم ﴿وَ﴾ ألم ﴿نَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أن يظفروا بكم بتخذيلهم ومراسلتكم بأخبارهم؟ فلنا عليكم المنَّة، قال تعالىٰ: ﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ وبينهم ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ بأن يُدخلكم الجنَّة ويُدخلهم النارَ ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَـٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾: طريقاً بالاستئصال.

١٤٢ ـ ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾ بإظهارهم خلاف ما أبطنوه من الكفر ليدفعوا عنهم أحكامه الدنيوية ﴿وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ﴾: مجازيهم علىٰ خداعهم، فيفتضحون في الدنيا بإطلاع الله نبيَّه علىٰ ما أبطنوه، ويعاقبون في الآخرة ﴿وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ مع المؤمنين ﴿قَامُوا۟ كُسَالَىٰ﴾: متثاقلين ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾ بصلاتهم ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ﴾: يصلون ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾: رياءً.

١٤٣ ـ ﴿مُّذَبْذَبِينَ﴾: مُتردِّدين ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ الكفر والإيمان. ﴿لَآ﴾ منسوبين ﴿إِلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ﴾ أي: الكفار ﴿وَلَآ إِلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ﴾ أي: المؤمنين. ﴿وَمَن يُضْلِلِ﴾ه ﴿ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾: طريقاً إلى الهدىٰ.

١٤٤ ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بموالاتهم ﴿سُلْطَـٰنًا مُّبِينًا﴾: برهاناً بيِّناً علىٰ نِفاقكم.

١٤٥ ـ ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ﴾: المكان ﴿ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ وهو قعرها ﴿وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾: مانعاً من العذاب.

١٤٦ ـ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟﴾ من النفاق ﴿وَأَصْلَحُوا۟﴾ عملَهم ﴿وَٱعْتَصَمُوا۟﴾: وثقوا ﴿بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ من الرياء ﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فيما يؤتونه ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ في الآخرة وهو الجنة.

١٤٧ ـ ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ﴾ نِعَمه ﴿وَءَامَنتُمْ﴾ به؟ والاستفهام بمعنى النفي، أي: لا يعذبكم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا﴾ لأعمال المؤمنين بالإثابة ﴿عَلِيمًا﴾ بخلقه.

۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ إِلَّا مَن ظُلِمَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبۡدُواْ خَيۡرًا أَوۡ تُخۡفُوهُ أَوۡ تَعۡفُواْ عَن سُوٓءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّٗا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٥٢﴾ يَسۡـَٔلُكَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيۡهِمۡ كِتَٰبٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ فَقَدۡ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكۡبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلۡمِهِمۡۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَعَفَوۡنَا عَن ذَٰلِكَۚ وَءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمۡ وَقُلۡنَا لَهُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُلۡنَا لَهُمۡ لَا تَعۡدُواْ فِي ٱلسَّبۡتِ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ﴿١٥٤﴾

١٤٨ ـ ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾ من أحد، ﴿إِلَّا مَن ظُلِمَۚ﴾ فلا يؤاخذه بالجهر به، بأن يخبر عن ظلم ظالمه ويدعو عليه.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا﴾ لما يقال ﴿عَلِيمًا﴾ بما يُفعل.

١٤٩ ـ ﴿إِن تُبۡدُواْ﴾: تُظهروا ﴿خَيۡرًا﴾ من أعمال البرِّ ﴿أَوۡ تُخۡفُوهُ﴾: تعملوه سِرّاً ﴿أَوۡ تَعۡفُواْ عَن سُوٓءٖ﴾: ظلم ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّٗا قَدِيرًا﴾.

١٥٠ ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ بأن يؤمنوا به دونهم ﴿وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ﴾ من الرسل ﴿وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ﴾ منهم ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ﴾ الكفر والإيمان ﴿سَبِيلًا﴾: طريقاً يذهبون إليه.

١٥١ ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ﴾، مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله ﴿وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾: ذا إهانة، وهو عذاب النار.

١٥٢ ـ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ كلِّهم ﴿وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ﴾: ثوابَ أعمالهم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا﴾ لأوليائه ﴿رَّحِيمٗا﴾ بأهل طاعته.

١٥٣ ـ ﴿يَسۡـَٔلُكَ﴾ يا محمد ﴿أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾: اليهود ﴿أَن تُنَزِّلَ عَلَيۡهِمۡ كِتَٰبٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ﴾ جُملةً كما أُنزل علىٰ موسىٰ، تعنُّتاً.

فإن استكبرتَ ذلك ﴿فَقَدۡ سَأَلُواْ﴾ أي: آباؤهم ﴿مُوسَىٰٓ أَكۡبَرَ﴾: أعظم ﴿مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ﴾: عِياناً ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾: الموتُ عقاباً لهم ﴿بِظُلۡمِهِمۡۚ﴾ حيث تعنَّتوا في السؤال.

﴿ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ﴾ إلهاً ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ﴾: المعجزات علىٰ وحدانية الله ﴿فَعَفَوۡنَا عَن ذَٰلِكَۚ﴾ ولم نستأصلهم.

﴿وَءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا﴾: تسلُّطاً بيِّناً ظاهراً عليهم، حيث أمرهم بقتل أنفسهم توبةً فأطاعوه.

١٥٤ ـ ﴿وَرَفَعۡنَا فَوۡقَهُمُ ٱلطُّورَ﴾: الجبل ﴿بِمِيثَٰقِهِمۡ﴾: بسبب أخذ الميثاق عليهم ليخافوا فيقبلوه.

﴿وَقُلۡنَا لَهُمُ﴾ وهو مُظِلٌّ عليهم: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ﴾: باب القرية ﴿سُجَّدٗا﴾ سجودَ انحناء.

﴿وَقُلۡنَا لَهُمۡ لَا تَعۡدُواْ﴾ أي: لا تعتدوا ﴿فِي ٱلسَّبۡتِ﴾ باصطياد الحيتان فيه.

﴿وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا﴾ علىٰ ذلك، فنقضوه.

فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾

١٥٥ ـ ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم﴾ (ما) زائدة والباء للسببية متعلقة بمحذوف، أي: لعناهم بسبب نقضهم ﴿مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ﴾ للنبي ﷺ: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾: لا تعي كلامك ﴿بَلْ طَبَعَ﴾: ختم ﴿ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ فلا تعي وعظاً ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ منهم، كعبد الله بن سلام وأصحابه.

١٥٦ ـ ﴿وَبِكُفْرِهِمْ﴾ ثانياً بعيسىٰ، وكرّر الباء للفصل بينه وبين ما عطف عليه ﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا﴾ حيث رموها بالزنىٰ.

١٥٧ ـ ﴿وَقَوْلِهِمْ﴾ مفتخرين: ﴿إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ في زعمهم، أي: بمجموع ذلك عذبناهم. قال تعالىٰ تكذيباً لهم في قتله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ المقتولُ والمصلوب ـ وهو صاحبهم ـ بعيسىٰ، أي: ألقىٰ الله عليه شَبَهه فظنوه إياه. ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ أي: في عيسىٰ ﴿لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ﴾ من قتله حيث قال بعضهم لما رأوا المقتول: الوجهُ وجه عيسىٰ، والجسد ليس بجسده، فليس به، وقال آخرون: بل هو هو ﴿مَا لَهُم بِهِۦ﴾: بقتله ﴿مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ﴾، استثناء منقطع، أي: لكن يتبعون فيه الظن الذي تخيلوه ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا﴾، حال مؤكِّدة لنفي القتل.

١٥٨ ـ ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا﴾ في ملكه ﴿حَكِيمًا﴾ في صنعه.

١٥٩ ـ ﴿وَإِن﴾: ما ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أحدٌ ﴿إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ﴾: بعيسىٰ ﴿قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ أي: الكتابي، حين يعاين ملائكة الموت، فلا ينفعه إيمانه، أو قبل موت عيسىٰ لما ينزل قرب الساعة كما ورد في حديث ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ﴾ عيسىٰ ﴿عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ بما فعلوه لمّا بُعث إليهم.

١٦٠ ـ ﴿فَبِظُلْمٍ﴾ أي: فبسبب ظلم ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ هم اليهود ﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ هي التي في قوله تعالىٰ: (حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ) الآية ﴿وَبِصَدِّهِمْ﴾ الناس ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: دينه صدّاً ﴿كَثِيرًا﴾.

١٦١ ـ ﴿وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ في التوراة ﴿وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾: بالرُّشا في الحكم وبغيرها ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾: مؤلماً.

١٦٢ ـ ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ﴾: الثابتون ﴿فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ﴾ كعبد الله بن سلام ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: المهاجرون والأنصار ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ من الكتب ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، نصب علىٰ المدح ﴿وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ هو الجنة.

﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿١٦٥﴾ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدۡ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴿١٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١٧٠﴾

١٦٣ ـ ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَ﴾ كما ﴿أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ﴾ ابنيه ﴿وَيَعۡقُوبَ﴾ بن إسحاق ﴿وَٱلۡأَسۡبَاطِ﴾: أولاده ﴿وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا﴾ أباه ﴿دَاوُۥدَ زَبُورٗا﴾، بالفتح، اسم للكتاب المؤتَى.

١٦٤ ـ ﴿وَ﴾ أرسلنا ﴿رُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ﴾ بلا واسطة ﴿تَكۡلِيمٗا﴾.

١٦٥ ـ ﴿رُّسُلٗا﴾، بدل من (رسلاً) قبله ﴿مُّبَشِّرِينَ﴾ بالثواب من آمن ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ بالعقاب من كفر.

أرسلناهم ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ﴾ تُقال ﴿بَعۡدَ﴾ إرسال ﴿ٱلرُّسُلِۚ﴾ إليهم.

فيقولوا: ربنا لولا أرسلتَ إلينا رسولاً فنتَّبعَ آياتِك ونكونَ من المؤمنين.

فبعثناهم لقطع عذرهم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا﴾ في ملكه ﴿حَكِيمٗا﴾ في صنعه.

١٦٦ ـ ونزل لما سُئل اليهود عن نبوته ﷺ فأنكروه: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ﴾ يُبين نبوّتك ﴿بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ﴾ من القرآن المعجز.

﴿أَنزَلَهُۥ﴾ ملتبساً ﴿بِعِلۡمِهِۦۖ﴾ أي: عالماً به، أو وفيه علمه ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ﴾ لك أيضاً ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ علىٰ ذلك.

١٦٧ ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بالله ﴿وَصَدُّواْ﴾ الناس ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: دين الإسلام ﴿قَدۡ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ عن الحق.

١٦٨ ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بالله ﴿وَظَلَمُواْ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا﴾ من الطرق.

١٦٩ ـ ﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾ أي: الطريق المؤدي إليها ﴿خَٰلِدِينَ﴾: مُقدَّرين الخلود ﴿فِيهَآ﴾ إذا دخلوها ﴿أَبَدٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا﴾: هيِّناً.

١٧٠ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ محمد ﷺ ﴿بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ فَـَٔامِنُواْ﴾ به واقصدوا ﴿خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ﴾ مما أنتم فيه.

﴿وَإِن تَكۡفُرُواْ﴾ به ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ مُلكاً وخلقاً وعبيداً.

فلا يضرُّه كفرُكم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٗا﴾ في صنعه بهم.

يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٧٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴿١٧٥﴾

١٧١ ـ ﴿يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ﴾: الإنجيل ﴿لَا تَغۡلُواْ﴾: تتجاوزوا الحدّ ﴿فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا﴾ القول ﴿ٱلۡحَقَّۚ﴾ من تنزيهه عن الشريك والولد.

﴿إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ﴾: أوصلها الله ﴿إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ﴾ أي: ذو روح ﴿مِّنۡهُۖ﴾.

أضيف إليه تعالىٰ تشريفاً له، وليس ـ كما زعمتم ـ ابنَ الله، أو إلٰهاً معه، أو ثالثَ ثلاثة.

﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ﴾: الآلهة ﴿ثَلَٰثَةٌۚ﴾ الله وعيسىٰ وأمه ﴿ٱنتَهُواْ﴾ عن ذلك وأتوا ﴿خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ﴾ منه، وهو التوحيد.

﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ﴾: تنزيهاً له عن ﴿أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ خلقاً ومُلكاً وعبيداً، والملكية تنافي البنوة ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾: شهيداً علىٰ ذلك.

١٧٢ ـ ﴿لَّن يَسۡتَنكِفَ﴾: يتكبَّر ويأنف ﴿ٱلۡمَسِيحُ﴾ الذي زعمتم أنه إلٰه عن ﴿أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ﴾ عند الله لا يستنكفون أن يكونوا عبيداً، وهذا من أحسن الاستطراد، ذُكر للردّ علىٰ من زعم أنها آلهة، أو بنات الله.

كما رَدَّ بما قَبْله علىٰ النصارىٰ الزاعمين ذلك المقصودِ خطابُهم ﴿وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا﴾ في الآخرة.

١٧٣ ـ ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ﴾: ثوابَ أعمالهم ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۖ﴾ ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطرَ علىٰ قلب بشر.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾ عن عبادته ﴿فَيُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا﴾: مؤلماً هو عذاب النار.

﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿وَلِيّٗا﴾ يدفعه عنهم ﴿وَلَا نَصِيرٗا﴾ يمنعهم منه.

١٧٤ ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ﴾: حجة ﴿مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ عليكم، وهو النبي ﷺ.

﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا﴾: بيِّناً، وهو القرآن.

١٧٥ ـ ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا﴾: طريقاً ﴿مُّسۡتَقِيمٗا﴾ هو دين الإسلام.

يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿١٧٦﴾

سُورَةُ المَائِدَةِ — ترتيبها ٥ — آياتها ١٢٠

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾

نصف الحزب ١١

١٧٦ ـ ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ في الكلالة ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟﴾، مرفوع بفعل يفسره: ﴿هَلَكَ﴾: مات ﴿لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ أي: ولا والد، وهو الكلالة ﴿وَلَهُۥٓ أُخْتٌ﴾ من أبوين أو أب ﴿فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ﴾ أي: الأخ كذلك ﴿يَرِثُهَآ﴾ جميعَ ما تركت ﴿إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ﴾ فإن كان لها ولدٌ ذكَرٌ، فلا شيء له، أو أنثىٰ، فله ما فَضَل عن نصيبها، ولو كانت الأخت أو الأخ من أمّ ففرضه السدس كما تقدم أول السورة ﴿فَإِن كَانَتَا﴾ أي: الأختان ﴿ٱثْنَتَيْنِ﴾ أي: فصاعداً، لأنها نزلت في جابر وقد مات عن أخوات ﴿فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ﴾ الأخ ﴿وَإِن كَانُوٓا۟﴾ أي: الورثة ﴿إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ﴾ منهم ﴿مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ شرائع دينكم لِـ﴿أَن﴾ لا ﴿تَضِلُّوا۟ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ ومنه الميراث، روىٰ الشيخان عن البراء أنها آخر آية نزلت، أي: من الفرائض. رواه البخاري (٤٦٠٥)، ورواه مسلم (١٦١٨).

سورة المائدة

مدنية مئة وعشرون ـ أو وثنتان، أو وثلاث ـ آية

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ﴾: العهود المؤكّدة التي بينكم وبين الله والناس. ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ البهيمة اسم لكل ذات أربع والأنعام هي: الإبل والبقر والغنم والمعز أكلاً بعد الذبح ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ تحريمُه في: (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ) الآية، ﴿غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ أي: مُحرِمون، ونصب (غير) علىٰ الحال من ضمير (لكم) أي: أحلت لكم بهيمة الأنعام حال كونكم غير محلي صيد البر وأنتم محرمون لأن صيد البر حالة الإحرام محظور ومحرم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ من التحليل وغيره لا اعتراض عليه. ٢ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾، جمع شعيرة، أي: معالم دينه بالصيد في الإحرام ﴿وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ﴾ بالقتال فيه ﴿وَلَا ٱلْهَدْىَ﴾: ما أهدي إلىٰ الحرم من النَّعم بالتعرض له ﴿وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ﴾، جمع قلادة، وهي ما كان يُقلَّد به من شجر الحَرم ليأمن، أي: فلا تتعرضوا لها ولا لأصحابها ﴿وَلَا﴾ تُحِلُّوا ﴿ءَآمِّينَ﴾: قاصدين ﴿ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ بأن تقاتلوهم ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا﴾: رزقاً ﴿مِّن رَّبِّهِمْ﴾ بالتجارة ﴿وَرِضْوَٰنًا﴾ منه بقصده بزعمهم الفاسد، وهذا منسوخ بآية براءة ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ﴾ من الإحرام ﴿فَٱصْطَادُوا۟﴾، أمر إباحة ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾: يحملنكم ﴿شَنَـَٔانُ﴾: بُغض ﴿قَوْمٍ﴾ لأجل ﴿أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟﴾ عليهم بالقتل وغيره ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ﴾ بفعل ما أُمرتم به ﴿وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ بترك ما نُهيتم عنه ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا۟﴾، فيه حذف إحدىٰ التاءين في الأصل ﴿عَلَى ٱلْإِثْمِ﴾: المعاصي ﴿وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾: التعدِّي في حدود الله ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾: خافوا عقابه بأن تطيعوه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ لمن خالفه.

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾

٣ ـ ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ أي: أكلها ﴿وَٱلدَّمُ﴾ أي: المسفوح كما في الأنعام ﴿وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ بأن ذُبح على اسم غيره ﴿وَٱلْمُنْخَنِقَةُ﴾: الميتة خنقاً ﴿وَٱلْمَوْقُوذَةُ﴾: المقتولة ضرباً ﴿وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ﴾: الساقطة من علوٍّ إلىٰ أسفل فماتت ﴿وَٱلنَّطِيحَةُ﴾: المقتولة بنطح أخرىٰ لها ﴿وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ﴾ منه ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ أي: أدركتم فيه الروح من هذه الأشياء فذبحتموه ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى﴾ اسم ﴿ٱلنُّصُبِ﴾، جمع نصاب وهي الأصنام ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟﴾: تطلبوا القَسْم والحكم ﴿بِٱلْأَزْلَٰمِ﴾، جمع زَلَم، بفتح الزاي وضمِّها مع فتح اللام: قِدْحٌ ـ بكسر القاف ـ صغيرٌ لا ريش له ولا نَصْل، وكانت سبعةً عند سادن الكعبة عليها أعلام، وكانوا يُحكِّمونها، فإن أمَرَتْهم ائتمروا، وإن نَهَتْهُم انتهوا ﴿ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾: خروج عن الطاعة. ونزل يوم عرفة عام حجة الوداع: ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ﴾ أن ترتدُّوا عنه بعد طمعهم في ذلك لِمَا رأوا من قوته ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾: أحكامه وفرائضه، فلم ينزل بعدها حلال ولا حرام ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى﴾ بإكماله، وقيل: بدخول مكة آمنين ﴿وَرَضِيتُ﴾ أي: اخترت ﴿لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ﴾: مجاعة إلىٰ أكل شيء مما حُرِّمَ عليه، فأكَلَه ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ﴾: مائل ﴿لِّإِثْمٍ﴾: معصية ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ له ما أكلَ ﴿رَّحِيمٌ﴾ به في إباحته له، بخلاف المائل لإثم، أي: المتلبِّس به، كقاطع الطريق والباغي مثلاً، فلا يحل له الأكل.

٤ ـ ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ يا محمد ﴿مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ﴾ من الطعام ﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾: المستلذَّات ﴿وَ﴾ صيد ﴿مَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ﴾: الكواسب من الكلاب والسباع والطير ﴿مُكَلِّبِينَ﴾، حال من: كلَّبت الكلب، بالتشديد، أي: أرسلته على الصيد ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ﴾، حال من ضمير (مكلبين) أي: تؤدبونهن ﴿مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ﴾ من آداب الصيد ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ وإن قتلنه، بأن لم يأكلن منه، بخلاف غير المُعلَّمة، فلا يحل صيدُها، وعلامتها أن تَسترسل إذا أُرسلت، وتنزجرَ إذا زُجرت، وتُمسكَ الصيد ولا تأكلَ منه، وأقلُّ ما يُعرف به ذلك ثلاث مرات، فإن أكلتْ منه فليس مما أمسَكْنَ علىٰ صاحِبها، فلا يَحلُّ أكلُه كما في حديث «الصحيحين»: رواه البخاري (١٧٥) ورواه مسلم (١٩٢٩) وفيه: أن صيد السهم إذا أُرسل وذُكر اسم الله عليه، كصيد المعلم من الجوارح ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ عند إرساله ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾. ٥ ـ ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾: المستلذَّات ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: ذبائح اليهود والنصارىٰ ﴿حِلٌّ﴾: حلال ﴿لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ﴾ إياهم ﴿حِلٌّ لَّهُمْ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ﴾: الحرائر ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ حلٌّ لكم أن تنكحوهن ﴿إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾: مُهورهن ﴿مُحْصِنِينَ﴾: مُتزوِّجين ﴿غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ﴾: مُعلنين بالزنىٰ بهن ﴿وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ﴾ منهن، تُسِرُّون بالزنىٰ بهن ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ أي: يرتد ﴿فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾ الصالح قبل ذلك، فلا يُعتد به ولا يُثاب عليه ﴿وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ إذا مات عليه.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٦﴾ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذۡ قُلۡتُمۡ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّـٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿٩﴾

٦ - ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ﴾ أي: أردتم القيام ﴿إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ وأنتم مُحدثون ﴿فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ﴾ أي: معها كما بيَّنته السُّنة ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ﴾، الباء للإلصاق، أي: ألصقوا المسح بها، من غير إسالة ماء، وهو اسم جنس، فيكفي أقلُّ ما يصدقُ عليه، وهو مسحُ بعض شعره، وعليه الشافعي ﴿وَأَرۡجُلَكُمۡ﴾، بالنصب عطفاً على (أيديكم) ﴿إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ﴾ أي: معهما كما بيَّنته السُّنة، وهما العظمان الناتئان في كل رِجل عند مَفْصِل الساق والقدم. والفصل بين الأيدي والأرجل المغسولة بالرأس الممسوح، يفيد وجوب الترتيب في طهارة هذه الأعضاء وعليه الشافعي، ويؤخذ من السُّنة وجوبُ النية فيه كغيره من العبادات ﴿وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ﴾: فاغتسلوا ﴿وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ﴾ مرضاً يضرُّه الماء ﴿أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ أي: مسافرين ﴿أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ﴾ أي: أحدث ﴿أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾، سبق مثله في الآية ٤٣ من سورة النساء، وقد اختلف المفسرون في المراد من قوله: (لَٰمَسۡتُمُ) على قولين: أحدهما: أن ذلك كناية عن الجماع، وقد رجح الطبري وغيره هذا القول. وثانيهما: أنّ المراد من قوله: (لَٰمَسۡتُمُ) كل لمس لامرأة أجنبية ليست محرماً بيد كان أو بغيرها من أعضاء الإنسان. ﴿فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ﴾ بعد طلبه ﴿فَتَيَمَّمُواْ﴾: اقصِدوا ﴿صَعِيدٗا طَيِّبٗا﴾: تراباً طاهراً ﴿فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم﴾ مع المرفقين ﴿مِّنۡهُۚ﴾ بضربتين، والباء للإلصاق، وبيَّنت السُّنة أن المرادَ استيعابُ العضوين بالمسح ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ﴾: ضِيقٍ بما فرض عليكم من الوضوء والغسل والتيمم ﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ﴾ من الأحداث والذنوب ﴿وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ﴾ بالإسلام ببيان شرائع الدين ﴿لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ نعمه.

٧ - ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾ بالإسلام ﴿وَمِيثَٰقَهُ﴾: عهده ﴿ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ﴾ عاهدكم عليه ﴿إِذۡ قُلۡتُمۡ﴾ للنبي ﷺ حين بايعتموه: ﴿سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ﴾ في كل ما تأمر به وتنهى، مما نحب ونكره ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾ في ميثاقه أن تنقُضوه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ بما في القلوب، فبغيره أولى.

٨ - ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّـٰمِينَ﴾: قائمين ﴿لِلَّهِ﴾ بحقوقه ﴿شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾: بالعدل ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ﴾: يحملنَّكم ﴿شَنَـَٔانُ﴾: بغض ﴿قَوۡمٍ﴾ أي: الكفار ﴿عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ﴾ فتنالوا منهم لعداوتهم ﴿ٱعۡدِلُواْ﴾ في العدوّ والوليّ ﴿هُوَ﴾ أي: العدل ﴿أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ فيجازيكم به.

٩ - ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَٰتِ﴾ وعداً حسناً ﴿لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾ هو الجنة.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ۙ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾

ثلاثة أرباع الحزب ١١

١٠ ـ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾.

١١ ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا﴾: يمدُّوا ﴿إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ ليفتكوا بكم.

﴿فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾ وعصمكم مما أرادوا بكم.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

١٢ ـ ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ بما يُذكر بعد ﴿وَبَعَثْنَا﴾، فيه التفات عن الغيبة: أقمنا.

﴿مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ من كل سِبْطٍ نقيبٌ يكون كفيلاً علىٰ قومه بالوفاء بالعهد توثقةً عليهم.

﴿وَقَالَ﴾ لهم ﴿اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ﴾ بالعوْن والنُّصرة ﴿لَئِنْ﴾، لام قسم.

﴿أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾: نصرتموهم.

﴿وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ بالإنفاق في سبيله.

﴿لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ الميثاق ﴿مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾: أخطأ طريقَ الحق.

والسواء في الأصل: الوَسَط فنقضوا الميثاق.

١٣ ـ قال تعالىٰ: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم﴾ (ما) زائدة ﴿مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ﴾: أبعدناهم عن رحمتنا.

﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ لا تلين لقبول الإيمان.

﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾ الذي في التوراة من نعت محمد ﷺ وغيره ﴿عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ التي وضعه الله عليها، أي: يُبدِّلونه.

﴿وَنَسُوا﴾: تركوا ﴿حَظًّا﴾: نصيباً.

﴿مِّمَّا ذُكِّرُوا﴾: أُمِروا ﴿بِهِ﴾ في التوراة من اتِّباعِ محمد.

﴿وَلَا تَزَالُ﴾ خطابٌ للنبيِّ ﷺ ﴿تَطَّلِعُ﴾: تَظهر ﴿عَلَىٰ خَائِنَةٍ﴾ أي: خيانة ﴿مِّنْهُمْ﴾ بنقض العهد وغيره ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ ممن أسلم.

﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ وهذا منسوخٌ بآية السيف.

وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗاۗ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٧﴾

١٤ ـ ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ﴾ متعلق بقوله:

﴿أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ﴾ كما أخذنا على بني إسرائيل اليهود.

﴿فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ في الإنجيل من الإيمان وغيره ونقضوا الميثاق.

﴿فَأَغۡرَيۡنَا﴾: أوقعنا ﴿بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾ بتفرقهم واختلاف أهوائهم.

فكلُّ فِرْقة تُكفر الأخرى ﴿وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ﴾ في الآخرة ﴿بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ﴾ فيجازيهم عليه.

١٥ ـ ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾: اليهود والنصارى.

﴿قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا﴾: محمد ﴿يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ﴾: تكتمون ﴿مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾: التوراة والإنجيل كآية الرجم وصفته ﴿وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ﴾ من ذلك فلا يبيِّنه إذا لم يكن فيه مصلحة إلا افتضاحكم.

﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ﴾ هو النبي ﷺ ﴿وَكِتَٰبٞ﴾: قرآن ﴿مُّبِينٞ﴾: بَيِّنٌ ظاهر.

١٦ ـ ﴿يَهۡدِي بِهِ﴾ أي: بالكتاب ﴿ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ﴾ بأن آمن ﴿سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾: طرق السلامة.

﴿وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: الكفر ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾: الإيمان ﴿بِإِذۡنِهِۦ﴾: بإرادته.

﴿وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾: دين الإسلام.

١٧ ـ ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ﴾ حيث جعلوه إلٰهاً، وهم اليعقوبية، فرقة من النَّصارى.

﴿قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ﴾ أي: يدفع ﴿مِنَ﴾ عذاب ﴿ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ أَن يُهۡلِكَ ٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗاۗ﴾ أي: لا أحد يملك ذلك.

ولو كان المسيح إلٰهاً لقدر عليه ﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾.

وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾

١٨ ـ ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ أي: كل منهما: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ﴾ أي: كأبنائه في القُرب والمنزلة، وهو كأبينا في الرحمة والشفقة.

﴿وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ﴾ لهم يا محمد: ﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾ إن صدقتم في ذلك، ولا يعذب الأبُ ولدَه، ولا الحبيبُ حبيبَه، وقد عذبكم، فأنتم كاذبون.

﴿بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ﴾: مِن جملة مَن ﴿خَلَقَ﴾ من البشر، لكم ما لهم وعليكم ما عليهم.

﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ المغفرة له.

﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ تعذيبه، لا اعتراض عليه.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾: المرجع.

١٩ ـ ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ محمد ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾ شرائع الدين ﴿عَلَىٰ فَتْرَةٍ﴾: انقطاع ﴿مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ إذ لم يكن بينه وبين عيسىٰ رسول.

ومدة ذلك خمس مئة وتسع وستون سنة لـ﴿أَن﴾ لا ﴿تَقُولُوا۟﴾ إذا عُذبتم: ﴿مَا جَآءَنَا مِنۢ﴾، زائدة ﴿بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ﴾ فلا عذر لكم إذاً.

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه تعذيبُكم إن لم تتبعوه.

٢٠ ـ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ﴾ أي: منكم ﴿أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾: أصحاب خدم وحشم.

﴿وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ من المنِّ والسَّلوىٰ وفَلْق البحر وغير ذلك.

٢١ ـ ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ﴾: المطهرة ﴿ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾: أمركم بدخولها، وهي الشام.

﴿وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ﴾: تنهزموا خوف العدو ﴿فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾ في سعيكم.

٢٢ ـ ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ طوالاً ذوي قوة.

﴿وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ﴾ لها.

٢٣ ـ ﴿قَالَ﴾ لهم ﴿رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ مخالفة أمر الله.

﴿أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ بالعصمة ﴿ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ﴾: باب القرية، ولا تخشوهم، فإنهم أجساد بلا قلوب ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ﴾ قالا ذلك تيقُّناً بنصر الله وإنجاز وعده ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾

٢٤ ـ ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ﴾ هم ﴿إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ عن القتال.

٢٥ ـ ﴿قَالَ﴾ موسىٰ حينئذ: ﴿رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَ﴾ إلا ﴿أَخِي﴾ ولا أملك غيرهما فأُجبرَهم علىٰ الطاعة ﴿فَٱفۡرُقۡ﴾: فافصل ﴿بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾.

٢٦ ـ ﴿قَالَ﴾ تعالىٰ له: ﴿فَإِنَّهَا﴾ أي: الأرض المقدسة ﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡ﴾ أن يدخلوها ﴿أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ يَتِيهُونَ﴾: يتحيَّرون ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ وهي تسعة فراسخ، قاله ابن عباس ﴿فَلَا تَأۡسَ﴾: تحزن ﴿عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ روي أنهم كانوا يسيرون الليل جادّين، فإذا أصبحوا إذا هم في الموضع الذي ابتدؤوا منه، ويسيرون النهار كذلك، ومات هارون وموسىٰ في التيه وكان رحمةً لهما وعذاباً لأولئك. وسأل موسىٰ ربه عند موته أن يُدْنِيَه من الأرض المقدسة رميةً بحجر فأدناه، كما في الحديث الذي رواه البخاري (٣٤٠٧)، ومسلم (٢٣٧٢).

٢٧ ـ ﴿وَٱتۡلُ﴾ يا محمد ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾: علىٰ قومك ﴿نَبَأَ﴾: خبر ﴿ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ﴾: هابيل وقابيل ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾، متعلق بـ(اتْلُ) ﴿إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا﴾ إلىٰ الله، وهو كبش لهابيل وزرع لقابيل ﴿فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا﴾ وهو هابيل بأن نزلت نار من السماء فأكلت قربانه ﴿وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ﴾ وهو قابيل، فغضب وأضمر الحسد في نفسه ﴿قَالَ﴾ له: ﴿لَأَقۡتُلَنَّكَ﴾ قال: لِمَ؟ قال: لِتقبُّلِ قربانِك دوني ﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾.

٢٨ ـ ﴿لَئِنۢ﴾، لام قسم ﴿بَسَطتَ﴾: مَدَدْتَ ﴿إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ في قتلك.

٢٩ ـ ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ﴾: ترجع ﴿بِإِثۡمِي﴾: بإثم قتلي ﴿وَإِثۡمِكَ﴾ الذي ارتكبته من قبلُ ﴿فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ﴾ ولا أريد أن أبوء بإثمك إذا قتلتُك فأكون منهم، قال تعالىٰ: ﴿وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

٣٠ ـ ﴿فَطَوَّعَتۡ﴾: زيَّنتْ ﴿لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ﴾: فصار ﴿مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ بقتله، ولم يدر ما يصنع به لأنه أول ميت علىٰ وجه الأرض من بني آدم، فحمله علىٰ ظهره.

٣١ ـ ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: ينْبش التراب بمنقاره وبرجليه ويثيره علىٰ غراب ميت معه حتىٰ واراه ﴿لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي﴾: يستر ﴿سَوۡءَةَ﴾: جيفة ﴿أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ﴾ عن ﴿أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾ علىٰ حمله، وحفر له وواراه.

مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡأَرۡضِ لَمُسۡرِفُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفۡتَدُواْ بِهِۦ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنۡهُمۡۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٣٦﴾

٣٢ ـ ﴿مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ﴾ الذي فعله قابيل ﴿كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ﴾ أي: الشأن ﴿مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ﴾ قتلها ﴿أَوۡ﴾ بغير ﴿فَسَادٖ﴾ أتاه ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ من كفر، أو زنى، أو قطع طريق أو نحوه ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا﴾ بأن امتنع عن قتلها ﴿فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ﴾ قال ابن عباس؛ من حيث انتهاكُ حرمتها وصونُها ﴿وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ﴾ أي: بني إسرائيل ﴿رُسُلُنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾: المعجزات ﴿ثُمَّ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡأَرۡضِ لَمُسۡرِفُونَ﴾: مجاوزون الحدَّ بالكفر والقتل وغير ذلك.

٣٣ ـ ونزل في العُرَنِيِّين لما قدموا المدينة وهم مرضىٰ. انظر: حديث العرنيين في «صحيح البخاري» (٢٣٣ و٦٨٩٩)، و«صحيح مسلم» (١٦٧١)، فأذن لهم النبي ﷺ أن يخرجوا إلىٰ الإبل ويشربوا من أبوالها وألبانها، فلما صَحُّوا، قتلوا راعيَ النبي ﷺ واستاقوا الإبل: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ بمحاربة المسلمين ﴿وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا﴾ بقطع الطريق ﴿أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ﴾ أي: أيديهم اليمنىٰ وأرجلُهم اليسرىٰ ﴿أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ (أو) لترتيب الأحوال، فالقتل لمن قتل فقط، والصلب لمن قتل وأخذ المال، والقطع لمن أخذ المال ولم يقتل، والنفي لمن أخاف فقط. قاله ابن عباس، وعليه الشافعي، وأصح قوليه أن الصلب ثلاثاً بعد القتل، وقيل: قبله قليلاً، ويُلحق بالنفي ما أشبهه في التنكيل من الحبس وغيره ﴿ذَٰلِكَ﴾ الجزاء المذكور ﴿لَهُمۡ خِزۡيٞ﴾: ذل ﴿فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ وهو عذاب النار.

٣٤ ـ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾ من المحاربين والقُطَّاع ﴿مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ﴾ لهم ما أتوْه ﴿رَّحِيمٞ﴾ بهم، عبَّر بذلك دون: فلا تَحُدُّوهم؛ ليفيد أنه لا يسقط عنه بتوبته إلّا حدود الله دون حقوق الآدميين، كذا ظهر لي، ولم أرَ من تعرض له، والله أعلم، فإذا قَتل وأخذ المال، يقتل ويقطع ولا يصلب، وهو أصح قولي الشافعي، ولا تفيد توبتُه بعد القدرة عليه شيئاً، وهو أصح قوليه أيضاً.

٣٥ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾: خافوا عقابه بأن تطيعوه ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ﴾: اطلبوا ﴿إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾: ما يقربكم إليه من طاعته ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ﴾ لإعلاء دينه ﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾: تفوزون.

٣٦ ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ﴾ ثبت ﴿أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفۡتَدُواْ بِهِۦ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنۡهُمۡۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾.

يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَاۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُواْۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾

ربع الحزب ١٢

٣٧ ـ ﴿يُرِيدُونَ﴾: يتمنون ﴿أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَاۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾: دائم.

٣٨ ـ ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ﴾، (أل) فيهما موصولة، مبتدأ، ولشبهه بالشرط دخلت الفاء في خبره، وهو: ﴿فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ أي: يمين كل منهما من الكوع، وبينت السُّنة أن الذي يُقْطَعُ فيه ربعُ دينار فصاعداً، وأنه إذا عاد قُطعت رجله اليسرىٰ من مَفْصِل القدم، ثم اليد اليسرىٰ، ثم الرجل اليمنىٰ، وبعد ذلك يُعزَّر ﴿جَزَآءَۢ﴾، نصب علىٰ المصدر ﴿بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا﴾: عقوبة لهما ﴿مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾: غالب علىٰ أمره ﴿حَكِيمٌ﴾ في خلقه.

٣٩ ـ ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ﴾ رجع عن السرقة ﴿وَأَصْلَحَ﴾ عمله ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، أي: فلا يسقط بتوبته حق الآدمي من القطع وردِّ المال، نعم بينت السُّنة أنه إن عفا عنه قبل الرفع إلىٰ الإمام سقط القطع، وعليه الشافعي.

٤٠ ـ ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾، الاستفهام فيه للتقرير ﴿أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ تعذيبه ﴿وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُۗ﴾ المغفرة له ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه التعذيب والمغفرة.

٤١ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ﴾ صنعُ ﴿ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾: يقعون فيه بسرعة، أي: يُظهرونه إذا وجدوا فرصة ﴿مِنَ﴾، للبيان ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾: بألسنتهم، متعلق بـ (قالوا) ﴿وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْۛ﴾ وهم المنافقون ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ﴾ قومٌ ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ الذي افترَتْهُ أحبارُهم سماعَ قبول ﴿سَمَّٰعُونَ﴾ منك ﴿لِقَوْمٍ﴾: لأجل قوم ﴿ءَاخَرِينَ﴾ من اليهود ﴿لَمْ يَأْتُوكَۖ﴾ وهم أهل خيبر، زنىٰ فيهم مُحصَنان، فكرهوا رجمهما، فبعثوا قريظة ليسألوا النبي ﷺ عن حكمهما ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ﴾ الذي في التوراة كآية الرجم ﴿مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦۖ﴾ التي وضعه الله عليها، أي: يُبدّلونه ﴿يَقُولُونَ﴾ لمن أرسلوهم: ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا﴾ الحُكمَ المحرَّف، أي: الجَلْد، أي: إن أفتاكم به محمد ﴿فَخُذُوهُ﴾: فاقبلوه ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ﴾ بل أفتاكم بخلافه ﴿فَٱحْذَرُواْۚ﴾ أن تقبلوه ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ﴾: إضلاله ﴿فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔاۚ﴾ في دفعها ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْۚ﴾ من الكفر، ولو أراده لكان ﴿لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌۖ﴾: ذلٌّ بالفضيحة والجزية ﴿وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔاۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًاۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾

٤٢ ـ هم ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِۚ﴾، أي: الحرام، كالرُّشا ﴿فَإِن جَآءُوكَ﴾ لتحكم بينهم ﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْۖ﴾، هذا التخيير منسوخ بقوله: (وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم) الآية، فيجب الحكمُ بينهم إذا ترافعوا إلينا، وهو أصح قولي الشافعي، فلو ترافعوا إلينا مع مسلم وجب إجماعاً ﴿وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔاۖ وَإِنْ حَكَمْتَ﴾ بينهم ﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِۚ﴾: بالعدل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾: العادلين في الحكم، أي: يُثيبهم.

٤٣ ـ ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ﴾ بالرجم؟ استفهام تعجيب، أي: لم يقصدوا بذلك معرفة الحق، بل ما هو أهون عليهم ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ﴾: يُعرضون عن حكمك بالرجم الموافق لكتابهم ﴿مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَۚ﴾ التحكيم ﴿وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

٤٤ ـ ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَنُورٌۚ﴾: بيان للأحكام ﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ﴾ من بني إسرائيل ﴿ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟﴾: انقادوا لله ﴿لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ﴾ العلماء منهم ﴿وَٱلْأَحْبَارُ﴾: الفقهاء ﴿بِمَا﴾ أي: بسبب الذي ﴿ٱسْتُحْفِظُوا۟﴾: استودعوه، أي: استحفظهم الله إياه ﴿مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ أن يُبدِّلوه ﴿وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ﴾ أنه حق ﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ﴾ أيها اليهود في إظهار ما عندكم من نعت محمد ﷺ والرجم وغيرهما ﴿وَٱخْشَوْنِ﴾ في كتمانه ﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟﴾: تستبدلوا ﴿بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًاۚ﴾ من الدنيا تأخذونه علىٰ كتمانها ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ به.

٤٥ ـ ﴿وَكَتَبْنَا﴾: فرضنا ﴿عَلَيْهِمْ فِيهَآ﴾ أي: التوراة ﴿أَنَّ ٱلنَّفْسَ﴾ تُقتل ﴿بِٱلنَّفْسِ﴾ إذا قتلتها ﴿وَٱلْعَيْنَ﴾ تُفقأ ﴿بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ﴾ يُجدع ﴿بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ﴾ تُقطع ﴿بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ﴾ تُقلع ﴿بِٱلسِّنِّ﴾، ﴿وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌۚ﴾ أي: يُقتص فيها إذا أمكن، كاليد والرِّجل والذَّكر ونحو ذلك.

وما لا يمكن فيه الحكومة، وهذا الحكم وإن كُتِبَ عليهم فهو مُقرر في شرعنا.

﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ﴾ أي: بالقصاص بأن مَكَّنَ من نفسه.

هذا ما ذهب إليه الجلال السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو وجيه، وهناك قول آخر قويّ في تفسير قوله تعالىٰ:

(فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ) وهو: أن المسلم إذا أصيب في جسده بجرح أو قطع منه شيء فعفا وتصدّق به كان ذلك له كفارة تحط عنه خطاياه. ﴿فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥۚ﴾ لما أتاه ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ في القصاص وغيره ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾

٤٦ ـ ﴿وَقَفَّيْنَا﴾: أتبعنا ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم﴾ أي: النبيين.

﴿بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: قبله.

﴿مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى﴾ من الضلالة.

﴿وَنُورٌ﴾: بيان للأحكام.

﴿وَمُصَدِّقًا﴾، حال ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ لما فيها من الأحكام.

﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

٤٧ ـ ﴿وَ﴾ قلنا: ﴿لْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ﴾ من الأحكام ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾.

٤٨ ـ ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: القرآن ﴿بِٱلْحَقِّ﴾، متعلق بـ(أنزلنا).

﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: قبله ﴿مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا﴾: شاهداً ﴿عَلَيْهِ ۖ﴾ والكتاب بمعنىٰ الكتب.

﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُم﴾: بين أهل الكتاب إذا ترافعوا إليك ﴿بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ﴾ إليك ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ عادلاً ﴿عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ﴾ أيها الأمم ﴿شِرْعَةً﴾: شريعة ﴿وَمِنْهَاجًا ۚ﴾: طريقاً واضحاً في الدِّين يمشون عليه.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾: علىٰ شريعة واحدة.

﴿وَلَٰكِن﴾ فرَّقكم فِرقاً ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ﴾: ليختبركم ﴿فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ﴾ من الشرائع المختلفة لينظرَ المطيعَ منكم والعاصي.

﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ﴾: سارعوا إليها ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ بالبعث ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ من أمر الدين ويجزي كُلّاً منكم بعمله.

٤٩ ـ ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ﴾ لِـ﴿أَن﴾ لا ﴿يَفْتِنُوكَ﴾: يُضلُّوك ﴿عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ عن الحُكم المنزَّل وأرادوا غيره ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم﴾ بالعقوبة في الدنيا ﴿بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ﴾ التي أتَوْها ومنها التولّي.

ويُجازيهم علىٰ جميعها في الأخرىٰ ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ﴾.

٥٠ ـ ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ﴾: يطلبون من المداهنة والميل إذا تولَّوا؟ استفهام إنكاري.

﴿وَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ﴾ عند قوم ﴿يُوقِنُونَ﴾ به، خُصوا بالذكر لأنهم الذين يتدبرونه.

۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٥٧﴾

٥١ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ﴾ تُوالونهم وتوادُّونهم ﴿بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ﴾ لاتِّحادهم في الكفر ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾: من جملتهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ بموالاتهم الكفار.

٥٢ ـ ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ﴾: ضعفُ اعتقاد كعبد الله بن أُبيّ المنافق ﴿يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ﴾: في موالاتهم ﴿يَقُولُونَ﴾ معتذرين عنها: ﴿نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ﴾ يدور بها الدهر علينا من جَدْب أو غلبة، ولا يتم أمر محمد فلا يميرونا، قال تعالىٰ: ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ﴾: بالنصر لنبيه بإظهار دينه ﴿أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ﴾ بهتك ستر المنافقين وافتضاحهم ﴿فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ من الشكِّ وموالاة الكفار ﴿نَٰدِمِينَ﴾.

٥٣ ـ ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ أي: يقول بعضهم لبعض إذا هُتك سترهم تعجباً: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾: غاية اجتهادهم فيها ﴿إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ﴾ في الدين؟ قال تعالىٰ: ﴿حَبِطَتۡ﴾: بَطَلَتْ ﴿أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾ الصالحةُ ﴿فَأَصۡبَحُواْ﴾: صاروا ﴿خَٰسِرِينَ﴾ الدنيا بالفضيحة، والآخرة بالعقاب.

٥٤ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ﴾: يرجع ﴿مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ﴾ إلىٰ الكفر، إخبار بما علم الله تعالىٰ وقوعَه، وقد ارتدَّ جماعة بعد موت النبي ﷺ ﴿فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ﴾ بدلَهم ﴿بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ قال ﷺ: «هم قوم هذا» وأشار إلىٰ أبي موسىٰ الأشعري، رواه الحاكم في «صحيحه» (٢/ ٣١٣) والآية عامّة، وهي تقرّر أنَّ من تولّىٰ عن نصرة دين الله وإقامة شرعه وارتدّ عن دينه، فإنّه سبحانه يأتي بدلهم بقوم يحبُّهم ويحبُّونه، يجاهدون في سبيل الله، وينصرون دين الله، أشدّاء علىٰ الكفّار، رحماء بينهم. ﴿أَذِلَّةٍ﴾: عاطفين ﴿عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ﴾: أشدّاء ﴿عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ﴾ فيه، كما يخاف المنافقون لَوْم الكفار ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور من الأوصاف ﴿فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾: كثير الفضل ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن هو أهلُه.

٥٥ ـ ونزل لما قال ابنُ سلام: يا رسول الله، إن قومنا هجرونا ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ﴾ أي: يعملون ما ذُكر من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وهم خاشعون متواضعون لله تعالىٰ منقادون لحكمه.

٥٦ ـ ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فيُعينُهم وينصرهُم ﴿فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ لنصره إياهم، أوقعه موقع (فإنهم) بياناً، لأنهم من حزبه، أي: أتباعه.

٥٧ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا﴾: مهزوءاً به ﴿وَلَعِبٗا مِّنَ﴾، للبيان ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ﴾: المشركين ﴿أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ بترك موالاتهم ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾: صادقين في إيمانكم.

وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَوٰةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ الْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّٰغُوتَ أُولَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ السَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓا ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِۦ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ الرَّبَّٰنِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَٰوَةَ وَالْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَٰمَةِ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾

٥٨ ـ ﴿وَ﴾ الذين ﴿إِذَا نَادَيْتُمْ﴾: دعوتم ﴿إِلَى الصَّلَوٰةِ﴾ بالأذان ﴿اتَّخَذُوهَا﴾ أي: الصلاة ﴿هُزُوًا وَلَعِبًا﴾ بأن يستهزؤوا بها ويتضاحكوا ﴿ذَٰلِكَ﴾ الاتخاذ ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ أي: بسبب أنهم ﴿قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾.

٥٩ ـ ونزل لما قال اليهود للنبي ﷺ: بمن تؤمن من الرسل؟ فقال: (بِاللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا) الآية، فلما ذكر عيسىٰ قالوا: لا نعلم ديناً شرّاً من دينكم: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ الْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ﴾: تُنكرون ﴿مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ﴾ إلىٰ الأنبياء ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ﴾ عطف علىٰ (أنْ آمنّا)، المعنىٰ: ما تنكرون إلا إيماننا ومخالفتكم في عدم قبوله المعبَّر عنه بالفسق اللازم عنه، وليس هذا مما يُنكر.

٦٠ ـ ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم﴾: أُخبركم ﴿بِشَرٍّ مِّن﴾ أهل ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي تنقمونه ﴿مَثُوبَةً﴾: ثواباً، بمعنىٰ جزاء ﴿عِندَ اللَّهِ﴾؟ هو ﴿مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ﴾: أبعده عن رحمته ﴿وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾ بالمسخ ﴿وَ﴾ من ﴿عَبَدَ الطَّٰغُوتَ﴾: الشيطان بطاعته، وراعىٰ في (منهم) معنىٰ (مَن) وفيما قبله لفظها، وهم اليهود. ﴿أُولَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾، تمييز، لأن مأواهم النار ﴿وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ السَّبِيلِ﴾: طريق الحق، وأصل السَّواء الوَسَط، وذِكْرُ (شرّ) و(أضلّ) في مقابلة قولهم: لا نعلم ديناً شرّاً من دينكم.

٦١ ـ ﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ﴾ أي: منافقو اليهود ﴿قَالُوٓا ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُوا﴾ إليكم متلبِّسين ﴿بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا﴾ من عندكم متلبِّسين ﴿بِهِۦ﴾ ولم يؤمنوا ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾ه من النفاق.

٦٢ ـ ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾ أي: اليهود ﴿يُسَٰرِعُونَ﴾: يقعون سريعاً ﴿فِي الْإِثْمِ﴾: الكذب ﴿وَالْعُدْوَٰنِ﴾: الظُّلم ﴿وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ﴾: الحرام كالرُّشا ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ه عملُهم هذا.

٦٣ ـ ﴿لَوْلَا﴾: هلَّا ﴿يَنْهَىٰهُمُ الرَّبَّٰنِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾ منهم ﴿عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ﴾: الكذب ﴿وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ه تركُ نهيهم.

٦٤ ـ ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ﴾ لما ضُيق عليهم بتكذيبهم النبيَّ ﷺ بعد أن كانوا أكثر الناس مالاً: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾: مقبوضةٌ عن إدرار الرزق علينا، كَنَّوا به عن البُخل ـ تعالىٰ الله عن ذلك ـ قال تعالىٰ: ﴿غُلَّتْ﴾: أُمسكت ﴿أَيْدِيهِمْ﴾ عن فعل الخيرات، دعاءٌ عليهم ﴿وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾، مبالغة في الوصف بالجود، إذ غاية ما يبذله السخيُّ من ماله أن يُعطيَ بيديه ﴿يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ من توسيع وتضييق لا اعتراض عليه ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ من القرآن ﴿طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ لكفرهم به ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَٰوَةَ وَالْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَٰمَةِ﴾ فكل فرقة منهم تخالف الأخرىٰ ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ﴾ أي: لحرب النبي ﷺ ﴿أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾: كلما أرادوه ردَّهم ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾: أي: مفسدين بالمعاصي ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾.

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ ۞ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۚ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾

ثلاثة أرباع الحزب ١٢

٦٥ ـ ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا﴾ بمحمد ﷺ ﴿وَاتَّقَوْا﴾ الكفر ﴿لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾.

٦٦ ـ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ﴾ بالعمل بما فيهما، ومنه الإيمان بالنبي ﷺ ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم﴾ من الكتب ﴿مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ بأن يُوسِّعَ عليهم الرزقَ ويَفيضَ من كل جهة ﴿مِّنْهُمْ أُمَّةٌ﴾: جماعة ﴿مُّقْتَصِدَةٌ﴾: تعمل به، وهم من آمن بالنبي ﷺ كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ﴾: بئس ﴿مَا﴾ شيئاً ﴿يَعْمَلُونَ﴾ه.

٦٧ ـ ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ﴾ جميع ﴿مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ ولا تكتم شيئاً منه خوفاً أن تُنال بمكروه ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ﴾ أي: إن لم تُبلِّغ جميع ما أنزل إليك ﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾، لأن كتمان بعضها ككتمان كلها ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ أن يقتلوك، وكان ﷺ يُحرَس حتىٰ نزلت، فقال: «انصرفوا فقد عصمني الله». رواه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣١٣)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي وقال الألباني في «صحيح الترمذي» (٢٤٤٠): حسن. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

٦٨ ـ ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ من الدين معتدٍّ به ﴿حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ بأن تعملوا بما فيه، ومنه الإيمان بي ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ من القرآن ﴿طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ لكفرهم به ﴿فَلَا تَأْسَ﴾: تحزن ﴿عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ إن لم يؤمنوا بك، أي: لا تهتم بهم.

٦٩ ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ هم اليهود، مبتدأ ﴿وَالصَّابِئُونَ﴾: فرقة منهم أو هم قوم باقون علىٰ فطرتهم خرجوا عن سائر الأديان عندما شكوا في صحتها. والحق أن هذه الفرقة اختلف في تعريفها وتحديد حقيقتها والله أعلم. ﴿وَالنَّصَارَىٰ﴾، ويبدل من المبتدأ: ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ منهم ﴿بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة، خبر المبتدأ، ودال علىٰ خبر (إن).

٧٠ ـ ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ علىٰ الإيمان بالله ورسله ﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ﴾ منهم ﴿بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ﴾ من الحق كذبوه ﴿فَرِيقًا﴾ منهم ﴿كَذَّبُوا وَفَرِيقًا﴾ منهم ﴿يَقْتُلُونَ﴾ كزكريا ويحيىٰ، والتعبير به دون: قتلوا، حكاية للحال الماضية وللفاصلة، أي: فالتعبير بـ(يقتلون) دون (قتلوا) معلّلٌ بكل من العلتين:

أما الأولىٰ: فهي حكاية الحال الماضية، وصورتها أن يفرض ما حصل فيما مضىٰ حاصلاً وقت التكلّم، ويعبّر عنه بالمضارع الدالّ علىٰ حال التكلّم. وأما العلة الثانية: فهي مراعاة الفواصل التي في نهايات الآيات.

وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴿٧١﴾ لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿٧٢﴾ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٧٦﴾

٧١ - ﴿وَحَسِبُوٓاْ﴾: ظنوا ﴿أَلَّا تَكُونَ﴾ أي: تقع ﴿فِتۡنَةٞ﴾: عذابٌ بهم علىٰ تكذيب الرسل وقتْلِهم ﴿فَعَمُواْ﴾ عن الحق فلم يُبصروه ﴿وَصَمُّواْ﴾ عن استماعه ﴿ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾ لمّا تابوا ﴿ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ﴾ ثانياً ﴿كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ﴾، بدل من الضمير ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾ فيجازيهم به.

٧٢ - ﴿لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ﴾، سبق مثله.

﴿وَقَالَ﴾ لهم ﴿ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ﴾ فإني عبد ولست بإلٰه.

﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ﴾ في العبادة غيره ﴿فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ﴾: منعه أن يدخلها.

﴿وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ﴾، زائدة ﴿أَنصَارٖ﴾ يمنعونهم من عذاب الله.

٧٣ - ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ﴾ آلهة ﴿ثَلَٰثَةٖۘ﴾: أي: أحدُها، والآخران عيسىٰ وأمه، وهم فرقة من النصارىٰ.

﴿وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ﴾ من التثليث ويُوحِّدوا ﴿لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي: ثبتوا علىٰ الكفر ﴿مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مؤلم، وهو النار.

٧٤ - ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ﴾ مما قالوا؟ استفهامُ توبيخ.

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ﴾ لمن تاب ﴿رَّحِيمٞ﴾ به.

٧٥ - ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ﴾: مضت ﴿مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ فهو يمضي مثلهم، وليس بإلٰه كما زعموا، وإلا لما مضىٰ.

﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ﴾، مبالغة في الصدق ﴿كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ﴾ كغيرهما من الناس.

ومن كان كذلك لا يكون إلٰهاً لتركيبه وضعفه وما ينشأ منه من البول والغائط.

﴿ٱنظُرۡ﴾ متعجباً ﴿كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ علىٰ وحدانيتنا.

﴿ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ﴾: كيف ﴿يُؤۡفَكُونَ﴾: يُصرفون عن الحق مع قيام البرهان.

٧٦ - ﴿قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوالكم ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ بأحوالكم، والاستفهام للإنكار.

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨١﴾ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾

٧٧ ـ ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ اليهود والنصارىٰ ﴿لَا تَغْلُوا﴾: تُجاوزوا الحدَّ ﴿فِي دِينِكُمْ﴾ غُلُوًّا ﴿غَيْرَ الْحَقِّ﴾ بأن تضعوا عيسىٰ، أو ترفعوه فوق حقه ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ﴾ بغُلوِّهم وهم أسلافهم ﴿وَأَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ من الناس ﴿وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾: طريق الحق، والسواء في الأصل الوسط.

٧٨ ـ ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ﴾ بأن دعا عليهم فمُسخوا قردة، وهم أصحاب أيلة ﴿وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ بأن دعا عليهم فمُسخوا خنازير، وهم أصحاب المائدة ﴿ذَٰلِكَ﴾ اللعن ﴿بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾.

٧٩ ـ ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ﴾ أي: لا ينهىٰ بعضهم بعضاً ﴿عَنْ﴾ معاودة ﴿مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ه فعلهم هذا.

٨٠ ـ ﴿تَرَىٰ﴾ يا محمد ﴿كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة بغضاً لك ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ من العمل لمعادهم الموجب لهم ﴿أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾

٨١ ـ ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ﴾ محمد ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ﴾ أي: الكفار ﴿أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾: خارجون عن الإيمان.

٨٢ ـ ﴿لَتَجِدَنَّ﴾ يا محمد ﴿أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ لِتضاعُف كفرهم وجهلهم وانهماكهم في اتباع الهوىٰ ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ﴾ أي: قُرْبُ مودتهم للمؤمنين ﴿بِأَنَّ﴾: بسبب أنَّ ﴿مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ﴾: علماء ﴿وَرُهْبَانًا﴾: عُبَّاداً ﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن اتباع الحق كما يستكبر اليهود وأهل مكة، نزلت في وفد النجاشي القادمين عليه من الحبشة، قرأ ﷺ سورة (يس) فبكَوا وأسلموا، وقالوا: ما أشبهَ هذا بما كان يَنزل علىٰ عيسىٰ. هذه الآية والآيات بعدها تصوّر حالة معيّنة، ومَنْ يعمّمها علىٰ النصارىٰ كلهم كان مخطئاً، فهؤلاء الذين تتحدث عنهم هذه الآيات قومٌ إذا سمعوا القرآن فاضت أعينهم من الدمع وقالوا: ربّنا آمنّا بنبيّك محمد فاكتبنا مع الشاهدين، وطمعوا أن يدخلهم ربُّهم مع القوم الصالحين من أمة محمد ﷺ، فأثابهم الله بما قالوا الجنة خالدين فيها. أما النصارىٰ الذين لم يتصفوا بهذه الصفات فهم واليهود متعاونون في حرب الإسلام وأهله، والحروب الصليبية التي ما تزال حلقاتها متواصلة حتىٰ اليوم دليل علىٰ أنّ المذكورين في الآيات طائفة معينة. ولا يجوز أن نأخذ الجملة الأولىٰ (وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً . . .) دون متابعةٍ للجمل الأخرىٰ الواردة في الآية والآيات بعدها، ودون نظر في الواقع التاريخي والواقع المعاصر الذي كان يعامل به النصارىٰ المستعمرون أبناء المسلمين، أو ما يعامل به النصارىٰ المتوحشون المسلمين في البوسنة والهرسك وكوسوفا.

وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَآءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِـَٔايَاتِنَآ أُولَـٰٓئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾ يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَآ أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَانِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوٓا أَيْمَانَكُمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾

٨٣ ـ قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ﴾ من القرآن ﴿تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا﴾: صدَّقنا بنبيِّك وكتابك ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾: المُقرِّين بتصديقهما.

٨٤ ـ ﴿وَ﴾ قالوا في جواب من عَيَّرهم بالإسلام من اليهود: ﴿مَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ الْحَقِّ﴾: القرآن، أي: لا مانع لنا من الإيمان مع وجود مقتضيه ﴿وَنَطْمَعُ﴾، عطف علىٰ (نؤمن) ﴿أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾: المؤمنين الجنة.

٨٥ ـ قال تعالىٰ: ﴿فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَآءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ بالإيمان.

٨٦ ـ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِـَٔايَاتِنَآ أُولَـٰٓئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾.

٨٧ ـ ونزل لما همَّ قومٌ من الصحابة أن يُلازموا الصوم والقيام، ولا يقربوا النساء والطيب، ولا يأكلوا اللحم، ولا يناموا علىٰ الفراش: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَآ أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا﴾: تتجاوزوا أمر الله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾.

٨٨ ـ ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا﴾، مفعول، والجار والمجرور قبله حال متعلق به ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾.

٨٩ ـ ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ﴾ الكائن ﴿فِيٓ أَيْمَانِكُمْ﴾ هو ما يسبق إليه اللسان من غير قصد الحَلِف، كقول الإنسان: لا والله، وبلىٰ والله ﴿وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ﴾ عليه بأن حلفتم عن قصد ﴿فَكَفَّارَتُهُۥٓ﴾ أي: اليمين إذا حنثتم فيه ﴿إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ﴾ لكل مسكين مد ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ﴾ منه ﴿أَهْلِيكُمْ﴾ أي: أَقْصَدِه وأَغْلَبِه، لا أعلاه لا أدناه ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ بما يسمىٰ كسوة، كقميص وعمامة وإزار، ولا يكفي دفعُ ما ذُكر إلىٰ مسكين واحد، وعليه الشافعي ﴿أَوْ تَحْرِيرُ﴾: عتق ﴿رَقَبَةٍ﴾ أي: مؤمنة كما في كفّارة القتل والظِّهار حملاً للمطلق علىٰ المقيد ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ واحداً مما ذُكر ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾ كفارته، وظاهره أنه لا يشترط التتابع، وعليه الشافعي ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ وحنثتم ﴿وَاحْفَظُوٓا أَيْمَانَكُمْ﴾ أن تنكثوها ما لم تكن علىٰ فعل برٍّ، أو إصلاح بين الناس كما في سورة البقرة ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل ما بيَّن لكم ما ذُكر ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ه علىٰ ذلك.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٩٢﴾ لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحۡسَنُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٩٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٩٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۚ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾

٩٠ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ﴾: المُسكر الذي يُخامر العقل ﴿وَٱلۡمَيۡسِرُ﴾: القمار ﴿وَٱلۡأَنصَابُ﴾: الأصنام ﴿وَٱلۡأَزۡلَٰمُ﴾: قِداح الاستقسام ﴿رِجۡسٞ﴾: خبيث مستقذر ﴿مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ الذي يُزيِّنه ﴿فَٱجۡتَنِبُوهُ﴾ أي: الرجس المعبَّر به عن هذه الأشياء أن تفعلوه ﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾.

٩١ ـ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ﴾ إذا أتيتموهما لما يحصل فيهما من الشر والفتن ﴿وَيَصُدَّكُمۡ﴾ بالاشتغال بهما ﴿عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ﴾ خصّها بالذكر تعظيماً لها ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ عن إتيانهما؟ أي: انتهوا.

٩٢ ـ ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ﴾ المعاصي ﴿فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ﴾ عن الطاعة ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾: الإبلاغ البيِّن، وجزاؤكم علينا.

٩٣ ـ ﴿لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ﴾: أكلوا من الخمر والميسر قبل التحريم ﴿إِذَا مَا ٱتَّقَواْ﴾ المحرماتِ ﴿وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ﴾: ثبتوا علىٰ التقوىٰ والإيمان ﴿ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحۡسَنُواْۚ﴾ العمل ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ بمعنىٰ أنه يُثيبهم.

٩٤ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ﴾: ليختبرنكم ﴿ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ﴾ يرسله لكم ﴿مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ﴾ أي: الصغار منه ﴿أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ﴾ الكبارَ منه، وكان ذلك بالحديبية وهم مُحرِمون، فكانت الوحش والطير تغشاهم في رحالهم ﴿لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ﴾ عِلمَ ظهور ﴿مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ﴾، حال، أي: غائباً لم يره فيجتنب الصيد ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ﴾ النهي عنه فاصطاده ﴿فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾.

٩٥ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ﴾: مُحرِمون بحج أو عمرة ﴿وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ﴾، بالتنوين ورفع ما بعده، أي: فعليه جزاءٌ، هو ﴿مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾ أي: شِبهه في الخلقة، ﴿يَحۡكُمُ بِهِۦ﴾ أي: بالمِثْل رجلان ﴿ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ﴾: لهما فطنة يُميِّزان بها أشبه الأشياء به، وقد حكم ابن عباس وعمر وعلي رضي الله عنهم في النَّعامة ببَدَنة، وابنُ عباس وأبو عبيدة: في بقر الوحش وحماره ببقرة، وابنُ عمر وابنُ عوف: في الظَّبْي بشاة، وحكم بها ابن عباس وعمر وغيرهما في الحمام لأنه يشبهها في العَبِّ ﴿هَدۡيَۢا﴾، حال من (جزاء) ﴿بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ﴾ أي: يبلغ به الحرم، فيذبح فيه ويتصدق به علىٰ مساكينه، ولا يجوز أن يذبح حيث كان، ونصبه نعتاً لما قبله وإن أضيف لأن إضافته لفظية لا تفيد تعريفاً، فإن لم يكن للصيد مِثْلٌ من النَّعم كالعصفور والجراد، فعليه قيمتُه ﴿أَوۡ﴾ عليه ﴿كَفَّٰرَةٞ﴾ غير الجزاء وإن وجدَه، هي: ﴿طَعَامُ مَسَٰكِينَ﴾ من غالب قوت البلد ما يساوي قيمة الجزاء، لكل مسكين مُدٌّ، ﴿أَوۡ﴾ عليه ﴿عَدۡلُ﴾: مِثلُ ﴿ذَٰلِكَ﴾ الطعام ﴿صِيَامٗا﴾ يصومه عن كل مُدٍّ يوماً، وإن وجده وجب ذلك عليه ﴿لِّيَذُوقَ وَبَالَ﴾: ثقل جزاء ﴿أَمۡرِهِۦۗ﴾ الذي فعله ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ﴾ من قتل الصيد قبل تحريمه ﴿وَمَنۡ عَادَ﴾ إليه ﴿فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۚ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ﴾: غالب علىٰ أمره ﴿ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ ممن عصاه، وأُلحق بقتله متعمِّداً فيما ذكر الخطأ.

أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾ ۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا۟ بِهَا كَٰفِرِينَ ﴿١٠٢﴾ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ۙ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾

ربع الحزب ١٣

٩٦ ـ ﴿أُحِلَّ لَكُمْ﴾ أيها الناس حلالاً كنتم أو مُحْرِمين ﴿صَيْدُ ٱلْبَحْرِ﴾ أن تأكلوه، وهو ما لا يعيش إلا فيه، كالسمك، بخلاف ما يعيش فيه وفي البر، كالسرطان ﴿وَطَعَامُهُۥ﴾: ما يقذفُه ميتاً ﴿مَتَٰعًا﴾: تمتيعاً ﴿لَّكُمْ﴾ تأكلونه ﴿وَلِلسَّيَّارَةِ﴾: المسافرين منكم يتزودونه ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ﴾: وهو ما يعيش فيه من الوحش المأكول أن تصيدوه ﴿مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ فلو صاده حلال، فللمحرم أكلهُ كما بيَّنَتْه السُّنة ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

٩٧ ـ ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾: المحرَّم ﴿قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ﴾: يقوم به أمرُ دينهم بالحج إليه، ودنياهم بأمن داخله وعدم التعرض له، وجبي ثمرات كلِّ شيء إليه، ﴿وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ﴾ بمعنىٰ الأشهر الحرم ـ ذو القَعدة وذو الحجَّة والمحرَّم ورجب ـ قياماً لهم بأمنهم من القتال فيها ﴿وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ﴾ قياماً لهم بأمن صاحبهما من التعرُّض له ﴿ذَٰلِكَ﴾ الجَعْلُ المذكور ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ فإنَّ جَعْلَه ذلك ـ لجلب المصالح لكم، ودفع المضارِّ عنكم قبل وقوعها ـ دليلٌ علىٰ علمه بما هو في الوجود وما هو كائن. ٩٨ ـ ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ لأعدائه ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لأوليائه ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم. ٩٩ ـ ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ الإبلاغ لكم ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾: تُظهرون من العمل ﴿وَمَا تَكْتُمُونَ﴾: تُخفون منه، فيجازيكم به. ١٠٠ ـ ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ﴾: الحرام ﴿وَٱلطَّيِّبُ﴾: الحلال ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ﴾ أي: سرَّك ﴿كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في تركه ﴿يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: تفوزون. ١٠١ ـ ونزل لما أكثروا سؤاله ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ﴾: تظهر ﴿لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ لما فيها من المشقة ﴿وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ﴾ أي: في زمن النبي ﷺ ﴿تُبْدَ لَكُمْ﴾، المعنىٰ: إذا سألتم عن أشياءَ في زمنه، ينزل القرآن بإبدائها، ومتىٰ أبداها ساءتكم، فلا تسألوا عنها، قد ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا﴾ عن مسألتكم فلا تعودوا ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾. ١٠٢ ـ ﴿قَدْ سَأَلَهَا﴾ أي: الأشياء ﴿قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ أنبياءَهم، فأُجيبوا ببيان أحكامها ﴿ثُمَّ أَصْبَحُوا۟﴾: صاروا ﴿بِهَا كَٰفِرِينَ﴾ بتركهم العملَ بها. ١٠٣ ـ ﴿مَا جَعَلَ﴾: شرع ﴿ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ كما كان أهل الجاهلية يفعلونه، روىٰ البخاري (٤٦٢٣) عن سعيد بن المسيب قال: البَحِيرة: التي يُمنع درُّها للطواغيت، فلا يَحلُبها أحد من الناس. والسائبة: التي كانوا يُسيِّبونها لآلهتهم، فلا يحمل عليها شيءٌ، والوَصِيلة: الناقة البكر تُبْكِرُ في أول نَتاج الإبل بأنثىٰ، ثم تُثَنِّي بَعْدُ بأنثىٰ، وكانوا يُسيِّبونها لطواغيتهم إن وَصَلَتْ إحداهما بأخرىٰ ليس بينهما ذكر. والحام: فحلُ الإبل يَضْرِبُ الضِّراب المعدود، فإذا قضىٰ ضِرابه، ودَعُوه للطواغيت، وأعفوه من الحمل عليه، فلا يُحمل عليه شيء، وسمَّوه الحامي ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ في ذلك وفي نسبته إليه ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ أن ذلك افتراء لأنهم قلَّدوا فيه آباءهم.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْءَاثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓاْ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُواْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾

١٠٤ - ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ﴾ أي: إلىٰ حكمه من تحليل ما حرمتم ﴿قَالُواْ حَسْبُنَا﴾: كافينا ﴿مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ من الدين والشريعة، قال تعالىٰ: ﴿أ﴾ حسبهم ذلك ﴿وَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ إلىٰ الحق؟ والاستفهام للإنكار. ١٠٥ - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ أي: احفظوها وقوموا بصلاحها ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ قيل: المراد لا يضركم من ضل من أهل الكتاب، وقيل: المراد غيرهم، لحديث أبي ثعلبة الخُشني: سألت عنها رسول الله ﷺ فقال: «ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر، حتىٰ إذا رأيت شُحاً مُطاعاً، وهوًى مُتَّبعاً، ودُنيا مؤثَرة، وإعجابَ كل ذي رأي برأيه فعليك نفسك» رواه الترمذي (٣٠٥٨) وأبو داود (٤٣٤١) وابن ماجه (٤٠١٤) والحاكم، ولحديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: يا أيها الناس إنكم لتقرؤون هذه الآية (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ) وإنكم تضعونها علىٰ غير موضعها وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا علىٰ يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه» وفي رواية: «إن الناس إذا رأوا المنكر ولم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقابه» رواه أحمد (١/ ٥) وأبو داود (٤٣٣٨) والترمذي (٢١٦٨، و٣٠٥٧). ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم به. ١٠٦ - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ أي: أسبابه ﴿حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾، خبر بمعنىٰ الأمر، أي: لِيَشهد، و(حينَ) بدل من (إذا) أو ظرف لـ(حضر) ﴿أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ أي: غير مِلَّتكم ﴿إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ﴾: سافرتم ﴿فِى ٱلْأَرْضِ فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا﴾: توقفونهما، صفة (آخران) ﴿مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ أي: صلاة العصر ﴿فَيُقْسِمَانِ﴾: يحلفان ﴿بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾: شككتم فيها ويقولان: ﴿لَا نَشْتَرِى بِهِۦ﴾: بالله ﴿ثَمَنًا﴾: عِوضاً نأخذه بدلَه من الدنيا، بأن نحلف به، أو نشهد كذباً لأجله ﴿وَلَوْ كَانَ﴾ المُقْسَم له أو المشهود له ﴿ذَا قُرْبَىٰ﴾: قرابة منا ﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ﴾ التي أُمرنا بها ﴿إِنَّآ إِذًا﴾ إن كتمناها ﴿لَّمِنَ ٱلْءَاثِمِينَ﴾. ١٠٧ - ﴿فَإِنْ عُثِرَ﴾: اطُّلع بعد حَلِفهما ﴿عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا﴾ أي: فَعَلا ما يُوجبه، من خيانة أو كذب في الشهادة، بأن وُجد عندهما ـ مثلاً ـ ما اتُّهما به وادَّعيا أنهما ابتاعاه من الميت، أو وَصَّىٰ لهما به ﴿فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾ في توجه اليمين عليهما ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ﴾ الوصية، وهم الورثة، ويُبدل من (آخران): ﴿ٱلْأَوْلَيَٰنِ﴾ بالميت، أي: الأقربان إليه، صفةٌ، أو بدلٌ من (الذين) ﴿فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ﴾ علىٰ خيانة الشاهدين ويقولان: ﴿لَشَهَٰدَتُنَآ﴾: يميننا ﴿أَحَقُّ﴾: أصدق ﴿مِن شَهَٰدَتِهِمَا﴾: يمينهما ﴿وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ﴾: تجاوزنا الحقَّ في اليمين ﴿إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾. المعنىٰ لِيُشهدِ المُحتضَرُ علىٰ وصيته اثنين، أو يوصي إليهما من أهل دينه، أو غيرهم إن فقدهم لسفر ونحوه، فإن ارتاب الورثة فيهما فادَّعوا أنهما خانا بأخذ شيءٍ، أو دفعه إلىٰ شخص زعماً أن الميت أوصىٰ له به، فليحلفا ـ إلىٰ آخره ـ فإن اطُّلع علىٰ أمارة تكذيبهما فادَّعيا دافعاً له، حَلَف أقرب الورثة علىٰ كذبهما وصِدق ما ادَّعوه، والحكم ثابت في الوصيَّين منسوخ في الشاهدين، وكذا شهادة غير أهل الملة منسوخة واعتبار صلاة العصر للتغليظ، وتخصيص الحَلِف في الآية باثنين من أقرب الورثة لخصوص الواقعة التي نزلت لها، وهي ما رواه البخاري (٢٧٨٠): أن رجلاً من بني سهم خرج مع تميم الداري وعديِّ بن بَدَّاء ـ وهما نصرانيان ـ فمات السهمي بأرض ليس فيها مسلم، فلما قدما بتركته فقدوا جاماً من فضة مخوصاً بالذهب، فرُفِعا إلىٰ النبي ﷺ فنزلت، فأحلفهما، ثم وُجد الجامُ بمكة، فقالوا: ابتعناه من تميم وعدي، فنزلت الآية الثانية، فقام رجلان من أولياء

۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾

السهمي، فحلفا، وفي رواية الترمذي (٣٠٥٩): فقام عمرو بن العاص ورجل آخر منهم فحلفا، وكان أقربَ إليه، وفي رواية: فمرض فأوصىٰ إليهما وأمرهما أن يُبلِّغا ما ترَك أهلَه، فلما مات، أخذا الجام، ودفعا إلىٰ إهله ما بقي. ١٠٨ ـ ﴿ذَٰلِكَ﴾ الحكم المذكور من ردِّ اليمين علىٰ الورثة ﴿أَدْنَىٰٓ﴾: أقرب إلىٰ ﴿أَن يَأْتُوا۟﴾ أي: الشهود، أو الأوصياء ﴿بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ﴾ الذي تحمّلوها عليه من غير تحريف ولا خيانة ﴿أَوْ﴾ أقرب إلىٰ أن ﴿يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ علىٰ الورثة المُدَّعين، فيحلفون علىٰ خيانتهم وكذبهم فيَفتضحون ويُغرَّمون، فلا يَكذبوا ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ بترك الخيانة والكذب ﴿وَٱسْمَعُوا۟﴾ ما تُؤمرون به سماعَ قبول ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾: الخارجين عن طاعته إلىٰ سبيل الخير.

١٠٩ ـ اذكر ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ﴾: هو يوم القيامة.

﴿فَيَقُولُ﴾ لهم توبيخاً لقومهم: ﴿مَاذَآ﴾ أي: الذي ﴿أُجِبْتُمْ﴾ به حين دَعَوْتُم إلىٰ التوحيد؟

﴿قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ﴾ بذلك ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾: ما غاب عن العباد، وذهب عنهم علمه لشدة هول يوم القيامة وفزعهم، ثم يشهدون علىٰ أممهم لما يسكنون.

١١٠ ـ اذكر ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ﴾: اشكرها ﴿إِذْ أَيَّدتُّكَ﴾: قوَّيتُك ﴿بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾: جبريل ﴿تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ﴾، حال من الكاف في (أيّدتُك) ﴿فِى ٱلْمَهْدِ﴾ أي: طفلاً ﴿وَكَهْلًا﴾ أي: وتكلم الناس كهلاً بالوحي والرسالة.

﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ﴾: كصورة ﴿ٱلطَّيْرِ﴾، والكاف اسم بمعنىٰ (مثل) مفعول ﴿بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى﴾: بإرادتي.

﴿وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ من قبورهم أحياء ﴿بِإِذْنِى وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ﴾ حين همُّوا بقتلك ﴿إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: المعجزات.

﴿فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ﴾: ما ﴿هَٰذَآ﴾ الذي جئتَ به ﴿إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾.

١١١ ـ ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ﴾: أمرتُهم علىٰ لسانه ﴿أَنْ﴾ أي: بأن ﴿ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى﴾ عيسىٰ.

﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا﴾ بهما ﴿وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾.

١١٢ ـ اذكر ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ﴾ أي: يفعل ﴿رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ﴾ لهم عيسىٰ: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في اقتراح الآيات ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

١١٣ ـ ﴿قَالُوا۟ نُرِيدُ﴾ سؤالها من أجل ﴿أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ﴾: تسكن ﴿قُلُوبُنَا﴾ بزيادة اليقين ﴿وَنَعْلَمَ﴾: نزداد علماً ﴿أَن﴾، مخففة، أي: أنك ﴿قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ في ادِّعاء النبوة ﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾.

قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾

١١٤ ـ ﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا﴾ أي: يوم نزولها ﴿عِيدًا﴾ نُعظمه ونُشرفه ﴿لِّأَوَّلِنَا﴾، بدل من (لنا) بإعادة الجار ﴿وَءَاخِرِنَا﴾: لمن يأتي بعدنا ﴿وَءَايَةً مِّنكَ﴾ على قدرتك ونبوتي ﴿وَٱرْزُقْنَا﴾ إياها ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾.

١١٥ ـ ﴿قَالَ ٱللَّهُ﴾ مستجيباً له: ﴿إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ﴾ أي: بعد نزولها ﴿مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فنزلت الملائكة بها من السماء، فأكلوا منها حتىٰ شبعوا، قاله ابن عباس.

١١٦ ـ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ﴾ أي: يقول ﴿ٱللَّهُ﴾ لعيسىٰ في القيامة توبيخاً لقومه: ﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ﴾ عيسىٰ وقد أُرعِدَ: ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾: تنزيهاً لك عما لا يليق بك من الشريك وغيره ﴿مَا يَكُونُ﴾: ما ينبغي ﴿لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ﴾، خبر (ليس)، و(لي) للتبيين ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا﴾ أخفيه ﴿فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ أي: ما تخفيه من معلوماتك ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾.

١١٧ ـ ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ﴾ وهو: ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾: رقيباً أمنعهم مما يقولون ﴿مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى﴾: قَبضْتني بالرفع إلىٰ السماء ﴿كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾: الحفيظ لأعمالهم ﴿وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من قولي لهم وقولهم بعدي وغير ذلك ﴿شَهِيدٌ﴾: مطّلع عالم به.

١١٨ ـ ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ﴾ أي: من أقام علىٰ الكفر منهم ﴿فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ وأنت مالكهم تتصرف فيهم كيف شئت لا اعتراض عليك ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ أي: لمن آمن منهم ﴿فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ﴾: الغالب علىٰ أمره ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في صنعه.

١١٩ ـ ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا﴾ أي: يوم القيامة ﴿يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في الدنيا كعيسىٰ ﴿صِدْقُهُمْ﴾ لأنه يوم الجزاء ﴿لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بطاعته ﴿وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ بثوابه ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ ولا ينفع الكاذبين في الدنيا صدقُهم فيه، كالكفار لمَّا يؤمنون عند رؤية العذاب.

١٢٠ ـ ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: خزائن المطر والنبات والرزق وغيرها ﴿وَمَا فِيهِنَّ﴾، أتىٰ بـ(ما) تغليباً لغير العاقل ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ﴾ ومنه إثابة الصادق وتعذيب الكاذب.

سورة الأنعام

بسم الله الرحمن الرحيم

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (١) هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ (٢) وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ (٣) وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ (٤) فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ (٥) أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ (٦) وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ (٧) وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ (٨)

سورة الأنعام

مكية إلا (وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ) الآيات الثلاث، وإلا (قُلْ تَعَالَوْا۟) الآيات الثلاث

وهي مئة وخمس ـ أو ست ـ وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿ٱلْحَمْدُ﴾ وهو الوصف بالجميل ثابت ﴿لِلَّهِ﴾ وهل المراد الإعلام بذلك للإيمان به، أو الثناء به، أو هما؟ احتمالات أفيدها الثالث، قاله الشيخ في سورة الكهف ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ خصهما بالذكر لأنهما أعظم المخلوقات للناظرين ﴿وَجَعَلَ﴾: خلق ﴿ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ أي: كل ظلمة ونور، وجمعَها دونه لكثرة أسبابها، وهذا من دلائل وحدانيته ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ مع قيام هذا الدليل ﴿بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾: يُسوُّون غيرَه في العبادة.

٢ ـ ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ﴾ بخلق أبيكم آدم منه ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا﴾ لكم تموتون عند انتهائه ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾: مضروب ﴿عِندَهُۥ﴾ لبعثكم ﴿ثُمَّ أَنتُمْ﴾ أيها الكفار ﴿تَمْتَرُونَ﴾: تشكُّون في البعث بعد علمكم أنه ابتدأ خلقكم، ومن قدر علىٰ الابتداء فهو علىٰ الإعادة أقدر.

٣ ـ ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ﴾ مستحق للعبادة ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾: ما تسرون وما تجهرون به بينكم ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾: تعملون من خير وشرّ.

٤ ـ ﴿وَمَا تَأْتِيهِم﴾ أي: أهل مكة ﴿مِّنْ﴾، زائدة ﴿ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ من القرآن ﴿إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾.

٥ ـ ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ﴾: بالقرآن ﴿لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟﴾: عواقب ﴿مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

٦ ـ ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟﴾ في أسفارهم إلىٰ الشام وغيرها ﴿كَمْ﴾، خبرية بمعنىٰ كثيراً ﴿أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾: أمة من الأمم الماضية ﴿مَّكَّنَّٰهُمْ﴾: أعطيناهم مكاناً ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالقوة والسعة ﴿مَا لَمْ نُمَكِّن﴾: نُعط ﴿لَّكُمْ﴾، فيه التفات عن الغيبة ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾: المطر ﴿عَلَيْهِم مِّدْرَارًا﴾: متتابعاً ﴿وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ﴾: تحت مساكنهم ﴿فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾ بتكذيبهم الأنبياء ﴿وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾.

٧ ـ ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا﴾ مكتوباً ﴿فِى قِرْطَاسٍ﴾: رَقٍّ كما اقترحوه ﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾، أبلغ من عاينوه، لأنه أنفىٰ للشك ﴿لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ﴾: ما ﴿هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ تعنتاً وعناداً.

٨ ـ ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ﴾: هلا ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾: علىٰ محمد ﷺ ﴿مَلَكٌ﴾ يُصدِّقه ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا﴾ كما اقترحوا فلم يؤمنوا ﴿لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ بهلاكهم ﴿ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾: يُمهلون لتوبة أو معذرة، كعادة الله فيمن قبلهم من إهلاكهم عند وجود مقترحهم إذا لم يؤمنوا.

وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ ۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾

ثلاثة أرباع الحزب ١٣

٩ - ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ﴾ أي: المنزل إليهم ﴿مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ﴾ أي: الملك ﴿رَجُلًا﴾ أي: علىٰ صورته ليتمكّنوا من رؤيته، إذ لا قوة للبشر علىٰ رؤية الملك ﴿وَ﴾ لو أنزلناه وجعلناه رجلاً ﴿لَلَبَسْنَا﴾: شبَّهنا ﴿عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ علىٰ أنفسهم، بأن يقولوا: ما هذا إلّا بشر مثلكم.

١٠ - ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾، فيه تسلية للنبي ﷺ ﴿فَحَاقَ﴾: نزل ﴿بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ وهو العذاب، فكذا يَحيقُ بمن استهزأ بك.

١١ - ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ الرسلَ، من هلاكهم بالعذاب ليعتبروا.

١٢ - ﴿قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ﴾ إن لم يقولوه، لا جواب غيره ﴿كَتَبَ﴾: قضىٰ ﴿عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ﴾ فضلاً منه، وفيه تلطُّف في دعائهم إلىٰ الإيمان ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ ليجازيكم بأعمالكم ﴿لَا رَيْبَ﴾: شكَّ ﴿فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ بتعريضها للعذاب، مبتدأ، خبره: ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

١٣ - ﴿وَلَهُۥ﴾ تعالىٰ ﴿مَا سَكَنَ﴾: حلَّ ﴿فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ﴾ أي: كل شيء فهو ربه وخالقه ومالكه ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لما يُقال ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بما يُفعل.

١٤ - ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا﴾ أعبده ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: مبدعهما ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ﴾: يَرْزُقُ ﴿وَلَا يُطْعَمُ ۗ﴾: يُرْزَقُ؟ لا ﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ﴾ لله من هذه الأمّة ﴿وَ﴾ قيل لي: ﴿لَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ به.

١٥ - ﴿قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى﴾ بعبادة غيره ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ هو يوم القيامة.

١٦ - ﴿مَّن يُصْرَفْ﴾، أي: العذاب ﴿عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ﴾ تعالىٰ، أي: أراد له الخير ﴿وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ﴾: النجاة الظاهرة.

١٧ - ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾: بلاء كمرض وفقر ﴿فَلَا كَاشِفَ﴾: رافع ﴿لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ﴾ كصحّة وغنًى ﴿فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه مسُّكَ به، ولا يقدر علىٰ ردّه عنك غيره.

١٨ - ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ﴾: القادر الذي لا يُعجزه شيء مستعلياً ﴿فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ في خلقه ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ ببواطنهم كظواهرهم.

قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾

١٩ ـ ونزل لما قالوا للنبي ﷺ: ائتنا بمن يشهد لك بالنبوَّة، فإن أهل الكتاب أنكروك: ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً﴾، تمييز مُحوَّل عن المبتدأ ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ إن لم يقولوه، لا جواب غيره، هو ﴿شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ على صدقي ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم﴾: أُخوِّفكم ﴿بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾، عطف على ضمير (أنذركم) أي: بلغه القرآن من الإنس والجن ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ﴾؟ استفهام إنكار ﴿قُل﴾ لهم: ﴿لَّا أَشْهَدُ﴾ بذلك ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ معه من الأصنام.

٢٠ ـ ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ﴾ أي: محمداً بنعته في كتابهم ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾ منهم ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ به.

٢١ ـ ﴿وَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بنسبة الشريك إليه ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾: القرآن ﴿إِنَّهُ﴾ أي: الشأن ﴿لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ بذلك.

٢٢ ـ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ توبيخاً: ﴿أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ أنهم شركاء لله.

٢٣ ـ ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ﴾، أي: معذرتهم ﴿إِلَّا أَن قَالُوا﴾ أي: قولهم: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا﴾، بالجر نعت، ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾.

٢٤ ـ قال تعالى: ﴿انظُرْ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ بنفي الشرك عنهم ﴿وَضَلَّ﴾: غاب ﴿عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ه على الله من الشركاء.

٢٥ ـ ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ إذا قرأت ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾: أغطية لـ﴿أَن﴾ لا ﴿يَفْقَهُوهُ﴾: يفهموا القرآن ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾: صمماً، فلا يسمعونه سماع قبول ﴿وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ﴾: ما ﴿هَٰذَا﴾ القرآن ﴿إِلَّا أَسَاطِيرُ﴾: أكاذيب ﴿الْأَوَّلِينَ﴾ كالأضاحيك والأعاجيب، جمع أسطورة، بالضم.

٢٦ ـ ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ﴾ الناسَ ﴿عَنْهُ﴾: عن اتباع النبي ﷺ ﴿وَيَنْأَوْنَ﴾: يتباعدون ﴿عَنْهُ﴾ فلا يؤمنون به، وقيل: نزلت في أبي طالب، كان ينهى عن أذاه ولا يؤمن به ﴿وَإِن﴾: ما ﴿يُهْلِكُونَ﴾ بالنأي عنه ﴿إِلَّا أَنفُسَهُمْ﴾ لأن ضرره عليهم ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ بذلك.

٢٧ ـ ﴿وَلَوْ تَرَىٰ﴾ يا محمد ﴿إِذْ وُقِفُوا﴾: عُرضوا ﴿عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا﴾، للتنبيه ﴿لَيْتَنَا نُرَدُّ﴾ إلى الدنيا ﴿وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، وجواب لو: لرأيت أمراً عظيماً.

بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾

٢٨ ـ قال تعالىٰ: ﴿بَلْ﴾، للإضراب عن إرادة الإيمان المفهوم من التمني ﴿بَدَا﴾: ظهر ﴿لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ﴾: يكتمون بقولهم: والله ربنا ما كنا مشركين، بشهادة جوارحهم، فتمنَّوا ذلك ﴿وَلَوْ رُدُّوا﴾ إلىٰ الدنيا فرضاً ﴿لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ من الشرك ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ في وعدهم بالإيمان.

٢٩ ـ ﴿وَقَالُوا﴾ أي: منكرو البعث: ﴿إِنْ﴾: ما ﴿هِيَ﴾ أي: الحياة ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾.

٣٠ ـ ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا﴾: عُرضوا ﴿عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ لرأيت أمراً عظيماً ﴿قَالَ﴾ لهم توبيخاً: ﴿أَلَيْسَ هَٰذَا﴾ البعث والحساب ﴿بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾ إنه لحقٌّ ﴿قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ به في الدنيا.

٣١ ـ ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾: بالبعث ﴿حَتَّىٰ﴾، غاية للتكذيب ﴿إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ﴾: القيامة ﴿بَغْتَةً﴾: فجأة ﴿قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا﴾ هي شدة التألم، ونداؤها مجاز، أي: هذا أوانك فاحضري ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا﴾: قصَّرنا ﴿فِيهَا﴾ أي: الدنيا ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾ بأن تأتيهم عند البعث في أقبح شيء صورة وأنتنه ريحاً فتركبهم ﴿أَلَا سَاءَ﴾: بئس ﴿مَا يَزِرُونَ﴾: يحملونه حملهم ذلك.

٣٢ ـ ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ أي: الاشتغال بها ﴿إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ وأما الطاعة وما يُعين عليها فمن أمور الآخرة. ﴿وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ﴾ أي: الجنة ﴿خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الشرك ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ذلك فتؤمنون.

٣٣ ـ ﴿قَدْ﴾، للتحقيق ﴿نَعْلَمُ إِنَّهُ﴾ أي: الشأن ﴿لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾ لك من التكذيب ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ في السر لعلمهم أنك صادق ﴿وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ﴾، وضعه موضع المضمر ﴿بِآيَاتِ اللَّهِ﴾: القرآن ﴿يَجْحَدُونَ﴾: يكذبون.

٣٤ ـ ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ فيه تسلية للنبي ﷺ ﴿فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾ بإهلاك قومهم، فاصبر حتىٰ يأتيك النصر بإهلاك قومك ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾: مواعيده ﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾ ما يسكن به قلبُك.

٣٥ ـ ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ﴾: عَظُم ﴿عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾ عن الإسلام لحرصك عليهم ﴿فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا﴾: سَرَباً ﴿فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا﴾: مَصْعَداً ﴿فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ﴾ مما اقترحوا فافعل. المعنىٰ: أنك لا تستطيع ذلك، فاصبر حتىٰ يحكم الله ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ هدايتهم ﴿لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ ولكن لم يشأ ذلك، فلم يؤمنوا ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ بذلك.

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾

٣٦ ـ ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ﴾ دعاءك إلى الإيمان ﴿ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ سماعَ تفهّم واعتبار ﴿وَٱلْمَوْتَىٰ﴾ أي: الكفار، شبَّههم بهم في عدم السماع ﴿يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾ في الآخرة ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾: يُردُّون، فيجازيهم بأعمالهم.

٣٧ ـ ﴿وَقَالُواْ﴾ أي: كفار مكة: ﴿لَوْلَآ﴾: هلّا ﴿نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ كالناقة والعصا والمائدة ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً﴾ مما اقترحوا ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن نزولها بلاء عليهم لوجوب هلاكهم إن جحدوها.

٣٨ ـ ﴿وَمَا مِن﴾، زائدة ﴿دَآبَّةٍ﴾ تمشي ﴿فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ﴾ في الهواء ﴿بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ في تدبير خلقها ورزقها وأحوالها ﴿مَّا فَرَّطْنَا﴾: تركنا ﴿فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾: اللوح المحفوظ ﴿مِن﴾، زائدة ﴿شَىْءٍ﴾ فلم نكتبه ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ فيقضي بينهم، ويقتصُّ للجمَّاء من القرناء، ثم يقول لهم: كونوا تراباً.

٣٩ ـ ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: القرآن ﴿صُمٌّ﴾ عن سماعها سماعَ قبول ﴿وَبُكْمٌ﴾ عن النطق بالحق ﴿فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: الكفر ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ﴾ إضلاله ﴿يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ﴾ هدايته ﴿يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ﴾: طريق ﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾: دين الإسلام.

٤٠ ـ ﴿قُلْ﴾ يا محمد لأهل مكة: ﴿أَرَءَيْتَكُمْ﴾: أخبروني ﴿إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ﴾ في الدنيا ﴿أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾: القيامة المشتملة عليه بغتة ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ﴾؟ لا ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في أن الأصنام تنفعكم فادعوها.

٤١ ـ ﴿بَلْ إِيَّاهُ﴾ لا غيره ﴿تَدْعُونَ﴾ في الشدائد ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ﴾ أن يكشفه عنكم من الضر ونحوه ﴿إِن شَآءَ﴾ كشفه ﴿وَتَنسَوْنَ﴾: تتركون ﴿مَا تُشْرِكُونَ﴾ معه من الأصنام فلا تدعونه

٤٢ ـ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن﴾، زائدة ﴿قَبْلِكَ﴾ رسلاً فكذَّبوهم ﴿فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ﴾: شدة الفقر ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾: المرض ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾: يتذللون فيؤمنون.

٤٣ ـ ﴿فَلَوْلَآ﴾: فهلّا ﴿إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا﴾: عذابنا ﴿تَضَرَّعُواْ﴾ أي: لم يفعلوا ذلك مع قيام المقتضي له ﴿وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ فلم تلِن للإيمان ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ من المعاصي فأصرُّوا عليها.

٤٤ ـ ﴿فَلَمَّا نَسُواْ﴾: تركوا ﴿مَا ذُكِّرُواْ﴾: وعُظوا وخُوِّفوا ﴿بِهِۦ﴾ من البأساء والضراء فلم يتعظوا ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من النعم استدراجاً لهم ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ﴾ فرح بطر ﴿أَخَذْنَٰهُم﴾ بالعذاب ﴿بَغْتَةً﴾: فجأة ﴿فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾: آيسون من كل خير.

فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾

٤٥ ـ ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ أي: آخرهم بأن استؤصلوا ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ على نصر الرسل وإهلاك الكافرين.

٤٦ ـ ﴿قُلْ﴾ لأهل مكة: ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾: أخبروني ﴿إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ﴾: أصمكم ﴿وَأَبْصَٰرَكُمْ﴾: أعماكم ﴿وَخَتَمَ﴾: طبع ﴿عَلَىٰ قُلُوبِكُم﴾ فلا تعرفون شيئاً ﴿مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ﴾: بما أخذه منكم بزعمكم ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ﴾: نبين ﴿ٱلْءَايَٰتِ﴾: الدلالات على وحدانيتنا ﴿ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾: يُعرضون عنها فلا يؤمنون.

٤٧ ـ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً﴾ أي: فجأة من غير أن تظهر علامات تسبقه ﴿أَوْ جَهْرَةً﴾ أي: بعد ظهور أمارات تسبقه وتدل عليه. وقيل: ليلاً أو نهاراً؛ لأن الغالب أن العذاب الذي يأتي في الليل يكون بغتة، والذي يأتي في النهار يكون جهرة ﴿هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: الكافرون، أي: ما يُهلك إلا هم.

٤٨ ـ ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾ من آمن بالجنة ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ من كفر بالنار ﴿فَمَنْ ءَامَنَ﴾ بهم ﴿وَأَصْلَحَ﴾ عمله ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة.

٤٩ ـ ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾: يخرجون عن الطاعة.

٥٠ ـ ﴿قُل﴾ لهم: ﴿لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾ التي منها يرزق ﴿وَلَآ﴾ إني ﴿أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾: ما غاب عني ولم يوح إليّ ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ﴾ من الملائكة ﴿إِنْ﴾: ما ﴿أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ﴾ الكافر ﴿وَٱلْبَصِيرُ﴾ المؤمن؟ لا ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ في ذلك فتؤمنون؟

٥١ ـ ﴿وَأَنذِرْ﴾: خوِّفْ ﴿بِهِ﴾ أي: القرآن ﴿ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ﴾ أي: غيره ﴿وَلِىٌّ﴾ ينصرهم ﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾ يشفع لهم، وجملة النفي حال من ضمير (يحشروا) والمراد بهم المؤمنون العاصون ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الله بإقلاعهم عما هم فيه، وعمل الطاعات.

٥٢ ـ ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ﴾ بعبادتهم ﴿وَجْهَهُۥ﴾ تعالى، لا شيئاً من أعراض الدنيا، وهم الفقراء، وكان المشركون طعنوا فيهم وطلبوا أن يطردهم ليجالسوه، وأراد النبي ﷺ ذلك طمعاً في إسلامهم ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن﴾، زائدة ﴿شَىْءٍ﴾ إن كان باطنهم غير مرضي ﴿وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ﴾، جواب النفي ﴿فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ إن فعلت ذلك.

وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾

ربع الحزب ١٤

٥٣ ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا﴾: ابتلينا ﴿بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ أي: الشريف بالوضيع، والغني بالفقير، بأن قدمناه بالسبق إلىٰ الإيمان ﴿لِّيَقُولُوٓا۟﴾ أي: الشرفاء والأغنياء منكرين: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ﴾ الفقراء ﴿مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ﴾ بالهداية؟ أي: لو كان ما هم عليه هدًى ما سبقونا إليه، قال تعالىٰ: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ له فيهديهم؟ بلىٰ.

٥٤ ـ ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ﴾ لهم: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ﴾: قضىٰ ﴿رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ﴾ أي: الشأن ﴿مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ﴾ منه حيث ارتكبه ﴿ثُمَّ تَابَ﴾: رجع ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ بعد عمله عنه ﴿وَأَصْلَحَ﴾ عمله ﴿فَأَنَّهُۥ﴾ أي: الله ﴿غَفُورٌ﴾ له ﴿رَّحِيمٌ﴾ به، أي: فالمغفرة له.

٥٥ ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما بيَّنا ما ذُكر ﴿نُفَصِّلُ﴾: نُبيِّن ﴿ٱلْـَٔايَٰتِ﴾: القرآن، ليَظهر الحق فيُعمل به ﴿وَلِتَسْتَبِينَ﴾: تظهر ﴿سَبِيلُ﴾: طريقُ ﴿ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ فتُجتنب.

٥٦ ـ ﴿قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾: تعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ﴾ في عبادتها ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا﴾ إن اتَّبعتُها ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾.

٥٧ ـ ﴿قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾: بيان ﴿مِّن رَّبِّى وَ﴾ قد ﴿كَذَّبْتُم بِهِۦ﴾: بربي حيث أشركتم ﴿مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ﴾ من العذاب ﴿إِنِ﴾: ما ﴿ٱلْحُكْمُ﴾ في ذلك وغيره ﴿إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ﴾ يقول ﴿ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾: الحاكمين.

٥٨ ـ ﴿قُل﴾ لهم: ﴿لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ بأن أعجله لكم وأستريح، ولكنه عند الله ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ متىٰ يعاقبهم.

٥٩ ـ ﴿وَعِندَهُۥ﴾ تعالىٰ ﴿مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾: خزائنُه أو الطرق الموصلة إلىٰ علمه ﴿لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ وهي الخمسة التي في قوله: (إن الله عنده علم الساعة) الآية كما رواه البخاري (٤٦٢٧) ﴿وَيَعْلَمُ مَا﴾ يحدث ﴿فِى ٱلْبَرِّ﴾: القِفار ﴿وَٱلْبَحْرِ﴾: أي إن علمه محيط بالموجودات في البر والبحر علىٰ اختلاف أجناسها وأنواعها وكثرة أفرادها. وفي هذا بيان لتعلّق علمه بالمشاهدات إثر بيان تعلقه بالمغيبات تنبيهاً علىٰ أن الكل بالنسبة إلىٰ علمه سبحانه المحيط سواء في الجلاء ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن﴾، زائدة ﴿وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ﴾، عطف علىٰ ورقة ﴿إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ هو اللوح المحفوظ، والاستثناء بدل اشتمال من الاستثناء قبله.

وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾

٦٠ ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾: يقبض أرواحكم عند النوم ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم﴾: كسبتم ﴿بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾ أي: النهار بردّ أرواحكم ﴿لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ هو أجل الحياة ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ بالبعث ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم به.

٦١ ـ ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ﴾ مستعلياً ﴿فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾: ملائكة تُحصي أعمالكم ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾: الملائكة الموكلون بقبض الأرواح ﴿وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾: يُقصّرون فيما يؤمرون به.

٦٢ ـ ﴿ثُمَّ رُدُّوٓا۟﴾ أي: الخلق ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ﴾: مالِكهم ﴿ٱلْحَقِّ﴾: الثابتِ العدلِ ليُجازيَهم ﴿أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾: القضاء النافذ فيهم ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾: يحاسب الخلق كلهم في أسرع زمان وأقصره لا يشغله حساب ولا شأن عن شأن.

٦٣ ـ ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾: أهوالهما في أسفاركم حين ﴿تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا﴾: علانية ﴿وَخُفْيَةً﴾: سراً، تقولون: ﴿لَّئِنْ﴾، لام قسم ﴿أَنجَىٰنَا﴾ أي: الله ﴿مِنْ هَٰذِهِۦ﴾ الظلمات والشدائد ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾: المؤمنين.

٦٤ ـ ﴿قُلِ﴾ لهم: ﴿ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ﴾: غمٍّ سواها ﴿ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ به.

٦٥ ـ ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾: من السماء كالحجارة والصيحة ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ كالخسف ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ﴾: يخلطكم ﴿شِيَعًا﴾: فِرقاً مختلفة الأهواء ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ بالقتال، قال ﷺ لما نزلت: «هذا أهون وأيسر»، ولما نزل ما قبله: «أعوذ بوجهك» رواه البخاري (٤٦٢٨)، وروىٰ مسلم (٢٨٩٠) حديث: «سألت ربي ألا يجعل بأس أمتي بينهم فمنعنيها»، وفي حديث: لما نزلت قال: «أما إنها كائنة ولم يأت تأويلُها بعدُ» رواه أحمد (١/ ١٧٠ ـ ١٧١) والترمذي (٣٠٦٦). ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ﴾: نبيِّن لهم ﴿ٱلْءَايَٰتِ﴾: الدلالات على قدرتنا ﴿لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾: يعلمون أن ما هم عليه باطل.

٦٦ ـ ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ﴾: بالقرآن ﴿قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾: الصدق ﴿قُل﴾ لهم: ﴿لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ فأجازيكم، إنما أنا منذر، وأمركم إلىٰ الله، وهذا قبل الأمر بالقتال.

٦٧ ـ ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ﴾: خبر ﴿مُّسْتَقَرٌّ﴾: وقت يقع فيه ويستقر، ومنه عذابكم ﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ تهديدٌ لهم.

٦٨ ـ ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾: القرآن بالاستهزاء ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ ولا تجالسهم ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ وَإِمَّا﴾، فيه إدغام نون (إن) الشرطية في (ما) المزيدة ﴿يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ فقعدتَ معهم ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ أي: تذكُّره ﴿مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، فيه وضع الظاهر موضع المضمر.

وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾

٦٩ ـ وقال المسلمون: إن قمنا كلما خاضوا لم نستطع أن نجلس في المسجد وأن نطوف، فنزل: ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الله ﴿مِنْ حِسَابِهِم﴾ أي: الخائضين ﴿مِّن﴾، زائدة ﴿شَيْءٍ﴾ إذا جالسوهم ﴿وَلَٰكِن﴾ عليهم ﴿ذِكْرَىٰ﴾: تذكرة لهم وموعظة ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الخوض.

٧٠ ـ ﴿وَذَرِ﴾: اترك ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ﴾ الذي كُلِّفُوه ﴿لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ باستهزائهم به ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ فلا تتعرض لهم، وهذا قبل الأمر بالقتال ﴿وَذَكِّرْ﴾: عِظْ ﴿بِهِۦٓ﴾: بالقرآن الناس لـ﴿أَن﴾ لا ﴿تُبْسَلَ نَفْسٌ﴾: تُسلَّمَ إلىٰ الهلاك ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾: عملت ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، أي: غيره ﴿وَلِىٌّ﴾: ناصر ﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾ يمنع عنها العذاب ﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ﴾: تَفْدِ كلَّ فداء ﴿لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ﴾ ما تفدي به ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾: ماء بالغ نهاية الحرارة ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مؤلم ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾: بكفرهم

٧١ ـ ﴿قُلْ أَنَدْعُوا۟﴾: أنعبد ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا﴾ بعبادته ﴿وَلَا يَضُرُّنَا﴾ بتركها وهو الأصنام ﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا﴾: نرجع مشركين ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ إلىٰ الإسلام ﴿كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ﴾: أضلَّته ﴿ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾: مُتحيِّراً لا يدري أين يذهب، حال من الهاء ﴿لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ﴾: رفقة ﴿يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى﴾ أي: ليهدوه الطريق، يقولون له: ﴿ٱئْتِنَا﴾ فلا يجيبهم فيهلك، والاستفهام للإنكار، وجملة التشبيه حال من ضمير «نُردُّ» ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ﴾ الذي هو الإسلام ﴿هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ وما عداه ضلال ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ﴾ أي: بأن نُسلم ﴿لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

٧٢ ـ ﴿وَأَنْ﴾ أي: بأن ﴿أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ﴾ تعالىٰ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾: تُجمعون يوم القيامة للحساب.

٧٣ ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: مُحقّاً.

﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ يَقُولُ﴾ للشيء: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ هو يوم القيامة يقول للخلق: قوموا فيقوموا.

﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾: الصدق الواقع لا محالة.

﴿وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾: القرن، النفخةُ الثانية من إسرافيل، لا مُلك فيه لغيره (لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ) ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾: ما غاب وما شوهد ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ في خلقه ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ بباطن الأشياء كظاهرها.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ٧٤ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ٧٥ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ٧٦ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ٧٧ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ٧٨ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٧٩ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٨٠ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ٨١﴾

٧٤ ـ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾ هو لقبه، واسمه تارح: ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾ تعبدها؟ استفهام توبيخ ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ﴾ باتخاذها ﴿فِي ضَلَٰلٍ﴾ عن الحق ﴿مُّبِينٍ﴾: بيِّن.

٧٥ ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما أريناه إضلال أبيه وقومه ﴿نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ﴾: ملك ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ليستدل به على وحدانيتنا ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾ بها، وجملة (وكذلك) وما بعدها اعتراض.

٧٦ ـ وعطف على (قال): ﴿فَلَمَّا جَنَّ﴾: أظلم ﴿عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا﴾ قيل: هو الزُهرة ﴿قَالَ﴾ لقومه وكانوا نجَّامين: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ في زعمكم ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ﴾: غاب ﴿قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ﴾ أن أتخذهم أرباباً، لأن الرب لا يجوز عليه التغير والانتقال، لأنهما من شأن الحوادث، فلم يَنجع فيهم ذلك.

٧٧ ـ ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا﴾: طالعاً ﴿قَالَ﴾ لهم: ﴿هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي﴾: يُثبّتني على الهدى ﴿لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾ تعريض لقومه بأنهم على ضلال، فلم ينجع فيهم ذلك.

٧٨ ـ ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا﴾، ذكَّره لتذكير خبره ﴿رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ﴾ من الكوكب والقمر ﴿فَلَمَّآ أَفَلَتْ﴾ وقويتْ عليهم الحجة ولم يرجعوا ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ بالله من الأصنام والأجرام المُحدَثة المحتاجة إلى مُحدِث، فقالوا له: ما تعبد؟

٧٩ ـ قال: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾: قصدت بعبادتي ﴿لِلَّذِي فَطَرَ﴾: خلق ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ أي: الله ﴿حَنِيفًا﴾: مائلاً إلى الدين القيم ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ به. إنّ إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان في هذا المقام مناظراً لقومه مبيّناً لهم بطلان ما كانوا عليه من عبادة الأصنام والكواكب السيّارة كالشمس والقمر وغيرهما، ولم يعتقد في يوم من الأيام أنّ هذه الكواكب آلهة، وإنما ناظرهم وألزمهم الحجة، فهو عليه السلام موحد من قبل كما قال تعالى: (وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ) [الأنبياء: ٥١] وكما قال: (إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ) [النحل: ١٢٠ ـ ١٢١].

٨٠ ـ ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ﴾: جادلوه في دينه وهدّدوه بالأصنام أن تصيبه بسوء إن تركها ﴿قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي﴾ وحدانية ﴿ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ﴾ تعالى إليها ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ﴾ه ﴿بِهِۦ﴾ من الأصنام أن تصيبني بسوء لعدم قدرتها على شيء ﴿إِلَّآ﴾: لكن ﴿أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔا﴾ من المكروه يُصيبني فيكون ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ أي: وسع علمُه كل شيء ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ هذا فتؤمنون؟

٨١ ـ ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ﴾ بالله، وهي لا تضر ولا تنفع ﴿وَلَا تَخَافُونَ﴾ أنتم من الله ﴿أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ﴾ في العبادة ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ﴾: بعبادته ﴿عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا﴾: حجة وبرهاناً، وهو القادر على كل شيء ﴿فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ﴾ أنحن أم أنتم؟ ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ من الأحق به، أي: وهو نحن، فاتبعوه.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾

٨٢ ـ قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ﴾: يخلطوا ﴿إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ أي: شرك، كما فسر بذلك في حديث «الصحيحين». قال عبد الله بن مسعود: لمّا نزلت (ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ . . .) شقّ ذلك علىٰ أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا: أينا لا يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ: «ليس هو كما تظنون. إنما هو كما قال لقمان لابنه: (يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)» رواه البخاري (٣٤٢٩) ومسلم (١٢٤) وهذا لفظ مسلم. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ﴾ من العذاب ﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾.

٨٣ ـ ﴿وَتِلْكَ﴾، مبتدأ، ويبدل منه: ﴿حُجَّتُنَآ﴾ التي احتج بها إبراهيم علىٰ وحدانية الله من أفول الكوكب وما بعده، والخبر: ﴿ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ﴾: أرشدناه لها حجةً ﴿عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ﴾ في العلم والحكمة ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ في صنعه ﴿عَلِيمٌ﴾ بخلقه.

٨٤ ـ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ﴾ ابنه ﴿كُلًّا﴾ منهما ﴿هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ﴾ أي: قبل إبراهيم ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ﴾ أي: نوح ﴿دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾ ابنه ﴿وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ﴾ بن يعقوب ﴿وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ﴾ كما جزيناهم ﴿نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

٨٥ ـ ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ﴾ ابنه ﴿وَعِيسَىٰ﴾ ابن مريم، يفيد أن الذرية تتناول أولاد البنت ﴿وَإِلْيَاسَ ۖ﴾ بن أخي هارون أخي موسىٰ ﴿كُلٌّ﴾ منهم ﴿مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

٨٦ ـ ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ﴾ بن إبراهيم ﴿وَٱلْيَسَعَ﴾، اللام زائدة ﴿وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ﴾ بن هاران أخي إبراهيم ﴿وَكُلًّا﴾ منهم ﴿فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ بالنبوة.

٨٧ ـ ﴿وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ﴾، عطف علىٰ (كُلاً) أو (نوحاً) أي: فإذا كان العطف علىٰ (كُلاً) فيكون العامل فيه (فضّلنا)، وإذا كان العطف علىٰ (نوحاً) فيكون العامل فيه (هدينا). و(من) للتبعيض لأن بعضهم لم يكن له ولد، وبعضهم كان في ولده كافر ﴿وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ﴾: اخترناهم ﴿وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

٨٨ ـ ﴿ذَٰلِكَ﴾ الدين الذي هُدوا إليه ﴿هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُواْ﴾ فرضاً ﴿لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾.

٨٩ ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ بمعنىٰ الكتب ﴿وَٱلْحُكْمَ﴾: الحكمة ﴿وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا﴾ أي: بهذه الثلاثة ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي: أهل مكة ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا﴾: أرصدنا لها ﴿قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾ هم المهاجرون والأنصار.

٩٠ ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى﴾ هم ﴿ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ﴾: طريقهم من التوحيد والصبر ﴿ٱقْتَدِهْ ۗ﴾، بهاء السكت وقفاً ووصلاً، ﴿قُل﴾ يا محمد: ﴿لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: القرآن ﴿أَجْرًا ۖ﴾ تعطونيه ﴿إِنْ هُوَ﴾: ما القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرَىٰ﴾: عظةٌ ﴿لِلْعَٰلَمِينَ﴾: الإنس والجن.

وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗاۖ وَعُلِّمۡتُم مَّا لَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنتُمۡ وَلَآ ءَابَآؤُكُمۡۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَاۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَهُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمۡ يُوحَ إِلَيۡهِ شَيۡءٞ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثۡلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۗ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَكُنتُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهِۦ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَتَرَكۡتُم مَّا خَوَّلۡنَٰكُمۡ وَرَآءَ ظُهُورِكُمۡۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمۡ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ أَنَّهُمۡ فِيكُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيۡنَكُمۡ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ﴿٩٤﴾

٩١ ـ ﴿وَمَا قَدَرُواْ﴾ أي: اليهود ﴿ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ﴾ أي: ما عظّموه حق عظمته، أو ما عرفوه حق معرفته ﴿إِذۡ قَالُواْ﴾ للنبي ﷺ وقد خاصموه في القرآن: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ قُلۡ﴾ لهم: ﴿مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ﴾ أي: تكتبونه في دفاتر مقطعة ﴿تُبۡدُونَهَا﴾ أي: ما تحبون إبداءه منها ﴿وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗاۖ﴾ مما فيها كنعت محمد ﷺ ﴿وَعُلِّمۡتُم﴾ أيها اليهود في القرآن ﴿مَّا لَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنتُمۡ وَلَآ ءَابَآؤُكُمۡۖ﴾ من التوراة ببيان ما التبس عليكم واختلفتم فيه ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ﴾ أنزله إن لم يقولوه، لا جواب غيره ﴿ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ﴾: باطلهم ﴿يَلۡعَبُونَ﴾.

٩٢ ـ ﴿وَهَٰذَا﴾ القرآن ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾: قبله من الكتب ﴿وَلِتُنذِرَ﴾، عطف على معنى ما قبله، أي: أنزلناه للبركة والتصديق، ولتنذر به ﴿أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَاۚ﴾ أي: أهل مكة وسائر الناس ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَهُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ﴾ خوفاً من عقاب الآخرة.

٩٣ ـ ﴿وَمَنۡ﴾ أي: لا أحد ﴿أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ بادّعاء النبوّة ولم يُنبَّأ ﴿أَوۡ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمۡ يُوحَ إِلَيۡهِ شَيۡءٞ﴾ نزلت في مسيلمة ﴿وَ﴾ مِنْ ﴿مَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثۡلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۗ﴾ وهم المستهزئون، قالوا: لو نشاء لقلنا مثلَ هذا ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ﴾ يا محمد ﴿إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ المذكورون ﴿فِي غَمَرَٰتِ﴾: سكرات ﴿ٱلۡمَوۡتِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ﴾ إليهم بالضرب والتعذيب، يقولون لهم تعنيفاً: ﴿أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ﴾ إلينا لنقبضها، أو أخرجوها من العذاب وخلصوها من أيدينا ﴿ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ﴾: الهوان ﴿بِمَا كُنتُمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ﴾ بدعوى النبوة والإيحاء كذباً ﴿وَكُنتُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهِۦ تَسۡتَكۡبِرُونَ﴾: تتكبرون عن الإيمان بها، وجواب (لو): لرأيت أمراً فظيعاً.

٩٤ ـ ﴿وَ﴾ يقال لهم إذا بُعثوا: ﴿لَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ﴾: منفردين عن الأهل والمال والولد ﴿كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ﴾ أي: حفاة عراة غُرْلاً ﴿وَتَرَكۡتُم مَّا خَوَّلۡنَٰكُمۡ﴾: أعطيناكم من الأموال ﴿وَرَآءَ ظُهُورِكُمۡۖ﴾ في الدنيا بغير اختياركم.

﴿وَ﴾ يقال لهم توبيخاً: ﴿مَا نَرَىٰ مَعَكُمۡ شُفَعَآءَكُمُ﴾: الأصنام ﴿ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ أَنَّهُمۡ فِيكُمۡ﴾ أي: في استحقاق عبادتكم ﴿شُرَكَٰٓؤُاْۚ﴾ لله ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيۡنَكُمۡ﴾، بالنصب، ظرف، أي: وصلُكم بينكم ﴿وَضَلَّ﴾: ذهب ﴿عَنكُم مَّا كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ﴾ في الدنيا من شفاعتها.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلۡحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَمُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتِ مِنَ ٱلۡحَيِّۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنًا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانًاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ فَمُسۡتَقَرّٞ وَمُسۡتَوۡدَعٞۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَفۡقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيۡءٖ فَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهُ خَضِرٗا نُّخۡرِجُ مِنۡهُ حَبّٗا مُّتَرَاكِبٗا وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ وَجَنَّٰتٖ مِّنۡ أَعۡنَابٖ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشۡتَبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۗ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٩٩﴾ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلۡجِنَّ وَخَلَقَهُمۡۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ بِغَيۡرِ عِلۡمٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١٠١﴾

٩٥ - ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ﴾: شاقُّ ﴿ٱلۡحَبِّ﴾ عن النبات ﴿وَٱلنَّوَىٰۖ﴾ عن النخل ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ﴾ كالإنسان والطائر من النطفة والبيضة ﴿وَمُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتِ﴾: النطفة والبيضة ﴿مِنَ ٱلۡحَيِّۚ ذَٰلِكُمُ﴾ الفالق المُخرِجُ ﴿ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾: فكيف تُصرفون عن الإيمان مع قيام البرهان؟

٩٦- ﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ﴾، مصدر بمعنىٰ الصبح، أي: شاقُّ عمود الصبح، وهو أول ما يبدو من نور النهار عن ظلمة الليل ﴿وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنًا﴾: تسكن فيه الخلق من التعب ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانًاۚ﴾ حساباً للأوقات، كما في قوله تعالىٰ: (هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ) [يونس:٥]، وقوله: (قُلۡ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلۡحَجِّۗ) [البقرة:١٨٩]. وقوله: (حسباناً) مفعول ثان لـ(جعل) المقدرة. ويمكن أن تعرب منصوبة بنزع الخافض علىٰ تقدير (والشمس والقمر يجريان بحسبان) كما في آية الرحمٰن فحذفت الباء وانتصبت (حسباناً) أي: يجريان ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿ٱلۡعَلِيمِ﴾ بخلقه.

٩٧ - ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ﴾ في الأسفار ﴿قَدۡ فَصَّلۡنَا﴾: بيَّنَّا ﴿ٱلۡأٓيَٰتِ﴾: الدلالات علىٰ قدرتنا ﴿لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾: يتدبَّرون.

٩٨ - ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُم﴾: خلقكم ﴿مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾ هي آدم ﴿فَمُسۡتَقَرّٞ﴾ أي: مكان قرار لكم في الرحم ﴿وَمُسۡتَوۡدَعٞۗ﴾ منكم في الصلب ﴿قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَفۡقَهُونَ﴾ ما يقال لهم.

٩٩ - ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا﴾، فيه التفات عن الغيبة ﴿بِهِۦ﴾: بالماء ﴿نَبَاتَ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ ينبت ﴿فَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهُ﴾ أي: النبات شيئاً ﴿خَضِرٗا﴾ بمعنىٰ أخضر ﴿نُّخۡرِجُ مِنۡهُ﴾: من الخضر ﴿حَبّٗا مُّتَرَاكِبٗا﴾ يركب بعضه بعضاً، كسنابل الحنطة ونحوها ﴿وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ﴾، خبر، ويبدل منه: ﴿مِن طَلۡعِهَا﴾: أول ما يخرج منها، والمبتدأ: ﴿قِنۡوَانٞ﴾: عراجين ﴿دَانِيَةٞ﴾: قريب بعضها من بعض ﴿وَ﴾ أخرجنا به ﴿جَنَّٰتٖ﴾: بساتين ﴿مِّنۡ أَعۡنَابٖ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشۡتَبِهٗا﴾ ورقُهما، حال ﴿وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۗ﴾ ثمرهما. ﴿ٱنظُرُوٓاْ﴾ يا مخاطبين نظر اعتبار ﴿إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ﴾ وهو جمع ثمرة كشجرة وشجر ﴿إِذَآ أَثۡمَرَ﴾ أول ما يبدو كيف هو ﴿وَ﴾ إلىٰ ﴿يَنۡعِهِۦٓ﴾: نُضجه إذا أدرك كيف يعود ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ﴾: دلالات علىٰ قدرته تعالىٰ علىٰ البعث وغيره ﴿لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ خُصّوا بالذكر لأنهم المنتفعون بها في الإيمان، بخلاف الكافرين.

١٠٠ - ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ﴾، متعلق بشركاء ﴿شُرَكَآءَ﴾، مفعول ثاني، ﴿ٱلۡجِنَّ﴾ مفعول به أول، حيث أطاعوهم في عبادة الأوثان ﴿وَ﴾ قد ﴿خَلَقَهُمۡۖ﴾ فكيف يكونون شركاءه ﴿وَخَرَقُواْ﴾، أي: اختلقوا ﴿لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ بِغَيۡرِ عِلۡمٖۚ﴾ حيث قالوا: عزيرٌ ابن الله والملائكة بنات الله ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ﴾: تنزيهاً له ﴿وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ بأن له ولداً.

١٠١ - هو ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾: مبدعُهما من غير مثال سبق ﴿أَنَّىٰ﴾: كيف ﴿يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ﴾: زوجة ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ﴾ من شأنه أن يُخلق ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾.

ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾

١٠٢ ـ ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ﴾: وحِّدوه ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾: حفيظ.

١٠٣ ـ ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ أي: لا تراه، وهذا مخصوص، لرؤية المؤمنين له في الآخرة لقوله تعالىٰ: (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۞ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) وحديث الشيخين: «إنكم سَتَرونَ ربَّكم كما تَرَوْنَ القَمَرَ ليلة البدرِ» رواه البخاري (٧٤٣٦) ومسلم (١٨٣). وقيل: المراد لا تحيط به ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ أي: يراها ولا تراه، ولا يجوز في غيره أن يدرك البصر وهو لا يدركه، أو يحيط به علماً ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ﴾ بأوليائه ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ بهم.

١٠٤ ـ قل يا محمد لهم: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ﴾: حُجج ﴿مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ﴾ها، فآمن ﴿فَلِنَفْسِهِۦ﴾ أبصر، لأن ثواب إبصاره له ﴿وَمَنْ عَمِىَ﴾ عنها فضلَّ ﴿فَعَلَيْهَا﴾ وبالُ إضلاله ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾: رقيب لأعمالكم، إنما أنا نذير.

١٠٥ ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما بيَّنَّا ما ذكر ﴿نُصَرِّفُ﴾: نُبيِّن ﴿ٱلْءَايَٰتِ﴾ ليعتبروا ﴿وَلِيَقُولُوا۟﴾ أي: الكفار في عاقبة الأمر: ﴿دَرَسْتَ﴾ أي: كتب الماضين وجئت بهذا منها ﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

١٠٦ ـ ﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ أي: القرآن ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

١٠٧ ـ ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾: رقيباً فتجازيهم بأعمالهم ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ فتُجْبِرَهم علىٰ الإيمان، وهذا قبل الأمر بالقتال.

١٠٨ ـ ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾هم ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: الأصنام ﴿فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا﴾: اعتداءً وظلماً ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي: جهلاً منهم بالله ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما زيَّنا لهؤلاء ما هم عليه ﴿زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ من الخير والشر فأتوه ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ﴾ في الآخرة ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ فيجازيهم به.

١٠٩ ـ ﴿وَأَقْسَمُوا۟﴾ أي: كفار مكة ﴿بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ أي: غاية اجتهادهم فيها ﴿لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ﴾ مما اقترحوا ﴿لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ﴾ لهم: ﴿إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ يُنزلها كما يشاء، وإنما أنا نذير ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾: يُدريكم بإيمانهم إذا جاءت، أي: أنتم لا تدرون ذلك ﴿أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، و(أن) بمعنىٰ لعل، أي: لعلها إذا جاءت لا يؤمنون.

١١٠ ـ ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ﴾: نحوِّلُ قلوبَهم عن الحق فلا يفهمونه ﴿وَأَبْصَٰرَهُمْ﴾ عنه فلا يبصرونه فلا يؤمنون ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ﴾ أي: بما أنزل من الآيات ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ﴾: نتركهم ﴿فِى طُغْيَٰنِهِمْ﴾: ضلالهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾: يترددون متحيّرين.

۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا ۚ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾

١١١ ـ ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ﴾ كما اقترحوا ﴿وَحَشَرْنَا﴾: جمعنا ﴿عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا﴾ بضمتين جمع قبيل أي: فوجاً فوجاً، فشهدوا بصدقك ﴿مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ لما سبق في علم الله: ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ إيمانهم فيؤمنون ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ ذلك.

١١٢ ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ كما جعلنا هؤلاء أعداءك، ويبدل منه: ﴿شَيَاطِينَ﴾: مردة ﴿الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي﴾: يوسوس ﴿بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ﴾: مُمَوَّهَهُ من الباطل ﴿غُرُورًا﴾ أي: ليغرُّوهم ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ أي: الإيحاء المذكور ﴿فَذَرْهُمْ﴾: دع الكفار ﴿وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ من الكفر وغيره مما زيّن لهم، وهذا قبل الأمر بالقتال.

١١٣ ـ ﴿وَلِتَصْغَىٰ﴾، عطف علىٰ (غروراً) أي: تميل ﴿إِلَيْهِ﴾ أي: الزخرف ﴿أَفْئِدَةُ﴾: قلوب ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا﴾: يكتسبوا ﴿مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾ من الذنوب فيعاقبوا عليه.

١١٤ ـ ونزل لما طلبوا من النبي ﷺ أن يجعل بينه وبينهم حكماً، قل: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي﴾: أطلب ﴿حَكَمًا﴾: قاضياً بيني وبينكم ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ﴾: القرآن ﴿مُفَصَّلًا﴾: مُبيِّناً فيه الحق من الباطل ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾: التوراة كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾: الشاكّين فيه، والمراد بذلك التقرير للكفار أنه حق.

١١٥ ـ ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ بالأحكام والمواعيد ﴿صِدْقًا وَعَدْلًا﴾، تمييز ﴿لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ بنقض أو خُلف ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لما يقال ﴿الْعَلِيمُ﴾ بما يُفعل.

١١٦ ـ ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ﴾ أي: الكفار ﴿يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾: دينه ﴿إِن﴾: ما ﴿يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ في مجادلتهم لك في أمر الميتة إذ قالوا: ما قتل الله أحقُّ أن تأكلوه مما قتلتم، وكذلك في ظنّهم أنّ آباءهم كانوا علىٰ الحق فهم علىٰ آثارهم مهتدون ﴿وَإِنْ﴾: ما ﴿هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾: يكذبون في ذلك.

١١٧ ـ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾ أي: عالم ﴿مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ فيجازي كلاً منهم.

١١٨ ـ ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ أي: ذُبح علىٰ اسمه ﴿إِن كُنتُم بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾.

وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾

١١٩ - ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ من الذبائح ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ في آية (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ) ﴿إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ منه، فهو أيضاً حلالٌ لكم، المعنىٰ: لا مانع لكم من أكل ما ذُكر، وقد بيَّن لكم المحرَّم أكلُه، وهذا ليس منه ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم﴾: بما تهواه أنفسهم من تحليل الميتة وغيرها ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ يعتمدونه في ذلك ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ﴾: المتجاوزين الحلال إلىٰ الحرام.

١٢٠ - ﴿وَذَرُوا۟﴾: اتركوا ﴿ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾: علانيته وسرَّه، و(الإثم) قيل: الزنىٰ، وقيل: كل معصية ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ﴾ في الآخرة ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ﴾: يكتسبون.

١٢١ - ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ بأن مات أو ذُبح علىٰ اسم غيره، وإلا فما ذبحه المسلم ولم يسمِّ فيه عمداً أو نسياناً، فهو حلال، قاله ابن عباس، وعليه الشافعي ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي: الأكل منه ﴿لَفِسْقٌ﴾: خروج عما يحلّ ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ﴾: يُوسوسون ﴿إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾: الكفار ﴿لِيُجَٰدِلُوكُمْ﴾ في تحليل الميتة ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾ فيه ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾.

١٢٢ - ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا﴾ بالكفر ﴿فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ بالهدىٰ ﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ يَتبصَّرُ به الحقَّ من غيره، وهو الإيمان ﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ﴾ (مَثَل) زائدة، أي: كمن هو ﴿فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ وهو الكافر؟ لا ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما زُيِّن للمؤمنين الإيمان ﴿زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ من الكفر والمعاصي.

١٢٣ - ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما جعلنا فساق مكة أكابرها ﴿جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا﴾ بالصدِّ عن الإيمان ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ﴾ لأن وباله عليهم ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ بذلك.

١٢٤ - ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ﴾ أي: أهل مكة ﴿ءَايَةٌ﴾ علىٰ صدق النبي ﷺ.

﴿قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ﴾ به ﴿حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾ من الرسالة والوحي إلينا، لأنَّا أكثر مالاً وأكبر سناً.

قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾، و(حيث) مفعول به لفعل دل عليه (أعلمُ) أي: يعلم الموضع الصالح لوضعها فيه فيضعها، وهؤلاء ليسوا أهلاً لها.

﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟﴾ بقولهم ذلك ﴿صَغَارٌ﴾: ذل ﴿عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ﴾ أي: بسبب مكرهم.

فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾

١٢٥ - ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ بأن يقذف في قلبه نوراً فينفسح له ويقبلُهُ كما ورد في حديث ﴿وَمَن يُرِدْ﴾ الله ﴿أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا﴾ عن قبوله ﴿حَرَجًا﴾: شديد الضيق، مصدر، وُصِفَ به مبالغة ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ إذا كُلِّفَ الإيمان لشدته عليه ﴿كَذَٰلِكَ﴾ الجعل ﴿يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ﴾: العذاب، أو الشيطان، أي يُسلِّطه ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

١٢٦ - ﴿وَهَٰذَا﴾ الذي أنت عليه يا محمد ﴿صِرَٰطُ﴾: طريق ﴿رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا﴾: لا عوج فيه، ونصبه على الحال المؤكدة للجملة، والعامل فيها معنى الإشارة ﴿قَدْ فَصَّلْنَا﴾: بيَّنّا ﴿ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾، فيه إدغام التاء في الأصل في الذال، أي: يتعظون، وخُصُّوا بالذكر لأنهم هم المنتفعون.

١٢٧ - ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ﴾ أي: السلامة، وهي الجنة ﴿عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

١٢٨ - ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾ أي: الله الخلق ﴿جَمِيعًا﴾ ويقال لهم: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾ بإغوائكم ﴿وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم﴾ الذين أطاعوهم ﴿مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾: انتفع الإنسُ بتزيين الجنِّ لهم الشهواتِ، والجنُّ بطاعة الإنس لهم ﴿وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا﴾ وهو يوم القيامة، وهذا تحسُّر منهم ﴿قَالَ﴾ تعالى لهم على لسان الملائكة: ﴿ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ﴾: مأواكم ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ من الأوقات التي يخرجون فيها لشرب الحميم، فإنه خارجها، كما قال: (ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ)، وعن ابن عباس: أنه فيمن علم الله أنهم يؤمنون، فـ(ما) بمعنى (مَنْ) ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ في صنعه ﴿عَلِيمٌ﴾ بخلقه.

١٢٩ - ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما متَّعنا عصاة الإنس والجن بعضهم ببعض ﴿نُوَلِّى﴾ من الولاية ﴿بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا﴾ أي: على بعض ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ من المعاصي.

١٣٠ - ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ أي: من مجموعكم، أي: بعضكم الصادق بالإنس، أو رسلُ الجن نُذُرهم الذين يستمعون كلام الرسل، فيبلِّغون قومَهم ﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا﴾ أن قد بُلِّغنا، قال تعالى: ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ فلم يؤمنوا ﴿وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ﴾.

١٣١ - ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: إرسال الرسل ﴿أَن﴾، اللام مقدرة وأن هي المخففة من الثقيلة، أي: لأنه ﴿لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾ منها ﴿وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ﴾ لم يُرسَل إليهم رسولٌ يُبيِّن لهم.

وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَـَٔاتٍ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾

١٣٢ - ﴿وَلِكُلٍّ﴾ من العاملين ﴿دَرَجَٰتٌ﴾: جزاء ﴿مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾ من خير وشر ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾.

١٣٣ - ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ﴾ عن خلقه وعبادتهم.

﴿ذُو ٱلرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ يا أهل مكة بالإهلاك ﴿وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ﴾ من الخلق.

﴿كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾ أذهبهم، ولكنه أبقاكم رحمة لكم.

١٣٤ - ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ﴾ من الساعة والعذاب ﴿لَـَٔاتٍ﴾ لا محالة.

﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾: فائتين عذابنا.

١٣٥ - ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾: حالتكم ﴿إِنِّى عَامِلٌ﴾ علىٰ حالتي.

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن﴾، موصولة، مفعول العلم ﴿تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾ أي: العاقبة المحمودة في الدار الآخرة، أنحن أم أنتم؟

﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ﴾: يسعد ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: الكافرون.

١٣٦ - ﴿وَجَعَلُوا۟﴾ أي: كفار مكة ﴿لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ﴾: خلق ﴿مِنَ ٱلْحَرْثِ﴾: الزرع ﴿وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا﴾ يصرفونه إلىٰ الضيفان والمساكين، ولشركائهم نصيباً يصرفونه إلىٰ سَدَنَتها.

﴿فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا﴾ فكانوا إذا سقط في نصيب الله شيء من نصيبها التقطوه، أو في نصيبها شيء من نصيبه تركوه.

وقالوا: إن الله غني عن هذا.

كما قال تعالىٰ: ﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: لجهته.

﴿وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ سَآءَ﴾: بئس ﴿مَا يَحْكُمُونَ﴾ حكمهم هذا.

١٣٧ - ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما زين لهم ما ذُكر.

﴿زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ﴾ بالوأد ﴿شُرَكَآؤُهُمْ﴾ من الجن، بالرفع فاعل (زَيَّنَ).

﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾: يُهلكوهم.

﴿وَلِيَلْبِسُوا۟﴾: يخلطوا ﴿عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾.

وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنۡعَٰمٞ وَحَرۡثٌ حِجۡرٞ لَّا يَطۡعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعۡمِهِمۡ وَأَنۡعَٰمٌ حُرِّمَتۡ ظُهُورُهَا وَأَنۡعَٰمٞ لَّا يَذۡكُرُونَ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا ٱفۡتِرَآءً عَلَيۡهِۚ سَيَجۡزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ خَالِصَةٞ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِنَاۖ وَإِن يَكُن مَّيۡتَةٗ فَهُمۡ فِيهِ شُرَكَآءُۚ سَيَجۡزِيهِمۡ وَصۡفَهُمۡۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴿١٣٩﴾ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوۡلَٰدَهُمۡ سَفَهَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفۡتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ قَدۡ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ ۞وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٖ مَّعۡرُوشَٰتٖ وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٖ وَٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٖۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ حَمُولَةٗ وَفَرۡشٗاۚ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿١٤٢﴾

١٣٨ ـ ﴿وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنۡعَٰمٞ وَحَرۡثٌ حِجۡرٞ﴾: حرام ﴿لَّا يَطۡعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ﴾ من خدمة الأوثان وغيرهم ﴿بِزَعۡمِهِمۡ﴾ أي: لا حجة لهم فيه.

﴿وَأَنۡعَٰمٌ حُرِّمَتۡ ظُهُورُهَا﴾ فلا تُركب كالسوائب والحوامي.

﴿وَأَنۡعَٰمٞ لَّا يَذۡكُرُونَ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا﴾ عند ذبحها، بل يذكرون اسم أصنامهم.

ونسبوا ذلك إلىٰ الله ﴿ٱفۡتِرَآءً عَلَيۡهِۚ سَيَجۡزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾ عليه.

١٣٩ ـ ﴿وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ المُحرَّمة، وهي السوائب والبحائر.

﴿خَالِصَةٞ﴾: حلال ﴿لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِنَاۖ﴾ أي: النساء.

﴿وَإِن يَكُن مَّيۡتَةٗ فَهُمۡ فِيهِ شُرَكَآءُۚ سَيَجۡزِيهِمۡ﴾ الله ﴿وَصۡفَهُمۡۚ﴾ ذلك بالتحليل والتحريم، أي: جزاءه ﴿إِنَّهُۥ حَكِيمٌ﴾ في صنعه ﴿عَلِيمٞ﴾ بخلقه.

١٤٠ ـ ﴿قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوۡلَٰدَهُمۡ﴾ بالوأد ﴿سَفَهَۢا﴾: جهلاً ﴿بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ﴾ مما ذكر ﴿ٱفۡتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ قَدۡ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ﴾.

١٤١ ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ﴾: خلق ﴿جَنَّٰتٖ﴾: بساتين ﴿مَّعۡرُوشَٰتٖ﴾: مبسوطاتٍ علىٰ الأرض كالبطيخ ﴿وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٖ﴾ بأن ارتفعت علىٰ ساق كالنخل.

﴿وَ﴾ أنشأ ﴿ٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ﴾: ثمره وحبه في الهيئة والطعم.

﴿وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهٗا﴾ ورقُهما، حال ﴿وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٖۚ﴾ طعْمُهما.

﴿كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ﴾ قبل النُّضج.

﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ﴾: زكاته ﴿يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ﴾، من العُشر، أو نصفه.

﴿وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ﴾ بإعطاء كله فلا يبقىٰ لعيالكم شيء ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ المتجاوزين ما حدَّ لهم.

١٤٢ ـ ﴿وَ﴾ أنشأ ﴿مِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ حَمُولَةٗ﴾: صالحة للحمل عليها كالإبل الكبار.

﴿وَفَرۡشٗاۚ﴾: لا تصلح له كالإبل الصغار والغنم.

سميت فَرْشاً لأنها كالفرش للأرض لدنوّها منها.

﴿كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾: طرائقه في التحريم والتحليل ﴿إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾: بيِّنُ العداوة.

ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَاۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾ قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾

١٤٣ - ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍۖ﴾: أصناف، بدل من (حمولة وفرشاً) ﴿مِّنَ ٱلضَّأْنِ﴾ زوجين ﴿ٱثْنَيْنِ﴾: ذكر وأنثىٰ ﴿وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِۗ قُلْ﴾ يا محمد لمن حرم ذكور الأنعام تارة وإناثها أخرىٰ ونَسب ذلك إلىٰ الله:

﴿ءَآلذَّكَرَيْنِ﴾ من الضأن والمعز ﴿حَرَّمَ﴾ الله عليكم ﴿أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ منهما.

﴿أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِۖ﴾ ذكراً كان أو أنثىٰ؟

﴿نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ﴾ عن كيفية تحريم ذلك ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ فيه.

المعنىٰ من أين جاء التحريم؟ فإن كان من قِبَلِ الذكورة، فجميع الذكور حرام، أو الأنوثة، فجميع الإناث، أو اشتمال الرحم، فالزوجان، فمن أين التخصيص؟ والاستفهام للإنكار.

١٤٤ - ﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِۖ أَمْ﴾: بل أ﴿كُنتُمْ شُهَدَآءَ﴾: حضوراً ﴿إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَاۚ﴾ التحريم فاعتمدتم ذلك؟ لا، بل أنتم كاذبون فيه.

﴿فَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ بذلك ﴿لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

١٤٥ - ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ﴾ شيئاً ﴿مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً﴾، بالنصب، ﴿أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾: سائلاً، بخلاف غيره كالكبد والطحال.

﴿أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ﴾: حرام ﴿أَوْ﴾ إلا أن يكون ﴿فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ﴾ أي: ذُبح علىٰ اسم غيره.

﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾ إلىٰ شيء مما ذكر فأكله ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ﴾ له ما أكل ﴿رَّحِيمٌ﴾ به، ويلحق بما ذكر بالسُّنة كلُّ ذي ناب من السباع ومخلبٍ من الطير.

١٤٦ - ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ أي: اليهود ﴿حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍۖ﴾ وهو ما لم تُفرّق أصابعه كالإبل والنّعام ﴿وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ﴾: الثُّروب أي: الشحم الذي يغشي الكرش، وشحم الكُلىٰ ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ﴾ أي: ما علق بها منه ﴿أَوِ﴾ حملته ﴿ٱلْحَوَايَآ﴾: الأمعاء، جمع حاوياء، أو حاوية ﴿أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍۚ﴾ منه، وهو شحم الألْية، فإنه أُحِلَّ لهم ﴿ذَٰلِكَ﴾ التحريم ﴿جَزَيْنَٰهُم﴾ به ﴿بِبَغْيِهِمْۖ﴾: بسبب ظلمهم بما سبق في سورة النساء ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ في أخبارنا ومواعيدنا.

فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ۖ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا ۖ فَإِن شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾ ۞ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾

١٤٧ ـ ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ﴾ فيما جئت به ﴿فَقُل﴾ لهم: ﴿رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾ حيث لم يعاجلكم بالعقوبة.

وفيه تلطف بدعائهم إلىٰ الإيمان ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ﴾: عذابه إذا جاء ﴿عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾.

١٤٨ ـ ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾ نحن ﴿وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾ فإشراكنا وتحريمنا بمشيئته، فهو راضٍ به.

قال تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما كذَّب هؤلاء ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ رسلهم ﴿حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا﴾: عذابنا.

﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ﴾ بأن الله راضٍ بذلك ﴿فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾ أي: لا علم عندكم ﴿إِن﴾: ما ﴿تَتَّبِعُونَ﴾ في ذلك ﴿إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ﴾: ما ﴿أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾: تكذبون فيه.

١٤٩ ـ ﴿قُلْ﴾ إنْ لم تكن لكم حُجة: ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾: التامة.

﴿فَلَوْ شَاءَ﴾ هدايتكم ﴿لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

١٥٠ ـ ﴿قُلْ هَلُمَّ﴾: أحضروا ﴿شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا﴾ الذي حرمتموه.

﴿فَإِن شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾: يشركون.

١٥١ ـ ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ﴾: أقرأ ﴿مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَ﴾نْ، مُفسِّرة ﴿لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَ﴾ أحسنوا ﴿بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم﴾ بالوأد ﴿مِّنْ﴾ أجل ﴿إِمْلَاقٍ﴾: فقرٍ.

﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ﴾: الكبائر كالزِّنىٰ.

﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ أي: علانيتها وسرّها.

﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ كالقَوَد، وحدِّ الرِّدة، ورجم المُحصن.

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ المذكور ﴿وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: تتدبرون.

وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۖ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾

١٥٢ ـ ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي﴾ أي: بالخصلة التي ﴿هِيَ أَحْسَنُ﴾ وهي ما فيه صلاحه ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ بأن يحتلم.

﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾: بالعدل وترك البخس.

﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾: طاقتها في ذلك، فإن أخطأ في الكيل والوزن ـ والله يعلم صحة نيته ـ فلا مؤاخذة عليه كما ورد في حديث ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ﴾ في حكم أو غيره ﴿فَاعْدِلُوا﴾ بالصدق.

﴿وَلَوْ كَانَ﴾ المقولُ له أو عليه ﴿ذَا قُرْبَىٰ﴾: قرابة.

﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

١٥٣ ـ ﴿وَأَنَّ﴾، بالفتح على تقدير اللام، ﴿هَٰذَا﴾ الذي وصيتُكم به ﴿صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾، حال ﴿فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾: الطرق المخالفة له ﴿فَتَفَرَّقَ﴾، فيه حذف إحدى التائين: تميل ﴿بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾: دينه ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

١٥٤ ـ ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾: التوراة.

و(ثم) لترتيب الأخبار ﴿تَمَامًا﴾ للنعمة ﴿عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ بالقيام به.

﴿وَتَفْصِيلًا﴾: بياناً ﴿لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه في الدين ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم﴾ أي: بني إسرائيل ﴿بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾: بالبعث ﴿يُؤْمِنُونَ﴾.

١٥٥ ـ ﴿وَهَٰذَا﴾ القرآن ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ﴾ بالعمل بما فيه ﴿وَاتَّقُوا﴾ الكفر ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

١٥٦ ـ (أنزلناه) لـ﴿أَن﴾ لا ﴿تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ﴾: اليهود والنصارى ﴿مِن قَبْلِنَا وَإِن﴾، مخففة واسمها محذوف، أي: إنا ﴿كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ﴾: قراءتهم ﴿لَغَافِلِينَ﴾ لعدم معرفتنا لها إذ ليست بلغتنا.

١٥٧ ـ ﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾ لجودة أذهاننا.

﴿فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ﴾: بيان ﴿مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ لمن اتبعه.

﴿فَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ﴾: أعرض ﴿عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ﴾ أي: أشدَّه ﴿بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾.

هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿١٦٥﴾

١٥٨ ـ ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾: ما ينتظر المكذبون ﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾، لقبض أرواحهم ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ أي: علاماته الدالة على الساعة ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ وهي طلوع الشمس من مغربها كما في حديث «الصحيحين»: البخاري (٤٦٣٦) ومسلم (١٥٧) ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾، الجملة صفة النفس ﴿أَوْ﴾ نفساً لم تكن ﴿كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾: طاعة، أي: لا تنفعها توبتُها كما في الحديث ﴿قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟﴾ أحدَ هذه الأشياء ﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ ذلك.

١٥٩ ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ﴾ باختلافهم فيه فأخذوا بعضه وتركوا بعضه ﴿وَكَانُوا۟ شِيَعًا﴾: فِرَقاً في ذلك، وفي قراءة: فارقوا، أي: تركوا دينهم الذي أُمروا به، وهم اليهود والنصارىٰ ﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ أي: فلا تتعرض لهم ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ﴾: يتولاه ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم﴾ في الآخرة ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ فيجازيهم به، وهذا منسوخ بآية السيف.

١٦٠ ـ ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ أي: جزاء عشر حسنات، أي من جاء من المؤمنين بحسنة فله عشر أمثالها، وهذا أقل ما وُعد به المؤمنون، فقد جاء الوعد بمضاعفة الحسنة إلىٰ سبعمائة إلىٰ أضعاف كثيرة كما جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري (٦٤٩١)، ومسلم (١٣١). ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ أي: جزاءه ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: يُنقصون من جزائهم شيئاً.

١٦١ ـ ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، ويُبدل من محله: ﴿دِينًا قِيَمًا﴾: مستقيماً ﴿مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

١٦٢ ـ ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى﴾: عبادتي من حجٍّ وغيره ﴿وَمَحْيَاىَ﴾: حياتي ﴿وَمَمَاتِى﴾: موتي ﴿لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

١٦٣ ـ ﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ في ذلك ﴿وَبِذَٰلِكَ﴾ أي: التوحيد ﴿أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ من هذه الأمة.

١٦٤ ـ ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا﴾: إلٰهاً، أي: لا أطلب غيره ﴿وَهُوَ رَبُّ﴾: مالك ﴿كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ ذنباً ﴿إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ﴾: تحمِلُ نفسٌ ﴿وَازِرَةٌ﴾: آثمة ﴿وِزْرَ﴾ نفسٍ ﴿أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾.

١٦٥ ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾، جمع خليفة، أي: يخلُف بعضكم بعضاً فيها ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ بالمال والجاه وغير ذلك ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ﴾: ليختبركم ﴿فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾: أعطاكم، ليظهر المطيع منكم والعاصي ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾ لمن عصاه ﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ﴾ للمؤمنين ﴿رَّحِيمٌۢ﴾ بهم.

سورة الأعراف ترتيبها ٧ آياتها ٢٠٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الٓمٓصٓ ﴿١﴾ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٥﴾ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾

سورة الأعراف

مكية إلا (وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ) الثمان أو الخمس آيات مئتان وخمس ـ أو ست ـ آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿الٓمٓصٓ﴾ الله أعلم بمراده بذلك.

٢ ـ هذا ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ خطابٌ للنبي ﷺ ﴿فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ﴾: ضيق ﴿مِّنْهُ﴾ أن تبلغه مخافة أن تُكَذَّب ﴿لِتُنذِرَ﴾، متعلق بـ(أنزل) أي: للإنذار ﴿بِهِۦ وَذِكْرَىٰ﴾: تذكرة ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ به.

٣ ـ قل لهم: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: القرآن ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟﴾: تتخذوا ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي: الله، أي: غيره ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ تطيعونهم في معصيته تعالىٰ ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾، تتعظون، وفيه إدغام التاء في الأصل في الذال، و(ما) زائدة لتأكيد القلة.

٤ ـ ﴿وَكَم﴾، خبرية مفعول ﴿مِّن قَرْيَةٍ﴾ أريد أهلُها ﴿أَهْلَكْنَٰهَا﴾: أردنا إهلاكها ﴿فَجَآءَهَا بَأْسُنَا﴾: عذابنا ﴿بَيَٰتًا﴾: ليلاً ﴿أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾: نائمون بالظهيرة، والقيلولة استراحة نصف النهار وإن لم يكن معها نوم، أي: مرة جاءها ليلاً ومرة نهاراً.

٥ ـ ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ﴾: قولهم ﴿إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾.

٦ ـ ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ أي: الأمم عن إجابتهم الرسلَ وعملهم فيما بلغهم ﴿وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ عن الإبلاغ.

٧ ـ ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ﴾: لَنُخبرنَّهم عن علم بما فعلوه ﴿وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾ عن إبلاغ الرسل والأمم الخالية فيما عملوا.

٨ ـ ﴿وَٱلْوَزْنُ﴾ للأعمال، أو لصحائفها، بميزان له لسان وكفتان ـ كما ورد في حديث ـ كائن ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم السؤال المذكور وهو يوم القيامة ﴿ٱلْحَقُّ﴾: العدل، صفة (الوزن) ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ بالحسنات ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: الفائزون.

٩ ـ ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ بالسيئات ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم﴾ بتصييرها إلىٰ النار ﴿بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾: يجحدون.

١٠ ـ ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ﴾ يا بني آدم ﴿فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ﴾، بالياء، أسباباً تعيشون بها، جمع معيشة ﴿قَلِيلًا مَّا﴾، لتأكيد القلة ﴿تَشْكُرُونَ﴾ علىٰ ذلك.

١١ ـ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ﴾ أي: أباكم آدم ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ أي: صوَّرناه وأنتم في ظهره ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ سجود تحية بالانحناء ﴿فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ أبا الجن كان بين الملائكة ﴿لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾.

قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾

١٢ ـ ﴿قَالَ﴾ تعالىٰ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَ﴾نْ ﴿لا﴾، زائدة ﴿تَسْجُدَ إِذْ﴾: حين ﴿أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾.

١٣ ـ ﴿قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا﴾ أي: من الجنة، ﴿فَمَا يَكُونُ﴾: ينبغي ﴿لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ﴾ منها ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾: الذليلين.

١٤ ـ ﴿قَالَ أَنظِرْنِيٓ﴾: أخِّرني ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ أي: الناس.

١٥ ـ ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ﴾ وفي آية أخرىٰ: (إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ) أي: وقت النفخة الأولىٰ.

١٦ ـ ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ أي: بإغوائك لي، والباء للقسم، وجوابه: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ﴾ أي: لبني آدم ﴿صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾: أي: علىٰ الطريق الموصل إليك.

١٧ ـ ﴿ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾ أي: من كل جهة، فأمنعهم عن سلوكه، قال ابن عباس: ولا يستطيع أن يأتي من فوقهم لئلا يحول بين العبد وبين رحمة الله تعالىٰ ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾: مؤمنين.

١٨ ـ ﴿قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا﴾، بالهمز: معيباً، أو ممقوتاً ﴿مَّدْحُورًا﴾: مُبعداً عن الرحمة ﴿لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ من الناس، واللام للابتداء، أو مُوَطِّئة للقسم، و(مَنْ) إما أن تكون موصولة أو شرطية ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي: منك بذرِّيَّتك ومن الناس، وفيه تغليب الحاضر علىٰ الغائب، وفي الجملة معنىٰ جزاء (مَنْ) الشرطية، أي: مَنْ تبِعَك أُعذِّبه.

١٩ ـ ﴿وَ﴾ قال: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ﴾، تأكيد للضمير في (اسكن) ليعطف عليه: ﴿وَزَوْجُكَ﴾ حواء بالمد ﴿ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ بالأكل منها ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

٢٠ ـ ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: إبليس ﴿لِيُبْدِيَ﴾: يُظهر ﴿لَهُمَا مَا وُۥرِيَ﴾، (فوعل) من المواراة ﴿عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ﴾ كراهة ﴿أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾ أي: وذلك لازم عن الأكل منها كما في آية أخرىٰ: (هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ).

٢١ ـ ﴿وَقَاسَمَهُمَآ﴾ أي: أقسم لهما بالله: ﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ في ذلك.

٢٢ ـ ﴿فَدَلَّىٰهُمَا﴾: حطَّهما عن منزلتهما ﴿بِغُرُورٍ﴾ منه ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ﴾ أي: أكلا منها ﴿بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا﴾ أي: ظهر لكلٍّ منهما قُبُله، وقُبُل الآخر ودُبره، وسُمي كل منهما سوأة، لأن انكشافه يسوء صاحبه ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ﴾: أخذا يُلزقان ﴿عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾ ليستترا به ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾: بيِّن العداوة؟ والاستفهام للتقرير.

قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾

٢٣ ـ ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾ بمعصيتنا ﴿وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

٢٤ ـ ﴿قَالَ اهْبِطُوا﴾ أي: آدم وحواء بما اشتملتما عليه من ذريتكما ﴿بَعْضُكُمْ﴾: بعض الذرية ﴿لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ مِن ظُلم بعضهم بعضاً ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾: مكان استقرار ﴿وَمَتَاعٌ﴾: تمتُّع ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ تنقضي فيه آجالكم.

٢٥ ـ ﴿قَالَ فِيهَا﴾ أي: الأرض ﴿تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ بالبعث.

٢٦ ـ ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا﴾ أي: خلقناه لكم ﴿يُوَارِي﴾: يستر ﴿سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا﴾ هو ما يُتجمل به من الثياب، ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ﴾: العمل الصالح والسمت الحسن. مبتدأ، خبره جملة: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾: دلائل قدرته ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ فيؤمنون، فيه التفات عن الخطاب.

٢٧ ـ ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ﴾: يُضِلَّنَّكم ﴿الشَّيْطَانُ﴾ أي: لا تتبعوه فتفتنوا ﴿كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم﴾ بفتنته ﴿مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ﴾، حال ﴿عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ﴾ أي: الشيطان ﴿يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ﴾: جنودُه ﴿مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ لِلَطافة أجسادهم، أو عدم ألوانهم.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ﴾: أعواناً وقرناء ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

٢٨ ـ ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾ كالشرك وطوافهم بالبيت عراة قائلين: لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها، فنهوا عنها.

﴿قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا﴾ فاقتدينا بهم ﴿وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ أيضاً ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أنه قاله؟ استفهام إنكار.

٢٩ ـ ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾: العدل ﴿وَأَقِيمُوا﴾، معطوف على معنى (بالقسط) أي قال: أقسطوا وأقيموا. وهناك تقدير آخر، وهو: أن يعطف الفعل (وأقيموا) على فعل مقدّر، ويكون الكلام (قُل أمَرَ ربّي بالقِسْطِ فأقبلوا وأقيموا وُجوهَكُمْ..). ﴿وُجُوهَكُمْ﴾ لله ﴿عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ أي: أخلصوا له سجودكم ﴿وَادْعُوهُ﴾: اعبدوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ من الشرك ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ﴾: خلقكم ولم تكونوا شيئاً ﴿تَعُودُونَ﴾ أي: يعيدكم أحياءً يوم القيامة.

٣٠ ـ ﴿فَرِيقًا﴾ منكم ﴿هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾.

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٣٢ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٣ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٞۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ٣٤ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٣٥ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٣٦ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمۡ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ قَالُوٓاْ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ٣٧﴾

٣١ ـ ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ﴾ ما يستر عورتكم ﴿عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾: عند الصلاة والطواف ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ﴾ ما شئتم من الحلال ﴿وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ أي: ولا تسرفوا بتحريم الحلال أو بالتعدّي إلىٰ الحرام، أو بالإفراط في الطعام.

٣٢ ـ ﴿قُلۡ﴾ إنكاراً عليهم: ﴿مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾ من اللباس ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتِ﴾: المستلذات ﴿مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ بالاستحقاق وإن شاركهم فيها غيرهم ﴿خَالِصَةٗ﴾: خاصة بهم، حال ﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾: نُبيّنها مثل ذلك التفصيل ﴿لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾: يتدبرون، فإنهم المنتفعون بها.

٣٣ ـ ﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ﴾: الكبائر كالزنىٰ ﴿مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ﴾ أي: جهرها وسرَّها.

﴿وَٱلۡإِثۡمَ﴾: المعصية ﴿وَٱلۡبَغۡيَ﴾ علىٰ الناس ﴿بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ هو الظلم ﴿وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ﴾: بإشراكه ﴿سُلۡطَٰنٗا﴾: حُجة ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ من تحريم ما لم يُحرِّم وغيره.

٣٤ ـ ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٞۖ﴾: مدة.

﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ﴾ عنه ﴿سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ﴾ عليه.

٣٥ ـ ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا﴾، فيه إدغام نون (إن) الشرطية في (ما) المزيدة ﴿يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ الشرك ﴿وَأَصۡلَحَ﴾ عمله ﴿فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ في الآخرة.

٣٦ ـ ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾: تكبروا ﴿عَنۡهَآ﴾ فلم يؤمنوا بها.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

٣٧ ـ ﴿فَمَنۡ﴾ أي: لا أحد ﴿أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ بنسبة الشريك والولد إليه.

﴿أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ﴾: القرآن ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمۡ﴾: يُصيبهم ﴿نَصِيبُهُم﴾: حظهم ﴿مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِۖ﴾ مما كُتب لهم في اللوح المحفوظ من الرزق والأجل وغير ذلك.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا﴾ أي: الملائكة ﴿يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ قَالُوٓاْ﴾ لهم تبكيتاً: ﴿أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَدۡعُونَ﴾: تعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ﴾: غابوا ﴿عَنَّا﴾ فلم نرهم.

﴿وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ عند الموت ﴿أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾.

قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ۖ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ۖ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ۖ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾

٣٨ ـ ﴿قَالَ﴾ تعالىٰ لهم يوم القيامة: ﴿ادْخُلُوا فِي﴾ جملة ﴿أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ﴾، متعلق بـ(ادخلوا) ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ﴾ النار ﴿لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ التي قبلها لضلالها بها ﴿حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا﴾: تلاحقوا ﴿فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ﴾ وهم الأتباع ﴿لِأُولَاهُمْ﴾ أي: لأجلّائهم، وهم المتبوعون: ﴿رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا﴾: مُضعَّفاً ﴿مِّنَ النَّارِ قَالَ﴾ تعالىٰ: ﴿لِكُلٍّ﴾ منكم ومنهم ﴿ضِعْفٌ﴾: عذاب مُضعَّف ﴿وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾ ما لكل فريق.

٣٩ ـ ﴿وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ أي: فما كان لكم علينا من فضل في الدنيا باتباعكم إيّانا؛ لأنكم كنتم في الدنيا عندنا أقلّ من أن يكون لكم فضل علينا، ولم تكفروا بسببنا، بل كفرتم اختياراً، ولم نحملكم علىٰ الكفر إجباراً، فنحن وأنتم سواء قال تعالىٰ لهم: ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾.

٤٠ ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا﴾: تكبّروا ﴿عَنْهَا﴾ فلم يؤمنوا بها ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ إذا عُرِجَ بأرواحهم إليها بعد الموت، فيُهبط بها إلىٰ سِجِّين، بخلاف المؤمن، فتُفتح له، ويُصعد بروحه إلىٰ السماء السابعة كما ورد في حديث أخرجه أحمد في «المسند» (٤/٢٨٨) ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ﴾: يدخل ﴿الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾: ثقب الإبرة، والجمل معروف وهو الذكر من الإبل. وقيل: الحبل الغليظ، وهو غيرُ ممكن، فكذا دخولهم ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ الجزاء ﴿نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ بالكفر.

٤١ ـ ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾: فراشٌ ﴿وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾: أغطيةٌ من النار، جمع غاشية، وتنوينه عوض من الياء المحذوفة ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾.

٤٢ ـ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، مبتدأ، وقولُه: ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾: طاقتها من العمل ـ اعتراضٌ بينه وبين خبره، وهو: ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

٤٣ ـ ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾: حقد كان بينهم في الدنيا ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ﴾: تحت قصورهم ﴿الْأَنْهَارُ وَقَالُوا﴾ عند الاستقرار في منازلهم:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا﴾ العملِ الذي هذا جزاؤه ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾، حُذف جوابُ (لولا) لدلالة ما قبله عليه.

﴿لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن﴾، مخففة، أي: أنه، أو مُفسِّرةٌ في المواضع الخمسة ﴿تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ۞وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ تِلۡقَآءَ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴿٥١﴾

٤٤ ـ ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ﴾ تقريراً وتبكيتاً ﴿أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا﴾ من الثواب ﴿حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ﴾كم ﴿رَبُّكُمۡ﴾ من العذاب ﴿حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ﴾: نادىٰ منادٍ ﴿بَيۡنَهُمۡ﴾: بين الفريقين أسمعهم: ﴿أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

٤٥ ـ ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ﴾ الناسَ ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: دينه ﴿وَيَبۡغُونَهَا﴾ أي: يطلبون السبيل ﴿عِوَجٗا﴾: مُعوجّة ﴿وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ﴾.

٤٦ ـ ﴿وَبَيۡنَهُمَا﴾ أي: أصحاب الجنة والنار ﴿حِجَابٞۚ﴾: حاجز، قيل: هو سور الأعراف ﴿وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ﴾ وهو سور الجنة ﴿رِجَالٞ﴾ استوت حسناتُهم وسيئاتهم كما في الحديث ﴿يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا﴾ من أهل الجنة والنار ﴿بِسِيمَىٰهُمۡۚ﴾: بعلامتهم، وهي بياض الوجوه للمؤمنين، وسوادها للكافرين، لرؤيتهم لهم، إذْ موضعهم عالٍ ﴿وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ قال تعالىٰ: ﴿لَمۡ يَدۡخُلُوهَا﴾ أي: أصحابُ الأعراف الجنةَ ﴿وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ﴾ في دخولها، قال الحسن: لم يُطمعهم إلّا لكرامة يريدها بهم، وروىٰ الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٢٠) عن حذيفة قال: «بينما هم كذلك إذ اطّلع عليهم ربك، فقال: قوموا ادخلوا الجنة فقد غفرتُ لكم».

٤٧ ـ ﴿وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ﴾ أي: أصحاب الأعراف ﴿تِلۡقَآءَ﴾: جهةَ ﴿أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا﴾ في النار ﴿مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

٤٨ ـ ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا﴾ من أصحاب النار ﴿يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ﴾ من النار ﴿جَمۡعُكُمۡ﴾ المالَ، أو كثرتُكم ﴿وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ﴾ أي: واستكباركم عن الإيمان.

٤٩ ـ ويقولون لهم مشيرين إلىٰ ضعفاء المسلمين: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ﴾ قد قيل لهم: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ﴾، ودَخلُوا، فجملة النفي حال، أي: مقولاً لهم ذلك.

٥٠ ـ ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ﴾ من الطعام ﴿قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا﴾: منعهما ﴿عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾.

٥١ ـ ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ﴾: نتركهم في النار ﴿كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا﴾ بتركهم العمل له ﴿وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ﴾ أي: وكما جحدوا.

وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾

٥٢ ـ ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ﴾ : قرآن ﴿فَصَّلْنَٰهُ﴾ : بيّناه بالأخبار والوعد والوعيد ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ ، حال، أي: عالمين بما فصّل فيه ﴿هُدًى﴾ ، حال من الهاء ﴿وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ به.

٥٣ ـ ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ : ما ينتظرون ﴿إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾ : عاقبة ما فيه ﴿يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ﴾ هو يوم القيامة ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ﴾ : تركوا الإيمان به: ﴿قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ﴾ : هل ﴿نُرَدُّ﴾ إلىٰ الدنيا ﴿فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ نوحّدُ الله ونترك الشرك؟ فيقال لهم: لا، قال تعالىٰ: ﴿قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ إذ صاروا إلىٰ الهلاك ﴿وَضَلَّ﴾ : ذهب ﴿عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ من دعوىٰ الشريك.

٥٤ ـ ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ من أيام الدنيا، أي: في قدرها لأنه لم يكن ثَمَّ شمس، ولو شاء خلقهنَّ في لمحة، والعدول عنه لتعليم خلقه التثبّت ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ ، هو في اللغة سرير المَلِك، استواءً يليق به ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ ، أي: يغطي كلاً منهما بالآخر ﴿يَطْلُبُهُۥ﴾ : يطلب كلٌّ منهما الآخر طلباً ﴿حَثِيثًا﴾ : سريعاً ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ﴾ ، بالنصب عطفاً علىٰ (السماوات) ﴿مُسَخَّرَٰتٍۭ﴾ : مُذَلَّلات ﴿بِأَمْرِهِۦٓ﴾ : بقدرته ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ﴾ جميعاً ﴿وَٱلْأَمْرُ﴾ كلُّه ﴿تَبَارَكَ﴾ : تعاظم ﴿ٱللَّهُ رَبُّ﴾ : مالك ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ .

٥٥ ـ ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا﴾ ، حال: تذلّلاً ﴿وَخُفْيَةً﴾ : سرّاً ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ في الدعاء بالتشدّق ورفع الصوت.

٥٦ ـ ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالشرك والمعاصي ﴿بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ ببعث الرسل ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا﴾ من عقابه ﴿وَطَمَعًا﴾ في رحمته ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ : المطيعين، وتذكير (قريب) المُخْبَر به عن (رحمة) لإضافتها إلىٰ الله.

٥٧ ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ أي: مُبَشِّراً، ومفردها بشير ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ﴾ : حملت الرياح ﴿سَحَابًا ثِقَالًا﴾ بالمطر ﴿سُقْنَٰهُ﴾ أي: السحاب، وفيه التفات عن الغيبة ﴿لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ : لا نبات به، أي: لإحيائها ﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ﴾ : بالبلد ﴿ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ﴾ : بالماء ﴿مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ كَذَٰلِكَ﴾ الإخراج ﴿نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ من قبورهم بالإحياء ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ فتؤمنون.

وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾

٥٨ ـ ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ﴾ : العذبُ التراب ﴿يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ﴾ حسناً ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ ، هذا مثلٌ للمؤمن يسمع الموعظة فينتفع بها ﴿وَٱلَّذِى خَبُثَ﴾ ترابهُ ﴿لَا يَخْرُجُ﴾ نباتُه ﴿إِلَّا نَكِدًا﴾ عَسِراً بمشقَّةٍ وهذا مَثَلٌ للكافر ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما بينا ما ذُكر ﴿نُصَرِّفُ﴾ : نُبيِّنُ ﴿ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ الله فيؤمنون.

٥٩ ـ ﴿لَقَدْ﴾ ، جواب قسم محذوف.

﴿أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ إن عبدتُم غيره ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ هو يوم القيامة.

٦٠ ـ ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ﴾ : الأشراف.

﴿مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ : بيِّن.

٦١ ـ ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ﴾ هي أعم من (الضلال) فنفيها أبلغ من نفيه.

﴿وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

٦٢ ـ ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ﴾ : أريد الخير ﴿لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

٦٣ ـ ﴿أَ﴾ كذبتم ﴿وَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ﴾ : موعظة ﴿مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ﴾ لسان ﴿رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ﴾ العذابَ إن لم تؤمنوا ﴿وَلِتَتَّقُوا۟﴾ الله ﴿وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ بها.

٦٤ ـ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾ من الغرق ﴿فِى ٱلْفُلْكِ﴾ : السفينة.

﴿وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ بالطوفان.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ﴾ عن الحق.

٦٥ ـ ﴿وَ﴾ أرسلنا ﴿إِلَىٰ عَادٍ﴾ الأولى ﴿أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ : وحِّدوه.

﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ : تخافونه فتؤمنون؟

٦٦ ـ ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ﴾ : جهالة.

﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ في رسالتك.

٦٧ ـ ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾

٦٨ ـ ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾: مأمون على الرسالة.

٦٩ ـ ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ﴾ لسان ﴿رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ﴾ في الأرض.

﴿مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً﴾: قوة وطولاً.

﴿فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ﴾: نِعمهُ.

﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: تفوزون.

٧٠ ـ ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ﴾: نترك.

﴿مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ به من العذاب.

﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في قولك.

٧١ ـ ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ﴾: وجب.

﴿عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ﴾: عذاب.

﴿وَغَضَبٌ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ﴾ أي: سميتم بها.

﴿أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾ أصناماً تعبدونها.

﴿مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ أي: بعبادتها ﴿مِن سُلْطَٰنٍ﴾: حُجة وبرهان.

﴿فَٱنتَظِرُوٓا۟﴾ العذابَ ﴿إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾ ذلكم بتكذيبكم لي.

فأُرسِلَتْ عليهم الريحُ العقيم.

٧٢ ـ ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ﴾ أي: هوداً.

﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾ من المؤمنين.

﴿بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ﴾ القومِ ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ أي: استأصلْناهم.

﴿وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾، عطف على (كذبوا).

٧٣ ـ ﴿وَ﴾ أرسلْنا ﴿إِلَىٰ ثَمُودَ﴾ أي: إلى قبيلة ثمود ﴿أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ﴾: معجزة ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ على صدقي.

﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾، حال، عاملها معنى الإشارة.

وكانوا سألوه أن يُخرجها لهم من صخرة عيّنوها ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾: بعقْر أو ضرب ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ عَادٖ وَبَوَّأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورٗا وَتَنۡحِتُونَ ٱلۡجِبَالَ بُيُوتٗاۖ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِمَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُمۡ أَتَعۡلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحٗا مُّرۡسَلٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلَ بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِيٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾ وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهۡوَةٗ مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ﴿٨١﴾

٧٤ ـ ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ﴾ في الأرض ﴿مِنۢ بَعۡدِ عَادٖ وَبَوَّأَكُمۡ﴾: أسكنكم ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورٗا﴾ تسكنونها في الصيف.

﴿وَتَنۡحِتُونَ ٱلۡجِبَالَ بُيُوتٗاۖ﴾ تسكنونها في الشتاء، ونصبه على الحال المقدرة ﴿فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾.

٧٥ ـ ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ﴾: تكبروا عن الإيمان به.

﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِمَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُمۡ﴾ أي: من قومه، بدل مما قبله بإعادة الجار:

﴿أَتَعۡلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحٗا مُّرۡسَلٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ﴾ إليكم؟

﴿قَالُوٓاْ﴾: نعم ﴿إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلَ بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ﴾.

٧٦ ـ ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِيٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾.

٧٧ ـ وكانت الناقة لها يوم في الماء ولهم يوم، فملُّوا ذلك ﴿فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ﴾ عقرها أحدهم بأمرهم بأن قتلها بالسيف.

﴿وَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ به من العذاب على قتلها ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾.

٧٨ ـ ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ﴾: الزلزلة الشديدة من الأرض والصيحة من السماء.

﴿فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ﴾: باركين على الركب ميتين.

٧٩ ـ ﴿فَتَوَلَّىٰ﴾: أعرض صالح ﴿عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾.

٨٠ ـ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿لُوطًا﴾، ويبدل منه: ﴿إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ﴾ أي: أدبار الرجال.

﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾: الإنس والجن.

٨١ ـ ﴿إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهۡوَةٗ مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ﴾: متجاوزون الحلال إلى الحرام.

وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرٗاۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبٗاۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمْۖ فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٞ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٖ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجٗاۚ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلٗا فَكَثَّرَكُمْۖ وَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٞ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٞ لَّمْ يُؤْمِنُواْ فَٱصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَاۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾

٨٢ - ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم﴾: أي: لوطاً وأتباعه ﴿مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ﴾ من أدبار الرجال.

٨٣ - ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾: الباقين في العذاب.

٨٤ - ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرٗاۖ﴾ هو حجارة السجيل فأهلكتهم.

﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾.

٨٥ - ﴿وَ﴾ أرسلنا ﴿إِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبٗاۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٞ﴾: معجزة ﴿مِّن رَّبِّكُمْۖ﴾ على صدقي.

﴿فَأَوْفُواْ﴾: أتموا ﴿ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُواْ﴾: تنقصوا ﴿ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ بالكفر والمعاصي ﴿بَعْدَ إِصْلَٰحِهَاۚ﴾ ببعث الرسل.

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ المذكور ﴿خَيْرٞ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: مريدي الإيمان فبادروا إليه.

٨٦ - ﴿وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٖ﴾: طريق.

﴿تُوعِدُونَ﴾: تُخوِّفون الناس بأخذ ثيابهم، أو المَكْس منهم.

﴿وَتَصُدُّونَ﴾: تصرفون ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: دينه.

﴿مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ﴾ بتوَعُّدكم إياه بالقتل.

﴿وَتَبْغُونَهَا﴾: تطلبون الطريق ﴿عِوَجٗاۚ﴾: معوجة.

﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلٗا فَكَثَّرَكُمْۖ وَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ قبلكم بتكذيبهم رسلهم، أي: آخر أمرهم من الهلاك.

٨٧ - ﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٞ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٞ لَّمْ يُؤْمِنُواْ﴾ به.

﴿فَٱصْبِرُواْ﴾: انتظروا ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَاۚ﴾ وبينكم بإنجاء المُحق وإهلاك المبطل.

﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾: أعدَلُهم.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾

٨٨ ـ ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾ عن الإيمان: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ﴾: ترجعن ﴿فِى مِلَّتِنَا﴾: ديننا.

وغلَّبوا في الخطاب الجمع على الواحد، لأن شعيباً لم يكن في ملتهم قط، وعلى نحوه أجاب ﴿قَالَ أ﴾نعودُ فيها ﴿وَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ﴾ لها؟ استفهام إنكار.

٨٩ ـ ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ﴾: ينبغي ﴿لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا﴾ ذلك فيخذلنا.

﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ أي: وسع علمه كلَّ شيء، ومنه حالي وحالكم.

﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ﴾: احكم ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾: الحاكمين.

٩٠ ـ ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾ أي: قال بعضهم لبعض ﴿لَئِنِ﴾، لام قسم ﴿ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾.

٩١ ـ ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾: الزلزلة الشديدة ﴿فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾: باركين على الركب ميتين.

٩٢ ـ ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا﴾، مبتدأ، خبره: ﴿كَأَن﴾، مخففة واسمها محذوف.

أي: كأنهم ﴿لَّمْ يَغْنَوْا۟﴾: يقيموا ﴿فِيهَا﴾ في ديارهم.

﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾، التأكيد بإعادة الموصول وغيره للرد عليهم في قولهم السابق.

٩٣ ـ ﴿فَتَوَلَّىٰ﴾: أعرض ﴿عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ فلم تؤمنوا.

﴿فَكَيْفَ ءَاسَىٰ﴾: أحزنُ ﴿عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾؟ استفهام بمعنى النفي.

٩٤ ـ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ﴾ فكذبوه ﴿إِلَّآ أَخَذْنَآ﴾: عاقبنا ﴿أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ﴾: شدة الفقر ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾: المرض ﴿لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾: يتذللون فيؤمنون.

٩٥ ـ ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا﴾: أعطيناهم ﴿مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ﴾: العذاب ﴿ٱلْحَسَنَةَ﴾: الغنى والصحة ﴿حَتَّىٰ عَفَوا۟﴾: كثُروا ﴿وَّقَالُوا۟﴾ كفراً للنعمة: ﴿قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ﴾ كما مسّنا.

وهذه عادة الدهر، وليست بعقوبة من الله، فكونوا على ما أنتم عليه.

قال تعالى: ﴿فَأَخَذْنَٰهُم﴾ بالعذاب ﴿بَغْتَةً﴾: فجأة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بوقت مجيئه قبله.

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾

٩٦ ـ ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ المكذبين ﴿ءَامَنُوا۟﴾ بالله ورسلهم ﴿وَٱتَّقَوْا۟﴾ الكفرَ والمعاصي ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ بالمطر ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ بالنبات ﴿وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟﴾ الرسل ﴿فَأَخَذْنَٰهُم﴾: عاقبناهم ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾.

٩٧ ـ ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ المكذبون ﴿أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا﴾: عذابنا ﴿بَيَٰتًا﴾: ليلاً ﴿وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾: غافلون عنه.

٩٨ ـ ﴿أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى﴾: نهارًا ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾.

٩٩ ـ ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ﴾: استدراجه إياهم بالنعمة وأخذهم بغتة ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾.

١٠٠ ـ ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾: يتبيَّنْ ﴿لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ﴾ بالسكنىٰ ﴿مِنۢ بَعْدِ﴾ هلاك ﴿أَهْلِهَآ أَن﴾، فاعل، مخففة واسمها محذوف. أي: أنه ﴿لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم﴾ بالعذاب ﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾ كما أصبنا مَنْ قبلهم.

والهمزة في المواضع الأربعة للتوبيخ، والفاء والواو الداخلتان علىٰ الهمزة للعطف..

﴿وَ﴾ نحن ﴿نَطْبَعُ﴾: نختم ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ الموعظةَ سماع تدبر.

١٠١ ـ ﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ﴾ التي مرَّ ذكرها ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿مِنْ أَنۢبَآئِهَا﴾: أخبار أهلها.

﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: المعجزات الظاهرات.

﴿فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟﴾ عند مجيئهم ﴿بِمَا كَذَّبُوا۟﴾: كفروا به ﴿مِن قَبْلُ﴾: قبل مجيئهم، بل استمروا علىٰ الكفر.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ الطبع ﴿يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

١٠٢ ـ ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم﴾ أي: الناس ﴿مِّنْ عَهْدٍ﴾ أي: وفاء بعهدهم يوم أخذ الميثاق.

﴿وَإِن﴾، مخففة ﴿وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ﴾.

١٠٣ ـ ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم﴾ أي: الرسل المذكورين ﴿مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ التسع ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ﴾: قومه ﴿فَظَلَمُوا۟﴾: كفروا ﴿بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ بالكفر من إهلاكهم.

١٠٤ ـ ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ إليك، فكذَّبه.

حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا۟ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾

ربع الحزب ١٧

١٠٥ ـ فقال: أنا ﴿حَقِيقٌ﴾: جدير ﴿عَلَىٰٓ أَن﴾: أي: بأن ﴿لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ﴾ إلىٰ الشام ﴿بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ وكان استعبدهم.

١٠٦ ـ ﴿قَالَ﴾ فرعون له: ﴿إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ﴾ علىٰ دعواك ﴿فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ فيها.

١٠٧ ـ ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾: حية عظيمة.

١٠٨ ـ ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ﴾: أخرجها من جيبه ﴿فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ﴾ ذات شعاع ﴿لِلنَّٰظِرِينَ﴾ خلاف ما كانت عليه من الأدمة.

١٠٩ ـ ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾: فائق في علم السحر.

وفي الشعراء أنه من قول فرعون نفسه، فكأنهم قالوه معه علىٰ سبيل التشاور.

١١٠ ـ ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾ قال فرعون: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾.

١١١ ـ ﴿قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾: أخِّر أمرهما ﴿وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾: جامعين.

١١٢ ـ ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ﴾ يفضُل موسىٰ في علم السحر، فجُمعوا.

١١٣ ـ ﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾؟

١١٤ ـ ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾.

١١٥ ـ ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ﴾ عصاك ﴿وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ﴾ ما معنا.

١١٦ ـ ﴿قَالَ أَلْقُوا۟﴾ أمرٌ للإذن بتقديم إلقائهم توصلاً به إلىٰ إظهار الحق.

﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟﴾ حبالَهم وعصيهم ﴿سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ﴾: صرفوها عن حقيقة إدراكها.

﴿وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ﴾: خوَّفوهم حيث خيَّلوها حياتٍ تسعىٰ ﴿وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾.

١١٧ ـ ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ﴾: تبتلع ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾: يقلبون بتمويههم.

١١٨ ـ ﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ﴾: ثبت وظهر ﴿وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ من السحر.

١١٩ ـ ﴿فَغُلِبُوا۟﴾ أي: فرعون وقومه ﴿هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ﴾: صاروا ذليلين.

١٢٠ ـ ﴿وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ﴾.

قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرۡعَوۡنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لِتُخۡرِجُواْ مِنۡهَآ أَهۡلَهَاۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتۡنَاۚ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾

١٢١ ـ ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

١٢٢ ـ ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ لعلمهم بأن ما شاهدوه من العصا لا يتأتىٰ بالسحر.

١٢٣ ـ ﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾: بموسىٰ ﴿قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ﴾ أنا ﴿لَكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا﴾ الذي صنعتموه ﴿لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لِتُخۡرِجُواْ مِنۡهَآ أَهۡلَهَاۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ ما ينالكم مني.

١٢٤ ـ ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٍ﴾ أي: يد كل واحد اليمنىٰ ورجله اليسرىٰ ﴿ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾.

١٢٥ ـ ﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا﴾ بعد موتنا بأي وجه كان ﴿مُنقَلِبُونَ﴾: راجعون في الآخرة.

١٢٦ ـ ﴿وَمَا تَنقِمُ﴾: تُنكر ﴿مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتۡنَاۚ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا﴾ عند فِعْلِ ما تَوَعَّدَهُ بنا لئلا نرجع كفاراً ﴿وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ﴾.

١٢٧ ـ ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ﴾ له: ﴿أَتَذَرُ﴾: تتركُ ﴿مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ بالدعاء إلىٰ مخالفتك ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ﴾ وكان صنع لهم أصناماً صغاراً يعبدونها.

وقال: أنا ربكم وربها، ولذا قال: أنا ربكم الأعلىٰ.

﴿قَالَ سَنُقَتِّلُ﴾، بالتشديد ﴿أَبۡنَآءَهُمۡ﴾ المولودين.

﴿وَنَسۡتَحۡيِۦ﴾: نستبقي ﴿نِسَآءَهُمۡ﴾ كفعلنا بهم من قبل.

﴿وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ﴾: قادرون، ففعلوا بهم ذلك، فشكا بنو إسرائيل.

١٢٨ ـ ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ﴾ علىٰ أذاهم.

﴿إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا﴾: يعطيها ﴿مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ﴾ المحمودة ﴿لِلۡمُتَّقِينَ﴾ الله.

١٢٩ ـ ﴿قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ﴾ فيها.

١٣٠ ـ ﴿وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ بِٱلسِّنِينَ﴾: بالقحط.

﴿وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ﴾: يتعظون فيؤمنون.

فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾

١٣١ ـ ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ﴾: الخِصبُ والغنىٰ ﴿قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ﴾ أي: نستحقها، ولم يشكروا عليها.

﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾: جَدْبٌ وبلاء ﴿يَطَّيَّرُوا۟﴾: يتشاءموا ﴿بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾ من المؤمنين.

﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ﴾: شُؤمُهم ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ يأتيهم به ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن ما يصيبهم من عنده.

١٣٢ ـ ﴿وَقَالُوا۟﴾ لموسىٰ: ﴿مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ فدعا عليهم.

١٣٣ ـ ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ﴾ وهو ماء دخل بيوتَهم ووصل إلىٰ حلوق الجالسين سبعة أيام.

﴿وَٱلْجَرَادَ﴾ فأكل زرعهم وثمارهم كذلك.

﴿وَٱلْقُمَّلَ﴾: السوس أو نوع من القراد، فتتبَّع ما تركه الجراد.

﴿وَٱلضَّفَادِعَ﴾ فملأت بيوتَهم وطعامهم.

﴿وَٱلدَّمَ﴾ في مياههم ﴿ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ﴾: مبينات.

﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ عن الإيمان بها ﴿وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾.

١٣٤ ـ ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ﴾: العذابُ.

﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ من كشف العذاب عنا إن آمنا ﴿لَئِن﴾، لام قسم ﴿كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾.

١٣٥ ـ ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا﴾ بدعاء موسىٰ ﴿عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾: ينقُضون عهدهم ويُصِرُّونَ علىٰ كفرهم.

١٣٦ ـ ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾: البحر المِلْح ﴿بِأَنَّهُمْ﴾: بسبب أنهم ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾ لا يتدبرونها.

١٣٧ ـ ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ﴾ بالاستعباد، وهم بنو إسرائيل ﴿مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ بالماء والشجر، صفة للأرض، وهي الشام.

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ وهي قوله: (وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ) إلخ ﴿عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟﴾ علىٰ أذىٰ عدوِّهم.

﴿وَدَمَّرْنَا﴾: أهلكنا ﴿مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ﴾ من العمارة.

﴿وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ﴾: يرفعون من البنيان.

وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۖ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾ ۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾

نصف الحزب ١٧

١٣٨ ـ ﴿وَجَٰوَزْنَا﴾: عبرنا ﴿بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟﴾: فمرُّوا ﴿عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ﴾، بضم الكاف ﴿عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ﴾: يقيمون علىٰ عبادتها.

﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا﴾: صنماً نعبده ﴿كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ حيث قابلتم نعمة الله عليكم بما قلتموه.

١٣٩ ـ ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ﴾: هالك ﴿مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

١٤٠ ـ ﴿قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا﴾: معبوداً، وأصله: أبغي لكم ﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ في زمانكم بما ذكره في قوله:

١٤١ ـ ﴿وَ﴾ اذكروا ﴿إِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ﴾: يُكلِّفونكم ويُذيقونكم ﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾: أشدَّه، وهو: ﴿يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ﴾: يستبقون ﴿نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم﴾ الإنجاء أو العذاب ﴿بَلَآءٌ﴾: إنعام أو ابتلاء ﴿مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ أفلا تتعظون فتنتهون عما قلتم؟

١٤٢ ـ ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً﴾ نُكلِّمه عند انتهائها بأن يصومها وهي: ذو القعدة، فصامها ﴿وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ﴾ من ذي الحجة ﴿فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ﴾: وقت وعده بكلامه إياه ﴿أَرْبَعِينَ﴾، حال ﴿لَيْلَةً﴾، تمييز.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ﴾ عند ذهابه إلىٰ الجبل للمناجاة: ﴿ٱخْلُفْنِي﴾: كُن خليفتي ﴿فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ﴾ أمْرهم ﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ بموافقتهم علىٰ المعاصي.

١٤٣ ـ ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا﴾ أي: للوقت الذي وعدناه للكلام فيه ﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ بلا واسطة كلاماً سمعه من كل جهة. ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ﴾ نفسك ﴿أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾ أي: لا تقدر علىٰ رؤيتي، والتعبير به دون: لن أُرىٰ، يفيد إمكان رؤيته تعالىٰ.

﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ﴾ الذي هو أقوىٰ منك ﴿فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ﴾: ثبت ﴿مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي﴾ أي: تَثبُت لرؤيتي، وإلّا فلا طاقةَ لك.

﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾، أي: مدكوكاً مستوياً بالأرض.

﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾: مغشياً عليه لهول ما رأىٰ ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ﴾: تنزيهاً لك ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ من سؤال ما لم أؤمر به ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ في زماني.

قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِي ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾

١٤٤ ـ ﴿قَالَ﴾ تعالىٰ له: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ﴾: اخترتُك ﴿عَلَى ٱلنَّاسِ﴾: أهل زمانك ﴿بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ أي: تكليمي إياك ﴿فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ﴾ من الفضل ﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ لأنعمي.

١٤٥ ـ ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِي ٱلْأَلْوَاحِ﴾: أي: ألواح التوراة ﴿مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه في الدِّين ﴿مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا﴾: تبييناً ﴿لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾، بدل من الجار والمجرور قبلَه ﴿فَخُذْهَا﴾، قبلَهُ (قلنا) مقدراً ﴿بِقُوَّةٍ﴾: بجدٍّ واجتهاد ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾: فرعون وأتباعه، وهي مصر لتعتبروا بها.

١٤٦ ـ ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ﴾: دلائل قدرتي من المصنوعات وغيرها ﴿ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ بأن أخذُلهم فلا يتفكرون فيها ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ﴾: طريق ﴿ٱلرُّشْدِ﴾: الهدىٰ الذي جاء من عند الله ﴿لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ يسلُكوه ﴿وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ﴾: الضلال ﴿يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ﴾ الصَّرفُ ﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾ تقدم مثله.

١٤٧ ـ ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ﴾: البعث وغيره ﴿حَبِطَتْ﴾: بطلَتْ ﴿أَعْمَٰلُهُمْ﴾: ما عملوه في الدنيا من خير، كصلة رحم وصدقة، فلا ثواب لهم علىٰ هذه الأعمال؛ لأنهم كُفّار كما جاء في قوله تعالىٰ: (وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا) [الفرقان:٢٣]، وقوله سبحانه: (وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ) [النور:٣٩]، وقوله تعالىٰ: (مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَيْءٍ) [إبراهيم:١٨]. ﴿هَلْ﴾: ما ﴿يُجْزَوْنَ إِلَّا﴾ جزاء ﴿مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ من التكذيب والمعاصي.

١٤٨ ـ ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي: بعد ذهابه إلىٰ المناجاة ﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا﴾ صاغه لهم منه السامري ﴿جَسَدًا﴾ أي: جسداً لا روح فيه، صاغه لهم علىٰ صورة العجل، وجعله مجوّفاً، وجعله في مهبّ الريح، فإذا هبّت الريح ودخلت في جوفه سُمع لها صوت يشبه صوت خوار العجل. ﴿لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ أي: صوت يسمع، ومفعول (اتخذ) الثاني محذوف، أي: إلهاً ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ فكيف يُتخذُ إلهاً؟ ﴿ٱتَّخَذُوهُ﴾ إلهاً ﴿وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ﴾ باتخاذه.

١٤٩ ـ ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: ندموا علىٰ عبادته ﴿وَرَأَوْا۟﴾: علموا ﴿أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟﴾ بها، وذلك بعد رجوع موسىٰ ﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ سَيَنَالُهُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَذِلَّةٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ أَخَذَ ٱلۡأَلۡوَاحَۖ وَفِي نُسۡخَتِهَا هُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ هُمۡ لِرَبِّهِمۡ يَرۡهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَاۖ فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ قَالَ رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّٰيَۖ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾

١٥٠ ـ ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ﴾ من جهتهم ﴿أَسِفٗا﴾: شديد الحزن ﴿قَالَ﴾ لهم: ﴿بِئۡسَمَا﴾ أي: بئس خلافةٌ ﴿خَلَفۡتُمُونِي﴾ها ﴿مِنۢ بَعۡدِيٓۖ﴾ خلافتُكم هذه حيث أشركتم ﴿أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ﴾ ألواح التوراة غضباً لربه، فتكسَّرت ﴿وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ﴾ أي: بشعره بيمينه ولحيته بشماله ﴿يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ﴾ غضباً ﴿قَالَ﴾: يا ﴿ٱبۡنَ أُمَّ﴾، أراد: أمي، وذكرها أعطف لقلبه، ﴿إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ﴾: قاربوا ﴿يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ﴾: تُفرح ﴿بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ﴾ بإهانتك إياي ﴿وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ بعبادة العجل في المؤاخذة.

١٥١ ـ ﴿قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي﴾ ما صنعتُ بأخي ﴿وَلِأَخِي﴾، أَشْرَكَهُ في الدعاء إرضاءً له ودفعاً للشماتة به ﴿وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾.

١٥٢ ـ قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ﴾ إلهاً ﴿سَيَنَالُهُمۡ غَضَبٞ﴾: عذاب ﴿مِّن رَّبِّهِمۡ وَذِلَّةٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ﴾ فعُذبوا بالأمر بقتل أنفسهم، وضُربت عليهم الذلة إلىٰ يوم القيامة ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما جزيناهم ﴿نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ﴾ علىٰ الله بالإشراك وغيره.

١٥٣ ـ ﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ﴾: رجعوا عنها ﴿مِنۢ بَعۡدِهَا وَءَامَنُوٓاْ﴾ بالله ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا﴾ أي: التوبة ﴿لَغَفُورٞ﴾ لهم ﴿رَّحِيمٞ﴾ بهم.

١٥٤ ـ ﴿وَلَمَّا سَكَتَ﴾: سكن ﴿عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ أَخَذَ ٱلۡأَلۡوَاحَۖ﴾ التي ألقاها ﴿وَفِي نُسۡخَتِهَا﴾ أي: ما نُسخ فيها، أي: كُتِبَ ﴿هُدٗى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ هُمۡ لِرَبِّهِمۡ يَرۡهَبُونَ﴾: يخافون، وأدخل اللام علىٰ المفعول لتقدُّمه.

١٥٥ ـ ﴿وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ﴾ أي: من قومه ﴿سَبۡعِينَ رَجُلٗا﴾ ممن لم يعبدوا العجل بأمره تعالىٰ ﴿لِّمِيقَٰتِنَاۖ﴾ أي: للوقت الذي وعدناه بإتيانهم فيه، ليعتذروا من عبادة أصحابهم العجلَ فخرج بهم ﴿فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ﴾: الزلزلةُ الشديدة، قال ابن عباس: لأنهم لم يُزايلوا قومهم حين عبدوا العجل، قال: وهم غيرُ الذين سألوا الرؤية وأخذتهم الصاعقة ﴿قَالَ﴾ موسىٰ: ﴿رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ﴾ أي: قبل خروجي بهم ليُعاينَ بنو إسرائيل ذلك ولا يتهموني ﴿وَإِيَّٰيَۖ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ﴾، استفهام استعطاف، أي: لا تُعذِّبنا بذنب غيرنا ﴿إِنۡ﴾: ما ﴿هِيَ﴾ أي: الفتنة التي وقع فيها السفهاء ﴿إِلَّا فِتۡنَتُكَ﴾: ابتلاؤك ﴿تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ﴾ إضلالَه ﴿وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ﴾ هدايته ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا﴾: متولي أمورنا ﴿فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ﴾.

۞ وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمِن قَوۡمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ ﴿١٥٩﴾

١٥٦ ـ ﴿وَٱكۡتُبۡ﴾: أوجب ﴿لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ حسنة.

﴿إِنَّا هُدۡنَآ﴾: تبنا ﴿إِلَيۡكَۚ قَالَ﴾ تعالى: ﴿عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ﴾ تعذيبه ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ﴾: عمَّت ﴿كُلَّ شَيۡءٖۚ﴾ في الدنيا ﴿فَسَأَكۡتُبُهَا﴾ في الآخرة ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ﴾.

١٥٧ ـ ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ﴾ محمداً ﷺ ﴿ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ﴾ باسمه وصفته ﴿يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ مما حُرم في شرعهم.

﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾ من الميتة ونحوها.

﴿وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ﴾: ثِقْلهم ﴿وَٱلۡأَغۡلَٰلَ﴾: الشدائد ﴿ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ كقتل النفس في التوبة، وقطع أثر النجاسة ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ﴾ منهم ﴿وَعَزَّرُوهُ﴾: وقَّروه ﴿وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾ أي: القرآن ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾.

١٥٨ ـ ﴿قُلۡ﴾ خطاب للنبي ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ﴾ القرآن ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾: ترشدون.

١٥٩ ـ ﴿وَمِن قَوۡمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٞ﴾: جماعة ﴿يَهۡدُونَ﴾ الناس ﴿بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ﴾ في الحكم.

وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾

١٦٠ ـ ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ﴾: فرّقنا بني إسرائيل ﴿ٱثْنَتَيْ عَشْرَةَ﴾، حال ﴿أَسْبَاطًا﴾، بدل منه، أي: قبائل ﴿أُمَمًا﴾، بدل مما قبله ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ﴾ في التِّيه ﴿أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ﴾ فضربه ﴿فَٱنۢبَجَسَتْ﴾: انفجرت ﴿مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ بعدد الأسباط ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾: سِبْطٍ منهم ﴿مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ﴾ في التِّيه من حر الشمس ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾. قال ابن كثير: والظاهر ـ والله أعلم ـ أنَّ المنَّ كل ما امتنّ الله به عليهم من طعام ليس فيه عمل ولا كدّ وفي «الصحيحين»: «الكمأة من المنّ، وماؤها شفاءٌ للعين». وفي «صحيح مسلم»: «إن الكمأة من المنّ الذي أنزل الله تعالىٰ علىٰ بني إسرائيل». والسلوىٰ: عن ابن عباس أنه طائر شبيه بالسُّمانىٰ ـ بتخفيف الميم والقصر ـ وقلنا لهم: ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

١٦١ ـ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾: بيت المقدس ﴿وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟﴾: أمرُنا ﴿حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ﴾ أي: باب القرية ﴿سُجَّدًا﴾: سجود انحناء ﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ بالطاعة ثواباً.

١٦٢ ـ ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾ فقالوا: حبة في شعرة ودخلوا يزحفون علىٰ أستاههم كما جاء في «صحيح البخاري» (٤٦٤١). أي: بدّلوا أمر الله لهم من الخضوع بالقول والفعل، فأمروا أن يدخلوا سُجّداً أي رُكّعاً، فدخلوا يزحفونهم علىٰ أستاههم رافعي رؤوسهم، وأمروا أن يقولوا: حطة، أي احطط عنا ذنوبنا، فبدلوا قولاً غير الذي قيل لهم فأنزل الله عذاباً من السماء عليهم بسبب ظلمهم. ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا﴾: عذاباً ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ﴾.

١٦٣ ـ ﴿وَسْـَٔلْهُمْ﴾ يا محمد توبيخاً ﴿عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾: مجاورة بحر القُلْزُم، ما وقع بأهلها ﴿إِذْ يَعْدُونَ﴾: يَعْتَدُونَ ﴿فِى ٱلسَّبْتِ﴾ بصيد السمك المأمورين بتركه فيه ﴿إِذْ﴾، ظرف لـ(يَعْدُونَ): ﴿تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا﴾: ظاهرة علىٰ الماء ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ﴾: لا يُعَظِّمون السبت، أي: سائر الأيام ﴿لَا تَأْتِيهِمْ﴾ ابتلاءً من الله ﴿كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ ولما صادوا السمك افترقت القرية أثلاثاً: ثلث صادوا معهم، وثلثٌ نَهَوْهم، وثلثٌ أمسكوا عن الصيد والنهي.

وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّـٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَـٰهُم بِٱلْحَسَنَـٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَـٰقُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَـٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾

١٦٤ ـ ﴿وَإِذْ﴾ عطف على (إذ) قبله ﴿قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ﴾ لَمْ تَصِدْ ولم تَنْهَ لمن نهىٰ: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟﴾: موعظتُنا ﴿مَعْذِرَةً﴾ نعتذر بها ﴿إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ لئلا ننسب إلىٰ تقصير في ترك النهي ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الصيدَ. ١٦٥ ـ ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟﴾: تركوا ﴿مَا ذُكِّرُوا۟﴾: وُعظوا ﴿بِهِۦ﴾ فلم يرجعوا ﴿أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ بالاعتداء ﴿بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ﴾: شديد ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾. ١٦٦ ـ ﴿فَلَمَّا عَتَوْا۟﴾: تكبَّروا ﴿عَن﴾ ترك ﴿مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ﴾: صاغرين، فكانوها، وهذا تفصيل لما قبله، قال ابن عباس: ما أدري ما فُعل بالفرقة الساكتة، وقال عكرمة: لم تُهلك لأنها كرهت ما فعلوه، وقالت: لم تعظون، إلخ، وروىٰ الحاكم عن ابن عباس: أنه رجع إليه وأعجبه. ١٦٧ ـ ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ﴾: أعلم ﴿رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ﴾ أي: اليهود ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ بالذل وأخذ الجزية، فبعث عليهم سليمان وبعده بُخْتَنَصَّر، فقتلهم وسباهم، وضرب عليهم الجزية، فكانوا يؤدُّونها إلىٰ المجوس إلىٰ بعث نبينا ﷺ، فضربها عليهم. وفي «ظلال القرآن»: [فهو إذن الأبد الذي تحقق منذ صدوره، فبعث الله علىٰ اليهود في فترات من الزمان مَنْ يسومهم سوء العذاب، والذي سيظلّ نافذاً في عمومه، فيبعث الله عليهم بين آونة وأخرىٰ من يسومهم سوء العذاب. وكلّما انتعشوا وانتفشوا وطغوا في الأرض وبغوا، جاءتهم الضربة ممّن يسلطهم الله عليهم من عباده علىٰ هذه الفئة الباغية النكدة، الناكثة العاصية، التي لا تخرج من معصية إلا لتقع في معصية... ولقد يبدو أحياناً أنّ اللعنة قد توقّفت، وأن يهود قد عزّت واستطالت! وإنْ هي إلا فترة عارضة من فترات التاريخ... ولا يدري إلّا الله مَنْ ذا الذي سيسلط عليهم في الجولة التالية وما بعدها إلىٰ يوم القيامة]. ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾ لمن عصاه ﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ﴾ لأهل طاعته ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم. ١٦٨ ـ ﴿وَقَطَّعْنَـٰهُمْ﴾: فرّقناهم ﴿فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا﴾: فِرقاً ﴿مِّنْهُمُ ٱلصَّـٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ﴾ ناس ﴿دُونَ ذَٰلِكَ﴾: الكفار والفاسقون ﴿وَبَلَوْنَـٰهُم بِٱلْحَسَنَـٰتِ﴾: بالنِّعم ﴿وَٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: النِّقم ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عن فسقهم. ١٦٩ ـ ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ﴾: التوراة عن آبائهم ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ﴾ أي: حُطام هذا الشيء الدنيء، أي: الدنيا من حلال وحرام ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ ما فعلناه ﴿وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ﴾، الجملة حال، أي: يرجون المغفرة وهم عائدون إلىٰ ما فعلوه مُصِرُّون عليه، وليس في التوراة وعد المغفرة مع الإصرار ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ﴾، استفهام تقرير ﴿عَلَيْهِم مِّيثَـٰقُ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ الإضافة بمعنىٰ (في) ﴿أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟﴾ عطف علىٰ (يُؤخذْ): قرؤوا ﴿مَا فِيهِ﴾ فَلِمَ كذبوا عليه بنسبة المغفرة إليه مع الإصرار ﴿وَٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الحرام ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾؟ أنها خير فتؤثرونها علىٰ الدنيا. ١٧٠ ـ ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَـٰبِ﴾ منهم ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾، الجملة خبر (الذين) وفيه وضع الظاهر موضع المضمر، أي: أجرهم.

﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾

الحزب ١٨

١٧١ ـ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ﴾: رفعناه من أصله ﴿فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ﴾ أي: كأنّه غمامة تظلّهم ﴿وَظَنُّوٓا۟﴾ أي: أيقنوا ﴿أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ﴾: ساقط عليهم بوعد الله إياهم بوقوعه إن لم يقبلوا أحكام التوراة، وكانوا أَبَوْها لِثِقْلها، فقبلوا، وقلنا لهم: ﴿خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾: بجد واجتهاد ﴿وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ﴾ بالعمل به ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾. ١٧٢ ـ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ﴾: حين ﴿أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ﴾، بدل اشتمال مما قبله بإعادة الجار ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ بأن استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم، شاهدين علىٰ أنفسهم أنّ الله ربُّهم ومليكهم وأنّه لا إلٰه إلّا هو، كما أنّه تعالىٰ فطرهم علىٰ ذلك وجبلهم عليه قال تعالىٰ: (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ) وكما جاء في «صحيح البخاري» (١٣٥٩) و«صحيح مسلم» (٢٦٥٨) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كلُّ مولود يولد علىٰ الفطرة ـ وفي رواية: علىٰ هذه الملة ـ فأبواه يُهوّدانه ويُنصّرانه ويُمجّسانه كما تولد البهمية. بهيمة جمعاء، هل تُحسّون فيها من جدعاء». وكما جاء في «صحيح مسلم» (٢٨٦٥) عن عياض بن حمار قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله: إني خلقتُ عبادي حنفاء، فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرّمت عليهم ما أحللت لهم». ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ والمراد بهذا الإشهاد إنما هو فَطْرهم علىٰ التوحيد كما تقدم في حديث أبي هريرة وعياض بن حمار ولهذا قال: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ) ولم يقل: من آدم. وقال: (مِن ظُهُورِهِمْ) ولم يقل: من ظهره ومعنىٰ قوله: (أَخَذَ... ذُرِّيَّتَهُمْ) أي: جعل نسلهم جيلاً بعد جيل. قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ أنت ربنا ﴿شَهِدْنَآ﴾ بذلك، والإشهاد لـ﴿أَن﴾ لا ﴿تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا﴾ التوحيد ﴿غَٰفِلِينَ﴾ لا نعرفه. ١٧٣ ـ ﴿أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ﴾ أي: قبلنا ﴿وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ﴾ فاقتدينا بهم ﴿أَفَتُهْلِكُنَا﴾: تعذبُنا ﴿بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ من آبائنا بتأسيس الشرك، المعنىٰ: لا يمكنهم الاحتجاجُ بذلك مع إشهادهم علىٰ أنفسهم بالتوحيد، والتذكيرُ به علىٰ لسان صاحب المعجزة قائم مقام ذكره في النفوس. ١٧٤ ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ﴾: نُبيِّنها مثل ما بينا الميثاق ليتدبروها ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عن كفرهم. ١٧٥ ـ ﴿وَٱتْلُ﴾ يا محمد ﴿عَلَيْهِمْ نَبَأَ﴾: خبر ﴿ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾: خرج بكفره كما تخرج الحية من جلدها. هذا مثلٌ للذين يكذبون بآيات الله بعد أن أتتهم وعرفوا صحتها وصدقها، ولكنّهم لم يستقيموا عليها، بل خرجوا منها يبيعون دينهم بعرض من الدنيا، وأغواهم الشيطان فكانوا من الهالكين، ولم ينفعهم علمهم. ﴿فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ فأدركه فصار قرينه ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾. ١٧٦ ـ ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ﴾ إلىٰ منازل العلماء ﴿بِهَا﴾ بأن نُوَفِّقهُ للعمل ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ﴾: سكن ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: الدنيا ومالَ إليها ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ في دعائه إليها فوضعناه ﴿فَمَثَلُهُۥ﴾: صفته ﴿كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ﴾ بالطرد والزجر ﴿يَلْهَثْ﴾: يَدْلَع لسانه ﴿أَوْ﴾ إن ﴿تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ وليس غيره من الحيوان كذلك، وجملتا الشرط حال، أي: لاهثاً ذليلاً بكل حال، والقصد التشبيه في الوضع والخِسَّة، بقرينة الفاء المشعرة بترتيب ما بعدها علىٰ ما قبلها من الميل إلىٰ الدنيا واتباع الهوىٰ، وبقرينة قوله: ﴿ذَّٰلِكَ﴾ المثل ﴿مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾: يتدبرون فيها فيؤمنون. ١٧٧ ـ ﴿سَآءَ﴾: بئس ﴿مَثَلًا ٱلْقَوْمُ﴾ أي: مَثل القوم ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ﴾ بالتكذيب. ١٧٨ ـ ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾.

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾

١٧٩ ـ ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا﴾: خلقنا ﴿لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ الحقَّ ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ دلائل قدرة الله بصرَ اعتبار ﴿وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ الآيات والمواعظ سماع تدبُّر واتعاظ ﴿أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ﴾ في عدم الفقه والبصر والاستماع ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ من الأنعام، لأنها تطلب منافعها وتهرب من مضارِّها، وهؤلاء يُقدمون على النار معاندة ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾.

١٨٠ ـ ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ التسعة والتسعون الوارد بها الحديث الذي رواه الترمذي (٣٥٠٧) وجاء في «صحيح مسلم» (٢٦٧٧): «إنّ لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلّا واحداً مَنْ أحصاها دخل الجنة». والحسنىٰ مؤنث الأحسن ﴿فَادْعُوهُ﴾: سمُّوه ﴿بِهَا وَذَرُوا﴾: اتركوا ﴿الَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾ من (ألحد) و(لحد): يميلون عن الحق ﴿فِي أَسْمَائِهِ﴾ حيث اشتقوا منها أسماءً لآلهتهم، كاللّات من (الله)، والعُزّىٰ من (العزيز)، ومَناة من (المنان) ﴿سَيُجْزَوْنَ﴾ في الآخرة جزاء ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وهذا قبل الأمر بالقتال.

١٨١ ـ ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ هم أمة محمد ﷺ كما في حديث.

١٨٢ ـ ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾: القرآن ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾: نأخذهم قليلاً قليلاً ﴿مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

١٨٣ ـ ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾: أُمهِلُهم ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾: شديد لا يطاق.

١٨٤ ـ ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾ فيعلموا ﴿مَا بِصَاحِبِهِم﴾ محمد ﷺ ﴿مِّن جِنَّةٍ﴾: جُنون ﴿إِنْ﴾: ما ﴿هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾: بيِّنُ الإنذار.

١٨٥ ـ ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ﴾: ملك ﴿السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَ﴾ في ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾، بيان لـ(ما)، فيستدلوا به على قدرة صانعه ووحدانيته ﴿وَ﴾ في ﴿أَنْ﴾ أي: أنه ﴿عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ﴾: قرب ﴿أَجَلُهُمْ﴾ فيموتوا كفاراً فيصيروا إلى النار، فيبادروا إلى الإيمان ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ﴾ أي: القرآن ﴿يُؤْمِنُونَ﴾؟

١٨٦ ـ ﴿مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾: يتردَّدون تحيّراً.

١٨٧ ـ ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ أي: أهل مكة ﴿عَنِ السَّاعَةِ﴾: القيامة ﴿أَيَّانَ﴾: متىٰ ﴿مُرْسَاهَا قُلْ﴾ لهم: ﴿إِنَّمَا عِلْمُهَا﴾ متىٰ تكون ﴿عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا﴾: يُظهرها ﴿لِوَقْتِهَا﴾، اللام بمعنىٰ في ﴿إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ﴾: عَظُمتْ ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ علىٰ أهلها لِهَوْلها ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾: فجأة ﴿يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ﴾: مُبالغٌ في السؤال ﴿عَنْهَا﴾ حتىٰ علمتَها ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ﴾، تأكيد ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنّ علمها عنده تعالىٰ.

قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨ ۞ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفٗا فَمَرَّتۡ بِهِۦۖ فَلَمَّآ أَثۡقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا صَٰلِحٗا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٨٩ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحٗا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١٩٠ أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ١٩١ وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ لَهُمۡ نَصۡرٗا وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ١٩٢ وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمۡۚ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ ١٩٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٩٤ أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَيۡدٖ يَبۡطِشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَعۡيُنٞ يُبۡصِرُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۗ قُلِ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ١٩٥

ربع الحزب ١٨

١٨٨ - ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا﴾ أجلبه ﴿وَلَا ضَرًّا﴾ أدفعه ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ﴾: ما غاب عني ﴿لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ﴾ من فقر وغيره لاحترازي عنه باجتناب المضارّ ﴿إِنۡ﴾: ما ﴿أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ﴾ بالنار للكافرين ﴿وَبَشِيرٞ﴾ بالجنة ﴿لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾.

١٨٩ - ﴿هُوَ﴾ أي: الله ﴿ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾ أي: آدم ﴿وَجَعَلَ﴾: خلق ﴿مِنۡهَا زَوۡجَهَا﴾ حواء ﴿لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ﴾ ويألفها. ﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا﴾ انتقل الكلام إلىٰ الجنس الإنسانيّ، أي: فلّما تغشّىٰ الزوج زوجته، أي: جامعها، ﴿حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفٗا﴾ لأنّ الحمل في أوّل العهد يكون خفيفاً لا تكاد المرأة تشعر به ﴿فَمَرَّتۡ بِهِۦۖ﴾ أي: ذهبت وجاءت لخفته ﴿فَلَمَّآ أَثۡقَلَت﴾ بكبر الولد في بطنها، وأشفقا أن يأتي الولد ناقصاً أو مشوّهاً أو مصاباً بعاهة ﴿دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا﴾ ولداً ﴿صَٰلِحٗا﴾ أي: سويّاً ﴿لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ لك عليه حقّ الشكر.

١٩٠ - ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحٗا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ﴾ أي: فلمّا أعطاهما ولداً صالحاً، لا نقص في خلقه، سويّاً غير مشوّه ولا مصابٍ بعاهة جعلا له شركاء فيما أعطاهما. وهذا ما ذهب إليه الحسن البصريّ وغيره، وأما ما ذكره المفسرون من أن حوّاء استجابت لطلب إبليس في أن يكون اسم وليدها عبد الحارث (أي: عبد إبليس) فهذا غير صحيح، وهو - كما استظهر ذلك ابن كثير - من آثار أهل الكتاب. قال ابن كثير: [وأما نحن فعلىٰ مذهب الحسن البصري في هذا والله أعلم، وأنه ليس المراد من هذا السياق آدم وحوّاء، وإنما المراد من ذلك المشركون من ذريته ولهذا قال تعالىٰ: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ وذكر تعالىٰ آدم وحواء كالتوطئة لما بعدهما من الوالدين، وهو كالاستطراد من ذكر الشخص إلىٰ الجنس].

١٩١ - ﴿أَيُشۡرِكُونَ﴾ به في العبادة ﴿مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ﴾.

١٩٢ - ﴿وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ لَهُمۡ﴾ أي: لعابديهم ﴿نَصۡرٗا وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ﴾ بمنعها ممن أراد بهم سوءاً من كسر أو غيره، والاستفهام للتوبيخ. ١٩٣ - ﴿وَإِن تَدۡعُوهُمۡ﴾ أي: الأصنام ﴿إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمۡۚ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ﴾ إليه ﴿أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ﴾ عن دعائهم، لا يتّبعوه لعدم سماعهم. ١٩٤ - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ﴾: تعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ﴾ مملوكة ﴿أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ﴾ دعاءكم ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ في أنها آلهة. ١٩٥ - ثم بيّنَ غايةَ عجزهم وفضلَ عابديهم عليهم، فقال: ﴿أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآۖ أَمۡ﴾: بل أ﴿لَهُمۡ أَيۡدٖ﴾، جمع يد ﴿يَبۡطِشُونَ بِهَآۖ أَمۡ﴾: بل أ﴿لَهُمۡ أَعۡيُنٞ يُبۡصِرُونَ بِهَآۖ أَمۡ﴾: بل أ﴿لَهُمۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۗ﴾؟ استفهام إنكار، أي: ليس لهم شيء من ذلك مما هو لكم، فكيف تعبدونهم وأنتم أتمُّ حالاً منهم؟!. ﴿قُلِ﴾ لهم يا محمد: ﴿ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ﴾ إلىٰ هلاكي ﴿ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ﴾: تُمهلونِ، فإني لا أبالي بكم.

إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَسۡمَعُواْۖ وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخۡوَٰنُهُمۡ يَمُدُّونَهُمۡ فِي ٱلۡغَيِّ ثُمَّ لَا يُقۡصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمۡ تَأۡتِهِم بِـَٔايَةٖ قَالُواْ لَوۡلَا ٱجۡتَبَيۡتَهَاۚ قُلۡ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾

سجدة

١٩٦ ـ ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ﴾: مُتولِّي أموري ﴿ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ﴾: القرآن ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ بحفظه.

١٩٧ ـ ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ﴾ فكيف أبالي بهم؟

١٩٨ ـ ﴿وَإِن تَدۡعُوهُمۡ﴾ أي: الأصنام ﴿إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَسۡمَعُواْۖ وَتَرَىٰهُمۡ﴾ أي: الأصنام يا محمد ﴿يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ﴾ أي: يقابلونك كالناظر ﴿وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ﴾.

١٩٩ ـ ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ﴾: اليُسْرَ من أخلاق الناس ولا تبحث عنها ﴿وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ﴾: المعروف ﴿وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ فلا تقابلهم بسفههم.

٢٠٠ ـ ﴿وَإِمَّا﴾، فيه إدغام نون (إن) الشرطية في (ما) المزيدة ﴿يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ﴾ أي: إن يَصْرِفْك عما أُمرت به صارفٌ ﴿فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ﴾، جواب الشرط، وجواب الأمر محذوف، أي: يَدْفَعْهُ عنك ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ﴾ للقول ﴿عَلِيمٌ﴾ بالفعل.

٢٠١ ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ﴾: أصابهم ﴿طَٰٓئِفٞ﴾ أي: شيءٌ أَلَمَّ بهم ﴿مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ﴾ عقاب الله وثوابه ﴿فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴾ الحقَّ من غيره فيرجعون.

٢٠٢ ـ ﴿وَإِخۡوَٰنُهُمۡ﴾ أي: إخوان الشياطين من الكفار ﴿يَمُدُّونَهُمۡ﴾ أي: الشياطين ﴿فِي ٱلۡغَيِّ ثُمَّ﴾ هم ﴿لَا يُقۡصِرُونَ﴾: يَكُفُّون عنه بالتبصُّر كما تبصَّر المتقون.

٢٠٣ ـ ﴿وَإِذَا لَمۡ تَأۡتِهِم بِـَٔايَةٖ﴾ مما اقترحوا ﴿قَالُواْ لَوۡلَا﴾: هلّا ﴿ٱجۡتَبَيۡتَهَاۚ﴾: أنشأتها من قِبَلِ نفسك؟ ﴿قُلۡ﴾ لهم: ﴿إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّيۚ﴾ وليس لي أن آتيَ من عند نفسي بشيء ﴿هَٰذَا﴾ القرآنُ ﴿بَصَآئِرُ﴾: حججٌ ﴿مِن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾.

٢٠٤ ـ ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ﴾ عن الكلام ﴿لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ نزلت في ترك الكلام في الخطبة، وعبَّر عنها بالقرآن لاشتمالها عليه، وقيل: في قراءة القرآن مطلقاً.

٢٠٥ ـ ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ﴾ أي: سرّاً ﴿تَضَرُّعٗا﴾: تذللاً ﴿وَخِيفَةٗ﴾: خوفاً منه ﴿وَ﴾ فوق السرِّ ﴿دُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ﴾ أي: قصداً بينهما ﴿بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ﴾: أوائل النهار وأواخره ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾ عن ذكر الله.

٢٠٦ ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ أي: الملائكة ﴿لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ﴾: يتكبَّرون ﴿عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ﴾: يُنزِّهونه عما لا يليق به ﴿وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ﴾ أي: يَخصُّونه بالخضوع والعبادة فكونوا مثلهم.

سورة الأنفال (ترتيبها ٨ - آياتها ٧٥)

بسم الله الرحمن الرحيم

يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾

سورة الأنفال

مدنية أو إلا (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ) الآيات السبع فمكية
خمس ـ أو ست أو سبع ـ وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ لما اختلف المسلمون في غنائم بدر فقال الشبان: هي لنا لأنَّا باشرنا القتال، وقال الشيوخ: كنا رِدْءاً لكم تحت الرايات، ولو انكشفتم لفئتم إلينا فلا تستأثروا بها، نزل ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ يا محمد ﴿عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾: الغنائم، لمن هي؟ ﴿قُلِ﴾ لهم: ﴿ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ يجعلانها حيث شاءا، فقسمها ﷺ بينهم على السواء. رواه الحاكم في «المستدرك» (٢/٣٢٦) وأبو داود (٢٧٣٧) ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ أي: حقيقة ما بينكم بالمودة وترك النزاع ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ حقاً.

٢ ـ ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ الكاملو الإيمان ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ﴾ أي: وعيده ﴿وَجِلَتْ﴾: خافت ﴿قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾: تصديقاً ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾: به يثقون لا بغيره.

٣ ـ ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: يأتون بها بحقوقها ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾: أعطيناهم ﴿يُنفِقُونَ﴾ في طاعة الله.

٤ ـ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ الموصوفون بما ذُكر ﴿هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾: صدقاً بلا شك ﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ﴾: منازلُ في الجنة ﴿عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ في الجنة.

٥ ـ ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ﴾، متعلق بـ(أخرج) ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ﴾ الخروج، والجملة حال من كاف (أخرجك)، و(كما) خبر مبتدأ محذوف تقديره: هذه الحال كحال إخراجك، يعني أنَّ حالهم في كراهة ما رأيت من تنفيل الغزاة مع كونه حقاً مثل حالهم في كراهة خروجك للحرب وهو حق أيضاً. وذلك أن أبا سفيان قدم بعير من الشام، فخرج النبي ﷺ وأصحابه ليغنموها، فعلمت قريش، فخرج أبو جهل ومقاتلو مكة ليذُبُّوا عنها، وهم النفير، وأخذ أبو سفيان بالعير طريق الساحل، فنجت، فقيل لأبي جهل: ارجع، فأبىٰ، وسار إلىٰ بدر، فشاور ﷺ أصحابه وقال: «إن الله وعدني إحدىٰ الطائفتين» فوافقوه علىٰ قتال النفير، وكره بعضهم ذلك، وقالوا: لم نستعدَّ له، كما قال تعالىٰ:

٦ ـ ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ﴾: القتال ﴿بَعْدَمَا تَبَيَّنَ﴾: ظهر لهم ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ إليه عياناً في كراهتهم له.

٧ ـ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ﴾: العير أو النفير ﴿أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ﴾: تريدون ﴿أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ﴾ أي: البأس والسلاح، وهي العير ﴿تَكُونُ لَكُمْ﴾ لِقلَّة عَددِها وعُددِها بخلاف النفير ﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ﴾: يُظهره ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ السابقة بظهور الإسلام ﴿وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: آخرهم، بالاستئصال، فأمَركم بقتال النفير.

٨ ـ ﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ﴾: يمحق ﴿ٱلْبَٰطِلَ﴾: الكفر ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾: المشركون ذلك.

إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴿١٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾

٩ ـ اذكر ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾: تطلبون منه الغوثَ بالنصر عليهم ﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي﴾ أي: بأني ﴿مُمِدُّكُم﴾: معينكم ﴿بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾: متتابعين يردُف بعضهم بعضاً، وعَدَهم بها أولاً، ثم صارت ثلاثة آلاف، ثم خمسة، كما في آل عمران.

١٠ ـ ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ﴾ أي: الإمداد ﴿إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

١١ ـ اذكر ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً﴾: أمْناً مما حصل لكم من الخوف ﴿مِّنْهُ﴾ تعالىٰ ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ﴾ من الأحداث والجنابات ﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾: وسوسته إليكم بأنكم لو كنتم علىٰ الحق ما كنتم ظِماءً مُحْدِثِين والمشركون علىٰ الماء ﴿وَلِيَرْبِطَ﴾: يَحبس ﴿عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾ باليقين والصبر ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ أن تسوخ في الرمل.

١٢ ـ ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ الذين أمدَّ بهم المسلمين ﴿أَنِّي﴾ أي: بأني ﴿مَعَكُمْ﴾ بالعون والنصر ﴿فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالإعانة والتبشير ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾: الخوف ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾ أي: الرؤوس ﴿وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ أي: أطراف اليدين والرجلين، فكان الرجل يقصد ضرب رقبة الكافر، فتسقط قبل أن يصل إليه سيفه، ورماهم ﷺ بقبضة من الحصىٰ، فلم يبق مشرك إلا دخل في عينيه منها شيء، فهُزموا.

١٣ ـ ﴿ذَٰلِكَ﴾ العذاب الواقع بهم ﴿بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا﴾: خالفوا ﴿اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ له.

١٤ ـ ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ العذاب ﴿فَذُوقُوهُ﴾ أيها الكفار في الدنيا ﴿وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابَ النَّارِ﴾.

١٥ ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا﴾ أي: مجتمعين كأنهم لكثرتهم يزحفون ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ﴾: منهزمين.

١٦ ـ ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم لقائهم ﴿دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا﴾: منعطفاً ﴿لِّقِتَالٍ﴾ بأن يريهم الفرَّة مكيدة وهو يريد الكرَّة ﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا﴾: منضماً ﴿إِلَىٰ فِئَةٍ﴾: جماعة من المسلمين يستنجد بها ﴿فَقَدْ بَاءَ﴾: رجع ﴿بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾: المرجع هي، وهذا مخصوص بما إذا لم يَزِد الكفارُ علىٰ الضِّعف.

فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ ۚ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾

ثلاثة أرباع الحزب ١٨

١٧ ـ ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾ ببدر بقوتكم ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ بنصره إياكم ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾ يا محمد أعين القوم ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾ بالحصىٰ، لأن كفاً من الحصىٰ لا يملأ عيون الجيش الكثير برمية بشر ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ بإيصال ذلك إليهم، فعل ذلك ليقهر الكافرين ﴿وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً﴾: عطاء ﴿حَسَنًا﴾ هو الغنيمة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لأقوالهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بأحوالهم.

١٨ ـ ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ الإبلاء حق ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ﴾: مُضعف ﴿كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

١٩ ـ ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟﴾ أيها الكفار، أي: تطلبوا الفتح، أي: القضاء حيث قال أبو جهل منكم: اللهم أيُّنا كان أقطع للرحم وأتانا بما لا نعرف فأَحِنْهُ الغداة، أي: أهلكه ﴿فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾: القضاء بهلاك من هو كذلك، وهو أبو جهل ومن قُتل معه، دون النبيِّ ﷺ والمؤمنين ﴿وَإِن تَنتَهُوا۟﴾ عن الكفر والحرب ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُوا۟﴾ لقتال النبي ﷺ ﴿نَعُدْ﴾ لنصره عليكم ﴿وَلَن تُغْنِيَ﴾: تدفع ﴿عَنكُمْ فِئَتُكُمْ﴾: جماعاتكم ﴿شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: ولأن الله مع المؤمنين.

٢٠ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟﴾: تُعرضوا ﴿عَنْهُ﴾ بمخالفة أمره ﴿وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ القرآن والمواعظ.

٢١ ـ ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ سماعَ تدبُّر واتّعاظ وهم المنافقون أو المشركون.

٢٢ ـ ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ﴾ عن سماع الحق ﴿ٱلْبُكْمُ﴾ عن النطق به ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ه.

٢٣ ـ ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا﴾: صلاحاً بسماع الحق ﴿لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ سماع تفهُّم ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾ فَرضاً وقد علم أن لا خير فيهم ﴿لَتَوَلَّوا۟﴾ عنه ﴿وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ عن قبوله عناداً وجحوداً.

٢٤ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ بالطاعة ﴿إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ من أمر الدين لأنه سبب الحياة الأبدية ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾. قال ابن عطية في تفسير هذه الآية بعد أن ذكر أنّ الآية تحتمل وجوهاً قال: [لمّا أمرهم بالاستجابة في الطاعة حضّهم علىٰ المبادرة والاستعجال فقال: واعلموا أنّ الله يحول بين المرء وقلبه بالموت والقبض، أي: فبادروا بالطاعات. ويلتئم مع هذا التأويل قوله سبحانه: ﴿وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ أي: فبادروا بالطاعات وتزوّدوها ليوم الحشر]. فيجازيكم بأعمالكم.

٢٥ ـ ﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً﴾ إن أصابتكم ﴿لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ بل تعمُّهم وغيرَهم، واتقاؤها بالنهي عن المُنْكر ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ لمن خالفه.

وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾

٢٦ ـ ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: أرض مكة ﴿تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ﴾: يأخذكم الكفار بسرعة ﴿فَـَٔاوَىٰكُمْ﴾ إلىٰ المدينة ﴿وَأَيَّدَكُم﴾: قوّاكم ﴿بِنَصْرِهِۦ﴾ يوم بدر بالملائكة ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾: الغنائم ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمه.

٢٧ ـ ونزل في أبي لبابة مروان بن عبد المنذر وقد بعثه ﷺ إلىٰ بني قريظة لينزلوا علىٰ حكمه، فاستشاروه، فأشار إليهم أنه الذبح، لأن عياله وماله فيهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَ﴾ لا ﴿تَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ﴾: ما اؤتُمنتم عليه من الدين وغيره ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾. قال ابن كثير: والصحيح أنّ الآية عامّة، وإن صحّ أنّها وردت علىٰ سبب خاصّ. فالأخذُ بعموم اللفظ لا بخصوص السبب عند الجماهير من العلماء. والخيانة تعمّ الذنوب الصغار والكبار، اللازمة والمتعدية.

٢٨ ـ ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ لكم صادّة عن أمور الآخرة ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ فلا تفوتوه بمراعاة الأموال والأولاد والخيانة لأجلهم.

٢٩ ـ ونزل في توبته: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ بالإنابة وغيرها ﴿يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ بينكم وبين ما تخافون؛ فتنجون ﴿وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ذنوبكم ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾.

٣٠ ـ ﴿وَ﴾ اذكرْ يا محمد ﴿إِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ وقد اجتمعوا للمشاورة في شأنك بدار الندوة ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾: يوثقوك ويحبسوك ﴿أَوْ يَقْتُلُوكَ﴾ كلُّهم قِتْلَةَ رجلٍ واحد ﴿أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ من مكة ﴿وَيَمْكُرُونَ﴾ بك ﴿وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ﴾ بهم بتدبير أمرك، بأن أوحىٰ إليك ما دبّروه وأمرك بالخروج ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾: أعلمُهم به.

٣١ ـ ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا﴾: القرآن ﴿قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ﴾ قاله النضر بن الحارث، لأنه كان يأتي الحيرة يتّجر، فيشتري كتب أخبار الأعاجم ويُحدِّث بها أهل مكة ﴿إِنْ﴾: ما ﴿هَٰذَآ﴾ القرآن ﴿إِلَّآ أَسَٰطِيرُ﴾: أكاذيب ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

٣٢ ـ ﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا﴾ الذي يقرؤه محمد ﴿هُوَ ٱلْحَقَّ﴾ المنزل ﴿مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: مؤلم علىٰ إنكاره، قاله النضر أو غيره استهزاءً وإيهاماً أنه علىٰ بصيرة وجزم ببطلانه.

٣٣ ـ قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾ بما سألوه ﴿وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ لأن العذاب إذا نزل عمّ، ولم تعذّب أمة إلا بعد خروج نبيّها والمؤمنين منها ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ قيل: هم المؤمنون المستضعفون فيهم كما قال تعالىٰ: (لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا).

وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٣٧﴾ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٤٠﴾

٣٤ ـ ﴿وَمَا لَهُمْ أَ﴾نْ ﴿لا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾ بالسيف بعد خروجك والمستضعفين.

وقد عذَّبهم الله ببدر وغيره ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ﴾: يمنعون النبي ﷺ والمسلمين ﴿عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أن يُطوفوا به.

﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ﴾ كما زعموا ﴿إِنْ﴾: ما ﴿أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن لا ولاية لهم عليه.

٣٥ ـ ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً﴾: صفيراً ﴿وَتَصْدِيَةً﴾: تصفيقاً، أي: جعلوا ذلك موضع صلاتهم التي أُمروا بها.

﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ ببدر ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

٣٦ ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ﴾ في حرب النبي ﷺ ﴿لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ﴾ في عاقبة الأمر ﴿عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾: ندامة لفواتها وفوات ما قصدوه.

﴿ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ في الدنيا ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ منهم ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ في الآخرة ﴿يُحْشَرُونَ﴾: يساقون.

٣٧ ـ ﴿لِيَمِيزَ﴾، متعلق بـ(تكونُ)، أي: يفصلَ ﴿اللَّهُ الْخَبِيثَ﴾: الكافر ﴿مِنَ الطَّيِّبِ﴾: المؤمن.

﴿وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا﴾: يجمعه متراكماً بعضه علىٰ بعض.

﴿فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

٣٨ ـ ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ كأبي سفيان وأصحابه:

﴿إِنْ يَنْتَهُوا﴾ عن الكفر وقتال النبي ﷺ ﴿يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ من أعمالهم.

﴿وَإِنْ يَعُودُوا﴾ إلىٰ قتاله ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: سنتنا فيهم بالإهلاك، فكذا نفعل بهم.

٣٩ ـ ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ﴾: توجد ﴿فِتْنَةٌ﴾: شرك.

﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ وحده ولا يُعبد غيره.

﴿فَإِنِ انْتَهَوْا﴾ عن الكفر ﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيهم به.

٤٠ ـ ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن الإيمان ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ﴾: ناصركم ومُتولي أموركم.

﴿نِعْمَ الْمَوْلَىٰ﴾ هو ﴿وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ أي: الناصر لكم.

۞ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ إِذۡ أَنتُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلۡقُصۡوَىٰ وَٱلرَّكۡبُ أَسۡفَلَ مِنكُمۡۚ وَلَوۡ تَوَاعَدتُّمۡ لَٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡمِيعَٰدِ وَلَٰكِن لِّيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗا لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ إِذۡ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلٗاۖ وَلَوۡ أَرَىٰكَهُمۡ كَثِيرٗا لَّفَشِلۡتُمۡ وَلَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذۡ يُرِيكُمُوهُمۡ إِذِ ٱلۡتَقَيۡتُمۡ فِيٓ أَعۡيُنِكُمۡ قَلِيلٗا وَيُقَلِّلُكُمۡ فِيٓ أَعۡيُنِهِمۡ لِيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗاۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٤٥﴾

٤١ ـ ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم﴾: أخذتم من الكفار قهراً ﴿مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ يأمر فيه بما شاء ﴿وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾: قرابةِ النبي ﷺ من بني هاشم وبني المطلب ﴿وَٱلۡيَتَٰمَىٰ﴾: أطفال المسلمين الذين هلك آباؤهم وهم فقراء ﴿وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾: ذوي الحاجة من المسلمين ﴿وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: المنقطع في سفره من المسلمين، أي: يستحقه النبيُّ ﷺ والأصنافُ الأربعة على ما كان يقسمه من أن لكلٍّ خُمُسَ الخُمُس، والأخماس الأربعة الباقية للغانمين ﴿إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ﴾ فاعلموا ذلك ﴿وَمَآ﴾، عطف على (بالله) ﴿أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا﴾ محمد ﷺ من الملائكة والآيات ﴿يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ﴾ أي: يوم بدر الفارق بين الحق والباطل ﴿يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ﴾: المسلمون والكفار ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ ومنه نصركم مع قلتكم وكثرتهم.

٤٢ ـ ﴿إِذۡ﴾، بدل من (يوم) ﴿أَنتُم﴾ كائنون ﴿بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلدُّنۡيَا﴾: القربى من المدينة، وهي بضم العين: جانبُ الوادي ﴿وَهُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلۡقُصۡوَىٰ﴾: البعدى منها ﴿وَٱلرَّكۡبُ﴾: العِير كائنون بمكان ﴿أَسۡفَلَ مِنكُمۡۚ﴾ مما يلي البحر ﴿وَلَوۡ تَوَاعَدتُّمۡ﴾ أنتم والنفير للقتال ﴿لَٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡمِيعَٰدِ وَلَٰكِن﴾ جمعكم بغير ميعاد ﴿لِّيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗا﴾ في علمه، وهو نصر الإسلام ومَحْقُ الكفر، فَعَلَ ذلك ﴿لِّيَهۡلِكَ﴾: يكفر ﴿مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ﴾ أي: بعد حُجة ظاهرة قامت عليه، وهي نصر المؤمنين مع قلتهم على الجيش الكثير ﴿وَيَحۡيَىٰ﴾: يؤمن ﴿مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

٤٣ ـ اذكر ﴿إِذۡ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ﴾ أي: نومك ﴿قَلِيلٗاۖ﴾ فأخبرت به أصحابك فَسُرُّوا ﴿وَلَوۡ أَرَىٰكَهُمۡ كَثِيرٗا لَّفَشِلۡتُمۡ﴾: جبُنتم ﴿وَلَتَنَٰزَعۡتُمۡ﴾: اختلفتم ﴿فِي ٱلۡأَمۡرِ﴾: أمر القتال ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَۚ﴾كم من الفشل والتنازع ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: بما في القلوب.

٤٤ ـ ﴿وَإِذۡ يُرِيكُمُوهُمۡ﴾ أيها المؤمنون ﴿إِذِ ٱلۡتَقَيۡتُمۡ فِيٓ أَعۡيُنِكُمۡ قَلِيلٗا﴾ نحو سبعين، أو مئة، وهم ألف، لِتُقدِموا عليهم ﴿وَيُقَلِّلُكُمۡ فِيٓ أَعۡيُنِهِمۡ﴾ لِيُقدِموا ولا يرجعوا عن قتالكم. وهذا قبل التحام الحرب، فلما التحم، أراهم إياهم مثليهم كما في آل عمران ﴿لِيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗاۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ﴾: تصير ﴿ٱلۡأُمُورُ﴾.

٤٥ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ﴾: جماعة كافرة ﴿فَٱثۡبُتُواْ﴾ لقتالهم ولا تنهزموا ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾: ادعوه بالنصر ﴿لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾: تفوزون.

وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرٗا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴿٤٧﴾ وَإِذۡ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٞ لَّكُمۡۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلۡفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكُمۡ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمۡۗ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٤٩﴾ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿٥١﴾ كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيّٞ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٥٢﴾

٤٦ ـ ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ﴾: تختلفوا فيما بينكم ﴿فَتَفۡشَلُواْ﴾: تجبنوا ﴿وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾: قوتكم ودولتكم ﴿وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ بالنصر والعون.

٤٧ ـ ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم﴾ ليمنعوا عيرهم ولم يرجعوا بعد نجاتها ﴿بَطَرٗا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ حيث قالوا: لا نرجع حتىٰ نشرب الخمور، وننحر الجزور، وتضرب علينا القيان ببدر، فيتسامع بذلك الناس ﴿وَيَصُدُّونَ﴾ الناس ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ﴾ علماً فيجازيهم به.

٤٨ ـ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذۡ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾: إبليس ﴿أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ بأن شجعهم علىٰ لقاء المسلمين لما خافوا الخروج من أعدائهم بني بكر ﴿وَقَالَ﴾ لهم: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٞ لَّكُمۡۖ﴾ من كنانة، وكان أتاهم في صورة سراقة بن مالك سيد تلك الناحية ﴿فَلَمَّا تَرَآءَتِ﴾: التقت ﴿ٱلۡفِئَتَانِ﴾: المسلمة والكافرة، ورأىٰ الملائكة وكانت يده في يد الحارث بن هشام ﴿نَكَصَ﴾: رجع ﴿عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ﴾ هارباً ﴿وَقَالَ﴾ لما قالوا له: أتخذلنا علىٰ هذا الحال: ﴿إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكُمۡ﴾: من جواركم ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ﴾ من الملائكة ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ﴾ أن يُهلكني ﴿وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾.

٤٩ ـ ﴿إِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: ضعف اعتقاد: ﴿غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي: المسلمين ﴿دِينُهُمۡۗ﴾ إذ خرجوا مع قِلّتهم يقاتلون الجمع الكثير توهّماً أنهم يُنصرون بسببه، قال تعالىٰ في جوابهم: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ﴾: يثق به، يَغلِب ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾: غالب علىٰ أمره ﴿حَكِيمٞ﴾ في صنعه.

٥٠ ـ ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ﴾ يا محمد ﴿إِذۡ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ﴾، حال ﴿وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ﴾ بمقامع من حديد ﴿وَ﴾ يقولون لهم: ﴿ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾ أي: النار، وجواب (لو): لرأيت أمراً عظيماً.

٥١ ـ ﴿ذَٰلِكَ﴾ التعذيب ﴿بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ عبر بها دون غيرها لأن أكثر الأفعال تُزاول بها ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ﴾ أي: بذي ظلم ﴿لِّلۡعَبِيدِ﴾ فيعذبهم بغير ذنب.

٥٢ ـ دَأْبُ هؤلاء ﴿كَدَأۡبِ﴾: كعادة ﴿ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ﴾ بالعقاب ﴿بِذُنُوبِهِمۡۗ﴾. وقوله سبحانه: (كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۚ) مفسر لما قبله، وهو الدأب والعادة، أي: عادة الأمم الماضية المكذبة أنهم يكفرون بآيات ربهم فيأخذهم الله بذنوبهم. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيّٞ﴾ علىٰ ما يريده ﴿شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾.

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَـٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ۞ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾

ربع الحزب ١٩

٥٣ ـ ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: تعذيب الكفرة ﴿بِأَنَّ﴾ أي: بسبب أن ﴿ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ﴾: مُبَدِّلاً لها بالنقمة ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾: يبدلوا نعمتهم كفراً كتبديل كفار مكة إطعامَهُم من جوع، وأَمْنَهم من خوف، وبَعْثَ النبي ﷺ إليهم، بالكفر والصَّدِّ عن سبيل الله وقتال المؤمنين ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

٥٤ ـ ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾: قومه معه ﴿وَكُلٌّ﴾ من الأمم المكذبة ﴿كَانُوا۟ ظَـٰلِمِينَ﴾.

٥٥ ـ ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

٥٦ ـ ﴿ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتَّ مِنْهُمْ﴾ أن لا يعينوا المشركين ﴿ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ﴾ عاهدوا فيها ﴿وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ الله في غدرهم.

٥٧ ـ ﴿فَإِمَّا﴾، فيه إدغام نون (إن) الشرطية في (ما) المزيدة ﴿تَثْقَفَنَّهُمْ﴾: تجدنَّهم ﴿فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ﴾: فرِّق ﴿بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾ من المحاربين بالتنكيل بهم والعقوبة ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ أي: الذين خلفهم ﴿يَذَّكَّرُونَ﴾: يتعظون بهم.

٥٨ ـ ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ﴾ عاهدوك ﴿خِيَانَةً﴾ في عهد بأمارة تلوح لك ﴿فَٱنۢبِذْ﴾: اطرح عهدهم ﴿إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾، حال، أي: مستوياً أنت وهم في العلم بنقض العهد، بأن تُعلِمهم به لئلا يتهموك بالغدر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾.

٥٩ ـ ونزل فيمن أفلت يوم بدر: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟﴾ الله، أي: فاتوه ﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾: لا يفوتونه.

٦٠ ـ ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم﴾: لقتالهم ﴿مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ قال ﷺ: «هي الرمي» رواه مسلم (١٩١٧) ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾، مصدر بمعنىً حبسها في سبيل الله ﴿تُرْهِبُونَ﴾: تُخوِّفون ﴿بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ أي: كفار مكة ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ﴾ أي: غيرهم، وهم المنافقون أو اليهود ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ جزاؤه ﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾: تنقصون منه شيئاً.

٦١ ـ ﴿وَإِن جَنَحُوا۟﴾: مالوا ﴿لِلسَّلْمِ﴾، الصلح ﴿فَٱجْنَحْ لَهَا﴾ وعاهِدْهُم، قال ابن عباس: هذا منسوخٌ بآية السيف، ومجاهد: مخصوص بأهل الكتاب، إذ نزلت في بني قريظة ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾: ثق به ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ للقول ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بالفعل.

وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمۡ أَلۡفٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفَيۡنِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٦٧﴾ لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٦٨﴾ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمۡتُمۡ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٦٩﴾

٦٢ ـ ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ﴾ بالصلح ليستعدوا لك ﴿فَإِنَّ حَسۡبَكَ﴾: كافيك ﴿ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

٦٣ ـ ﴿وَأَلَّفَ﴾: جمع ﴿بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ﴾ بعد الإحَن ﴿لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ﴾ بقدرته ﴿إِنَّهُۥ عَزِيزٌ﴾: غالب على أمره ﴿حَكِيمٞ﴾ لا يخرج شيء عن حكمته.

٦٤ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَ﴾ حسبك ﴿مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ هذا القول في تفسير الآية الذي ذهب إليه الجلال ذهب إليه عدد من العلماء وهناك قول آخر قال به عدد من العلماء وهو: حسبك الله أي: الله وحده كافيك وكافي أتباعك من المؤمنين، وقد تحمس له ابن القيم في أول «زاد المعاد» وذهب إلىٰ بطلان القول الأول. والله أعلم.

٦٥ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ﴾: حُثَّ ﴿ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ﴾ للكفار ﴿إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ﴾ منهم ﴿وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ﴾ أي: بسبب أنهم ﴿قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ﴾ وهذا خبر بمعنىٰ الأمر، أي: ليقاتل العشرون منكم المئتين، والمئةُ الألفَ ويثبُتوا لهم. ثم نُسخ لمَّا كثُروا بقوله:

٦٦ ـ ﴿ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ﴾ عن قتال عشرة أمثالكم ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ﴾ منهم ﴿وَإِن يَكُن مِّنكُمۡ أَلۡفٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفَيۡنِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ﴾: بإرادته، وهو خبر بمعنىٰ الأمر، أي: لتقاتلوا مِثلَيْكم، وتثبُتوا لهم ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ بعونه.

٦٧ ـ ونزل لما أخذوا الفداء من أسرىٰ بدر: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾: يبالغ في قتل الكفار ﴿تُرِيدُونَ﴾ أيها المؤمنون ﴿عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا﴾: حُطامها بأخذ الفداء ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ﴾ لكم ﴿ٱلۡأٓخِرَةَۗ﴾ أي: ثوابها بقتلهم ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ وهذا منسوخ بقوله: (فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً).

٦٨ ـ ﴿لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾ بإحلال الغنائم والأسرىٰ لكم ﴿لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ﴾ من الفداء ﴿عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾.

٦٩ ـ ﴿فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمۡتُمۡ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧٠﴾ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدۡ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ فَأَمۡكَنَ مِنۡهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَـٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٧٤﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴿٧٥﴾

٧٠ ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا﴾: إيماناً وإخلاصاً ﴿يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ﴾ من الفداء بأن يُضعِّفه لكم في الدنيا ويثيبكم في الآخرة.

﴿وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ﴾ ذنوبكم ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾.

٧١ ـ ﴿وَإِن يُرِيدُواْ﴾ أي: الأسرىٰ ﴿خِيَانَتَكَ﴾ بما أظهروا من القول ﴿فَقَدۡ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ﴾: قبل بدر بالكفر.

﴿فَأَمۡكَنَ مِنۡهُمۡۗ﴾ ببدر قتلاً وأسراً، فليتوقعوا مثل ذلك إن عادوا ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه.

٧٢ ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وهم المهاجرون.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ﴾ النبيَّ ﷺ ﴿وَّنَصَرُوٓاْ﴾ وهم الأنصار ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ﴾ في النصرة والإرث.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ﴾ فلا إرث بينكم وبينهم ولا نصيب لهم في الغنيمة ﴿حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ﴾، وهذا منسوخ بآخر السورة ﴿وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ﴾ لهم على الكفار ﴿إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ﴾: عهد فلا تنصروهم عليهم وتنقضوا عهدهم ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾.

٧٣ ـ ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ﴾ في النصرة والإرث فلا إرث بينكم وبينهم.

﴿إِلَّا تَفۡعَلُوهُ﴾ أي: تولِّي المسلمين وقمع الكفار ﴿تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ﴾ بقوة الكفر وضعف الإسلام.

٧٤ ـ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾ في الجنة.

٧٥ ـ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ﴾ أي: بعد السابقين إلىٰ الإيمان والهجرة ﴿وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ﴾ أيها المهاجرون والأنصار.

﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ﴾: ذوو القرابات ﴿بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ﴾ في الإرث من التوارث بالإيمان والهجرة المذكور في الآية السابقة ﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ﴾: اللوح المحفوظ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ﴾ ومنه حكمة الميراث.

سُورَةُ التَّوْبَةِ — ترتيبها ٩ — آياتها ١٢٩

بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾

سُورَةُ التَّوْبَةِ

مدنية أو إلا الآيتين آخرها، مئة وثلاثون، أو إلا آية

ولم تُكتب فيها البسملة لأنه ﷺ لم يؤمر بذلك كما يؤخذ من حديث رواه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٣٠)، وأخرج في معناه عن عليٍّ أن البسملة أمان، وهي نزلت لرفع الأمن بالسيف، وعن حُذيفة: إنكم تسمونها سورة التوبة، وهي سورة العذاب. «المستدرك» (٢/ ٣٣٠)، وروىٰ البخاري (٤٦٥٤) عن البراء أنها آخر سورة نزلت.

١ ـ هذه ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ واصلةٌ ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ عهداً مطلقاً، أو دون أربعة أشهر، أو فوقها.

٢ ـ ونقض العهد بما يذكر في قوله: ﴿فَسِيحُوا۟﴾: سيروا آمنين أيها المشركون ﴿فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ أولها شوال بدليل ما سيأتي، ولا أمان لكم بعدها ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ﴾ أي: فائتي عذابه ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: مذلهم في الدنيا بالقتل، والأخرىٰ بالنار.

٣ ـ ﴿وَأَذَٰنٌ﴾: إعلام ﴿مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ﴾: يوم النحر ﴿أَنَّ﴾ أي: بأن ﴿ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ وعهودهم ﴿وَرَسُولُهُۥ﴾ بريءٌ أيضاً، وقد بعث النبي ﷺ علياً من السنة، وهي سَنة تسع، فأذَّن يوم النحر بمنىً بهذه الآيات، وأن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عُريان، رواه البخاري (٤٦٥٥). ﴿فَإِن تُبْتُمْ﴾ من الكفر ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن الإيمان ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ﴾: أخبر ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: مؤلم، وهو القتل والأسر في الدنيا، والنار في الآخرة.

٤ ـ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا﴾ من شروط العهد ﴿وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟﴾: يعاونوا ﴿عَلَيْكُمْ أَحَدًا﴾ من الكفار ﴿فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ﴾ انقضاء ﴿مُدَّتِهِمْ﴾ التي عاهدتم عليها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ بإتمام العهود.

٥ ـ ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ﴾: خرج ﴿ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ﴾ وهي آخر مدة التأجيل ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ في حِلٍّ أو حَرَم ﴿وَخُذُوهُمْ﴾ بالأسر ﴿وَٱحْصُرُوهُمْ﴾ في القلاع والحصون حتىٰ يضطروا إلىٰ القتل أو الإسلام ﴿وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾: طريق يسلُكونه، ونصب (كل) علىٰ نزع الخافض والتقدير: واقعدوا لهم في كل مرصد، أو علىٰ كل مرصد ﴿فَإِن تَابُوا۟﴾ من الكفر ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾ ولا تتعرضوا لهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لمن تاب.

٦ ـ ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾، مرفوع بفعل يفسره: ﴿ٱسْتَجَارَكَ﴾: استأمنك من القتل ﴿فَأَجِرْهُ﴾: أَمِّنْهُ ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾: القرآن ﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ أي: موضع أمنه، وهو دار قومه إن لم يؤمن، لينظر في أمره ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ دين الله، فلا بد لهم من سماع القرآن ليعلموا.

كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨﴾ ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾

٧ ـ ﴿كَيْفَ﴾ أي: لا ﴿يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ﴾ وهم كافرون بهما غادرون.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ يوم الحديبية، وهم قريش المستثنَوْنَ من قبل.

﴿فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ﴾: أقاموا علىٰ العهد ولم ينقضوه ﴿فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ﴾ علىٰ الوفاء به، و(ما) شرطية.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ وقد استقام ﷺ علىٰ عهدهم حتىٰ نقضوا بإعانة بني بكر علىٰ خزاعة.

٨ ـ ﴿كَيْفَ﴾ يكون لهم عهد ﴿وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ﴾: يظفروا بكم ﴿لَا يَرْقُبُوا۟﴾: يُراعوا ﴿فِيكُمْ إِلًّا﴾: قرابة ﴿وَلَا ذِمَّةً﴾: عهداً، بل يؤذوكم ما استطاعوا، وجملة الشرط حال.

﴿يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ بكلامهم الحسن ﴿وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ﴾ الوفاء به ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ﴾: ناقضون للعهد.

٩ ـ ﴿ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: القرآن ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ من الدنيا، أي: تركوا اتباعها للشهوات والهوىٰ.

﴿فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ﴾: دينه ﴿إِنَّهُمْ سَآءَ﴾: بئس ﴿مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ه عملهم هذا.

١٠ ـ ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ﴾.

١١ ـ ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾ أي: فهم إخوانكم ﴿فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ﴾: نبين ﴿ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يتدبرون.

١٢ ـ ﴿وَإِن نَّكَثُوٓا۟﴾: نقضوا ﴿أَيْمَٰنَهُم﴾: مواثيقهم ﴿مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾: عابوه ﴿فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ﴾: رؤساءه، فيه وضع الظاهر موضع المضمر.

﴿إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ﴾: عهود ﴿لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾ عن الكفر.

١٣ ـ ﴿أَلَا﴾، للتحضيض ﴿تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟﴾: نقضوا ﴿أَيْمَٰنَهُمْ﴾: عهودهم.

﴿وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ﴾ من مكة لمّا تشاوروا فيه بدار الندوة.

﴿وَهُم بَدَءُوكُمْ﴾ بالقتال ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ حيث قاتلوا خزاعة حلفاءكم مع بني بكر.

فما يمنعكم أن تقاتلوهم ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ﴾: أتخافونهم.

﴿فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ﴾ في ترك قتالهم ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ ۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾

ثلاثة أرباع الحزب ١٩

١٤ ـ ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ﴾: يقتلهم ﴿بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ﴾: يُذلهم بالأسر والقهر.

﴿وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ بما فُعِلَ بهم، هم بنو خُزاعة.

١٥ ـ ﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾: كَرْبَها.

﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ بالرجوع إلىٰ الإسلام كأبي سفيان ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

١٦ ـ ﴿أَمْ﴾، بمعنىٰ همزة الإنكار ﴿حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا﴾: لم ﴿يَعْلَمِ ٱللَّهُ﴾ علم ظهور ﴿ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ﴾ بإخلاص ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾ بطانة وأولياء، المعنىٰ: ولم يظهر المخلصون ـ وهم الموصوفون بما ذُكر ـ من غيرهم ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

١٧ ـ ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ بدخولها والقعود فيها.

﴿شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ﴾: بطلت ﴿أَعْمَٰلُهُمْ﴾ التي عملوها من أعمال البر وافتخروا بها مثل العمارة والسقاية لأنها مع كفر أصحابها ستجعل يوم القيامة هباءً منثوراً. ﴿وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾.

١٨ ـ ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ﴾ أحداً ﴿إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾.

١٩ ـ ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ أي: أجعلتم أهل سقاية الحاج وأهل عمارة المسجد الحرام ﴿كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ﴾ في الفضل.

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الكافرين.

نزلت ردّاً علىٰ من قال ذلك كما جاء في حديث النعمان بن بشير الذي أخرجه مسلم (١٨٧٩).

٢٠ ـ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً﴾: رُتبة ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ من غيرهم.

﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾: الظافرون بالخير.

يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾

٢١ ـ ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾: دائم.

٢٢ ـ ﴿خَٰلِدِينَ﴾ حال مقدرة ﴿فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

٢٣ ـ ونزل فيمن ترك الهجرة لأجل أهله وتجارته: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟﴾: اختاروا ﴿ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

٢٤ ـ ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ﴾: أقرباؤكم.

﴿وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا﴾: اكتسبتموها.

﴿وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا﴾: عدم نفاقها.

﴿وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ﴾ فقعدتم لأجله عن الهجرة والجهاد.

﴿فَتَرَبَّصُوا۟﴾: انتظروا ﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾، تهديد لهم ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾.

٢٥ ـ ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ﴾ للحرب ﴿كَثِيرَةٍ﴾ كبدر وقريظة والنضير.

﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ حُنَيْنٍ﴾: وادٍ بين مكة والطائف، أي: يوم قتالكم فيه هوازن، وذلك في شوال سنة ثمان ﴿إِذْ﴾، بدل من (يوم) ﴿أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ فقلتم: لن نُغلبَ اليوم من قلّة، وكانوا اثني عشر ألفاً، والكفارُ أربعةَ آلاف.

﴿فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ (ما) مصدرية، أي: مع رُحْبها، أي: سَعَتها، فلم تجدوا مكاناً تطمئنون إليه لشدة ما لحقكم من الخوف.

﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾: منهزمين، وثبت النبي ﷺ على بغلته البيضاء وليس معه غير العباس، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب آخذ بركابه، كما جاء في «صحيح البخاري» (٢٨٦٤) وفي «صحيح مسلم» (١٧٧٦).

٢٦ ـ ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ﴾: طُمأنينته ﴿عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فرُدُّوا إلى النبي ﷺ لما ناداهم العباس بإذنه وقاتلوا ﴿وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾: ملائكة ﴿وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بالقتل والأسر ﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٢٨﴾ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٣١﴾

٢٧ ـ ﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ﴾ منهم بالإسلام ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾.

٢٨ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ﴾: قَذَرٌ، لخُبْث باطنهم.

﴿فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ﴾ أي: لا يدخلوا الحَرم ﴿بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ﴾: عامَ تِسعٍ من الهجرة.

﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ﴾: فقراً بانقطاع تجارتهم عنكم.

﴿فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ﴾ وقد أغناهم بالفتوح والجزية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾.

٢٩ ـ ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ ذلك لأن اليهود والنصارىٰ ليسوا مؤمنين، وإن كانوا يزعمون أنهم يؤمنون بالله واليوم الآخر، لكنَّ زعمهم باطل؛ لأنهم يشركون مع الله غيره، ولا يؤمنون بنبوة محمد ﷺ.

﴿وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ كالخمر.

﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ﴾: الثابت الناسخ لغيره من الأديان، وهو دين الإسلام ﴿مِنَ﴾ بيان لـ(الذين) ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ أي: اليهود والنصارىٰ.

﴿حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ﴾: الخراج المضروب عليهم كل عام ﴿عَن يَدٖ﴾، حال، أي: منقادين، أو بأيديهم لا يُوَكِّلون بها ﴿وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾: أذلاء منقادون لحكم الإسلام.

٣٠ ـ ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ﴾ عيسىٰ ﴿ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ﴾ لا مستند لهم عليه، بل ﴿يُضَٰهِـُٔونَ﴾: يشابهون به ﴿قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ﴾ من آبائهم تقليداً لهم.

﴿قَٰتَلَهُمُ﴾: لعنهم ﴿ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ﴾: كيف ﴿يُؤۡفَكُونَ﴾: يُصرفون عن الحق مع قيام الدليل.

٣١ ـ ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ﴾: علماء اليهود.

﴿وَرُهۡبَٰنَهُمۡ﴾: عبّاد النصارىٰ ﴿أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ حيث اتبعوهم في تحليل ما حُرم وتحريم ما أُحل.

﴿وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ﴾ في التوراة والإنجيل ﴿إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ﴾ أي: بأن يعبدوا ﴿إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ﴾: تنزيهاً له ﴿عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾.

يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾

٣٢ ـ ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ﴾: شرعه وبراهينه ﴿بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾: بأقوالهم فيه.

﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ﴾: يظهر ﴿نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ ذلك.

٣٣ ـ ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ﴾ محمداً ﷺ ﴿بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ﴾: يُعليه ﴿عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾: جميع الأديان المخالفة له ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ ذلك.

٣٤ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ﴾: يأخذون ﴿أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ كالرُّشا في الحكم.

﴿وَيَصُدُّونَ﴾ الناسَ ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: دِينه.

﴿وَٱلَّذِينَ﴾، مبتدأ ﴿يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا﴾ أي: الكنوز ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: لا يُؤدُّون منها حقَّه من الزكاة.

والخبر: ﴿فَبَشِّرْهُم﴾: أخبرهم ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: مؤلم.

٣٥ ـ ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ﴾: تُحرق ﴿بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾ وتُوسَّعُ جلودُهم حتّىٰ يوضع كلّ دينار ودرهم في موضع علىٰ حدته.

فلا يوضع دينار علىٰ دينار، ولا درهم علىٰ درهم، بعد جعلها صفائح من نار.

ويقال لهم: ﴿هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ أي: جزاءه.

٣٦ ـ ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ﴾ المعتدّ بها للسنة ﴿عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾: اللوح المحفوظ.

﴿يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ﴾ أي: الشهور ﴿أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾: محرمة: ذو القَعدة، وذو الحجة، والمُحرَّم، ورجب.

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: تحريمها ﴿ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾: المستقيم.

﴿فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ﴾ أي: الأشهر الحرم ﴿أَنفُسَكُمْ﴾ بالمعاصي، فإنها فيها أعظم وزراً، وقيل: في الأشهر كلها.

﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾: جميعاً، في كل الشهور ﴿كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ بالعون والنصر.

إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾

٣٧ ـ ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ﴾ أي: التأخير لحرمة شهر إلىٰ آخر، كما كانت الجاهلية تفعله من تأخير حرمة المحرم ـ إذا هلَّ وهُم في القتال ـ إلىٰ صفر ﴿زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ لكفرهم بحكم الله فيه ﴿يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ﴾ أي: النسيءُ ﴿عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟﴾: يوافقوا بتحليل شهر وتحريم آخر بدله ﴿عِدَّةَ﴾: عدد ﴿مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ من الأشهر، فلا يزيدون علىٰ تحريم أربعة ولا يَنْقُصون، ولا ينظرون إلىٰ أعيانها ﴿فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ﴾ فظنوه حسناً ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

٣٨ ـ ونزل لما دعا ﷺ الناسَ إلىٰ غزوة تبوك وكانوا في عُسرة وشدة حرٍّ فشقَّ عليهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ﴾، بإدغام التاء في الأصل في المثلثة واجتلاب همزة الوصل، أي: تباطأتم وملتم عن الجهاد ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ والقعود فيها؟ والاستفهام للتوبيخ ﴿أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ ولذَّاتها ﴿مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي: بدل نعيمها ﴿فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى﴾ جنب متاع ﴿ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾: حقير.

٣٩ ـ ﴿إِلَّا﴾ بإدغام (لا) في نون (إنْ) الشرطية في الموضعين ﴿تَنفِرُوا۟﴾: تخرجوا مع النبي ﷺ للجهاد ﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾: مؤلماً ﴿وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ أي: يأت بهم بدلكم ﴿وَلَا تَضُرُّوهُ﴾ أي: الله، أو النبي ﷺ ﴿شَيْـًٔا﴾ بترك نصره فإن الله ناصر دينه ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه نصر دينه ونبيه.

٤٠ ـ ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ﴾ أي: النبيَّ ﷺ ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ﴾: حين ﴿أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ من مكة، أي: ألجؤوه إلىٰ الخروج لما أرادوا قتله، أو حَبْسَه، أو نفيه بدار الندوة ﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ﴾، حال، أي: أحدَ اثنين، والآخر أبو بكر، المعنىٰ: نصره الله في مثل تلك الحالة، فلا يخذُله في غيرها. ﴿إِذْ﴾، بدل من (إذ) قبله ﴿هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾: نَقْبٍ في جبل ثَوْر ﴿إِذْ﴾، بدل ثان ﴿يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ﴾ أبي بكر وقد قال له لما رأىٰ أقدام المشركين: لو نظر أحدهم تحت قدميه لأبصرنا: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ بنصره ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ﴾: طمأنينته ﴿عَلَيْهِ﴾ قيل: علىٰ النبيِّ ﷺ، وقيل: علىٰ أبي بكر ﴿وَأَيَّدَهُۥ﴾ أي: النبيَّ ﷺ ﴿بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ ملائكةٍ في الغار ومواطن قتاله ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: دعوة الشرك ﴿ٱلسُّفْلَىٰ﴾: المغلوبة ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ﴾ أي: كلمة الشهادة ﴿هِىَ ٱلْعُلْيَا﴾: الظاهرة الغالبة ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ في ملكه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه.

﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾ عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ۞ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾

ربع الحزب ٢٠

٤١ ـ ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾: نشاطاً وغير نشاط، وقيل: أقوياء وضعفاء، أو أغنياء وفقراء، وهي منسوخة بآية: (لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ).

﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه خير لكم فلا تثاقلوا.

٤٢ ـ ونزل في المنافقين الذين تخلفوا: ﴿لَوْ كَانَ﴾ ما دعوتهم إليه ﴿عَرَضًا﴾: متاعاً من الدنيا ﴿قَرِيبًا﴾: سهل المأخذ ﴿وَسَفَرًا قَاصِدًا﴾: وسطاً ﴿لَّاتَّبَعُوكَ﴾ طلباً للغنيمة.

﴿وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ﴾: المسافة فتخلّفوا.

﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ﴾ إذا رجعتم إليهم ﴿لَوِ اسْتَطَعْنَا﴾ الخروج ﴿لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ بالحلف الكاذب ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ في قولهم ذلك.

٤٣ ـ وكان ﷺ أذن لجماعة في التخلف باجتهاد منه، فنزل عتاباً له، وقدّم العفوَ تطميناً لقلبه:

﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ في التخلف، وهلّا تركتهم ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ في العذر ﴿وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾ فيه.

٤٤ ـ ﴿لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ في التخلف عن ﴿أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾.

٤٥ ـ ﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ﴾ في التخلف ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ﴾: شكّت ﴿قُلُوبُهُمْ﴾ في الدين ﴿فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾: يتحيّرون.

٤٦ ـ ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ﴾ معك ﴿لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾: أُهبةً من الآلة والزاد.

﴿وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ﴾ أي: لم يُرد خروجهم ﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾: كَسّلهم.

﴿وَقِيلَ﴾ لهم: ﴿اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾: المرضىٰ والنساء والصبيان، أي: قَدَّر الله تعالىٰ ذلك.

٤٧ ـ ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾: فساداً بتخذيل المؤمنين.

﴿وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ﴾ أي: أسرعوا بينكم بالمشي بالنميمة.

﴿يَبْغُونَكُمُ﴾: يطلبون لكم ﴿الْفِتْنَةَ﴾ بإلقاء العداوة ﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ ما يقولون، سماع قبول ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾.

لَقَدِ ٱبْتَغَوُا ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾

٤٨ ـ ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُا﴾ لك ﴿ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ﴾ أول ما قدمت المدينة.

﴿وَقَلَّبُوا لَكَ ٱلْأُمُورَ﴾ أي: أجالوا الفكر في كيدك وإبطال دينك ﴿حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾: النصر ﴿وَظَهَرَ﴾: عزَّ ﴿أَمْرُ ٱللَّهِ﴾: دينُهُ ﴿وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ له، فدخلوا فيه ظاهراً.

٤٩ ـ ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي﴾ في التخلف ﴿وَلَا تَفْتِنِّيٓ﴾ وهو الجَدُّ بن قيس، قال له النبي ﷺ:

«هل لك في جِلادِ بني الأصفر»؟

فقال: إني مغرم بالنساء وأخشىٰ إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر عنهن فأفتتن.

قال تعالىٰ: ﴿أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ بالتخلُّف، ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ لا محيص لهم عنها.

٥٠ ـ ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ﴾ كنصر وغنيمة ﴿تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ﴾: شدة.

﴿يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا﴾ بالحزم حين تخلفنا ﴿مِن قَبْلُ﴾: قبل هذه المصيبة ﴿وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ﴾ بما أصابك.

٥١ ـ ﴿قُل﴾ لهم: ﴿لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ إصابته.

﴿هُوَ مَوْلَىٰنَا﴾: ناصرُنا ومتولِّي أمورنا ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾.

٥٢ ـ ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ﴾، فيه حذف إحدىٰ التاءين من الأصل، أي: تنتظرون أن يقع ﴿بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى﴾ العاقبتين ﴿ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾، تثنية حسنىٰ، وهي تأنيث أحسن: النصر أو الشهادة.

﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ﴾: ننتظر ﴿بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ﴾: بقارعة من السماء.

﴿أَوْ بِأَيْدِينَا﴾ بأن يؤذن لنا في قتالكم ﴿فَتَرَبَّصُوٓا﴾ بنا ذلك ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾ عاقبتكم.

٥٣ ـ ﴿قُلْ أَنفِقُوا﴾ في طاعة الله ﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ﴾ ما أنفقتموه ﴿إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾، والأمر هنا بمعنىٰ الخبر.

٥٤ ـ ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ﴾، فاعل، و(أن تقبل) مفعول ﴿كَفَرُوا بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ﴾: مُتثاقلون.

﴿وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ النفقة، لأنهم يَعدُّونها مَغرماً.

﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾﴾

نصف الحزب

٥٥ - ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ﴾ أي: لا تَستحسن نعمنا عليهم، فهي استدراج ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم﴾ أي: أن يعذبهم ﴿بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ بما يَلقون في جمعها من المشقة وفيها من المصائب ﴿وَتَزْهَقَ﴾: تخرج ﴿أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ فيعذبهم في الآخرة أشدَّ العذاب.

٥٦ - ﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ﴾ أي: مؤمنون ﴿وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾: يخافون أن تفعلوا بهم كالمشركين، فيحلفون تَقِيَّة. ٥٧ - ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا﴾ يلجؤون إليه ﴿أَوْ مَغَٰرَٰتٍ﴾: سَراديبَ ﴿أَوْ مُدَّخَلًا﴾: موضعاً يدخلونه ﴿لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾: يسرعون في دخوله والانصراف عنكم إسراعاً لا يردُّه شيء، كالفرس الجموح. ٥٨ - ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ﴾: يَعيبُك ﴿فِى﴾ قَسم ﴿ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾. ٥٩ - ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ من الغنائم ونحوها ﴿وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا﴾: كافينا ﴿ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ﴾ من غنيمة أخرىٰ ما يكفينا ﴿إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾ أن يغنينا، وجواب لو: لكان خيراً لهم. ٦٠ - ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ﴾: الزكوات مصروفة ﴿لِلْفُقَرَآءِ﴾: الذين لا يجدون ما يقع موقعاً من كفايتهم ﴿وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾: الذين لا يجدون ما يكفيهم ﴿وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا﴾ أي: الصدقات، من جابٍ وقاسم، وكاتب وحاشر ﴿وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ ليُسلموا، أو يَثْبُتَ إسلامُهم، أو يُسلم نظراؤهم، أو يَذُبُّوا عن المسلمين، أقسام، والأول والأخير لا يعطَيان اليومَ عند الشافعي رضي الله تعالىٰ عنه لعزّ الإسلام، بخلاف الآخرَيْن، فيعطَيان علىٰ الأصح ﴿وَفِى﴾ فكّ ﴿ٱلرِّقَابِ﴾ أي: المكاتبين ﴿وَٱلْغَٰرِمِينَ﴾: أهل الدَّين إن استدانوا لغير معصية، أو تابوا وليس لهم وفاء، أو لإصلاح ذات البيْن ولو أغنياء ﴿وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: القائمين بالجهاد ممن لا فَيْءَ لهم ولو أغنياء ﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: المنقطع في سفره ﴿فَرِيضَةً﴾، نصب بفعله المقدر ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه، فلا يجوز صرفها لغير هؤلاء، ولا منعُ صنف منهم إذا وُجد، فيقسمها الإمام عليهم علىٰ السواء، وله تفضيلُ بعض آحاد الصنف علىٰ بعض، وأفادت اللام وجوب استغراق أفراده، لكن لا يجب علىٰ صاحب المال إذا قَسم، لعُسره، بل يكفي إعطاء ثلاثة من كل صنف، ولا يكفي دونها كما أفادته صيغة الجمع، وبيَّنت السُّنة أن شرط المعطىٰ منها الإسلامُ، وأن لا يكون هاشمياً ولا مطّلبياً. ٦١ - ﴿وَمِنْهُمُ﴾ أي: المنافقين ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ﴾ بعيبه وبنقل حديثه ﴿وَيَقُولُونَ﴾ إذا نُهوا عن ذلك لئلا يبلغه: ﴿هُوَ أُذُنٌ﴾ أي: يسمع كل قيل ويقبله، فإذا حلفنا له أنّا لم نقل، صدَّقَنا ﴿قُلْ﴾: هو ﴿أُذُنُ﴾: مُستَمعُ ﴿خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ لا مستمعُ شر ﴿يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ﴾: يُصدّق ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ فيما أخبروه به لا لغيرهم، واللام زائدة للفرق بين إيمان التسليم وغيره ﴿وَرَحْمَةٌ﴾، بالرفع عطفاً علىٰ (أُذُن) ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِءُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾

٦٢ ـ ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ﴾ أيها المؤمنون فيما بلغكم عنهم، من أذى الرسول أنهم ما أتوه ﴿لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ بالطاعة ﴿إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ حقاً.

وتوحيد الضمير لتلازم الرضاءين، أو خبر (الله) أو (رسوله) محذوف.

٦٣ ـ ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ﴾ أي: الشأن ﴿مَن يُحَادِدِ﴾: يشاقق ﴿اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ جزاءً ﴿خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾.

٦٤ ـ ﴿يَحْذَرُ﴾: يخاف ﴿الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: المؤمنين ﴿سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من النفاق وهم مع ذلك يستهزئون.

﴿قُلِ اسْتَهْزِءُوا﴾ أمر تهديد ﴿إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ﴾: مظهر ﴿مَّا تَحْذَرُونَ﴾ إخراجَهُ من نفاقكم.

٦٥ ـ ﴿وَلَئِن﴾، لام قسم ﴿سَأَلْتَهُمْ﴾ عن استهزائهم بك والقرآن، وهم سائرون معك إلىٰ تبوك.

﴿لَيَقُولُنَّ﴾ معتذرين: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ في الحديث لنقطع به الطريق، ولم نقصد ذلك.

﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾.

٦٦ ـ ﴿لَا تَعْتَذِرُوا﴾ عنه ﴿قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ أي: ظهر كفركم بعد إظهار الإيمان.

﴿إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ﴾ بإخلاصها وتوبتها كمَخْشِيِّ بن حُمَيِّر ﴿نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾: مُصرِّين علىٰ النفاق والاستهزاء.

٦٧ ـ ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ﴾ أي: متشابهون في الدين كأبعاض الشيء الواحد.

﴿يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ﴾: الكفر والمعاصي.

﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾: الإيمان والطاعة.

﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ عن الإنفاق في الطاعة.

﴿نَسُوا اللَّهَ﴾: تركوا طاعته ﴿فَنَسِيَهُمْ﴾: تركهم من لطفه ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

٦٨ ـ ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ﴾ جزاءً وعقاباً.

﴿وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾: أبعدهم عن رحمته ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾: دائم.

كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾

٦٩ ـ أنتم أيها المنافقون ﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُواْ﴾: تمتعوا ﴿بِخَلَٰقِهِمْ﴾: نصيبهم من الدنيا.

﴿فَٱسْتَمْتَعْتُم﴾ أيها المنافقون ﴿بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ﴾ في الباطل والطعن في النبي ﷺ ﴿كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ﴾ أي: كخوضهم.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾.

٧٠ ـ ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ﴾: خبر ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ﴾: قوم هود.

﴿وَثَمُودَ﴾: قوم صالح.

﴿وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ﴾: قوم شعيب.

﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ﴾: قرى قوم لوط، أي: أهلها.

﴿أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: بالمعجزات، فكذبوهم فأُهلكوا.

﴿فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ بأن يعذبهم بغير ذنب.

﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بارتكاب الذنب.

٧١ ـ ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يُعجزه شيء عن إنجاز وعده ووعيده ﴿حَكِيمٌ﴾: لا يضع شيئاً إلا في محله.

٧٢ ـ ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾: إقامة ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾: أعظم من ذلك كله ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا ۚ وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ ۚ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ ۖ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ ۞ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٢٠

٧٣ ـ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ﴾ بالسيف ﴿وَالْمُنَافِقِينَ﴾ باللسان والحجة ﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ بالانتهار والمقت ﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾: المرجع هي.

٧٤ ـ ﴿يَحْلِفُونَ﴾ أي: المنافقون ﴿بِاللَّهِ مَا قَالُوا﴾ ما بلغك عنهم من السبّ ﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾: أظهروا الكفر بعد إظهار الإسلام ﴿وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾ من الفتك بالنبيّ ليلة العقبة عند عوده من تبوك، وهم بضعةَ عشرَ رجلاً، فضرب عمار بنُ ياسر وجوهَ الرواحل لما غشُوه فردُّوا ﴿وَمَا نَقَمُوا﴾: أنكروا ﴿إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ بالغنائم بعد شدة حاجتهم، المعنىٰ: لم ينلْهم منه إلا هذا، وليس مما يُنقم ﴿فَإِنْ يَتُوبُوا﴾ عن النفاق ويؤمنوا بك ﴿يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا﴾ عن الإيمان ﴿يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا﴾ بالقتل ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ بالنار ﴿وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ يحفظهم منه ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ يمنعهم. ٧٥ ـ ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ﴾، فيه إدغام التاء في الأصل في الصاد ﴿وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ومنهم، أي: ومن المنافقين نفر أعطوا الله عهودهم ومواثيقهم: لئن أغناهم من فضله ليصدقُنَّ وليكونُنَّ من الصالحين، فلما آتاهم من فضله بخلوا به وأعرضوا عن دين الله يصدون عنه، فما وفوا بما قالوا، ولا صدقوا فيما ادّعوا، فأعقبهم هذا الصنيع نفاقاً في قلوبهم إلىٰ يوم يلقون الله ﷻ يوم القيامة. كما قال تعالىٰ: ٧٦ ـ ﴿فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا﴾ عن طاعة الله ﴿وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾. ٧٧ ـ ﴿فَأَعْقَبَهُمْ﴾ أي: فصيَّر عاقبتهم ﴿نِفَاقًا﴾ ثابتاً ﴿فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾ أي: الله، وهو يوم القيامة ﴿بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ فيه. وهذه الآيات الكريمة تتحدث عن نموذج من الناس متكررّ في كل عصر، ونجده كثيراً في دنيانا اليوم، فعندما يكون الواحد منهم في العسر والضيق يعاهد الله أمام بعض عباد الله علىٰ أن يفعل كذا وكذا إن يسّر الله له ورزقه من فضله. فإذا ما يسّر الله له واستجاب له فرزقه من فضله نكث وانحرف عن الصراط المستقيم. إن هذا النموذج المتكرر اتصف بصفة المنافقين الذين إذا وعدوا أخلفوا وربما كان هذا سبباً ليتمكّن النفاق في قلوبهم. ٧٨ ـ ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا﴾ أي: المنافقون ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ﴾: ما أسرُّوه في أنفسهم ﴿وَنَجْوَاهُمْ﴾: ما تناجوا به بينهم ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾: ما غاب عن العِيان. ٧٩ ـ ولما نزلت آية الصدقة جاء رجل فتصدق بشيء كثير، فقال المنافقون: مُراءٍ، وجاء رجل فتصدق بصاع، فقالوا: إن الله غني عن صدقة هذا، فنزل: ﴿الَّذِينَ﴾، مبتدأ ﴿يَلْمِزُونَ﴾: يعيبون ﴿الْمُطَّوِّعِينَ﴾: المُتنفِّلين ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾: طاقتهم فيأتون به ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾، والخبر: ﴿سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾: جازاهم علىٰ سخريتهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾

٨٠ ـ ﴿ٱسْتَغْفِرْ﴾ يا محمد ﴿لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾، تخيير له في الاستغفار وتركه.

قال ﷺ: «إني خُيِّرت فاخترت» يعني الاستغفار، رواه البخاري (١٣٦٦).

﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ قيل: المراد بالسبعين المبالغة في كثرة الاستغفار.

وفي حديث البخاري المتقدم: «لو أعلم أني لو زدتُ على السبعين غَفَرَ، لزدتُ عليها» وقيل: المراد العدد المخصوص، لحديثه أيضاً: «وسأزيد على السبعين» فبين له حسم المغفرة بآية: (سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ).

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾.

٨١ ـ ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ﴾ عن تبوك ﴿بِمَقْعَدِهِمْ﴾ أي: بقعودهم ﴿خِلَٰفَ﴾ أي: بعد ﴿رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟﴾ أي: قال بعضهم لبعض: ﴿لَا تَنفِرُوا۟﴾: تخرجوا إلى الجهاد ﴿فِى ٱلْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾ من تبوك، فالأولى أن يتقوها بترك التخلف ﴿لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ﴾: يعلمون ذلك ما تخلفوا.

٨٢ ـ ﴿فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا﴾ في الدنيا ﴿وَلْيَبْكُوا۟﴾ في الآخرة ﴿كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾، خبرٌ عن حالهم بصيغة الأمر.

٨٣ ـ ﴿فَإِن رَّجَعَكَ﴾: ردَّك ﴿ٱللَّهُ﴾ من تبوك ﴿إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ﴾ ممن تخلّف بالمدينة من المنافقين ﴿فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ﴾ معك إلى غزوة أخرى.

﴿فَقُل﴾ لهم: ﴿لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ﴾: المُتخلّفين عن الغزو من النساء والصبيان وغيرهم.

٨٤ ـ ولما صلى النبي ﷺ على ابن أُبيٍّ نزل: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ لدفن أو زيارة ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾: كافرون.

٨٥ ـ ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ﴾: تخرج ﴿أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾.

٨٦ ـ ﴿وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ أي: طائفة من القرآن ﴿أَنْ﴾ أي: بأن ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ﴾: ذوو الغنى ﴿مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾.

رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ۞ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾

٨٧ ـ ﴿رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ﴾ جمع خالفة، أي: النساء اللاتي تخلَّفن في البيوت ﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ الخير.

٨٨ ـ ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ﴾ في الدنيا والآخرة ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ أي: الفائزون.

٨٩ ـ ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

٩٠ ـ ﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ﴾، بإدغام التاء في الأصل في الذال، أي: المعتذرون بمعنىٰ المعذورين، ﴿مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ إلىٰ النبي ﷺ ﴿لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾ في القعود لعذرهم، فأذن لهم.

﴿وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ في ادّعاء الإيمان من منافقي الأعراب عن المجيء للاعتذار ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

٩١ ـ ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ﴾ كالشيوخ.

﴿وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ﴾ كالعُمْي والزَّمْنَىٰ.

﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ﴾ في الجهاد ﴿حَرَجٌ﴾: إثم في التخلف عنه.

﴿إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ في حال قعودهم بعدم الإرجاف والتثبيط، والطاعة.

﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ بذلك ﴿مِن سَبِيلٍ﴾: طريق بالمؤاخذة.

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم في التوسعة في ذلك.

٩٢ ـ ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾ معك إلىٰ الغزو، وهم سبعة من الأنصار.

وقيل بنو مُقرِّن ﴿قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾، حال ﴿تَوَلَّوا۟﴾، جواب (إذا) أي: انصرفوا.

﴿وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ﴾: تسيل ﴿مِنَ﴾، للبيان ﴿ٱلدَّمْعِ حَزَنًا﴾ لأجل ﴿أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ﴾ في الجهاد.

٩٣ ـ ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ﴾ في التخلُّف.

﴿وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ تقدم مثله.

يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾

٩٤ - ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ﴾ في التخلف ﴿إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ من الغزو.

﴿قُل﴾ لهم: ﴿لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ﴾: نُصدِّقكم ﴿قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾ أي: أخبرنا بأحوالكم.

﴿وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ﴾ بالبعث ﴿إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ أي: الله.

﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم عليه.

٩٥ - ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ﴾: رجعتم ﴿إِلَيْهِمْ﴾ من تبوك أنهم معذورون في التخلف ﴿لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ بترك المعاتبة.

﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾: قذر لخُبث باطنهم ﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

٩٦ - ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ أي: عنهم، ولا ينفع رضاكم مع سخط الله.

٩٧ - ﴿الْأَعْرَابُ﴾: أهل البدوِ ﴿أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾ من أهل المدن، لجفائهم وغِلَظِ طباعهم، وبُعدهم عن سماع القرآن.

﴿وَأَجْدَرُ﴾: أولىٰ ﴿أَ﴾نْ، أي: بأن ﴿لا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ﴾ من الأحكام والشرائع.

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه بهم.

٩٨ - ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ﴾ في سبيل الله ﴿مَغْرَمًا﴾: غرامة وخسراناً لأنه لا يرجو ثوابه بل ينفقه خوفاً، وهم بنو أسد وغَطَفان.

﴿وَيَتَرَبَّصُ﴾: ينتظر ﴿بِكُمُ الدَّوَائِرَ﴾: دوائر الزمان أن تنقلب عليكم فيتخلَّص ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ أي: يدور العذاب والهلاك عليهم لا عليكم.

﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لأقوال عباده ﴿عَلِيمٌ﴾ بأفعالهم.

٩٩ - ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ كجُهَيْنَة ومُزَيْنة.

﴿وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ﴾ في سبيل الله ﴿قُرُبَاتٍ﴾ تُقرِّبه ﴿عِندَ اللَّهِ وَ﴾ وسيلةً إلىٰ ﴿صَلَوَاتِ﴾: دعواتِ ﴿الرَّسُولِ﴾ له ﴿أَلَا إِنَّهَا﴾ أي: نفقتهم ﴿قُرْبَةٌ لَّهُمْ﴾ عنده ﴿سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ﴾: جنته.

﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لأهل طاعته ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم.

وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ وَمِمَّنۡ حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مُنَٰفِقُونَۖ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعۡلَمُهُمۡۖ نَحۡنُ نَعۡلَمُهُمۡۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيۡنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٖ ﴿١٠١﴾ وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَأۡخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ وَءَاخَرُونَ مُرۡجَوۡنَ لِأَمۡرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمۡ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿١٠٦﴾

١٠٠ ـ ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ﴾ وهم من شهد بدراً، أو جميع الصحابة ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم﴾ إلىٰ يوم القيامة ﴿بِإِحۡسَٰنٖ﴾ في العمل ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ﴾ بطاعته ﴿وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾ بثوابه ﴿وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾.

١٠١ ـ ﴿وَمِمَّنۡ حَوۡلَكُم﴾ يا أهل المدينة ﴿مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مُنَٰفِقُونَۖ﴾ كأسْلَم وأشْجع وغفار ﴿وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ﴾ منافقون أيضاً ﴿مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾: لَجُوا فيه واستمرُّوا ﴿لَا تَعۡلَمُهُمۡۖ﴾ خطابٌ للنبي ﷺ ﴿نَحۡنُ نَعۡلَمُهُمۡۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيۡنِ﴾ بالفضيحة أو القتل في الدنيا، وعذاب القبر ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ﴾ في الآخرة ﴿إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٖ﴾ هو النار.

١٠٢ ـ ﴿وَ﴾ قوم ﴿ءَاخَرُونَ﴾، مبتدأ ﴿ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ﴾ من التخلف، نعته، والخبر: ﴿خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا﴾ وهو جهادهم قبل ذلك، أو اعترافهم بذنوبهم، أو غير ذلك ﴿وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ وهو تخلُّفهم ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ نزلت في أبي لُبابة وجماعة أوثقوا أنفسهم في سواري المسجد لما بلغهم ما نزل في المتخلّفين، وحلفوا لا يَحُلُّهم إلا النبيُّ ﷺ، فحلَّهم لما نزلت. قال ابن كثير: وهذه الآية وإن كانت نزلت في أناس معينين، إلا أنها عامة في كل المذنبين الخاطئين المخلصين المتلوثين.

١٠٣ ـ ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ من ذنوبهم، فأخذ ثلث أموالهم وتصدق بها ﴿وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ﴾ أي: ادع لهم ﴿إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ﴾: رحمة ﴿لَّهُمۡۗ﴾ وقيل: طمأنينة بقبول توبتهم ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

١٠٤ ـ ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَأۡخُذُ﴾: يقبل ﴿ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ﴾ علىٰ عباده بقبول توبتهم ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بهم، والاستفهام للتقرير، والقصد به تهييجهم إلىٰ التوبة والصدقة.

١٠٥ ـ ﴿وَقُلِ﴾ لهم، أو للناس: ﴿ٱعۡمَلُواْ﴾ ما شئتم ﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ﴾ بالبعث ﴿إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ أي: الله ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ يجازيكم به.

١٠٦ ـ ﴿وَءَاخَرُونَ﴾ من المتخلفين ﴿مُرۡجَوۡنَ﴾: مؤخرون عن التوبة ﴿لِأَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ فيهم بما يشاء ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمۡ﴾ بأن يميتهم بلا توبة ﴿وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٞ﴾ في صنعه بهم، وهم الثلاثة الآتون بعد: مُرارة بنُ الربيع، وكعب بنُ مالك، وهلال بنُ أمية، تخلّفوا كسلاً وميلاً إلىٰ الدَّعة، لا نفاقاً، ولم يعتذروا إلىٰ النبي ﷺ كغيرهم، فوقف أمرَهم خمسين ليلة، وهجرهم الناسُ حتىٰ نزلت توبتهم بعدُ.

وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقۡوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٍ خَيۡرٌ أَم مَّنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٖ فَٱنۡهَارَ بِهِۦ فِي نَارِ جَهَنَّمَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنۡيَٰنُهُمُ ٱلَّذِي بَنَوۡاْ رِيبَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ ۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١١١﴾

ربع الحزب ٢١

١٠٧ ـ ﴿وَ﴾ منهم ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا﴾ وهم اثنا عشر من المنافقين ﴿ضِرَارٗا﴾ مُضارَّة لأهل مسجد قُباء ﴿وَكُفۡرٗا﴾ أي: تقوية للكفر الذي يضمرونه، لأنّهم بنوه بأمر أبي عامر الراهب ليكون له معقلاً إذا جاء، ومكاناً ينزل فيه من يأتي من عنده، وكان ذهب ليأتي بجنود من قيصر لقتال النبي ﷺ: ﴿وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ الذين كانوا يصلون في مسجد قباء فيغصّ بهم، وذلك بأن يصلي بعضهم في مسجدهم فيحصل التفريق بين المؤمنين ﴿وَإِرۡصَادٗا﴾ أي: إعداداً وانتظاراً وترقباً ﴿لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ وهو الراهب أبو عامر الفاسق ﴿مِن قَبۡلُۚ﴾، وهو متعلق بـ(حارب) أي (لِمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ). ﴿وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ﴾: ما ﴿أَرَدۡنَآ﴾ ببنائه ﴿إِلَّآ﴾ الفعلة ﴿ٱلۡحُسۡنَىٰۖ﴾ من الرفق بالمسكين في المطر والحر، والتوسعة على المسلمين ﴿وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ في ذلك، وكانوا سألوا النبي ﷺ أن يصلي فيه، فنزل: ١٠٨ ـ ﴿لَا تَقُمۡ﴾: تُصلِّ ﴿فِيهِ أَبَدٗاۚ﴾ فأرسل جماعة هدموه وحرقوه، وجعلوا مكانه كُناسة تلقى فيها الجيف ﴿لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ﴾: بُنيت قواعده ﴿عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ﴾ وُضع، يوم حَلَلْتَ بدار الهجرة، وهو مسجد قُباء كما في «البخاري» (٣٩٠٦) ﴿أَحَقُّ﴾ منه ﴿أَن﴾ أي: بأن ﴿تَقُومَ﴾ تصلي ﴿فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ﴾ هم الأنصار ﴿يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ﴾ أي: يُثيبهم، وفيه إدغام التاء في الأصل في الطاء. روى ابن خزيمة في «صحيحه» (٨٣) عن عُوَيم بن ساعدة أنه ﷺ أتاهم في مسجد قُباء فقال: «إن الله تعالى قد أحسَنَ عليكم الثناءَ في الطُّهور في قصة مسجدكم، فما هذا الطَّهور الذي تَطَهَّرُون به»؟ قالوا: والله يا رسول الله ما نعلم شيئاً، إلا أنه كان لنا جيران من اليهود، وكانوا يغسلون أدبارهم من الغائط، فغسلنا كما غسلوا، وفي حديث رواه البزار: فقالوا: نُتْبعُ الحجارة بالماء، فقال: «هو ذاك، فعليكموه». ١٠٩ ـ ﴿أَفَمَنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقۡوَىٰ﴾: مخافة ﴿مِنَ ٱللَّهِ وَ﴾ رجاء ﴿رِضۡوَٰنٍ﴾ منه ﴿خَيۡرٌ أَم مَّنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا﴾: طَرَف ﴿جُرُفٍ﴾: جانب ﴿هَارٖ﴾: مُشرف على السقوط ﴿فَٱنۡهَارَ بِهِۦ﴾: سقط مع بانيه ﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَۗ﴾ خير؟ تمثيل للبناء على ضد التقوى بما يؤول إليه، والاستفهام للتقرير، أي: الأول خير، وهو مثال مسجد قُباء، والثاني مثال مسجد الضِّرار ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾. ١١٠ ـ ﴿لَا يَزَالُ بُنۡيَٰنُهُمُ ٱلَّذِي بَنَوۡاْ رِيبَةٗ﴾: شكّاً ﴿فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ﴾: تنفصل ﴿قُلُوبُهُمۡۗ﴾ بأن يموتوا ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه بهم. ١١١ ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم﴾ بأن يبذلوها في طاعته كالجهاد ﴿بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ﴾، جملة استئناف، بيان للشراء، فيُقتَل بعضُهم ويقاتِل الباقي ﴿وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا﴾، مصدران منصوبان بفعلهما المحذوف ﴿فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ﴾؟ أي: لا أحد أوفى منه ﴿فَٱسۡتَبۡشِرُواْ﴾، فيه التفات عن الغيبة ﴿بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ﴾ البيع ﴿هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾: المُنيلُ غايةَ المطلوب.

ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٢﴾ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ ﴿١١٤﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿١١٦﴾ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٧﴾

١١٢ ـ ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾ ـ رفع على المدح بتقدير مبتدأ ـ من الشرك والنفاق.

﴿ٱلۡعَٰبِدُونَ﴾: المخلصون العبادة لله ﴿ٱلۡحَٰمِدُونَ﴾ له على كل حال.

﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾: الصائمون.

﴿ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ﴾ أي: المصلون ﴿ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ﴾: لأحكامه بالعمل بها ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ بالجنة.

١١٣ ـ ونزل في استغفاره ﷺ لعمه أبي طالب، واستغفار بعض الصحابة لأبويه المشركين: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ﴾: ذوي قرابة ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾: النار، بأن ماتوا على الكفر.

١١٤ ـ ﴿وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾ بقوله: (سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ) رجاءَ أن يُسلم.

﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ﴾: بموته على الكفر ﴿تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ﴾: وترك الاستغفار له.

﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ﴾: كثير التضرُّع والدعاء ﴿حَلِيمٞ﴾: صبور على الأذى.

١١٥ ـ ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ﴾ للإسلام ﴿حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ﴾ من العمل، فلا يتقوه، فيستحقوا الإضلال.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ ومنه مستحق الإضلال والهداية.

١١٦ ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۚ وَمَا لَكُم﴾ أيها الناس ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿مِن وَلِيّٖ﴾ يحفظكم منه ﴿وَلَا نَصِيرٖ﴾ يمنعكم عن ضرره.

١١٧ ـ ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ﴾ أي: أدام توبته ﴿عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ﴾ أي: وقتها، وهي حالهم في غزوة تبوك.

كان الرجلان يقتسمان تمرة، والعشرة يعتقبون البعير الواحد، واشتد الحرُّ حتى شربوا الفرْث ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ﴾: تميلُ ﴿قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ﴾ عن اتباعه إلى التخلُّف لما هم فيه من الشدة.

﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ بالثبات ﴿إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾.

وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ ۞ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾

نصف الحزب ٢١

١١٨ ـ ﴿وَ﴾ تاب ﴿عَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾ عن التوبة عليهم بقرينة.

﴿حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ أي: مع رُحبها، أي: سَعتها، فلا يجدون مكاناً يطمئنون إليه.

﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ﴾: قلوبهم، للغمِّ والوحشة بتأخير توبتهم، فلا يسعها سرور ولا أُنس.

﴿وَظَنُّوا﴾: أيقنوا ﴿أَن﴾، مخففة ﴿لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾: وفَّقهم للتوبة ﴿لِيَتُوبُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.

١١٩ ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ بترك معاصيه ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ في الإيمان والعهود، بأن تلزموا الصدق.

١٢٠ ـ ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ﴾ إذا غزا.

﴿وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ﴾ بأن يصونوها عما رَضيَه لنفسه من الشدائد، وهو نهيٌ بلفظ الخبر.

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: النهي عن التخلُّف ﴿بِأَنَّهُمْ﴾: بسبب أنهم ﴿لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ﴾: عطش ﴿وَلَا نَصَبٌ﴾: تعب ﴿وَلَا مَخْمَصَةٌ﴾: جوع ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا﴾، مصدر بمعنىٰ (وَطْأً).

﴿يَغِيظُ﴾: يُغضب ﴿الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ﴾ لله ﴿نَّيْلًا﴾: قتلاً أو أسراً أو نهباً ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾ ليُجازَوا عليه.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: أجرهم، بل يُثيبهم.

١٢١ ـ ﴿وَلَا يُنفِقُونَ﴾ فيه ﴿نَفَقَةً صَغِيرَةً﴾ ولو تمرة ﴿وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا﴾ بالسير ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ﴾ ذلك ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: جزاءه.

١٢٢ ـ ولما وُبِّخوا علىٰ التخلُّف، وأرسل النبي ﷺ سرية، نفروا جميعاً، فنزل:

﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا﴾ إلىٰ الغزو ﴿كَافَّةً فَلَوْلَا﴾: فهلَّا ﴿نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ﴾: قبيلة ﴿مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ﴾: جماعة ومكث الباقون ﴿لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾ من الغزو بتعليمهم ما تعلموه من الأحكام ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ عقابَ الله بامتثال أمره ونهيه.

قال ابن عباس: فهذه مخصوصة بالسرايا، والتي قبلها بالنهي عن تخلف واحد فيما إذا خرج النبي ﷺ.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾

سُورَةُ يُونُسَ — ترتيبها ١٠ — آياتها ١٠٩

١٢٣ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾ أي: الأقرب فالأقرب منهم.

﴿وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾: شدة، أي: أغلظوا عليهم ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ بالعون والنصر.

١٢٤ ـ ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ من القرآن ﴿فَمِنْهُم﴾ أي: المنافقين ﴿مَّن يَقُولُ﴾ لأصحابه استهزاءً: ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا﴾: تصديقاً؟

قال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ لتصديقهم بها ﴿وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾: يفرحون بها.

١٢٥ ـ ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: ضعف اعتقاد ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾: كفراً إلىٰ كفرهم، لكفرهم بها ﴿وَمَاتُواْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾.

١٢٦ ـ ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ﴾ أي: المنافقون ﴿أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ﴾: يبتلون ﴿فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾ بالقحط والأمراض ﴿ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ﴾ من نفاقهم ﴿وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾: يتعظون.

١٢٧ ـ ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ فيها ذكرهم وقرأها النبي ﷺ ﴿نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ يريدون الهرب، يقولون:

﴿هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ إذا قمتم؟

فإن لم يرهم أحد، قاموا، وإلا ثبتوا ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُواْ﴾ علىٰ كفرهم.

﴿صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾ عن الهدىٰ ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ الحقَّ لعدم تدبُّرهم.

١٢٨ ـ ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ أي: منكم، محمد ﷺ.

﴿عَزِيزٌ﴾: شديد ﴿عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي: عَنَتُكم، أي: مشقَّتكم ولقاؤكم المكروه.

﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ أن تهتدوا ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ﴾: شديد الرحمة ﴿رَّحِيمٌ﴾ يريد لهم الخير.

١٢٩ ـ ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ عن الإيمان بك.

﴿فَقُلْ حَسْبِىَ﴾: كافيَّ ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾: به وثقت لا بغيره.

﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾، خصه بالذكر لأنه أعظم المخلوقات.

وروىٰ الحاكم في «المستدرك» (٢/٣٣٨) عن أُبيّ بن كعب قال:

آخرُ آية نزلت: (لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ ...) إلىٰ آخر السورة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾

سورة يونس

مكية إلا (فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ) الآيتين أو الثلاث، أو: (وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ) مئة وتسع ـ أو عشر ـ آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١ ـ ﴿الٓر﴾ الله أعلم بمراده بذلك ﴿تِلْكَ﴾ أي: هذه الآيات ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾: القرآن، والإضافة بمعنىٰ (مِن) ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾: المُحكَم.

٢ ـ ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ﴾ أي: استفهام إنكار، والجار والمجرور حال من قوله: ﴿عَجَبًا﴾، خبر (كان)، واسمها ﴿أَنْ أَوْحَيْنَآ﴾ أي: إيحاؤنا ﴿إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾: محمد ﷺ ﴿أَنْ﴾، مفسِّرة ﴿أَنذِرِ﴾: خوِّف ﴿ٱلنَّاسَ﴾: الكافرين بالعذاب ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ﴾ أي: بأن ﴿لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ﴾ أي: سابقة ومنزلة رفيعة ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ وعُبّر عن السابقة والمنزلة الرفيعة بالقدم، إذ بها يحصل السبق والوصول إلىٰ المنازل الرفيعة، كما يُعبّر عن النعمة باليد، لأنها تُعطىٰ بها، أي: أنَّ لهم أجراً حسناً بما قدموه من الأعمال. ﴿قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ﴾: بيِّن، والمشار إليه النبيُّ ﷺ.

٣ ـ ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ من أيام الدنيا، أي: في قدرها، لأنه لم يكن ثَمّ شمس ولا قمر، ولو شاء لخلقهن في لمحة، والعدول عنه لتعليم خلقه التثبُّت. ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ استواء يليق به ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ بين الخلائق ﴿مَا مِن﴾، زائدة ﴿شَفِيعٍ﴾ يشفع لأحد ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ ردٌّ لقولهم: إن الأصنام تشفع لهم ﴿ذَٰلِكُمُ﴾ الخالق المدبر ﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ﴾: وحِّدوه ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾، بإدغام التاء في الأصل في الذال.

٤ ـ ﴿إِلَيْهِ﴾ تعالىٰ ﴿مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا﴾، مصدران منصوبان بفعلهما المقدر. ﴿إِنَّهُۥ﴾، بالكسر استئنافاً، ﴿يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ﴾ أي: بدأه بالإنشاء ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ بالبعث ﴿لِيَجْزِىَ﴾: يُثيب ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾: ماء بالغ نهاية الحرارة ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مؤلم ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾ أي: بسبب كفرهم. ٥ ـ ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً﴾: ذات ضياء، أي: نور ﴿وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ﴾ من حيثُ سيرُه ﴿مَنَازِلَ﴾: ثمانية وعشرين منزلاً في ثمان وعشرين ليلة من كل شهر، ويستتر ليلتين إن كان الشهر ثلاثين يوماً، أو ليلة إن كان تسعة وعشرين يوماً ﴿لِتَعْلَمُوا۟﴾ بذلك ﴿عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ لا عبثاً، تعالىٰ عن ذلك ﴿يُفَصِّلُ﴾، يُبيِّن ﴿ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: يتدبرون. ٦ ـ ﴿إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ بالذهاب والمجيء، والزيادة والنقصان ﴿وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ من ملائكة وشمس وقمر ونجوم وغير ذلك ﴿وَ﴾ في ﴿ٱلْأَرْضِ﴾ من حيوان وجبال وبحار وأنهار وأشجار وغيرها ﴿لَءَايَٰتٍ﴾: دلالات علىٰ قدرته تعالىٰ ﴿لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ه فيؤمنون، خصهم بالذكر لأنهم المنتفعون بها.

إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْۖ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ۞ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٢١

٧ - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ بالبعث ﴿وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ بدل الآخرة بإنكارهم لها ﴿وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا﴾: سكنوا إليها ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا﴾: دلائل وحدانيتنا ﴿غَٰفِلُونَ﴾: تاركون النظر فيها.

٨ - ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ من الشرك والمعاصي.

٩ - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ﴾: يُرشدهم ﴿رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ﴾ به بأن يجعل لهم نوراً يهتدون به يوم القيامة ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾.

١٠ - ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا﴾: طلبُهم لما يشتهونه في الجنة أن يقولوا: ﴿سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾ أي: يا الله، فإذا ما طلبوه وجدوه بين أيديهم ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ﴾ فيما بينهم ﴿فِيهَا سَلَٰمٌۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ﴾، مفسِّرة ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ هذا تفسير ذهب إليه كثير من المفسرين، ويمكن أن يكون معنىٰ قوله: (دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا) أي: دعاؤهم في الجنة (سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ) يبدؤون بتعظيم الله وتنزيهه ويختمون دعاءهم بحمد الله وشكره والثناء عليه (وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ).

١١ - ونزل لما استعجل المشركون العذاب: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم﴾ أي: كاستعجالهم ﴿بِٱلْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْۖ﴾ بأن يُهلكهم، ولكن يُمهلهم ﴿فَنَذَرُ﴾: نترك ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾: يتردَّدون متحيرين.

١٢ - ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾: الكافر ﴿ٱلضُّرُّ﴾: المرض والفقر ﴿دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ﴾ أي: مضطجعاً ﴿أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا﴾ أي: في كل حال ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ﴾ علىٰ كفره ﴿كَأَن﴾، مخففة واسمها محذوف، أي: كأنه ﴿لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥۚ كَذَٰلِكَ﴾ كما زُيِّنَ له الدعاءُ عند الضُّرِّ، والإعراضُ عند الرخاء ﴿زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾: المشركين ﴿مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾.

١٣ - ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ﴾: الأمم ﴿مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ﴾ بالشرك ﴿وَ﴾ قد ﴿جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ الدالات علىٰ صدقهم ﴿وَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْۚ﴾، عطف علىٰ (ظلموا) ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما أهلكنا أولئك ﴿نَجْزِي ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: الكافرين.

١٤ - ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ﴾، جمع خليفة ﴿فِي ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ فيها، وهل تعتبرون بهم فتصدقوا رسلنا؟.

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾

١٥ ـ ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا﴾: القرآن ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾: ظاهرات، حال.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾: لا يخافون البعث ﴿ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ﴾ ليس فيه عيبُ آلهتنا ﴿أَوْ بَدِّلْهُ﴾ من تلقاء نفسك.

﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿مَا يَكُونُ﴾: ينبغي ﴿لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ﴾: قِبَلِ ﴿نَفْسِىٓ إِنْ﴾: ما ﴿أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى﴾ بتبديله ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ هو يوم القيامة.

١٦ ـ ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم﴾: أعلمكم ﴿بِهِۦ﴾ و(لا) نافية عطف علىٰ (ما) قبله.

﴿فَقَدْ لَبِثْتُ﴾: مكثتُ ﴿فِيكُمْ عُمُرًا﴾: سنيناً أربعين ﴿مِّن قَبْلِهِۦٓ﴾ لا أحدثكم بشيء ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أنه ليس من قِبَلِي.

١٧ ـ ﴿فَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ بنسبة الشريك إليه ﴿أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ﴾: القرآن.

﴿إِنَّهُۥ﴾ أي: الشأن ﴿لَا يُفْلِحُ﴾: يسعد ﴿ٱلْمُجْرِمُونَ﴾: المشركون.

١٨ ـ ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿مَا لَا يَضُرُّهُمْ﴾ إن لم يعبدوه.

﴿وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ إن عبدوه، وهو الأصنام.

﴿وَيَقُولُونَ﴾ عنها: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ قُلْ﴾ لهم: ﴿أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ﴾: تخبرونه ﴿بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾؟ استفهام إنكار، أي: لو كان له شريك لَعَلِمَه، إذ لا يخفىٰ عليه شيء ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾: تنزيهاً له ﴿وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ه معه.

١٩ ـ ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ علىٰ دين واحد ـ وهو الإسلام ـ من لدن آدم إلىٰ نوح، وقيل: من عهد إبراهيم إلىٰ عمرو بن لُحَي.

﴿فَٱخْتَلَفُوا۟﴾ بأن ثبت بعض وكفر بعض ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ بتأخير الجزاء إلىٰ يوم القيامة ﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ أي: الناس في الدنيا ﴿فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من الدين بتعذيب الكافرين.

٢٠ ـ ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَآ﴾: هلَّا ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾، علىٰ محمد ﷺ ﴿ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ كما كان للأنبياء من الناقة والعصا واليد.

﴿فَقُلْ﴾ لهم: ﴿إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ﴾: ما غاب عن العباد، أي: أمره ﴿لِلَّهِ﴾ ومنه الآيات، فلا يأتي بها إلا هو، وإنما عليَّ التبليغ ﴿فَٱنتَظِرُوٓا۟﴾ العذاب إن لم تؤمنوا ﴿إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾.

وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ مِّنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُمۡ إِذَا لَهُم مَّكۡرٞ فِيٓ ءَايَاتِنَاۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًاۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُكُمۡ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٢٣﴾ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٢٥﴾

٢١ ـ ﴿وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ﴾: مطراً وخصباً ﴿مِّنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ﴾: بؤس وجدب ﴿مَسَّتۡهُمۡ إِذَا لَهُم مَّكۡرٞ فِيٓ ءَايَاتِنَاۚ﴾ بالاستهزاء والتكذيب.

﴿قُلِ﴾ لهم: ﴿ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًاۚ﴾: مجازاة ﴿إِنَّ رُسُلَنَا﴾: الحفظة ﴿يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ﴾.

٢٢ ـ ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ﴾: السفن ﴿وَجَرَيۡنَ بِهِم﴾ فيه التفات عن الخطاب ﴿بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ﴾: ليِّنة.

﴿وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ﴾: شديدة الهبوب تكسر كل شيء ﴿وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ﴾ أي: أُهلكوا.

﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾: الدعاء ﴿لَئِنۡ﴾، لام قسم ﴿أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ﴾ الأهوال ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾: المُوحِّدين.

٢٣ ـ ﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ﴾: بالشرك.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ﴾: ظلمُكم ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ﴾ لأن إثمه عليها ﴿مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ تُمتعون فيها قليلاً ﴿ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُكُمۡ﴾ بعد الموت ﴿فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ فنُجازيكم عليه.

٢٤ ـ ﴿إِنَّمَا مَثَلُ﴾: صفةُ ﴿ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ﴾: مطر ﴿أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ﴾: بسببه ﴿نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ﴾ واشتبك بعضه ببعض ﴿مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ﴾ من البرِّ والشعير وغيرهما ﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمُ﴾ من الكلأ.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا﴾: بهجتها من النبات ﴿وَٱزَّيَّنَتۡ﴾ بالزهر وأصله: تزينت، أبدلت التاء زاياً وأدغمت في الزاي.

﴿وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ﴾: متمكنون من تحصيل ثمارها.

﴿أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا﴾: قضاؤنا أو عذابنا ﴿لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا﴾ أي: زرعها ﴿حَصِيدٗا﴾: كالمحصود بالمناجل.

﴿كَأَن﴾، مخففة، أي: كأنها ﴿لَّمۡ تَغۡنَ﴾: تكن ﴿بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ﴾: نُبيِّنُ ﴿ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

٢٥ ـ ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾: أي: السلامة، وهي الجنة، بالدعاء إلىٰ الإيمان.

﴿وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾ هدايته ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾: دين الإسلام.

۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ ۚ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾

٢٦ ـ ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟﴾ بالإيمان ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾: الجنة ﴿وَزِيَادَةٌ﴾: هي النظر إليه تعالىٰ كما في حديث مسلم (١٨١) ﴿وَلَا يَرْهَقُ﴾: يغشىٰ ﴿وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ﴾ سوادٌ ﴿وَلَا ذِلَّةٌ﴾: كآبة ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

٢٧ ـ ﴿وَٱلَّذِينَ﴾، عطف علىٰ (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟) أي: وللذين ﴿كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: عملوا الشرك ﴿جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ﴾، زائدة ﴿عَاصِمٍ﴾: مانع ﴿كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ﴾: أُلبست ﴿وُجُوهُهُمْ قِطَعًا﴾، بفتح الطاء جمع قطعة ﴿مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

٢٨ ـ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾ أي: الخلق ﴿جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ﴾، نصب بـ(الزموا) مقدَّراً ﴿أَنتُمْ﴾، تأكيد للضمير المستتر في الفعل المقدر ليعطف عليه ﴿وَشُرَكَآؤُكُمْ﴾ أي: الأصنام ﴿فَزَيَّلْنَا﴾: ميَّزنا ﴿بَيْنَهُمْ﴾ وبين المؤمنين كما في آية: (وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ) ﴿وَقَالَ﴾ لهم ﴿شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾ (ما) نافية، وقدَّم المفعول للفاصلة.

٢٩ ـ ﴿فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن﴾، مخففة، أي: إنّا ﴿كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ﴾.

٣٠ ـ ﴿هُنَالِكَ﴾ أي: ذلك اليوم ﴿تَبْلُوا۟﴾، من البلوىٰ ﴿كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ﴾: قدَّمت من العمل ﴿وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾: الثابت الدائم ﴿وَضَلَّ﴾: غاب ﴿عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ عليه من الشركاء.

٣١ ـ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ بالمطر ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ بالنبات ﴿أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ﴾ بمعنىٰ الأسماع، أي: خلقها ﴿وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ بين الخلائق؟ ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾: هو ﴿ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ﴾ لهم: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ه فتؤمنون.

٣٢ ـ ﴿فَذَٰلِكُمُ﴾ الفعّال لهذه الأشياء ﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ﴾: الثابت ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾؟ استفهام تقرير، أي: ليس بعده غيره، فمن أخطأ الحق ـ وهو عبادة الله ـ وقع في الضلال ﴿فَأَنَّىٰ﴾: كيف ﴿تُصْرَفُونَ﴾ عن الإيمان مع قيام البرهان.

٣٣ ـ ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما صُرف هؤلاء عن الإيمان ﴿حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟﴾: كفروا، وهي: (لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ) الآية، أو هي: ﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُواْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾

٣٤ ـ ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾: تصرفون عن عبادته مع قيام الدليل.

٣٥ ـ ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ﴾ بنصب الحجج وخلق الاهتداء ﴿قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾ وهو الله ﴿أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ﴾: يهتدي ﴿إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ﴾ أحقُّ أن يُتَّبع؟ استفهام تقرير وتوبيخ، أي: الأول أحق ﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ هذا الحكم الفاسد من اتباع ما لا يحق اتباعه؟

٣٦ ـ ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ﴾ في عبادة الأصنام ﴿إِلَّا ظَنًّا ۚ﴾ حيث قلَّدوا فيه آباءهم ﴿إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ﴾ فيما المطلوب منه العلم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ فيجازيهم عليه.

٣٧ ـ ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ﴾ أي: افتراء ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿وَلَٰكِن﴾ أُنزل ﴿تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتب ﴿وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: تبيين ما كتبه الله من الأحكام وغيرها ﴿لَا رَيْبَ﴾: شك ﴿فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، متعلق بـ(تصديق) أو بـ(أنزل) المحذوف.

٣٨ ـ ﴿أَمْ﴾: بل أ﴿يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ﴾: اختلقه محمد ﴿قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾ في الفصاحة والبلاغة علىٰ وجه الافتراء، فإنكم عربيون فصحاء مثلي ﴿وَٱدْعُواْ﴾ للإعانة عليه ﴿مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في أنه افتراء، فلم يقدروا علىٰ ذلك.

٣٩ ـ قال تعالىٰ: ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ﴾ أي: القرآن ولم يتدبَّروه ﴿وَلَمَّا﴾: لم ﴿يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ﴾: عاقبةُ ما فيه من الوعيد ﴿كَذَٰلِكَ﴾ التكذيب ﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ﴾ رُسلَهم ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ بتكذيب الرسل، أي: آخرُ أمرهم من الهلاك، فكذلك نُهلك هؤلاء.

٤٠ ـ ﴿وَمِنْهُم﴾ أي: أهل مكة ﴿مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾ لِعِلْم الله ذلك منهم ﴿وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ﴾ أبداً ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾ تهديد لهم.

٤١ ـ ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل﴾ لهم: ﴿لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ﴾ أي: لكلٍّ جزاءُ عمله ﴿أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وهذا منسوخ بآية السيف.

٤٢ ـ ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ﴾ إذا قرأت القرآن ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ﴾، شبَّههم بهم في عدم الانتفاع بما يتلىٰ عليهم ﴿وَلَوْ كَانُواْ﴾ مع الصمم ﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾: يتدبرون.

وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ ۖ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۚ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنتُم بِهِ ۚ آلْآنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ ۖ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾

ربع الحزب ٢٢

٤٣ ـ ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ﴾، شبَّههم بهم في عدم الاهتداء، بل هم أعظم إذ هم فاقدون للبصيرة والمشبّه بهم فاقدون للبصر، فإنها لا تعمىٰ الأبصار ولكن تعمىٰ القلوب التي في الصدور.

٤٤ ـ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

٤٥ ـ ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن﴾ أي: كأنهم ﴿لَّمْ يَلْبَثُوا﴾ في الدنيا، أي: القبور ﴿إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ﴾ لِهَوْل ما رأوا، وجملة التشبيه حال من الضمير ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾: يعرف بعضهم بعضاً إذا بُعثوا، ثم ينقطع التعارف لشدة الأهوال، والجملة حال مقدرة أو متعلَّق الظرف ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾: بالبعث ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾.

٤٦ ـ ﴿وَإِمَّا﴾، فيه إدغام نون (إن) الشرطية في (ما) المزيدة ﴿نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ به من العذاب في حياتك، وجواب الشرط محذوف، أي: فذاك ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبل تعذيبهم ﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ﴾: مُطّلع ﴿عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ من تكذيبهم وكفرهم، فيعذبهم أشد العذاب.

٤٧ ـ ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ من الأمم ﴿رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ﴾ إليهم فكذبوه ﴿قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾: بالعدل فيُعذَّبون ويُنَجّىٰ الرسولُ ومَن صدّقه ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ بتعذيبهم بغير جرم، فكذلك نفعل بهؤلاء.

٤٨ ـ ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ﴾ بالعذاب ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيه.

٤٩ ـ ﴿قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا﴾ أدفعه ﴿وَلَا نَفْعًا﴾ أجلبُه ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ أن يقدِّرني عليه، فكيف أملك لكم حلول العذاب؟ ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾: مدة معلومة لهلاكهم ﴿إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾: يتأخرون عنه ﴿سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾: يتقدمون عليه.

٥٠ ـ ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾: أخبروني ﴿إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ﴾ أي: الله ﴿بَيَاتًا﴾: ليلاً ﴿أَوْ نَهَارًا مَّاذَا﴾: أيُّ شيء ﴿يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ﴾ أي: العذاب ﴿الْمُجْرِمُونَ﴾: المشركون؟ فيه وضع الظاهر موضع المضمر، وجملة الاستفهام جواب الشرط كقولك: إذا أتيتُك، ماذا تعطيني؟ والمراد به التهويل، أي: ما أعظمَ ما استعجلوه.

٥١ ـ ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ﴾: حل بكم ﴿آمَنتُم بِهِ﴾ أي: الله، أو العذاب عند نزوله، والهمزة لإنكار التأخير، فلا يُقبل منكم، ويقال لكم: ﴿آلْآنَ﴾ تؤمنون ﴿وَقَدْ كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ استهزاء؟

٥٢ ـ ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ﴾ أي: الذي تخلُدون فيه ﴿هَلْ﴾، ما ﴿تُجْزَوْنَ إِلَّا﴾ جزاءً ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾.

٥٣ ـ ﴿وَيَسْتَنبِئُونَكَ﴾: يستخبرونك ﴿أَحَقٌّ هُوَ﴾ أي: ما وعدَتنا به من العذاب والبعث؟ ﴿قُلْ إِي﴾: نعم ﴿وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾: بفائتين العذاب.

وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦۗ وَأَسَرُّواْ
ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَۖ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِۚ وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ أَلَآ إِنَّ
وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ
وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ
مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ
﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا
يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ
فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ
تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ
يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ
لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ
وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ
فِيهِۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي
ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾

٥٤ ـ ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ﴾: كفرت ﴿مَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ جميعاً من الأموال ﴿لَٱفْتَدَتْ بِهِۦۗ﴾ من العذاب يوم القيامة.

﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ﴾ على ترك الإيمان ﴿لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَۖ﴾: أخفاها رؤساؤهم عن الضعفاء الذين أضلُّوهم مخافة التعيير.

﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم﴾: بين الخلائق ﴿بِٱلْقِسْطِۚ﴾: بالعدل ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ شيئاً.

٥٥ ـ ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بالبعث والجزاء ﴿حَقٌّ﴾: ثابت ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ أي: الناس ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

٥٦ ـ ﴿هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ في الآخرة فيجازيكم بأعمالكم.

٥٧ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾: كتاب فيه ما لكم وعليكم، وهو القرآن ﴿وَشِفَآءٌ﴾: دواء ﴿لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾ من العقائد الفاسدة والشكوك ﴿وَهُدًى﴾ من الضلال ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ به.

٥٨ ـ ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ﴾: الإسلام ﴿وَبِرَحْمَتِهِۦ﴾: القرآن ﴿فَبِذَٰلِكَ﴾ الفضل والرحمة ﴿فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ من الدنيا.

٥٩ ـ ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم﴾: أخبروني ﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾: خلق ﴿لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا﴾ كالبحيرة والسائبة والميتة.

﴿قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْۖ﴾ في ذلك بالتحليل والتحريم؟ لا ﴿أَمْ﴾: بل ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾: تكذبون بنسبة ذلك إليه.

٦٠ ـ ﴿وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ أي: أيّ شيء ظنُّهم به ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ﴾ أيحسبون أنه لا يعاقبهم؟ لا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ بإمهالهم والإنعام عليهم ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾.

٦١ ـ ﴿وَمَا تَكُونُ﴾ يا محمد ﴿فِي شَأْنٍ﴾: أمر ﴿وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ﴾ أي: من الشأن أو الله ﴿مِن قُرْءَانٍ﴾ أنزله عليك ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ﴾ خاطبهُ وأمته ﴿مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾: رُقباء.

﴿إِذْ تُفِيضُونَ﴾: تأخذون ﴿فِيهِۚ﴾ أي: العمل ﴿وَمَا يَعْزُبُ﴾: يغيب ﴿عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ﴾: وزن ﴿ذَرَّةٍ﴾: أصغر نملة ﴿فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾: بيِّن، هو اللوح المحفوظ.

أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنۡ عِندَكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭ بِهَٰذَآۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلۡ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٞ فِي ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلۡعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ﴿٧٠﴾

٦٢ ـ ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ في الآخرة.

٦٣ ـ هم ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ اللّه بامتثال أمره ونهيه.

٦٤ ـ ﴿لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ أي: لهم البشرىٰ بالفوز بالخيرات العاجلة في الحياة الدنيا كالنصر والفتح والغنيمة والثناء الحسن والتمكين في الأرض والصحة والسعادة وغير ذلك.

ومن أنواع البشْرىٰ الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو تُرىٰ له كما جاء في حديث أخرجه الحاكم (٢/ ٣٤٠).

﴿وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾ الجنة والثواب ﴿لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ﴾ لا خُلْف لمواعيده ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾.

٦٥ ـ ﴿وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ﴾ لك: لستَ مرسلاً، وغيره ﴿إِنَّ﴾، استئناف ﴿ٱلۡعِزَّةَ﴾: القوة ﴿لِلَّهِ جَمِيعًاۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ للقول ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ بالفعل فيجازيهم وينصرك. ٦٦ ـ ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ عبيداً وملكاً وخلقاً.

﴿وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ﴾: يعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره أصناماً ﴿شُرَكَآءَۚ﴾ له علىٰ الحقيقة، تعالىٰ عن ذلك.

﴿إِن﴾: ما ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ في ذلك ﴿إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ أي: ظنهم أنها آلهة تشفع لهم.

﴿وَإِنۡ﴾: ما ﴿هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ﴾: يكذبون في ذلك.

٦٧ ـ ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ﴾ إسناد الإبصار إليه مجاز لأنه يبصر فيه.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ﴾: دلالات علىٰ وحدانيته تعالىٰ ﴿لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ﴾ سماع تدبُّر واتعاظ.

٦٨ ـ ﴿قَالُواْ﴾ أي: اليهود والنصارىٰ ومن زعم أن الملائكة بنات الله: ﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ﴾.

قال تعالىٰ لهم: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥۖ﴾: تنزيهاً له عن الولد ﴿هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ﴾ عن كل أحد، وإنما يَطلبُ الولدَ من يحتاجُ إليه ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً ﴿إِنۡ﴾: ما ﴿عِندَكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭ﴾: حجة ﴿بِهَٰذَآۚ﴾ الذي تقولونه ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾؟ استفهام توبيخ.

٦٩ ـ ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ﴾ بنسبة الولد إليه ﴿لَا يُفۡلِحُونَ﴾: لا يسعدون.

٧٠ ـ لهم ﴿مَتَٰعٞ﴾ قليل ﴿فِي ٱلدُّنۡيَا﴾ يتمتعون به مدة حياتهم ﴿ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ﴾ بالموت ﴿ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلۡعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ﴾ بعد الموت ﴿بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ﴾.

۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ خَلَٰٓئِفَ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبۡلُۚ كَذَٰلِكَ نَطۡبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمۡۖ أَسِحۡرٌ هَٰذَا وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٧٨﴾

٧١ ـ ﴿وَٱتۡلُ﴾ يا محمد ﴿عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ﴾ خبر ﴿نُوحٍ﴾، ويبدل منه: ﴿إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ﴾: شق ﴿عَلَيۡكُم مَّقَامِي﴾: لُبثي فيكم ﴿وَتَذۡكِيرِي﴾: وعظي إياكم ﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ﴾: اعزموا علىٰ أمر تفعلونه بي ﴿وَشُرَكَآءَكُمۡ﴾، الواو بمعنىٰ مع.

﴿ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ﴾: مستوراً بل أظهروه وجاهروني به.

﴿ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ﴾: امضوا فيما أردتموه ﴿وَلَا تُنظِرُونِ﴾: تُمهلونِ، فإني لست مبالياً بكم.

٧٢ ـ ﴿فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ﴾ عن تذكيري ﴿فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ﴾: ثواب عليه فتولَّوا ﴿إِنۡ﴾: ما ﴿أَجۡرِيَ﴾: ثوابي ﴿إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾.

٧٣ ـ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ﴾: السفينة ﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ﴾ أي: من معه ﴿خَلَٰٓئِفَ﴾ في الأرض.

﴿وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ﴾ بالطوفان ﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ﴾ من إهلاكهم، فكذلك نفعل بمن كذبك.

٧٤ ـ ﴿ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ أي: نوح ﴿رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ﴾ كإبراهيم وهود وصالح.

﴿فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾: المعجزات.

﴿فَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبۡلُۚ﴾ أي: قبل بَعْثِ الرسلِ إليهم.

﴿كَذَٰلِكَ نَطۡبَعُ﴾: نختِمُ ﴿عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ فلا تقبلُ الإيمانَ كما طبعنا علىٰ قلوب أولئك.

٧٥ ـ ﴿ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ﴾: قومه: ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾ التسع ﴿فَٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾ عن الإيمان بها ﴿وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ﴾.

٧٦ ـ ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾: بيِّنٌ ظاهر.

٧٧ ـ ﴿قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمۡۖ﴾: إنه لسحر: ﴿أَسِحۡرٌ هَٰذَا﴾؟

وقد أفلح من أتىٰ به، وأبطل سحر السحرة ﴿وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ﴾ والاستفهام في الموضعين للإنكار.

٧٨ ـ ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا﴾: لِتردَّنا ﴿عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ﴾: الملك ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: أرض مصر ﴿وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا بِمُؤۡمِنِينَ﴾: مصدقين.

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾

٧٩ ـ ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ﴾: فائق في علم السحر.

٨٠ ـ ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ﴾ ـ بعد ما قالوا له: إما أن تُلقيَ وإما أن نكونَ نحن المُلقين ـ: ﴿أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ﴾.

٨١ ـ ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟﴾ حبالَهم وعصيَّهم ﴿قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ﴾، فـ(ما) موصول مبتدأ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ﴾ أي: سيمحقه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾.

٨٢ ـ ﴿وَيُحِقُّ﴾: يُثبت ويُظهر ﴿ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ بمواعيده ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾.

٨٣ ـ ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ﴾: طائفة ﴿مِّن﴾ أولاد ﴿قَوْمِهِۦ﴾ أي: فرعون ﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ﴾: ـ للعلماء في عود الضمير في (قومه) قولان: أحدهما: أنه يعود على فرعون، وهو ما ذهب إليه الجلال، وأيّد هذا القول ابن كثير، والمراد بـ(ملئهم) كبار قوم فرعون. وثانيهما: أنه يعود على موسىٰ؛ لأنه أقرب مذكور، وأيّد هذا القول ابن جرير وكثير من المفسرين، أي: فما آمن لموسىٰ إلّا أولاد من أولاد قومه بني إسرائيل خوفاً من فرعون وكبار بني إسرائيل الذين كانت لهم مصالح عند فرعون والذين دعاهم موسىٰ فلم يجيبوه. والمراد عندئذ بـ(ملئهم) ملأ بني إسرائيل. والقول الثاني هو الراجح والله أعلم ـ يصرفهم عن دينه بتعذيبه ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ﴾: متكبّرٌ ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: أرض مصر ﴿وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾: المتجاوزين الحدَّ بادعاء الربوبية.

٨٤ ـ ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾. ٨٥ ـ ﴿فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: لا تظهرهم علينا فيظنوا أنهم على الحق فيفتتنوا بنا.

٨٦ ـ ﴿وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

٨٧ ـ ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا﴾: اتَّخذا ﴿لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾: مُصلّىٰ تصلون فيه لتأمنوا من الخوف، وكان فرعون منعهم من الصلاة ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: أتِمُّوها ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بالنصر والجنة.

٨٨ ـ ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا﴾ آتيتهم ذلك ﴿لِيُضِلُّوا۟﴾ في عاقبته ﴿عَن سَبِيلِكَ﴾: دينك ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ﴾: امسخها وأهلكها ﴿وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾: اطبع عليها واستوثق ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾: المؤلم، دعا عليهم وأمَّن هارون على دعائه.

قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ۞ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾

٨٩ - ﴿قَالَ﴾ تعالىٰ: ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ فأُهلكت أموالُهم، ولم يؤمن فرعون حتىٰ أدركه الغرق ﴿فَاسْتَقِيمَا﴾ علىٰ الرسالة والدعوة إلىٰ أن يأتيهم العذاب.

﴿وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ في استعجال قضائي.

٩٠ - ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ﴾: لحِقَهم ﴿فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا﴾، مفعول له.

﴿حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ﴾ أي: بأنه ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾، كرّره ليقبل منه فلم يُقبل، وقيل له:

٩١ - ﴿آلْآنَ﴾ تؤمن ﴿وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ بضلالك وإضلالك عن الإيمان.

٩٢ - ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ﴾: نخرجك من البحر ﴿بِبَدَنِكَ﴾: جسدك الذي لا روح فيه ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ﴾: بعدك ﴿آيَةً﴾: عبرة فيعرفوا عبوديّتك ولا يُقدموا علىٰ مثل فعلك.

وعن ابن عباس أن بعض بني إسرائيل شَكُّوا في موته فأُخرج لهم ليروه.

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ لا يعتبرون بها.

٩٣ - ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا﴾: أنزلنا ﴿بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾: منزل كرامة، وهو الشام ومصر.

﴿وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا﴾ بأن آمن بعض وكفر بعض.

﴿حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من أمر الدين بإنجاء المؤمنين وتعذيب الكافرين.

٩٤ - ﴿فَإِن كُنتَ﴾ يا محمد ﴿فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ من القصص فَرضاً.

﴿فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ﴾: التوراة ﴿مِن قَبْلِكَ﴾ فإنه ثابت عندهم يخبروك بصدقه.

قال ﷺ: «لا أشكُّ ولا أسألُ» ﴿لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾: الشاكّين فيه.

٩٥ - ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

٩٦ - ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ﴾: وجبت ﴿عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ بالعذاب ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

٩٧ - ﴿وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ فلا ينفعهم حينئذ.

فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾

٩٨ ـ ﴿فَلَوْلَا﴾: فهلا ﴿كَانَتْ قَرْيَةٌ﴾ أريد أهلها ﴿ءَامَنَتْ﴾ قبل نزول العذاب بها ﴿فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا﴾: لكن ﴿قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟﴾ عند رؤية أمارة العذاب ولم يؤخِّروا إلىٰ حلوله ﴿كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ انقضاء آجالهم.

٩٩ ـ ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ﴾ بما لم يشأه الله منهم ﴿حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾؟ لا.

١٠٠ ـ ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾: بإرادته.

﴿وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ﴾: العذاب ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾: يتدبرون آيات الله.

١٠١ ـ ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا﴾ أي: الذي ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ من الآيات الدالَّة علىٰ وحدانية الله تعالىٰ.

﴿وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ﴾، جمع نذير، أي: الرسل ﴿عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ في علم الله، أي: ما تنفعهم.

١٠٢ ـ ﴿فَهَلْ﴾: فما ﴿يَنتَظِرُونَ﴾ بتكذيبك ﴿إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم، أي: مثل وقائعهم من العذاب.

﴿قُلْ فَٱنتَظِرُوٓا۟﴾ ذلك ﴿إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾.

١٠٣ ـ ﴿ثُمَّ نُنَجِّى﴾، المضارع لحكاية الحال الماضية ﴿رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ من العذاب.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ الإنجاء ﴿حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: النبيَّ ﷺ وأصحابه حين تعذيب المشركين.

١٠٤ ـ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى﴾ أنه حق ﴿فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره وهو الأصنام لشككم فيه.

﴿وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ﴾ بقبض أرواحكم.

﴿وَأُمِرْتُ أَنْ﴾ أي: بأن ﴿أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

١٠٥ ـ ﴿وَ﴾ قيل لي: ﴿أَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾: مائلاً إليه ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

١٠٦ ـ ﴿وَلَا تَدْعُ﴾: تعبد ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ﴾ إن عبدته ﴿وَلَا يَضُرُّكَ﴾ إن لم تعبده.

﴿فَإِن فَعَلْتَ﴾ ذلك فرضاً ﴿فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾

سُورَةُ هُودٍ (ترتيبها ١١ - آياتها ١٢٣)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٥﴾

١٠٧ ـ ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ﴾: يصبك ﴿ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾ كفقر ومرض ﴿فَلَا كَاشِفَ﴾: رافع ﴿لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ﴾: دافع ﴿لِفَضْلِهِۦ﴾ الذي أرادك به ﴿يُصِيبُ بِهِۦ﴾ أي: بالخير ﴿مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

١٠٨ ـ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ﴾ لأن ثواب اهتدائه له ﴿وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ لأن وبال ضلاله عليها ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ فأجبركم علىٰ الهدىٰ.

١٠٩ ـ ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾ من ربك ﴿وَٱصْبِرْ﴾ علىٰ الدعوة وأذاهم ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ﴾ فيهم بأمره ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾: أعدلهم، وقد صبر حتىٰ حكم علىٰ المشركين بالقتال، وأهل الكتاب بالجزية.

سُورَةُ هُودٍ

مكية إلا (أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ) الآية، أو إلا (فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ) الآية، و(أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ) الآية،

مئة واثنتان ـ أو ثلاث ـ وعشرون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ ـ ﴿الٓر﴾ الله أعلم بمراده بذلك، هذا ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ بعجيب النظم وبديع المعاني ﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾: بُيِّنت بالأحكام والقصص والمواعظ ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ أي: الله.

٢ ـ ﴿أَ﴾نْ أي: بأن ﴿لَا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ﴾ بالعذاب إن كفرتم ﴿وَبَشِيرٌ﴾ بالثواب إن آمنتم.

٣ ـ ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ من الشرك ﴿ثُمَّ تُوبُوٓا۟﴾: ارجعوا ﴿إِلَيْهِ﴾ بالطاعة ﴿يُمَتِّعْكُم﴾ في الدنيا ﴿مَّتَٰعًا حَسَنًا﴾ بطيب عيش وسعة رزق ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ هو الموت ﴿وَيُؤْتِ﴾ في الآخرة ﴿كُلَّ ذِى فَضْلٍ﴾ في العمل ﴿فَضْلَهُۥ﴾: جزاءه ﴿وَإِن تَوَلَّوْا۟﴾، فيه حذف إحدىٰ التاءين، أي: تُعرضوا ﴿فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ هو يوم القيامة.

٤ ـ ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه الثواب والعذاب.

٥ ـ ونزل ـ كما رواه البخاري (٤٦٨٢) عن ابن عباس ـ فيمن كان يستحيي أن يتخلَّىٰ، أو يجامع فيفضي إلىٰ السماء. هذا سبب نزول الآية، والنصّ عام، والعبرة بعموم النصّ، لا بخصوص السبب، فالآية تتحدث عن عداوة المشركين للإسلام والمسلمين، فهم يثنون صدورهم ويطوونها علىٰ عداوة المسلمين وبغضهم وعلىٰ الكفر. يفعلون ذلك بزعمهم الباطل ليستخفوا من الله. وهو سبحانه عليم بذات الصدور لا يخفىٰ عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وقيل في المنافقين: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ﴾ أي: الله ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾: يتغطَّون بها ﴿يَعْلَمُ﴾ تعالىٰ ﴿مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ فلا يغني استخفاؤهم ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ أي: بما في القلوب.

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٦ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۗ وَلَئِن قُلۡتَ إِنَّكُم مَّبۡعُوثُونَ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡمَوۡتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ٧ وَلَئِنۡ أَخَّرۡنَا عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٖ مَّعۡدُودَةٖ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحۡبِسُهُۥٓۗ أَلَا يَوۡمَ يَأۡتِيهِمۡ لَيۡسَ مَصۡرُوفًا عَنۡهُمۡ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٨ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ ثُمَّ نَزَعۡنَٰهَا مِنۡهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٞ كَفُورٞ ٩ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ نَعۡمَآءَ بَعۡدَ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٞ فَخُورٌ ١٠ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ١١ فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٞۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ ١٢﴾

٦ ـ ﴿وَمَا مِن﴾، زائدة ﴿دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ هي ما دبَّ عليها ﴿إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا﴾ تكفَّل به فضلاً منه تعالىٰ ﴿وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا﴾: مسكنها في الدنيا، أو الصُّلب ﴿وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ﴾ بعد الموت، أو الرحم ﴿كُلّٞ﴾ مما ذكر ﴿فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾: بيِّن، هو اللوح المحفوظ.

٧ ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ﴾ أولها الأحد وآخرها الجمعة ﴿وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُوَكُمۡ﴾، متعلق بـ(خلق) أي: خلقهما وما فيهما منافعَ لكم ومصالح ليختبركم ﴿أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۗ﴾ أي: أطوع لله.

﴿وَلَئِن قُلۡتَ﴾ يا محمد لهم: ﴿إِنَّكُم مَّبۡعُوثُونَ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡمَوۡتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ﴾: ما ﴿هَٰذَآ﴾ القرآنُ الناطق بالبعث والذي تقوله ﴿إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾: بيِّن.

٨ ـ ﴿وَلَئِنۡ أَخَّرۡنَا عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابَ إِلَىٰٓ﴾ مجيء ﴿أُمَّةٖ﴾: أوقات ﴿مَّعۡدُودَةٖ لَّيَقُولُنَّ﴾ استهزاء: ﴿مَا يَحۡبِسُهُۥٓۗ﴾: ما يمنعه من النزول؟

قال تعالىٰ: ﴿أَلَا يَوۡمَ يَأۡتِيهِمۡ لَيۡسَ مَصۡرُوفًا﴾: مدفوعاً ﴿عَنۡهُمۡ وَحَاقَ﴾: نزل ﴿بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ من العذاب.

٩ ـ ﴿وَلَئِنۡ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ﴾: غنىً وصحة ﴿ثُمَّ نَزَعۡنَٰهَا مِنۡهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٞ﴾: قنوط من رحمة الله ﴿كَفُورٞ﴾: شديد الكفر به.

١٠ ـ ﴿وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ نَعۡمَآءَ بَعۡدَ ضَرَّآءَ﴾: فقر وشدَّة ﴿مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ﴾: المصائب ﴿عَنِّيٓۚ﴾ ولم يتوقع زوالها ولا شكر عليها.

﴿إِنَّهُۥ لَفَرِحٞ﴾: بَطِرٌ ﴿فَخُورٌ﴾ علىٰ الناس بما أوتي.

١١ ـ ﴿إِلَّا﴾: لكن ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ علىٰ الضراء ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ في النعماء ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾ هو الجنة.

١٢ ـ ﴿فَلَعَلَّكَ﴾ يا محمد ﴿تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ﴾ فلا تبلغهم إياه لتهاونهم به.

﴿وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ﴾ بتلاوته عليهم لأجل ﴿أَن يَقُولُواْ لَوۡلَآ﴾: هلَّا ﴿أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ﴾ يُصدِّقه كما اقترحنا.

﴿إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٞۚ﴾ فلا عليك إلا البلاغ، لا الإتيان بما اقترحوه.

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ﴾: حفيظ فيجازيهم.

أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أُو۟لَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾

١٣ ـ ﴿أَمْ﴾: بل أ﴿يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ أي: القرآن ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ﴾ في الفصاحة والبلاغة ﴿مُفْتَرَيَٰتٍ﴾ فإنكم عربيُّون فصحاء مثلي، تحدَّاهم بها أوّلاً، ثم بسورة ﴿وَٱدْعُوا۟﴾ للمعاونة علىٰ ذلك ﴿مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في أنه افتراء.

١٤ ـ ﴿فَـ﴾إِنْ ﴿لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ﴾ أي: مَن دعوتموهم للمعاونة ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟﴾ خطاب للمشركين ﴿أَنَّمَآ أُنزِلَ﴾ ملتبساً ﴿بِعِلْمِ ٱللَّهِ﴾ وليس افتراءً عليه ﴿وَأَن﴾، مخففة، أي: أنه ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ بعد هذه الحجة القاطعة، أي: أسلِموا.

١٥ ـ ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ بأن أصرَّ علىٰ الشرك، وقيل: هي في المرائين ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ أي: جزاء ما عملوه من خير كصدقة وصلة رحم ﴿فِيهَا﴾ بأن نوسِّعَ عليهم رزقهم ﴿وَهُمْ فِيهَا﴾ أي: الدنيا ﴿لَا يُبْخَسُونَ﴾: ينقصون شيئاً.

١٦ ـ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ﴾: بطل ﴿مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا﴾ أي: الآخرة، فلا ثواب له ﴿وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

١٧ ـ ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾: بيان ﴿مِّن رَّبِّهِۦ﴾ وهو النبي ﷺ، أو المؤمنون، وهي القرآن ﴿وَيَتْلُوهُ﴾: يتبعه ﴿شَاهِدٌ﴾ له بصدقه ﴿مِّنْهُ﴾ أي: من الله، وهو جبريل ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ﴾ أي: القرآن ﴿كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾: التوراة، شاهدٌ له أيضاً ﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾، حال. كمن ليس كذلك؟ لا ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ أي: مَن كان علىٰ بينة ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ أي: بالقرآن، فلهم الجنة ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾: جميع الكفار ﴿فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ﴾: شكٍّ ﴿مِّنْهُ﴾: من القرآن ﴿إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

١٨ ـ ﴿وَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ بنسبة الشريك والولد إليه ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ يوم القيامة في جملة الخلق ﴿وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾، جمع شاهد، وهم الملائكة يشهدون للرسل بالبلاغ، وعلىٰ الكفار بالتكذيب: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: المشركين.

١٩ ـ ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: دين الإسلام ﴿وَيَبْغُونَهَا﴾: يطلبون السبيل ﴿عِوَجًا﴾: معوجة ﴿وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ﴾، تأكيد ﴿كَٰفِرُونَ﴾.

أُولَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۚ مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾

ربع الحزب ٢٣

٢٠ ـ ﴿أُولَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُوا۟ مُعْجِزِينَ﴾ الله ﴿فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾: أنصار يمنعونهم من عذابه.

﴿يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ بإضلالهم غيرهم ﴿مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ﴾ للحق ﴿وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ﴾ه أي: لفرط كراهتهم له كأنهم لم يستطيعوا ذلك.

٢١ ـ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ لمصيرهم إلىٰ النار المؤبدة عليهم.

﴿وَضَلَّ﴾: غاب ﴿عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ علىٰ الله من دعوىٰ الشريك.

٢٢ ـ ﴿لَا جَرَمَ﴾: حقاً ﴿أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾.

٢٣ ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓا۟﴾: سكنوا واطمأنوا، أو أنابوا ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

٢٤ ـ ﴿مَثَلُ﴾: صفة ﴿ٱلْفَرِيقَيْنِ﴾: الكفار والمؤمنين ﴿كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ﴾ هذا مَثل الكافر ﴿وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ﴾ هذا مَثل المؤمن ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾؟ لا ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾، فيه إدغام التاء في الأصل في الذال: تتّعظون.

٢٥ ـ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾ قال: ﴿إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾: بيِّن الإنذار.

٢٦ ـ ﴿أَن﴾ أي: بأن ﴿لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ إن عبدتم غيره ﴿عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾: مؤلم في الدنيا والآخرة.

٢٧ ـ ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾ وهم الأشراف.

﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾ ولا فضل لك علينا.

﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾: أسافلنا، كالحاكة والأساكفة.

﴿بَادِىَ ٱلرَّأْىِ﴾ أي: ابتداءً من غير تفكّر فيك، ونَصبه علىٰ الظرف، أي: وقت حدوث أول رأيهم.

﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ﴾ فتستحقون به الاتّباع منا ﴿بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ﴾ في دعوىٰ الرسالة، أدرجوا قومه معه في الخطاب.

٢٨ ـ ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ﴾: أخبروني ﴿إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾: بيان ﴿مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً﴾: نبوّة ﴿مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ﴾: خفيت ﴿عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾: أنجبركم علىٰ قبولها ﴿وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ﴾؟ لا نقدر علىٰ ذلك.

وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ
أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ
قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ
أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ
أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ
أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ إِنِّيٓ إِذٗا
لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ
جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ
إِنَّمَا يَأۡتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمۡ
نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ
هُوَ رَبُّكُمۡ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ
قُلۡ إِنِ ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجۡرَامِي وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُجۡرِمُونَ ﴿٣٥﴾
وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ
فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا
وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴿٣٧﴾

٢٩ ـ ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾: على تبليغ الرسالة ﴿مَالًاۖ﴾ تعطونيه ﴿إِنۡ﴾: ما ﴿أَجۡرِيَ﴾: ثوابي ﴿إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ﴾ كما أمرتموني.

﴿إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ﴾ بالبعث فيجازيهم ويأخذ لهم ممن ظلمهم وطردهم ﴿وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ﴾ عاقبةَ أمركم.

٣٠ ـ ﴿وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي﴾: يمنعني ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ أي: عذابه ﴿إِن طَرَدتُّهُمۡۚ﴾ أي: لا ناصر لي.

﴿أَفَلَا﴾: فهلّا ﴿تَذَكَّرُونَ﴾؟ بإدغام التاء الثانية في الأصل في الذال: تتّعظون.

٣١ ـ ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ﴾ إني ﴿أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ﴾ بل أنا بشر مثلُكم.

﴿وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ﴾: تحتقر ﴿أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ﴾: قلوبهم ﴿إِنِّيٓ إِذٗا﴾ إن قلت ذلك ﴿لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

٣٢ ـ ﴿قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا﴾: خاصمتنا ﴿فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ به من العذاب ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ فيه.

٣٣ ـ ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأۡتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ﴾ تعجيلَه لكم، فإنَّ أمره إليه لا إليّ.

﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ﴾: بفائتين الله.

٣٤ ـ ﴿وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ﴾ أي: إغواءكم.

وجواب الشرط دلَّ عليه: (وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ) ﴿هُوَ رَبُّكُمۡ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾.

٣٥ ـ قال تعالىٰ: ﴿أَمۡ﴾: بل أ﴿يَقُولُونَ﴾ أي: الكافرون ﴿ٱفۡتَرَىٰهُۖ﴾: اختلق محمد القرآن.

﴿قُلۡ إِنِ ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجۡرَامِي﴾: إثمي، أي: عقوبتُه ﴿وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُجۡرِمُونَ﴾: من إجرامكم في نسبة الافتراء.

٣٦ ـ ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ﴾: تحزن ﴿بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ من الشرك، فدعا عليهم بقوله: (رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ) إلخ، فأجاب الله دعاءه، وقال:

٣٧ ـ ﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ﴾: السفينة ﴿بِأَعۡيُنِنَا﴾: بمرأىً منا وحِفْظِنا ﴿وَوَحۡيِنَا﴾: أمْرِنا.

﴿وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۚ﴾: كفروا بترك إهلاكهم ﴿إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ﴾.

وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٞ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴿٤٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾

نصف الحزب ٢٣

٣٨ ـ ﴿وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ﴾، حكاية حال ماضية ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ﴾: جماعة ﴿مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ﴾: استهزؤوا به ﴿قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ﴾ إذا نجونا وغرقتم.

٣٩ ـ ﴿فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن﴾، موصولة مفعول العلم ﴿يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَيَحِلُّ﴾: ينزل ﴿عَلَيۡهِ عَذَابٞ مُّقِيمٌ﴾: دائم.

٤٠ ـ ﴿حَتَّىٰٓ﴾، غاية للصنع ﴿إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا﴾ بإهلاكهم ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ للخباز بالماء، وكان ذلك علامة لنوح ﴿قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا﴾: في السفينة ﴿مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ﴾ أي: ذكر وأنثىٰ، أي: من كل أنواعهما ﴿ٱثۡنَيۡنِ﴾ ذكراً وأنثىٰ، وهو مفعول، وفي القصة أن الله حشر لنوح السباع والطير وغيرها، فجعل يضرب بيده في كل نوع، فتقع يده اليمنىٰ علىٰ الذكر، واليسرىٰ علىٰ الأنثىٰ، فيحملها في السفينة ﴿وَأَهۡلَكَ﴾ أي: زوجته وأولاده ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ﴾ أي: منهم بالإهلاك، وهو زوجته وولده كنعان، بخلاف سام وحام ويافث، فحملهم وزوجاتهم الثلاثة ﴿وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ﴾ قيل: كانوا ستة رجال ونساءهم، وقيل: جميع من كان في السفينة ثمانون، نصفهم رجال ونصفهم نساء.

٤١ ـ ﴿وَقَالَ﴾ نوح: ﴿ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ﴾ مصدران، أي: جريُها ورسوُّها، أي: منتهىٰ سيرها ﴿إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ حيث لم يهلكنا.

٤٢ ـ ﴿وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ﴾ في الارتفاع والعِظَم ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ﴾ كنعان ﴿وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ﴾ عن السفينة ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾.

٤٣ ـ ﴿قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي﴾: يمنعني ﴿مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾: عذابه ﴿إِلَّا﴾: لكن ﴿مَن رَّحِمَۚ﴾ اللّهُ، فهو المعصوم، قال تعالىٰ: ﴿وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ﴾.

٤٤ ـ ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ﴾ الذي نبع منك، فشربته دون ما نزل من السماء، فصار أنهاراً وبحاراً ﴿وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي﴾: أمسكي عن المطر، فأمسكت ﴿وَغِيضَ﴾: نقص ﴿ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾: تم أمر هلاك قوم نوح ﴿وَٱسۡتَوَتۡ﴾: وقفت السفينة ﴿عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ﴾: جبل بالجزيرة بقرب الموصل ﴿وَقِيلَ بُعۡدٗا﴾: هلاكاً ﴿لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الكافرين.

٤٥ ـ ﴿وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي﴾ كنعان ﴿مِنۡ أَهۡلِي﴾ وقد وعدتني بنجاتهم ﴿وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ﴾ الذي لا خُلْف فيه ﴿وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾: أعلمُهم وأعدلُهم.

قَالَ يَـٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَـٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَـٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَـٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَـٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَـٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَـٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَـٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ يَـٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾

٤٦ ـ ﴿قَالَ﴾ تعالىٰ: ﴿يَـٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ الناجين، أو ليس من أهلك؛ لأنّ مدار الأهلية هو القرابة الدينية فقرابة الدين مقدمة علىٰ قرابة النسب، فهو ليس من أهل دينك، ولا علاقة بين المؤمن والكافر ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَـٰلِحٍ﴾ الضمير يعود علىٰ الابن وأصل الكلام: إنه ذو عمل غير صالح، فجعل ذاته عملاً غير صالح، مبالغة في ذمّه كقول الخنساء تصف ناقة ذهب عنها ولدها:

ترتع ما رتعت حتىٰ إذا ادّكرت
فإنما هي إقبال وإدبار

وفي قراءة: (إنه عَمِلَ غير صالح) بكسر ميم (عمل) ونصب (غير) فالضمير لابنه ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ من إنجاء ابنك ﴿إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ﴾ بسؤالك ما لم تعلم.

٤٧ ـ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ﴾ من ﴿أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى﴾ ما فرط مني ﴿وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾.

٤٨ ـ ﴿قِيلَ يَـٰنُوحُ ٱهْبِطْ﴾: انزل من السفينة ﴿بِسَلَـٰمٍ﴾: بسلامة أو بتحية ﴿مِّنَّا وَبَرَكَـٰتٍ﴾: خيرات ﴿عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ﴾ في السفينة، أي: من أولادهم وذريتهم، وهم المؤمنون ﴿وَأُمَمٌ﴾ ـ بالرفع ـ ممن معك ﴿سَنُمَتِّعُهُمْ﴾ في الدنيا ﴿ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة، وهم الكفار.

٤٩ ـ ﴿تِلْكَ﴾ أي: هذه الآيات المتضمنة قصة نوح ﴿مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ﴾: أخبار ما غاب عنك ﴿نُوحِيهَآ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـٰذَا﴾ القرآن ﴿فَٱصْبِرْ﴾ علىٰ التبليغ وأذىٰ قومك كما صبر نوح ﴿إِنَّ ٱلْعَـٰقِبَةَ﴾ المحمودة ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾.

٥٠ ـ ﴿وَ﴾ أرسلنا ﴿إِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ﴾ من القبيلة ﴿هُودًا ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾: وحّدوه ﴿مَا لَكُم مِّنْ﴾، زائدة ﴿إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ﴾: ما ﴿أَنتُمْ﴾ في عبادتكم الأوثانَ ﴿إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾: كاذبون علىٰ الله.

٥١ ـ ﴿يَـٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾: علىٰ التوحيد ﴿أَجْرًا ۖ إِنْ﴾: ما ﴿أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ﴾: خلقني ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

٥٢ ـ ﴿وَيَـٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ من الشرك ﴿ثُمَّ تُوبُوٓا۟﴾: ارجعوا ﴿إِلَيْهِ﴾ بالطاعة ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ﴾: المطر، وكانوا قد مُنعوه ﴿عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾: كثير الدرور ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ﴾: مع ﴿قُوَّتِكُمْ﴾ بالمال والولد ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ﴾: مشركين.

٥٣ ـ ﴿قَالُوا۟ يَـٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾: برهان علىٰ قولك ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ﴾ أي: لقولك ﴿وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾.

إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍۗ قَالَ إِنِّيٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔاۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٞ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٖ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٖ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٞۖ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْاْ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةٗ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ عَادٗا كَفَرُواْ رَبَّهُمْۗ أَلَا بُعْدٗا لِّعَادٖ قَوْمِ هُودٖ ﴿٦٠﴾ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ ﴿٦١﴾ قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوّٗا قَبْلَ هَٰذَآۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٖ ﴿٦٢﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٢٣

٥٤ ـ ﴿إن﴾: ما ﴿نَقُولُ﴾ في شأنك ﴿إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ﴾: أصابك ﴿بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍۗ﴾ فخبلك لسبِّك إياها فأنت تهذي ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ﴾ عليَّ ﴿وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ه به.

٥٥ ـ ﴿مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي﴾: احتالوا في هلاكي ﴿جَمِيعٗا﴾ أنتم وأوثانكم ﴿ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾: تُمهلون.

٥٦ ـ ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن﴾، زائدة ﴿دَآبَّةٍ﴾: نَسَمة تدبُّ على الأرض ﴿إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ﴾ أي: مالكها وقاهرها، فلا نفع ولا ضرر إلا بإذنه، وخصَّ الناصية بالذكر لأن مَن أُخذ بناصيته يكون في غاية الذل ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ﴾ أي: طريق الحق والعدل.

٥٧ ـ ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾، فيه حذف إحدى التاءين، أي: تُعرضوا ﴿فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔاۚ﴾ بإشراككم ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٞ﴾: رقيب.

٥٨ ـ ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾: عذابنا ﴿نَجَّيْنَا هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٖ﴾: هداية ﴿مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٖ﴾: شديد.

٥٩ ـ ﴿وَتِلْكَ عَادٞۖ﴾، إشارة إلى آثارهم، أي: فسيحوا في الأرض وانظروا إليها، ثم وصف أحوالهم، فقال: ﴿جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْاْ رُسُلَهُۥ﴾، جمع، لأن من عصى رسولاً عصى جميع الرسل لاشتراكهم في أصل ما جاؤوا به، وهو التوحيد ﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ﴾ أي: السفلة ﴿أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ﴾: معاند للحق من رؤسائهم.

٦٠ ـ ﴿وَأُتْبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةٗ﴾ من الناس ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ﴾ لعنةً على رؤوس الخلائق ﴿أَلَآ إِنَّ عَادٗا كَفَرُواْ﴾: جحدوا ﴿رَبَّهُمْۗ أَلَا بُعْدٗا﴾ من رحمة الله ﴿لِّعَادٖ قَوْمِ هُودٖ﴾.

٦١ ـ ﴿وَ﴾ أرسلنا ﴿إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ﴾ من القبيلة ﴿صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾: وحِّدوه ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم﴾: ابتدأ خلقكم ﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ بخلق أبيكم آدم منها ﴿وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾: جعلكم عُمَّاراً تسكنون بها ﴿فَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾ من الشرك ﴿ثُمَّ تُوبُوٓاْ﴾: ارجعوا ﴿إِلَيْهِۚ﴾ بالطاعة ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ﴾ من خلقه بعلمه ﴿مُّجِيبٞ﴾ لمن سأله.

٦٢ ـ ﴿قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوّٗا﴾: نرجو أن تكون سيداً ﴿قَبْلَ هَٰذَآۖ﴾ الذي صدر منك ﴿أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ من الأوثان ﴿وَإِنَّنَا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ﴾ من التوحيد ﴿مُرِيبٖ﴾: مُوقِع في الرَّيْب.

قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَـٰقَوْمِ هَـٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ ثَلَـٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَـٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَـٰمًا قَالَ سَلَـٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَـٰهَا بِإِسْحَـٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَـٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾

٦٣ - ﴿قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾: بيان ﴿مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنْهُ رَحْمَةً﴾: نبوة.

﴿فَمَن يَنصُرُنِي﴾: يمنعني ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ أي: عذابه ﴿إِنْ عَصَيْتُهُۥ فَمَا تَزِيدُونَنِي﴾ بأمركم لي بذلك ﴿غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾: تضليل.

٦٤ - ﴿وَيَـٰقَوْمِ هَـٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾، حال، عامله الإشارة.

﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾: عقْر ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ إن عقرتموها.

٦٥ - ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ عقرها قُدار بأمرهم.

﴿فَقَالَ﴾ صالح: ﴿تَمَتَّعُواْ﴾: عيشوا ﴿فِي دَارِكُمْ ثَلَـٰثَةَ أَيَّامٍ﴾ ثم تهلكون ﴿ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ فيه.

٦٦ - ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ بإهلاكهم.

﴿نَجَّيْنَا صَـٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ وهم أربعة آلاف ﴿بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَ﴾ نجّيناهم ﴿مِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ﴾، بكسر الميم.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ﴾: الغالب.

٦٧ - ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ﴾: باركين على الركب ميتين.

٦٨ - ﴿كَأَن﴾، مخففة واسمها محذوف، أي: كأنهم ﴿لَّمْ يَغْنَوْاْ﴾: يُقيموا ﴿فِيهَآ﴾: في دارهم.

﴿أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾.

٦٩ - ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ﴾ بإسحاق ويعقوب بعده.

﴿قَالُواْ سَلَـٰمًا﴾، مصدر ﴿قَالَ سَلَـٰمٌ﴾ عليكم ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾: مشوي.

٧٠ - ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ﴾ بمعنى أنكرهم.

﴿وَأَوْجَسَ﴾: أضمر في نفسه ﴿مِنْهُمْ خِيفَةً﴾: خوفاً.

﴿قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾ لنهلكهم.

٧١ - ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ﴾ أي: امرأة إبراهيم سارة ﴿قَآئِمَةٌ﴾ تخدُمهم ﴿فَضَحِكَتْ﴾ استبشاراً بهلاكهم.

﴿فَبَشَّرْنَـٰهَا بِإِسْحَـٰقَ وَمِن وَرَآءِ﴾: بعد ﴿إِسْحَـٰقَ يَعْقُوبَ﴾ ولده، تعيش إلى أن تراه.

قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾

٧٢ ـ ﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ﴾ كلمة تقال عند أمر عظيم، والألف مبدلة من ياء الإضافة ﴿ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا﴾، ونصبه على الحال، والعامل فيه ما في (ذا) من الإشارة ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ﴾ أن يولد ولد لهرمين.

٧٣ ـ ﴿قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾: قدرته ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ يا ﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾: بيت إبراهيم ﴿إِنَّهُۥ حَمِيدٌ﴾: محمود ﴿مَّجِيدٌ﴾: كريم.

٧٤ ـ ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ﴾: الخوف ﴿وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾ بالولد، أخذ ﴿يُجَٰدِلُنَا﴾: يجادل رسلنا ﴿فِى﴾ شأن ﴿قَوْمِ لُوطٍ﴾.

٧٥ ـ ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ﴾: كثير الأناة ﴿أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾: رجّاع، فقال لهم: أتهلكون قرية فيها ثلاث مئة مؤمن؟ قالوا: لا، قال: أفتُهلكون قريةً فيها مئتا مؤمن؟ قالوا: لا، قال: أفتهلكون قرية فيها أربعون مؤمناً؟ قالوا: لا، قال: أفتهلكون قرية فيها أربعة عشر مؤمناً؟ قالوا: لا، قال: أفرأيتم إن كان فيها مؤمن واحد؟ قالوا: لا، قال: إن فيها لوطاً؟ قالوا: نحن أعلمُ بمن فيها... إلخ.

٧٦ ـ فلما أطال مجادلتهم قالوا: ﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ﴾ الجدال ﴿إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ بهلاكهم ﴿وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾.

٧٧ ـ ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ﴾: حزنَ بسببهم ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾: صدراً لأنهم حسان الوجوه في صورة أضياف، فخاف عليهم قومَه ﴿وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾: شديد.

٧٨ ـ ﴿وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ﴾ لما علموا بهم ﴿يُهْرَعُونَ﴾: يسرعون ﴿إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ﴾: قبل مجيئهم ﴿كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ وهي إتيان الرجال في الأدبار ﴿قَالَ﴾ لوط: ﴿يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى﴾ فتزوجوهن ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ﴾: تَفضحون ﴿فِى ضَيْفِىٓ﴾: أضيافي ﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر؟.

٧٩ ـ ﴿قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾: حاجة ﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ من إتيان الرجال.

٨٠ ـ ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً﴾: طاقة ﴿أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾: عشيرة تنصُرني، لبطشتُ بكم.

٨١ ـ فلما رأت الملائكة ذلك ﴿قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ﴾ بسوء ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ﴾: طائفة ﴿مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾ لئلا يرىٰ عظيم ما ينزل بهم ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ﴾، بالنصب استثناء من الأهل، أي: فلا تُسْرِ بها ﴿إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ﴾ فقيل: لم يخرج بها، وقيل: خرجت والتفتت، فقالت: واقوماه، فجاءها حجر فقتلها، وسألهم عن وقت هلاكهم، فقالوا: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ﴾ فقال: أريد أعجل من ذلك، قالوا: ﴿أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾؟

فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَـٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ ۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَـٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ يَـٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَـٰٓؤُا۟ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَـٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾

الحزب ٢٤

٨٢ ـ ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ بإهلاكهم ﴿جَعَلْنَا عَـٰلِيَهَا﴾ أي: قراهم ﴿سَافِلَهَا﴾ أي: قلبناها رأساً علىٰ عقب فجعلنا عاليها سافلها.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾: طين طُبخ بالنار ﴿مَّنضُودٍ﴾: متتابع.

٨٣ ـ ﴿مُّسَوَّمَةً﴾: مُعلَمة ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾، ظرف لها ﴿وَمَا هِىَ﴾: الحجارة، أو بلادهم ﴿مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾.

٨٤ ـ ﴿وَ﴾ أرسلنا ﴿إِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾: وحِّدوه ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ﴾: نعمة تغنيكم عن التطفيف.

﴿وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ إن لم تؤمنوا ﴿عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ بكم يهلككم، ووصْفُ اليوم به مجاز لوقوعه فيه.

٨٥ ـ ﴿وَيَـٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ﴾: أتموهما ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾: بالعدل.

﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾: لا تنقصوهم من حقهم شيئاً.

﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ بالقتل وغيره من (عَثِي) بكسر المثلثة: أفسد، و(مفسدين) حال مؤكِّدة لمعنى عاملها: (تَعْثَوْا).

٨٦ ـ ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ﴾: رزقُه الباقي لكم بعد إيفاء الكيل والوزن ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من البَخْس ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾: رقيب أُجازيكم بأعمالكم إنما بُعثت نذيراً.

٨٧ ـ ﴿قَالُوا۟﴾ له استهزاءً: ﴿يَـٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ﴾ بتكليف ﴿أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ﴾ من الأصنام ﴿أَوْ﴾ نترك ﴿أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَـٰٓؤُا۟﴾؟

المعنىٰ: هذا أمرٌ باطل لا يدعو إليه داع بخير ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ قالوا ذلك استهزاء.

٨٨ ـ ﴿قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾: حلالاً أفأشُوبُه بالحرام من البخْس والتطفيف؟

﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ﴾ وأذهب ﴿إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ فأرتكبه.

﴿إِنْ﴾: ما ﴿أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَـٰحَ﴾ لكم بالعدل ﴿مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِىٓ﴾: قدرتي علىٰ ذلك وغيره من الطاعات ﴿إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾: أرجع.

وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ۖ إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ ۖ وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾

٨٩ ـ ﴿وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾: يكسبنكم ﴿شِقَاقِيٓ﴾: خلافي، فاعل (يَجْرِمُ)، والضمير مفعول أول، والثاني: ﴿أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ﴾ من العذاب.

﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ﴾ أي: منازلهم، أو زمن هلاكهم ﴿مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾ فاعتبروا.

٩٠ ـ ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ﴾ بالمؤمنين ﴿وَدُودٌ﴾: محبٌّ لهم.

٩١ ـ ﴿قَالُوا۟﴾ إيذاناً بقلة المبالاة:

﴿يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ﴾: نفهم ﴿كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾: ذليلاً ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ﴾: عشيرتك ﴿لَرَجَمْنَٰكَ﴾ بالحجارة.

﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾: كريم عن الرجم، وإنما رهطك هم الأعزة.

٩٢ ـ ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ فتتركوا قتلي لأجلهم ولا تحفظوني لله ﴿وَٱتَّخَذْتُمُوهُ﴾ أي: الله ﴿وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا﴾: منبوذاً خلف ظهوركم لا تراقبونه.

﴿إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ علماً فيجازيكم.

٩٣ ـ ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾: حالتكم.

﴿إِنِّى عَٰمِلٌ﴾ على حالتي ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن﴾، موصولة، مفعول العلم ﴿يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ ۖ وَٱرْتَقِبُوٓا۟﴾: انتظروا عاقبة أمركم ﴿إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾: منتظر.

٩٤ ـ ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ بإهلاكهم ﴿نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ﴾.

قال ابن كثير: ذكر هاهنا: أنهم أتتهم صيحة، وفي الأعراف: رجفة، وفي الشعراء: عذاب يوم الظُّلة.

وهم أمة واحدة، اجتمع عليهم يوم عذابهم هذه النِّقم كُلّها.

وإنما ذكر في كل سياق ما يناسبه. ﴿فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾: باركين على الرُّكب ميتين.

٩٥ ـ ﴿كَأَن﴾، مخففة، أي: كأنهم ﴿لَّمْ يَغْنَوْا۟﴾: يقيموا ﴿فِيهَآ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾.

٩٦ ـ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾: برهان بَيِّن ظاهر.

٩٧ ـ ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾: سديد.

يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾

ربع الحزب ٢٤

٩٨ ـ ﴿يَقْدُمُ﴾: يتقدم ﴿قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ فيتّبعونه كما اتّبعوه في الدنيا ﴿فَأَوْرَدَهُمُ﴾: أدخلهم ﴿ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ﴾ هي.

٩٩ ـ ﴿وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِۦ﴾ أي: الدنيا ﴿لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ﴾ لعنةً ﴿بِئْسَ ٱلرِّفْدُ﴾: العون ﴿ٱلْمَرْفُودُ﴾ رِفْدُهم.

١٠٠ ـ ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور، مبتدأ، خبره: ﴿مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ﴾ يا محمد ﴿مِنْهَا﴾ أي: القرىٰ ﴿قَآئِمٌ﴾: هلك أهله دونه ﴿وَ﴾ منها ﴿حَصِيدٌ﴾: هلك بأهله، فلا أثر له كالزرع المحصود بالمناجل.

١٠١ ـ ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ﴾ بإهلاكهم بغير ذنب ﴿وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ۖ﴾ بالشرك ﴿فَمَآ أَغْنَتْ﴾: دفعت ﴿عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ﴾: يعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿مِن﴾، زائدة ﴿شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ﴾: عذابه ﴿وَمَا زَادُوهُمْ﴾ بعبادتهم لها ﴿غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾: تخسير.

١٠٢ ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: مثل ذلك الأخذ ﴿أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ﴾ أريد أهلها ﴿وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ﴾ بالذنوب، أي: فلا يغني عنهم من أخذه شيء ﴿إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ روىٰ البخاري (٤٦٨٦) ومسلم (٢٥٨٣) عن أبي موسىٰ الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لَيُملي للظالم حتىٰ إذا أخذه لم يُفلِته» ثم قرأ رسول الله ﷺ: (وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ...) الآية.

١٠٣ ـ ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ المذكور من القصص ﴿لَءَايَةً﴾: لعبرة ﴿لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ﴾ أي: يوم القيامة ﴿يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ﴾: فيه ﴿ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾: يشهده جميع الخلائق.

١٠٤ ـ ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ﴾: لوقت معلوم عند الله.

١٠٥ ـ ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ ذلك اليوم ﴿لَا تَكَلَّمُ﴾، فيه حذف إحدىٰ التاءين ﴿نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ﴾ تعالىٰ ﴿فَمِنْهُمْ﴾ أي: الخلق ﴿شَقِىٌّ وَ﴾ منهم ﴿سَعِيدٌ﴾ كُتب كلٌّ في الأزل.

١٠٦ ـ ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟﴾ في علمه تعالىٰ ﴿فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾: صوت شديد ﴿وَشَهِيقٌ﴾: صوت ضعيف.

١٠٧ ـ ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ أي: مدة دوامهما في الدنيا ﴿إِلَّا﴾: غير ﴿مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ﴾ من الزيادة علىٰ مدتهما مما لا منتهىٰ له، والمعنىٰ: خالدين فيها أبداً ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾.

١٠٨ ـ ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا﴾: غير ﴿مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ﴾ كما تقدم، ودل عليه فيهم قوله: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾: مقطوع، وما تقدم من التأويل هو الذي ظهر، وهو خالٍ من التكلف، والله أعلم بمراده.

فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ ۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓا إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا مَآ أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾

١٠٩ ـ ﴿فَلَا تَكُ﴾ يا محمد ﴿فِي مِرْيَةٍ﴾: شك ﴿مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ من الأصنام إنا نعذبهم كما عذبنا من قبلهم، وهذا تسلية للنبي ﷺ ﴿مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم﴾ أي: كعبادتهم ﴿مِّن قَبْلُ﴾ وقد عذبناهم ﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ﴾ مثلهم ﴿نَصِيبَهُمْ﴾: حظهم من العذاب ﴿غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾ أي: تامًا.

١١٠ ـ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾: التوراة ﴿فَٱخْتُلِفَ فِيهِ﴾ بالتصديق والتكذيب كالقرآن ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ بتأخير الحساب والجزاء للخلائق إلىٰ يوم القيامة ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ في الدنيا فيما اختلفوا فيه ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ أي: المكذبين به ﴿لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾: مُوقع في الريبة.

١١١ ـ ﴿وَإِنَّ كُلًّا﴾ أي: كل الخلائق ﴿لَّمَّا﴾ بتشديد (لما) ﴿لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ أي: جزاءها ﴿إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾: عالم ببواطنه كظواهره.

١١٢ ـ ﴿فَٱسْتَقِمْ﴾ علىٰ العمل بأمر ربك والدعاء إليه ﴿كَمَآ أُمِرْتَ وَ﴾ ليستقم ﴿مَن تَابَ﴾: آمن ﴿مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا﴾: تُجاوزوا حدود الله ﴿إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم.

١١٣ ـ ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا﴾: تميلوا ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بمودة، أو مداهنة، أو رضًى بأعمالهم ﴿فَتَمَسَّكُمُ﴾: تصيبكم ﴿ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿مِنْ﴾، زائدة ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ يحفظونكم منه ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾: تُمنعون من عذابه.

١١٤ ـ ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾: الغداة والعشي، أي: الصبح والظهر والعصر ﴿وَزُلَفًا﴾، جمع زُلفة، أي: طائفة ﴿مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾: المغرب والعشاء ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ﴾ كالصلوات الخمس ﴿يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: الذنوب الصغائر، ﴿ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾: عظة للمتعظين.

١١٥ ـ ﴿وَٱصْبِرْ﴾ يا محمد علىٰ أذىٰ قومك، أو علىٰ الصلاة ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ بالصبر علىٰ الطاعة.

١١٦ ـ ﴿فَلَوْلَا﴾: فهلّا ﴿كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ﴾: الأمم الماضية ﴿مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ﴾: أصحاب دِين وفضل ﴿يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ المراد به النفي، أي: ما كان فيهم ذلك ﴿إِلَّا﴾: لكن ﴿قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ نَهوا فنجَوا، و(منْ) للبيان ﴿وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بالفساد وترك النهي ﴿مَآ أُتْرِفُوا﴾: نعموا ﴿فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾.

١١٧ ـ ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾ منه لها ﴿وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾: مؤمنون.

وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾

سُورَةُ يُوسُفَ (ترتيبها ١٢ — آياتها ١١١)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾

١١٨ ـ ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾: أهل دين واحد ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ في الدين.

١١٩ ـ ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾: أراد لهم الخير فلا يختلفون فيه ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ أي: أهل الاختلاف له وأهل الرحمة لها ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ وهي: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ﴾: الجنّ ﴿وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾.

١٢٠ ـ ﴿وَكُلًّا﴾ نُصب بـ(نَقُصُّ)، وتنوينه عوض عن المضاف إليه، أي: كل ما يُحتاج إليه ﴿نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا﴾، بدل من (كلًّا) ﴿نُثَبِّتُ﴾: نطمئن ﴿بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾: قلبك ﴿وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ﴾ الأنباء، أو الآيات ﴿ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ خُصوا بالذكر لانتفاعهم بها في الإيمان، بخلاف الكفار.

١٢١ ـ ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾: حالتكم ﴿إِنَّا عَٰمِلُونَ﴾ علىٰ حالتنا، تهديد لهم.

١٢٢ ـ ﴿وَٱنتَظِرُوٓا۟﴾ عاقبة أمركم ﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ ذلك.

١٢٣ ـ ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: عِلمُ ما غاب فيهما ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ﴾: يُردُّ ﴿ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ فينتقم ممن عصىٰ ﴿فَٱعْبُدْهُ﴾: وحِّدْهُ ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾: ثِقْ به فإنه كافيك ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

سُورَةُ يُوسُفَ

مكية، مئة وإحدى عشرة آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ ـ ﴿الٓر﴾ الله أعلم بمراده بذلك ﴿تِلْكَ﴾: هذه الآيات ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾: القرآن، والإضافة بمعنىٰ مِن ﴿ٱلْمُبِينِ﴾: المظهر للحق من الباطل.

٢ ـ ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ بلغة العرب ﴿لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: تفهمون معانيه.

٣ ـ ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ﴾: بإيحائنا ﴿إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن﴾، مخففة، أي: وإنه ﴿كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾.

٤ ـ اذكر ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ﴾ يعقوب: ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾، بالكسر دلالة علىٰ ياء الإضافة المحذوفة ﴿إِنِّي رَأَيْتُ﴾ في المنام ﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ﴾، تأكيد ﴿لِي سَٰجِدِينَ﴾، جُمع بالياء والنون للوصف بالسجود الذي هو من صفات العقلاء.

قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ ۞ لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۬نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا۟ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾

٥ ـ ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا﴾: يحتالون في هلاكك حسداً لعلمهم بتأويلها من أنهم الكواكب، والشمس أمك، والقمر أبوك ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾: ظاهر العداوة.

٦ ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما رأيت ﴿يَجْتَبِيكَ﴾: يختارك ﴿رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾: تعبير الرؤيا.

﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ﴾ بالنبوة ﴿وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾: أولاده.

﴿كَمَآ أَتَمَّهَا﴾ بالنبوة ﴿عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه بهم.

٧ ـ ﴿لَّقَدْ كَانَ فِى﴾ خبر ﴿يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ﴾ وهم أحد عشر ﴿ءَايَٰتٌ﴾: عِبَر ﴿لِّلسَّآئِلِينَ﴾ عن خبرهم.

٨ ـ اذكر ﴿إِذْ قَالُوا۟﴾ أي: بعض أخوة يوسف لبعضهم: ﴿لَيُوسُفُ﴾، مبتدأ ﴿وَأَخُوهُ﴾: شقيقه بنيامين ﴿أَحَبُّ﴾، خبر ﴿إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾: جماعة ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ﴾: خطأ ﴿مُّبِينٍ﴾: بيِّن بإيثارهما علينا.

٩ ـ ﴿ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾ أي: بأرض بعيدة ﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾ بأن يُقبل عليكم ولا يلتفت لغيركم.

﴿وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي: بعد قتل يوسف أو طرحه ﴿قَوْمًا صَٰلِحِينَ﴾ بأن تتوبوا.

١٠ ـ ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ﴾ هو يهوذا: ﴿لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ﴾: اطرحوه ﴿فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾: مُظلِم البئر.

﴿يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ﴾: المسافرين ﴿إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ ما أردتم من التفريق فاكتفوا بذلك.

١١ ـ ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۬نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ﴾: لقائمون بمصالحه.

١٢ ـ ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا﴾ إلىٰ الصحراء ﴿يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾: ينشط ويرتع ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾.

١٣ ـ ﴿قَالَ إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُوا۟﴾ أي: ذهابكم ﴿بِهِۦ﴾ لفراقه.

﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾، المراد به الجنس، وكانت أرضهم كثيرة الذئاب ﴿وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ﴾: مشغولون.

١٤ ـ ﴿قَالُوا۟ لَئِنْ﴾، لام قسم ﴿أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾: جماعة.

﴿إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾: عاجزون، فأرسله معهم.

فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾

١٥ - ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا﴾: عزموا ﴿أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾ وجواب (لما) محذوف، أي: فعلوا ذلك بأن نزعوا قميصه بعد ضربه وإهانته وإرادة قتله وأدلوه، ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ﴾ في الجُبِّ وحيَ حقيقة وله سبع عشرة سنة أو دونها تطميناً لقلبه ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُم﴾ بعد اليوم ﴿بِأَمْرِهِمْ﴾: بصنيعهم ﴿هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بك حال الإنباء.

١٦ - ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً﴾: وقت المساء ﴿يَبْكُونَ﴾.

١٧ - ﴿قَالُوا يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾: نرمي ﴿وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا﴾: ثيابنا ﴿فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ﴾: بمصدق ﴿لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾ عندك، لاتَّهمْتَنا في هذه القصة لمحبة يوسف، فكيف وأنت تُسيءُ الظنَّ بنا؟

١٨ - ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ﴾ أي: فوقه ﴿بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ أي: ذي كذب بأن ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وذَهلوا عن شقه، وقالوا: إنه دمه ﴿قَالَ﴾ يعقوب لما رآه صحيحاً وعلم كذبهم: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ﴾: زيّنت ﴿لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ ففعلتموه به ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾: لا جزع فيه، وهو خبر مبتدأ محذوف، أي: أمري. ﴿وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ﴾: المطلوب منه العون ﴿عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾: تذكرون من أمر يوسف.

١٩ - ﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ﴾: مسافرون من مدين إلىٰ مصر، فنزلوا قريباً من جُبِّ يوسف ﴿فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ﴾: الذي يرد الماء ليستقي منه ﴿فَأَدْلَىٰ﴾: أرسل ﴿دَلْوَهُۥ﴾ في البئر فتعلق بها يوسف، فأخرجه، فلما رآه ﴿قَالَ يَٰبُشْرَىٰ﴾ ونداؤها مجاز، أي: احضري فهذا وقتك ﴿هَٰذَا غُلَٰمٌ﴾ فعلم به إخوته فأتوه ﴿وَأَسَرُّوهُ﴾ أي: أخفوا أمره جاعليه ﴿بِضَٰعَةً﴾ بأن قالوا: هذا عبدنا أبقَ، وسكت يوسف خوفاً أن يقتلوه ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾.

٢٠ - ﴿وَشَرَوْهُ﴾: باعوه منهم ﴿بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ﴾: قليل ﴿دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ عشرين، أو اثنتين وعشرين ﴿وَكَانُوا﴾ أي: إخوته ﴿فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾ فجاءت به السيارة إلىٰ مصر، فباعه الذي اشتراه بعشرين ديناراً وزوجَي نعل وثوبين.

٢١ - ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ﴾ وهو قطفير العزيز ﴿لِٱمْرَأَتِهِۦٓ﴾ زليخا: ﴿أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ﴾: مُقامه عندنا ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ وكان حصوراً ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما نجيناه من القتل والجُبِّ وعطَّفنا عليه قلب العزيز ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أرض مصر حتىٰ بلغ ما بلغ ﴿وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾: تعبير الرؤيا، عطف علىٰ مقدر متعلق بـ(مكّنا) أي: لنملّكه، أو الواو زائدة ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾ تعالىٰ لا يُعجزه شيء ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ وهم الكفار ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

٢٢ - ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ﴾ وهو ثلاثون سنة، أو وثلاث ﴿ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا﴾: حكمة ﴿وَعِلْمًا﴾: فقهاً في الدين قبل أن يبعث نبياً ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما جزيناه ﴿نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ لأنفسهم.

وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾ ۞ وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٣٠﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٢٤

٢٣ ـ ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا﴾ هي زليخا ﴿عَن نَّفۡسِهِۦ﴾ أي: طلبت منه أن يواقعها ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ﴾ للبيت ﴿وَقَالَتۡ﴾ له: ﴿هَيۡتَ لَكَۚ﴾ أي: هلمَّ، واللام للتبيين ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ﴾: أعوذ بالله من ذلك ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي: الذي اشتراني ﴿رَبِّيٓ﴾: سيدي ﴿أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ﴾: مُقامي، فلا أخونه في أهله ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي: الشأن ﴿لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: الزناة.

٢٤ ـ ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ﴾: قصدت منه الجماع ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾: قصد ذلك ﴿لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ﴾ أي: لولا أن رأىٰ من آيات الله ما زجره عمّا كان همّ به.

وجواب لولا: لجامعها ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أريناه البرهان ﴿لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ﴾: الخيانة ﴿وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ﴾: الزنىٰ ﴿إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ أي: المختارين.

٢٥ ـ ﴿وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ﴾: بادر إليه يوسف للفرار، وهي للتشبث به، فأمسكت ثوبه وجذبته إليها ﴿وَقَدَّتۡ﴾: شَقّتْ ﴿قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا﴾: وجدا ﴿سَيِّدَهَا﴾: زوجها ﴿لَدَا ٱلۡبَابِۚ﴾ فنزّهت نفسها ثم ﴿قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا﴾: زنًى ﴿إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ﴾: يحبس، أي: سجنٌ ﴿أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾: مؤلم بأن يُضرب.

٢٦ ـ ﴿قَالَ﴾ يوسف متبرئاً: ﴿هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ﴾: ابنُ عمها، فقال: ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ﴾: قُدّام ﴿فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾.

٢٧ ـ ﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ﴾: خلف ﴿فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.

٢٨ ـ ﴿فَلَمَّا رَءَا﴾ زوجها ﴿قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ﴾ أي: قولُكِ: ما جزاءُ من أراد... إلخ ﴿مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ﴾ أيها النساء ﴿عَظِيمٞ﴾.

٢٩ ـ ثم قال: يا ﴿يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ﴾ الأمر، ولا تذكره لئلا يشيع.

﴿وَٱسۡتَغۡفِرِي﴾ يا زليخا ﴿لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ﴾: الآثمين، واشتهر الخبر وشاع.

٣٠ ـ ﴿وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ﴾ مدينة مصر: ﴿ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا﴾: عبدها ﴿عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ﴾، تمييز، أي: دخل حبه شَغافَ قلبها، أي: غلافه.

﴿إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ﴾: خطأ ﴿مُّبِينٖ﴾: بيِّن بحبها إياه.

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ
كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ
وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ
كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن
نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا
مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ
إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ
﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ
ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ
حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَآ
إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ
رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا
بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ إِنِّى تَرَكْتُ
مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾

٣١ - ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾: غيبتهنَّ لها ﴿أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ﴾: أعدَّت ﴿لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا﴾ مجلساً فيه مفارش ووسائد يتكئن عليها، وقدمت لهن طعاماً يقطع بالسكين ﴿وَءَاتَتْ﴾: أعطت ﴿كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ﴾ ليوسف: ﴿ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ﴾: أعظمنه ﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ بالسكاكين، ولم يشعرن بالألم لشغل قلبهن بيوسف ﴿وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ﴾: تنزيهاً له ﴿مَا هَٰذَا﴾ أي: يوسف ﴿بَشَرًا إِنْ﴾: ما ﴿هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ لما حواه من الحُسن الذي لا يكون عادة في النَّسَمَة البشرية، وفي الحديث الصحيح الذي أخرجه مسلم (١٦٢) أنه أُعطيَ شطرَ الحُسن.

٣٢ - ﴿قَالَتْ﴾ امرأة العزيز لما رأت ما حلَّ بهن: ﴿فَذَٰلِكُنَّ﴾: فهذا هو ﴿ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾: في حبِّه، بيان لعذرها ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ﴾: امتنع ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ﴾ به ﴿لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾: الذليلين، فقلن له: أطع مولاتك.

٣٣ - ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ﴾: أَمِلْ ﴿إِلَيْهِنَّ وَأَكُن﴾: أَصِرْ ﴿مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾: المذنبين، والقصد بذلك الدعاء، فلذا قال تعالىٰ:

٣٤ - ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ دعاءه ﴿فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ للقول ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بالفعل.

٣٥ - ﴿ثُمَّ بَدَا﴾: ظهر ﴿لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ﴾ الدالات علىٰ براءة يوسف أن يسجنوه، دل علىٰ هذا: ﴿لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ﴾: إلىٰ ﴿حِينٍ﴾ ينقطع فيه كلام الناس، فسُجن.

٣٦ - ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ﴾: غلامان للملك، أحدهما ساقيه، والآخر صاحب طعامه، فرأياه يَعبر الرؤيا ﴿قَالَ أَحَدُهُمَآ﴾ وهو الساقي: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ أي: عنباً ﴿وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ﴾ وهو صاحب الطعام: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا﴾ خبِّرنا ﴿بِتَأْوِيلِهِۦٓ﴾: بتعبيره ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

٣٧ - ﴿قَالَ﴾ لهما مخبراً أنه عالم بتعبير الرؤيا: ﴿لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا﴾ أي: فكان ينبئهما بما يحمل إليهما من الطعام في السجن قبل أن يأتيهما ويصفه لهما، ويقول اليوم يأتيكما طعام من صفته كيت وكيت فيجدانه كما أخبرهما وجعل ذلك تخلصاً إلىٰ أن يذكر لهما التوحيد، ويعرض عليهما الإيمان، ويزينه لهما، ويقبح إليهما الشرك بالله. ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ﴾، فيه حثٌّ علىٰ إيمانهما، ثم قواه بقوله: ﴿إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ﴾: دين ﴿قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ﴾، تأكيد ﴿كَٰفِرُونَ﴾.

وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُۥ خَمْرًاۖ وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَٰيَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾

٣٨ ـ ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ مَا كَانَ﴾ ينبغي ﴿لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن﴾، زائدة ﴿شَيْءٍۚ﴾ لعصمتنا ﴿ذَٰلِكَ﴾ التوحيد ﴿مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ وهم الكفار ﴿لَا يَشْكُرُونَ﴾ اللّه، فيشركون.

٣٩ ـ ثم صرح بدعائهما إلىٰ الإيمان فقال: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ﴾: ساكني ﴿ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ خير؟ استفهام تقرير.

٤٠ ـ ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي: غيره ﴿إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ﴾.

سميتم بها أصناماً ﴿أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا﴾: بعبادتها ﴿مِن سُلْطَٰنٍۚ﴾: حجة وبرهان.

﴿إِنِ﴾: ما ﴿ٱلْحُكْمُ﴾: القضاء ﴿إِلَّا لِلَّهِۚ﴾ وحده ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ﴾ التوحيد ﴿ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾: المستقيم.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ وهم الكفار ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ما يصيرون إليه من العذاب فيشركون.

٤١ ـ ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا﴾ أي: الساقي فيخرج بعد ثلاث ﴿فَيَسْقِي رَبَّهُۥ﴾: سيده ﴿خَمْرًاۖ﴾ علىٰ عادته.

﴿وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ﴾ فيخرج بعد ثلاث ﴿فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ﴾ هذا تأويل رؤياكما.

﴿قُضِيَ﴾: تمّ ﴿ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾: سألتما عنه.

٤٢ ـ ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ﴾: أيقن ﴿أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا﴾ وهو الساقي: ﴿ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾: سيدك.

فقل له: إن في السجن غلاماً محبوساً ظلماً.

فخرج ﴿فَأَنسَىٰهُ﴾ أي: الساقي ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ﴾ يوسف عند ﴿رَبِّهِۦ فَلَبِثَ﴾: مكث يوسف ﴿فِي ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ قيل: سبعاً، وقيل: اثنتي عشرة.

٤٣ ـ ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ﴾ ملك مصر الريان بن الوليد: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ﴾ أي: رأيت ﴿سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ﴾: يبتلعهن ﴿سَبْعٌ﴾ من البقر ﴿عِجَافٌ﴾، جمع عجفاء.

﴿وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ﴾ أي: سبع سنبلات ﴿يَابِسَٰتٍۖ﴾ قد التوت علىٰ الخضر وعلت عليها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَٰيَ﴾: بينوا لي تعبيرها ﴿إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ فاعبروها.

قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنۡهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ فَأَرۡسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ سَبۡعٞ شِدَادٞ يَأۡكُلۡنَ مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطۡبُكُنَّ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾

٤٤ ـ ﴿قَالُوٓاْ﴾: هذه ﴿أَضۡغَٰثُ﴾: أخلاط ﴿أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾.

٤٥ ـ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنۡهُمَا﴾ أي: من الفتيين، وهو الساقي ﴿وَٱدَّكَرَ﴾، فيه إبدال التاء في الأصل دالاً وإدغامها في الدال، أي: تذكَّر ﴿بَعۡدَ أُمَّةٍ﴾: حينٍ حال يوسف: ﴿أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ فَأَرۡسِلُونِ﴾ فأرسلوه فأتىٰ يوسف، فقال:

٤٦ ـ يا ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾: الكثير الصدق ﴿أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ﴾ أي: الملك وأصحابه ﴿لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ تعبيرَها.

٤٧ ـ ﴿قَالَ تَزۡرَعُونَ﴾ أي: ازرعوا ﴿سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا﴾: متتابعة، وهي تأويل السبع السمان ﴿فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ﴾ أي: اتركوه ﴿فِي سُنۢبُلِهِۦٓ﴾ لئلا يفسد ﴿إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ﴾ فادرسوه.

٤٨ ـ ﴿ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾ أي: السبع المخصبات ﴿سَبۡعٞ شِدَادٞ﴾: مجدبات صعاب، وهي تأويل السبع العجاف ﴿يَأۡكُلۡنَ مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ﴾ من الحب المزروع في السنين المخصبات، أي: تأكلونه فيهن ﴿إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ﴾: تدّخرون.

٤٩ ـ ﴿ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾ أي: السبع المجدبات ﴿عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ﴾ بالمطر ﴿وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ﴾ الأعناب وغيرها لخصبه.

٥٠ ـ ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ﴾ لما جاءه الرسول وأخبره بتأويلها: ﴿ٱئۡتُونِي بِهِۦۖ﴾ أي: بالذي عَبرَها ﴿فَلَمَّا جَآءَهُ﴾ أي: يوسف ﴿ٱلرَّسُولُ﴾ وطلبه للخروج ﴿قَالَ﴾ قاصداً إظهار براءته: ﴿ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ﴾ أن يسأل: ﴿مَا بَالُ﴾: حالُ ﴿ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي﴾: سيدي ﴿بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ﴾ فرجع فأخبر الملك فجمعهن.

٥١ ـ ﴿قَالَ مَا خَطۡبُكُنَّ﴾: شأنكن ﴿إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ﴾ هل وجدتن منه ميلاً إليكن؟ ﴿قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ﴾: وضح ﴿ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في قوله: هي راودتني عن نفسي.

٥٢ ـ ﴿ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ﴾ زوجي العزيز ﴿أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ تقول امرأة العزيز: إنما اعترفت بهذا علىٰ نفسي، ذلك ليعلم زوجي أني لم أخنه في نفس الأمر، ولا وقع المحذور الأكبر، وإنما راودت هذا الشاب مراودة فامتنع ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾ ثم قالت: إن النفس تتحدث وتتمنىٰ وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي.

۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ وَجَآءَ إِخۡوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَعَرَفَهُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ قَالَ ٱئۡتُونِي بِأَخٖ لَّكُم مِّنۡ أَبِيكُمۡۚ أَلَا تَرَوۡنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلۡكَيۡلَ وَأَنَا۠ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمۡ تَأۡتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيۡلَ لَكُمۡ عِندِي وَلَا تَقۡرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنۡهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتۡيَٰنِهِ ٱجۡعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ فِي رِحَالِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَعۡرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾

٥٣ ـ ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ﴾ من الزلل ﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ﴾، الجنس ﴿لَأَمَّارَةُۢ﴾: كثيرة الأمر ﴿بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا﴾ بمعنىٰ (مَنْ) ﴿رَحِمَ رَبِّيٓۚ﴾ فعصمه ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾.

٥٤ ـ ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ﴾: أجعله خالصاً لي دون شريك، فجاءه الرسول وقال: أجب الملك، فقام وودَّع أهلَ السجن ودعا لهم، ثم اغتسل ولبس ثياباً حساناً، ودخل عليه ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ﴾ لـه: ﴿إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ﴾: ذو مكانة وأمانة علىٰ أمرنا، فماذا ترىٰ أن نفعل؟ قال: اجمع الطعام، وازرع زرعاً كثيراً في هذه السنين المخصبة، وادَّخِر الطعام في سنبله، فيأتي إليك الخلق ليَمتارُوا منك، فقال: ومن لي بهذا؟

٥٥ ـ ﴿قَالَ﴾ يوسف: ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ﴾: أرض مصر ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾: ذو حفظ وعلم بأمرها، وقيل: كاتب حاسب.

٥٦ ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كإنعامنا عليه بالخلاص من السجن ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: أرض مصر ﴿يَتَبَوَّأُ﴾: ينزلُ ﴿مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ﴾ بعد الضيق والحبس، وفي القصة أن الملك تَوَّجَهُ وختَّمَه، وولَّاه مكان العزيز وعزله، ومات بعدُ، فزوَّجه امرأتَه، فوجدها عذراء، وولدت له ولدين، وأقام العدل بمصر، ودانت له الرقاب. ﴿نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾.

٥٧ ـ ﴿وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ﴾ من أجر الدنيا ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ ودخلت سِنُوُّ القحط، وأصاب أرضَ كنعان والشام.

٥٨ ـ ﴿وَجَآءَ إِخۡوَةُ يُوسُفَ﴾ إلا بنيامين ليَمتارُوا لما بلغهم أن عزيز مصر يعطي الطعام بثمنه ﴿فَدَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَعَرَفَهُمۡ﴾ أنهم إخوته ﴿وَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾: لا يعرفونه لبعد عهدهم به وظنهم هلاكه، فكلموه بالعبرانية، فقال كالمنكر عليهم: ما أقدمكم بلادي؟ فقالوا: للمِيرة، فقال: لعلكم عيون، قالوا: معاذ الله، قال: فمن أين أنتم؟ قالوا: من بلاد كنعان، وأبونا يعقوب نبي الله، قال: وله أولاد غيركم؟ قالوا: نعم كنا اثني عشر، فذهب أصغرُنا، هلك في البرية، وكان أحبَّنا إليه، وبقي شقيقه، فاحتبسه ليتسلىٰ به عنه، فأمر بإنزالهم وإكرامهم. ٥٩ ـ ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ﴾: وفَّىٰ لهم كيلَهم ﴿قَالَ ٱئۡتُونِي بِأَخٖ لَّكُم مِّنۡ أَبِيكُمۡۚ﴾ أي: بنيامين، لأعلم صدقكم فيما قلتم ﴿أَلَا تَرَوۡنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلۡكَيۡلَ﴾: أُتِمُّه من غير بخس ﴿وَأَنَا۠ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ﴾؟ ٦٠ ـ ﴿فَإِن لَّمۡ تَأۡتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيۡلَ لَكُمۡ عِندِي﴾ أي: مِيرة ﴿وَلَا تَقۡرَبُونِ﴾، نهي، أو عطف علىٰ محل (فلا كيل) أي: تُحرَموا ولا تُقربوا. ٦١ ـ ﴿قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنۡهُ أَبَاهُ﴾: سنجتهد في طلبه منه ﴿وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ﴾ ذلك. ٦٢ ـ ﴿وَقَالَ لِفِتۡيَٰنِهِ﴾ غلمانه: ﴿ٱجۡعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ﴾ التي أتوا بها ثمن الميرة وكانت دراهم ﴿فِي رِحَالِهِمۡ﴾: أوعيتهم ﴿لَعَلَّهُمۡ يَعۡرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ﴾ وفرَّغوا أوعيتهم ﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ إلينا لأنهم لا يستحلُّون إمساكها. ٦٣ ـ ﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ﴾ إن لم ترسل أخانا إليه ﴿فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾.

قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾

٦٤ ـ ﴿قَالَ هَلْ﴾: ما ﴿ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ﴾ يوسف ﴿مِن قَبْلُ﴾ وقد فعلتم به ما فعلتم؟

﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا﴾، تمييز، كقولهم: لله درُّه فارساً ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ فأرجو أن يمنَّ بحفظه.

٦٥ ـ ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى﴾ (ما) استفهامية، أي: أيَّ شيء نطلب من إكرام الملك أعظمَ من هذا؟

﴿هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾: نأتي بالمِيرة لهم، وهي الطعام.

﴿وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾ لأخينا ﴿ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾: سهل على الملك لسخائه.

٦٦ ـ ﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا﴾: عهداً ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ بأن تحلفوا ﴿لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ﴾: بأن تموتوا أو تُغلبوا، فلا تطيقوا الإتيان به.

فأجابوه إلى ذلك ﴿فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ﴾ بذلك ﴿قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ﴾ نحن وأنتم ﴿وَكِيلٌ﴾: شهيد، وأرسله معهم.

٦٧ ـ ﴿وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟﴾ مصرَ ﴿مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ﴾ لئلا تصيبكم العين.

﴿وَمَآ أُغْنِى﴾: أدفع ﴿عَنكُم﴾ بقولي ذلك ﴿مِّنَ ٱللَّهِ مِن﴾، زائدة ﴿شَىْءٍ﴾ قدَّره عليكم.

وإنما ذلك شفقة ﴿إِنِ﴾: ما ﴿ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ وحده ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾: به وثقت ﴿وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾.

٦٨ ـ قال تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم﴾ أي: متفرقين.

﴿مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: قضائه ﴿مِن﴾، زائدة ﴿شَىْءٍ إِلَّا﴾ لكن ﴿حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا﴾ هي إرادة دفع العين شفقة.

﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ﴾: لتعليمنا إياه.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ وهم الكفار ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ إلهام الله لأصفيائه.

٦٩ ـ ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ﴾: ضمَّ ﴿إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ﴾: تحزن ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ من الحسد لنا، وأمره أن لا يخبرهم، وتواطأ معه على أنه سيحتال على أن يبقيه عنده.

فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَـٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَـٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَـٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ۞ قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾

ربع الحزب ٢٥

٧٠ ـ ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ﴾ هي صاع من ذهب مُرصَّع بالجوهر ﴿فِى رَحْلِ أَخِيهِ﴾ بنيامين ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾: نادىٰ منادٍ بعد انفصالهم عن مجلس يوسف ﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ﴾: القافلة ﴿إِنَّكُمْ لَسَـٰرِقُونَ﴾.

٧١ ـ ﴿قَالُوا۟ وَ﴾قد ﴿أَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا﴾: ما الذي ﴿تَفْقِدُونَ﴾ه.

٧٢ ـ ﴿قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ﴾: صاع ﴿ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾ من الطعام ﴿وَأَنَا۠ بِهِۦ﴾: بالحمل ﴿زَعِيمٌ﴾: كفيل.

٧٣ ـ ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ﴾، قَسمٌ فيه معنىٰ التعجب ﴿لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَـٰرِقِينَ﴾: ما سرقنا قط.

٧٤ ـ ﴿قَالُوا۟﴾ أي: المؤذن وأصحابه ﴿فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ﴾ أي: السارق ﴿إِن كُنتُمْ كَـٰذِبِينَ﴾ في قولكم: ما كنا سارقين، ووُجد فيكم؟

٧٥ ـ ﴿قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ﴾ مبتدأ، خبره: ﴿مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ﴾ يُسترَقُّ، ثم أكد بقوله: ﴿فَهُوَ﴾ أي: السارق ﴿جَزَٰٓؤُهُۥ﴾ أي: المسروق لا غير، وكانت سُنَّة آل يعقوب ﴿كَذَٰلِكَ﴾ الجزاء ﴿نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ بالسرقة، فصرَّحوا ليوسف بتفتيش أوعيتهم.

٧٦ ـ ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ﴾ ففتَّشها ﴿قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ﴾ لئلا يُتهم ﴿ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا﴾ أي: السقاية ﴿مِن وِعَآءِ أَخِيهِ﴾، قال تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ الكيد ﴿كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾: علَّمناه الاحتيال في أخذ أخيه ﴿مَا كَانَ﴾ يوسف ﴿لِيَأْخُذَ أَخَاهُ﴾ رقيقاً عن السرقة ﴿فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ﴾: حُكم مَلِكِ مصر، لأن جزاءه الضرب، وتغريم مثلي المسروق لا الاسترقاق ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ أخذه بحكم أبيه، أي: لم يتمكن من أخذه إلا بمشيئة الله بإلهامه سؤالَ إخوته وجوابهم بسنَّتهم ﴿نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾ في العلم كيوسف ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ﴾ من المخلوقين ﴿عَلِيمٌ﴾: أعلمُ منه حتىٰ ينتهي إلىٰ الله تعالىٰ.

٧٧ ـ ﴿قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ﴾ أي: يوسف، قالوا ذلك كذباً وافتراءً ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا﴾: يُظهرها ﴿لَهُمْ﴾ والضمير للكلمة التي في قوله: ﴿قَالَ﴾ في نفسه: ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ من يوسف وأخيه لسرقتكم أخاكم من أبيكم وظلمكم له ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ﴾: عالمٌ ﴿بِمَا تَصِفُونَ﴾: تذكرون في أمره.

٧٨ ـ ﴿قَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾ يحبه أكثر منا، ويتسلىٰ به عن ولده الهالك ويُحزنه فراقه ﴿فَخُذْ أَحَدَنَا﴾: استعبده ﴿مَكَانَهُۥٓ﴾: بدلاً منه ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ في أفعالك.

قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾

٧٩ ـ ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾، نصب على المصدر، حُذف فعله وأضيف إلى المفعول، أي: نعوذ بالله من ﴿أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ﴾ لم يقل: من سرق، تحرُّزاً من الكذب ﴿إِنَّآ إِذًا﴾ إن أخذنا غيره ﴿لَّظَٰلِمُونَ﴾.

٨٠ ـ ﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟﴾: يئسوا ﴿مِنْهُ خَلَصُوا۟﴾: اعتزلوا ﴿نَجِيًّا﴾، مصدر يصلح للواحد وغيره، أي: يناجي بعضهم بعضاً ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾ سنّاً، أو رأياً: ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا﴾: عهداً ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ في أخيكم ﴿وَمِن قَبْلُ مَا﴾، زائدة ﴿فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ﴾ وقيل: (ما) مصدرية مبتدأ، خبره: من قبلُ ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ﴾: أفارق ﴿ٱلْأَرْضَ﴾: أرض مصر ﴿حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ﴾ بالعود إليه ﴿أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى﴾ بخلاص أخي ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾: أعدلهم.

٨١ ـ ﴿ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ﴾ عليه ﴿إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾: تيقَّنّا من مشاهدة الصاع في رَحْلِه ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ﴾: لِما غاب عنا حين إعطاء الموثق ﴿حَٰفِظِينَ﴾ ولو علمنا أنه يسرق لم نأخذه.

٨٢ ـ ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا﴾ هي مصر، أي: أرسل إلى أهلها فاسألهم ﴿وَٱلْعِيرَ﴾ أي: أصحاب العير ﴿ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ وهم قوم من كنعان ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ في قولنا، فرجعوا إليه وقالوا له ذلك.

٨٣ ـ ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ﴾: زيّنت ﴿لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ ففعلتموه، اتَّهمهم لِما سبق منهم من أمر يوسف ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ صبري ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ﴾: بيوسف وأخويه ﴿جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ﴾ بحالي ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في صنعه.

٨٤ ـ ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾ تاركاً خطابهم ﴿وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ﴾، الألف بدل من ياء الإضافة، أي: يا حُزني ﴿عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ﴾: انمحق سوادهما وبُدِّل بياضاً من بكائه ﴿مِنَ ٱلْحُزْنِ﴾ عليه ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾: مغموم مكروب لا يُظهر كربه.

٨٥ ـ ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ﴾ لا ﴿تَفْتَؤُا۟﴾: تزال ﴿تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا﴾: مشرفاً على الهلاك لطول مرضك، وهو مصدر يستوي فيه الواحد وغيره ﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ﴾: الموتى.

٨٦ ـ ﴿قَالَ﴾ لهم: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى﴾: هو عظيم الحزن الذي لا يصبر عليه حتى يُبث إلى الناس ﴿وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ لا إلى غيره، فهو الذي تنفع الشكوى إليه ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من أن رؤيا يوسف صدق وهو حي.

يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ قَالَ أَبُوهُمۡ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٩٥﴾

٨٧ ـ ثم قال: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾: اطلبوا خبرهما ﴿وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ﴾: تقنطوا ﴿مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ﴾: رحمته ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ فانطلقوا نحو مصر ليوسف.

٨٨ ـ ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ﴾: الجوع ﴿وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ﴾: مدفوعة، يدفعها كل من رآها لرداءتها.

وكانت دراهم زُيوفاً أو غيرها ﴿فَأَوۡفِ﴾: أتمَّ ﴿لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ﴾ بالمسامحة عن رداءة بضاعتنا.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ﴾: يثيبهم، فَرَقَّ لهم وأدركته الرحمة ورفع الحجاب بينه وبينهم.

٨٩ ـ ثم ﴿قَالَ﴾ لهم توبيخاً: ﴿هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ﴾ من الضرب والبيع وغير ذلك ﴿وَأَخِيهِ﴾ من هضمكم له بعد فراق أخيه ﴿إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ﴾ ما يؤول إليه أمر يوسف.

٩٠ ـ ﴿قَالُوٓاْ﴾ بعد أن عرفوه لما ظهر من شمائله متثبتين: ﴿أَءِنَّكَ﴾، بتحقيق الهمزتين ﴿لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ﴾: أنعم ﴿ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ﴾ بالاجتماع ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ﴾: يخف الله ﴿وَيَصۡبِرۡ﴾ على ما يناله ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾، فيه وضع الظاهر موضع المضمر.

٩١ ـ ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ﴾: فضَّلك ﴿ٱللَّهُ عَلَيۡنَا﴾ بالملك وغيره.

﴿وَإِن﴾، مخففة، أي: إنا ﴿كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ﴾: آثمين في أمرك فأذللناك.

٩٢ ـ ﴿قَالَ لَا تَثۡرِيبَ﴾: عتب ﴿عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾، خصَّه بالذكر لأنه مظنة التثريب.

فغيره أولىٰ ﴿يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ وسألهم عن أبيه فقالوا: ذهبت عيناه، فقال:

٩٣ ـ ﴿ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ﴾: يَصِرْ ﴿بَصِيرٗا وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾.

٩٤ ـ ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ﴾: خرجت من عريش مصر ﴿قَالَ أَبُوهُمۡ﴾ لمن حضر من بنيه وأولادهم:

﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ﴾ أوصلته إليه الصَّبا بإذنه تعالىٰ من مسيرة ثلاثة أيام، أو ثمانية، أو أكثر ﴿لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾: تُسفِّهونِ لصدقتموني.

٩٥ ـ ﴿قَالُواْ﴾ له: ﴿تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ﴾: خطئك ﴿ٱلۡقَدِيمِ﴾ من إفراطك في محبته ورجاء لقائه علىٰ بُعد العهد.

فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾

نصف الحزب ٢٥

٩٦ - ﴿فَلَمَّآ أَن﴾، زائدة ﴿جَآءَ ٱلْبَشِيرُ﴾ بالقميص، ﴿أَلْقَىٰهُ﴾: طرح القميص ﴿عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ﴾: رجع ﴿بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

٩٧ - ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ﴾.

٩٨ - ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾، أخَّر ذلك إلىٰ السَّحر ليكون أقربَ إلىٰ الإجابة، أو إلىٰ ليلة الجمعة، ثم توجهوا إلىٰ مصر، وخرج يوسف والأكابر لتلقِّيهم.

٩٩ - ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ في مَضْرِبِه ﴿ءَاوَىٰٓ﴾: ضمَّ ﴿إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾: أباه وأمه، أو خالته ﴿وَقَالَ﴾ لهم: ﴿ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ فدخلوا وجلس يوسف علىٰ سريره.

١٠٠ - ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ﴾: أجلسهما معه ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾: السرير ﴿وَخَرُّوا۟﴾ أي: أبواه وإخوته ﴿لَهُۥ سُجَّدًا﴾: سجود انحناء لا وضع جبهة، وكان تحيتهم في ذلك الزمان ﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ﴾: إليَّ ﴿إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ﴾ لم يقل من الجُبِّ تكرماً لئلا تخجل إخوته ﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ﴾: البادية ﴿مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ﴾: أفسد ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ﴾ بخلقه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في صنعه، وأقام عنده أبوه أربعاً وعشرين سنة، أو سبع عشرة سنة، وكانت مدة فراقه ثماني عشرة، أو أربعين، أو ثمانين سنة. وحضره الموت، فوصَّىٰ يوسفَ أن يحمله ويدفنه عند أبيه، فمضىٰ بنفسه ودفنه ثمة، ثم عاد إلىٰ مصر وأقام بعده ثلاثاً وعشرين سنة.

١٠١ - ولما تم أمره وعلم أنه لا يدوم، تاقَتْ نفسُه إلىٰ المُلك الدائم، فقال: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾: تعبير الرؤيا ﴿فَاطِرَ﴾: خالق ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ﴾: متولي مصالحي ﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ من آبائي، فعاش بعد ذلك أسبوعاً أو أكثر، ومات وله مئة وعشرون سنة، وتشاحَّ المصريون في قبره، فجعلوه في صندوق من مرمر، ودفنوه في أعلىٰ النيل لتعم البركةُ جانبيه، فسبحان من لا انقضاء لملكه.

١٠٢ - ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور من أمر يوسف ﴿مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ﴾: أخبار ما غاب عنك يا محمد ﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ﴾: لدىٰ إخوة يوسف ﴿إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ﴾ في كيده، أي: عزموا عليه ﴿وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ به، أي: لم تحضرهم فتعرف قصتهم فتخبر بها، وإنما حصل لك علمها من جهة الوحي.

١٠٣ - ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ﴾ علىٰ إيمانهم ﴿بِمُؤْمِنِينَ﴾.

وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓۗ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۗ وَلَدَارُ ٱلْأٓخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾

١٠٤ ـ ﴿وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: القرآن ﴿مِنْ أَجْرٍۚ﴾ تأخذه ﴿إِنْ﴾: ما ﴿هُوَ﴾ أي: القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾: عظة ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾.

١٠٥ ـ ﴿وَكَأَيِّن﴾: وكم ﴿مِّنْ ءَايَةٍ﴾ دالة على وحدانية الله ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾: يشاهدونها ﴿وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ لا يتفكرون فيها.

١٠٦ ـ ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ﴾ حيث يُقرون بأنه الخالق الرازق ﴿إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ به بعبادة الأصنام، ولذا كانوا يقولون في تلبيتهم: لبيك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك، يعنونها.

١٠٧ ـ ﴿أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ﴾: نقمة تغشاهم ﴿مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً﴾: فجأة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بوقت إتيانها قبله.

١٠٨ ـ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ﴾ وفسّرها بقوله: ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى﴾ دين ﴿ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾: حجة واضحة ﴿أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾: آمن بي ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾: تنزيهاً له عن الشركاء ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

١٠٩ ـ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيْهِم﴾ لا ملائكة ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓۗ﴾: الأمصار، لأنهم أعلم وأحلم، بخلاف أهل البوادي لجفائهم وجهلهم ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۗ﴾ أي: آخر أمرهم من إهلاكهم بتكذيبهم رسلهم ﴿وَلَدَارُ ٱلْأٓخِرَةِ﴾ أي: الجنة ﴿خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْۗ﴾ اللّهَ ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ هذا فتؤمنون؟

١١٠ ـ ﴿حَتَّىٰٓ﴾ غاية لما دل عليه: (وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا) أي: فتراخىٰ نصرهم حتىٰ ﴿إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ﴾: يئس ﴿ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ﴾: أيقن الرسل ﴿أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ﴾ أي: ظن الأمم أن الرسل أُخلفوا ما وُعدوا به من النصر ﴿جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا﴾: عذابنا ﴿عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: المشركين.

١١١ ـ ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ﴾ أي: الرسل ﴿عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِۗ﴾: أصحاب العقول ﴿مَا كَانَ﴾ هذا القرآن ﴿حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾: يُختلق ﴿وَلَٰكِن﴾ كان ﴿تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: قبله من الكتب ﴿وَتَفْصِيلَ﴾: تبيين ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾ يُحتاج إليه في الدين ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ خُصوا بالذكر لانتفاعهم به دون غيرهم.

سورة الرعد — ترتيبها ١٣ — آياتها ٤٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الٓمٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ۞ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٢٥

سورة الرعد

مكية إلا (وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟) الآية
(وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا) الآية
أو مدنية إلا (وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا) الآيتين
ثلاث ـ أو أربع، أو خمس، أو ست ـ وأربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿الٓمٓر﴾ الله أعلم بمراده بذلك ﴿تِلْكَ﴾: هذه الآيات ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾: القرآن، والإضافة بمعنىٰ من ﴿وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ أي: القرآن، مبتدأ، خبره: ﴿ٱلْحَقُّ﴾ لا شك فيه ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بأنه من عنده تعالىٰ.

٢ ـ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ أي: العَمَد، جمع عماد، وهو الأسطوانة، وهو صادق بأن لا عمد أصلاً.

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ استواءً يليق به ﴿وَسَخَّرَ﴾: ذلّل ﴿ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ﴾ منهما ﴿يَجْرِى﴾ في فلكه ﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: يوم القيامة.

﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾: يقضي أمر ملكه ﴿يُفَصِّلُ﴾: يبيّن ﴿ٱلْءَايَٰتِ﴾: دلالات قدرته ﴿لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ﴾: بالبعث ﴿تُوقِنُونَ﴾.

٣ ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ﴾: بسط ﴿ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ﴾: خلق ﴿فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾: جبالاً ثوابت ﴿وَأَنْهَٰرًا وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ من كل نوع.

﴿يُغْشِى﴾: يغطي ﴿ٱلَّيْلَ﴾ بظلمته ﴿ٱلنَّهَارَ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَءَايَٰتٍ﴾: دلالات علىٰ وحدانيته تعالىٰ ﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في صنع الله.

٤ ـ ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ﴾: بقاع مختلفة ﴿مُّتَجَٰوِرَٰتٌ﴾: متلاصقات، فمنها طيب، وسبخ، وقليل الرّيْع وكثيره. وهو من دلائل قدرته تعالىٰ.

﴿وَجَنَّٰتٌ﴾: بساتين ﴿مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ﴾، بالرفع عطفاً علىٰ (جنات) ﴿وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ﴾، جمع صِنْو، وهي النخلات يجمعها أصل واحد وتتشعب فروعها ﴿وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾: منفردة ﴿يُسْقَىٰ﴾ أي: المذكور ﴿بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ﴾ بضم الكاف فمن حلو ومن حامض، وهو من دلائل قدرته تعالىٰ ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: يتدبرون.

٥ ـ ﴿وَإِن تَعْجَبْ﴾ يا محمد من تكذيب الكفار لك ﴿فَعَجَبٌ﴾: حقيق بالعجب ﴿قَوْلُهُمْ﴾ منكرين للبعث: ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ لأن القادر علىٰ إنشاء الخلق وما تقدم علىٰ غير مثال قادر علىٰ إعادتهم.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿١٣﴾

٦ ـ ونزل في استعجالهم العذاب استهزاءً: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ﴾: العذاب ﴿قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾: الرحمة ﴿وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ﴾، جمع المَثُلَة بوزن السَّمُرَة، أي: عقوبات أمثالهم من المكذبين، أفلا يعتبرون بها؟ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ﴾: مع ﴿ظُلْمِهِمْ﴾ وإلا لم يترك على ظهرها دابة ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لمن عصاه.

٧ ـ ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا﴾: هلَّا ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ﴾: على محمد ﴿آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ كالعصا واليد والناقة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ﴾: مُخوِّف للكافرين، وليس عليك إتيان الآيات ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾: نبيٌّ يدعوهم إلى ربهم بما يعطيه من الآيات، لا بما يقترحون.

٨ ـ ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ﴾ من ذكر وأنثى، وواحد ومتعدد، وغير ذلك ﴿وَمَا تَغِيضُ﴾: تنقص ﴿الْأَرْحَامُ﴾ من مدة الحمل ﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾ منه ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ﴾: بقدرٍ وحدٍّ لا يتجاوزه.

٩ ـ ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾: ما غاب وما شوهد ﴿الْكَبِيرُ﴾: العظيم ﴿الْمُتَعَالِ﴾ على خلقه بالقهر، والمتعالي عن كل نقص، وكذلك فهو سبحانه متعال بذاته فوق خلقه.

١٠ ـ ﴿سَوَاءٌ مِّنكُم﴾ في علمه تعالى ﴿مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ﴾: مُستترٌ ﴿بِاللَّيْلِ﴾: بظلامه ﴿وَسَارِبٌ﴾: ظاهر بذهابه في سَرْبه، أي: طريقه ﴿بِالنَّهَارِ﴾.

١١ ـ ﴿لَهُ﴾: للإنسان ﴿مُعَقِّبَاتٌ﴾: ملائكة تَعتقبه ﴿مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ﴾: قدَّامه ﴿وَمِنْ خَلْفِهِ﴾: ورائه ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ أي: بأمره من الجن وغيرهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾: لا يسلبهم نعمته ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ من الحالة الجميلة وهي الطاعة بالمعصية ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا﴾: عذاباً ﴿فَلَا مَرَدَّ لَهُ﴾ من المعقبات ولا غيرها ﴿وَمَا لَهُم﴾: لمن أراد الله بهم سوءاً ﴿مِّن دُونِهِ﴾ أي: غير الله ﴿مِن﴾، زائدة ﴿وَالٍ﴾ يمنعه عنهم.

١٢ ـ ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا﴾ للمسافرين من الصواعق ﴿وَطَمَعًا﴾ للمقيم في المطر ﴿وَيُنشِئُ﴾: يخلق ﴿السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ بالمطر.

١٣ ـ ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾ أي: يقول: سبحان الله وبحمده ﴿وَ﴾ تُسبح ﴿الْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾ أي: الله ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ﴾ وهي نار تخرج من السحاب ﴿فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ﴾ فتحرقه، نزل في رجل بعث إليه النبي ﷺ من يدعوه، فقال: مَن رسول الله؟ وما الله؟ أمِن ذهب هو، أم من فضة، أم من نحاس؟ فنزلت به صاعقة فذهبت بقِحْف رأسه ﴿وَهُمْ﴾ أي: الكفار ﴿يُجَادِلُونَ﴾: يخاصمون النبي ﷺ ﴿فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾: القوة أو الأخذ.

لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا
كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ
إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا
وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۩ ﴿١٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ
نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى
ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ
عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ أَنزَلَ مِنَ
ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ
وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ
يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا
يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾
لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ
لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ
أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾

١٤ ـ ﴿لَهُۥ﴾ تعالىٰ ﴿دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾ أي: كلمته، وهي: لا إلـه إلا الله ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ يعبدون ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ أي: غيره، وهم الأصنام ﴿لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ﴾ مما يطلبونه ﴿إِلَّا﴾ استجابة ﴿كَبَٰسِطِ﴾ أي: كاستجابة باسط ﴿كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ﴾ علىٰ شفير البئر يدعوه ﴿لِيَبْلُغَ فَاهُ﴾ بارتفاعه من البئر إليه ﴿وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ﴾ أي: فاه أبداً، فكذلك ما هم بمستجيبين لهم ﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: عبادتهم الأصنام، أو حقيقة الدعاء ﴿إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾: ضياع.

١٥ ـ ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا﴾ كالمؤمنين ﴿وَكَرْهًا﴾ كالمنافقين ومن أُكره بالسيف ﴿وَ﴾ يسجد ﴿ظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ﴾: البُكر ﴿وَٱلْءَاصَالِ﴾: العشايا.

١٦ ـ ﴿قُلْ﴾ يا محمد لقومك: ﴿مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ﴾ إن لم يقولوه، لا جوابَ غيرُه ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ﴾ أي: غيره ﴿أَوْلِيَآءَ﴾: أصناماً تعبدونها ﴿لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ وتركتم مالكَهما؟ استفهام توبيخ ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾: الكافر والمؤمن؟ ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ﴾: الكفر ﴿وَٱلنُّورُ﴾: الإيمان؟ لا ﴿أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ﴾ أي: خلقُ الشركاء بخلق الله ﴿عَلَيْهِمْ﴾ فاعتقدوا استحقاق عبادتهم بخلقهم؟ استفهام إنكار، أي: ليس الأمر كذلك، ولا يستحق العبادة إلا الخالق ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ لا شريك له فيه، فلا شريك له في العبادة ﴿وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾ لعباده.

١٧ ـ ثم ضرب مثلاً للحق والباطل فقال: ﴿أَنزَلَ﴾ تعالىٰ ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾: مطراً ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا﴾: بمقدار ملئها ﴿فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا﴾: عالياً عليه: هو ما علىٰ وجهه من قذر ونحوه ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ﴾ من جواهر الأرض كالذهب والفضة والنحاس ﴿ٱبْتِغَآءَ﴾: طلب ﴿حِلْيَةٍ﴾: زينة ﴿أَوْ مَتَٰعٍ﴾ ينتفع به كالأواني إذا أذيبت ﴿زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ﴾ أي: مثل زبد السيل، وهو خَبَثُه الذي ينفيه الكير ﴿كَذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ﴾ أي: مَثَلَهما ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ﴾ من السيل، وما أوقد عليه من الجواهر ﴿فَيَذْهَبُ جُفَآءً﴾: باطلاً مرمياً به ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ من الماء والجواهر ﴿فَيَمْكُثُ﴾: يبقىٰ ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ زماناً، كذلك الباطل يضمحلُّ وينمَحِقُ وإن علا علىٰ الحق في بعض الأوقات، والحق ثابت باقٍ ﴿كَذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿يَضْرِبُ﴾: يبين ﴿ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾.

١٨ ـ ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ﴾: أجابوه بالطاعة ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾: الجنة ﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ﴾ وهم الكفار ﴿لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ﴾ من العذاب ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ﴾ وهو المؤاخذة بكل ما عملوه لا يُغفر منه شيء ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾: الفراش هي.

۞ أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلۡمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾

١٩ ـ ونزل في حمزة وأبي جهل: ﴿أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ﴾ فآمن به ﴿كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓ﴾ لا يعلمه ولا يؤمن به؟ لا ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ﴾: يتّعظ ﴿أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾: أصحاب العقول.

٢٠ ـ ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ﴾ المأخوذ عليهم وهم في عالم الذّرّ، أو كل عهد ﴿وَلَا يَنقُضُونَ ٱلۡمِيثَٰقَ﴾ بترك الإيمان أو الفرائض.

٢١ ـ ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ من الإيمان والرحم وغير ذلك ﴿وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ﴾ أي: وعيده ﴿وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ﴾ تقدم مثله.

٢٢ ـ ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ على الطاعة والبلاء وعن المعصية ﴿ٱبۡتِغَآءَ﴾: طلب ﴿وَجۡهِ رَبِّهِمۡ﴾ لا غيره من أعراض الدنيا ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ﴾ في الطاعة ﴿مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ وَيَدۡرَءُونَ﴾: يدفعون ﴿بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ كالجهل بالحلم، والأذى بالصبر ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ أي: العاقبة المحمودة في الدار الآخرة.

٢٣ ـ هي ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ﴾: إقامة ﴿يَدۡخُلُونَهَا﴾ هم ﴿وَمَن صَلَحَ﴾: آمن ﴿مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ﴾ وإن لم يعملوا بعملهم يكونون في درجاتهم تكرمة لهم ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ﴾ من أبواب الجنة أو القصور، أول دخولهم للتهنئة.

٢٤ ـ يقولون: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم﴾ هذا الثواب ﴿بِمَا صَبَرۡتُمۡ﴾: بصبركم في الدنيا ﴿فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ عقباكم.

٢٥ ـ ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ بالكفر والمعاصي ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ﴾: البعد من رحمة الله ﴿وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾: العاقبة السيئة في الدار الآخرة، وهي جهنم.

٢٦ ـ ﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ﴾: يوسعه ﴿لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ﴾: يضيقه لمن يشاء ﴿وَفَرِحُواْ﴾ أي: فرح بطر ﴿بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ أي: بما نالوه فيها ﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي﴾ جنب حياة ﴿ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ﴾: شيء قليل يُتمتع به ويذهب.

٢٧ ـ ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ﴾: هلّا ﴿أُنزِلَ عَلَيۡهِ﴾: على محمد ﴿ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ﴾ كالعصا واليد والناقة ﴿قُلۡ﴾ لهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ إضلاله، فلا تُغني عنه الآيات شيئاً ﴿وَيَهۡدِيٓ﴾: يرشد ﴿إِلَيۡهِ﴾ إلى دينه ﴿مَنۡ أَنَابَ﴾: رجع إليه.

٢٨ ـ ويبدل من (مَن): ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ﴾: تسكن ﴿قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ أي: وعده ﴿أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ أي: قلوب المؤمنين.

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ
مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ
لِّتَتْلُوَاْ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ
قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾
وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ
بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ
أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ
وَعْدُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ
مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ
عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُواْ
لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم
بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ وَصُدُّواْ عَنِ
ٱلسَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾

٢٩ ـ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، مبتدأ، خبره: ﴿طُوبَىٰ﴾، مصدر من الطِّيب، أو شجرة في الجنة، يسير الراكب في ظلها مئة عام ما يقطعها ﴿لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾: مرجع.

٣٠ ـ ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما أرسلنا الأنبياء قبلك ﴿أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَاْ﴾: تقرأ ﴿عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ أي: القرآن ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ حيث قالوا لما أُمروا بالسجود له: وما الرحمٰن؟ ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد: ﴿هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾.

٣١ ـ ونزل لما قالوا له: إن كنت نبياً فسيِّر عنا جبال مكة، واجعل لنا فيها أنهاراً وعيوناً لنغرس ونزرع، وابعث لنا آباءنا الموتىٰ يكلمونا أنك نبيٌّ: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾: نُقلت عن أماكنها ﴿أَوْ قُطِّعَتْ﴾: شُقّقت ﴿بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ بأن يُحيوا، لما آمنوا ﴿بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ لا غيره، فلا يؤمن إلا من شاء إيمانه دون غيره وإن أوتوا ما اقترحوا. ونزل لما أراد الصحابةُ إظهارَ ما اقترحوا طمعاً في إيمانهم: ﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ﴾: يعلم ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن﴾، مخففة، أي: أنه ﴿لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ إلىٰ الإيمان من غير آية ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ﴾: بصنعهم، أي كفرهم ﴿قَارِعَةٌ﴾: داهيةٌ تقرعهم بصنوف البلاء من القتل والأسر والحرب والجدْب ﴿أَوْ تَحُلُّ﴾ يا محمد بجيشك ﴿قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾: مكة ﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ﴾ بالنصر عليهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ وقد حلَّ بالحديبية حتىٰ أتىٰ فتح مكة.

٣٢ ـ ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ كما استهزئ بك، وهذه تسلية للنبي ﷺ. ﴿فَأَمْلَيْتُ﴾: أمهلت ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾ بالعقوبة ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ أي: هو واقع موقعه، فكذلك أفعلُ بمن استهزأ بك.

٣٣ ـ ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ﴾: رقيبٌ ﴿عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾: عملت من خيرٍ أو شرٍّ، وهو الله، كمن ليس كذلك من الأصنام؟ لا، دلَّ علىٰ هذا: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ له، من هم؟ ﴿أَمْ﴾: بل أ﴿تُنَبِّـُٔونَهُۥ﴾: تخبرون اللّٰهَ ﴿بِمَا﴾ أي: بشريك ﴿لَا يَعْلَمُ﴾ه ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾؟ استفهام إنكار، أي لا شريك له، إذ لو كان، لَعَلِمَه تعالىٰ عن ذلك ﴿أَم﴾ بل تسمونهم شركاء ﴿بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ﴾؟ بظنٍّ باطل لا حقيقة له في الباطن ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ﴾: كفرُهم ﴿وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: طريق الهدىٰ ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾.

٣٤ ـ ﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ بالقتل والأسر ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَقُّ﴾: أشدُّ منه ﴿وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: عذابه ﴿مِن وَاقٍ﴾ مانع.

﴿مَثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُوا ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾

٣٥ ـ ﴿مَثَلُ﴾ صفة ﴿ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾، مبتدأ خبره محذوف، أي: فيما نقصُّ عليكم ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ أُكُلُهَا﴾: ما يؤكل فيها ﴿دَآئِمٌ﴾ لا يفنىٰ ﴿وَظِلُّهَا﴾ دائم لا تنسخه شمس لعدمها فيها ﴿تِلْكَ﴾ أي: الجنة ﴿عُقْبَى﴾: عاقبة ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا﴾ الشرك ﴿وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾. ٣٦ ـ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ كعبد الله بن سلام وغيره من مؤمني اليهود ﴿يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ لموافقته ما عندهم ﴿وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾ الذين تحزبوا عليك بالمعاداة من المشركين واليهود ﴿مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ﴾ كذكر (الرحمٰن) وما عدا القصص ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ﴾ فيما أنزل إلي ﴿أَنْ﴾ أي: بأن ﴿أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ﴾: مرجعي. ٣٧ ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ الإنزال ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ أي: القرآن ﴿حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ بلغة العرب تحكم به بين الناس ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾ أي: الكفار فيما يدعونك إليه من ملتهم فرضاً ﴿بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ بالتوحيد ﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن﴾، زائدة ﴿وَلِىٍّ﴾: ناصر ﴿وَلَا وَاقٍ﴾: مانع من عذابه. ٣٨ ـ ونزل لما عيّروه بكثرة النساء: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً﴾: أولاداً، وأنت مثلهم ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ﴾ منهم ﴿أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ لأنهم عبيد مربوبون ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ﴾: مدة ﴿كِتَابٌ﴾: مكتوب فيه تحديده. ٣٩ ـ ﴿يَمْحُوا ٱللَّهُ﴾ منه ﴿مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ فيه ما يشاء من الأحكام وغيرها ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾: أصله الذي لا يتغير منه شيء، وهو ما كتبه في الأزل. هذا وقد أورد ابن كثير قولاً لابن عباس في تفسير الآية. قال: يبدل ما يشاء فينسخه، ويثبت ما يشاء فلا يبدله. وأورد قولاً لقتادة أن قوله سبحانه (يَمْحُوا ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ) كقوله: (مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ). وجاء في «ظلال القرآن»: إن ما أنزل عليه هو الحكم الفصل فيما جاءت به الكتب قبله، وهو المرجع الأخير أثبت الله سبحانه فيه ما شاء إثباته من أمور دينه الذي جاء به الرسل كافة ومحا ما شاء محوه مما كان فيه لانقضاء حكمه. . . فما انقضت حكمته يمحوه، وما هو نافع يثبته، وعنده أصل الكتاب المتضمن لكل ما يثبته وما يمحوه. ٤٠ ـ ﴿وإمّا﴾، فيه إدغام نون (إن) الشرطية في (ما) المزيدة ﴿نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾ به من العذاب في حياتك، وجواب الشرط محذوف، أي: فذاك ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبل تعذيبهم ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ﴾ لا عليك إلا التبليغ ﴿وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾ إذا صاروا إلينا فنجازيهم. ٤١ ـ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ أي: أفلا يعتبرون بما جرىٰ للأمم القوية الغنية حين تكفر وتفسد كيف انتقصت قوتها وذهب غناها، وحُصرت في رقعة ضيقة من الأرض بعد أن كانت ذات سلطن وثراء وليسوا هم بأشدّ مكراً ولا تدبيراً ممن كان قبلهم، فأخذهم الله وهو أحكم تدبيراً وأعظم كيداً ﴿وَٱللَّهُ يَحْكُمُ﴾ في خلقه بما يشاء ﴿لَا مُعَقِّبَ﴾: لا رادّ ﴿لِحُكْمِهِۦ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾. ٤٢ ـ ﴿وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم بأنبيائهم كما مكروا بك ﴿فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا﴾ وليس مكرهم كمكره لأنه تعالىٰ ﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ فيُعِدُّ لها جزاءه، وهذا هو المكر كله، لأنه يأتيهم به من حيث لا يشعرون ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ أي: العاقبة المحمودة في الدار الآخرة: ألهم أم للنبي ﷺ وأصحابه؟

وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسۡتَ مُرۡسَلٗاۚ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾

سُورَةُ ابراهيم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿١﴾ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٖ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۢ بَعِيدٖ ﴿٣﴾ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٤﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنۡ أَخۡرِجۡ قَوۡمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ﴿٥﴾

٤٣ ـ ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ لك: ﴿لَسۡتَ مُرۡسَلٗاۚ قُلۡ﴾ لهم:

﴿كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ﴾ على صدقي ﴿وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ من مؤمني اليهود والنصارى.

سُورَةُ ابراهيم

مكية إلا (أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ) الآيتين فمدنيتان وآياتها إحدى ـ أو اثنتان أو أربع، أو خمس ـ وخمسون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ ـ ﴿الٓرۚ﴾ الله أعلم بمراده بذلك، هذا القرآن ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ﴾ يا محمد ﴿لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: الكفر ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾: الإيمان ﴿بِإِذۡنِ﴾: بأمر ﴿رَبِّهِمۡ﴾.

ويبدل من (إلى النور): ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ﴾: طريق ﴿ٱلۡعَزِيزِ﴾: الغالب ﴿ٱلۡحَمِيدِ﴾: المحمود.

٢ ـ ﴿ٱللَّهِ﴾، بالجر بدل، أو عطف بيان، وما بعده صفة.

﴿ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً.

﴿وَوَيۡلٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٖ شَدِيدٍ﴾.

٣ ـ ﴿ٱلَّذِينَ﴾، نعت ﴿يَسۡتَحِبُّونَ﴾: يختارون ﴿ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَيَصُدُّونَ﴾ الناس ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: دين الإسلام ﴿وَيَبۡغُونَهَا﴾ أي: السبيل ﴿عِوَجًاۚ﴾: معوجة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۢ بَعِيدٖ﴾ عن الحق.

٤ ـ ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ﴾: بلغة ﴿قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ﴾: ليفهمهم ما أتى به.

﴿فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ في صنعه.

٥ ـ ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ التسع وقلنا له:

﴿أَنۡ أَخۡرِجۡ قَوۡمَكَ﴾ بني إسرائيل ﴿مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: الكفر ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾: الإيمان.

﴿وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ﴾: بنعمه.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ التذكير ﴿لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ﴾ على الطاعة ﴿شَكُورٖ﴾ للنعم.

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾

نصف الحزب ٢٦

٦ ـ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ المولودين.

﴿وَيَسْتَحْيُونَ﴾: يستبقون ﴿نِسَآءَكُمْ﴾ لقول بعض الكهنة: إن مولوداً يولد في بني إسرائيل يكون سبب ذهاب ملك فرعون.

﴿وَفِى ذَٰلِكُم﴾ الإنجاء أو العذاب ﴿بَلَآءٌ﴾: إنعام، أو ابتلاء ﴿مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾.

٧ ـ ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ﴾: أعلم ﴿رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ﴾ نعمتي بالتوحيد والطاعة ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ﴾: جحدتم النعمة بالكفر والمعصية لأعذبنكم، دل عليه: ﴿إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾.

٨ ـ ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ﴾ لقومه: ﴿إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ﴾ عن خلقه ﴿حَمِيدٌ﴾: محمود في صنعه بهم.

٩ ـ ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾، استفهام تقرير ﴿نَبَؤُا۟﴾: خبر ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ﴾: قوم هود.

﴿وَثَمُودَ﴾: قوم صالح ﴿وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ لكثرتهم.

﴿جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: بالحجج الواضحة على صدقهم.

﴿فَرَدُّوٓا۟﴾ أي: الأمم ﴿أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ أي: إليها لِيَعَضُّوا عليها من شدة الغيظ ﴿وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ﴾ في زعمكم ﴿وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾: موقع في الريبة.

١٠ ـ ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ﴾؟ استفهام إنكار، أي: لا شك في توحيده للدلائل الظاهرة عليه.

﴿فَاطِرِ﴾: خالق ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ﴾ إلى طاعته.

﴿لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ (من) زائدة، فإن الإسلام يُغفر به ما قبله، أو تبعيضية لإخراج حقوق العباد.

﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ﴾ بلا عذاب ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: أجل الموت.

﴿قَالُوٓا۟ إِنْ﴾: ما ﴿أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ من الأصنام.

﴿فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾: حجة ظاهرة على صدقكم.

قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٨﴾

١١ ـ ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ﴾: ما ﴿نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ كما قلتم.

﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ بالنبوة ﴿وَمَا كَانَ﴾: ما ينبغي ﴿لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: بأمره لأنا عبيد مربوبون.

﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾: يثقوا به.

١٢ ـ ﴿وَمَا لَنَا أَ﴾نْ ﴿لا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ﴾ أي: لا مانع لنا من ذلك.

﴿وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا﴾: علىٰ أذاكم ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾.

١٣ ـ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ﴾: لتصيرُن ﴿فِي مِلَّتِنَا﴾: ديننا ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾: الكافرين.

١٤ ـ ﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ﴾: أرضهم ﴿مِن بَعْدِهِمْ﴾: بعد هلاكهم.

﴿ذَٰلِكَ﴾ النصر وإيراث الأرض ﴿لِمَنْ خَافَ مَقَامِي﴾ أي: مقامه بين يدي ﴿وَخَافَ وَعِيدِ﴾ بالعذاب.

١٥ ـ ﴿وَاسْتَفْتَحُوا﴾: استنصر الرسل بالله علىٰ قومهم ﴿وَخَابَ﴾: خسر ﴿كُلُّ جَبَّارٍ﴾: متكبر عن طاعة الله ﴿عَنِيدٍ﴾: معاند للحق.

١٦ ـ ﴿مِّن وَرَائِهِ﴾ أي: أمامه ﴿جَهَنَّمُ﴾ يدخلها ﴿وَيُسْقَىٰ﴾ فيها ﴿مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ﴾ هو ما يسيل من جوف أهل النار مختلطاً بالقيح والدم.

١٧ ـ ﴿يَتَجَرَّعُهُ﴾: يبتلعه مرة بعد مرة لمرارته ﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾: يزدرده لقبحه وكراهته.

﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ﴾ أي: أسبابه المقتضية له من أنواع العذاب ﴿مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَائِهِ﴾ بعد ذلك العذاب ﴿عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾: قوي متصل.

١٨ ـ ﴿مَّثَلُ﴾: صفة ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾، مبتدأ، ويبدل منه: ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾ الصالحة، كصلة، وصدقة، في عدم الانتفاع بها.

﴿كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾: شديد هبوب الريح، فجعلته هباءً منثوراً لا يُقدَر عليه، والجار والمجرور خبر المبتدأ ﴿لَّا يَقْدِرُونَ﴾ أي: الكفار ﴿مِمَّا كَسَبُوا﴾: عملوا في الدنيا ﴿عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ أي: لا يجدون له ثواباً لعدم شرطه ﴿ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ﴾: الهلاك ﴿الْبَعِيدُ﴾.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾

١٩ ـ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: تنظر يا مخاطب، استفهام تقرير ﴿أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾؟ متعلق بـ(خلق).

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ أيها الناس ﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ بدلكم.

٢٠ ـ ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾: شديد.

٢١ ـ ﴿وَبَرَزُوا۟﴾ أي: الخلائق، والتعبير فيه وفيما بعده بالماضي لتحقق وقوعه.

﴿لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟﴾: الأتباع ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟﴾: المتبوعين: ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾، جمع تابع.

﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ﴾: دافعون ﴿عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾؟ (مِن) الأولىٰ للتبيين، والثانية للتبعيض.

﴿قَالُوا۟﴾ أي: المتبوعون: ﴿لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ﴾: لدعوناكم إلىٰ الهدىٰ.

﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن﴾، زائدة ﴿مَّحِيصٍ﴾: ملجأ.

٢٢ ـ ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: إبليس ﴿لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ وأُدخل أهلُ الجنةِ الجنةَ وأهلُ النار النارَ واجتمعوا عليه:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ﴾ بالبعث والجزاء فصدقكم.

﴿وَوَعَدتُّكُمْ﴾ أنه غير كائن ﴿فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن﴾، زائدة ﴿سُلْطَٰنٍ﴾: قوة وقدرة أقهركم علىٰ متابعتي ﴿إِلَّآ﴾: لكن ﴿أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم﴾ علىٰ إجابتي.

﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ﴾: بمُغيثكم ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ﴾: بإشراككم إياي مع الله ﴿مِن قَبْلُ﴾ في الدنيا.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الكافرين ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مؤلم.

٢٣ ـ ﴿وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ﴾، حال مقدرة ﴿فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا﴾ من الله، ومن الملائكة، وفيما بينهم ﴿سَلَٰمٌ﴾.

٢٤ ـ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: تنظر ﴿كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾، ويبدل منه: ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ أي: لا إله إلا الله.

﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾: هي النخلة.

﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ في الأرض ﴿وَفَرْعُهَا﴾: غصنها ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾.

تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذْنِ رَبِّهَاۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَاۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦۗ قُلْ تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾ قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٢٦

٢٥ ـ ﴿تُؤْتِيٓ﴾: تعطي ﴿أُكُلَهَا﴾: ثمرها ﴿كُلَّ حِينِۭ بِإِذْنِ رَبِّهَاۗ﴾: بإرادته.

كذلك كلمة الإيمان ثابتة في قلب المؤمن، وعمله يصعد إلىٰ السماء ويناله بركته وثوابه كل وقت.

﴿وَيَضْرِبُ﴾: يبين ﴿ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: يتّعظون فيؤمنون.

٢٦ ـ ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾: هي كلمة الكفر ﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾: هي الحنظل ﴿ٱجْتُثَّتْ﴾: استؤصلت ﴿مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾: مستقرٌ وثبات.

كذلك كلمة الكفر لا ثبات لها ولا فرع ولا بركة.

٢٧ ـ ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾: هي كلمة التوحيد ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِۖ﴾ أي: في القبر لما يسألهم الملكان عن ربهم ودينهم ونبيهم، فيجيبون بالصواب كما في حديث الشيخين.

﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ﴾: الكفار، فلا يهتدون للجواب بالصواب، بل يقولون: لا ندري، كما في الحديث ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾.

٢٨ ـ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: تنظر ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ أي: شكرها ﴿كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟﴾: أنزلوا ﴿قَوْمَهُمْ﴾ بإضلالهم إياهم ﴿دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾: الهلاك.

٢٩ ـ ﴿جَهَنَّمَ﴾، عطف بيان ﴿يَصْلَوْنَهَاۖ﴾: يدخلونها ﴿وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾: المقرُّ هي.

٣٠ ـ ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾: شركاء ﴿لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦۗ﴾: دين الإسلام.

﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿تَمَتَّعُوا۟﴾ بدنياكم قليلاً ﴿فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ﴾: مرجعكم ﴿إِلَى ٱلنَّارِ﴾.

٣١ ـ ﴿قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ﴾: فداء ﴿فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ﴾: مُخالَّة، أي: صداقة تنفع، هو يوم القيامة.

٣٢ ـ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ﴾: السفن ﴿لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ﴾ بالركوب والحمل ﴿بِأَمْرِهِۦۖ﴾: بإذنه ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ﴾.

٣٣ ـ ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِۖ﴾: جاريين في فلكهما لا يفتران ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ﴾ لتسكنوا فيه ﴿وَٱلنَّهَارَ﴾ لتبتغوا فيه من فضله.

وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّىۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِىۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾

٣٤ ـ ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُۚ﴾ على حسب مصالحكم ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ بمعنىٰ: إنعامه ﴿لَا تُحْصُوهَآۗ﴾: لا تطيقوا عدَّها ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾: الكافر ﴿لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾: كثير الظلم لنفسه بالمعصية والكفر لنعمة ربه.

٣٥ ـ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ﴾: مكة ﴿ءَامِنًا﴾: ذا أمن، وقد أجاب الله دعاءه، فجعله حرماً لا يسفك فيه دم إنسان، ولا يُظلم فيه أحد، ولا يُصاد صيده، ولا يُختلىٰ خلاه ﴿وَٱجْنُبْنِى﴾: بعِّدْني ﴿وَبَنِىَّ﴾ عن ﴿أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾.

٣٦ ـ ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ﴾ أي: الأصنام ﴿أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ﴾ بعبادتهم لها ﴿فَمَن تَبِعَنِى﴾ علىٰ التوحيد ﴿فَإِنَّهُۥ مِنِّىۖ﴾: من أهل ديني ﴿وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ هذا قبل علمه أنه تعالىٰ لا يغفر الشرك.

٣٧ ـ ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى﴾ أي: بعضها. وهو إسماعيل مع أمه هاجر ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ﴾: هو مكة ﴿عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً﴾: قلوباً ﴿مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ﴾: تميل وتحنُّ ﴿إِلَيْهِمْ﴾ قال ابن عباس: لو قال: أفئدة الناس، لحنَّت إليه فارس والروم والناس كلُّهم ﴿وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ وقد فعل.

٣٨ ـ ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى﴾: نُسِرّ ﴿وَمَا نُعْلِنُۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن﴾، زائدة ﴿شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾، يحتمل أن يكون من كلامه تعالىٰ، أو كلام إبراهيم.

٣٩ ـ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى﴾: أعطاني ﴿عَلَى﴾: مع ﴿ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾.

٤٠ ـ ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَ﴾ اجعل ﴿مِن ذُرِّيَّتِىۚ﴾ من يقيمها، وأتىٰ بـ(مِن) لإعلام الله تعالىٰ له أن منهم كفاراً ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ﴾ المذكور.

٤١ ـ ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ﴾، هذا قبل أن يتبين له عداوتهما لله عز وجل ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ﴾: يثبت ﴿ٱلْحِسَابُ﴾.

٤٢ ـ قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ﴾: الكافرون ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ﴾ بلا عذاب ﴿لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ لهول ما ترىٰ، يقال: شَخَصَ بصرُ فلان، أي: فتحه فلم يُغمضه.

مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ ۖ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾

٤٣ ـ ﴿مُهْطِعِينَ﴾: مسرعين، حال ﴿مُقْنِعِي﴾: رافعي ﴿رُءُوسِهِمْ﴾ إلىٰ السماء ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾: بصرهم ﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ﴾: قلوبهم ﴿هَوَاءٌ﴾: خالية من العقل لفزعهم.

٤٤ ـ ﴿وَأَنذِرِ﴾: خوِّف يا محمد ﴿النَّاسَ﴾: الكفار ﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ﴾: هو يوم القيامة ﴿فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: كفروا ﴿رَبَّنَا أَخِّرْنَا﴾ بأن تردَّنا إلىٰ الدنيا ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ﴾ بالتوحيد ﴿وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ﴾ فيقال لهم توبيخاً: ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم﴾: حلفتم ﴿مِّن قَبْلُ﴾ في الدنيا ﴿مَا لَكُم مِّن﴾، زائدة ﴿زَوَالٍ﴾ عنها إلىٰ الآخرة.

٤٥ ـ ﴿وَسَكَنتُمْ﴾ فيها ﴿فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ بالكفر من الأمم السابقة ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾ من العقوبة فلم تنزجروا ﴿وَضَرَبْنَا﴾: بيَّنَّا ﴿لَكُمُ الْأَمْثَالَ﴾ في القرآن فلم تعتبروا.

٤٦ ـ ﴿وَقَدْ مَكَرُوا﴾ بالنبي ﷺ ﴿مَكْرَهُمْ﴾ حيث أرادوا قتله أو تقييده أو إخراجه ﴿وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾ أي: علمه، أو جزاؤه ﴿وَإِن﴾: ما ﴿كَانَ مَكْرُهُمْ﴾ وإن عظم ﴿لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ المعنىٰ: لا يُعبأ به ولا يَضر إلّا أنفسَهم، والمراد بالجبال هنا قيل: حقيقتها، وقيل: شرائع الإسلام المشبهة بها في القرار والثبات.

٤٧ ـ ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ﴾ بالنصر ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾: غالب لا يُعجزه شيء ﴿ذُو انتِقَامٍ﴾ ممن عصاه.

٤٨ ـ اذكر ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾ هو يوم القيامة، فيحشر الناس علىٰ أرض بيضاء نقية كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٦٥٢١) ومسلم (٢٧٩٠)، وروىٰ مسلم (٢٧٩١) حديث: سئل النبي ﷺ أين الناس يومئذ؟ قال: «علىٰ الصراط» ﴿وَبَرَزُوا﴾: خرجوا من القبور ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾.

٤٩ ـ ﴿وَتَرَى﴾ يا محمد: تُبصر ﴿الْمُجْرِمِينَ﴾: الكافرين ﴿يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ﴾: مشدودين مع شياطينهم ﴿فِي الْأَصْفَادِ﴾: القيود أو الأغلال.

٥٠ ـ ﴿سَرَابِيلُهُم﴾: قُمُصهم ﴿مِّن قَطِرَانٍ﴾ لأنه أبلغ لاشتعال النار ﴿وَتَغْشَىٰ﴾: تعلو ﴿وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾.

٥١ ـ ﴿لِيَجْزِيَ﴾، متعلِّق بـ(برزوا) ﴿اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ من خير وشر ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾: يحاسب جميع الخلق في قدر نصف نهار من أيام الدنيا لحديث بذلك.

٥٢ ـ ﴿هَٰذَا﴾ القرآن ﴿بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ﴾ أي: أُنزل لتبليغهم ﴿وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا﴾ بما فيه من الحجج ﴿أَنَّمَا هُوَ﴾ أي: الله ﴿إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ﴾، بإدغام التاء في الأصل في الذال، يتعظ ﴿أُولُو الْأَلْبَابِ﴾: أصحاب العقول.

سورة الحجر — ترتيبها ١٥ — آياتها ٩٩

الجزء ١٤ — الحزب ٢٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤﴾ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٥﴾ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾

سورة الحجر

مكية تسع وتسعون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١ ـ ﴿الٓر﴾ الله أعلم بمراده بذلك ﴿تِلْكَ﴾: هذه الآيات ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾: القرآن، والإضافة بمعنىٰ (من) ﴿وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ﴾: مظهر للحق من الباطل.

٢ ـ ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ﴾: يتمنىٰ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يوم القيامة إذا عاينوا حالهم وحال المسلمين ﴿لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ﴾ و(رُبّ) للتكثير، فإنه يكثُر منهم تمني ذلك، وقيل: للتقليل، فإن الأهوالَ تدهشهم، فلا يفيقون حتىٰ يتمنوا ذلك إلا في أحيان قليلة.

٣ ـ ﴿ذَرْهُمْ﴾: اترك الكفار يا محمد ﴿يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ﴾ بدنياهم ﴿وَيُلْهِهِمُ﴾: يشغلهم ﴿ٱلْأَمَلُ﴾ بطول العمر وغيره عن الإيمان ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبةَ أمرهم، وهذا قبل الأمر بالقتال.

٤ ـ ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن﴾، زائدة ﴿قَرْيَةٍ﴾ أريد أهلُها ﴿إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ﴾: أجل ﴿مَّعْلُومٌ﴾: محدود لإهلاكها.

٥ ـ ﴿مَّا تَسْبِقُ مِنْ﴾، زائدة ﴿أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ﴾: يتأخرون عنه.

٦ ـ ﴿وَقَالُواْ﴾ أي: كفار مكة للنبي ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ﴾: القرآن في زعمه ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾.

٧ ـ ﴿لَّوْ مَا﴾: هلّا ﴿تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في قولك إنك نبي وإن هذا القرآن من عند الله.

٨ ـ قال تعالىٰ: ﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾: بالعذاب ﴿وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا﴾ أي: حين نزول الملائكة بالعذاب ﴿مُّنظَرِينَ﴾: مُؤخّرين.

٩ ـ ﴿إِنَّا نَحْنُ﴾، تأكيد لاسم (إنّ) أو فصل ﴿نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾: القرآن ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ من التبديل والتحريف، والزيادة والنقص.

١٠ ـ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ﴾ رسلاً ﴿فِى شِيَعِ﴾: فرق ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

١١ ـ ﴿وَمَا﴾ كان ﴿يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ كاستهزاء قومك بك، وهذا تسلية له ﷺ.

١٢ ـ ﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ﴾ أي: مثل إدخالنا التكذيب في قلوب أولئك نُدخله ﴿فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ أي: كفار مكة.

١٣ ـ ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾: بالنبي ﷺ ﴿وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي: سنة الله فيهم من تعذيبهم بتكذيبهم أنبياءهم، وهؤلاء مثلهم.

١٤ ـ ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ﴾: في الباب ﴿يَعْرُجُونَ﴾: يصعدون.

١٥ ـ ﴿لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ﴾: سُدّت ﴿أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾: يُخيّل إلينا ذلك.

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣١﴾

١٦ ـ ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ اثني عشر: الحَمَل، والثَّوْر، والجَوْزاء، والسَّرطان، والأسد، والسنبلة، والميزان، والعَقْرب، والقَوْس، والجَدْي، والدَّلْو، والحُوت، وهي منازل الكواكب السبعة السيارة: المِرِّيخ وله الحَمَل والعَقْرب، والزُّهَرَة ولها الثَّوْر والميزان، وعُطارد وله الجَوْزاء والسنبلة، والقمر وله السرطان، والشمس ولها الأسد، والمُشتري وله القَوْس والحُوت، وزُحَل له الجَدْي والدَّلْو ﴿وَزَيَّنَّاهَا﴾ بالكواكب ﴿لِلنَّاظِرِينَ﴾.

١٧ ـ ﴿وَحَفِظْنَاهَا﴾ بالشُّهُب ﴿مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ﴾: مرجوم.

١٨ ـ ﴿إِلَّا﴾: لكن ﴿مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ﴾: خطفه ﴿فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾: يضيء يُحرقه، أو يثقُبه، أو يَخبِلُه.

١٩ ـ ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾: بسطناها ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾: جبالاً ثوابت لئلا تتحرك بأهلها ﴿وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾: معلوم مقدر.

٢٠ ـ ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾ ـ بالياء ـ من الثمار والحبوب ﴿وَ﴾ جعلنا لكم ﴿مَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾ من العبيد والدوابِّ والأنعام، فإنما يرزقهم الله.

٢١ ـ ﴿وَإِن﴾: ما ﴿مِّن﴾، زائدة ﴿شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ﴾: مفاتيح خزائنه ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ علىٰ حسب المصالح.

٢٢ ـ ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾: تلقح السحاب فيمتلئ ماءً ﴿فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ﴾: السحاب ﴿مَاءً﴾: مطراً ﴿فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ أي: ليست خزائنه بأيديكم.

٢٣ ـ ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾: الباقون، نرث جميع الخلق.

٢٤ ـ ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ﴾ أي: من تقدم من الخلق من لدن آدم ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾: المتأخرين إلىٰ يوم القيامة.

٢٥ ـ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ﴾ في صنعه ﴿عَلِيمٌ﴾ بخلقه.

٢٦ ـ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ﴾: آدم ﴿مِن صَلْصَالٍ﴾: طين يابس يُسمع له صلصلة، أي: صوت إذا نُقر ﴿مِّنْ حَمَإٍ﴾: طين أسود ﴿مَّسْنُونٍ﴾: متغير.

٢٧ ـ ﴿وَالْجَانَّ﴾: أبا الجن وهو إبليس ﴿خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ﴾ أي: قبل خلق آدم ﴿مِن نَّارِ السَّمُومِ﴾ هي نار لا دخان لها تنفذ في المسام.

٢٨ ـ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾.

٢٩ ـ ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ﴾: أتممته ﴿وَنَفَخْتُ﴾: أجريت ﴿فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ فصار حيّاً، وإضافة الروح إليه تشريف لآدم ﴿فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ سجود تحية بالانحناء. ٣٠ ـ ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾، فيه تأكيدان. ٣١ ـ ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ هو أبو الجن كان بين الملائكة ﴿أَبَىٰ﴾: امتنع من ﴿أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾.

قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسۡتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٖ لِّكُلِّ بَابٖ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٞ مَّقۡسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٞ وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ۞ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ وَنَبِّئۡهُمۡ عَن ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾

ربع الحزب ٢٧

٣٢ ـ ﴿قَالَ﴾ تعالىٰ: ﴿يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ﴾: ما منعك ﴿أَ﴾نْ ﴿لا﴾، زائدة ﴿تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾.

٣٣ ـ ﴿قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ﴾: لا ينبغي لي أن أسجد ﴿لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ﴾.

٣٤ ـ ﴿قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا﴾ أي: من الجنة ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٞ﴾: مطرود.

٣٥ ـ ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾: الجزاء.

٣٦ ـ ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ أي: الناس.

٣٧ ـ ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ﴾.

٣٨ ـ ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ﴾: وقت النفخة الأولىٰ.

٣٩ ـ ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي﴾ أي: بإغوائك لي، والباء للقسم وجوابه: ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ المعاصي ﴿وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾.

٤٠ ـ ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ أي: المؤمنين.

٤١ ـ ﴿قَالَ﴾ تعالىٰ: ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسۡتَقِيمٌ﴾.

٤٢ ـ وهو: ﴿إِنَّ عِبَادِي﴾ أي: المؤمنين ﴿لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ﴾: قوة ﴿إِلَّا﴾: لكن ﴿مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ﴾: الكافرين.

٤٣ ـ ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ أي: من اتبعك معك.

٤٤ ـ ﴿لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٖ﴾: أطباق ﴿لِّكُلِّ بَابٖ﴾ منها ﴿مِّنۡهُمۡ جُزۡءٞ﴾: نصيب ﴿مَّقۡسُومٌ﴾.

٤٥ ـ ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ﴾: بساتين ﴿وَعُيُونٍ﴾ تجري فيها.

٤٦ ـ ويقال لهم: ﴿ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ﴾ أي: سالمين من كل مخوف، أو مع سلام، أي: سلِّموا وادخلوا ﴿ءَامِنِينَ﴾ من كل فزع.

٤٧ ـ ﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ﴾: حقد ﴿إِخۡوَٰنًا﴾، حال من (هم) ﴿عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾، حال أيضاً، أي: لا ينظر بعضهم إلىٰ قفا بعض لدوران الأسرّة بهم.

٤٨ ـ ﴿لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٞ﴾: تعب ﴿وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ﴾ أبداً.

٤٩ ـ ﴿نَبِّئۡ﴾: خبِّر يا محمد ﴿عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ﴾ للمؤمنين ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بهم.

٥٠ ـ ﴿وَأَنَّ عَذَابِي﴾ للعصاة ﴿هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ﴾: المؤلم.

٥١ ـ ﴿وَنَبِّئۡهُمۡ عَن ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ هم ملائكة، اثنا عشر، أو عشرة، أو ثلاثة، منهم جبريل.

إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُواْ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُواْ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾

٥٢ ـ ﴿إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا﴾ أي: هذا اللفظ ﴿قَالَ﴾ إبراهيم لما عرض عليهم الأكل فلم يأكلوا: ﴿إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ﴾: خائفون.

٥٣ ـ ﴿قَالُواْ لَا تَوْجَلْ﴾: تخف ﴿إِنَّا﴾ رسل ربك ﴿نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾: ذي علم كثير، هو إسحاق كما ذُكِرَ في هود.

٥٤ ـ ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي﴾ بالولد ﴿عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ﴾ حال، أي: مع مَسِّهِ إياي ﴿فَبِمَ﴾: فبأي شيء ﴿تُبَشِّرُونَ﴾؟ استفهام تعجب.

٥٥ ـ ﴿قَالُواْ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾: بالصدق ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ﴾: الآيسين.

٥٦ ـ ﴿قَالَ وَمَن﴾ أي: لا ﴿يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾: الكافرون.

٥٧ ـ ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾: شأنكم ﴿أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ﴾.

٥٨ ـ ﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾: كافرين، أي قوم لوط لإهلاكهم.

٥٩ ـ ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ لإيمانهم.

٦٠ ـ ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ الباقين في العذاب لكفرها.

٦١ ـ ﴿فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ﴾ أي: لوطاً ﴿ٱلْمُرْسَلُونَ﴾.

٦٢ ـ ﴿قَالَ﴾ لهم: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ لا أعرفكم.

٦٣ ـ ﴿قَالُواْ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُواْ﴾ أي: قومك ﴿فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾: يشكّون، وهو العذاب.

٦٤ ـ ﴿وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ في قولنا.

٦٥ ـ ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ﴾: امش خلفهم ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾ لئلا يرىٰ عظيم ما ينزل بهم ﴿وَٱمْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ وهو الشام.

٦٦ ـ ﴿وَقَضَيْنَآ﴾: أوحينا ﴿إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ﴾ وهو ﴿أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾، حال، أي: يتم استئصالهم في الصباح.

٦٧ ـ ﴿وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ﴾ مدينة سَدُوم، وهم قوم لوط، لما أُخبروا أن في بيت لوط مُرْداً حساناً، وهم الملائكة ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾، حال، طمعاً في فعل الفاحشة بهم.

٦٨ ـ ﴿قَالَ﴾ لوط: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ﴾.

٦٩ ـ ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ﴾ بقصدكم إياهم بفعل الفاحشة بهم.

٧٠ ـ ﴿قَالُوٓاْ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: عن إضافتهم.

قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُشۡرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٖ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِن كَانَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٖ مُّبِينٖ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدۡ كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡحِجۡرِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيۡنَٰهُمۡ ءَايَٰتِنَا فَكَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُواْ يَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُصۡبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞۖ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلۡ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَى ٱلۡمُقۡتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾

٧١ ـ ﴿قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ﴾ ما تريدون من قضاء الشهوة، فتزوجوهن.

٧٢ ـ قال تعالىٰ: ﴿لَعَمۡرُكَ﴾ خطاب للنبي ﷺ، أي: وحياتك ﴿إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾: يترددون.

٧٣ ـ ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُشۡرِقِينَ﴾: وقت شروق الشمس.

٧٤ ـ ﴿فَجَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا﴾ أي: قراهم ﴿سَافِلَهَا﴾ أي: قلبناها رأساً علىٰ عقب فجعلنا عاليها سافلها. ﴿وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٍ﴾: طين طُبخ بالنار.

٧٥ ـ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَأٓيَٰتٖ﴾: دلالات علىٰ وحدانية الله ﴿لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ﴾: للناظرين المعتبرين.

٧٦ ـ ﴿وَإِنَّهَا﴾ أي: قرىٰ قوم لوط ﴿لَبِسَبِيلٖ مُّقِيمٍ﴾: طريق قريش إلىٰ الشام لم تندرس، أفلا يعتبرون بهم؟

٧٧ ـ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ﴾: لعبرة ﴿لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

٧٨ ـ ﴿وَإِن﴾، مخففة، أي: إنه ﴿كَانَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ﴾ هي غيضة شجر بقرب مدين، وهم قوم شعيب ﴿لَظَٰلِمِينَ﴾ بتكذيبهم شعيباً.

٧٩ ـ ﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ﴾ بأن أهلكناهم بشدة الحر ﴿وَإِنَّهُمَا﴾ أي: قرىٰ قوم لوط والأيكة ﴿لَبِإِمَامٖ﴾: طريق ﴿مُّبِينٖ﴾: واضح، أفلا تعتبرون بهم؟

٨٠ ـ ﴿وَلَقَدۡ كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡحِجۡرِ﴾: وادٍ بين المدينة والشام، وهم ثمود ﴿ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ بتكذيبهم صالحاً، لأنه تكذيب لباقي الرسل لاشتراكهم في المجيء بالتوحيد.

٨١ ـ ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُمۡ ءَايَٰتِنَا﴾ في الناقة ﴿فَكَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ﴾ لا يتفكرون فيها.

٨٢ ـ ﴿وَكَانُواْ يَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ﴾.

٨٣ ـ ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُصۡبِحِينَ﴾.

٨٤ ـ ﴿فَمَآ أَغۡنَىٰ﴾: دفع ﴿عَنۡهُم﴾ العذاب ﴿مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ من بناء الحصون وجمع الأموال.

٨٥ ـ ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞۖ﴾ لا محالة، فيُجازىٰ كلُّ أحد بعمله ﴿فَٱصۡفَحِ﴾ يا محمد عن قومك ﴿ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ﴾: أعرض عنهم إعراضاً لا جزع فيه، وهذا منسوخ بآية السيف. ٨٦ ـ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ﴾ لكل شيء ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ بكل شيء. ٨٧ ـ ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي﴾ قال ﷺ: (هي الفاتحة) رواه الشيخان، لأنها تُثَنّىٰ في كل ركعة ﴿وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ﴾. ٨٨ ـ ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا﴾: أصنافاً ﴿مِّنۡهُمۡ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ إن لم يؤمنوا ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ﴾: أَلِنْ جانبك ﴿لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾. ٨٩ ـ ﴿وَقُلۡ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ﴾ من عذاب الله أن ينزل عليكم ﴿ٱلۡمُبِينُ﴾: البيِّن الإنذار. ٩٠ ـ ﴿كَمَآ أَنزَلۡنَا﴾ العذاب ﴿عَلَى ٱلۡمُقۡتَسِمِينَ﴾: اليهود والنصارىٰ الذين اقتسموا كتبهم فجعلوها أجزاء، فآمنوا ببعضها وكفروا ببعضها فاليهود آمنوا ببعض التوراة وهو ما وافق أهواءهم ومصالحهم، وكفروا ببعضها وهو ما خالف أهواءهم ومصالحهم وكذلك النصارىٰ بالنسبة إلىٰ الإنجيل. وهذا ما أنكره الله علىٰ أهل الكتاب بقوله: (أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ).

ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾

سُورَةُ النَّحْلِ

ترتيبها ١٦ — آياتها ١٢٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾

نصف الحزب ٢٧

٩١ ـ ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ﴾ أي: كتبهم المنزلة عليهم ﴿عِضِينَ﴾: أجزاء حيث آمنوا ببعض وكفروا ببعض. ويراد بكلمة (القرآن) هٰهنا أحد معنيين: فإما أن يراد بها ما يقرؤونه في كتبهم المنزلة عليهم، وعلىٰ هذا فتكون كلمة (القرآن) أريد بها المعنىٰ اللغوي، فهي مصدر للفعل (قرأ) أريد به اسم المفعول أي: (المقروء) فجعلوا تلك الكتب أجزاء فآمنوا ببعضها وكفروا ببعض. وإما أن يراد بهذه الكلمة (القرآن) القرآن الكريم حيث قالوا: بعضه حق وبعضه باطل، وكانوا يستهزئون به فكان بعضهم يقول: سورة البقرة لي، وآخر يقول سورة النساء لي، وهكذا. . . وهناك قول آخر في تفسير (المقتسمين) فقيل: المراد بهم قوم من كفار قريش اقتسموا طرق مكة ومداخلها، يقولون لمن يريد دخولها: إن محمداً ساحر وهذا القرآن سحر، ويقول آخرون: إن محمداً كاهن وهذا الذي يقوله كهانة، ويقول آخرون: إن محمداً شاعر وهذا الذي يقوله شعر. يصدون الناس عن الإسلام. ٩٢ ـ ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ سؤالَ توبيخ. ٩٣ ـ ﴿عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾. ٩٤ ـ ﴿فَٱصْدَعْ﴾ يا محمد ﴿بِمَا تُؤْمَرُ﴾ به، أي: اجهر به وأَمْضِه ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾، هذا قبل الأمر بالجهاد. ٩٥ ـ ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ بك، بإهلاكنا كلاً منهم بآفة، وهم الوليد بن المغيرة، والعاصي بن وائل، وعدي بن قيس، والأسود بن المطلب، والأسود بن عبد يغوث. ٩٦ ـ ﴿ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾، صفة، وقيل: مبتدأ، ولتضمنه معنىٰ الشرط دخلت الفاء في خبره، وهو: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبة أمرهم. ٩٧ ـ ﴿وَلَقَدْ﴾، للتحقيق ﴿نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ من الاستهزاء والتكذيب. ٩٨ ـ ﴿فَسَبِّحْ﴾ متلبِّساً ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي: قل: سبحان الله وبحمده ﴿وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾: المصلين. ٩٩ ـ ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾: الموت.

سُورَةُ النَّحْلِ

مكية، إلا (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ) إلى آخرها، مئة وثمان وعشرون آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ ـ لما استبطأ المشركون العذاب نزل: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ أي: الساعة، وأتىٰ بصيغة الماضي لتحقق وقوعه، أي: قَرُبَ ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾: تطلبوه قبل حينه، فإنه واقع لا محالة ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ تنزيهاً له ﴿وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ به غيره. ٢ ـ ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ﴾: بالوحي ﴿مِنْ أَمْرِهِۦ﴾: بإرادته ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾ وهم الأنبياء ﴿أَنْ﴾، مفسرة ﴿أَنذِرُوٓاْ﴾: خوِّفوا الكافرين بالعذاب وأعلموهم ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾: خافون. ٣ ـ ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي: مُحقاً ﴿تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ به من الأصنام. ٤ ـ ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ﴾: مَنِيّ إلىٰ أن صيَّره قوياً شديداً ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ﴾: شديد الخصومة ﴿مُّبِينٌ﴾: بيِّنُها في نفي البعث قائلاً: مَن يُحيي العظامَ وهي رميم؟ ٥ ـ ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ﴾: الإبل والبقر والغنم، ونَصبُه بفعل مقدر يفسره: ﴿خَلَقَهَا لَكُمْ﴾ من جملة الناس ﴿فِيهَا دِفْءٌ﴾: ما تستدفؤون به من الأكسية والأردية من أشعارها وأصوافها ﴿وَمَنَٰفِعُ﴾ من النسل والدَّرِّ والرّكوب ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾، قدَّم الظرف للفاصلة. ٦ ـ ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾: زينة ﴿حِينَ تُرِيحُونَ﴾: تردّونها إلىٰ مراحها بالعشيِّ ﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾: تُخرجونها إلىٰ المرعىٰ بالغداة.

وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿٧﴾ وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ وَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗۖ لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٤﴾

٧ ـ ﴿وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ﴾: أحمالكم ﴿إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ﴾: واصلين إليه علىٰ غير الإبل ﴿إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ﴾: بجهدها.

﴿إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ بكم حيث خلقها لكم.

٨ ـ ﴿وَ﴾ خلق ﴿ٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ﴾ مفعول له، والتعليل بهما لتعريف النِّعم لا ينافي خلقها لغير ذلك كالأكل في الخيل الثابت بحديث أسماء الذي رواه البخاري (٥٥١١) ومسلم (١٩٤٢).

﴿وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ من الأشياء العجيبة الغريبة.

٩ ـ ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي: بيان الطريق المستقيم.

﴿وَمِنۡهَا﴾ أي: السبيل ﴿جَآئِرٞۚ﴾: حائد عن الاستقامة.

﴿وَلَوۡ شَآءَ﴾ هدايتكم ﴿لَهَدَىٰكُمۡ﴾ إلىٰ قصد السبيل ﴿أَجۡمَعِينَ﴾ فتهتدون إليه باختيار منكم.

١٠ ـ ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗۖ لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ﴾ تشربونه ﴿وَمِنۡهُ شَجَرٞ﴾ ينبت بسببه ﴿فِيهِ تُسِيمُونَ﴾: ترْعون دوابّكم.

١١ ـ ﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَأٓيَةٗ﴾ دالة علىٰ وحدانيته تعالىٰ ﴿لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في صنعه فيؤمنون.

١٢ ـ ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ﴾، بالنصب عطفاً علىٰ ما قبله ﴿وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ﴾: بإرادته.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾: يتدبَّرون.

١٣ ـ ﴿وَ﴾ سخر لكم ﴿مَا ذَرَأَ﴾ خلق ﴿لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ من الحيوان والنبات وغير ذلك.

﴿مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥٓۚ﴾ كأحمر وأصفر وأخضر وغيرها ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ﴾: يتَّعظون.

١٤ ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ﴾: ذلَّله لركوبه والغوص فيه ﴿لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا﴾ هو السمك ﴿وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَا﴾ هي اللؤلؤ والمرجان.

﴿وَتَرَى﴾: تُبصر ﴿ٱلۡفُلۡكَ﴾: السفن ﴿مَوَاخِرَ فِيهِ﴾: تمخُر الماء، أي: تَشُقُّه بجريها فيه مُقبلة ومُدبرة بريح واحدة ﴿وَلِتَبۡتَغُواْ﴾، عطف علىٰ (لتأكلوا) تطلُبوا ﴿مِن فَضۡلِهِۦ﴾ تعالىٰ بالتجارة ﴿وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ اللّه علىٰ ذلك.

وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾

١٥ ـ ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ﴾: جبالاً ثوابت لـ﴿أَن﴾ لا ﴿تَمِيدَ﴾: تتحرك ﴿بِكُمْ وَ﴾ جعل فيها ﴿أَنْهَٰرًا﴾ كالنِّيل ﴿وَسُبُلًا﴾: طُرقاً ﴿لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إلىٰ مقاصدكم.

١٦ ـ ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ﴾ تستدلّون بها علىٰ الطرق كالجبال بالنهار ﴿وَبِٱلنَّجْمِ﴾ بمعنىٰ النجوم ﴿هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ إلىٰ الطرق والقِبلة بالليل.

١٧ ـ ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ﴾ وهو الله ﴿كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ وهو الأصنام حيث تشركونها معه في العبادة؟ لا ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ هذا فتؤمنون؟

١٨ ـ ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾: تَضبطوها فضلاً أن تُطيقوا شكرها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ حيث يُنعم عليكم مع تقصيركم وعصيانكم.

١٩ ـ ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾.

٢٠ ـ ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾: يعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ وهم الأصنام ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾: يُصوَّرون من الحجارة وغيرها.

٢١ ـ ﴿أَمْوَٰتٌ﴾ لا روح فيهم، خبر ثان ﴿غَيْرُ أَحْيَآءٍ﴾، تأكيد ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: الأصنام ﴿أَيَّانَ﴾: وقت ﴿يُبْعَثُونَ﴾ أي: الخلق، فكيف يُعبدون؟ إذ لا يكون إلٰهاً إلا الخالق الحي العالم بالغيب.

٢٢ ـ ﴿إِلَٰهُكُمْ﴾ المستحق للعبادة منكم ﴿إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ لا نظير له في ذاته ولا في صفاته، وهو الله تعالىٰ ﴿فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ﴾: جاحدة للوحدانية ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾: متكبرون عن الإيمان بها.

٢٣ ـ ﴿لَا جَرَمَ﴾: حقاً ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ فيجازيهم بذلك ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾.

٢٤ ـ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّا﴾، استفهامية ﴿ذَآ﴾، موصولة ﴿أَنزَلَ رَبُّكُمْ﴾ علىٰ محمد ﴿قَالُوٓا۟﴾: هو ﴿أَسَٰطِيرُ﴾: أكاذيب ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾ إضلالاً للناس.

٢٥ ـ ﴿لِيَحْمِلُوٓا۟﴾ في عاقبة الأمر ﴿أَوْزَارَهُمْ﴾: ذنوبهم ﴿كَامِلَةً﴾ لم يُكفَّر منها شيء ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ﴾ بعض ﴿أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ لأنهم دعوهم إلىٰ الضلال، فاتبعوهم، فاشتركوا في الإثم ﴿أَلَا سَآءَ﴾: بئس ﴿مَا يَزِرُونَ﴾: يحملونه حملهم هذا.

٢٦ ـ ﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ﴾: قصد ﴿بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾: الأساس ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾ أي: وهم تحته ﴿وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾: من جهةٍ لا تخطر ببالهم، وقيل: هذا تمثيل لإفساد ما أبرموه من المكر بالرسل.

ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوٓءَ عَلَى الْكَٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ الْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَادْخُلُوٓا أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ ۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ الْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ ۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ الْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾

٢٧ ـ ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ﴾: يذلهم ﴿وَيَقُولُ﴾ اللّٰهُ لهم على لسان الملائكة توبيخاً: ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِيَ﴾ بزعمكم ﴿الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ﴾: تُخالفون المؤمنين ﴿فِيهِمْ﴾: في شأنهم؟

﴿قَالَ﴾ أي: يقول ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ من الأنبياء والمؤمنين: ﴿إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوٓءَ عَلَى الْكَٰفِرِينَ﴾ يقولونه شماتة بهم.

٢٨ ـ ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ الْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمْ﴾ بالكفر.

﴿فَأَلْقَوُا السَّلَمَ﴾: انقادوا واستسلموا عند الموت قائلين: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ﴾: شرك.

فتقول الملائكة: ﴿بَلَىٰٓ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم به.

٢٩ ـ ويقال لهم: ﴿فَادْخُلُوٓا أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى﴾: مأوى ﴿الْمُتَكَبِّرِينَ﴾.

٣٠ ـ ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الشرك: ﴿مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ بالإيمان ﴿فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾: حياة طيبة ﴿وَلَدَارُ الْءَاخِرَةِ﴾ أي: الجنة ﴿خَيْرٌ﴾ من الدنيا وما فيها، قال تعالىٰ فيها: ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ هي.

٣١ ـ ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾: إقامةٍ، مبتدأ، خبره: ﴿يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ ۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ﴾ الجزاء ﴿يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ﴾.

٣٢ ـ ﴿الَّذِينَ﴾، نعت ﴿تَتَوَفَّىٰهُمُ الْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ﴾: طاهرين من الكفر.

﴿يَقُولُونَ﴾ لهم عند الموت: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ﴾ ويقال لهم في الآخرة: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

٣٣ ـ ﴿هَلْ﴾: ما ﴿يَنظُرُونَ﴾: ينتظر الكفار ﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ لقبض أرواحهم ﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾: العذاب أو القيامة المشتملة عليه.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما فعل هؤلاء ﴿فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم، كذَّبوا رسلهم فأُهلكوا.

﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾ بإهلاكهم بغير ذنب ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بالكفر.

٣٤ ـ ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا﴾ أي: جزاؤها.

﴿وَحَاقَ﴾: نزل ﴿بِهِم مَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أي: العذاب.

وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ نَّحۡنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ بَلَىٰ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي يَخۡتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾

٣٥ ـ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ نَّحۡنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ﴾ من البحائر والسوائب، فإشراكنا وتحريمنا بمشيئته، فهو راضٍ به، قال تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾ أي: كذبوا رسلهم فيما جاؤوا به ﴿فَهَلۡ﴾: فما ﴿عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾: الإبلاغ البيِّن؟ وليس عليهم هداية.

٣٦ ـ ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا﴾ كما بعثناك في هؤلاء ﴿أَنِ﴾ أي: بأن ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾: وحِّدوه ﴿وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾: الأوثان أن تعبدوها ﴿فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ﴾ فآمن ﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ﴾: وجبت ﴿عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ﴾ في علم الله فلم يؤمن ﴿فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ رسلَهم من الهلاك.

٣٧ ـ ﴿إِن تَحۡرِصۡ﴾ يا محمد ﴿عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ﴾ وقد أضلهم الله، لا تقدر على ذلك ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّۖ﴾: من يريد إضلاله ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾: مانعين من عذاب الله.

٣٨ ـ ﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ أي: غاية اجتهادهم فيها ﴿لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ﴾ قال تعالىٰ: ﴿بَلَىٰ﴾ يبعثهم ﴿وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا﴾، مصدران مؤكدان منصوبان بفعلهما المقدر، أي: وعد ذلك وحقه حقاً ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ ذلك.

٣٩ ـ ﴿لِيُبَيِّنَ﴾، متعلق بـ(يبعثهم) المقدر ﴿لَهُمُ ٱلَّذِي يَخۡتَلِفُونَ﴾ مع المؤمنين ﴿فِيهِ﴾ من أمر الدين بتعذيبهم وإثابة المؤمنين ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰذِبِينَ﴾ في إنكار البعث.

٤٠ ـ ﴿إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ﴾ أي: أردنا إيجاده، و(قولنا) مبتدأ، خبره: ﴿أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ أي: فهو يكون، والآية لتقرير القدرة على البعث.

٤١ ـ ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ﴾ لإقامة دينه ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ﴾ بالأذىٰ من أهل مكة، وهم النبي ﷺ وأصحابه ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ﴾: نُنزلنَّهم ﴿فِي ٱلدُّنۡيَا﴾ داراً ﴿حَسَنَةٗۖ﴾ هي المدينة ﴿وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ أي: الجنة ﴿أَكۡبَرُۚ﴾: أعظم ﴿لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ أي: الكفار أو المتخلفون عن الهجرة ما للمهاجرين من الكرامة لوافقوهم.

٤٢ ـ هم ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ علىٰ أذى المشركين والهجرة لإظهار الدين ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ فيرزقهم من حيث لا يحتسبون. والنصّ عام ينطبق علىٰ كل مؤمن يتعرض للأذىٰ فيهاجر ويصبر في كل زمان ومكان.

وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ فِي تَقَلُّبِهِمۡ فَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ فَإِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدٗا لِّلَّهِ وَهُمۡ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ۩ ﴿٥٠﴾ ۞وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنكُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾

الحزب ٢٨ سجدة

٤٣ ـ ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ﴾ لا ملائكة ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ﴾: العلماء بالتوراة والإنجيل ﴿إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ ذلك، فإنهم يعلمونه، وأنتم إلىٰ تصديقهم أقرب من تصديقكم المؤمنين بمحمد ﷺ، وقوله سبحانه: (فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ) نصٌّ عام يدلّ علىٰ أن المكلّف إذا كان لا يعلم حكم الله في مسألة فعليه أن يسأل العلماء أهل الذكر.

٤٤ ـ ﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ متعلق بمحذوف، أي: أرسلناهم بالحجج الواضحة ﴿وَٱلزُّبُرِۗ﴾: الكتب ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ﴾: القرآن ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ﴾ فيه من الحلال والحرام ﴿وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في ذلك فيعتبرون.

٤٥ ـ ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ﴾ المكرات ﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ بالنبي ﷺ في دار الندوة من تقييده أو قتله أو إخراجه كما ذكر في الأنفال ﴿أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ كقارون ﴿أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ أي: من جهةٍ لا تخطر ببالهم، وقد أُهلكوا ببدر ولم يكونوا يُقدِّرون ذلك.

٤٦ ـ ﴿أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ فِي تَقَلُّبِهِمۡ﴾: في أسفارهم للتجارة ﴿فَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ﴾: بفائتين العذاب.

٤٧ ـ ﴿أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ﴾: تنقّص شيئاً فشيئاً حتىٰ يهلك الجميع، حال من الفاعل أو المفعول ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ حيث لم يعاجلهم بالعقوبة.

٤٨ ـ ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ﴾ له ظل كشجر وجبل ﴿يَتَفَيَّؤُاْ﴾: يتميَّل ﴿ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ﴾، جمع شمال، أي: عن جانبيهما أول النهار وآخره ﴿سُجَّدٗا لِّلَّهِ﴾، حال، أي: خاضعين بما يراد منهم ﴿وَهُمۡ﴾ أي: الظلال ﴿دَٰخِرُونَ﴾: صاغرون، نُزِّلوا منزلة العقلاء.

٤٩ ـ ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ﴾ أي: نَسَمة تَدِبُّ عليها، أي: يخضع له بما يراد منه، وغُلِّب في الإتيان بـ(ما) ما لا يعقل لكثرته ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ خصهم بالذكر تفضيلاً ﴿وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ﴾: يتكبرون عن عبادته.

٥٠ ـ ﴿يَخَافُونَ﴾ أي: الملائكة، حال من ضمير (يستكبرون) ﴿رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ﴾، حال من ربَّهم أي: عالياً عليهم ﴿وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ به. ٥١ ـ ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ﴾، تأكيد ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ أتىٰ به لإثبات الإلٰهية والوحدانية ﴿فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾: خافون دون غيري، وفيه التفات عن الغيبة. ٥٢ ـ ﴿وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ مُلكاً وخلقاً وعبيداً ﴿وَلَهُ ٱلدِّينُ﴾: الطاعة ﴿وَاصِبًاۚ﴾: دائماً، حال من (الدين) والعاملُ فيه معنىٰ الظرف ﴿أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ﴾؟ وهو الإله الحق ولا إله غيره، والاستفهام للإنكار والتوبيخ. ٥٣ ـ ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ﴾ لا يأتي بها غيره، و(ما) شرطية أو موصولة ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ﴾: أصابكم ﴿ٱلضُّرُّ﴾: الفقر والمرض ﴿فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ﴾: ترفعون أصواتكم بالاستغاثة والدعاء، ولا تدعون غيره. ٥٤ ـ ﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنكُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ﴾.

لِيَكْفُرُوا بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْأَخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾

٥٥ - ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ من النعمة ﴿فَتَمَتَّعُوا﴾ باجتماعكم علىٰ عبادة الأصنام، أمرُ تهديد ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عاقبةَ ذلك.

٥٦ - ﴿وَيَجْعَلُونَ﴾ أي: المشركون ﴿لِمَا لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنها تضر ولا تنفع، وهي الأصنام ﴿نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ من الحرث والأنعام بقولهم: هذا لله وهذا لشركائنا ﴿تَاللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ﴾ سؤال توبيخ، وفيه التفات عن الغيبة ﴿عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ علىٰ الله من أنه أمركم بذلك.

٥٧ - ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَٰتِ﴾ بقولهم: الملائكة بنات الله ﴿سُبْحَٰنَهُ﴾: تنزيهاً له عما زعموا ﴿وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ه، أي: البنون، المعنىٰ: يجعلون له البناتِ التي يكرهونها وهو منزه عن الولد، ويجعلون لهم الأبناء الذين يختارونهم، فيختصون بالأسنىٰ كقوله: (فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ).

٥٨ - ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ﴾ تُولد له ﴿ظَلَّ﴾: صار ﴿وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾: متغيراً تغير مُغتَمّ ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾: ممتلئ غمّاً، فكيف تُنسب البنات إليه تعالىٰ؟

٥٩ - ﴿يَتَوَٰرَىٰ﴾: يختفي ﴿مِنَ الْقَوْمِ﴾ أي: قومه ﴿مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِ﴾ خوفاً من التعيير، متردِّداً فيما يفعل به ﴿أَيُمْسِكُهُ﴾: يتركه بلا قتل ﴿عَلَىٰ هُونٍ﴾: هوان وذل ﴿أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾ بأن يئده؟ ﴿أَلَا سَآءَ﴾: بئس ﴿مَا يَحْكُمُونَ﴾ حكمُهم هذا حيث نسبوا لخالقهم البنات اللاتي هي عندهم بهذا المحل.

٦٠ - ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْأَخِرَةِ﴾ أي: الكفار ﴿مَثَلُ السَّوْءِ﴾ أي: الصفة السُّوأىٰ، بمعنىٰ القبيحة، وهي وأدهم البنات مع احتياجهم إليهن للنكاح ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾: الصفة العليا، وهو أنه لا إلٰه إلا هو ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في خلقه.

٦١ - ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم﴾ بالمعاصي ﴿مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا﴾ أي: الأرض ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾: نَسَمة تدبُّ عليها ﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ﴾ عنه ﴿سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ عليه.

٦٢ - ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ لأنفسهم من البنات، والشريك في الرياسة، وإهانة الرسل ﴿وَتَصِفُ﴾: تقول ﴿أَلْسِنَتُهُمُ﴾ مع ذلك ﴿الْكَذِبَ﴾ وهو ﴿أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ﴾ عند الله، أي: الجنة، لقوله: ولئن رُجعت إلىٰ ربي إنَّ لي عنده لَلْحسنىٰ، قال تعالىٰ: ﴿لَا جَرَمَ﴾: حقاً ﴿أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ﴾: متروكون فيها أو مُقدَّمون إليها.

٦٣ - ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ رسلاً ﴿فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ السيئة فرأوها حسنة، فكذبوا الرسل ﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ﴾: متولي أمورهم ﴿الْيَوْمَ﴾ أي: في الدنيا ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مؤلم في الآخرة، وقيل: المراد باليوم يوم القيامة علىٰ حكاية الحال الآتية، أي: لا ولي لهم غيرُه، وهو عاجز عن نصر نفسه، فكيف ينصرهم؟

٦٤ - ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿الْكِتَٰبَ﴾: القرآن ﴿إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ﴾: للناس ﴿الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ من أمر الدين ﴿وَهُدًى﴾، عطف علىٰ (لتبين) ﴿وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ به.

وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلرِّزْقِ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾

٦٥ - ﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ بالنبات ﴿بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾: يُبْسها ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَءَايَةً﴾ دالةً على البعث ﴿لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ سماع تدبُّر.

٦٦ - ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً﴾: اعتباراً ﴿نُّسْقِيكُم﴾، بيان للعبرة ﴿مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ﴾ أي: الأنعام ﴿مِنۢ﴾، للابتداء متعلقة بـ(نُسقيكم) ﴿بَيْنِ فَرْثٍ﴾: ثُفْل الكرش ﴿وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾: سهل المرور في حلقهم لا يغصُّ به.

٦٧ - ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ﴾ ثمرٌ ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا﴾: خمراً تُسكِر، سمِّيت بالمصدر، وهذا قبل تحريمها ﴿وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ كالتمر والزبيب، والخل والدِّبس ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَءَايَةً﴾ دالة على قدرته تعالى ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: يتدبرون.

٦٨ - ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ وحي إلهام ﴿أَنِ﴾، مفسرة أو مصدرية ﴿ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ تأوين إليها ﴿وَمِنَ ٱلشَّجَرِ﴾ بيوتاً ﴿وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ أي: الناس، يبنون لكِ من الأماكن، وإلّا لم تأو إليها.

٦٩ - ﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِي﴾: ادخُلي ﴿سُبُلَ رَبِّكِ﴾: طُرقَه من طلب المرعى ﴿ذُلُلًا﴾، جمع ذَلول حال من (السُّبل) أي: مسخرة لك، فلا تعسر عليك وإن توعَّرت، ولا تَضِلّي عن العود منها وإن بَعُدت، وقيل: من الضمير في (اسلكي) أي: منقادة لما يُراد منك ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ﴾ هو العسل ﴿مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ من الأوجاع، قيل: لبعضها، كما دل عليه تنكير (شفاء)، أو لكلِّها بضميمته إلى غيره، أقول: وبدونها بنيَّته، وقد أمر به ﷺ من استطلق عليه بطنه. رواه الشيخان ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في صنعه تعالى.

٧٠ - ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ﴾ ولم تكونوا شيئاً ﴿ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ﴾ عند انقضاء آجالكم ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾ أي: أخسِّه من الهَرَم والخَرَف ﴿لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ قال عكرمة: من قرأ القرآن لم يَصِرْ بهذه الحالة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بتدبير خلقه ﴿قَدِيرٌ﴾ على ما يريده.

٧١ - ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلرِّزْقِ﴾ فمنكم غني وفقير، ومالك ومملوك ﴿فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟﴾ أي: الموالي ﴿بِرَآدِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ أي: بجاعلي ما رزقناهم من الأموال وغيرها شركة بينهم وبين مماليكهم ﴿فَهُمْ﴾ أي: المماليك والموالي ﴿فِيهِ سَوَآءٌ﴾: شركاء. المعنى: ليس لهم شركاء من مماليكهم في أموالهم، فكيف يجعلون بعض مماليك الله شركاء له؟ ﴿أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾: يكفرون حيث يجعلون له شركاء.

٧٢ - ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ فخلق حواء من ضِلَع آدم، وسائر النساء من نطف الرجال والنساء ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾: أولاد الأولاد ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ من أنواع الثمار والحبوب والحيوان ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ﴾: الصنم ﴿يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ بإشراكهم؟.

ربع الحزب ٢٨

وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾

٧٣ ـ ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ بالمطر ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ بالنبات ﴿شَيْـًٔا﴾، بدل من (رزقاً) ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾: يقدرون علىٰ شيء وهو الأصنام. ٧٤ ـ ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾: لا تجعلوا لله أشباهاً تشركونهم به ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ﴾ أن لا مثل له ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك. ٧٥ ـ ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾، ويبدل منه: ﴿عَبْدًا مَّمْلُوكًا﴾، صفة تميزه من الحُرّ فإنه عبد الله ﴿لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ لعدم ملكه ﴿وَمَن﴾، نكرة موصوفة، أي: حُرّاً ﴿رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا﴾ أي: يتصرف به كيف يشاء. والأول مَثَل الأصنام، والثاني مَثَلُه تعالىٰ ﴿هَلْ يَسْتَوُۥنَ﴾ أي: العبيد العجزة والحر المتصرف؟ لا ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ وحده ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: ما يصيرون إليه من العذاب فيشركون. ٧٦ ـ ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾، ويبدل منه: ﴿رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ﴾: وُلِدَ أخرسَ ﴿لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ لأنه لا يفهم ولا يُفهِم ﴿وَهُوَ كَلٌّ﴾: ثقيل ﴿عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ﴾: وليّ أمره ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ﴾: يصرفه ﴿لَا يَأْتِ﴾ منه ﴿بِخَيْرٍ﴾: بنُجح، وهذا مَثَلُ الصنم ﴿هَلْ يَسْتَوِى هُوَ﴾ أي: الأبكم المذكور ﴿وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾ أي: ومن هو ناطق نافع للناس، حيث يأمر به ويحثّ عليه ﴿وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ﴾: طريق ﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾ وهذا مَثَلٌ لله، والأبكم للأصنام. هذان مثلان لتقريب الحقيقة الكبرىٰ حقيقة أنّ الله سبحانه ليس له مثال، وما يجوز أن يسوّوا في العبادة بين الله وأحد من خلقه، وكلهم له عبيد. والمثل الأول: هل يسوّي عاقل بين العبد المملوك العاجز، والسيد المالك المتصرف؟ فكيف يسوّون بين خالق العباد ومالكهم وبين شيء ممّن خلق وكل مخلوقاته له عبيد؟ والمثل الثاني: يصور الرجل الأبكم الضعيف البليد الذي لا يدري شيئاً ولا يعود بخير، والرجل القوي المتكلم الآمر بالعدل العامل المستقيم علىٰ طريق الخير. ولا يسوّي عاقل بين هذا وذاك، فكيف تمكن التسوية بين صنم أو حجر وبين الله سبحانه وهو القادر العليم الآمر بالمعروف الهادي إلىٰ الصراط المستقيم.

٧٧ ـ ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: عِلم ما غاب فيهما ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ منه لأنه بلفظ (كن) فيكون ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾. ٧٨ ـ ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾، الجملة حال ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ﴾ بمعنىٰ الأسماع ﴿وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾: القلوب ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ه علىٰ ذلك، فتؤمنون. ٧٩ ـ ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ﴾: مذللات للطيران ﴿فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: الهواء بين السماء والأرض ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾ عند قبض أجنحتهن أو بسطها أن يقعن ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾: بقدرته ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ هي خلقُها بحيث يمكنها الطيرانُ، وخَلْقُ الجوِّ بحيث يمكن الطيرانُ فيه وإمساكُها.

وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ﴿٨٠﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدٗا ثُمَّ لَا يُؤۡذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلۡعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمۡ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ شُرَكَآءَهُمۡ قَالُواْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدۡعُواْ مِن دُونِكَۖ فَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلَ إِنَّكُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَى ٱللَّهِ يَوۡمَئِذٍ ٱلسَّلَمَۖ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٨٧﴾

٨٠ ـ ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا﴾: موضعاً تسكنون فيه ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا﴾ كالخيام والقباب ﴿تَسۡتَخِفُّونَهَا﴾ للحمل ﴿يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ﴾: سفركم ﴿وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا﴾ أي: الغنم ﴿وَأَوۡبَارِهَا﴾ أي: الإبل ﴿وَأَشۡعَارِهَآ﴾ أي: المعز ﴿أَثَٰثٗا﴾: متاعاً لبيوتكم كبسط وأكسية ﴿وَمَتَٰعًا﴾ تتمتعون به ﴿إِلَىٰ حِينٖ﴾ يبلىٰ فيه.

٨١ ـ ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ﴾ من البيوت والشجر والغمام ﴿ظِلَٰلٗا﴾، جمع ظل، تقيكم حر الشمس ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا﴾، جمع (كِنّ)، وهو ما يُستكَنُّ فيه كالغار والسَّرَب ﴿وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ﴾: قُمُصاً ﴿تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ﴾ أي: والبرد ﴿وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ﴾: حربكم، أي: الطعن والضرب فيها كالدروع والجواشن ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما خلق هذه الأشياء ﴿يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ﴾ في الدنيا ﴿عَلَيۡكُمۡ﴾ بخلق ما تحتاجون إليه ﴿لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ﴾: تُوحّدونه.

٨٢ ـ ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾: أعرضوا عن الإسلام ﴿فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ﴾ يا محمد ﴿ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾: الإبلاغ البيِّن، وهذا قبل الأمر بالقتال.

٨٣ ـ ﴿يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ﴾ أي: يُقرُّون بأنها من عنده ﴿ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ بإشراكهم ﴿وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾.

٨٤ ـ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوۡمَ نَبۡعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدٗا﴾ هو نبيُّها يشهد لها وعليها، وهو يوم القيامة ﴿ثُمَّ لَا يُؤۡذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ في الاعتذار ﴿وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ﴾: لا يُطلب منهم العُتبىٰ، أي: الرجوع إلىٰ ما يرضي الله لأن الآخرة ليست بدار عمل.

٨٥ ـ ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾: كفروا ﴿ٱلۡعَذَابَ﴾: النار ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمۡ﴾ العذاب ﴿وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ﴾: يُمهلون عنه إذا رأوه.

٨٦ ـ ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ شُرَكَآءَهُمۡ﴾ من الشياطين وغيرها ﴿قَالُواْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدۡعُواْ﴾: نعبدهم ﴿مِن دُونِكَۖ فَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلَ﴾ أي: قالوا لهم: ﴿إِنَّكُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ في قولكم إنكم عبدتمونا، كما في آية أخرىٰ: (مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعۡبُدُونَ)، (سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ).

٨٧ ـ ﴿وَأَلۡقَوۡاْ إِلَى ٱللَّهِ يَوۡمَئِذٍ ٱلسَّلَمَۖ﴾ أي: استسلموا لحكمه ﴿وَضَلَّ﴾: غاب ﴿عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾ من أن آلهتهم تشفع لهم.

الَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

نصف الحزب ٢٨

٨٨ ـ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ﴾ الناسَ ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: دينه ﴿زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ﴾ الذي استحقوه بكفرهم، قال ابن مسعود: عقاربُ أنيابُها كالنخل الطوال ﴿بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ﴾، بصدهم الناسَ عن الإيمان.

٨٩ ـ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ وهو نبيهم ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ يا محمد ﴿شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي: قومك ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾: القرآن ﴿تِبْيَٰنًا﴾: بياناً ﴿لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه الناس من أمر الشريعة ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ﴾ بالجنة ﴿لِلْمُسْلِمِينَ﴾: الموحِّدين.

٩٠ ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾: التوحيد أو الإنصاف ﴿وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾: أداء الفرائض، أو: «أن تعبد الله كأنك تراه» كما في الحديث ﴿وَإِيتَآيِٕ﴾: إعطاء ﴿ذِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾: القرابة، خصه بالذكر اهتماماً به ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ﴾: الزنى ﴿وَٱلْمُنكَرِ﴾ شرعاً من الكفر والمعاصي ﴿وَٱلْبَغْيِ﴾: الظلم للناس، خصه بالذكر اهتماماً كما بدأ بالفحشاء كذلك ﴿يَعِظُكُمْ﴾ بالأمر والنهي ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾: تتعظون، فيه إدغام التاء في الأصل في الذال، وفي «المستدرك» عن ابن مسعود: (وهذه أجمع آية في القرآن للخير والشر).

٩١ ـ ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ من البيع والأيمان وغيرها ﴿إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾: توثيقها ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ بالوفاء حيث حلفتم به، والجملة حال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ تهديد لهم.

٩٢ ـ ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتْ﴾: أفسدت ﴿غَزْلَهَا﴾: ما غزلته ﴿مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾: إحكام له وبرم ﴿أَنكَٰثًا﴾، حال جمع (نِكْث) وهو ما يُنكث أي: يُحَلُّ إحكامُه ﴿تَتَّخِذُونَ﴾، حال من ضمير (تكونوا) أي: لا تكونوا مثلها في اتخاذكم ﴿أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًا﴾ هو ما يدخل في الشيء وليس منه، أي: فساداً وخديعة ﴿بَيْنَكُمْ﴾ بأن تنقضوها ﴿أَن﴾ أي: لأن ﴿تَكُونَ أُمَّةٌ﴾: جماعة ﴿هِيَ أَرْبَىٰ﴾: أكثر ﴿مِنْ أُمَّةٍ﴾ وكانوا يحالفون الحلفاء، فإذا وجدوا أكثر منهم وأعزَّ، نقضوا حلف أولئك وحالفوهم. ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ﴾: يختبركم ﴿ٱللَّهُ بِهِۦ﴾ أي: بما أمر به من الوفاء بالعهد لينظر المطيع منكم والعاصي، أو تكون أمة أربىٰ، لينظر أتفون أم لا؟ ﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ في الدنيا من أمر العهد وغيره، بأن يعذب الناكث ويُثيب الوافي.

٩٣ ـ ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾: أهل دين واحد ﴿وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ وَلَتُسْـَٔلُنَّ﴾ يوم القيامة سؤال تبكيت ﴿عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ لِتُجازَوا عليه.

وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلَۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾

٩٤ - ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلَۢا بَيْنَكُمْ﴾، كرره تأكيداً ﴿فَتَزِلَّ قَدَمُۢ﴾ أي: أقدامكم عن محجة الإسلام ﴿بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾: استقامتها عليها ﴿وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ﴾ أي: العذاب ﴿بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: بصدّكم عن الوفاء بالعهد، أو بصدكم غيركم عنه لأنه يستن بكم ﴿وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في الآخرة.

٩٥ - ﴿وَلَا تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ من الدنيا بأن تنقضوه لأجله.

﴿إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ من الثواب ﴿هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ مما في الدنيا ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ذلك فلا تنقضوا.

٩٦ - ﴿مَا عِندَكُمْ﴾ من الدنيا ﴿يَنفَدُ﴾: يفنىٰ ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾: دائم.

﴿وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ﴾ علىٰ الوفاء بالعهود ﴿أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ أي: لنجزينهم بجزاء أحسن من عملهم الذي كانوا يعملونه في الدنيا.

٩٧ - ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ قيل: هي حياة الجنة، وقيل: في الدنيا، بالقناعة أو الرزق الحلال. ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾.

٩٨ - ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ أي: أردت قراءته ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ أي: قل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

٩٩ - ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ﴾: تسلط ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

١٠٠ - ﴿إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ﴾ بطاعته.

﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ﴾ أي: الله ﴿مُشْرِكُونَ﴾.

١٠١ - ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ﴾ بنسخها وإنزال غيرها لمصلحة العباد ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ﴾ أي: الكفار للنبي ﷺ:

﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ﴾: كذاب تقوله من عندك ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ حقيقة القرآن وفائدة النسخ.

١٠٢ - ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ﴾: جبريل ﴿مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾، متعلق بـ(نزل) ﴿لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بإيمانهم به ﴿وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾.

وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾

١٠٣ ـ ﴿وَلَقَدْ﴾، للتحقيق ﴿نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ﴾ القرآنَ ﴿بَشَرٌ﴾ وهو قَيْنٌ نصرانيٌّ كان النبيُّ ﷺ يدخل عليه.

قال تعالىٰ: ﴿لِّسَانُ﴾: لغة ﴿ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ﴾: يميلون ﴿إِلَيْهِ﴾ أنه يُعلِّمه ﴿أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا﴾ القرآن ﴿لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾: ذو بيان وفصاحة، فكيف يُعلِّمه أعجمي؟

١٠٤ ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مؤلم.

١٠٥ ـ ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: القرآن.

بقولهم: هذا من قول البشر ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾، والتأكيد بالتكرار و(إنّ) وغيرِهما رَدٌّ لقولهم: إنما أنت مفتر.

١٠٦ ـ ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ﴾ علىٰ التلفظ بالكفر فتلفظ به ﴿وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾، و(مَن) مبتدأ أو شرطية، والخبر أو الجواب: لهم وعيدٌ شديد، دل علىٰ هذا: ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا﴾ له، أي: فتحه ووسّعه، بمعنىٰ طابت به نفسه ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

١٠٧ ـ ﴿ذَٰلِكَ﴾ الوعيد لهم ﴿بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾: اختاروها ﴿عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

١٠٨ ـ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ عما يراد بهم.

١٠٩ ـ ﴿لَا جَرَمَ﴾: حقاً ﴿أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ لمصيرهم إلىٰ النار المؤبدة عليهم.

١١٠ ـ ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟﴾ إلىٰ المدينة ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟﴾: عُذبوا وتلفظوا بالكفر، ﴿ثُمَّ جَٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟﴾ علىٰ الطاعة.

﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا﴾ أي: الفتنة ﴿لَغَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم.

وخبر (إنَّ) الأولىٰ دلَّ عليه خبر الثانية.

﴿يَوۡمَ تَأۡتِي كُلُّ نَفۡسٖ تُجَٰدِلُ عَن نَّفۡسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ١١١ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ١١٢ وَلَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡهُمۡ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ١١٣ فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَٱشۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١١٤ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١١٥ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ١١٦ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١١٧ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا مَا قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُۖ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ١١٨﴾

١١١ - اذكر ﴿يَوۡمَ تَأۡتِي كُلُّ نَفۡسٖ تُجَٰدِلُ﴾: تحاجُّ ﴿عَن نَّفۡسِهَا﴾ لا يُهمُّها غيرُها، وهو يوم القيامة ﴿وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ﴾ جزاءَ ﴿مَّا عَمِلَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ شيئاً.

١١٢ - ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا﴾، ويبدل منه: ﴿قَرۡيَةٗ﴾: هي مكة والمراد أهلها ﴿كَانَتۡ ءَامِنَةٗ﴾ من الغارات لا تُهاجُ ﴿مُّطۡمَئِنَّةٗ﴾ لا يُحتاج إلىٰ الانتقال عنها لضَيقٍ أو خوف ﴿يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا﴾: واسعاً ﴿مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ﴾ أي: بنعمه سبحانه من الرزق والأمن المستمر وإرسال محمد ﷺ فلم يشكروا هذه النعم بل كفروا بها وكذبوه ﷺ.

﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ﴾ فقُحطوا سبعَ سنين ﴿وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ﴾.

وهذا المثل ينطبق علىٰ أهل مكة وعلىٰ غيرهم ممن يشاركونهم هذه الصفات المذكورة.

١١٣ - ﴿وَلَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡهُمۡ﴾: محمد ﷺ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلۡعَذَابُ﴾: الجوع والخوف ﴿وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ﴾.

١١٤ - ﴿فَكُلُواْ﴾ أيها المؤمنون ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَٱشۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾.

١١٥ - ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾.

١١٦ - ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ﴾ أي: لوصف ألسنتكم ﴿ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ﴾ لِمَا لم يُحلَّه الله ولم يُحرِّمه.

﴿لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ﴾ بنسبة ذلك إليه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ﴾.

١١٧ - لهم ﴿مَتَٰعٞ قَلِيلٞ﴾ في الدنيا ﴿وَلَهُمۡ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾: مؤلم.

١١٨ - ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ أي: اليهود ﴿حَرَّمۡنَا مَا قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُۖ﴾ في آية (وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٖۖ) إلىٰ آخرها.

﴿وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ﴾ بتحريم ذلك ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ بارتكاب المعاصي الموجبة لذلك.

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

١١٩ ـ ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ﴾: الشرك، وكلمة (السوء) تعم الشرك والمعاصي والافتراء على الله وغير ذلك ﴿بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟﴾: رجعوا ﴿مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟﴾ عملهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا﴾ أي: الجهالة أو التوبة ﴿لَغَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم، أي: إن أمثال تلك القبائح المذكورة آنفاً لا تمنعهم من قبول التوبة وحصول المغفرة والرحمة إذا ندموا على ما فعلوا وآمنوا وعملوا الصالحات.

١٢٠ ـ ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾: إماماً قدوة، جامعاً لخصال الخير ﴿قَانِتًا﴾: مطيعاً ﴿لِّلَّهِ حَنِيفًا﴾: مائلاً إلى الدين القيم ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

١٢١ ـ ﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ﴾: اصطفاه ﴿وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

١٢٢ ـ ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ﴾، فيه التفات عن الغيبة ﴿فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ هي الثناء الحسن في كل أهل الأديان ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ الذين لهم الدرجات العلى.

١٢٣ ـ ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ﴾: دين ﴿إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾، كرر ردّاً على زعم اليهود والنصارى أنهم على دينه.

١٢٤ ـ ﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ﴾: فُرِض تعظيمه ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ على نبيِّهم، وهم اليهود، أُمروا أن يتفرغوا للعبادة يوم الجمعة، فقالوا: لا نريده، واختاروا السبت، فشُدِّدَ عليهم فيه ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من أمره بأن يُثيب الطائع ويعذب العاصي بانتهاك حرمته.

١٢٥ ـ ﴿ٱدْعُ﴾ الناسَ يا محمد ﴿إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾: دينه ﴿بِٱلْحِكْمَةِ﴾: بالقرآن ﴿وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾: مواعظه، أو القول الرفيق ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى﴾ أي: بالمجادلة التي ﴿هِىَ أَحْسَنُ﴾ كالدعاء إلى الله بآياته والدعاء إلى حججه ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾ أي: عالم ﴿بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ فيجازيهم، وهذا قبل الأمر بالقتال.

١٢٦ ـ ونزل لما قُتل حمزة، ومُثِّلَ به، فقال ﷺ وقد رآه: «لأمثلنّ بسبعين منهم مكانَكَ» رواه البزار والطبراني في «الكبير» (انظر: «مختصر زوائد مسند البزار» (١٣٧٥) و«معجم الطبراني» (٣/١٤٣)) وهو حديث ضعيف كما قال ابن كثير. ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ﴾ عن الانتقام ﴿لَهُوَ﴾ أي: الصبر ﴿خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ فكفَّ ﷺ وكفَّر عن يمينه، رواه البزار.

١٢٧ ـ ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾: بتوفيقه ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: الكفار إن لم يؤمنوا لحرصك على إيمانهم ﴿وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ أي: لا تهتم بمكرهم، فأنا ناصرك عليهم.

١٢٨ ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟﴾ الكفرَ والمعاصيَ ﴿وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ بالطاعة والصبر بالعون والنصر.

سورة الإسراء (ترتيبها ١٧ — آياتها ١١١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾

سورة الإسراء

مكية إلا ﴿وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ﴾ الآيات الثمان، مئة وعشر آيات أو إحدى عشرة آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١ ـ ﴿سُبْحَانَ﴾ أي: تنزيه ﴿الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ﴾ محمد ﷺ ﴿لَيْلًا﴾، نصب على الظرف، والإسراءُ سيرُ الليل، وفائدة ذكره الإشارة بتنكيره إلىٰ تقليل مدته ﴿مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي: مكة ﴿إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾: بيت المقدس لبعده منه ﴿الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ بالثمار والأنهار ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾: عجائب قدرتنا ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوال محمد ﷺ ﴿الْبَصِيرُ﴾ بأفعاله، فيكرمه علىٰ حسب ذلك، فأنعم عليه بالإسراء المشتمل علىٰ اجتماعه بالأنبياء، وعروجه إلىٰ السماء، ورؤية عجائب الملكوت، ومناجاته له تعالىٰ، فإنه ﷺ قال: «أُتيتُ بالبراق ـ وهو دابة أبيض، فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند مُنتهىٰ طَرْفه ـ فركبته، فسار بي حتىٰ أتيتُ بيتَ المقدس، فربطتُ الدابة بالحَلْقة التي تربط فيها الأنبياء، ثم دخلت، فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت، فجاءني جبريل بإناء من خمر، وإناء من لبن، فاخترت اللبن، قال جبريل: أصبت الفطرة. قال: ثم عَرَجَ بي إلىٰ السماء الدنيا، فاستفتح جبريل، قيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أُرسل إليه؟ قال: قد أرسل إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بآدم، فرحب بي، ودعا لي بخير، ثم عُرج بي إلىٰ السماء الثانية، فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟ فقال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بُعث إليه، ففُتح لنا، فإذا أنا بابنَي الخالة يحيىٰ وعيسىٰ، فرحبّا بي، ودعَوَا لي بخير، ثم عُرج بنا إلىٰ السماء الثالثة، فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، فقيل: ومن معك؟ قال: محمد، فقيل: وقد أرسل إليه؟ قال: قد أرسل إليه، ففُتح لنا، فإذا أنا بيوسف، وإذا هو قد أُعطي شطر الحُسن، فرحب بي، ودعا لي بخير، ثم عُرج بنا إلىٰ السماء الرابعة، فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، فقيل: ومن معك؟ قال: محمد، فقيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففُتح لنا، فإذا أنا بإدريس، فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عُرج بنا إلىٰ السماء الخامسة، فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، فقيل: ومن معك قال: محمد، فقيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. ففُتح لنا، فإذا أنا بهارون، فرحب بي، ودعا لي بخير، ثم عُرج بنا إلىٰ السماء السادسة، فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ فقال: جبريل، فقيل: ومن معك؟ قال: محمد، فقيل: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بُعث إليه، ففُتح لنا، فإذا أنا بموسىٰ، فرحب بي، ودعا لي بخير، ثم عُرج بنا إلىٰ السماء السابعة، فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟ فقال: جبريل، فقيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بإبراهيم، فإذا هو مستند إلىٰ البيت المعمور، وإذا هو يدخله كلَّ يوم سبعون ألف ملك، ثم لا يعودون إليه، ثم ذُهب بي إلىٰ سدرة المنتهىٰ، فإذا أوراقها كآذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقلال، فلما غشيها من أمر الله ما غشيها، تغيّرت، فما أحد من خلق الله تعالىٰ يستطيع أن يصفها من حسنها، قال: فأوحىٰ الله إليَّ ما أوحىٰ، وفرض عليَّ في كل يوم وليلة خمسين صلاة، فنزلتُ حتىٰ انتهيتُ إلىٰ موسىٰ، فقال: ما فرض ربك علىٰ أمتك؟ قلت: خمسين صلاة في كل يوم وليلة، قال: ارجع إلىٰ ربك، فاسأله التخفيف، فإنَّ أمتك لا تُطيق ذلك، وإني قد بلوت بني إسرائيل وخَبَرتُهم،

عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ۖ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٧﴾

قال: فرجعت إلىٰ ربي، فقلت: أيْ رب، خفّف عن أمتي، فحطّ عني خمساً، فرجعتُ إلىٰ موسىٰ، قال: ما فعلتَ؟ فقلت: قد حطَّ عني خمساً، قال: إن أمتك لا تُطيق ذلك، فارجع إلىٰ ربك، فاسأله التخفيف لأمتك، قال: فلم أزل أرجع بين ربي وبين موسىٰ، ويحطُّ عني خمساً خمساً حتىٰ قال: يا محمد، هي خمس صلوات في كل يوم وليلة، بكل صلاة عشر، فتلك خمسون صلاة، ومن همَّ بحسنة فلم يعملها، كُتبت له حسنة، فإن عملها، كُتبت له عشراً، ومن همَّ بسيئة ولم يعملها، لم تكتب، فإن عملها، كتبت له سيئة واحدة، فنزلتُ حتىٰ انتهيتُ إلىٰ موسىٰ، فأخبرته، فقال: ارجع إلىٰ ربك فاسأله التخفيف لأمتك فإن أمتك لا تطيق ذلك، فقلت: قد رجعت إلىٰ ربي حتىٰ استحييت». رواه الشيخان واللفظ لمسلم، وروىٰ الحاكم في «المستدرك» عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت ربي ﷻ». ٢ ـ قال تعالىٰ: ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾: التوراة ﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَ﴾نْ ﴿لَا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلًا﴾ فـ(أن) زائدة، والقول مضمر أي: وقلنا لهم: لا تتخذوا من دوني وكيلاً يا. ٣ ـ ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ في السفينة ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾: كثير الشكر لنا، حامداً في جميع أحواله. ٤ ـ ﴿وَقَضَيْنَآ﴾: أوحينا ﴿إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾: التوراة ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: أرض الشام بالمعاصي ﴿مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾: تبغون بغياً عظيماً. ٥ ـ ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا﴾: أولىٰ مرَّتي الفساد ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾: أصحاب قوة في الحرب والبطش ﴿فَجَاسُواْ﴾: تردَّدوا لطلبكم ﴿خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ﴾: وسط دياركم ليقتلوكم ويَسْبُوكم ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾ وقد أفسدوا الأولىٰ فبعث عليهم عباداً لله فقتلوهم، وسَبَوْا أولادهم، وخرَّبوا بيت المقدس. ٦ ـ ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ﴾: الدولة والغَلَبة ﴿عَلَيْهِمْ﴾ بعد حين ﴿وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾: عشيرة. ٧ ـ وقلنا: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ﴾ بالطاعة ﴿أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ لأن ثوابه لها ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ﴾ بالفساد ﴿فَلَهَا﴾ إساءتُكم ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ﴾ المرة ﴿ٱلْأَخِرَةِ﴾ بعثناهم ﴿لِيَسُـۥٓـُٔواْ وُجُوهَكُمْ﴾ يُحزنوكم بالقتل والسبي حزناً يظهر في وجوهكم ﴿وَلِيَدْخُلُواْ ٱلْمَسْجِدَ﴾: بيت المقدس فيُخربوه ﴿كَمَا دَخَلُوهُ﴾ وخرَّبوه ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ﴾: يُهلكوا ﴿مَا عَلَوْاْ﴾: غلبوا عليه ﴿تَتْبِيرًا﴾: هلاكاً. ٨ ـ وقلنا في الكتاب: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ بعد المرة الثانية إن تبتم ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ﴾ إلىٰ الفساد ﴿عُدْنَا﴾ إلىٰ العقوبة، وقد عادوا بتكذيب محمد ﷺ، فسُلِّط عليهم بقتل قريظة ونفي النضير، وضرب الجزية عليهم ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا﴾ مَحْبساً وسِجْناً. ٩ ـ ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي﴾ أي: للطريقة التي ﴿هِيَ أَقْوَمُ﴾: أعدل وأصوب ﴿وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾. ١٠ ـ ﴿وَ﴾ يخبر ﴿أَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأٓخِرَةِ أَعْتَدْنَا﴾: أعددنا ﴿لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾: مؤلماً هو النار. ١١ ـ ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ﴾ علىٰ نفسه وأهله إذا ضجر ﴿دُعَآءَهُۥ﴾ أي: كدعائه له ﴿بِٱلْخَيْرِ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ الجنس ﴿عَجُولًا﴾ بالدعاء علىٰ نفسه وعدم النظر في عاقبته. ١٢ ـ ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ﴾ دالتين علىٰ قدرتنا ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾: طمسنا نورها بالظلام لتسكنوا فيه، والإضافة للبيان ﴿وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ أي: مُبصَراً فيها بالضوء ﴿لِّتَبْتَغُواْ﴾ فيه

مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾

ربع الحزب ٢٩

﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ بالكسب ﴿وَلِتَعْلَمُوا۟﴾ بهما ﴿عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ للأوقات ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ﴾ يُحتاج إليه ﴿فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾: بيّنّاه تبييناً. ١٣ - ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ﴾: عملَه يحمله ﴿فِى عُنُقِهِۦ﴾ خُص بالذكر لأن اللزوم فيه أشد، وقال مجاهد: ما من مولود يولد إلا وفي عنقه ورقة مكتوب فيها شقي أو سعيد ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا﴾ مكتوباً فيه عمله ﴿يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ صفتان لـ(كتاباً). ١٤ - ويقال له: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾: مُحاسِباً. ١٥ - ﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ﴾ لأن ثواب اهتدائه له ﴿وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ لأن إثمه عليها ﴿وَلَا تَزِرُ﴾ نفسٌ ﴿وَازِرَةٌ﴾: آثمة، أي: لا تحمل ﴿وِزْرَ﴾ نفسٍ ﴿أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ﴾ أحداً ﴿حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ يبينُ له ما يجب عليه. ١٦ - ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾: مُنَعَّميها، بمعنىٰ رؤوسائها، بالطاعة علىٰ لسان رسلنا ﴿فَفَسَقُوا۟ فِيهَا﴾: فخرجوا عن أمرنا ﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ﴾ بالعذاب ﴿فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾: أهلكناها بإهلاك أهلها وتخريبها. ١٧ - ﴿وَكَمْ﴾ أي: كثيراً ﴿أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ﴾: الأمم ﴿مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾: عالماً ببواطنها وظواهرها، وبه يتعلق: (بذنوب). ١٨ - ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ﴾ بعمله ﴿ٱلْعَاجِلَةَ﴾ أي: الدنيا ﴿عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ التعجيلَ له، بدل من (له) بإعادة الجار ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ﴾ في الآخرة ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا﴾: يدخلها ﴿مَذْمُومًا﴾: ملوماً ﴿مَّدْحُورًا﴾: مطروداً عن الرحمة. ١٩ - ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا﴾: عمل عملها اللائق بها ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾، حال ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ عند الله، أي: مقبولاً مثاباً عليه. ٢٠ - ﴿كُلًّا﴾ من الفريقين ﴿نُّمِدُّ﴾: نعطي ﴿هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ﴾، بدل ﴿مِنْ﴾، متعلق بـ(نُمدُّ) ﴿عَطَآءِ رَبِّكَ﴾ في الدنيا ﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ﴾ فيها ﴿مَحْظُورًا﴾: ممنوعاً عن أحد. ٢١ - ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ في الرزق والجاه ﴿وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ﴾: أعظم ﴿دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ من الدنيا، فينبغي الاعتناء بها دونها. ٢٢ - ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾: لا ناصر لك. ٢٣ - ﴿وَقَضَىٰ﴾: أمَرَ ﴿رَبُّكَ أَ﴾نْ، أي: بأن ﴿لا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَ﴾ أن تحسنوا ﴿بِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ بأن تبَرُّوهما ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ﴾، فاعل ﴿أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ وأف اسم فعل مضارع بمعنىٰ: أتضجَّرُ ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾: تزجرهما ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾: جميلاً ليِّناً. ٢٤ - ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ﴾: ألِن لهما جانبك الذليل ﴿مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ أي: لرقّتك عليهما ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا﴾ رحماني حين ﴿رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾. ٢٥ - ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ﴾ من إضمار البر والعقوق ﴿إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ﴾: طائعين لله ﴿فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ﴾: الرجّاعين إلىٰ طاعته ﴿غَفُورًا﴾ لما صدر منهم في حق الوالدين من بادرة وهم لا يُضمرون عقوقاً. ٢٦ - ﴿وَءَاتِ﴾: أعطِ ﴿ذَا ٱلْقُرْبَىٰ﴾: القرابة ﴿حَقَّهُۥ﴾ من البر والصلة ﴿وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ بالإنفاق في غير طاعة الله. ٢٧ - ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ أي: علىٰ طريقتهم ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾: شديدَ الكفر لنعمه، فكذلك أخوه المبذر.

وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا
مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا
كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ
لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟
أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ
خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ
سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن
قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى
ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى
هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ
مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ
ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ
إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾
وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ
ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾

٢٨ ـ ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ﴾ أي: المذكورين من ذي القربىٰ وما بعدهم فلم تعطهم ﴿ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا﴾ أي: لطلب رزق تنتظره يأتيك فتعطيهم منه ﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾: ليِّناً سهلاً بأن تعِدَهم بالإعطاء عند مجيء الرزق.

٢٩ ـ ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ أي: لا تمسكها عن الإنفاق كل الإمساك ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا﴾ في الإنفاق ﴿كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا﴾ راجع للأول ﴿مَّحْسُورًا﴾: منقطعاً لا شيء عندك، راجع للثاني.

٣٠ ـ ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ﴾: يُوسعه ﴿لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾: يُضيّقه لمن يشاء ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾: عالماً ببواطنهم وظواهرهم، فيرزقهم علىٰ حسب مصالحهم.

٣١ ـ ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ﴾ بالوَأْد ﴿خَشْيَةَ﴾: مخافة ﴿إِمْلَٰقٍ﴾: فقر ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا﴾: إثماً ﴿كَبِيرًا﴾: عظيماً.

٣٢ ـ ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ﴾ أبلغ من (لا تأتوه) ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً﴾: قبيحاً ﴿وَسَآءَ﴾: بئس ﴿سَبِيلًا﴾: طريقاً هو.

٣٣ ـ ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ﴾: لوارثه ﴿سُلْطَٰنًا﴾: تسلّطاً علىٰ القاتل ﴿فَلَا يُسْرِف﴾: يتجاوز الحدّ ﴿فِّى ٱلْقَتْلِ﴾ بأن يقتل غير قاتله، أو بغير ما قَتل به ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾.

٣٤ ـ ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ﴾ إذا عاهدتم الله أو الناسَ ﴿إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ عنه.

٣٥ ـ ﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ﴾: أتموه ﴿إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ﴾: الميزان السويّ ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾: مآلاً.

٣٦ ـ ﴿وَلَا تَقْفُ﴾: تتّبع ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ﴾: القلب ﴿كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ صاحبُه ماذا فعل به.

٣٧ ـ ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ أي: ذا مرح بالكِبْر والخُيلاء ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ﴾: تَثقبها حتىٰ تبلغ آخرها بِكِبْرك ﴿وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾ المعنىٰ: أنك لا تبلغ هذا المبلغ، فكيف تختال؟

٣٨ ـ ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾.

ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومٗا مَّدۡحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصۡفَىٰكُمۡ رَبُّكُم بِٱلۡبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًاۚ إِنَّكُمۡ لَتَقُولُونَ قَوۡلًا عَظِيمٗا ﴿٤٠﴾ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمۡ إِلَّا نُفُورٗا ﴿٤١﴾ قُل لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٞ كَمَا يَقُولُونَ إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا ﴿٤٢﴾ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ جَعَلۡنَا بَيۡنَكَ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ حِجَابٗا مَّسۡتُورٗا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ وَإِذَا ذَكَرۡتَ رَبَّكَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِ وَحۡدَهُۥ وَلَّوۡاْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِمۡ نُفُورٗا ﴿٤٦﴾ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَسۡتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذۡ يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَ وَإِذۡ هُمۡ نَجۡوَىٰٓ إِذۡ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ﴿٤٧﴾ ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا ﴿٤٨﴾ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ﴿٤٩﴾

٣٩ ـ ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ﴾ يا محمد ﴿رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ﴾: الموعظة ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومٗا مَّدۡحُورًا﴾: مطروداً من رحمة الله.

٤٠ ـ ﴿أَفَأَصۡفَىٰكُمۡ﴾: أخلصكم ﴿رَبُّكُم بِٱلۡبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًاۚ﴾: بناتٍ لنفسه بزعمكم ﴿إِنَّكُمۡ لَتَقُولُونَ﴾ بذلك ﴿قَوۡلًا عَظِيمٗا﴾.

٤١ ـ ﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا﴾: بيَّنا ﴿فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ﴾ من الأمثال والوعد والوعيد ﴿لِيَذَّكَّرُواْ﴾: يتَّعظوا ﴿وَمَا يَزِيدُهُمۡ﴾ ذلك ﴿إِلَّا نُفُورٗا﴾ عن الحق.

٤٢ ـ ﴿قُل﴾ لهم: ﴿لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ﴾ أي: الله ﴿ءَالِهَةٞ كَمَا يَقُولُونَ إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ﴾: طلبوا ﴿إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ﴾ أي: الله ﴿سَبِيلٗا﴾ ليقاتلوه كما هو ديدن الملوك بعضهم مع بعض على طريقة قوله تعالى: (لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ).

٤٣ ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ﴾: تنزيهاً له ﴿وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ﴾ من الشركاء ﴿عُلُوّٗا كَبِيرٗا﴾.

٤٤ ـ ﴿تُسَبِّحُ لَهُ﴾: تنزهه ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن﴾: ما ﴿مِّن شَيۡءٍ﴾ من المخلوقات ﴿إِلَّا يُسَبِّحُ﴾ ملتبساً ﴿بِحَمۡدِهِۦ﴾ أي يقول: سبحان الله وبحمده ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ﴾: تفهمون ﴿تَسۡبِيحَهُمۡۚ﴾ لأنه ليس بلغتكم ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾ حيث لم يعاجلكم بالعقوبة.

٤٥ ـ ﴿وَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ جَعَلۡنَا بَيۡنَكَ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ حِجَابٗا مَّسۡتُورٗا﴾ أي: ساتراً لك عنهم، فلا يرونك.

٤٦ ـ ﴿وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً﴾: أغطية ﴿أَن يَفۡقَهُوهُ﴾ من أن يفهموا القرآن، أي: فلا يفهمونه ﴿وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ﴾: ثقلاً فلا يسمعونه ﴿وَإِذَا ذَكَرۡتَ رَبَّكَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِ وَحۡدَهُۥ وَلَّوۡاْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِمۡ نُفُورٗا﴾ عنه.

٤٧ ـ ﴿نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَسۡتَمِعُونَ بِهِۦٓ﴾: بسببه من الهزء ﴿إِذۡ يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَ﴾ قراءتك ﴿وَإِذۡ هُمۡ نَجۡوَىٰٓ﴾: يتناجون بينهم، أي: يتحدثون ﴿إِذۡ﴾، بدل من (إذ) قبله ﴿يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ في تناجيهم: ﴿إِن﴾: ما ﴿تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا﴾: مخدوعاً مغلوباً على عقله.

٤٨ ـ قال تعالى: ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾ بالمسحور والكاهن والشاعر ﴿فَضَلُّواْ﴾ بذلك عن الهدى ﴿فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا﴾: طريقاً إليه.

٤٩ ـ ﴿وَقَالُوٓاْ﴾ منكرين للبعث: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا﴾.

﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۝٥٠ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ۝٥١ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۝٥٢ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ۝٥٣ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ۝٥٤ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ۝٥٥ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ۝٥٦ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ۝٥٧ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ۝٥٨﴾

٥٠ ـ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾.

٥١ ـ ﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾: يعظم عن قبول الحياة فضلاً عن العظام والرفات، فلا بد من إيجاد الروح فيكم ﴿فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا﴾ إلىٰ الحياة ﴿قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ﴾: خلقكم ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ ولم تكونوا شيئاً، لأن القادر علىٰ البدء قادر علىٰ الإعادة، بل هي أهون ﴿فَسَيُنْغِضُونَ﴾: يحركون ﴿إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾ تعجُّباً ﴿وَيَقُولُونَ﴾ استهزاءً: ﴿مَتَىٰ هُوَ﴾ أي: البعث ﴿قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾.

٥٢ ـ ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ﴾: يناديكم من القبور ﴿فَتَسْتَجِيبُونَ﴾: فتجيبون دعوته من القبور ﴿بِحَمْدِهِ﴾: بأمره، وقيل: وله الحمد ﴿وَتَظُنُّونَ إِن﴾: ما ﴿لَّبِثْتُمْ﴾ في الدنيا ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ لهول ما ترون.

٥٣ ـ ﴿وَقُل لِّعِبَادِي﴾ المؤمنين ﴿يَقُولُوا﴾ للكفار الكلمة ﴿الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ﴾: يفسد ﴿بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾: بيِّن العداوة.

٥٤ ـ والكلمة التي هي أحسن هي: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ﴾ بالتوبة والإيمان ﴿أَوْ إِن يَشَأْ﴾ تعذيبكم ﴿يُعَذِّبْكُمْ﴾ بالموت علىٰ الكفر ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ فتجبرهم علىٰ الإيمان، وهذا قبل الأمر بالقتال.

٥٥ ـ ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فيخصهم بما شاء علىٰ قَدْر أحوالهم ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ بتخصيص كل منهم بفضيلة، كموسىٰ بالكلام، وإبراهيم بالخُلَّة، ومحمد بالإسراء ﴿وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾.

٥٦ ـ ﴿قُلِ﴾ لهم: ﴿ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم﴾ أنهم آلهة ﴿مِّن دُونِهِ﴾ كالملائكة وعيسىٰ وعزير ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ له إلىٰ غيركم.

٥٧ ـ ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾هم آلهةً ﴿يَبْتَغُونَ﴾: يطلبون ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾: القربة بالطاعة، أي: إنّ هؤلاء المعبودين والذين تدعونهم آلهة وفيهم الملائكة وعيسىٰ والعزير ومريم مفتقرون إلىٰ الله يرجون رحمته ويخافون عذابه فلا يصلحون آلهة. ﴿أَيُّهُمْ﴾، بدل من واو (يبتغون) أي: يبتغيها الذي هو ﴿أَقْرَبُ﴾ إليه، فكيف بغيره؟ ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ كغيرهم، فكيف تدعونهم آلهة؟ أي: إن الذين هم أقرب إليه سبحانه كالملائكة والأنبياء يبتغون إلىٰ ربهم الوسيلة التي تبلغهم رضاه، فكيف بغيرهم من هؤلاء الذين تتخذونهم آلهة؟ فما أجدركم أن تكفوا عن هذا الادعاء الباطل، وما أجدركم أن تتوجهوا إلىٰ الله وتعبدوه وحده كما يتوجه إليه الملائكة والأنبياء ممن تدعونهم آلهة. ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾.

٥٨ ـ ﴿وَإِن﴾: ما ﴿مِّن قَرْيَةٍ﴾ أُريدَ أهلها ﴿إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ بالموت ﴿أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾ بالقتل وغيره ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ﴾: اللوح المحفوظ ﴿مَسْطُورًا﴾: مكتوباً.

وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا ﴿٥٩﴾ وَإِذۡ قُلۡنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلرُّءۡيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلۡمَلۡعُونَةَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِۚ وَنُخَوِّفُهُمۡ فَمَا يَزِيدُهُمۡ إِلَّا طُغۡيَٰنٗا كَبِيرٗا ﴿٦٠﴾ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ قَالَ ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيۡتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمۡتَ عَلَيَّ لَئِنۡ أَخَّرۡتَنِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَأَحۡتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذۡهَبۡ فَمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمۡ جَزَآءٗ مَّوۡفُورٗا ﴿٦٣﴾ وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ وَعِدۡهُمۡۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٞۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلٗا ﴿٦٥﴾ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِي يُزۡجِي لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ فِي ٱلۡبَحۡرِ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴿٦٦﴾

٥٩ - ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ﴾ التي اقترحها أهل مكة ﴿إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ﴾ لما أرسلناها فأهلكناهم، ولو أرسلناها إلىٰ هؤلاء، لكذبوا بها، واستحقوا الإهلاك، وقد حكمنا بإمهالهم لإتمام أمر محمد ﷺ ﴿وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ﴾ آية ﴿مُبۡصِرَةٗ﴾: بيِّنة واضحة ﴿فَظَلَمُواْ﴾: كفروا ﴿بِهَاۚ﴾ فأهلكوا ﴿وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ﴾: المعجزات ﴿إِلَّا تَخۡوِيفٗا﴾ للعباد فيؤمنوا.

٦٠ - ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذۡ قُلۡنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِۚ﴾ علماً وقدرة، فهُمْ في قبضته، فبلِّغهم ولا تَخَفْ أحداً، فهو يعصمك منهم ﴿وَمَا جَعَلۡنَا ٱلرُّءۡيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ﴾ عياناً ليلةَ الإسراء ﴿إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلنَّاسِ﴾: أهل مكة إذ كذبوا بها وارتدَّ بعضهم لما أخبرهم بها ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلۡمَلۡعُونَةَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِۚ﴾ وهي الزَّقُّوم التي تَنبت في أصل الجحيم، جعلناها فتنة لهم إذ قالوا: النار تحرق الشجر، فكيف تُنبته؟ ﴿وَنُخَوِّفُهُمۡ﴾ بها ﴿فَمَا يَزِيدُهُمۡ﴾ تخويفُنا ﴿إِلَّا طُغۡيَٰنٗا كَبِيرٗا﴾.

٦١ - ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ﴾ سجودَ تحية بالانحناء ﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ قَالَ ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا﴾، نصب بنزع الخافض، أي: من طين.

٦٢ - ﴿قَالَ أَرَءَيۡتَكَ﴾ أي: أخبرني ﴿هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمۡتَ﴾: فَضَّلت ﴿عَلَيَّ﴾ بالأمر بالسجود له وأنا خير منه خلقتني من نار ﴿لَئِنۡ﴾، لام قسم ﴿أَخَّرۡتَنِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَأَحۡتَنِكَنَّ﴾: لأستأصِلَنَّ ﴿ذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾ بالإغواء ﴿إِلَّا قَلِيلٗا﴾ منهم ممن عصمته.

٦٣ - ﴿قَالَ﴾ تعالىٰ له: ﴿ٱذۡهَبۡ﴾ مُنظراً إلىٰ وقت النفخة الأولىٰ ﴿فَمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمۡ﴾ أنت وهم ﴿جَزَآءٗ مَّوۡفُورٗا﴾: وافراً كاملاً.

٦٤ - ﴿وَٱسۡتَفۡزِزۡ﴾: استخِفَّ ﴿مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ﴾: بدعائك بالغناء والمزامير، وكل داع إلىٰ المعصية ﴿وَأَجۡلِبۡ﴾: صِحْ ﴿عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ وهم الرُّكَّاب والمُشاة في المعاصي ﴿وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ﴾ المُحرَّمة، كالربا والغصب ﴿وَٱلۡأَوۡلَٰدِ﴾ من الزنىٰ ﴿وَعِدۡهُمۡۚ﴾ بأن لا بعث ولا جزاء ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ بذلك ﴿إِلَّا غُرُورًا﴾: باطلاً.

٦٥ - ﴿إِنَّ عِبَادِي﴾: المؤمنين ﴿لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٞۚ﴾: تسلُّط وقوة ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلٗا﴾: حافظاً لهم منك.

٦٦ - ﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِي يُزۡجِي﴾: يُجري ﴿لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ﴾: السفن ﴿فِي ٱلۡبَحۡرِ لِتَبۡتَغُواْ﴾: تطلبوا ﴿مِن فَضۡلِهِۦٓۚ﴾ تعالىٰ بالتجارة ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا﴾ في تسخيرها لكم.

وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٢٩

٦٧ - ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ﴾: الشدة ﴿فِي الْبَحْرِ﴾ خوف الغرق ﴿ضَلَّ﴾: غاب عنكم ﴿مَن تَدْعُونَ﴾: تعبدون من الآلهة فلا تدعونه ﴿إِلَّا إِيَّاهُ﴾ تعالىٰ، فإنكم تدعونه وحده لأنكم في شدة لا يكشفها إلا هو ﴿فَلَمَّا نَجَّاكُمْ﴾ من الغرق وأوصلكم ﴿إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾ عن التوحيد ﴿وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُورًا﴾: جحوداً للنعم.

٦٨ - ﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ﴾ أي: الأرض كقارون ﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ أي: يرميكم بالحصباء كقوم لوط ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا﴾: حافظاً منه.

٦٩ - ﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ﴾ أي: البحر ﴿تَارَةً﴾: مرّة ﴿أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ﴾ أي: ريحاً شديدة لا تمر بشيء إلا قصفته، فتكسر فُلككم ﴿فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ﴾: بكفركم ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾: ناصراً وتابعاً يطالبنا بما فعلنا بكم.

٧٠ - ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا﴾: فضّلنا ﴿بَنِي آدَمَ﴾ بالعلم والنطق واعتدال الخلق وغير ذلك، ومنه طهارتهم بعد الموت ﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ﴾ علىٰ الدواب ﴿وَالْبَحْرِ﴾ علىٰ السفن ﴿وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا﴾ كالبهائم والوحوش ﴿تَفْضِيلًا﴾ فـ(مَن) بمعنىٰ (ما)، أو علىٰ بابها، وتشمل الملائكة، والمرادُ تفضيلُ الجنس، ولا يلزم تفضيلَ أفراده، إذ هم أفضلُ من البشر غير الأنبياء.

٧١ - اذكر ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾: نبيّهم، فيقال: يا أُمة فلان، أو بكتاب أعمالهم، فيقال: يا صاحب الخير، يا صاحب الشّرّ، وهو يوم القيامة ﴿فَمَنْ أُوتِيَ﴾ منهم ﴿كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾: وهم السعداء أولو البصائر في الدنيا ﴿فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ﴾: يُنقصون من أعمالهم ﴿فَتِيلًا﴾: قدر ما يكون في شقّ النواة.

٧٢ - ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ﴾ أي: الدنيا ﴿أَعْمَىٰ﴾ عن الحق ﴿فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ عن طريق النجاة وقراءة القرآن ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾: أبعد طريقاً عنه.

٧٣ - ﴿وَإِن﴾، مخففة ﴿كَادُوا﴾: قاربوا ﴿لَيَفْتِنُونَكَ﴾: ليستنزلونك ﴿عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا﴾ لو فعلت ذلك ﴿لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا﴾.

٧٤ - ﴿وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ﴾ علىٰ الحق بالعصمة ﴿لَقَدْ كِدتَّ﴾: قاربت ﴿تَرْكَنُ﴾: تميل ﴿إِلَيْهِمْ شَيْئًا﴾: رُكوناً ﴿قَلِيلًا﴾ لشدة احتيالهم وإلحاحهم، وهو صريح في أنه ﷺ لم يركن ولا قارب.

٧٥ - ﴿إِذًا﴾: لو ركَنْتَ ﴿لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ﴾ عذاب ﴿الْحَيَاةِ وَضِعْفَ﴾ عذابِ ﴿الْمَمَاتِ﴾ أي: مثلي ما يُعذّب غيرُك في الدنيا والآخرة ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾: مانعاً منه.

وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾

٧٦ ـ وقيل: نزل في كفار قريش لما همّوا بإخراج الرسول من بين أظهرهم فتوعدهم الله: ﴿وإنْ﴾، مخففة ﴿كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾: أرض مكة ﴿لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا﴾ لو أخرجوك ﴿لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ﴾ فيها ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ ثم يهلكون.

٧٧ ـ ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا﴾ أي: كَسُنَّتِنا فيهم من إهلاك من أخرجهم ﴿وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾: تبديلاً.

٧٨ ـ ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾ أي: من وقت زوالها ﴿إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾: إقبال ظلمته، أي: الظهر والعصر، والمغرب والعشاء ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾: صلاة الصبح ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾: تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار.

٧٩ ـ ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ﴾: فصلِّ ﴿بِهِۦ﴾: بالقرآن ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾: فريضة زائدة لك دون أمتك، أو فضيلة على الصلوات المفروضة ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ﴾: يُقيمك ﴿رَبُّكَ﴾ في الآخرة ﴿مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾: يحمدك فيه الأولون والآخرون، وهو مقام الشفاعة في فصل القضاء.

٨٠ ـ ونزل لما أمر بالهجرة ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى﴾ المدينةَ ﴿مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾: إدخالاً مرضيّاً لا أرىٰ فيه ما أكره ﴿وَأَخْرِجْنِى﴾ من مكة ﴿مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾: إخراجاً لا ألتفت بقلبي إليها ﴿وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا﴾: قوة تنصرني بها علىٰ أعدائك.

٨١ ـ ﴿وَقُلْ﴾ عند دخولك مكة: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾: الإسلام ﴿وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾: بطَلَ الكفر ﴿إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾: مُضمحلاً زائلاً، وقد دخلها ﷺ وحول البيت ثلاث مئة وستون صنماً، فجعل يطعنها بعود في يده ويقول ذلك حتىٰ سقطت، رواه الشيخان.

٨٢ ـ ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ﴾، للبيان ﴿ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ به ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الكافرين ﴿إِلَّا خَسَارًا﴾ لكفرهم به.

٨٣ ـ ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾: الكافر ﴿أَعْرَضَ﴾ عن الشكر ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾: ثَنىٰ عِطْفَه مُتبختراً ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾: الفقر والشدة ﴿كَانَ يَـُٔوسًا﴾: قنوطاً من رحمة الله.

٨٤ ـ ﴿قُلْ كُلٌّ﴾ منا ومنكم ﴿يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾: طريقته ﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾: طريقاً فيُثيبه.

٨٥ ـ ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ﴾ أي: اليهود ﴿عَنِ ٱلرُّوحِ﴾ الذي يحيا به البدن ﴿قُلِ﴾ لهم: ﴿ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ أي: علمه لا تعلمونه ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ بالنسبة إلىٰ علمه تعالىٰ.

٨٦ ـ ﴿وَلَئِن﴾، لام قسم ﴿شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ أي: القرآن بأن نمحوه من الصدور والمصاحف ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾.

إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾

٨٧ ـ ﴿إِلَّآ﴾: لكن أبقيناه ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾: عظيماً حيث أنزله عليك، وأعطاك المقام المحمود وغير ذلك من الفضائل.

٨٨ ـ ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ في الفصاحة والبلاغة ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ معيناً، نزل ردّاً لقولهم: لو نشاء لقلنا مثل هذا.

٨٩ ـ ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾: بيّنّا ﴿لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾، صفة لمحذوف، أي: مَثَلاً من جنس كل مَثَل ليتعظوا ﴿فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾: جُحوداً للحق.

٩٠ ـ ﴿وَقَالُوا۟﴾ ـ عطف على (أبىٰ) ـ: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا﴾: عيناً ينبع منها الماء.

٩١ ـ ﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ﴾: بستان ﴿مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا﴾: وسطها ﴿تَفْجِيرًا﴾.

٩٢ ـ ﴿أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾: قطعاً.

﴿أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا﴾ مُقابلة وعِياناً فنراهم.

٩٣ ـ ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ﴾: ذهب.

﴿أَوْ تَرْقَىٰ﴾: تصعد ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ على السُّلَّم.

﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ﴾ لو رقيت فيها ﴿حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا﴾ منها ﴿كِتَٰبًا﴾ فيه تصديقك ﴿نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ﴾ لهم: ﴿سُبْحَانَ رَبِّى﴾ تعجُّب ﴿هَلْ﴾: ما ﴿كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ كسائر الرسل، ولم يكونوا يأتون بآية إلا بإذن الله؟

٩٤ ـ ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟﴾ أي: قولهم منكرين: ﴿أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا﴾ ولم يبعث مَلَكاً؟

٩٥ ـ ﴿قُل﴾ لهم: ﴿لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بدل البشر ﴿مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا﴾ إذ لا يرسل إلىٰ قوم رسولا إلا من جنسهم يمكنهم مخاطبته والفهم عنه.

٩٦ ـ ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ علىٰ صدقي ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾: عالماً ببواطنهم وظواهرهم.

وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾

٩٧ ـ ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ يهدونهم ﴿مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ ماشين ﴿عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ﴾: سكن لهبها ﴿زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾: تلهّباً واشتعالاً.

٩٨ ـ ﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟﴾ منكرين للبعث: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾؟

٩٩ ـ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾: يعلموا ﴿أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ مع عِظَمِهما ﴿قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ أي: الأناسيَّ في الصغر.

﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا﴾ للموت والبعث ﴿لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾ جحوداً له.

١٠٠ ـ ﴿قُل﴾ لهم: ﴿لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ﴾ من الرزق والمطر.

﴿إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ﴾: لبخلتم ﴿خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ﴾: خوف نفادها بالإنفاق فتفتقروا.

﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا﴾: بخيلاً.

١٠١ ـ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾: واضحات، وهي: اليد، والعصا، والطوفان، والجراد، والقُمَّل، والضفادع، والدم، والطمس، والسِّنين، ونقص الثمرات.

﴿فَسْـَٔلْ﴾ يا محمد ﴿بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ عنه سؤال تقرير للمشركين على صدقك.

أو فقلنا له: اسأل ﴿إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾: مخدوعاً مغلوباً على عقلك.

١٠٢ ـ ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ الآيات ﴿إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾: عِبراً.

ولكنك تُعاند ﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾: هالكاً أو مصروفاً عن الخير.

١٠٣ ـ ﴿فَأَرَادَ﴾ فرعون ﴿أَن يَسْتَفِزَّهُم﴾: يُخرج موسى وقومه ﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾: أرض مصر ﴿فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا﴾.

١٠٤ ـ ﴿وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي: الساعة ﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾: جميعاً أنتم وهم.

وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾

سجدة

سُورَةُ الْكَهْفِ

ترتيبها ١٨ — آياتها ١١٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾

سكتة لطيفة على ألف عوجا

١٠٥ ـ ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ﴾ أي: القرآن ﴿وَبِالْحَقِّ﴾ المشتمل عليه ﴿نَزَلَ﴾ كما أنزل لم يعتره تبديل ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ﴾ يا محمد ﴿إِلَّا مُبَشِّرًا﴾ من آمن بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ من كفر بالنار. ١٠٦ ـ ﴿وَقُرْآنًا﴾، منصوب بفعل يفسره ﴿فَرَقْنَاهُ﴾: نزّلناه مُفرّقاً في ثلاث وعشرين سنة ﴿لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾: مَهَل وتُؤدةٍ ليفهموه ﴿وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا﴾: شيئاً بعد شيء علىٰ حسب المصالح. ١٠٧ ـ ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا﴾ تهديد لهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ﴾: قبل نزوله وهم مؤمنو أهل الكتاب ﴿إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾. ١٠٨ ـ ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا﴾: تنزيهاً له عن خلف الوعد ﴿إِنْ﴾، مخففة ﴿كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا﴾ بنزوله وبعث النبي ﷺ ﴿لَمَفْعُولًا﴾. ١٠٩ ـ ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ﴾، عطف بزيادة صفة وهي البكاء ﴿وَيَزِيدُهُمْ﴾ القرآن ﴿خُشُوعًا﴾: تواضعاً لله. ١١٠ ـ وكان ﷺ يقول: يا الله، يا رحمٰن، فقالوا: ينهانا أن نعبد إلٰهين وهو يدعو إلٰهاً آخر معه، فنزل: ﴿قُلِ﴾ لهم: ﴿ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ﴾ أي: سموه بأيهما، أو نادوه بأن تقولوا: يا الله، يا رحمٰن ﴿أَيًّا﴾، شرطية ﴿مَّا﴾، زائدة، أي: أيَّ هذين ﴿تَدْعُوا﴾ فهو حسن، دل علىٰ هذا: ﴿فَلَهُ﴾ أي: لمسماهما ﴿الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ وهذان منها، فإنها كما في الحديث: «اللَّهُ الذي لا إلٰه إلا هو الرحمٰنُ الرحيمُ، الملكُ، القُدُّوس، السَّلامُ، المؤمنُ، المُهَيمِنُ، العزيزُ، الجبارُ، المتكبرُ، الخالقُ، البارئ، المصوِّرُ، الغفارُ، القهارُ، الوهَّابُ، الرزاقُ، الفتاحُ، العليم، القابضُ، الباسطُ، الخافضُ، الرافعُ، المُعزُّ، المذلُّ، السميعُ، البصيرُ، الحَكَمُ، العَدْلُ، اللطيفُ، الخبيرُ، الحليمُ، العظيمُ، الغفورُ، الشكورُ، العليُّ، الكبيرُ، الحفيظُ، المُقيتُ، الحسيبُ، الجليلُ، الكريمُ، الرقيبُ، المجيبُ، الواسعُ، الحكيمُ، الودودُ، المجيدُ، الباعثُ، الشهيدُ، الحقُّ، الوكيلُ، القويُّ، المتينُ، الوليُّ، الحميدُ، المُحصي، المبدئُ، المُعيدُ، المُحيي، المُميتُ، الحيُّ، القيُّومُ، الواجدُ، الماجدُ، الواحدُ، الأحدُ، الصَّمدُ، القادرُ، المقتدرُ، المقدِّمُ، المؤخِّرُ، الأولُ، الآخِرُ، الظاهرُ، الباطنُ، الوالي، المُتعالي، البَرُّ، التَّوابُ، المنتقمُ، العفوُّ، الرؤوف، مالكُ الملك، ذو الجلال والإكرام، المُقسط، الجامعُ، الغنيُّ، المغني، المانعُ، الضارُّ، النافعُ، النورُ، الهادي، البديعُ، الباقي، الوارثُ، الرشيدُ، الصبورُ» رواه الترمذي (٣٥٠٧)، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ بقراءتك فيها، فيسمعك المشركون، فيَسبُّوك ويسبوا القرآن ومن أنزله ﴿وَلَا تُخَافِتْ﴾: تُسِرَّ ﴿بِهَا﴾ لينتفع أصحابك ﴿وَابْتَغِ﴾: اقصد ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾: الجهر والمخافتة ﴿سَبِيلًا﴾: طريقاً وسطاً. ١١١ ـ ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ في الألوهية ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ﴾ ينصره ﴿مِّنَ﴾ أجل ﴿الذُّلِّ﴾ أي: لم يذلَّ فيحتاج إلىٰ ناصر ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾: عَظِّمْهُ عَظمةً تامةً عن اتخاذ الولد والشريك والذل وكلِّ ما لا يليق به، وترتيب الحمد علىٰ ذلك للدلالة علىٰ أنه المستحق لجميع المحامد لكمال ذاته وتفرده في صفاته. روىٰ الإمام أحمد في «مسنده» (٣/٤٣٩) عن معاذ الجُهَني عن رسول الله ﷺ أنه كان يقول: «آية العز الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك» إلىٰ آخر السورة، والله تعالىٰ أعلم.

مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًاۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةًۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾

سُورَةُ الكَهْفِ

مكية إلّا (وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ) الآية مئة وعشر آيات أو خمس عشرة آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ ـ ﴿ٱلْحَمْدُ﴾ هو الوصف بالجميل، ثابت ﴿لِلَّهِ﴾ تعالىٰ، وهل المراد الإعلام بذلك للإيمان به، أو الثناء به، أو هما؟ احتمالات، أفيدُها الثالث ﴿ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾ محمد ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: القرآن ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ﴾ أي: فيه ﴿عِوَجَاۜ﴾: اختلافاً تناقضاً، والجملة حال من (الكتاب). ٢ ـ ﴿قَيِّمًا﴾: مستقيماً، حال ثانية مؤكِّدة ﴿لِّيُنذِرَ﴾: يُخوِّف بالكتاب الكافرين ﴿بَأْسًا﴾: عذاباً ﴿شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ﴾: من قِبَل الله ﴿وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾. ٣ ـ ﴿مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾ هو الجنة. ٤ ـ ﴿وَيُنذِرَ﴾ من جملة الكافرين ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾. ٥ ـ ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ﴾: بهذا القول ﴿مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْۚ﴾ من قبلهم القائلين له ﴿كَبُرَتْ﴾: عَظُمَتْ ﴿كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْۚ﴾، (كلمة) تمييز مفسِّر للضمير المبهم، والمخصوص بالذم محذوف، أي: مقالتهم المذكورة ﴿إِن﴾: ما ﴿يَقُولُونَ﴾ في ذلك ﴿إِلَّا﴾ مقولاً ﴿كَذِبًا﴾. ٦ ـ ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ﴾: مُهلك ﴿نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ﴾: بَعْدَهُم، أي: بَعْدَ تولِّيهم عنك ﴿إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾: القرآن ﴿أَسَفًا﴾: غيظاً وحزناً منك لحرصك علىٰ إيمانهم، ونصبه علىٰ المفعول له. ٧ ـ ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾ من الحيوان والنبات والشجر والأنهار وغير ذلك ﴿زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ﴾: لنختبر الناس ناظرين إلىٰ ذلك ﴿أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ فيه. ٨ ـ ﴿وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا﴾: تراباً فتاتاً ﴿جُرُزًا﴾: يابساً لا يُنبت. ٩ ـ ﴿أَمْ حَسِبْتَ﴾ أي: أظننتَ ﴿أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ﴾: الغار في الجبل ﴿وَٱلرَّقِيمِ﴾: اللوح المكتوب فيه أسماؤهم وأنسابهم وقد سُئل ﷺ عن قِصَّتهم ﴿كَانُوا۟﴾ في قصتهم ﴿مِّنْ﴾ جملة ﴿ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾، خبر كان، وما قبله حال، أي: كانوا عَجَباً دون باقي الآيات، أو أعجبها؟ ليس الأمر كذلك. ١٠ ـ اذكر ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾، جمع فتىٰ، وهو الشاب الكامل خائفين علىٰ إيمانهم من قومهم الكفار ﴿فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ﴾ من قبلك ﴿رَحْمَةً وَهَيِّئْ﴾: أصْلِحْ ﴿لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾: هداية. ١١ ـ ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ أي: أنمناهم ﴿فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾: معدودة. ١٢ ـ ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ﴾: أيقظناهم ﴿لِنَعْلَمَ﴾ علم مشاهدة ﴿أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ﴾: الفريقين المختلفين في مدة لَبْثِهم ﴿أَحْصَىٰ﴾، أفْعَل بمعنىٰ أضْبَط ﴿لِمَا لَبِثُوٓا۟﴾ لِلَبْثِهم، متعلق بما بعده ﴿أَمَدًا﴾: غاية. ١٣ ـ ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ﴾: نقرأ ﴿عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّۚ﴾: بالصدق ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾. ١٤ ـ ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾: قوَّيناها علىٰ قول الحقّ ﴿إِذْ قَامُوا۟﴾ بين يدي ملكهم وقد أمرهم بالسجود للأصنام ﴿فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي: غيره ﴿إِلَٰهًاۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا﴾ أي: قولاً ذا شطط، أي: إفراط في الكفر إن دعونا إلٰهاً غير الله فَرَضاً. ١٥ ـ ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾، مبتدأ ﴿قَوْمُنَا﴾، عطف بيان ﴿ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةًۖ لَّوْلَا﴾: هلّا ﴿يَأْتُونَ عَلَيْهِم﴾: علىٰ عبادتهم ﴿بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍۖ﴾: حجة ظاهرة ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ أي: لا أحد أظلم ﴿مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ بنسبة الشريك إليه تعالىٰ.

وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾

ربع الحزب ٣٠

١٦ ـ قال بعض الفتية لبعض: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾، بكسر الميم وفتح الفاء: ما ترتفقون به من غداء وعشاء.

١٧ ـ ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ﴾: تميل ﴿عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ﴾: ناحيته.

﴿وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾: تتركهم وتتجاوز عنهم فلا تصيبهم البتة.

﴿وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ﴾: متسع من الكهف ينالهم برد الريح ونسيمها.

﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: دلائل قدرته ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾.

١٨ ـ ﴿وَتَحْسَبُهُمْ﴾ لو رأيتهم ﴿أَيْقَاظًا﴾ أي: منتبهين لأن أعينهم منفتحة، جمع يقظ، بكسر القاف ﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾: نيام، جمع راقد.

﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ لئلا تأكل الأرض لحومهم ﴿وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ﴾: يديه ﴿بِٱلْوَصِيدِ﴾: بفناء الكهف، وكانوا إذا انقلبوا انقلب هو مثلهم في النوم واليقظة.

﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾، بسكون العين. منعهم الله بالرعب من دخول أحد عليهم.

١٩ ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما فعلنا بهم ما ذكرنا ﴿بَعَثْنَٰهُمْ﴾: أيقظناهم ﴿لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ﴾ عن حالهم ومدة لَبْثهم.

﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ لأنهم دخلوا الكهف عند طلوع الشمس وبُعثوا عند غروبها، فظنوا أنه غروب يوم الدخول، ثم ﴿قَالُوا۟﴾ متوقفين في ذلك:

﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ﴾: بفضتكم ﴿هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾ أي: أيُّ أطعمة المدينة أحل وأطيب ﴿فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾.

٢٠ ـ ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ﴾: يقتلوكم بالرجم.

﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا﴾ أي: إن عُدتم في ملتهم ﴿أَبَدًا﴾.

وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ
ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا۟
ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ
أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ
رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا
بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ
بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا
وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ
إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ
إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا
﴿٢٤﴾ وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا
﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ
أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ
فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ
رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾

٢١ ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما بعثناهم ﴿أَعْثَرْنَا﴾: أطلعنا ﴿عَلَيْهِمْ﴾ قومهم والمؤمنين ﴿لِيَعْلَمُوٓا۟﴾ أي: قومهم ﴿أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بالبعث ﴿حَقٌّ﴾ بطريق أن القادر علىٰ إنامتهم المدة الطويلة، وإبقائهم علىٰ حالهم بلا غذاء، قادرٌ علىٰ إحياء الموتىٰ ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ﴾: شكَّ ﴿فِيهَآ إِذْ﴾، معمول لـ(أعثرنا) ﴿يَتَنَٰزَعُونَ﴾ أي: المؤمنون والكفار ﴿بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾: أمر الفتية في البناء حولهم ﴿فَقَالُوا۟﴾ أي: أحد الفريقين: ﴿ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم﴾ أي: حولهم ﴿بُنْيَٰنًا﴾ يسترهم ﴿رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ﴾: أمر الفتية ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم﴾: حولهم ﴿مَّسْجِدًا﴾ يُصلَّىٰ فيه، وفُعل ذلك علىٰ باب الكهف، واتخاذ المساجد علىٰ القبور منهي عنه لقوله ﷺ: «لعن الله اليهود والنصارىٰ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» رواه البخاري (١٣٣٠) ومسلم (٥٢٩). ٢٢ ـ ﴿سَيَقُولُونَ﴾ أي: المتنازعون في عدد الفتية في زمن النبي، أي: يقول بعضهم: هم ﴿ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ﴾ أي: بعضهم: ﴿خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ والقولان لنصارىٰ نجران ﴿رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ﴾ أي: ظنّاً في الغيبة عنهم، وهو راجع إلىٰ القولين معاً، ونصبه علىٰ المفعول له، أي: لظنهم ذلك ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أي: المؤمنون: ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾، الجملة من مبتدأ وخبر صفة (سبعة) بزيادة الواو، وقيل: تأكيد ودلالة علىٰ لصوق الصفة بالموصوف، ووصف الأولين بالرجم دون الثالث دليل علىٰ أنه مرضي وصحيح ﴿قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ قال ابن عباس: أنا من القليل، وذكَرهم سبعةً ﴿فَلَا تُمَارِ﴾: تُجادل ﴿فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا﴾ بما أنزل عليك ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم﴾: تطلب الفتيا ﴿مِّنْهُمْ﴾ من أهل الكتاب اليهود ﴿أَحَدًا﴾. ٢٣ ـ وسأله أهل مكة عن خبر أهل الكهف، فقال: «أخبركم به غداً» ولم يقل: إن شاء الله. فنزل: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ﴾ أي: لأجل شيء ﴿إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا﴾ أي: فيما يستقبل من الزمان. ٢٤ ـ ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ أي: إلا ملتبساً بمشيئة الله تعالىٰ بأن تقول: إن شاء الله ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ﴾ أي: مشيئته مُعلِّقاً بها ﴿إِذَا نَسِيتَ﴾التعليق بها، ويكون ذكرُها بعد النسيان كذكرها مع القول، قال الحسن وغيره: ما دام في المجلس ﴿وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا﴾: من خبر أهل الكهف في الدلالة علىٰ نبوتي ﴿رَشَدًا﴾: هداية، وقد فعل الله ذلك. ٢٥ ـ ﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ﴾ بالتنوين ﴿سِنِينَ﴾، عطف بيان لـ(ثلاث مئة)، وهذه السنون الثلاث مئة عند أهل الكتاب شمسية، وتزيد القمرية عليها عند العرب تسع سنين، وقد ذُكرت في قوله: ﴿وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا﴾ أي: تسع سنين، فالثلاث مئة الشمسية ثلاثة مئة وتسع قمرية. ٢٦ ـ ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟﴾ ممن اختلفوا فيه، وهو ما تقدم ذكره ﴿لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: علمه ﴿أَبْصِرْ بِهِۦ﴾ أي: بالله، هي صيغة تعجب ﴿وَأَسْمِعْ﴾ به كذلك، بمعنىٰ: ما أبصَره وما أسمعَهُ، والمراد أنه تعالىٰ لا يغيب عن بصره وسمعه شيء ﴿مَا لَهُم﴾: لأهل السماوات والأرض ﴿مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ﴾: ناصر ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾ لأنه غني عن الشريك. ٢٧ ـ ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾: ملجأ.

وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَوٰةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ ۞ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾

نصف الحزب ٣٠

٢٨ ـ ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ﴾: احبسها ﴿مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَوٰةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ﴾ بعبادتهم ﴿وَجْهَهُۥ﴾ تعالىٰ، لا شيئاً من أعراض الدنيا، وهم الفقراء ﴿وَلَا تَعْدُ﴾: تنصرف ﴿عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ عبّر بهما عن صاحبهما ﴿تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾ أي: القرآن. ﴿وَاتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ في الشرك ﴿وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾: إسرافاً أي: ضياعاً وهلاكاً وسفهاً وتفريطاً.

٢٩ ـ ﴿وَقُلِ﴾ له ولأصحابه: هذا القرآن ﴿الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ تهديد لهم ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: الكافرين ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾: ما أحاط بها ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ﴾: كعكر الزيت ﴿يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾ من حرّه إذا قُرِّب إليها ﴿بِئْسَ الشَّرَابُ﴾ هو ﴿وَسَاءَتْ﴾ أي: النار ﴿مُرْتَفَقًا﴾، تمييز منقول عن الفاعل، أي: قَبُحَ مُرتَفَقُها، وهو مقابل لقوله الآتي في الجنة: (وحَسُنَتْ مُرتَفَقاً)، وإلّا فأيُّ ارتفاق في النار؟

٣٠ ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾، الجملة خبر: (إن الذين)، وفيها إقامة الظاهر مقام المضمر، والمعنىٰ أجرهم، أي: نُثيبهم بما تضمنه.

٣١ ـ ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾: إقامة ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ﴾ قيل: (من) زائدة، وقيل: للتبعيض. وهي جمع أَسْوِرَة كـ(أحْمِرة) جمع سِوَار ﴿مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ﴾: ما رَقَّ من الديباج ﴿وَإِسْتَبْرَقٍ﴾: ما غَلُظَ منه، وفي آية (الرحمٰن): (بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ) ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ جمع أريكة، وهي السرير في الحَجَلَةِ، وهي بيت يزين بالثياب والستور للعروس ﴿نِعْمَ الثَّوَابُ﴾: الجزاء الجنة ﴿وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾.

٣٢ ـ ﴿وَاضْرِبْ﴾: اجعل ﴿لَهُم﴾ للكفار مع المؤمنين ﴿مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ﴾، بدل، وهو وما بعده تفسير للمَثَل ﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا﴾ الكافر ﴿جَنَّتَيْنِ﴾: بستانين ﴿مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ يقتات به.

٣٣ ـ ﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ﴾ (كلتا) مفرد يدل علىٰ التثنية، مبتدأ ﴿ءَاتَتْ﴾، خبره ﴿أُكُلَهَا﴾: ثمرها ﴿وَلَمْ تَظْلِم﴾: تَنْقُص ﴿مِّنْهُ شَيْـًٔا وَفَجَّرْنَا﴾ أي: شَقَقْنا ﴿خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا﴾ يجري بينهما.

٣٤ ـ ﴿وَكَانَ لَهُۥ﴾ مع الجنتين ﴿ثَمَرٌ﴾، بفتح الثاء والميم، وهو جمع ثمرة، كشجرة وشَجَر ﴿فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ﴾ المؤمن ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥ﴾: يُفاخره: ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾: عشيرة.

وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾

٣٥ ـ ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ﴾ بصاحبه يطوف به فيها ويُريه أثمارها، ولم يقل: جَنَّتَيْه، إرادة للروضة، وقيل: اكتفاء بالواحد ﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ بالكفر ﴿قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ﴾: تنعدمَ ﴿هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا﴾.

٣٦ ـ ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى﴾ في الآخرة علىٰ زعمك ﴿لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾: مرجعاً.

٣٧ ـ ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾: يجاوبه: ﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾ لأن آدم خلق منه ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾: مَنِيٍّ ﴿ثُمَّ سَوَّىٰكَ﴾: عَدلَك وصَيَّرك ﴿رَجُلًا﴾.

٣٨ ـ ﴿لَّٰكِنَّا۠﴾ أصله: لكنْ أنا، نُقلت حركة الهمزة إلىٰ النون، أو حذفت الهمزة، ثم أُدغمت النون في مثلها ﴿هُوَ﴾ ضمير الشأن تُفسره الجملة بعده، والمعنىٰ أنا أقول: ﴿ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾.

٣٩ ـ ﴿وَلَوْلَآ﴾: هلَّا ﴿إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ﴾ عند إعجابك بها: هذا ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ في الحديث: «مَن أُعطي خيراً من أهل أو مال، فيقول عند ذلك: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، لم يَر فيه مكروهاً ﴿إِن تَرَنِ أَنَا۠﴾، ضمير فصل بين المفعولين ﴿أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾.

٤٠ ـ ﴿فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ﴾، جواب الشرط ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا﴾، جمع حسبانة، أي: صواعق ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾: أرضاً ملساء لا يثبت عليها قدم.

٤١ ـ ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا﴾، بمعنىٰ غائراً، عطف علىٰ (يرسل) دون (تصبح). لأن غور الماء لا يتسبب عن الصواعق ﴿فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا﴾: حيلة تدركه بها.

٤٢ ـ ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾ مع جنته بالهلاك فهلكت ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾ ندماً وتَحسُّراً ﴿عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا﴾ في عمارة جنته ﴿وَهِىَ خَاوِيَةٌ﴾: ساقطة ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾: دعائمها للكرم، بأن سقطت، ثم سقط الكَرْم ﴿وَيَقُولُ يا﴾ للتنبيه ﴿لَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا﴾.

٤٣ ـ ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ﴾: جماعة ﴿يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ عند هلاكها ﴿وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾ عند هلاكها بنفسه.

٤٤ ـ ﴿هُنَالِكَ﴾ أي: يوم القيامة ﴿ٱلْوَلَٰيَةُ﴾، بفتح الواو: النُّصرة ﴿لِلَّهِ ٱلْحَقِّ﴾، بالجر صفة الجلالة ﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا﴾ من ثواب غيره لو كان يُثيب ﴿وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾: عاقبةً للمؤمنين، ونصبهما علىٰ التمييز.

٤٥ ـ ﴿وَٱضْرِبْ﴾: صَيِّر ﴿لَهُم﴾ لقومك ﴿مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، مفعول أول ﴿كَمَآءٍ﴾، مفعول ثان ﴿أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ﴾: تكاثف بسبب نزول الماء ﴿نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾ أو امتزج الماء بالنبات فروي وحسُن ﴿فَأَصْبَحَ﴾: صار النبات ﴿هَشِيمًا﴾: يابساً متفرقة أجزاؤه ﴿تَذْرُوهُ﴾: تنشره وتُفرقه ﴿ٱلرِّيَٰحُ﴾ فتذهب به، المعنىٰ: شبّه الدنيا بنبات حسن، فيبس، فتكسّر، ففرّقته الرياح ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾: قادراً.

ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ
خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى
ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟
عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ
أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ
مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ
لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟
حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟
لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ
أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ
بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا
﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ
فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ
ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾

٤٦ ـ ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ يتجمل بهما فيها ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ هي: «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» زاد بعضهم: «ولا حول ولا قوة إلا بالله» ﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ أي: ما يأمُله الإنسان ويرجوه عند الله تعالىٰ.

٤٧ ـ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ﴾: فتصير هباءً منبثاً ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾: ظاهرة ليس عليها شيء من جبل ولا غيره ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ﴾: المؤمنين والكافرين ﴿فَلَمْ نُغَادِرْ﴾: نترك ﴿مِنْهُمْ أَحَدًا﴾.

٤٨ ـ ﴿وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾، حال، أي: مصطفين كل أمة صفٌّ، ويقال لهم: ﴿لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ﴾ أي: فُرادىٰ حفاةً عُراةً غُرلاً، ويقال لمنكري البعث: ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ أَ﴾نْ، مخففة من الثقيلة، أي: أنه ﴿لن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾ للبعث.

٤٩ ـ ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾: كتاب كل امرئ في يمينه من المؤمنين، وفي شماله من الكافرين ﴿فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: الكافرين ﴿مُشْفِقِينَ﴾: خائفين ﴿مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ﴾ عند معاينتهم ما فيه من السيئات: ﴿يا﴾ للتنبيه ﴿وَيْلَتَنَا﴾: هلكتنا، وهو مصدر لا فعل له من لفظه ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ من ذنوبنا ﴿إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾: عدَّها وأثبتَها، تعجبوا منه في ذلك ﴿وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا﴾: مُثبَتاً في كتابهم ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾: لا يعاقبه بغير جرم، ولا ينقص من ثواب مؤمن.

٥٠ ـ ﴿وَإِذْ﴾، منصوب بـ(اذكر) ﴿قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ سجود انحناء لا وضع جبهة، تحيةً له ﴿فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ وإبليس هو أبو الجن، فله ذُرية ذكرت معه بَعْدُ، والملائكة لا ذُرية لهم ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ أي: خرج عن طاعته بترك السجود ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾، الخطاب لآدم وذريته، والهاء في الموضعين لإبليس ﴿أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى﴾ تطيعونهم ﴿وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ﴾ أي: أعداء، حال ﴿بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾ إبليسُ وذريتُه في إطاعتهم بدل إطاعة الله.

٥١ ـ ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ﴾ أي: إبليس وذريته ﴿خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: لم أُحْضِر بعضَهم خلقَ بعض ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ﴾: الشياطين ﴿عَضُدًا﴾: أعواناً في الخلق، فكيف تطيعونهم؟

٥٢ ـ ﴿وَيَوْمَ﴾، منصوب بـ(اذكر) ﴿يَقُولُ﴾، بالياء ﴿نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ﴾: الأوثان ﴿ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ ليشفعوا لكم بزعمكم ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ﴾: لم يجيبوهم ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم﴾: بين الأوثان وعابديها ﴿مَّوْبِقًا﴾: وادياً من أودية جهنم يهلكون فيه جميعاً، وهو من (وَبَقَ بالفتح: هلَك).

٥٣ ـ ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟﴾ أي: أيقنوا ﴿أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ أي: واقعون فيها ﴿وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا﴾: مَعدلاً.

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾

٥٤ ـ ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾: بيَّنَّا ﴿فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾، صفة لمحذوف، أي: مَثَلاً من جنس كل مَثَل ليتَّعظوا ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ أي: الكافر ﴿أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾: خصومة في الباطل، وهو تمييز منقول من اسم (كان). المعنىٰ: وكان جدلُ الإنسان أكثرَ شيء فيه.

٥٥ ـ ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟﴾، مفعول ثان ﴿إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ﴾: القرآن ﴿وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾، فاعل، أي: سنتنا فيهم، وهي الإهلاك المقدَّر عليهم ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا﴾، بضمتين جمع قبيل، أي: أنواعاً.

٥٦ ـ ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾ للمؤمنين ﴿وَمُنذِرِينَ﴾: مُخوِّفين للكافرين ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ بقولهم: أبعثَ اللّٰهُ بَشَراً رَسُولاً، ونحوه ﴿لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ﴾: ليبطلوا بجدالهم ﴿ٱلْحَقَّ﴾: القرآن ﴿وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى﴾ أي: القرآن ﴿وَمَآ أُنذِرُوا۟﴾ به من النار ﴿هُزُوًا﴾: سخرية.

٥٧ ـ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾: ما عمل من الكفر والمعاصي ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾: أغطية ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾ أي: من أن يفهموا القرآن، أي: فلا يفهمونه ﴿وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾: ثِقلاً فلا يسمعونه ﴿وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا﴾ أي: بالجَعْل المذكور ﴿أَبَدًا﴾.

٥٨ ـ ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم﴾ في الدنيا ﴿بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ﴾ فيها ﴿بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ﴾ وهو يوم القيامة ﴿لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا﴾: ملجأ.

٥٩ ـ ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ أي: أهلها، كعاد وثمود وغيرهما ﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟﴾: كفروا ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم﴾: بفتح الميم، أي: لهلاكهم ﴿مَّوْعِدًا﴾.

٦٠ ـ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ﴾ هو ابن عمران ﴿لِفَتَىٰهُ﴾ يوشع بن نون كان يتبعه ويخدمه ويأخذ منه العلم: ﴿لَآ أَبْرَحُ﴾: لا أزال أسير ﴿حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾: أي: المكان الجامع لذلك ﴿أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا﴾: دهراً طويلاً في بلوغه إن بعد.

٦١ ـ ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا﴾: بين البحرين ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾: نسي يوشع حَمْلَه عند الرحيل، ونسي موسىٰ تذكيره ﴿فَٱتَّخَذَ﴾ الحوتُ ﴿سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ﴾ أي: جعله بجعل الله ﴿سَرَبًا﴾ أي: مثل السرب، وهو الشَّقُّ الطويل لا نفاذ له، وذلك أن الله تعالىٰ أمسك عن الحوت جري الماء، فانجاب عنه، فبقي كالكُوَّة لم يلتئم، وجمد ما تحته منه.

٦٢ ـ ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾ ذلك المكان بالسير إلىٰ وقت الغداء من ثاني يوم ﴿قَالَ﴾ موسىٰ ﴿لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾: هو ما يؤكل أول النهار ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾: تعباً، وحصوله بعد المجاوزة. ٦٣ ـ ﴿قَالَ أَرَءَيْتَ﴾ أي: تَنَبَّهْ ﴿إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ﴾ بذلك المكان ﴿فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾، يبدل من الهاء: ﴿أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾، بدل اشتمال، أي: أنساني ذكره ﴿وَٱتَّخَذَ﴾ الحوتُ ﴿سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾، مفعول ثان، أي: يتعجب منه موسىٰ وفتاه

فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾

لما تقدم في بيانه. ٦٤ ـ ﴿قَالَ﴾ موسىٰ: ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: فَقدُنا الحوتَ ﴿مَا﴾ أي: الذي ﴿كُنَّا نَبْغِ﴾: نطلبه، فإنه علامة لنا علىٰ وجود من نطلبه ﴿فَٱرْتَدَّا﴾: رجعا ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا﴾ يقُصَّانِها ﴿قَصَصًا﴾ فأتيا الصخرة. ٦٥ ـ ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ﴾ هو الخضر ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾: نبوة في قول، وولاية في آخر، وعليه أكثر العلماء ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا﴾: من قِبَلنا ﴿عِلْمًا﴾، مفعول ثان، أي: معلوماً من المغيبات، روىٰ البخاري حديث: «إن موسىٰ قام خطيباً في بني إسرائيل، فسُئل أيُّ الناس أعلم؟ فقال: أنا، فعتب اللّٰهُ عليه إذ لم يَرُدَّ العلمَ إليه، فأوحىٰ الله إليه، إن لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال موسىٰ: يا ربِّ، فكيف لي به؟ قال: تأخذ معك حوتاً، فتجعلُه في مِكْتَل، فحيثما فقدتَ الحوت، فهو ثَمَّ. فأخذَ حوتاً فجعله في مِكْتَل ثم انطلق، وانطلق معه فتاه يوشع بنُ نون، حتىٰ أتيا الصخرةَ، ووضعا رؤوسهما فناما، واضطرب الحوتُ في المِكْتَل، فخرج منه، فسقط في البحر، فاتخذ سبيله في البحر سرباً، وأمسك الله عن الحوت جرية الماء، فصار عليه مثل الطَّاق، فلما استيقظ، نسي صاحبه أن يخبره بالحوت، فانطلقا بقية يومهما وليلتهما، حتىٰ إذا كانا من الغداة، قال موسىٰ لفتاه: (ءَاتِنَا غَدَآءَنَا) إلىٰ قوله: (وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا) قال: وكان للحوت سَرَباً، ولموسىٰ ولفتاه عجباً» إلخ. ٦٦ ـ ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ أي: صواباً أرشُد به، وسأله ذلك لأن الزيادة في العلم مطلوبة. ٦٧ ـ ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾. ٦٨ ـ ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾ في الحديث السابق عقب هذه الآية: «يا موسىٰ إني علىٰ علم من الله علَّمنيه لا تعلمُه، وأنت علىٰ علم من الله علَّمكه الله لا أعلمُه» وقوله: (خُبْراً) مصدر بمعنىٰ لم تُحِطْ، أي: لم تُخبَر حقيقته. ٦٩ ـ ﴿قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى﴾ أي: وغير عاص ﴿لَكَ أَمْرًا﴾ تأمرني به، وقيّد بالمشيئة لأنه لم يكن علىٰ ثقة من نفسه فيما التزم، وهذه عادة الأنبياء والأولياء أن لا يثقوا إلىٰ أنفسهم طرفة عين. ٧٠ ـ ﴿قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ﴾ تنكره مني في علمك واصبر ﴿حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ أي: أذكره لك بعلَّته، فقبل موسىٰ شرطه رعاية لأدب المتعلم مع العالم. ٧١ ـ ﴿فَٱنطَلَقَا﴾ يمشيان علىٰ ساحل البحر ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ﴾ التي مرت بهما ﴿خَرَقَهَا﴾ الخضر، بأن اقتلع لوحاً أو لوحين منها من جهة البحر بفأس لما بلغت اللُّجَّ ﴿قَالَ﴾ له موسىٰ: ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا﴾ أي: عظيماً منكراً، روي أن الماء لم يدخلها. ٧٢ ـ ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾. ٧٣ ـ ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ﴾ أي: غفلت عن التسليم لك وترك الإنكار عليك ﴿وَلَا تُرْهِقْنِى﴾: تكلّفني ﴿مِنْ أَمْرِى عُسْرًا﴾: مشقة في صحبتي إياك، أي: عاملني فيها بالعفو واليسر. ٧٤ ـ ﴿فَٱنطَلَقَا﴾ بعد خروجهما من السفينة يمشيان ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا﴾ لم يبلغ الحِنث يلعب مع الصبيان، أحسنهم وجهاً ﴿فَقَتَلَهُۥ﴾ الخضر، بأن ذبحه بالسكين مُضطجعاً، أو اقتلع رأسه بيده، أو ضرب رأسه بالجدار، أقوال، وأتىٰ هنا بالفاء العاطفة، لأن القتل عقب اللقيّ، وجواب (إذا): ﴿قَالَ﴾ له موسىٰ: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾ أي: طاهرة لم تبلغ حدَّ التكليف ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ أي: لم تقتل نفساً ﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا﴾ أي: منكراً.

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾﴾

٧٥ ـ ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ زاد: (لك) على ما قبله لعدم العذر هنا.

٧٦ ـ ولهذا ﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا﴾ أي: بعد هذه المرة ﴿فَلَا تُصَاحِبْنِي﴾: لا تتركني أتبعك ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي﴾: من قِبَلي ﴿عُذْرًا﴾ في مفارقتك لي.

٧٧ ـ ﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا﴾: طلبا منهم الطعام بضيافة ﴿فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ أي: يقرب أن يسقط لميلانه ﴿فَأَقَامَهُ﴾ الخضر بيده ﴿قَالَ﴾ له موسىٰ: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾: جُعْلاً، حيث لم يُضيِّفونا مع حاجتنا إلىٰ الطعام.

٧٨ ـ ﴿قَالَ﴾ له الخضر: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ﴾ أي: وقتُ فراق ﴿بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾، فيه إضافة (بين) إلىٰ غير متعدد، سوغها تكريرُه بالعطف بالواو ﴿سَأُنَبِّئُكَ﴾ قبل فراقي لك ﴿بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾.

٧٩ ـ ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ﴾ عشرة ﴿يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ﴾ بها مؤاجرة لها طلباً للكسب ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم﴾ إذا رجعوا، أو أمامهم الآن ﴿مَّلِكٌ﴾ كافر ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ﴾ صالحة ﴿غَصْبًا﴾، نصبه علىٰ المصدر المبيِّن لنوع الأخذ.

٨٠ ـ ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ فإنه كما في حديث مسلم (٢٣٨٠) طبع كافراً، ولو عاش لأرهقهما ذلك، لمحبتهما له يتَّبعانه في ذلك.

٨١ ـ ﴿فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً﴾ أي: صلاحاً وتقى ﴿وَأَقْرَبَ﴾ منه ﴿رُحْمًا﴾: رحمة، وهي البر بوالديه.

٨٢ ـ ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ﴾: مال مدفون من ذهب وفضة ﴿لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ فحُفظا بصلاحه في أنفسهما ومالهما ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾ أي: إيناس رُشدهما ﴿وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾، مفعول له عامله (أراد) ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ﴾ أي: ما ذكر من خرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار ﴿عَنْ أَمْرِي﴾ أي: اختياري، بل بأمر إلهام من الله ﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ يقال: اسطاع واستطاع بمعنىٰ أطاق، ففي هذا وما قبله جمع بين اللغتين، ونُوِّعت العبارة في: (فأردتُ)، (فأردنا)، (فأراد ربك).

٨٣ ـ ﴿وَيَسْأَلُونَكَ﴾ أي: اليهود ﴿عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾ اسمه الإسكندر، ولم يكن نبيّاً، وهو غير الإسكندر المكدوني لأنه ـ أي المكدوني ـ لم يكن موحداً، بل كان وثنياً، وهذا الذي يتحدث عنه القرآن مؤمن بالله موحد معتقد بالبعث والآخرة. ﴿قُلْ سَأَتْلُو﴾: سأقصُّ ﴿عَلَيْكُم مِّنْهُ﴾ من حاله ﴿ذِكْرًا﴾: خبراً.

إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا ﴿٨٤﴾ فَأَتۡبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٖ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوۡمٗاۖ قُلۡنَا يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمۡ حُسۡنٗا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوۡفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا نُّكۡرٗا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنۡ أَمۡرِنَا يُسۡرٗا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَطۡلُعُ عَلَىٰ قَوۡمٖ لَّمۡ نَجۡعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتۡرٗا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَۖ وَقَدۡ أَحَطۡنَا بِمَا لَدَيۡهِ خُبۡرٗا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوۡمٗا لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا ﴿٩٣﴾ قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ قَالَ ٱنفُخُواْۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارٗا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا ﴿٩٧﴾

٨٤ ـ ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ بتسهيل السير فيها ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ﴾ يحتاج إليه ﴿سَبَبٗا﴾: طريقاً يوصله إلىٰ مراده.

٨٥ ـ ﴿فَأَتۡبَعَ سَبَبًا﴾: سلك طريقاً نحو الغرب.

٨٦ ـ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ﴾: موضع غروبها ﴿وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٖ﴾: ذات حَمْأة، وهي الطين الأسود، وغروبها في العين في رأي العين، وإلا فهي أعظم من الدنيا ﴿وَوَجَدَ عِندَهَا﴾ أي: العين ﴿قَوۡمٗاۖ﴾ كافرين ﴿قُلۡنَا يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ﴾ بإلهام ﴿إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ﴾ القوم ﴿وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمۡ حُسۡنٗا﴾ أي: ليكن شأنك معهم إما التعذيب وإمّا الإحسان، فالأول لمن أصرّ علىٰ الكفر، والثاني لمن تاب منه.

٨٧ ـ ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ﴾ بالشرك ﴿فَسَوۡفَ نُعَذِّبُهُۥ﴾: نقتله ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا نُّكۡرٗا﴾: شديداً في النار.

٨٨ ـ ﴿وَأَمَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلۡحُسۡنَىٰۖ﴾ أي: الجنة ﴿وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنۡ أَمۡرِنَا يُسۡرٗا﴾ أي: نأمره بما يسهل عليه.

٨٩ ـ ﴿ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا﴾ نحوالمشرق.

٩٠ ـ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ﴾: موضع طلوعها ﴿وَجَدَهَا تَطۡلُعُ عَلَىٰ قَوۡمٖ لَّمۡ نَجۡعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا﴾ أي: الشمس ﴿سِتۡرٗا﴾ من جبال أو أشجار أو سقف. وهناك احتمال أن يكون المراد بالستر اللباس أي: إنهم قوم عراة الأجسام ليس لهم ستر من الشمس.

٩١ ـ ﴿كَذَٰلِكَۖ﴾ أي: الأمر كما قلنا ﴿وَقَدۡ أَحَطۡنَا بِمَا لَدَيۡهِ﴾ أي: عند ذي القرنين من الآلات والجند وغيرهما ﴿خُبۡرٗا﴾: علماً.

٩٢ ـ ﴿ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا﴾. ٩٣ ـ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا﴾ أي: أمامهما ﴿قَوۡمٗا لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا﴾ أي: لا يفهمونه إلا بعد بطء.

٩٤ ـ ﴿قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ﴾: هما اسمان أعجميان لقبيلتين فلم ينصرفا ﴿مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ بالنهب والبغي عند خروجهم إلينا ﴿فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا﴾: جُعْلاً من المال ﴿عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا﴾: حاجزاً فلا يصلون إلينا. ٩٥ ـ ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي﴾ من المال وغيره ﴿خَيۡرٞ﴾ من خرجكم الذي تجعلونه لي، فلا حاجة بي إليه، وأجعل لكم السدَّ تبرُّعاً ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾لما أطلبه منكم ﴿أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا﴾: حاجزاً حصيناً. ٩٦ ـ ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِۖ﴾: قِطَعه علىٰ قدر الحجارة التي يُبنىٰ بها، فبنىٰ بها، وجعل بينهما الحطب والفحم ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ﴾ أي: جانبي الجبلين بالبناء، ووضع المنافخ والنار حول ذلك ﴿قَالَ ٱنفُخُواْۖ﴾ فنفخوا ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ﴾ أي: الحديد ﴿نَارٗا﴾ أي: كالنار ﴿قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا﴾ هو النحاس المذاب، فأفرغ النحاس المذاب علىٰ الحديد المُحمَّىٰ، فدخل بين زُبره، فصار شيئاً واحداً. ٩٧ ـ ﴿فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ﴾ أي: يأجوج ومأجوج ﴿أَن يَظۡهَرُوهُ﴾ يعلوا ظهره لارتفاعه وملاسته ﴿وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا﴾: خرقاً لصلابته وسمكه.

قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾

٩٨ ـ ﴿قَالَ﴾ ذو القرنين: ﴿هَٰذَا﴾ أي: السد، أي: الإقدار عليه ﴿رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾: نعمة لأنه مانع من خروجهم ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي﴾ بخروجهم القريب من البعث ﴿جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾: مدكوكاً مبسوطاً ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي﴾ بخروجهم وغيره ﴿حَقًّا﴾: كائناً. قال تعالىٰ:

٩٩ ـ ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ يوم خروجهم ﴿يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾: يختلط به لكثرتهم ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ أي: القرن للبعث ﴿فَجَمَعْنَاهُمْ﴾ أي: الخلائق في مكان واحد يوم القيامة ﴿جَمْعًا﴾.

١٠٠ ـ ﴿وَعَرَضْنَا﴾: قرَّبنا ﴿جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾.

١٠١ ـ ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي﴾ أي: القرآن فهم عُميٌ لا يهتدون به ﴿وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ أي: لا يقدرون أن يسمعوا من النبي ما يتلو عليهم بغضاً له، فلا يؤمنون به.

١٠٢ ـ ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي﴾ أي: ملائكتي وعيسىٰ وعزيراً ﴿مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ﴾: أرباباً، مفعول ثان لـ(يتخذوا)، والمفعول الثاني لـ(حسب) محذوف، المعنىٰ: أظنُّوا أن الاتخاذ المذكور لا يغضبني ولا أُعاقبهم عليه؟ كلا ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ﴾ هؤلاء وغيرهم ﴿نُزُلًا﴾ أي: هي مُعدَّة لهم كالمنزل المُعدِّ للضيف.

١٠٣ ـ ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾، تمييز طابق المميز، وبيّنهم بقوله:

١٠٤ ـ ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: بَطَل عملُهم ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ﴾: يظنون ﴿أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾: عملاً يجازَون عليه.

١٠٥ ـ ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ بدلائل توحيده من القرآن وغيره ﴿وَلِقَائِهِ﴾ أي: وبالبعث والحساب والثواب والعقاب ﴿فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾: بطلت ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ أي: لا نجعل لهم قَدْراً.

١٠٦ ـ ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: الأمرُ الذي ذكرتُ من حبوط أعمالهم وغيره ﴿جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾ أي: مهزوءاً بهما.

١٠٧ ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ﴾ في علم الله ﴿جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ﴾ هو وسط الجنة وأعلاها، والإضافة إليه للبيان ﴿نُزُلًا﴾: منزلاً.

١٠٨ ـ ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ﴾: يطلبون ﴿عَنْهَا حِوَلًا﴾: تحوُّلاً إلىٰ غيرها. ١٠٩ ـ ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ﴾ أي: ماؤه ﴿مِدَادًا﴾ هو ما يُكتب به ﴿لِّكَلِمَاتِ رَبِّي﴾ الدالة علىٰ حكمه وعجائبه، بأن تكتب به ﴿لَنَفِدَ الْبَحْرُ﴾ في كتابتها ﴿قَبْلَ أَن تَنفَدَ﴾: تفرُغ ﴿كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ﴾ أي: البحر ﴿مَدَدًا﴾ زيادةً فيه، لَنفِد ولم تفرُغ هي، ونصبه علىٰ التمييز. ١١٠ ـ ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ﴾ آدمي ﴿مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾، (أنَّ) المكفوفة بـ(ما) باقية علىٰ مصدريَّتها، والمعنىٰ: يوحىٰ إليَّ وحدانية الإله ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو﴾: يأمُل ﴿لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ بالبعث والجزاء ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ﴾ أي: فيها بأن يرائي ﴿أَحَدًا﴾.

سورة مريم

بسم الله الرحمن الرحيم

كهيعص ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾

سورة مريم

مكية، أو إلا سجدتها فمدنية، أو إلا (فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ) الآيتين فمدنيتان، وهي ثمان أو تسع وتسعون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿كهيعص﴾ الله أعلم بمراده بذلك.

٢ ـ هذا ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ﴾، مفعول «رحمة» ﴿زَكَرِيَّا﴾، بيان له.

٣ ـ ﴿إِذْ﴾، متعلق بـ(رحمة) ﴿نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً﴾ مشتملاً علىٰ دعاء ﴿خَفِيًّا﴾: سرّاً جوف الليل لأنه أسرع للإجابة.

٤ ـ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ﴾: ضعف ﴿الْعَظْمُ﴾ جميعه ﴿مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ﴾ مني ﴿شَيْبًا﴾، تمييز محول عن الفاعل أي: انتشر الشيب في شعره كما ينتشر شعاع النار في الحطب، وإني أريد أن أدعوك ﴿وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ﴾ أي: بدعائي إياك ﴿رَبِّ شَقِيًّا﴾ أي: خائباً فيما مضىٰ، فلا تخيبني فيما يأتي.

٥ ـ ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ﴾ أي: الذين يلونني في النسب كبني العم ﴿مِن وَرَائِي﴾ أي: بعد موتي علىٰ الدين أن يضيعوه كما شاهدته في بني إسرائيل من تبديل الدين ﴿وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا﴾: لا تلد ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ﴾ من عندك ﴿وَلِيًّا﴾: ابناً.

٦ ـ ﴿يَرِثُنِي﴾، بالرفع صفة (ولياً) ﴿وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾: جدي، العلمَ والنبوة ﴿وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ أي: مرضياً عندك.

٧ ـ قال تعالىٰ في إجابة طلبه الابنَ الحاصل به رحمته: ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ﴾ يرثُ كما سألت ﴿اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ أي: مسمىً بيحيىٰ.

٨ ـ ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ﴾: كيف ﴿يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾ من عتا: يبس، أي: نهاية السن.

٩ ـ ﴿قَالَ﴾: الأمر ﴿كَذَٰلِكَ﴾ من خلق غلام منكما ﴿قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ أي: بأن أردَّ عليك قوة الجماع، وأفتق رحم امرأتك للعُلوق ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ قبل خلقك، ولإظهار الله هذه القدرة العظيمة، ألهمه السؤال ليجاب بما يدلُّ عليها.

١٠ ـ ولما تاقت نفسه إلىٰ سرعة المبشّر به ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً﴾ أي: علامة علىٰ حمل امرأتي ﴿قَالَ آيَتُكَ﴾ عليه ﴿أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ﴾ أي: تمتنع من كلامهم، بخلاف ذكر الله ﴿ثَلَاثَ لَيَالٍ﴾ أي: بأيامها كما في آل عمران: (ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ) ﴿سَوِيًّا﴾، حال من فاعل (تكلم) أي: بلا علة.

١١ ـ ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ﴾ أي: المسجد، وكانوا ينتظرون فتحه ليصلوا فيه بأمره علىٰ العادة ﴿فَأَوْحَىٰ﴾: أشار ﴿إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا﴾: صلوا ﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾: أوائل النهار وأواخره علىٰ العادة، فعلم بمنعه من كلامهم حملها بيحيىٰ.

﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾

نصف الحزب ٣١

١٢ ـ وبعد ولادته قال تعالىٰ له: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: التوراة ﴿بِقُوَّةٍ﴾: بجد ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ﴾: النبوّة، وقيل: الحكمة والفهم والفقه في الدين. ﴿صَبِيًّا﴾ أي: صبياً لم يبلغ.

١٣ ـ ﴿وَحَنَانًا﴾: رحمة للناس ﴿مِّن لَّدُنَّا﴾: من عندنا ﴿وَزَكَوٰةً﴾: صدقة عليهم ﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾ روي: أنه لم يعمل خطيئة ولم يَهُمَّ بها.

١٤ ـ ﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ﴾ أي: محسناً إليهما ﴿وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا﴾: متكبراً ﴿عَصِيًّا﴾: عاصياً لربه.

١٥ ـ ﴿وَسَلَٰمٌ﴾ منا ﴿عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ أي: في هذه الأيام المَخُوفة التي يرىٰ فيها ما لم يره قبلها، فهو آمن فيها.

١٦ ـ ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾: القرآن ﴿مَرْيَمَ﴾ أي: خبرها ﴿إِذِ﴾: حين ﴿ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ أي: اعتزلت في مكان نحو الشرق من الدار.

١٧ ـ ﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا﴾: أرسلت ستراً تستتر به لِتَفْلِيَ رأسها، أو ثيابها، أو تغتسل من حيضها ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ جبريل ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا﴾ بعد لبسها ثيابها ﴿بَشَرًا سَوِيًّا﴾: تام الخلق.

١٨ ـ ﴿قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ فتنتهي عني بتعوُّذي.

١٩ ـ ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾ بالنبوة.

٢٠ ـ ﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ﴾ بتزوج ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾: زانية.

٢١ ـ ﴿قَالَ﴾: الأمر ﴿كَذَٰلِكِ﴾ من خلق غلام منك من غير أب ﴿قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ﴾ أي: بأن ينفخ بأمري جبريلُ فيك فتحملي به. ولكون ما ذكر في معنىٰ العلة عطف عليه: ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ علىٰ قدرتنا ﴿وَرَحْمَةً مِّنَّا﴾ لمن آمن به ﴿وَكَانَ﴾ خلقه ﴿أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ به في علمي. فنفخ جبريل في جيب درعها، فأحسّت بالحمل في بطنها مُصوَّراً.

٢٢ ـ ﴿فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ﴾: تنحّتْ ﴿بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا﴾: بعيداً من أهلها.

٢٣ ـ ﴿فَأَجَآءَهَا﴾: جاء بها ﴿ٱلْمَخَاضُ﴾: وجع الولادة ﴿إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ لتعتمد عليه فولدت ﴿قَالَتْ يَا﴾، للتنبيه ﴿لَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا﴾ الأمر ﴿وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾: شيئاً متروكاً لا يُعرف ولا يُذكر.

٢٤ ـ ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ﴾ أي: جبريل، وكان أسفل منها وقيل: إنه المولود الجديد عيسىٰ ولعل هذا القول هو الأرجح. والله أعلم ﴿أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾: نهر ماء كان انقطع.

٢٥ ـ ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ كانت يابسة، والباء زائدة ﴿تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا﴾، تمييز ﴿جَنِيًّا﴾، صفته.

فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾

٢٦ ـ ﴿فَكُلِي﴾ من الرُّطب ﴿وَٱشْرَبِي﴾ من السَّريّ ﴿وَقَرِّي عَيْنًا﴾ بالولد، تمييز محول من الفاعل، أي: لِتقرَّ عينك به، أي: تسكن فلا تطمح إلىٰ غيره ﴿فَإِمَّا﴾، فيه إدغام نون (إن) الشرطية في (ما) الزائدة ﴿تَرَيِنَّ﴾، حُذفت منه لامُ الفعل وعينُه، وأُلقيت حركتها علىٰ الراء، وكُسرت ياء الضمير لالتقاء الساكنين ﴿مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا﴾ فيسألك عن ولدك ﴿فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ أي: إمساكاً عن الكلام في شأنه وغيره من الأناسيِّ بدليل: ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ أي: بعد ذلك.

٢٧ ـ ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ﴾، حال، فرأوه ﴿قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا﴾: عظيماً حيث أَتيتِ بولد من غير أب.

٢٨ ـ ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾ هو رجل صالح، أي: يا شبيهته في العفة ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ﴾ أي: زانياً ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾: زانية، فمن أين لك هذا الولد؟!

٢٩ ـ ﴿فَأَشَارَتْ﴾ لهم ﴿إِلَيْهِ﴾أن كلموه ﴿قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ﴾ أي: وُجد ﴿فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾.

٣٠ ـ ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: الإنجيل ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾.

٣١ ـ ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ أي: نفّاعاً للناس، إخبار بما كُتب له ﴿وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾: أمرني بهما ﴿مَا دُمْتُ حَيًّا﴾.

٣٢ ـ ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي﴾، منصوب بـ(جعلني) مقدراً ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا﴾: متعاظماً ﴿شَقِيًّا﴾: عاصياً لربه.

٣٣ ـ ﴿وَٱلسَّلَٰمُ﴾ من الله ﴿عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ يقال فيه ما تقدم في السيد يحيىٰ.

٣٤ ـ قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ﴾، بالنصب بتقدير (قُلْتُ) والمعنىٰ: القولَ الحقَّ ﴿ٱلَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ من المِرْية، أي: يشكُّون، وهم النصارىٰ قالوا: إن عيسىٰ ابن الله، كذبوا.

٣٥ ـ ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ﴾: تنزيهاً له عن ذلك ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾ أي: أراد أن يُحدثه ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾، ومن ذلك خلقُ عيسىٰ من غير أب.

٣٦ ـ ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ﴾، بتقدير قل، بدليل: (ما قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ) ﴿هَٰذَا﴾ المذكور ﴿صِرَٰطٌ﴾: طريق ﴿مُّسْتَقِيمٌ﴾: مؤدٍّ إلىٰ الجنة.

٣٧ ـ ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ﴾ أي: النصارىٰ في عيسىٰ، أهو ابن الله، أو إلٰه معه، أو ثالث ثلاثة! ﴿فَوَيْلٌ﴾: فشدة عذاب ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بما ذكر وغيره ﴿مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ أي: حضور يوم القيامة وأهواله.

٣٨ ـ ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ بهم، صيغتا تعجب بمعنىٰ: ما أسمعَهم وما أبصرَهم ﴿يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ في الآخرة. ﴿لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ من إقامة الظاهر مقام المضمر ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ أي: في الدنيا ﴿فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ أي: بيِّن، به صَمُّوا عن سماع الحق، وعَمُوا عن إبصاره، أي: اعجبْ منهم يا مخاطب في سمعهم وإبصارهم في الآخرة بعد أن كانوا في الدنيا صُمّاً عُمياً.

وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾

٣٩ - ﴿وَأَنذِرْهُمْ﴾: خوّفهم يا محمد ﴿يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾، هو يوم القيامة يتحسر فيه المسيء على ترك الإحسان في الدنيا ﴿إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ لهم فيه بالعذاب ﴿وَهُمْ﴾ في الدنيا ﴿فِي غَفْلَةٍ﴾ عنه ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ به.

٤٠ - ﴿إِنَّا نَحْنُ﴾، تأكيد ﴿نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ من العقلاء وغيرهم بإهلاكهم ﴿وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ فيه للجزاء.

٤١ - ﴿وَاذْكُرْ﴾ لهم ﴿فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: خبره ﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا﴾: مبالغاً في الصدق ﴿نَّبِيًّا﴾.

٤٢ - ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ﴾ آزر: ﴿يَا أَبَتِ﴾، التاء عوض عن ياء الإضافة، ولا يجمع بينهما، وكان يعبد الأصنام ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ﴾: لا يكفيك ﴿شَيْئًا﴾ من نفع أو ضرّ.

٤٣ - ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا﴾: طريقاً ﴿سَوِيًّا﴾: مستقيماً.

٤٤ - ﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ﴾ بطاعتك إياه في عبادة الأصنام ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا﴾: كثير العصيان.

٤٥ - ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ﴾ إن لم تتب ﴿فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾: ناصراً وقريناً في النار.

٤٦ - ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ فتعيبها ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ﴾ عن التعرض لها ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ بالحجارة أو بالكلام القبيح فاحذرني ﴿وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾: دهراً طويلاً.

٤٧ - ﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ﴾ مني، أي: لا أصيبك بمكروه ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾، من حَفِيَ، أي: بارّاً، فيجيب دعائي، وقد وفى بوعده المذكور في الشعراء: (وَاغْفِرْ لِأَبِي) وهذا قبل أن يتبين له أنه عدو لله كما ذكره في براءة.

٤٨ - ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ﴾: تعبدون ﴿مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو﴾: أعبدُ ﴿رَبِّي عَسَىٰ أ﴾نْ ﴿لا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي﴾: بعبادته ﴿شَقِيًّا﴾ كما شقيتم بعبادة الأصنام.

٤٩ - ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ بأن ذهب إلى الأرض المقدسة ﴿وَهَبْنَا لَهُ﴾ ابنين يأنس بهما ﴿إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا﴾ منهما ﴿جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾.

٥٠ - ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم﴾ للثلاثة ﴿مِّن رَّحْمَتِنَا﴾ المال والولد ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾: رفيعاً، هو الثناء الحسن في جميع أهل الأديان. ٥١ - ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا﴾ من أخلص في عبادته، وخلّصه الله من الدنس ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾.

وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ مِن رَّحۡمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيّٗا ﴿٥٣﴾ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ﴿٥٥﴾ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗاۤ وَبُكِيّٗا ۩ ﴿٥٨﴾ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ﴿٦٠﴾ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ﴿٦١﴾ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗاۖ وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴿٦٢﴾ تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا ﴿٦٣﴾ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَۖ لَهُۥ مَا بَيۡنَ أَيۡدِينَا وَمَا خَلۡفَنَا وَمَا بَيۡنَ ذَٰلِكَۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّٗا ﴿٦٤﴾

٥٢ ـ ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ﴾ بقول: (يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ) ﴿مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ﴾ اسم جبل ﴿ٱلۡأَيۡمَنِ﴾ أي: الذي يلي يمين موسىٰ حين أقبل من مَدين ﴿وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا﴾: مُناجياً بأن أسمعه الله تعالىٰ كلامه.

٥٣ ـ ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥ مِن رَّحۡمَتِنَآ﴾: نعمتنا ﴿أَخَاهُ هَٰرُونَ﴾، بدل أو عطف بيان ﴿نَبِيّٗا﴾، حال، هي المقصودة بالهبة، إجابة لسؤاله أن يرسل أخاه معه، وكان أسنَّ منه.

٥٤ ـ ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ﴾ لم يَعِد شيئاً إلا وَفَىٰ به، وانتظر مَن وَعَدَهُ ثلاثة أيام حتىٰ رجع إليه في مكانه ﴿وَكَانَ رَسُولٗا﴾ إلىٰ جُرْهُم ﴿نَّبِيّٗا﴾.

٥٥ ـ ﴿وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ﴾ أي: قومه ﴿بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا﴾.

٥٦ ـ ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا﴾.

٥٧ ـ ﴿وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ هو حي في السماء الرابعة، أو السادسة، أو السابعة، أو في الجنة، أُدخِلَها بعد أن أُذيقَ الموت، وأُحيي ولم يُخرج منها.

٥٨ ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾، مبتدأ ﴿ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾، صفة له ﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾، بيان لهم، وهو في معنىٰ الصفة، وما بعده إلىٰ جملة الشرط صفة لـ(النبيين) فقوله: ﴿مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ﴾ أي: إدريس ﴿وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ﴾ في السفينة ﴿وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ أي: إسماعيل وإسحاق ويعقوب ﴿وَ﴾ من ذُرِّية ﴿إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ وهو يعقوب، أي: موسىٰ وهارون وزكريا ويحيىٰ وعيسىٰ ﴿وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآ﴾ أي: من جملتهم، وخبر (أولئك): ﴿إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗاۤ وَبُكِيّٗا﴾، جمع ساجد وباكٍ، أي: فكونوا مثلهم، وأصل بُكِيّ: بُكوي، قلبت الواو ياء والضمة كسرة.

٥٩ ـ ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ بتركها كاليهود والنصارىٰ ﴿وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ﴾ من المعاصي ﴿فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾ هو وادٍ في جهنم، أي: يقعون فيه. وقيل: يلقون شراً وخسراناً وعذاباً شديداً جزاء غيهم وكفرهم. ٦٠ ـ ﴿إِلَّا﴾: لكن ﴿مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ﴾: يُنقصون ﴿شَيۡـٔٗا﴾ من ثوابهم. ٦١ ـ ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٍ﴾: إقامة، بدل من (الجنة) ﴿ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ﴾، حال، أي: غائبين عنها ﴿إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ﴾ أي: موعوده ﴿مَأۡتِيّٗا﴾، بمعنىٰ آتياً، وأصله: مَأْتُوي، أو موعوده هنا (الجنة) يأتيه أهله. ٦٢ ـ ﴿لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا﴾ من الكلام ﴿إِلَّا﴾: لكن يسمعون ﴿سَلَٰمٗاۖ﴾ من الملائكة عليهم، أو من بعضهم علىٰ بعض ﴿وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا﴾ أي: علىٰ قدرهما في الدنيا، وليس في الجنة نهار ولا ليل، بل ضوء ونور أبداً. ٦٣ ـ ﴿تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ﴾: نعطي وننزل ﴿مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا﴾ بطاعته. ٦٤ ـ ونزل لما تأخر الوحي أياماً وقال النبي ﷺ لجبريل: «ما يمنعك أن تزورنا»: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَۖ لَهُۥ مَا بَيۡنَ أَيۡدِينَا﴾ أي: أمامنا من أمور الآخرة ﴿وَمَا خَلۡفَنَا﴾ من أمور الدنيا ﴿وَمَا بَيۡنَ ذَٰلِكَۚ﴾ أي: ما يكون من هذا الوقت إلىٰ قيام الساعة، أي: له علم ذلك جميعه ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّٗا﴾، بمعنىٰ ناسياً، أي: تاركاً لك بتأخير الوحي عنك.

ثلاثة أرباع الحزب ٣١ — سجدة

رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾

٦٥ ـ هو ﴿رَّبُّ﴾: مالك ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾ أي: اصبر عليها ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ أي: مسمى بذلك؟ لا.

٦٦ ـ ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ المنكرُ للبعث: ﴿أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ من القبر كما يقول محمد؟ فالاستفهام بمعنىٰ النفي، أي: لا أحيا بعد الموت. و(ما) زائدة للتأكيد، وكذا اللام، ورُدَّ عليه بقوله تعالىٰ:

٦٧ ـ ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾، أصله: يتذكر، ﴿أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾ فيستدلُّ بالابتداء علىٰ الإعادة.

٦٨ ـ ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾ أي: المنكرين للبعث ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ﴾ أي: نجمع كلاً منهم وشيطانه في سلسلة ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ﴾ من خارجها ﴿جِثِيًّا﴾ علىٰ الركب، جمع جاث.

٦٩ ـ ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ﴾: فرقة منهم ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا﴾: جراءة وعصياناً.

٧٠ ـ ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا﴾: أحقُّ بجهنم، الأشد كفراً ﴿صِلِيًّا﴾: دخولاً واحتراقاً، فنبدأ بهم، وأصله: صُلوي، من صلي، بكسر اللام وفتحها.

٧١ ـ ﴿وَإِن﴾ أي: ما ﴿مِّنكُمْ﴾ أحد ﴿إِلَّا وَارِدُهَا﴾ أي: داخل جهنم ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾: حتَمَهُ وقضىٰ به لا يتركه.

٧٢ ـ ﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟﴾ الشركَ والكفرَ منها ﴿وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ بالشرك والكفر ﴿فِيهَا جِثِيًّا﴾ علىٰ الرُّكب.

٧٣ ـ ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ أي: المؤمنين والكافرين ﴿ءَايَٰتُنَا﴾ من القرآن ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾: واضحاتٍ، حال ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ﴾ نحن وأنتم ﴿خَيْرٌ مَّقَامًا﴾: منزلاً ومسكناً، بالفتح من قام، ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾، بمعنىٰ النادي، وهو مجتمع القوم يتحدثون فيه، يعنون نحن، فنكون خيراً منكم.

٧٤ ـ قال تعالىٰ: ﴿وَكَمْ﴾ أي: كثيراً ﴿أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾ أي: أمة من الأمم الماضية ﴿هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا﴾: مالاً ومتاعاً ﴿وَرِءْيًا﴾: منظراً، من الرؤية، فكما أهلكناهم لكفرهم نُهلك هؤلاء.

٧٥ ـ ﴿قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ﴾، شرط، جوابه: ﴿فَلْيَمْدُدْ﴾، بمعنىٰ الخبر، أي: يمد ﴿لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾ في الدنيا، يستدرجه ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ﴾ كالقتل والأسر ﴿وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ﴾ المشتملة علىٰ جهنم فيدخلونها ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾: أعواناً، أهم أم المؤمنون، وجندُهم الشياطين، وجندُ المؤمنين عليهم الملائكة. ٧٦ ـ ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟﴾ بالإيمان ﴿هُدًى﴾ بما ينزل عليهم من الآيات ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾: هي الطاعة تبقىٰ لصاحبها ﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ أي: ما يُرد إليه ويرجع، بخلاف أعمال الكفار، والخيرية هنا في مقابلة قولهم: (أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا).

أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾

٧٧ ـ ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ العاصي بن وائل ﴿وَقَالَ﴾ لخبّاب بن الأرت ـ القائلِ له: تُبعث بعد الموت، والمطالبُ له بمال ـ: ﴿لَأُوتَيَنَّ﴾ علىٰ تقدير البعث ﴿مَالًا وَوَلَدًا﴾ فأقضيكَ. رواه البخاري (٤٧٣٥) ومسلم (٢٧٩٥).

٧٨ ـ قال تعالىٰ: ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ﴾؟ أي: أعلِمَهُ وأن يُؤتَىٰ ما قاله؟ واستُغني بهمزة الاستفهام عن همزة الوصل فحذفت ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ بأن يُؤتىٰ ما قاله.

٧٩ ـ ﴿كَلَّا﴾ أي: لا يؤتىٰ ذلك ﴿سَنَكْتُبُ﴾: نأمر بكتب ﴿مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا﴾: نزيده بذلك عذاباً فوق عذاب كفره.

٨٠ ـ ﴿وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ﴾ من المال والولد ﴿وَيَأْتِينَا﴾ يوم القيامة ﴿فَرْدًا﴾ لا مال له ولا ولد.

٨١ ـ ﴿وَٱتَّخَذُوا۟﴾ أي: كفار مكة ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: الأوثان ﴿ءَالِهَةً﴾ يعبدونهم ﴿لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا﴾ شفعاء عند الله بأن لا يعذبوا.

٨٢ ـ ﴿كَلَّا﴾ أي: لا مانع من عذابهم ﴿سَيَكْفُرُونَ﴾ أي: الآلهة ﴿بِعِبَادَتِهِمْ﴾ أي: ينفونها كما في آية أُخرىٰ: (مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ) ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾: أعواناً وأعداء.

٨٣ ـ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ﴾: سلّطناهم ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ﴾: تَهيجهم إلىٰ المعاصي ﴿أَزًّا﴾.

٨٤ ـ ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾ بطلب العذاب ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ﴾ الأيامَ والليالي، أو الأنفاس ﴿عَدًّا﴾ إلىٰ وقت عذابهم.

٨٥ ـ اذكر ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ بإيمانهم ﴿إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾، جمع وافد بمعنىٰ راكب.

٨٦ ـ ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ بكفرهم ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾، جمع وارد بمعنىٰ ماشٍ عطشان.

٨٧ ـ ﴿لَّا يَمْلِكُونَ﴾ أي: الناس ﴿ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ أي: شهادة أن لا إله إلا الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٨٨ ـ ﴿وَقَالُوا۟﴾ أي: اليهود والنصارىٰ ومن زعم أن الملائكة بنات الله: ﴿ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾.

٨٩ ـ قال تعالىٰ لهم: ﴿لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا﴾ أي: منكراً عظيماً.

٩٠ ـ ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ﴾ بالانشقاق ﴿مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا﴾ أي: تنطبقُ عليهم من أجل:

٩١ ـ ﴿أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا﴾ قال تعالىٰ: ٩٢ ـ ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾أي: ما يليق به ذلك.

٩٣ ـ ﴿إِن﴾ أي: ما ﴿كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾: ذليلاً خاضعاً يوم القيامة، منهم عُزير وعيسىٰ. ٩٤ ـ ﴿لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ فلا يخفىٰ عليه مبلغ جميعهم ولا واحد منهم.

٩٥ ـ ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾ بلا مال ولا نصير يمنعه.

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّلِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾

سُورَةُ طه

ترتيبها ٢٠ — آياتها ١٣٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طه ﴿١﴾ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَى ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ﴿٤﴾ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿٥﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿٨﴾ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾

الحزب ٣٢

٩٦ ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّلِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ فيما بينهم يتوادُّون ويتحابُّون ويحبُّهم الله تعالىٰ.

٩٧ ـ ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَهُ﴾ أي: القرآن ﴿بِلِسَانِكَ﴾ العربي ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ﴾: الفائزين بالإيمان ﴿وَتُنذِرَ﴾: تخوّف ﴿بِهِ قَوْمًا لُّدًّا﴾، جمع ألدّ، أي: جَدِل بالباطل، وهم كفار مكة.

٩٨ ـ ﴿وَكَمْ﴾ أي: كثيراً ﴿أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾ أي: أمة من الأمم الماضية بتكذيبهم الرسل ﴿هَلْ تُحِسُّ﴾: تجد ﴿مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾: صوتاً خفيّاً؟ لا، فكما أهلكنا أولئك نهلك هؤلاء.

سُورَةُ طه

مكية، مئة وخمسة وثلاثون آية، أو أربعون، أو واثنتان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ـ ﴿طه﴾ الله أعلم بمراده بذلك.

٢ ـ ﴿مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ﴾ يا محمد ﴿لِتَشْقَى﴾: لتتعب بما فعلت بعد نزوله، من طول قيامك بصلاة الليل، أي: خَفِّفْ عن نفسك، أو ما أنزلنا عليك القرآن لتتعب بفرط تأسفك علىٰ كفر قريش إذ ما عليك إلا أن تبلغ. وهذه الآية تسلية من الله لنبيه كقوله تعالىٰ: (فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ ءَاثَرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا) فلا عليك إن لم يؤمنوا؛ واستُعمل الشقاء هنا بمعنىٰ التعب للإشعار بأنه أنزل عليه القرآن ليسعد لا ليشقىٰ.

٣ ـ ﴿إِلَّا﴾: لكن أنزلناه ﴿تَذْكِرَةً﴾ به ﴿لِّمَن يَخْشَى﴾: يخاف الله.

٤ ـ ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى﴾، جمع عُليا، ككبرىٰ وكُبَر.

٥ ـ هو ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ﴾ وهو في اللغة سرير الملك ﴿اسْتَوَى﴾ استواءً يليق به تعالىٰ.

٦ ـ ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ من المخلوقات ﴿وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾: هو التراب النَّديُّ، والمراد الأرضون السبع لأنها تحته.

٧ ـ ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ﴾ في ذكر أو دعاء، فالله غنيٌّ عن الجهر به ﴿فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ منه، أي: ما حدَّثَتْ به النفس، وما خطر ولم تحدِّث به، فلا تُجهد نفسك بالجهر.

٨ ـ ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾: التسعة والتسعون الوارد بها الحديث، والحسنىٰ مؤنث الأحسن. ٩ ـ ﴿وَهَلْ﴾: قد ﴿أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾. ١٠ ـ ﴿إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا﴾ هنا، وذلك في مسيره من مَدين طالباً مصر ﴿إِنِّي ءَانَسْتُ﴾: أبصرتُ ﴿نَارًا لَّعَلِّي ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ﴾: شعلة في رأس فتيلة، أو عُود ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ أي: هادياً يدلُّني علىٰ الطريق، وكان أخطأها لظلمة الليل، وقال: (لعلَّ) لعدم الجزم بوفاء الوعد. ١١ ـ ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى﴾. ١٢ ـ ﴿إِنِّي أَنَا﴾، تأكيد لياء المتكلم ﴿رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ﴾: المطهر أو المبارك ﴿طُوًى﴾، بدل أو عطف بيان.

وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلۡقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلۡقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٞ تَسۡعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذۡهَا وَلَا تَخَفۡۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلۡأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخۡرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا ٱلۡكُبۡرَى ﴿٢٣﴾ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ﴿٣١﴾ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴿٣٢﴾ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَيۡكَ مَرَّةً أُخۡرَىٰٓ ﴿٣٧﴾

١٣ ـ ﴿وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ﴾ من قومك ﴿فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾ إليك مني.

١٤ ـ ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ أي: لتذكرني فيها. وقيل معناه: وأقم الصلاة عند ذكرك لي، فقد أخرج أحمد (٣/ ١٨٤) عن أنس بسند صحيح أن النبي ﷺ قال: «إذا رقد أحدكم عن الصلاة، أو غفل عنها؛ فليصلّها إذا ذكرها فإنّ الله تعالىٰ قال: (وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ)».

١٥ ـ ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا﴾ عن الناس، ويظهرُ لهم قربُها بعلاماتها ﴿لِتُجۡزَىٰ﴾ فيها ﴿كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ﴾ به من خير أو شر.

١٦ ـ ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ﴾ يَصرفَنَّكَ ﴿عَنۡهَا﴾ أي: عن الإيمان بها ﴿مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ في إنكارها ﴿فَتَرۡدَىٰ﴾ أي: فتهلك إن صددت عنها.

١٧ ـ ﴿وَمَا تِلۡكَ﴾ كائنة ﴿بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾؟ الاستفهام للتقرير ليرتب عليه المعجزة فيها.

١٨ ـ ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ﴾: أعتمد ﴿عَلَيۡهَا﴾ عند الوثوب والمشي ﴿وَأَهُشُّ﴾: أخبط ورق الشجر ﴿بِهَا﴾ ليسقط ﴿عَلَىٰ غَنَمِي﴾ فتأكله ﴿وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ﴾، جمع مأربة مثلث الراء، أي: حوائجُ ﴿أُخۡرَىٰ﴾ كحمل الزاد والسقاء، وطرد الهوامِّ، زاد في الجواب بيان حاجاته بها. ١٩ ـ ﴿قَالَ أَلۡقِهَا يَٰمُوسَىٰ﴾. ٢٠ ـ ﴿فَأَلۡقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٞ﴾: ثعبانٌ عظيم ﴿تَسۡعَىٰ﴾: تمشي علىٰ بطنها سريعاً كسرعة الثعبان الصغير المسمىٰ بالجانِّ المعبَّر به فيها في آية أخرىٰ. ٢١ ـ ﴿قَالَ خُذۡهَا وَلَا تَخَفۡۖ﴾ منها ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا﴾، منصوب بنزع الخافض، أي: إلىٰ حالتها ﴿ٱلۡأُولَىٰ﴾ فأدخل يده في فمها فعادت عصاً، وتبيَّن أن موضعَ الإدخال موضعُ مَسكِها بين شعبتيها، وأُري ذلك السيد موسىٰ لئلا يجزع إذا انقلبت حيةً لدىٰ فرعون. ٢٢ ـ ﴿وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ﴾ اليمنىٰ، بمعنىٰ الكف ﴿إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ أي: جنبك الأيسر تحت العَضُد إلىٰ الإبط وأخرجها ﴿تَخۡرُجۡ﴾ خلاف ما كانت عليه من الأدمة ﴿بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ﴾ أي: برص، تُضيءُ كشعاع الشمس تُغشي البصرَ ﴿ءَايَةً أُخۡرَىٰ﴾، وهي و(بيضاء) حالان من ضمير (تخرج). ٢٣ ـ ﴿لِنُرِيَكَ﴾ بها إذا فعلت ذلك لإظهارها ﴿مِنۡ ءَايَٰتِنَا﴾ الآيةَ ﴿ٱلۡكُبۡرَى﴾ أي: العظمىٰ علىٰ رسالتك، وإذا أراد عَوْدَها إلىٰ حالتها الأولىٰ، ضَمَّها إلىٰ جناحه كما تقدم وأخرجها. ٢٤ ـ ﴿ٱذۡهَبۡ﴾ رسولاً ﴿إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ﴾ ومن معه ﴿إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾: جاوز الحدَّ في كفره إلىٰ ادِّعاء الإلٰهية. ٢٥ ـ ﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي﴾: وسِّعه لتحمُّل الرسالة. ٢٦ ـ ﴿وَيَسِّرۡ﴾: سَهِّلْ ﴿لِيٓ أَمۡرِي﴾ لأبلِّغها. ٢٧ ـ ﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي﴾ حدثت من احتراقه بجمرة وضعها بفيه وهو صغير. ٢٨ ـ ﴿يَفۡقَهُواْ﴾: يفهموا ﴿قَوۡلِي﴾ عند تبليغ الرسالة. ٢٩ ـ ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا﴾: مُعيناً عليها ﴿مِّنۡ أَهۡلِي﴾. ٣٠ ـ ﴿هَٰرُونَ﴾، مفعول ثانٍ ﴿أَخِي﴾، عطف بيان. ٣١ ـ ﴿ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي﴾: ظهري. ٣٢ ـ ﴿وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي﴾ أي: الرسالة. ٣٣ ـ ﴿كَيۡ نُسَبِّحَكَ﴾ تسبيحاً ﴿كَثِيرٗا﴾. ٣٤ ـ ﴿وَنَذۡكُرَكَ﴾ ذكراً ﴿كَثِيرًا﴾. ٣٥ ـ ﴿إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا﴾: عالماً فأنعمت بالرسالة. ٣٦ ـ ﴿قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ مَنّاً عليك. ٣٧ ـ ﴿وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَيۡكَ مَرَّةً أُخۡرَىٰٓ﴾.

إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾

٣٨ ـ ﴿إِذْ﴾ للتعليل ﴿أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ﴾ مناماً أو إلهاماً لما ولدتك، وخافت أن يقتلك فرعون في جملة من يولد ﴿مَا يُوحَىٰٓ﴾ في أمرك، ويبدل منه:

٣٩ ـ ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ﴾: ألقيه ﴿فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ﴾ بالتابوت ﴿فِى ٱلْيَمِّ﴾: بحر النيل ﴿فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ﴾ أي: شاطئه، والأمر بمعنىٰ الخبر ﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ﴾ وهو فرعون ﴿وَأَلْقَيْتُ﴾ بعد أن أخذك ﴿عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى﴾ لتُحَبَّ في الناس، فأحبك فرعون وكل من رآك ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾: تربىٰ علىٰ رعايتي وحفظي لك. ٤٠ ـ ﴿إِذْ﴾، للتعليل ﴿تَمْشِىٓ أُخْتُكَ﴾ مريم لتتعرف خبرك وقد أحضروا مراضع وأنت لا تقبل ثدي واحدة منها ﴿فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ﴾ فأُجيبتْ فجاءت بأمه فقبل ثديها ﴿فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ بلقائك ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ حينئذ ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا﴾ هو القبطي بمصر، فاغتمَمْتَ لقتله من جهة فرعون ﴿فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾: اختبرناك بالإيقاع في غير ذلك وخلصناك منه ﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ﴾ عشراً ﴿فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ بعد مجيئك إليها من مصر عند الرجل الصالح وتزوجك بابنته ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ﴾ في علمي بالرسالة، وهو أربعون سنة من عمرك، أي: ثم جئت في الزمان الذي قُدّر لك ﴿يَٰمُوسَىٰ﴾. ٤١ ـ ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ﴾: اخترتك ﴿لِنَفْسِى﴾ بالرسالة. ٤٢ ـ ﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ﴾ إلىٰ الناس ﴿بِـَٔايَٰتِى﴾ التسع، أي: آياتي التي منها العصا واليد المذكورتان هنا والتي ستبلغ تسعاً، وهي مجموعة في البيت الآتي:

عَصاً، سَنَةٌ، بحرٌ، جرادٌ، وقُمَّلٌ دمٌ، ويدٌ، بعد الضفادع، طوفانُ

﴿وَلَا تَنِيَا﴾: تفتُرا ﴿فِى ذِكْرِى﴾ بتسبيح وغيره.

٤٣ ـ ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ بادعائه الربوبية.

٤٤ ـ ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ في رجوعه عن ذلك ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ﴾: يتّعظ ﴿أَوْ يَخْشَىٰ﴾ الله فيرجعَ، والترجِّي بالنسبة إليهما، لِعلْمه تعالىٰ بأنه لا يرجع.

٤٥ ـ ﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ﴾ أي: يَعجَل بالعقوبة ﴿أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾ علينا، أي: يتكبر. ٤٦ ـ ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ﴾ بعوني ﴿أَسْمَعُ﴾ ما يقول ﴿وَأَرَىٰ﴾ ما يفعل. ٤٧ ـ ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ إلىٰ الشام ﴿وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾ أي: خلِّ عنهم من استعمالك إياهم في أشغالك الشاقة كالحفر والبناء وحمل الثقيل ﴿قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ﴾: بحجة ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾ علىٰ صدقنا بالرسالة ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ أي: السلامة له من العذاب. ٤٨ ـ ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ﴾ ما جئنا به ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾: أعرض عنه، فأتياه، وقالا جميع ما ذكر. ٤٩ ـ ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ﴾؟ اقتصر عليه لأنه الأصل ولإدلاله عليه بالتربية. ٥٠ ـ ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ﴾ من الخلق ﴿خَلْقَهُۥ﴾ الذي هو عليه، متميز به عن غيره ﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾ الحيوانَ منه إلىٰ مطعمه ومشربه ومنكحه وغير ذلك. ٥١ ـ ﴿قَالَ﴾ فرعون: ﴿فَمَا بَالُ﴾: حالُ ﴿ٱلْقُرُونِ﴾: الأمم ﴿ٱلْأُولَىٰ﴾ كقوم نوح وهود ولوط وصالح في عبادتهم الأوثان؟

قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِي ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾

٥٢ ـ ﴿قَالَ﴾ موسىٰ: ﴿عِلْمُهَا﴾ أي: علم حالهم محفوظ ﴿عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ﴾ هو اللوحُ المحفوظ يجازيهم عليها يوم القيامة ﴿لَّا يَضِلُّ﴾: يغيب ﴿رَبِّي﴾ عن شيء ﴿وَلَا يَنسَى﴾ ربي شيئاً.

٥٣ ـ هو ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ﴾ في جملة الخلق ﴿ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾: فراشاً ﴿وَسَلَكَ﴾: سهّل ﴿لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾: طُرقاً ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾: مطراً، قال تعالىٰ تتميماً لما وصفه به موسىٰ وخطاباً لأهل مكة: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا﴾: أصنافاً ﴿مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾، صفة أزواجاً، أي: مختلفة الألوان والطعوم وغيرهما، وشتىٰ جمع شتيت، كمريض ومرضىٰ، من شَتَّ الأمر: تفرَّق.

٥٤ ـ ﴿كُلُوا۟﴾ منها ﴿وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ﴾ فيها، جمع نَعَم، وهي الإبل والبقر والغنم، يقال: رَعتِ الأنعامُ ورعيتُها. والأمر للإباحة وتذكير النعمة، والجملة حال من ضمير (أخرجنا) أي: مُبيحين لكم الأكل ورعي الأنعام ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور هنا ﴿لَءَايَٰتٍ﴾: لَعبراً ﴿لِّأُو۟لِي ٱلنُّهَىٰ﴾: لأصحاب العقول، جمع نُهْيَة، كغُرفة وغُرف، سُمِّي به العقلُ لأنه ينهىٰ صاحبه عن ارتكاب القبائح.

٥٥ ـ ﴿مِنْهَا﴾ أي: من الأرض ﴿خَلَقْنَٰكُمْ﴾ بخلق أبيكم آدم منها ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ مقبورين بعد الموت ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ﴾ عند البعث ﴿تَارَةً﴾: مرة ﴿أُخْرَىٰ﴾ كما أخرجناكم عند ابتداء خلقكم.

٥٦ ـ ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ﴾ أي: أبصرنا فرعون ﴿ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا﴾ التسعَ ﴿فَكَذَّبَ﴾ بها وزعم أنها سحر ﴿وَأَبَىٰ﴾ أن يوحِّد الله تعالىٰ. ٥٧ ـ ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا﴾ مصر، ويكون لك الملك فيها ﴿بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾؟ ٥٨ ـ ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ﴾ يعارضه ﴿فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾ لذلك ﴿لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا﴾، منصوب بنزع الخافض (في) ﴿سُوًى﴾ أي: وسطاً تستوي إليه مسافة الجائي من الطرفين. ٥٩ ـ ﴿قَالَ﴾ موسىٰ: ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾: يومُ عيد لهم يتزينون فيه ويجتمعون ﴿وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ﴾: يُجمع أهلُ مصر ﴿ضُحًى﴾: وقْتَهُ للنظر فيما يقع. ٦٠ ـ ﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ﴾: أدبر ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ﴾ أي: ذوي كيده من السحرة ﴿ثُمَّ أَتَىٰ﴾ بهم الموعد. ٦١ ـ ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ﴾ وهم اثنان وسبعون مع كل واحد حبل وعصا: ﴿وَيْلَكُمْ﴾ أي: ألزمكم الله الويل ﴿لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ بإشراك أحد معه ﴿فَيُسْحِتَكُم﴾ أي: يُهلككم ﴿بِعَذَابٍ﴾ من عنده ﴿وَقَدْ خَابَ﴾: خسر ﴿مَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾: كذب علىٰ الله. ٦٢ ـ ﴿فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ في موسىٰ وأخيه ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ﴾ أي: الكلام بينهم فيهما. ٦٣ ـ ﴿قَالُوٓا۟﴾ لأنفسهم: ﴿إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ﴾، مؤنث أمثل بمعنىٰ أشرف، أي: بِمَذْهَبِكم الذي هو أفضل المذاهب يريدون ما عليه فرعون من الضلال. وقيل: بأشرافكم بميلهم إليهما لغلبتهما، لأن (الطريقة) تطلق علىٰ وجوه الناس وأشرافهم، لأنهم قدوة لغيرهم، وجاء في «مختار الصحاح»: [وطريقة القوم أماثلهم وخيارهم] والقول الأول هو الأصح والله أعلم. ٦٤ ـ ﴿فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ﴾ من السحر، من (أجْمَعَ): أحْكَمَ ﴿ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا﴾، حال، أي: مصطفّين ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ﴾: فاز ﴿ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ﴾: غلب.

قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلۡنَا لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلۡقَفۡ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ وَلَتَعۡلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابٗا وَأَبۡقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغۡفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكۡرَهۡتَنَا عَلَيۡهِ مِنَ ٱلسِّحۡرِۗ وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾

٦٥ ـ ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ﴾ اختر ﴿إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ﴾ عصاك، أي: أولاً ﴿وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ﴾ عصاه.

٦٦ ـ ﴿قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ﴾ فألقوا ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ﴾، أصله: عُصُوْو، قلبت الواوان ياءين، وكسرت العين والصاد ﴿يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا﴾ حيَّات ﴿تَسۡعَىٰ﴾ على بطونها.

٦٧ ـ ﴿فَأَوۡجَسَ﴾: أحسَّ ﴿فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ﴾ أي: خاف ـ من جهة أن سحرهم من جنس معجزته ـ أن يلتبس أمره على الناس، فلا يؤمنوا به.

٦٨ ـ ﴿قُلۡنَا﴾ له: ﴿لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ عليهم بالغلبة.

٦٩ ـ ﴿وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ﴾ وهي عصاه ﴿تَلۡقَفۡ﴾: تبتلع ﴿مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ﴾ أي: جنسه ﴿وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ﴾ بسحره، فألقى موسى عصاه، فتلقَّفتْ كل ما صنعوه.

٧٠ ـ ﴿فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا﴾: خرُّوا ساجدين لله تعالى ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾.

٧١ ـ ﴿قَالَ﴾ فرعون: ﴿ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ﴾ أنا ﴿لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ﴾: معلمكم ﴿ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ﴾، حال بمعنى مختلفة، أي: الأيدي اليمنى والأرجل اليسرى ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ﴾ أي: عليها ﴿وَلَتَعۡلَمُنَّ أَيُّنَآ﴾ يعني نفسه وربَّ موسى ﴿أَشَدُّ عَذَابٗا وَأَبۡقَىٰ﴾: أدوم على مخالفته.

٧٢ ـ ﴿قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ﴾: نختارك ﴿عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ الدالة على صدق موسى ﴿وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ﴾: خلقنا، قَسَم ﴿فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ﴾ أي: اصنع ما قلته ﴿إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ﴾، النصب على الاتساع، أي: فيها، ومعنى قوله: (على الاتساع) أي: النصب على نزع الخافض (في) والتقدير: إنما تقضي غرضك وأمرك في هذه الحياة الدنيا، وتُجزى عليه في الآخرة.

٧٣ ـ ﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغۡفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا﴾ من الإشراك وغيره ﴿وَمَآ أَكۡرَهۡتَنَا عَلَيۡهِ مِنَ ٱلسِّحۡرِۗ﴾ تعلُّماً وعملاً لمعارضة موسى ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرٞ﴾ منك ثواباً إذا أُطيع ﴿وَأَبۡقَىٰٓ﴾ منك عذاباً إذا عُصي.

٧٤ ـ قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا﴾: كافراً كفرعون ﴿فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ فيستريح ﴿وَلَا يَحۡيَىٰ﴾ حياة تنفعه.

٧٥ ـ ﴿وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: الفرائض والنوافل ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ﴾، جمع عُليا، مؤنث أعلى.

٧٦ ـ ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ﴾ أي: إقامة، بيان له ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾: تطهَّر من الذنوب.

وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا
فِي ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ
بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ
وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ
جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا۟
مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي ۖ
وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ
وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ۞ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن
قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ
رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ
ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ
يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ
ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم
مَّوْعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ
أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾

نصف الحزب ٣٢

٧٧ ـ ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي﴾، بهمزة قطع من: أسرىٰ، أي: سِرْ بهم ليلاً من أرض مصر ﴿فَٱضْرِبْ﴾: اجعلْ ﴿لَهُمْ﴾ بالضرب بعصاك ﴿طَرِيقًا فِي ٱلْبَحْرِ يَبَسًا﴾ أي: يابساً. فامتثلَ ما أُمر به، وأيبس اللهُ الأرض فمرّوا فيها ﴿لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا﴾ أي: أن يُدرِكَكَ فرعون ﴿وَلَا تَخْشَىٰ﴾ غرقاً.

٧٨ ـ ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ﴾ وهو معهم ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ﴾ أي: البحر ﴿مَا غَشِيَهُمْ﴾ فأغرقهم.

٧٩ ـ ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ﴾ بدعائهم إلىٰ عبادته ﴿وَمَا هَدَىٰ﴾ بل أوقعهم في الهلاك خلاف قوله: (وما أهديكم إلا سبيلَ الرشاد).

٨٠ ـ ﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ﴾ فرعون بإغراقه ﴿وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ﴾ فنُؤتي موسىٰ التوراةَ للعمل بها ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ هما المنُّ: كل ما امتنَّ الله به عليهم من طعام ليس فيه عمل وكد. وجاء في «الصحيحين» أنَّ الكمأة من المن، والسلوىٰ: طائر شبيه بالسُّمانىٰ، بتخفيف الميم والقصر. والمنادىٰ من وُجد من اليهود زمنَ النبي ﷺ، وخُوطبوا بما أنعم الله به علىٰ أجدادهم زمنَ النبي موسىٰ توطئة لقوله تعالىٰ لهم:

٨١ ـ ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ أي: المُنعَم به عليكم ﴿وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ﴾ بأن تكفروا النعمة به ﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي﴾، بكسر الحاء، أي: يجب، ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي﴾، بكسر اللام ﴿فَقَدْ هَوَىٰ﴾: سقط في النار.

٨٢ ـ ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾ من الشرك ﴿وَءَامَنَ﴾: وحَّد الله ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ يَصدق بالفرض والنفل ﴿ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ باستمراره علىٰ ما ذكر إلىٰ موته.

٨٣ ـ ﴿وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ﴾ لمجيء ميعاد أخذ التوراة ﴿يَٰمُوسَىٰ﴾؟

٨٤ ـ ﴿قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ﴾ أي: بالقرب مني يأتون ﴿عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ عني، أي: زيادة علىٰ رضاك، وقبل الجواب أتىٰ بالاعتذار بحسب ظنِّه.

٨٥ ـ وتخلَّف المظنون لما ﴿قَالَ﴾ تعالىٰ: ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ﴾ أي: بعد فراقك لهم ﴿وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ﴾ فعبدوا العجل.

٨٦ ـ ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ﴾ من جهتهم ﴿أَسِفًا﴾: شديدَ الحزن ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا﴾ أي: صدقاً أنه يعطيكم التوراة ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ﴾: مدة مفارقتي إياكم ﴿أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ﴾: يجب ﴿عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ بعبادتكم العِجْلَ ﴿فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي﴾ وتركتم المجيء بعدي.

٨٧ ـ ﴿قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا﴾ أي: بِقُدْرتنا، أو أمرنا ﴿وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا﴾: أثقالاً ﴿مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ﴾ أي: حُليِّ قوم فرعون، استعارها منهم بنو إسرائيل بعلة عرس، فبقيت عندهم ﴿فَقَذَفْنَٰهَا﴾: طرحناها في النار بأمر السامريِّ ﴿فَكَذَٰلِكَ﴾ كما ألقينا ﴿أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ﴾ ما معه من حُلِيِّهم.

فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾

٨٨ ـ ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا﴾ صاغه من الحلي ﴿جَسَدًا﴾ جسداً لا روح فيه، صاغه لهم علىٰ صورة العجل وجعله مجوّفاً، وجعله في مهبّ الريح، فإذا هبت الريح ودخلت في جوفه سمع لها صوت يشبه صوت خوار العجل كما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما. ﴿لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ أي: صوت يُسمع ﴿فَقَالُوا۟﴾ أي: السامريُّ وأتباعه: ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ﴾ موسىٰ ربَّه هنا، وذهب يطلبه، أو نَسِيَ أن يذكركم أن هذا إلٰهكم. ٨٩ ـ قال تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَ﴾نْ، مخففة من الثقيلة واسمها محذوف، أي: أنه ﴿لَا يَرْجِعُ﴾ العجلُ ﴿إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ أي: لا يردُّ لهم جواباً ﴿وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا﴾ أي: دَفْعه ﴿وَلَا نَفْعًا﴾ أي: جَلْبه، أي: فكيف يُتخذ إلٰهاً؟ ٩٠ ـ ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ﴾ أي: قبل أن يرجع موسىٰ: ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى﴾ في عبادته ﴿وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى﴾ فيها. ٩١ ـ ﴿قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ﴾: نزالُ ﴿عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ﴾ علىٰ عبادته مقيمين ﴿حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ﴾. ٩٢ ـ ﴿قَالَ﴾ موسىٰ بعد رجوعه: ﴿يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟﴾ بعبادته. ٩٣ ـ ﴿أَ﴾نْ ﴿لَا تَتَّبِعَنِ﴾، (لا) زائدة ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى﴾ بإقامتك بين من يعبد غير الله تعالىٰ؟ ٩٤ ـ ﴿قَالَ﴾ هارون: ﴿يَبْنَؤُمَّ﴾ أراد: أمي، وذكرُها أعطفُ لقلبه ﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى﴾ وكان أخذها بشماله ﴿وَلَا بِرَأْسِىٓ﴾ وكان أخذ شعره بيمينه غضباً ﴿إِنِّى خَشِيتُ﴾ لو اتّبعتك، ولا بد أن يتّبعني جمع ممن لم يعبدوا العجل ﴿أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ وتغضب علي ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ﴾: تنتظر ﴿قَوْلِى﴾ فيما رأيته في ذلك. ٩٥ ـ ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ﴾: شأنُك الداعي إلىٰ ما صنعتَ ﴿يَٰسَٰمِرِىُّ﴾؟. ٩٦ ـ ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ﴾ أي: علمت ما لم يعلموه، وعرفت أنَّ ما أنتم عليه ليس بالحق ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى﴾. نقل الإمام الرازي في «تفسيره» عن أبي مسلم الأصفهاني قوله: [المراد بالرسول موسىٰ عليه السلام، وبأثره سنته ورسْمه الذي أمر به... فقال: بصرت بما لم يبصروا به، أي: عرفت أنَّ الذي أنتم عليه ليس بحق، وقد كنت قبضت قبضة من أثرك أيها الرسول، أي: شيئاً من سنتك ودينك فقذفته أي: طرحته] وقال الرازي: إنه أقرب إلىٰ التحقيق. وقال الشيخ أحمد مصطفىٰ المراغي بعد أن أيّد هذا القول: [وفي التعبير بكلمة (الرسول) علىٰ هذا نوع من التهكم والسخرية، لأنه جاحد مكذب له، فهو علىٰ نحو ما حكىٰ الله عن بعض الجاحدين بقوله (وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ) وهم لا يؤمنون بالإنزال عليه. وقوله سبحانه: (وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى) أي: كما زينت لي نفسي أولاً اتباع سنتك، زينت لي أيضاً ترك ذلك بمحض الهوىٰ لا لشيء آخر من برهان عقلي أو نقلي أو إلهام إلٰهي. ٩٧ ـ ﴿قَالَ﴾ له موسىٰ: ﴿فَٱذْهَبْ﴾ من بيننا ﴿فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ﴾ أي: مدة حياتك ﴿أَن تَقُولَ﴾ لمن رأيته: ﴿لَا مِسَاسَ﴾ أي: لا تَقْرَبْني، فكان يهيم في البرية، وإذا مس أحداً أو مسه أحدٌ، حُمّا جميعاً ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا﴾ لعذابك ﴿لَّن تُخْلَفَهُۥ﴾ أي: بل تبعث إليه ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ﴾، أصله: ظَلِلتَ، بلامَيْن، أولاهما مكسورة حُذفت تخفيفاً، أي: دُمْتَ ﴿عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾ أي: مقيماً تعبده ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾ بالنار ﴿ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا﴾: نَذْرِيَنَّه في هواء البحر، وفعلَ موسىٰ ما ذكره. ٩٨ ـ ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾، تمييز محول عن الفاعل، أي: وسع علمه كل شيء.

كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٣٢

٩٩ ـ ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: كما قصصنا عليك يا محمد هذه القصة ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ﴾: أخبار ﴿مَا قَدْ سَبَقَ﴾ من الأمم ﴿وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ﴾: أعطيناك ﴿مِن لَّدُنَّا﴾: من عندنا ﴿ذِكْرًا﴾: قرآناً.

١٠٠ ـ ﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾ فلم يؤمن به ﴿فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا﴾: حِملاً ثقيلاً من الإثم.

١٠١ ـ ﴿خَٰلِدِينَ فِيهِ﴾ أي: في عذاب الوزر ﴿وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا﴾، تمييز مفسر للضمير في (ساء)، والمخصوص بالذم محذوف، تقديره: وزرهم، واللام للبيان.

١٠٢ ـ ويبدل من يوم القيامة: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾: القرن، النفخة الثانية ﴿وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: الكافرين ﴿يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ عيونُهم مع سواد وجوههم.

١٠٣ ـ ﴿يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ﴾: يتسارُّون: ﴿إِن﴾: ما ﴿لَّبِثْتُمْ﴾ في الدنيا ﴿إِلَّا عَشْرًا﴾ من الليالي بأيامها.

١٠٤ ـ ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ في ذلك، أي: ليس كما قالوا ﴿إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ﴾: أعدلُهم ﴿طَرِيقَةً﴾ فيه: ﴿إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ يستقلُّون لَبْثهم في الدنيا جدّاً لما يعاينونه في الآخرة من أهوالها.

١٠٥ ـ ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ﴾ كيف تكون يوم القيامة؟ ﴿فَقُلْ﴾ لهم: ﴿يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا﴾ بأن يُفتِّتها كالرمل السائل، ثم يُطيِّرها بالريح.

١٠٦ ـ ﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا﴾: منبسطاً ﴿صَفْصَفًا﴾: مستوياً.

١٠٧ ـ ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا﴾: انخفاضاً ﴿وَلَآ أَمْتًا﴾: ارتفاعاً.

١٠٨ ـ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم إذ نُسفت الجبال ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ أي: الناس بعد القيام من القبور ﴿ٱلدَّاعِىَ﴾ إلىٰ المحشر بصوته، وهو إسرافيل يقول: هلموا إلىٰ العرض علىٰ الرحمٰن ﴿لَا عِوَجَ لَهُۥ﴾ أي: لاتِّباعهم، أي: لا يقدرون أن لا يتبعوا أي: لا عوج لهم عن دعائه فلا يزيغون يميناً ولا شمالاً، بل يأتون سراعاً ﴿وَخَشَعَتِ﴾: سكنت ﴿ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ والهمس: الصوت الخفي، ومنه: صوت وطء الأقدام في نقلها إلىٰ المحشر كصوت أخفاف الإبل في مشيها.

١٠٩ ـ ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ﴾ أحداً ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ أن يشفع له ﴿وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا﴾ بأن يقول: لا إله إلا الله.

١١٠ ـ ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من أمور الآخرة ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ من أمور الدنيا ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾: لا يعلمون ذلك.

١١١ ـ ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ﴾: خضعت ﴿لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ﴾ أي: الله ﴿وَقَدْ خَابَ﴾: خسر ﴿مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ أي: شركاً. ١١٢ ـ ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: الطاعات ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا﴾ بزيادة في سيئاته ﴿وَلَا هَضْمًا﴾ بنقص من حسناته. ١١٣ ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾، معطوف علىٰ (كذلك نقصّ)، أي: مثل إنزال ما ذُكر ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ أي: القرآن ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا﴾: كرّرنا ﴿فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الشركَ ﴿أَوْ يُحْدِثُ﴾ القرآنُ ﴿لَهُمْ ذِكْرًا﴾ بهلاك من تقدّمهم من الأمم فيعتبرون.

فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾

١١٤ ـ ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾ عما يقول المشركون ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ﴾ أي: بقراءته ﴿مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ أي: يفرغ جبريل من إبلاغه ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ أي: بالقرآن، فكلما أُنزل عليه شيء منه، زاد به علمه. ١١٥ ـ ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ﴾: وصَّيْناه أن لا يأكل من الشجرة ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي: قبل أكله منها ﴿فَنَسِىَ﴾: تركَ عهدَنا ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾: حزماً وصبراً عما نهيناه عنه. ١١٦ ـ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ وهو أبو الجن، كان يصحب الملائكة ويعبد الله معهم ﴿أَبَىٰ﴾ عن السجود لآدم، قال: أنا خير منه. ١١٧ ـ ﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ﴾ حواء، بالمد ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾: تتعب بالحرث والزرع والحصد والطحن والخبز وغير ذلك، واقتصر علىٰ شقائه لأن الرجل يسعىٰ علىٰ زوجته. ١١٨ ـ ﴿إِنَّ لَكَ أَ﴾نْ ﴿لَا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ﴾. ١١٩ ـ ﴿وَأَنَّكَ﴾، بفتح الهمزة ﴿لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا﴾: تعطش ﴿وَلَا تَضْحَىٰ﴾: لا يحصل لك حر شمس الضحىٰ لانتفاء الشمس في الجنة.

١٢٠ ـ ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ﴾ أي: التي يخلُدُ من يأكل منها ﴿وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾: لا يفنىٰ، وهو لازم الخُلد. ١٢١ ـ ﴿فَأَكَلَا﴾ أي: آدم وحواء ﴿مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا﴾ أي: ظهر لكل منهما قُبُله وقُبُل الآخر ودُبُره، وسمي كلٌّ منهما سوأة. لأن انكشافه يسوء صاحبه ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ﴾: أخذا يُلْزِقان ﴿عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾ ليستترا به ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ بالأكل من الشجرة. ١٢٢ ـ ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾: قرَّبه ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾: قَبِلَ توبته ﴿وَهَدَىٰ﴾ أي: هداه إلىٰ المداومة علىٰ التوبة. ١٢٣ ـ ﴿قَالَ ٱهْبِطَا﴾ أي: آدم وحواء بما اشتملتما عليه من ذريتكما ﴿مِنْهَا﴾ من الجنة ﴿جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ﴾: بعض الذرية ﴿لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ من ظلم بعضهم بعضاً ﴿فَإِمَّا﴾، فيه إدغام نون (إن) الشرطية في (ما) المزيدة ﴿يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ﴾ أي: القرآن ﴿فَلَا يَضِلُّ﴾ في الدنيا ﴿وَلَا يَشْقَىٰ﴾ في الآخرة. ١٢٤ ـ ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى﴾ أي: القرآن فلم يؤمن به ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾، بالتنوين مصدر بمعنىٰ ضيقة، وهذا ما نراه في الواقع، فهؤلاء الذين أعرضوا عن ذكر الله وعن دينه في ضيق وشقاء مادي أو معنوي أو مادي ومعنوي معاً. قال سيد قطب: [والحياة المقطوعة الصلة بالله ورحمته الواسعة، ضنك مهما يكن فيها من سعة ومتاع. إنه ضنك الانقطاع عن الاتصال بالله والاطمئنان إلىٰ حماه، ضنك الحيرة والقلق والشك، ضنك الحرص علىٰ ما في اليد والحذر من الفوت. ضنك الجري وراء بارق المطامع والحسرة علىٰ كل ما يفوت، وما يشعر القلب بطمأنينة الاستقرار إلا في رحاب الله، وما يحس راحة الثقة إلا وهو مستمسك بالعروة الوثقىٰ لا انفصام لها]. ﴿وَنَحْشُرُهُۥ﴾ أي: المعرض عن القرآن ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ أي: أعمىٰ البصر. ١٢٥ ـ ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا﴾ في الدنيا وعند البعث.

قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟ ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾

١٢٦ ـ ﴿قَالَ﴾: الأمر ﴿كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا﴾: تركتها ولم تؤمن بها ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ مثل نسيانك آياتنا ﴿ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾: تُترك في النار.

١٢٧ ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ ومثل جزائنا مَن أعرض عن القرآن ﴿نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ﴾: أشرك ﴿وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ﴾ من عذاب الدنيا وعذاب القبر ﴿وَأَبْقَىٰٓ﴾: أدوم.

١٢٨ ـ ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ﴾: يتبين ﴿لَهُمْ﴾: لكفار مكة ﴿كَمْ﴾، خبرية مفعول ﴿أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ﴾: الأمم الماضية، أي: أفلم يتبيّن لهم إهلاكُنا كثيراً من الأمم الماضية بسبب تكذيبها للرسل وهم ﴿يَمْشُونَ﴾، حال من ضمير (لهم) ﴿فِى مَسَٰكِنِهِمْ﴾ في سفرهم إلىٰ الشام وغيرها فيعتبروا؟ ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ﴾: لعبراً ﴿لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ﴾: لذوي العقول:

١٢٩ ـ ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ بتأخير العذاب عنهم إلىٰ الآخرة ﴿لَكَانَ﴾ الإهلاك ﴿لِزَامًا﴾: لازماً لهم في الدنيا ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾: مضروب لهم، معطوف علىٰ (كلمة)، والتقدير: ولولا أجلٌ مسمىٰ لكان العذابُ لازماً لهم.

١٣٠ ـ ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾، منسوخ بآية القتال ﴿وَسَبِّحْ﴾: صلِّ ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾، حال، أي: ملتبساً به ﴿قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ﴾: صلاة الصبح ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾: صلاة العصر ﴿وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ﴾: ساعاته ﴿فَسَبِّحْ﴾: صلِّ المغرب والعشاء ﴿وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾، عطف علىٰ محل (من آناء) المنصوب، أي: صلِّ الظهر لأن وقتها يدخل بزوال الشمس، فهو طرف النصف الأول وطرف النصف الثاني ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ بما تُعطىٰ من الثواب.

١٣١ ـ ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا﴾: أصنافاً ﴿مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: زينتها وبهجتها ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ بأن يطغوا، وقد ضُمّن الفعل (متّعنا) معنىٰ (أعطينا) التي تنصب مفعولين. فقوله: (أَزْوَٰجًا) هو المفعول الأول و(زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ) المفعول الثاني. والمعنىٰ: ولا تمدّنّ عينيك إلىٰ ما أعطينا أصنافاً من الكفّار زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه. ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ﴾ في الجنة ﴿خَيْرٌ﴾ مما أوتوه في الدنيا ﴿وَأَبْقَىٰ﴾: أدوم.

١٣٢ ـ ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ﴾: اصبر ﴿عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ﴾: نكلّفك ﴿رِزْقًا﴾ لنفسك ولا لغيرك ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ﴾: الجنة ﴿لِلتَّقْوَىٰ﴾ لأهلها.

١٣٣ ـ ﴿وَقَالُوا۟﴾ أي: المشركون: ﴿لَوْلَا﴾: هلّا ﴿يَأْتِينَا﴾ محمد ﴿بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾ مما يقترحونه ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ﴾: بيان ﴿مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ المشتمل عليه القرآن، من أنباء الأمم الماضية وإهلاكهم بتكذيب الرسل.

١٣٤ ـ ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ﴾: قبل محمد الرسول ﴿لَقَالُوا۟﴾ يوم القيامة: ﴿رَبَّنَا لَوْلَآ﴾: هلّا ﴿أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ﴾ المرسل بها ﴿مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ﴾ في القيامة ﴿وَنَخْزَىٰ﴾ في جهنم.

١٣٥ ـ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿كُلٌّ﴾ منا ومنكم ﴿مُّتَرَبِّصٌ﴾: منتظر ما يؤول إليه الأمر ﴿فَتَرَبَّصُوا۟ ۖ فَسَتَعْلَمُونَ﴾ في القيامة ﴿مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ﴾ الطريق ﴿ٱلسَّوِىِّ﴾: المستقيم ﴿وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ من الضلالة، أنحن أم أنتم؟

سورة الأنبياء

(ترتيبها ٢١) سورة الأنبياء (آياتها ١١٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾ مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾

سورة الأنبياء

مكية، وهي مئة وإحدى ـ أو اثنتا ـ عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿ٱقْتَرَبَ﴾: قرب ﴿لِلنَّاسِ﴾: منكري البعث ﴿حِسَابُهُمْ﴾ يومَ القيامة ﴿وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ﴾ عنه ﴿مُّعْرِضُونَ﴾ عن التأهب له بالإيمان.

٢ ـ ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ شيئاً فشيئاً، أي: لفظ قرآن ﴿إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾: يستهزئون.

٣ ـ ﴿لَاهِيَةً﴾: غافلة ﴿قُلُوبُهُمْ﴾ عن معناه ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى﴾ أي: الكلام ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾، بدل من واو (وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى) ﴿هَلْ هَٰذَآ﴾ أي: محمد ﴿إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾؟ فما يأتي به سحر ﴿أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ﴾: تتبعونه ﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾: تعلمون أنه سحر؟

٤ ـ ﴿قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ﴾ كائناً ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لما أسرُّوه ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ به.

٥ ـ ﴿بَلْ﴾ للانتقال من غرض إلىٰ آخر في المواضع الثلاثة ﴿قَالُوٓا۟﴾ فيما أتىٰ به من القرآن: هو ﴿أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ﴾: أخلاط رآها في النوم ﴿بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ﴾: اختلقه ﴿بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ فما أتىٰ به شعر ﴿فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ كالناقة والعصا واليد، والآية التي طلبوها بقولهم: (فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ) ستكون سبباً لهلاكهم إن لم يؤمنوا بعد مجيئها، ذلك لأن عادة الله أن القوم إن كفروا بها بعد إذ جاءتهم عاجلهم بالإهلاك والاستئصال.

٦ ـ قال تعالىٰ: ﴿مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ﴾ أي: أهلها ﴿أَهْلَكْنَٰهَآ﴾ بتكذيبها ما أتاها من الآيات ﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾؟ لا، أي: وما من قرية من القرىٰ طلبت آية وجاءتهم ثم لم يؤمنوا إلا أهلكت. فهل هؤلاء سيؤمنون؟.

٧ ـ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ﴾، بالنون وكسر الحاء ﴿إِلَيْهِمْ﴾ لا ملائكةً ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾: العلماء بالتوراة والإنجيل ﴿إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك، فإنهم يعلمونه، وأنتم إلىٰ تصديقهم أقرب من تصديق المؤمنين بمحمد.

٨ ـ ﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ﴾ أي: الرسل ﴿جَسَدًا﴾ بمعنىٰ أجساداً ﴿لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾ بل يأكلونه ﴿وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ﴾ في الدنيا.

٩ ـ ﴿ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ﴾ بإنجائهم ﴿فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ﴾ أي: المصدقين لهم ﴿وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ المكذبين لهم.

١٠ ـ ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ﴾ يا معشر قريش ﴿كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ لأنه بلُغتِكم، ولقد كان به ذكر العرب ومجدهم حين حملوا رسالة هذا الكتاب إلىٰ العالم، ولم يكن لهم قبله ذكر، ولقد ظلت البشرية تذكرهم وترفعهم ما داموا مستمسكين بهذا الكتاب، وإذا تخلوا عنه تخلّت عنهم البشرية وانحط فيها ذكرهم ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ فتؤمنون به.

وَكَمۡ قَصَمۡنَا مِن قَرۡيَةٖ كَانَتۡ ظَالِمَةٗ وَأَنشَأۡنَا بَعۡدَهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأۡسَنَآ إِذَا هُم مِّنۡهَا يَرۡكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرۡكُضُواْ وَٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتۡرِفۡتُمۡ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلۡكَ دَعۡوَىٰهُمۡ حَتَّىٰ جَعَلۡنَٰهُمۡ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوۡ أَرَدۡنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهۡوٗا لَّٱتَّخَذۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞۚ وَلَكُمُ ٱلۡوَيۡلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ هُمۡ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡۖ هَٰذَا ذِكۡرُ مَن مَّعِيَ وَذِكۡرُ مَن قَبۡلِيۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡحَقَّۖ فَهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٢٤﴾

١١ ـ ﴿وَكَمۡ قَصَمۡنَا﴾: أهلكنا ﴿مِن قَرۡيَةٍ﴾ أي: أهلها ﴿كَانَتۡ ظَالِمَةً﴾: كافرة ﴿وَأَنشَأۡنَا بَعۡدَهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ﴾.

١٢ ـ ﴿فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأۡسَنَآ﴾ أي: شعر أهل القرية بالإهلاك ﴿إِذَا هُم مِّنۡهَا يَرۡكُضُونَ﴾: يهربون مسرعين.

١٣ ـ فقالت لهم الملائكة استهزاءً: ﴿لَا تَرۡكُضُواْ وَٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتۡرِفۡتُمۡ﴾: نُعّمتم ﴿فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡـَٔلُونَ﴾ شيئاً من دنياكم على العادة، أي: ارجعوا إلىٰ مساكنكم لينتفع الفقراء من عطاياكم. قيل لهم هذا علىٰ سبيل التوبيخ والتهكم بهم.

١٤ ـ ﴿قَالُواْ يَا﴾، للتنبيه ﴿وَيۡلَنَا﴾: هلاكنا ﴿إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ بالكفر.

١٥ ـ ﴿فَمَا زَالَت تِّلۡكَ﴾ الكلمات ﴿دَعۡوَىٰهُمۡ﴾ يدعون بها ويرددونها ﴿حَتَّىٰ جَعَلۡنَٰهُمۡ حَصِيدًا﴾ أي: كالزرع المحصود بالمناجل ﴿خَٰمِدِينَ﴾: ميتين كخمود النار إذا طَفِئت.

١٦ ـ ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾: عابثين، بل دالِّينَ علىٰ قدرتنا، ونافعين عبادَنا.

١٧ ـ ﴿لَوۡ أَرَدۡنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهۡوٗا﴾ ما يُلهىٰ به من زوجة أو ولد أو غيرهما ﴿لَّٱتَّخَذۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ﴾: من عندنا من الحور العين والملائكة ﴿إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ ذلك، لكنا لم نفعله، فلم نُرده.

١٨ ـ ﴿بَلۡ نَقۡذِفُ﴾: نرمي ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾: الإيمان ﴿عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ﴾: الكفر ﴿فَيَدۡمَغُهُۥ﴾: يُذهبه ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞ﴾: ذاهب. ودَمَغه في الأصل: أصابَ دماغَه بالضرب، وهو مقتل ﴿وَلَكُمُ﴾ يا كفار مكة ﴿ٱلۡوَيۡلُ﴾: العذاب الشديد ﴿مِمَّا تَصِفُونَ﴾ الله به من الزوجة أو الولد. ١٩ ـ ﴿وَلَهُۥ﴾ تعالىٰ ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ مُلكاً ﴿وَمَنۡ عِندَهُۥ﴾ أي: الملائكة، مبتدأ، خبره: ﴿لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ﴾: لا يَعۡيَوۡن. ٢٠ ـ ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ﴾ عنه، فهو منهم كالنَّفَس منا، لا يشغلنا عنه شاغل. ٢١ ـ ﴿أَمِ﴾، بمعنىٰ بل للانتقال وهمزة الإنكار أي جاءت (أم) هنا بمعنىٰ (بل) وهمزة الإنكار جميعاً ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةٗ﴾ كائنة ﴿مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ كحجر وذهب وفضة ﴿هُمۡ﴾ أي: الآلهة ﴿يُنشِرُونَ﴾ أي: يُحيون الموتىٰ؟ لا. ولا يكون إلٰهاً إلا من يُحيي الموتىٰ. ٢٢ ـ ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ﴾ أي: السماواتِ والأرض ﴿ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ أي: غيره ﴿لَفَسَدَتَا﴾: خرجتا عن نظامهما المشاهَد لوجود التمانع بينهم علىٰ وفق العادة عند تعدد الحاكم من التمانع في الشيء وعدم الاتفاق عليه ﴿فَسُبۡحَٰنَ﴾: تنزيه ﴿ٱللَّهِ رَبِّ﴾: خالق ﴿ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ـ أي: الكفار ـ الله به من الشريك له وغيره. ٢٣ ـ ﴿لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ﴾ عن أفعالهم. ٢٤ ـ ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ﴾ تعالىٰ، أي: سواه ﴿ءَالِهَةٗۖ﴾؟ فيه استفهام توبيخ ﴿قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡۖ﴾ علىٰ ذلك، ولا سبيل إليه ﴿هَٰذَا ذِكۡرُ مَن مَّعِيَ﴾ أي: أمتي، وهو القرآن ﴿وَذِكۡرُ مَن قَبۡلِيۚ﴾ من الأمم، وهو التوراة والإنجيل وغيرهما من كتب الله، ليس في واحد منها أن مع الله إلٰهاً مما قالوا، تعالىٰ عن ذلك ﴿بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡحَقَّۖ﴾ أي: توحيد الله ﴿فَهُم مُّعۡرِضُونَ﴾ عن النظر الموصل إليه.

وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمۡ وَجَعَلۡنَا فِيهَا فِجَاجٗا سُبُلٗا لَّعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ سَقۡفٗا مَّحۡفُوظٗاۖ وَهُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهَا مُعۡرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ ٱلۡخُلۡدَۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلۡخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴿٣٥﴾

ربع الحزب ٣٣

٢٥ ـ ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ﴾، بالنون وكسر الحاء ﴿إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ أي: وحِّدوني.

٢٦ ـ ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ﴾ من الملائكة ﴿سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ﴾ هم ﴿عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ﴾ عنده، والعبودية تنافي الولادة.

٢٧ ـ ﴿لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ﴾: لا يأتون بقولهم إلا بعد قوله: ﴿وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ﴾ أي: بعده.

٢٨ ـ ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ﴾ أي: ما عملوا وما هم عاملون ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ تعالىٰ أن يشفع له ﴿وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ﴾ تعالىٰ ﴿مُشۡفِقُونَ﴾ أي: خائفون.

٢٩ ـ ﴿وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ﴾ أي: الله، أي: غيره، أي: ومن يقل من الملائكة ذلك ـ علىٰ سبيل الافتراض وهذا محال في حقهم ـ فجزاؤه جهنم، ولا يغني عنه ما ذكر من صفات الملائكة الكريمة. ﴿فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ﴾ كما نجزيه ﴿نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: المشركين.

٣٠ ـ ﴿أَوَلَمۡ يَرَ﴾: يعلم ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا﴾ أي: سدّاً بمعنىٰ مسدودة، أي: كانتا شيئاً واحداً ملتصقتين ﴿فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ﴾ أي: فصلنا بينهما وجعلنا السماء سبعاً والأرض سبعاً، أو فتق السماء أن كانت لا تُمطر فأمطرت، وفتق الأرض أن كانت لا تُنبت فأنبتت ﴿وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ﴾ النازل من السماء والنابع من الأرض ﴿كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ﴾ نبات وغيره، أي: فالماء سبب لحياته ﴿أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ﴾ بتوحيدي؟!

٣١ ـ ﴿وَجَعَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ﴾: جبالاً ثوابت لـ﴿أَن﴾ لا ﴿تَمِيدَ﴾: تتحرك ﴿بِهِمۡ وَجَعَلۡنَا فِيهَا﴾ أي: الرواسي ﴿فِجَاجٗا﴾: مسالك ﴿سُبُلٗا﴾، بدل، أي: طرقاً نافذة واسعة ﴿لَّعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ إلىٰ مقاصدهم في الأسفار.

٣٢ ـ ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ سَقۡفٗا﴾ للأرض كالسقف للبيت ﴿مَّحۡفُوظٗاۖ﴾ عن الوقوع ﴿وَهُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهَا﴾ من الشمس والقمر والنجوم ﴿مُعۡرِضُونَ﴾: لا يتفكرون فيها فيعلمون أن خالقها لا شريك له.

٣٣ ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ﴾، تنوينه عوض عن المضاف إليه من الشمس والقمر وتابعه، وهو النجوم ﴿فِي فَلَكٖ﴾ أي: مستدير، كالطاحونة في السماء ﴿يَسۡبَحُونَ﴾: يسيرون بسرعة كالسابح في الماء، وللتشبيه به أتىٰ بضمير جمع من يعقل.

٣٤ ـ ونزل لما قال الكفار: إن محمداً سيموت: ﴿وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ ٱلۡخُلۡدَۖ﴾ أي: البقاء في الدنيا ﴿أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلۡخَٰلِدُونَ﴾ فيها؟ لا، فالجملة الأخيرة محلُّ الاستفهام الإنكاري.

٣٥ ـ ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ﴾ في الدنيا ﴿وَنَبۡلُوكُم﴾: نختبركم ﴿بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ﴾ كفقر وغنًى، وسُقْم وصحة ﴿فِتۡنَةٗۖ﴾، مفعول له، أي: لننظر أتصبرون وتشكرون؟ أوْ لا ﴿وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ﴾ فنجازيكم.

وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾

٣٦ ـ ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن﴾: ما ﴿يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ أي: مهزوءاً به، يقولون: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾ أي: يَعيبها ﴿وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ لهم ﴿هُمْ﴾، تأكيد ﴿كَٰفِرُونَ﴾ به، إذ قالوا: ما نعرفه.

٣٧ ـ ونزل في استعجالهم العذاب: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ أي: أنه لكثرة عَجَله في أحواله كأنه خُلق منه ﴿سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى﴾: مواعيدي بالعذاب، وقد يراد بالآيات المعجزات التي تدل علىٰ صدق النبيّ وما جعله الله له من العاقبة المحمودة، وقد يراد بها نقمات الله في الدنيا والآخرة. ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ فيه، فأراهم القتل ببدر.

٣٨ ـ ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ بالقيامة ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ فيه.

٣٩ ـ قال تعالىٰ: ﴿لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ﴾: يدفعون ﴿عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾: يُمنعون منها في القيامة، وجواب لو: ما قالوا ذلك.

٤٠ ـ ﴿بَلْ تَأْتِيهِم﴾ القيامةُ ﴿بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ﴾: تُحيِّرهم ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾: يُمهلون لتوبة أو معذرة.

٤١ ـ ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ فيه تسلية للنبي ﷺ ﴿فَحَاقَ﴾: نزل ﴿بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ وهو العذاب، فكذا يحيق بمن استهزأ بك.

٤٢ ـ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿مَن يَكْلَؤُكُم﴾: يحفظكم ﴿بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ من عذابه إن نزل بكم، أي: لا أحد يفعل ذلك، والمخاطبون لا يخافون عذاب الله لإنكارهم له ﴿بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم﴾ أي: القرآن ﴿مُّعْرِضُونَ﴾: لا يتفكرون فيه.

٤٣ ـ ﴿أَمْ﴾، فيها معنىٰ الهمزة للإنكار، أي: أ﴿لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم﴾ مما يسوؤهم ﴿مِّن دُونِنَا﴾؟ أي: ألهم من يمنعهم منه غيرنا؟ ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ أي: الآلهة ﴿نَصْرَ أَنفُسِهِمْ﴾ فلا ينصرونهم ﴿وَلَا هُم﴾ أي: الكفار ﴿مِّنَّا﴾: من عذابنا ﴿يُصْحَبُونَ﴾: يُجارون، يقال: صحبك الله، أي: حفظك وأجارك.

٤٤ ـ ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ﴾ بما أنعمنا عليهم ﴿حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ﴾ فاغترّوا بذلك ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ﴾ أي: أفلا يعتبرون بنصر الله لأوليائه علىٰ أعدائه وإهلاكه الأمم السابقة المكذبة والقرىٰ الظالمة وإنجائه لأنبيائه وعباده المؤمنين ﴿أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾؟ لا، بل النبيُّ وأصحابه.

قُلۡ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلۡوَحۡيِۚ وَلَا يَسۡمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتۡهُمۡ نَفۡحَةٞ مِّنۡ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلۡفُرۡقَانَ وَضِيَآءٗ وَذِكۡرٗا لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشۡفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكۡرٞ مُّبَارَكٌ أَنزَلۡنَٰهُۚ أَفَأَنتُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ ۞ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدۡ كُنتُمۡ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا بِٱلۡحَقِّ أَمۡ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمۡ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ ﴿٥٧﴾

نصف الحزب ٣٣

٤٥ ـ ﴿قُلۡ﴾ لهم: ﴿إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلۡوَحۡيِۚ﴾ من الله لا من قِبَل نفسي ﴿وَلَا يَسۡمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾ أي: هم لتركهم العمل بما سمعوا من الإنذار كالصم.

٤٦ ـ ﴿وَلَئِن مَّسَّتۡهُمۡ نَفۡحَةٞ﴾: وقعة خفيفة ﴿مِّنۡ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا﴾، للتنبيه ﴿وَيۡلَنَآ﴾: هلاكنا ﴿إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ بالإشراك وتكذيب محمد.

٤٧ ـ ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ﴾: ذوات العدل ﴿لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ أي: فيه ﴿فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ﴾ من نقص حسنة أو زيادة سيئة ﴿وَإِن كَانَ﴾ العملُ ﴿مِثۡقَالَ﴾: زنة ﴿حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ﴾ أي: بموزونها ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾: مُحصين كل شيء.

٤٨ ـ ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلۡفُرۡقَانَ﴾ أي: التوراة الفارقة بين الحق والباطل والحلال والحرام ﴿وَضِيَآءٗ﴾ بها ﴿وَذِكۡرٗا﴾ أي: عظة بها ﴿لِّلۡمُتَّقِينَ﴾.

٤٩ ـ ﴿ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ﴾ عن الناس، أي: في الخلاء عنهم ﴿وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ﴾ أي: أهوالها ﴿مُشۡفِقُونَ﴾ أي: خائفون.

٥٠ ـ ﴿وَهَٰذَا﴾ أي: القرآن ﴿ذِكۡرٞ مُّبَارَكٌ أَنزَلۡنَٰهُۚ أَفَأَنتُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾؟ الاستفهام فيه للتوبيخ.

٥١ ـ ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ﴾ أي: من قبل إيتاء موسىٰ وهارون التوراة ﴿وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾ أي: بأنه أهل لذلك.

٥٢ ـ ﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ﴾: الأصنام ﴿ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾؟ أي: علىٰ عبادتها مقيمون.

٥٣ ـ ﴿قَالُواْ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ﴾ فاقتدينا بهم.

٥٤ ـ ﴿قَالَ﴾ لهم: ﴿لَقَدۡ كُنتُمۡ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمۡ﴾ بعبادتها ﴿فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾: بيِّن.

٥٥ ـ ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا بِٱلۡحَقِّ﴾ في قولك هذا ﴿أَمۡ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ﴾ فيه.

٥٦ ـ ﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمۡ﴾ المستحق للعبادة ﴿رَبُّ﴾: مالكُ ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ﴾: خلقهن علىٰ غير مثال سبق ﴿وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم﴾ الذي قلته ﴿مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ به.

٥٧ ـ ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ﴾.

فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾

٥٨ ـ ﴿فَجَعَلَهُمْ﴾ بعد ذهابهم إلىٰ مجتمعهم في يوم عيد لهم ﴿جُذَاذًا﴾، بضم الجيم: فُتاتاً بفأس ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾ علَّق الفأسَ في عنقه ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ﴾ أي: إلىٰ الكبير ﴿يَرْجِعُونَ﴾ فيرون ما فُعل بغيره.

٥٩ ـ ﴿قَالُوا﴾ بعد رجوعهم ورؤيتهم ما فعل: ﴿مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ فيه.

٦٠ ـ ﴿قَالُوا﴾ أي: بعضهم لبعض: ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ أي: يعيبهم ﴿يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾.

٦١ ـ ﴿قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ﴾ أي: ظاهراً ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ عليه أنه الفاعل.

٦٢ ـ ﴿قَالُوا﴾ له بعد إتيانه: ﴿أَأَنتَ﴾، بتحقيق الهمزتين ﴿فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾؟

٦٣ ـ ﴿قَالَ﴾ ساكتاً عن فعله: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ﴾ عن فاعله ﴿إِن كَانُوا يَنطِقُونَ﴾، فيه تقديم جواب الشرط، وهو قوله: (فَسْأَلُوهُمْ)، وفيما قبله تعريضٌ لهم بأن الصنم المعلومَ عَجزُه عن الفعل لا يكون إلٰهاً.

٦٤ ـ ﴿فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ بالتفكر ﴿فَقَالُوا﴾ لأنفسهم: ﴿إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ أي: بعبادتكم من لا ينطق.

٦٥ ـ ﴿ثُمَّ نُكِسُوا﴾ من الله ﴿عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ أي: رُدُّوا إلىٰ كفرهم، وقالوا: واللهِ ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ﴾ أي: فكيف تأمرنا بسؤالهم؟

٦٦ ـ ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي: بدله ﴿مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا﴾ من رزق وغيره ﴿وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ شيئاً إذا لم تعبدوه؟

٦٧ ـ ﴿أُفٍّ﴾، بكسر الفاء وبالتنوين بمعنىٰ مصدر، أي: نَتناً وقُبحاً ﴿لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أن هذه الأصنام لا تستحق العبادة ولا تصلح لها، وإنما يستحقها الله تعالىٰ.

٦٨ ـ ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ﴾ أي: إبراهيم ﴿وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ﴾ أي: بتحريقه ﴿إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾ نُصرتَها، فجمعوا له الحطب الكثير، وأضرموا النار في جميعه، وأوثقوا إبراهيم، وجعلوه في منجنيق، ورموه في النار.

٦٩ ـ قال تعالىٰ: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ فلم تحرق منه غير وَثاقه، وذهبت حرارتها، وبقيت إضاءتها، وبقوله: (وسلاماً) سَلِمَ من الموت بردها.

٧٠ ـ ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾ وهو التحريق ﴿فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ في مرادهم.

٧١ ـ ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا﴾ ابن أخيه هاران من العراق ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ بكثرة الأنهار والأشجار، وهي الشام، نزل إبراهيم بفلسطين، ولوط بالمؤتفكة، وبينهما يوم.

٧٢ ـ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ﴾ أي: لإبراهيم، وكان سأل ولداً كما ذكر في الصافات ﴿إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ أي: زيادة علىٰ المسؤول، أو هو ولد الولد ﴿وَكُلًّا﴾ أي: هو وولداه ﴿جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾: أنبياء.

وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾

٧٣ ـ ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً﴾: يُقتدىٰ بهم في الخير ﴿يَهْدُونَ﴾ الناس إلىٰ ديننا ﴿بِأَمْرِنَا﴾ أي: بما أنزلنا عليهم من الوحي والأمر والنهي ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ أي: أن تُفعل وتُقام، وتُؤتىٰ منهم ومن أتباعهم. وحذف هاء (إقامة) تخفيف ﴿وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾.

٧٤ ـ ﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾: فصلاً بين الخصوم ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ﴾ أي: أهلها الأعمال ﴿ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ من اللواط، والرمي بالبندق، واللعب بالطيور وغير ذلك ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ﴾، مصدر ساءه، نقيض سرَّه، ﴿فَٰسِقِينَ﴾.

٧٥ ـ ﴿وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ﴾ بأن أنجيناه من قومه ﴿إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

٧٦ ـ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿نُوحًا إِذْ نَادَىٰ﴾: دعا علىٰ قومه بقوله: (رَّبِّ لَا تَذَرْ . . .) إلخ ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي: قبل إبراهيم ولوط ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ﴾ الذين في سفينته ﴿مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ أي: الغرق وتكذيب قومه له.

٧٧ ـ ﴿وَنَصَرْنَٰهُ﴾: منعناه ﴿مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ الدالة علىٰ رسالته، أن لا يصلُوا إليه بسوء ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

٧٨ ـ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾ أي: قصتهما، ويبدل منهما: ﴿إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ﴾ هو زرع أو كرم ﴿إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ﴾ أي: رَعَتْه ليلاً بلا راع بأن انفلتت ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ﴾، فيه استعمال ضمير الجمع لاثنين، قال داود: لصاحب الحرث رقاب الغنم، وقال سليمان: ينتفع بِدَرِّها ونسلها وصوفها إلىٰ أن يعود الحرث كما كان بإصلاح صاحبها، فيردُّها إليه.

٧٩ ـ ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا﴾ أي: الحكومة ﴿سُلَيْمَٰنَ﴾ وحكمهما باجتهاد، ورجع داود إلىٰ سليمان، وقيل: بوحي، والثاني ناسخ للأول ﴿وَكُلًّا﴾ منهما ﴿ءَاتَيْنَا﴾هُ ﴿حُكْمًا﴾: نبوّة ﴿وَعِلْمًا﴾ بأمور الدين ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ﴾ كذلك سُخِّر للتسبيح معه لأمره به إذا وجد فترة لِيَنشَطَ له ﴿وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ تسخيرَ تسبيحهما معه، وإن كان عجباً عندكم، أي: مجاوبته للسيد داود.

٨٠ ـ ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ﴾ وهي الدرع لأنها تُلبسُ، وهو أول من صنعها، وكان قبلها صفائح ﴿لَّكُمْ﴾ في جملة الناس ﴿لِتُحْصِنَكُم﴾، والضمير يعود لـ(لبوس) أي: الدرع ﴿مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾: حربكم مع أعدائكم ﴿فَهَلْ أَنتُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿شَٰكِرُونَ﴾ نعمي بتصديق الرسول؟ أي: اشكروني بذلك.

٨١ ـ ﴿وَ﴾ سخَّرنا ﴿لِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً﴾ وفي آية أخرىٰ: (رُخَآءً) أي: شديدة الهبوب وخفيفته بحسب إرادته ﴿تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾: وهي الشام ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ﴾، من ذلك عِلْمُه تعالىٰ بأن ما يعطيه سليمانَ يدعوه إلىٰ الخضوع لربِّه، ففعلُه تعالىٰ علىٰ مقتضىٰ علمه.

وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعۡمَلُونَ عَمَلٗا دُونَ ذَٰلِكَۖ وَكُنَّا لَهُمۡ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِدۡرِيسَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ فِي رَحۡمَتِنَآۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾

٨٢ ـ ﴿وَ﴾ سخرنا ﴿مِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ﴾: يدخلون في البحر فيُخرجون منه الجواهر لسليمان ﴿وَيَعۡمَلُونَ عَمَلٗا دُونَ ذَٰلِكَۖ﴾ أي: سوىٰ الغَوْص من البناء وغيره ﴿وَكُنَّا لَهُمۡ حَٰفِظِينَ﴾ من أن يُفسدوا ما عملوا علىٰ مقتضىٰ جبلّتهم، وحافظين لهم من أن يخرجوا عن أمره، فقد كان يحكم فيهم إن شاء أطلق، وإن شاء حبس، كما قال تعالىٰ في سورة (ص): (وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ).

٨٣ ـ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿أَيُّوبَ﴾، ويبدل منه: ﴿إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾ ـ لما ابتُليَ بفقد جميع ماله وولده، وتمزيق جسده ـ: ﴿أَنِّي﴾، بفتح الهمزة بتقدير الباء ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ أي: الشدة ﴿وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾.

٨٤ ـ ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ﴾ نداءه ﴿فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ﴾: أعطيناه أهله ﴿وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ﴾ أي: ضعف ما كان له عند الابتلاء ﴿رَحۡمَةٗ﴾، مفعول له ﴿مِّنۡ عِندِنَا﴾، صفة ﴿وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ﴾ ليصبروا فيثابوا.

٨٥ ـ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِسۡمَٰعِيلَ وَإِدۡرِيسَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ علىٰ طاعة الله وعن معاصيه.

٨٦ ـ ﴿وَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ فِي رَحۡمَتِنَآۖ﴾ من النبوّة ﴿إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ لها، وسمي ذا الكفل لأنه تكفل بصيام جميع نهاره وقيام جميع ليله، وأن يقضيَ بين الناس ولا يغضبَ، فوفَىٰ بذلك.

٨٧ ـ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿ذَا ٱلنُّونِ﴾: صاحبَ الحوت، وهو يونس بنُ متَّىٰ، ويبدل منه: ﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا﴾ لقومه، أي: غضبانَ عليهم مما قاسىٰ منهم، ولم يُؤذن له في ذلك ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾ أي: نقضي عليه ما قضينا مِن حبسه في بطن الحوت، أو نُضيِّق عليه بذلك ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: ظلمة الليل، وظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت ﴿أَن﴾ أي: بأن ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ في ذهابي من بين قومي بلا إذن.

٨٨ ـ ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ﴾ بتلك الكلمات ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما نجيناه ﴿نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ من كربهم إذا استغاثوا بنا داعين.

٨٩ ـ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿زَكَرِيَّآ﴾، ويبدل منه: ﴿إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ﴾ بقوله: ﴿رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا﴾ أي: بلا ولد يرثني ﴿وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ﴾: الباقي بعد فناء خلقك.

٩٠ ـ ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ﴾ نداءه ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ﴾ ولداً ﴿وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ﴾ فأتت بالولد بعد عُقمها ﴿إِنَّهُمۡ﴾ أي: مَن ذُكر مِن الأنبياء ﴿كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ﴾: يبادرون ﴿فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾: الطاعات ﴿وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا﴾ في رحمتنا ﴿وَرَهَبٗاۖ﴾ من عذابنا ﴿وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾: متواضعين في عبادتهم.

وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾ فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا كُفۡرَانَ لِسَعۡيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآ أَنَّهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوۡ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةٗ مَّا وَرَدُوهَاۖ وَكُلّٞ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَهُمۡ فِيهَا لَا يَسۡمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ﴿١٠١﴾

٩١ ـ ﴿وَ﴾ اذكر مريم ﴿ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا﴾: حفظته من أن يُنال ﴿فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ أي: أمرنا جبريل حيث نفخ في جيب درعها، فحملت بعيسىٰ ﴿وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾: الإنس والجن والملائكة، حيث ولدته من غير فحل. قال الراغب الأصفهاني: ولم يقل آيتين لأن كل واحد صار آية بالآخر.

٩٢ ـ ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ﴾ أي: ملة الإسلام ﴿أُمَّتُكُمۡ﴾: دينكم أيها المخاطبون، أي: يجب أن تكونوا عليها ﴿أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾، حال لازمة ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ﴾: وحِّدُونِ. هذا التفسير ذهب إليه كثير من المفسرين ذهبوا إلىٰ أنّ (الأمّة) بمعنىٰ الملّة علىٰ نحو ما جاء في سورة الزخرف: (إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ). وذهب آخرون إلىٰ أنّ (الأمّة) بمعنىٰ الجماعة ويكون معنىٰ الآية: إنّ هذه أمتكم أمّة الأنبياء أمّة واحدة تدين بعقيدة واحدة وأنا ربكم الذي خلقكم فاعبدوني وحدي لا شريك لي.

٩٣ ـ ﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ﴾ أي: بعض المخاطبين ﴿أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ﴾ أي: تفرقوا أمرَ دينهم متخالفين فيه، وهم طوائف اليهود والنصارىٰ، قال تعالىٰ: ﴿كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ﴾ أي: فنجازيه بعمله.

٩٤ ـ ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا كُفۡرَانَ﴾ أي: لا جحود ﴿لِسَعۡيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ﴾ بأن نأمر الحَفَظة بكتبه فنجازيه عليه.

٩٥ ـ ﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآ﴾ أُريد أهلها ﴿أَنَّهُمۡ لَا﴾، زائدة ﴿يَرۡجِعُونَ﴾ أي: ممتنع رجوعهم إلىٰ الدنيا.

٩٦ ـ ﴿حَتَّىٰٓ﴾، غاية لامتناع رجوعهم ﴿إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ﴾: اسمان أعجميان لقبيلتين، ويُقدَّر قبله مضاف، أي: سدُّهما، وذلك قرب القيامة ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ﴾: مرتفع من الأرض ﴿يَنسِلُونَ﴾: يُسرعون.

٩٧ ـ ﴿وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ﴾ أي: يوم القيامة ﴿فَإِذَا هِيَ﴾ أي: القصة ﴿شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ في ذلك اليوم لشدته يقولون: ﴿يَا﴾، للتنبيه ﴿وَيۡلَنَا﴾: هلاكنا ﴿قَدۡ كُنَّا﴾ في الدنيا ﴿فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا﴾ اليوم ﴿بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ أنفسنا بتكذيبنا للرسل.

٩٨ ـ ﴿إِنَّكُمۡ﴾ يا أهل مكة ﴿وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره من الأوثان ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾: وقودها ﴿أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾: داخلون فيها.

٩٩ ـ ﴿لَوۡ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ الأوثانُ ﴿ءَالِهَةٗ﴾ كما زعمتم ﴿مَّا وَرَدُوهَاۖ﴾: دخلوها ﴿وَكُلّٞ﴾ من العابدين والمعبودين ﴿فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾. ١٠٠ ـ ﴿لَهُمۡ﴾ للعابدين ﴿فِيهَا زَفِيرٞ وَهُمۡ فِيهَا لَا يَسۡمَعُونَ﴾ شيئاً لشدّة غليانها. ١٠١ ـ ونزل لما قال ابن الزِّبَعْرىٰ: عُبدَ عُزير والمسيح والملائكة، فهم في النار علىٰ مقتضىٰ ما تقدم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا﴾ المنزلةُ ﴿ٱلۡحُسۡنَىٰٓ﴾ ومنهم من ذُكر ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ﴾.

لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَا ۚ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۖ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾

سُورَةُ الحَجِّ

ترتيبها ٢٢ — آياتها ٧٨

١٠٢ - ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾: صوتها ﴿وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ﴾ من النعيم ﴿خَالِدُونَ﴾. ١٠٣ - ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ وهو أن يؤمر بالعبد إلىٰ النار﴿وَتَتَلَقَّاهُمُ﴾: تستقبلهم ﴿الْمَلَائِكَةُ﴾ عند خروجهم من القبور يقولون لهم: ﴿هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ في الدنيا. ١٠٤ - ﴿يَوْمَ﴾، منصوب بـ(اذكر) مقدّراً قبله ﴿نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ السجل: أي: الصحيفة. واللام هنا بمعنىٰ علىٰ كما جاء في قوله تعالىٰ: (فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ) [الصافات: ١٠٣] والمعنىٰ: يوم نطوي السماء كما تُطوىٰ الصحيفة علىٰ ما فيها من مكتوبات. وهذه الآية تذكرنا بقوله تعالىٰ: (وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ) [الزمر: ٦٧]. ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ﴾ من عدم ﴿نُّعِيدُهُ﴾ بعد إعدامه، فالكاف متعلقة بـ(نُعيد)، وضميره عائد إلىٰ (أول) و(ما) مصدرية ﴿وَعْدًا عَلَيْنَا﴾، منصوب بـ(وعدنا) مقدَّراً قبله، وهو مؤكد لمضمون ما قبله ﴿إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ ما وعدناه. ١٠٥ - ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ﴾، بمعنىٰ الكتاب، أي: كُتب الله المنزلة ﴿مِن بَعْدِ الذِّكْرِ﴾، بمعنىٰ أُمّ الكتاب الذي عند الله ﴿أَنَّ الْأَرْضَ﴾: أرضَ الجنة ﴿يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ عامٌّ في كل صالح. وهناك تفسير آخر مقبول، قال به بعض السلف من الصحابة والتابعين وهو أن المراد بالأرض أرض الدنيا، وهذا وعد منه تعالىٰ بإظهار الدين وإعزاز أهله إذ هم آمنوا وعملوا الصالحات كما وعدهم بالاستخلاف والتمكين والنصرة في مواضع عدة من كتابه الكريم. ١٠٦ - ﴿إِنَّ فِي هَٰذَا﴾ القرآن ﴿لَبَلَاغًا﴾: كفاية في دخول الجنة ﴿لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾: عاملين به. ١٠٧ - ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ﴾ يا محمد ﴿إِلَّا رَحْمَةً﴾ أي: للرحمة ﴿لِّلْعَالَمِينَ﴾: الإنس والجن. ١٠٨ - ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ أي: ما يوحىٰ إلي في أمر الإلٰه إلا وحدانيته ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾: منقادون لما يُوحىٰ إليَّ من وحدانية الإلٰه؟ والاستفهام بمعنىٰ الأمر. ١٠٩ - ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ عن ذلك ﴿فَقُلْ آذَنتُكُمْ﴾: أعلمتكم بالحرب ﴿عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾، حال من الفاعل والمفعول، أي: مُستوين في علمه، لا أستبد به دونكم، لتتأهبوا ﴿وَإِنْ﴾: ما ﴿أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ من العذاب أو القيامة المشتملة عليه، وإنما يعلمه الله. ١١٠ - ﴿إِنَّهُ﴾ تعالىٰ ﴿يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ﴾ والفعلِ منكم ومن غيركم ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾ أنتم وغيركم من السرّ. ١١١ - ﴿وَإِنْ﴾: ما ﴿أَدْرِي لَعَلَّهُ﴾ أي: ما أعلمتكم به ولم يُعلَم وقته ﴿فِتْنَةٌ﴾: اختبارٌ ﴿لَّكُمْ﴾ ليُرىٰ كيف صُنْعُكم ﴿وَمَتَاعٌ﴾: تَمَتُّعٌ ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ أي: انقضاء آجالكم. وهذا مقابل للأول المترجّىٰ بـ(لعل)، وليس الثاني محلاً للترجّي. ١١٢ - ﴿قَالَ رَبِّ احْكُم﴾ بيني وبين مُكذّبيّ ﴿بِالْحَقِّ﴾: بالعذاب لهم أو النصر عليهم، فعُذبوا ببدر وأحد والأحزاب وحُنين والخندق، ونُصر عليهم ﴿وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ من كذبكم علىٰ الله في قولكم: اتخذ ولداً، وعَلَيَّ في قولكم: ساحر، وعلىٰ القرآن في قولكم: شعر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٞ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ﴿٢﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٖ مَّرِيدٖ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٖ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٖ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلٗا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٖ شَيْـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجِۭ بَهِيجٖ ﴿٥﴾

سورة الحج

مكية إلا: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ﴾ **الآيتين، أو إلا:** ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾ **الستَّ آيات، فمدنيات، وهي أربع ـ أو خمس، أو ست، أو سبع، أو ثمان ـ وسبعون آية**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أي: أهل مكة وغيرهم ﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ﴾ أي: عقابه، بأن تطيعوه ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ﴾ أي: الحركة الشديدة للأرض التي يكون بعدها طلوع الشمس من مغربها الذي هو قرب الساعة ﴿شَيْءٌ عَظِيمٞ﴾ في إزعاج الناس الذي هو نوع من العقاب.

٢ ـ ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ﴾ بسببها ﴿كُلُّ مُرْضِعَةٍ﴾ بالفعل ﴿عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾ أي: تنساه ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ﴾ أي: حبلى ﴿حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ﴾ من شدة الخوف ﴿وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾ من الشراب ﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ﴾ فهم يخافونه.

٣ ـ ونزل في النضر بن الحارث وجماعة، أي: وهي عامة لكل الكفرة والمتمردين في كل زمان ومكان: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٖ﴾ قالوا: الملائكة بنات الله، والقرآن أساطير الأولين، وأنكروا البعث وإحياءَ من صار تراباً ﴿وَيَتَّبِعُ﴾ في جداله ﴿كُلَّ شَيْطَٰنٖ مَّرِيدٖ﴾ أي: متمرد.

٤ ـ ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ﴾: قُضي على الشيطان ﴿أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ﴾ أي: اتبعه ﴿فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ﴾: يدعوه ﴿إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ أي: النار.

٥ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أي: أهل مكة ﴿إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٖ﴾: شك ﴿مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم﴾ أي: أصلكم آدم ﴿مِّن تُرَابٖ ثُمَّ﴾ خلقنا ذريته ﴿مِن نُّطْفَةٖ﴾: منيٍّ ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٖ﴾: وهي الدم الجامد ﴿ثُمَّ مِن مُّضْغَةٖ﴾ وهي لحمة قَدْرَ ما يُمضغ ﴿مُّخَلَّقَةٖ﴾: مصورة تامة الخلق ﴿وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٖ﴾ أي: غير تامة الخلق ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْۚ﴾ كمالَ قدرتنا لتستدلوا بها في ابتداء الخلق على إعادته ﴿وَنُقِرُّ﴾ ـ مستأنف ـ ﴿فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾: وقت خروجه ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ﴾ من بطون أمهاتكم ﴿طِفْلٗا﴾، بمعنى أطفالاً ﴿ثُمَّ﴾ نُعمِّركم ﴿لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْۖ﴾ أي: الكمال والقوة، وهو ما بين الثلاثين إلى الأربعين سنة ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ﴾: يموت قبل بلوغ الأشد. ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾: أخسِّه من الهَرَم والخَرَف ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٖ شَيْـٔٗاۚ﴾ قال عكرمة: من قرأ القرآن لم يَصِرْ بهذه الحالة ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةٗ﴾: يابسة ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ﴾: تحركت ﴿وَرَبَتْ﴾: ارتفعت وزادت ﴿وَأَنۢبَتَتْ مِن﴾، زائدة ﴿كُلِّ زَوْجِۭ﴾: صنف ﴿بَهِيجٖ﴾: حسن.

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا۟ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ ۚ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾

٦ ـ ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور من بدء خلق الإنسان إلىٰ آخر إحياء الأرض ﴿بِأَنَّ﴾: بسبب أن ﴿ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾: الثابت الدائم ﴿وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

٧ ـ ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ﴾: شكَّ ﴿فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ﴾.

٨ ـ ونزل في أبي جهل، والآية عامة لكل من يتصدّىٰ لإضلال الناس وإغوائهم وهي تشمل فيمن تشمل أبا جهل وأضرابه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى﴾ معه ﴿وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾: له نور معه.

٩ ـ ﴿ثَانِىَ عِطْفِهِۦ﴾، حال، أي: لاوِيَ عنقه تكبراً عن الإيمان، والعِطْفُ: الجانبُ عن يمين أو شمال ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: دينه ﴿لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ﴾: عذاب ﴿وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ أي: الإحراق بالنار.

١٠ ـ ويقال له: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ أي: قدَّمته، عَبَّرَ عنه بهما دون غيرهما لأن أكثر الأفعال تُزاول بهما ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ﴾ أي: بذي ظلم ﴿لِّلْعَبِيدِ﴾ فيعذبهم بغير ذنب.

١١ ـ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ أي: شكٍّ في عبادته، شُبِّه بالحالِّ علىٰ حرف جبل في عدم ثباته ﴿فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ﴾: صحة وسلامة في نفسه وماله ﴿ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ﴾: مِحنة وسُقم في نفسه وماله ﴿ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾ أي: رجع إلىٰ الكفر ﴿خَسِرَ ٱلدُّنْيَا﴾ بفوات ما أمله منها ﴿وَٱلْءَاخِرَةَ﴾ بالكفر ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾: البين.

١٢ ـ ﴿يَدْعُوا۟﴾: يعبد ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: من الصنم وغيره من المعبودات الباطلة ﴿مَا لَا يَضُرُّهُۥ﴾ إن لم يعبده ﴿وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ﴾ إن عبده ﴿ذَٰلِكَ﴾ الدعاء ﴿هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾ عن الحق.

١٣ ـ ﴿يَدْعُوا۟ لَمَن﴾، اللام زائدة ﴿ضَرُّهُۥٓ﴾ بعبادته ﴿أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ﴾ إن نفع بتخيُّله ﴿لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾ هو، أي: الناصر ﴿وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ﴾: الصاحب هو.

١٤ ـ وعقَّبَ ذكر الشاكِّ بالخسران بذكر المؤمنين بالثواب في: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ من الفروض والنوافل ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ من إكرام من يطيعه وإهانة من يعصيه.

١٥ ـ ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ﴾ أي: من كان يظن أنَّ الله لن ينصر محمداً نبيّه ﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ﴾: بحبل ﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: سقف بيته يشدُّه فيه وفي عنقه ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾ أي: ليختنق به بأن يقطع نفسه من الأرض. فقد ورد في «الصحاح» للجوهري ونقل ذلك صاحب «المختار» [وقوله تعالىٰ: (ثُمَّ لْيَقْطَعْ) قالوا: ليختنق لأن المختنق يمد السبب إلىٰ السقف ثم يقطع نفسه من الأرض حتىٰ يختنق] أي: فليذهب فليقتل نفسه، فإنّ الله ناصر محمداً لا محالة. ﴿فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ﴾ في عدم نصرة النبي، أي: هل يذهبنّ كيده، أي خنقه نفسه ما يغيظه من نصرة الله لنبيّه ﴿مَا يَغِيظُ﴾ منها، المعنىٰ: فليختنق غيظاً منها، فلا بد منها.

وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾

ربع الحزب ٣٤ سجدة

١٦ ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل إنزالنا الآيات السابقة ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ أي: القرآن الباقي ﴿ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾: ظاهرات، حال ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ﴾ هداه، معطوف علىٰ هاء (أنزلناه).

١٧ ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ هم اليهود ﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ طائفة منهم، أو هم قوم باقون علىٰ فطرتهم خرجوا عن سائر الأديان عندما شكوا في صحتها.

والحق أنها فرقة اختُلف في تعريفها وتحديد حقيقتها، والله أعلم.

﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ بإدخال المؤمنين الجنة وإدخال غيرهم النار.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من عملهم ﴿شَهِيدٌ﴾: عالم به علم مشاهدة.

١٨ ـ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: تعلم ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ﴾ أي: يخضع له بما يُراد منه ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾: وهم المؤمنون بزيادة علىٰ الخضوع في سجود الصلاة.

﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾: وهم الكافرون لأنهم أبَوُا السجود المتوقف علىٰ الإيمان.

﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ﴾: يُشْقِهِ ﴿فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾: مُسْعِد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ من الإهانة والإكرام.

١٩ ـ ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾ أي: المؤمنون خصم، والكفار الخمسة خصم، وهو يطلق علىٰ الواحد والجماعة ﴿ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ أي: في دينه.

﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ يلبسونها ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ﴾: الماءُ البالغُ نهايةَ الحرارة.

٢٠ ـ ﴿يُصْهَرُ﴾: يُذابُ ﴿بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ﴾ من شحوم وغيرها ﴿وَ﴾ تشوىٰ به ﴿ٱلْجُلُودُ﴾.

٢١ ـ ﴿وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾ لضرب رؤوسهم.

٢٢ ـ ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا﴾ أي: النار ﴿مِنْ غَمٍّ﴾ يلحقهم بها ﴿أُعِيدُوا۟ فِيهَا﴾: رُدُّوا إليها بالمقامع ﴿وَ﴾ قيل لهم: ﴿ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ أي: البالغ نهاية الإحراق.

٢٣ ـ وقال في المؤمنين: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾، و(لؤلؤاً) بالنصب عطفاً علىٰ محل (من أساور) ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ هو المحرم لبسه علىٰ الرجال في الدنيا.

وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾

٢٤ ـ ﴿وَهُدُوٓاْ﴾ في الدنيا ﴿إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ وهو: لا إلـٰه إلا الله ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾ أي: طريق الله المحمودة ودينه. ويمكن أن تكون الآية تحكي حالهم في الآخرة أنهم هدوا إلىٰ الطيب من القول: نطقاً وسماعاً كما في قوله تعالىٰ: (لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۞ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا) [الواقعة: ٢٥، ٢٦] وهدوا إلىٰ صراط الحميد أي: الطريق الموصل إلىٰ المكان الذي يحمدون فيه ربهم علىٰ ما أحسن إليهم. ولا تنافي بين القولين. ٢٥ ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: طاعته ﴿وَ﴾ عن ﴿ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ﴾ منسكاً ومُتعبَّداً ﴿لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ﴾: المقيم ﴿فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾: الطارئ ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ﴾، الباء زائدة ﴿بِظُلْمٍ﴾ أي: بسببه بأن ارتكب مَنْهيّاً ولو شتم الخادم ﴿نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: مؤلم، أي: بعضه، ومن هذا يؤخذ خبر (إنَّ) أي: نذيقهم من عذاب أليم. ٢٦ ـ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ بَوَّأْنَا﴾: بيَّنّا ﴿لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ﴾ ليبنيه، وكان قد رُفع زمن الطوفان، وأمرناه ﴿أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ﴾ من الأوثان ﴿لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ﴾: المقيمين به ﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾، جمع راكع وساجد: المصلين. ٢٧ ـ ﴿وَأَذِّن﴾: نادِ ﴿فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾ فنادىٰ علىٰ جبل أبي قُبيس: يا أيها الناس إن ربكم بنىٰ بيتاً، وأوجب عليكم الحج إليه، فأجيبوا ربكم. والتفت بوجهه يميناً وشمالاً، وشرقاً وغرباً، فأجابه كل من كُتب له أن يحج من أصلاب الرجال وأرحام الأمهات: لبيك اللهم لبيك، وجواب الأمر: ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾: مشاة، جمع راجل، كقائم وقيام ﴿وَ﴾ ركباناً ﴿عَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ أي: بعير مهزول، وهو يطلق علىٰ الذكر والأنثىٰ ﴿يَأْتِينَ﴾ أي: الضوامر حملاً علىٰ المعنىٰ ﴿مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾: طريق بعيد. ٢٨ ـ ﴿لِّيَشْهَدُواْ﴾ أي: يحضروا ﴿مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾ في الدنيا بالتجارة، أو في الآخرة، أو فيهما، أقوال ﴿وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ﴾ أي: عشر ذي الحجة، أو يوم عرفة، أو يوم النحر إلىٰ آخر أيام التشريق، أقوال ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾: الإبل والبقر والغنم التي تُنحر في يوم العيد وما بعده من الهدايا والضحايا ﴿فَكُلُواْ مِنْهَا﴾ إذا كانت مستحبة ﴿وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾ أي: الشديد الفقر. ٢٩ ـ ﴿ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ﴾ أي: يُزيلوا أوساخهم وشعثهم، كطول الظُّفُر ﴿وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ﴾ من الهدايا والضحايا ﴿وَلْيَطَّوَّفُواْ﴾ طواف الإفاضة ﴿بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ أي: القديم، لأنه أول بيت وُضع للناس. ٣٠ ـ ﴿ذَٰلِكَ﴾، خبر مبتدأ مقدر، أي: الأمر أو الشأن ذلك المذكور ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ﴾: هي ما لا يَحلُّ انتهاكه ﴿فَهُوَ﴾ أي: تعظيمها ﴿خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ في الآخرة ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ﴾ أكلاً بعد الذبح ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ تحريمه في: (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ. . .) الآية. فالاستثناء منقطع، ويجوز أن يكون متصلاً، والتحريم لما عَرَضَ من الموت ونحوه ﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ (من) للبيان، أي: الذي هو الأوثان ﴿وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ أي: الشرك بالله في تلبيتكم، أو شهادة الزور.

حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ﴿٣١﴾ ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكٗا لِّيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۗ فَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلۡبُدۡنَ جَعَلۡنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمۡ فِيهَا خَيۡرٞۖ فَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا صَوَآفَّۖ فَإِذَا وَجَبَتۡ جُنُوبُهَا فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡقَانِعَ وَٱلۡمُعۡتَرَّۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرۡنَٰهَا لَكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمۡ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ۞إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾

نصف الحزب ٣٤

٣١ ـ ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ﴾: مسلمين عادلين عن كل دين سوىٰ دينه ﴿غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦۚ﴾، تأكيد لما قبله، وهما حالان من الواو ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ﴾: سقط ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ﴾ أي: تأخذه بسرعة ﴿أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ﴾ أي: تُسقطه ﴿فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ﴾: بعيد، أي: فهو لا يُرجىٰ خلاصه.

٣٢ ـ ﴿ذَٰلِكَ﴾، يُقدَّر قبله: الأمر مبتدأ، ﴿وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا﴾ أي: فإن تعظيمها، وهي البُدْن التي تُهدىٰ للحرم بأن تُستحسن وتُستسمن ﴿مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ﴾ منهم، وسميت شعائر لإشعارها بما تُعرف به أنها هَدي، كطعن حديدة بسنامها.

٣٣ ـ ﴿لَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ﴾ كركوبها والحمل عليها ما لا يضرُّها ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾: وقت نحرها ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ﴾ أي: مكان حِلِّ نحرها ﴿إِلَى ٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ﴾ أي: عنده، والمراد الحرم جميعه.

٣٤ ـ ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٖ﴾ أي: جماعة مؤمنة سلفت قبلكم ﴿جَعَلۡنَا مَنسَكٗا﴾ بفتح السين مصدر، أي: ذَبحاً قرباناً ﴿لِّيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۗ﴾ عند ذبحها ﴿فَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ﴾: انقادوا ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ﴾: المطيعين المتواضعين.

٣٥ ـ ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ﴾: خافت ﴿قُلُوبُهُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ﴾ من البلايا ﴿وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ﴾ في أوقاتها ﴿وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾: يتصدقون.

٣٦ ـ ﴿وَٱلۡبُدۡنَ﴾، جمع بَدَنة، وهي الإبل ﴿جَعَلۡنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾: أعلام دينه ﴿لَكُمۡ فِيهَا خَيۡرٞۖ﴾: نفع في الدنيا كما تقدم، وأجر في العقبىٰ ﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا﴾ عند نحرها ﴿صَوَآفَّۖ﴾: قائمة علىٰ ثلاث معقولة اليد اليسرىٰ ﴿فَإِذَا وَجَبَتۡ جُنُوبُهَا﴾: سقطت إلىٰ الأرض بعد النحر، وهو وقت الأكل منها ﴿فَكُلُواْ مِنۡهَا﴾ إن شئتم ﴿وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡقَانِعَ﴾: الذي يَقنع بما يُعطىٰ ولا يسأل ولا يتعرض ﴿وَٱلۡمُعۡتَرَّۚ﴾: السائل أو المتعرض ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل ذلك التسخير ﴿سَخَّرۡنَٰهَا لَكُمۡ﴾ بأن تُنحر وتُركب، وإلا لم تُطق ﴿لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ إنعامي عليكم.

٣٧ ـ ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا﴾ أي: لا يُرفعان إليه ﴿وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ﴾ أي: يُرفع إليه منكم العملُ الصالح الخالص له مع الإيمان ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمۡ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡۗ﴾: أرشدكم لمعالم دينه ومناسك حجه ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ أي: الموحدين.

٣٨ ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ﴾ غوائلَ المشركين ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ﴾ في أمانته ﴿كَفُورٍ﴾ لنعمته، وهم المشركون.

أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾

٣٩ ـ ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ﴾ أي: للمؤمنين أن يُقاتِلوا، وهذه أول آية نزلت في الجهاد ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ أي: بسبب أنهم ﴿ظُلِمُوا۟ۚ﴾: بظلم الكافرين إياهم ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾.

٤٠ ـ هم ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ في الإخراج، ما أخرجوا ﴿إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟﴾ أي: بقولهم: ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُۗ﴾ وحدَه، وهذا القول حقّ. فالإخراج به إخراجٌ بغير حق ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم﴾، بدل بعضٍ من الناس ﴿بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ﴾، بالتشديد للتكثير، ﴿صَوَٰمِعُ﴾ للرهبان ﴿وَبِيَعٌ﴾: كنائسُ للنصارىٰ ﴿وَصَلَوَٰتٌ﴾: كنائسُ لليهود بالعبرانية ﴿وَمَسَٰجِدُ﴾ للمسلمين ﴿يُذْكَرُ فِيهَا﴾ أي: المواضع المذكورة ﴿ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًاۗ﴾ وتنقطع العبادات بخرابها ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۗ﴾ أي: ينصر دينه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ﴾ علىٰ خلقه ﴿عَزِيزٌ﴾: منيع في سلطانه وقدرته.

٤١ ـ ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بنصرهم علىٰ عدوهم ﴿أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِۗ﴾، جواب الشرط، وهو وجوابه صلة الموصول، ويقدر قبله: هم، مبتدأ ﴿وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ أي: إليه مرجعُها في الآخرة.

٤٢ ـ ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾، فيه تسليةٌ للنبي ﷺ ﴿فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾، تأنيث (قوم) باعتبار المعنىٰ وهو الأمة أو القبيلة ﴿وَعَادٌ﴾: قوم هود ﴿وَثَمُودُ﴾: قوم صالح.

٤٣ ـ ﴿وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ﴾.

٤٤ ـ ﴿وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَۖ﴾: قوم شعيب ﴿وَكُذِّبَ مُوسَىٰ﴾ كذّبه القبط، لا قومه بنو إسرائيل، أي: كذب هؤلاء رسلَهم، فلك أُسوة بهم ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ﴾: أمهلتُهم بتأخير العقاب لهم ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْۖ﴾ بالعذاب ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾؟ أي: إنكاري عليهم بتكذيبهم بإهلاكهم، والاستفهام للتقرير، أي: هو واقع موقعه.

٤٥ ـ ﴿فَكَأَيِّن﴾ أي: كم ﴿مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ﴾ أي: أهلُها بكفرهم ﴿فَهِىَ خَاوِيَةٌ﴾: ساقطة ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾: سقوفها ﴿وَ﴾ كم من ﴿بِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾: متروكة بموت أهلها ﴿وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾: رفيع خالٍ بموت أهله.

٤٦ ـ ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟﴾ أي: كفار مكة وغيرهم ﴿فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾ ما نزل بالمكذبين قبلَهم ﴿أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَاۖ﴾ أخبارَهم بالإهلاك وخراب الديار فيعتبروا؟ ﴿فَإِنَّهَا﴾ أي: القصة ﴿لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾، تأكيد.

٤٧ ـ ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥۚ﴾ بإنزال العذاب، فأنجزه يوم بدر ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ﴾ من أيام الآخرة بسبب العذاب ﴿كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ في الدنيا. ٤٨ ـ ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَإِنَّ يَوْمًا
عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن
قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ
﴿٤٨﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾
وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ
﴿٥١﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ
أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ
ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ
مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ
قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ
ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ
فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ
مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ
تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾

﴿وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا﴾ المرادُ أهلها ﴿وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾: المرجعُ. ٤٩ ـ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أي: أهل مكة ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾: بيِّن الإنذار، وأنا بشير للمؤمنين. ٥٠ ـ ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ من الذنوب ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ هو الجنة. ٥١ ـ ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾: القرآن، بإبطالها ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾: مسابقين لنا، أي: يظنون أن يفوتونا بإنكارهم البعث والعقاب ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾: النار. ٥٢ ـ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ﴾ هو نبي أُمر بالتبليغ ﴿وَلَا نَبِىٍّ﴾ أي: لم يُؤمر بالتبليغ ﴿إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ تصور هذه الآية حرص الرسل والأنبياء علىٰ أن يستجيب الناس لدعوتهم فيتمنون أمانيّ تتعلق بسرعة انتشار دعوتهم وانتصارها، ويتمنون إزالة العقبات من طريقها، فيحاول الشيطان أن ينفذ من خلال أمانيهم هذه، محاولاً أن تنحرف الدعوة عن أصولها، ولكنَّ الله الذي يحفظ دعوته من تكذيب المكذبين، ومعاجزة المعاجزين يحفظها كذلك من كيد الشيطان ومن محاولته النفاذ إلىٰ الدعوة من خلال أمنيات الرسل النابعة من طبيعتهم البشرية، وهم معصومون من الشيطان، ولكنّهم بشر يحزنون لإعراض الناس عن دعوتهم، ويرغبون في هدايتهم. يقول الله تعالىٰ مصوراً حرص الرسول ﷺ علىٰ أن يستجيب الناس لدعوته: (فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا) [الكهف:٦] ويقول: (وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ) [يوسف:١٠٣] ويقول: (إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ) [النحل: ٣٧] ويقول: (أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ) [عبس:٥ ـ ٧]. ويحكم الله آياته ويزيل كل شبهة في أسس الدعوة ووسائلها، فيبطل الله (مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ): يثبتها (وَٱللَّهُ عَلِيمٌ) بإلقاء الشيطان ما ذُكر (حَكِيمٌ) يفعل ما يشاء. ٥٣ ـ ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً﴾: محنة ﴿لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: شكٌّ ونفاق ﴿وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: المشركين، عن قبول الحق ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الكافرين ﴿لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾: خلاف طويل مع النبيِّ ﷺ والمؤمنين. ٥٤ ـ ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾: التوحيد والقرآن ﴿أَنَّهُ﴾ أي: القرآن ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ﴾: تطمئن ﴿لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ﴾: طريق ﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾ أي: دين الإسلام، أي: فالذين في قلوبهم مرض من نفاق أو انحراف والقاسيةُ قلوبهم من الكفار المعاندين يجدون في هذه الأحوال مادة للجدال واللجاج والشقاق، وأما الذين أوتوا العلم فتطمئن قلوبهم إلىٰ بيان الله وحكمه الفاصل. **تنبيه**: هناك قصة مكذوبة باطلة تدعىٰ (الغرانيق) يوردها بعض المفسرين في تفسير هذه الآية، وكذلك يوردها بعض مؤلفي السيرة ننزه تفسير القرآن عن ذكرها ونكتفي بأن نقرر أنها باطلة سنداً ومتناً والله أعلم. ٥٥ ـ ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ﴾: شكٍّ ﴿مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ أي: ساعة موتهم، أو القيامة فجأة ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾: كالرِّيح العقيم التي لا تأتي بخير، أو هو يوم القيامة لا ليل فيه.

ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾

٥٦ ـ ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم القيامة ﴿لِّلَّهِ﴾ وحدَه، وما تضمنه من الاستقرار ناصب للظرف ﴿يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾: بين المؤمنين والكافرين بما بُيِّن بعده ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ فضلاً من الله.

٥٧ ـ ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾: شديد بسبب كفرهم.

٥٨ ـ ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: طاعته من مكة إلىٰ المدينة ﴿ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾: هو رزق الجنة ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾: أفضل المعطين.

٥٩ ـ ﴿لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا﴾، بضم الميم أي: إدخالاً ﴿يَرْضَوْنَهُۥ﴾: وهو الجنة ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ﴾ بنيَّاتهم ﴿حَلِيمٌ﴾ عن عقابهم.

٦٠ ـ الأمر ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي قصصْناه عليك ﴿وَمَنْ عَاقَبَ﴾: جازىٰ من المؤمنين ﴿بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ﴾ ظلماً من المشركين، أي: قاتلهم كما قاتلوه في الشهر الحرام ﴿ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ﴾ منهم ﴿لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ﴾ عن المؤمنين ﴿غَفُورٌ﴾.

٦١ ـ ﴿ذَٰلِكَ﴾ النصر ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ أي: يُدخل كُلاً منهما في الآخر بأن يَزيد به، وذلك من أثر قدرته تعالىٰ التي بها النصر.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ دعاءَ المؤمنين ﴿بَصِيرٌ﴾ بهم، حيث جعل فيهم الإيمان، فأجاب دعاءهم.

٦٢ ـ ﴿ذَٰلِكَ﴾ النصر أيضاً ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾: الثابت ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ﴾: يعبدون ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ وهو الأصنام ﴿هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾: الزائل ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ﴾ أي: العالي علىٰ كل شيء بقدرته، وهو سبحانه العالي بذاته فوق خلقه جل جلاله. ﴿ٱلْكَبِيرُ﴾: الذي يَصْغُر كل شيء سواه.

٦٣ ـ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: تعلم ﴿أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾: مطراً ﴿فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ بالنبات، وهذا من أثر قدرته.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ﴾ بعباده في إخراج النبات بالماء ﴿خَبِيرٌ﴾ بما في قلوبهم عند تأخير المطر.

٦٤ ـ ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ علىٰ جهة المُلك.

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾ عن عباده ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ لأوليائه.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ ۚ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾

٦٥ - ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: تعلم ﴿أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ من البهائم ﴿وَٱلْفُلْكَ﴾: السفن ﴿تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ﴾ للركوب والحمل ﴿بِأَمْرِهِۦ﴾: بإذنه ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ﴾ من ﴿أَن﴾، أو لئلا ﴿تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾ فتهلكوا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ في التسخير والإمساك.

٦٦ - ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ﴾ بالإنشاء ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ عند انتهاء آجالكم ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ عند البعث ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ أي: المشرك ﴿لَكَفُورٌ﴾ لنعم الله بتركه توحيده.

٦٧ - ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾، بفتح السين: شريعة ﴿هُمْ نَاسِكُوهُ﴾: عاملون به ﴿فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ أي: لكل أمة شريعة هم عاملون بها، فقد كانت هناك شرائع للأمم المتقدمة من أمثال أمة موسىٰ وأمة عيسىٰ والأمم من قبلهم. والأمة الموجودة عند مبعث النبي ﷺ ومن بعدهم منسكهم القرآن فنسخت شريعة محمد ﷺ كل الشرائع. فلا تنازعك هذه الأمم في أمر دينك، فإن جادلوك فاترك جدالهم ولا تشغل نفسك بمجادلتهم وفوّض الأمر إلىٰ الله وقل الله أعلم بما تعملون ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أي: إلىٰ دينه ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى﴾: دين ﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾.

٦٨ - ﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ﴾ في أمر الدين ﴿فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فيُجازيكم عليه.

٦٩ - ﴿ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ أيها المؤمنون والكافرون ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ بأن يقول كل من الفريقين خلاف قول الآخر.

٧٠ - ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾، الاستفهام فيه للتقرير ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ أي: ما ذكر ﴿فِى كِتَٰبٍ﴾: هو اللوح المحفوظ ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ أي: علم ما ذكر ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾: سهل.

٧١ - ﴿وَيَعْبُدُونَ﴾ أي: المشركون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ﴾: هو الأصنام ﴿سُلْطَٰنًا﴾: حُجَّة ﴿وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ أنها آلهة ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ بالإشراك ﴿مِن نَّصِيرٍ﴾ يمنع عنهم عذاب الله.

٧٢ - ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا﴾ من القرآن ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾: ظاهرات، حال ﴿تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ﴾ أي: الإنكار لها، أي: أثره من الكراهة والعبوس ﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾ أي: يقعون فيهم بالبطش ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ﴾: بأكرَه إليكم من القرآن المَتْلُوّ عليكم؟ هو ﴿ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بأنَّ مصيرهم إليها ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ هي.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٧٦﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَـٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَـٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾

سجدة

سُورَةُ المُؤْمِنُونَ

ترتيبها ٢٣ — آياتها ١١٨

٧٣ ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ﴾ وهو: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾: تعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره، وهم الأصنام ﴿لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا﴾ اسم جنس، واحده ذبابة، يقع على المذكر والمؤنث ﴿وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ﴾: لخلقه ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا﴾ مما عليهم من الطيِّب والزعفران المُلطَّخين به ﴿لَّا يَسْتَنقِذُوهُ﴾: لا يستردُّوه ﴿مِنْهُ ۚ﴾ لعجزهم، فكيف يُعبدون شركاء لله تعالىٰ؟ هذا أمر مستغرب عبِّر عنه بـ(ضُرِبَ مَثَلٌ ...) ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ﴾: العابد ﴿وَٱلْمَطْلُوبُ﴾: المعبود.

٧٤ ـ ﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ﴾: عظَّموه ﴿حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ﴾: عَظَمَتِه، إذ أشركوا به ما لم يمتنع من الذباب ولا ينتصف منه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾: غالب.

٧٥ ـ ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ﴾ رسلاً، نزل لما قال المشركون: (أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا)؟! ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ﴾ لمقالتهم ﴿بَصِيرٌ﴾ بمن يتخذه رسولاً كجبريل وميكائيل، وإبراهيم ومحمد، وغيرهم صلىٰ الله عليهم وسلم.

٧٦ ـ ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ﴾ أي: ما قدَّموا وما خلَّفوا، وما عملوا وما هم عاملون بعدُ ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾.

٧٧ ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟﴾ أي: صلُّوا ﴿وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ﴾: وحِّدوه ﴿وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ﴾ كصلة الرحم ومكارم الأخلاق ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: تفوزون بالبقاء في الجنة.

٧٨ ـ ﴿وَجَـٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ﴾ لإقامة دينه ﴿حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ﴾ باستفراغ الطاقة فيه، ونصب (حقَّ) على المصدر.

﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ﴾: اختاركم لدينه ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ﴾ أي: ضيق، بأن سهله عند الضرورات، كالقصر، والتيمم، وأكل الميتة، والفِطر للمرض والسفر.

﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ﴾، منصوب بنزع الخافض الكاف ﴿إِبْرَٰهِيمَ ۚ﴾، عطف بيان.

﴿هُوَ﴾ أي: الله ﴿سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ أي: قبل هذا الكتاب.

﴿وَفِى هَـٰذَا﴾ أي: القرآن ﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ يوم القيامة أنه بلَّغكم ﴿وَتَكُونُوا۟﴾ أنتم ﴿شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ﴾ أن رسلهم بلَّغتهم.

﴿فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: داوموا عليها ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ﴾: ثِقُوا به ﴿هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ﴾: ناصركم ومُتولِّي أمورِكم ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾ هو ﴿وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ أي: الناصر لكم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿١٧﴾

سورة المؤمنون

مكية، وهي مئة وثماني ـ أو تسع ـ عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١ ـ ﴿قَدْ﴾، للتحقيق ﴿أَفْلَحَ﴾: فاز ﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾.

٢ ـ ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾: متواضعون. الخشوع هو الخضوع والاطمئنان قال الراغب في «المفردات» [الخشوع: الضراعة وأكثر ما يستعمل الخشوع فيما يوجد علىٰ الجوارح، والضراعة أكثر ما تستعمل في القلب] ومحل الخشوع هو القلب ولا بدّ أن تظهر آثاره علىٰ الجوارح[1].

٣ ـ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ﴾ من الكلام وغيره ﴿مُعْرِضُونَ﴾.

٤ ـ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾: مُؤدُّون.

٥ ـ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ عن الحرام.

٦ ـ ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ﴾ أي: من زوجاتهم ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ أي: السراري ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ في إتيانهن.

٧ ـ ﴿فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ﴾ من الزوجات والسراري، كالاستمناء باليد ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾: المتجاوزون إلىٰ ما لا يحل لهم.

٨ ـ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ﴾ فيما بينهم، أو فيما بينهم وبين الله من صلاة وغيرها ﴿رَاعُونَ﴾: حافظون. ٩ ـ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾: يُقيمونها في أوقاتها. ١٠ ـ ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ لا غيرهم. ١١ ـ ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ﴾: هو جنة أعلىٰ الجنان ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾، في ذلك إشارة إلىٰ المعاد، ويناسبه ذكر المبدأ بعده: ١٢ ـ ﴿وَ﴾ الله ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾: آدم ﴿مِنْ سُلَالَةٍ﴾، هي من: سَلَلْتُ الشيءَ من الشيءِ، أي: استخرجتُه منه، وهو خلاصته ﴿مِنْ طِينٍ﴾، متعلق «بسلالة». ١٣ ـ ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ﴾ أي: الإنسان نسل آدم ﴿نُطْفَةً﴾: منياً ﴿فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾: هو الرحم. ١٤ ـ ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾: دماً جامداً ﴿فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾: لحمة قَدْرَ ما يُمضغ ﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا﴾، و(خلقنا) في المواضع الثلاث بمعنىٰ صَيَّرْنا ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ بنفخ الروح فيه ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ أي: المُقدِّرين، ومُميَّز (أحسن) محذوف للعلم به، أي: خلقاً. ١٥ ـ ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾. ١٦ ـ ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ للحساب والجزاء. ١٧ ـ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ﴾ أي: سماوات، جمع طريقة لأنها طُرق الملائكة ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ﴾ تحتها ﴿غَافِلِينَ﴾ أي: وما كنا مهملين أمرها ولا غافلين عنها وعن حفظها عن الزوال والاختلال، بل ندبّر أمرها ونمسكها من أن تسقط عليهم فتُهلكهم، كآية: (وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ).

(١) قلت: وانظر رسالتنا «الخشوع في الصلاة» نشر دار الوراق.

وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ ۙ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾

١٨ ـ ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ﴾ من كفايتهم أي: بقدر ما يكفيهم للمعيشة ﴿فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ﴾ فيموتون مع دوابِّهم عطشاً.

١٩ ـ ﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ﴾ هما أكثر فواكه العرب ﴿لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ صيفاً وشتاءً.

٢٠ ـ ﴿وَ﴾ أنشأنا ﴿شَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ﴾: جبل، ومنع الصرف للعلمية والتأنيث للبقعة ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾ وهي شجرة الزيتون ﴿وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ﴾، عطف علىٰ (الدهن) أي: إدامٌ يصبغ اللقمة بغمسها فيه، وهو الزيت.

٢١ ـ ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ﴾: الإبل والبقر والغنم ﴿لَعِبْرَةً﴾: عِظَةً تعتبرون بها ﴿نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا﴾ أي: اللبن ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ﴾ من الأصواف والأوبار والأشعار وغير ذلك ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾.

٢٢ ـ ﴿وَعَلَيْهَا﴾ أي: الإبل ﴿وَعَلَى ٱلْفُلْكِ﴾ أي: السفن ﴿تُحْمَلُونَ﴾.

٢٣ ـ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾: أطيعوه ووحِّدوه ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾، و(من) زائدة ولفظ (إله) اسم (ما)، و(لكم) خبرها ولفظ (غيره) رفع إتباعاً للمحل ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾: تخافون عقوبتَه بعبادتكم غيرَه؟

٢٤ ـ ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾ لأتباعهم: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ﴾: يتشرَّف ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بأن يكون متبوعاً وأنتم أتباعه ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أن لا يُعبد غيرُه ﴿لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾ بذلك لا بشراً ﴿مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا﴾ الذي دعا إليه نوح من التوحيد ﴿فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي: الأمم الماضية.

٢٥ ـ ﴿إِنْ هُوَ﴾: ما نوح ﴿إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ﴾: حالة جنون ﴿فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ﴾: انتظروه ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾: إلىٰ زمن موته.

٢٦ ـ ﴿قَالَ﴾ نوح: ﴿رَبِّ ٱنصُرْنِى﴾ عليهم ﴿بِمَا كَذَّبُونِ﴾ أي: بسبب تكذيبهم إياي بأن تُهلكهم.

٢٧ ـ قال تعالىٰ مجيباً دعاءه: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ﴾: السفينة ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ بمرأى منا وحفظنا ﴿وَوَحْيِنَا﴾: أمرنا ﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ بإهلاكهم ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ للخبّاز بالماء، وكان ذلك علامة لنوح ﴿فَٱسْلُكْ فِيهَا﴾ أي: أدْخِل في السفينة ﴿مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ﴾ أي: ذكراً وأنثىٰ، أي: من كلِّ أنواعهما ﴿ٱثْنَيْنِ﴾، توكيد و(من) متعلقة بـ(اسلك)، أي احمل من أنواع السباع والأنعام والطير ما تحتاجون إليه زوجين اثنين، فيحملهما في السفينة ﴿وَأَهْلَكَ﴾ زوجته وأولاده ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾ بالإهلاك، وهو زوجتُه وولده كنعان، بخلاف سام، وحام، ويافث، فحملهم وزوجاتهم ثلاثة، وفي سورة هود: (وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ) قيل: كانوا ستة رجال ونساؤُهم، وقيل: جميع من كان في السفينة ثمانيةٌ وسبعون، نصفُهم رجالٌ ونصفُهم نساء ﴿وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾: كفروا بترك إهلاكهم ﴿إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾.

فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾

ربع الحزب ٣٥

٢٨ ـ ﴿فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ﴾: اعتدلت ﴿أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الكافرين وإهلاكهم.

٢٩ ـ ﴿وَقُل﴾ عند نزولك من الفلك: ﴿رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا﴾، بضم الميم وفتح الزاي مصدر أو اسم مكان ﴿مُّبَارَكًا﴾ ذلك الإنزال أو المكان ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾ ما ذكر.

٣٠ ـ ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ المذكور من أمر نوح والسفينة وإهلاك الكفار ﴿لَءَايَٰتٍ﴾: دلالات علىٰ قدرة الله تعالىٰ ﴿وَإِن﴾، مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن ﴿كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾: مختبرين قومَ نوح بإرساله إليهم ووعظه.

٣١ ـ ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا﴾: قوماً ﴿ءَاخَرِينَ﴾ هم عاد.

٣٢ ـ ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾: هوداً ﴿أَنِ﴾ أي: بأن ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ عقابه فتؤمنون؟

٣٣ ـ ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي: بالمصير إليها ﴿وَأَتْرَفْنَٰهُمْ﴾: نعَّمْناهم ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾.

٣٤ ـ ﴿وَ﴾ اللهِ ﴿لَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ﴾، فيه قسم وشرط، والجواب لأولهما، وهو مغنٍ عن جواب الثاني: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا﴾ أي: إذا أطعتموه ﴿لَّخَٰسِرُونَ﴾ أي: مغبونون.

٣٥ ـ ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾، هو خبر (أنكم) الأولىٰ، و(أنكم) الثانية تأكيد لها لمّا طال الفصل.

٣٦ ـ ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ﴾، اسم فعل ماضٍ بمعنىٰ: بَعُدَ بَعُدَ ﴿لِمَا تُوعَدُونَ﴾ من الإخراج من القبور، واللام زائدة وقوله: (مَا تُوعَدُونَ) فاعل هيهات.

٣٧ ـ ﴿إِنْ هِىَ﴾ أي: ما الحياة ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ بحياة أبنائنا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾.

٣٨ ـ ﴿إِنْ هُوَ﴾ أي: ما الرسول ﴿إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ﴾ أي: مصدقين بالبعث بعد الموت.

٣٩ ـ ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ﴾.

٤٠ ـ ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ﴾ من الزمان، و(ما) زائدة ﴿لَّيُصْبِحُنَّ﴾: لَيَصِيرُنَّ ﴿نَٰدِمِينَ﴾ علىٰ كفرهم وتكذيبهم.

٤١ ـ ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ﴾: صيحةُ العذاب والهلاك كائنةً ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ فماتوا ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً﴾: وهو نبتٌ يَبِسَ، أي: صيَّرناهم مثله في اليُبْس ﴿فَبُعْدًا﴾ من الرحمة ﴿لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: المكذبين.

٤٢ ـ ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا﴾: أقواماً ﴿ءَاخَرِينَ﴾.

مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾

٤٣ ـ ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾ بأن تموت قبله ﴿وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ﴾ عنه، ذكّر الضمير بعد تأنيثه رعاية للمعنىٰ.

٤٤ ـ ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ أي: متتابعين، بين كل اثنين زمان طويل ﴿كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا﴾ في الهلاك ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾.

٤٥ ـ ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾: حُجة بيِّنة، وهي اليد والعصا وغيرهما من الآيات.

٤٦ ـ ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ عن الإيمان بها وبالله ﴿وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ﴾: قاهرين بني إسرائيل بالظلم.

٤٧ ـ ﴿فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ﴾: مطيعون خاضعون.

٤٨ ـ ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ﴾.

٤٩ ـ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾: التوراة ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ أي: قومه بني إسرائيل ﴿يَهْتَدُونَ﴾ به من الضلالة، وأوتيها بعد هلاك فرعونَ وقومِه جملةً واحدة.

٥٠ ـ ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾: عيسىٰ ﴿وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾ لم يقل: آيتين، لأن الآية فيهما واحدة، ولادتُه من غير فحل ﴿وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ﴾: مكان مرتفع، وهو بيت المقدس، أو دمشق، أو فلسطين، أقوال ﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾ أي: مستوية يستقر عليها ساكنوها ﴿وَمَعِينٍ﴾ أي: ماءٌ جارٍ ظاهرٌ تراه العيون.

٥١ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾: الحلالات ﴿وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا﴾ من فرض ونفل ﴿إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ فأُجازيكم عليه.

٥٢ ـ ﴿وَ﴾ اعلموا ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ﴾ أي ملتكم وشريعتكم أيها الرسل ﴿أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ أي: ملة واحدة في العقيدة، فالرسل جميعاً دعوا أممهم إلىٰ التوحيد وقالوا: (ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ). وقيل: إن هذه إشارة إلىٰ الأمم المؤمنة بالرسل. والمعنىٰ: إن هذه جماعتكم جماعة واحدة. والأمة تطلق في الأصل علىٰ الجماعة. (أُمَّةً وَٰحِدَةً)، حال لازمة، ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾: فاحذَرُون.

٥٣ ـ ﴿فَتَقَطَّعُوٓا۟﴾ أي: الأتباع ﴿أَمْرَهُم﴾: دينهم ﴿بَيْنَهُمْ زُبُرًا﴾، حال من فاعل (تقطعوا)، أي: أحزاباً متخالفين كاليهود والنصارىٰ وغيرهم. والزُّبُر: جمع زُبْرة بمعنىٰ القطعة ويراد بها هنا الطائفة من الناس ﴿كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ أي: عندهم من الدين ﴿فَرِحُونَ﴾: مسرورون.

٥٤ ـ ﴿فَذَرْهُمْ﴾ أي: اترك كفار مكة ﴿فِى غَمْرَتِهِمْ﴾: ضلالتهم ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ أي: حين موتهم.

٥٥ ـ ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ﴾: نعطيهم ﴿مِن مَّالٍ وَبَنِينَ﴾ في الدنيا.

٥٦ ـ ﴿نُسَارِعُ﴾: نُعجّل ﴿لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾؟ لا ﴿بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ أن ذلك استدراجٌ لهم.

٥٧ ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم﴾: خوفهم منه ﴿مُّشْفِقُونَ﴾: خائفون من عذابه. ٥٨ ـ ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾: القرآن ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: يُصدِّقون. ٥٩ ـ ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ معه غيره.

وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا ءَاتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۖ وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْـَٔرُواْ ٱلْيَوْمَۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُواْ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةُۢۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأٓخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾

٦٠ ـ ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ﴾ : يعطون ﴿مَآ ءَاتَواْ﴾ : أعطوا من الصدقة والأعمال الصالحة ﴿وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ : خائفة أن لا تُقبل منهم ﴿أَنَّهُمْ﴾ ، يُقدَّر قبله لام الجر ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ . ٦١ ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ في علم الله. ٦٢ ـ ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ أي: طاقتها، فمن لم يستطع أن يصليَ قائماً، فليصلِّ جالساً، ومن لم يستطع أن يصومَ، فليأكل ﴿وَلَدَيْنَا﴾ أي: عندنا ﴿كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ﴾ بما عمِلَتْهُ وهو اللوح المحفوظ تُسطَّرُ فيه الأعمال ﴿وَهُمْ﴾ أي: النفوس العاملة ﴿لَا يُظْلَمُونَ﴾ شيئاً منها، فلا يُنقص من ثواب أعمال الخيرات ولا يُزاد في السيئات. ٦٣ ـ ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: الكفار ﴿فِي غَمْرَةٍ﴾ : جهالة ﴿مِّنْ هَٰذَا﴾ القرآن ﴿وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ﴾ المذكور للمؤمنين ﴿هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ﴾ فيعذبون عليها. ٦٤ ـ ﴿حَتَّىٰٓ﴾ ، ابتدائية ﴿إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم﴾ : أغنياءهم ورؤساءهم ﴿بِٱلْعَذَابِ﴾ أي: بعذاب الله وبأسه ونقمته ﴿إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ﴾ : يضجُّون. ٦٥ ـ يقال لهم: ﴿لَا تَجْـَٔرُواْ ٱلْيَوْمَۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ﴾ : لا تُمنعون. ٦٦ ـ ﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِي﴾ من القرآن ﴿تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ﴾ : ترجعون القهقرىٰ، وهذا كناية عن إعراضهم. ٦٧ ـ ﴿مُسْتَكْبِرِينَ﴾ عن الإيمان ﴿بِهِۦ﴾ أي: بالبيت أو الحرم، بأنهم أهله في أمن، بخلاف سائر الناس في مواطنهم. إذن فالضمير في (بِهِۦ) يعود علىٰ البيت أو الحرم، وجاز الإضمار قبل الذكر لاشتهار استكبارهم وافتخارهم بأنهم خدام البيت وسدنته وقوامه. وقيل: إن الضمير يعود علىٰ القرآن أو الرسول وتكون عندئذ كلمة (مُسْتَكْبِرِينَ) ضُمِّنتْ معنىٰ (مكذبين) أي: مستكبرين علىٰ المسلمين ومكذبين بالقرآن، فقد كانوا يجتمعون حول البيت بالليل يسمرون، وكان أكثر سمرهم ذم الرسول وذكر القرآن وتسميته سحراً وشعراً وأساطير. ﴿سَٰمِرًا﴾ ، حال، أي: جماعة يتحدثون بالليل حول البيت ﴿تَهْجُرُونَ﴾ : تتركون القرآن. ٦٨ ـ قال تعالىٰ: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ﴾ ، أصله: يتدبَّروا، فأُدغمت التاء في الدال ﴿ٱلْقَوْلَ﴾؟ أي: القرآن الدالَّ علىٰ صدق النبي ﴿أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾؟ ٦٩ ـ ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُواْ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾؟ ٧٠ ـ ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةُۢ﴾؟ الاستفهام فيه للتقرير بالحق، من صدق النبي، ومجيء الرسل للأمم الماضية، ومعرفة رسولهم بالصدق والأمانة، وأن لا جنون به ﴿بَلْ﴾ ، للانتقال ﴿جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ أي: القرآن المشتمل علىٰ التوحيد وشرائع الإسلام ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾ . ٧١ ـ ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ﴾ أي: القرآن ﴿أَهْوَآءَهُمْ﴾ بأن جاء بما يَهْوَوْنه من الشريك والولد لله، تعالىٰ عن ذلك ﴿لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ أي: خرجت عن نظامها المشاهَد، لوجود التمانع في الشيء عادة عند تعدد الحاكم ﴿بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ﴾ أي: القرآن الذي فيه ذكرهم وشرفهم ﴿فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ﴾ . ٧٢ ـ ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا﴾ : أجراً علىٰ ما جئتهم به من الإيمان ﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ﴾ : أجره وثوابه ورزقه ﴿خَيْرٌۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ : أفضلُ مَن أعطىٰ وأجر. ٧٣ ـ ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ﴾ : طريق ﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾ أي: دين الإسلام. ٧٤ ـ ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأٓخِرَةِ﴾ : بالبعث والثواب والعقاب ﴿عَنِ ٱلصِّرَٰطِ﴾ أي: الطريق ﴿لَنَٰكِبُونَ﴾ : عادلون.

﴿وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾

٧٥ ـ ﴿وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ﴾ أي: من جوع وقحط ومرض وخوف ﴿لَّلَجُّوا۟﴾: تمادَوْا ﴿فِى طُغْيَٰنِهِمْ﴾: ضلالتهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾: يتردَّدون.

٧٦ ـ ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟﴾: تواضعوا ﴿لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾: يرغبون إلىٰ الله بالدعاء وهذه صفة عامة لذلك الصنف من الناس القاسية قلوبهم، المكذبين بالآخرة، ومنهم المشركون الذين كانوا يواجهون رسول الله ﷺ.

٧٧ ـ ﴿حَتَّىٰٓ﴾، ابتدائية ﴿إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا﴾: صاحب ﴿عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ هو عذاب الآخرة ﴿إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾: آيسونَ من كل خير، أي: إذا جاءهم أمر الله، وجاءتهم الساعة بغتة، وأخذهم من عقاب الله ما لم يكونوا يحتسبون فعند ذلك أبلسوا.

٧٨ ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ﴾: خلق ﴿لَكُمُ ٱلسَّمْعَ﴾، بمعنىٰ الأسماع ﴿وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾: القلوب ﴿قَلِيلًا مَّا﴾، تأكيد للقلة ﴿تَشْكُرُونَ﴾.

٧٩ ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ﴾: خلقكم ﴿فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾: تُبعثون.

٨٠ ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ﴾ بنفخ الروح في المضغة ﴿وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ بالسواد والبياض، والزيادة والنقصان ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ صُنعَه تعالىٰ فتعتبرون؟

٨١ ـ ﴿بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾.

٨٢ ـ ﴿قَالُوٓا۟﴾ أي: الأولون: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾؟ لا.

٨٣ ـ ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا﴾ أي: البعث بعد الموت ﴿مِن قَبْلُ إِنْ﴾: ما ﴿هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ﴾: أكاذيب ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾ كالأضاحيك والأعاجيب، جمع أسطورة بالضم.

٨٤ ـ ﴿قُل﴾ لهم: ﴿لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ﴾ من الخلق ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ خالقها ومالكها؟

٨٥ ـ ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ﴾ لهم: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾: تتَّعظون، فتعلمون أن القادر علىٰ الخلق ابتداءً قادر علىٰ الإحياء بعد الموت؟

٨٦ ـ ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾.

٨٧ ـ ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾: تحذرون عبادةَ غيره.

٨٨ ـ ﴿قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ﴾: ملك ﴿كُلِّ شَىْءٍ﴾، والتاء للمبالغة ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾: يَحمي ولا يُحمىٰ عنه ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

٨٩ ـ ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ﴾، وقوله: لله، بلام الجر في الموضعين نظراً إلىٰ أن المعنىٰ: مَن له ما ذُكر؟ ﴿قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾: تُخدعون وتُصرَفون عن الحق عبادةِ الله وحدَه، أي: كيف تَخيَّلَ لكم أنه باطل؟

بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجۡعَلۡنِي فِي ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمۡ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحۡضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾

٩٠ - ﴿بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِٱلۡحَقِّ﴾: بالصدق ﴿وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ في نفيه، وهو:

٩١ - ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا﴾ لو كان معه إلٰه ﴿لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ﴾ أي: انفرد به، ومنع الآخر من الاستيلاء عليه ﴿وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ﴾ مغالبة كفعل ملوك الدنيا ﴿سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ﴾: تنزيهاً له ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾هُ به مما ذُكر.

٩٢ - ﴿عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾: ما غاب وما شوهد، بالجر صفة، ﴿فَتَعَٰلَىٰ﴾: تعظَّم ﴿عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ه معه.

٩٣ - ﴿قُل رَّبِّ إِمَّا﴾، فيه إدغام نون (إن) الشرطية في (ما) الزائدة ﴿تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ﴾ه من العذاب.

٩٤ - ﴿رَبِّ فَلَا تَجۡعَلۡنِي فِي ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فأُهلَكَ بإهلاكهم.

٩٥ - ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمۡ لَقَٰدِرُونَ﴾ ولكنّا نؤخره لعلمنا أن بعضهم أو بعض أعقابهم سيؤمنون. أو نؤخره لأنا لا نعذبهم وأنت فيهم.

٩٦ - ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾: أي: الخصلة من الصفح والإعراض عنهم ﴿ٱلسَّيِّئَةَۚ﴾: أذاهم إياك، وهذا قبل الأمر بالقتال، فالسورة مكية، ولم يكن قد أُذن للمسلمين بالقتال. ﴿نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ أي: يكذبون ويقولون، فنجازيهم عليه.

٩٧ - ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ﴾: أعتصم ﴿بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾: نزغاتهم بما يوسوسون به.

٩٨ - ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحۡضُرُونِ﴾ في أموري لأنهم إنما يحضرون بسوء.

٩٩ - ﴿حَتَّىٰٓ﴾، ابتدائية ﴿إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾ ورأىٰ مقعدَه من النار ومقعدَه من الجنة لو آمن ﴿قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ﴾، الجمع للتعظيم.

١٠٠ - ﴿لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا﴾ بأن أشهدَ أن لا إلٰه إلا الله، يكونُ ﴿فِيمَا تَرَكۡتُۚ﴾: ضيَّعت من عمري، أي: في مقابلته، قال تعالىٰ: ﴿كَلَّآۚ﴾ أي: لا رجوع ﴿إِنَّهَا﴾ أي: (رب ارجعون) ﴿كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ﴾ ولا فائدة له فيها ﴿وَمِن وَرَآئِهِم﴾: أمامهم. قال الراغب: [و(وراء): إذا قيل وراء زيد كذا، فإنه يقال لمن خلفه نحو قوله تعالىٰ: (وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ)......... ويقال لما كان قدامه نحو: (وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ)] ﴿بَرۡزَخٌ﴾: حاجز يَصُدُّهم عن الرجوع ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ ولا رجوع بعده.

١٠١ - ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾: القَرْن، النفخة الأولىٰ أو الثانية ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ﴾ يتفاخرون بها ﴿وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ عنها، خلاف حالهم في الدنيا، لما يشغلهم من عِظَم الأمر عن ذلك في بعض مواطن القيامة، وفي بعضها يُفيقون، وفي آيةٍ: (فَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ). ١٠٢ - ﴿فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ بالحسنات ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾: الفائزون. ١٠٣ - ﴿وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ أي: بسبب قلة الحسنات وكثرة السيئات ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ فهم ﴿فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾. ١٠٤ - ﴿تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾: تُحرِقُها ﴿وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ﴾ شَمَرَتْ شفاهُهم العليا والسفلىٰ عن أسنانهم.

أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ اخْسَـُٔوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ الْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ الْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾

سُورَةُ النُّورِ ترتيبها ٢٤ آياتها ٦٤

١٠٥ ـ ويقال لهم: ﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِي﴾ من القرآن ﴿تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ تخوَّفون بها ﴿فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾.

١٠٦ ـ ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ عن الهداية.

١٠٧ ـ ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا﴾ إلىٰ المخالفة ﴿فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ﴾.

١٠٨ ـ ﴿قَالَ﴾: ﴿اخْسَـُٔوا فِيهَا﴾ ابعدوا في النار أذلّاء ﴿وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ في رفع العذاب عنكم. فينقطع رجاؤهم.

١٠٩ ـ ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي﴾ هم المهاجرون ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّٰحِمِينَ﴾.

١١٠ ـ ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا﴾، مصدر بمعنىٰ الهزء، منهم بلال وصهيب وعمار وسلمان ﴿حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي﴾ فتركتموه لاشتغالكم بالاستهزاء بهم، فهم سبب الإنساء فنسب إليهم ﴿وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾.

١١١ ـ ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ﴾ النعيمَ المقيمَ ﴿بِمَا صَبَرُوٓا﴾ علىٰ استهزائكم بهم وأذاكم إياهم ﴿أَنَّهُمْ هُمُ الْفَآئِزُونَ﴾ بمطلوبهم، مفعول ثانٍ لـ(جزيتهم).

١١٢ ـ ﴿قَالَ﴾ تعالىٰ: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ في الدنيا وفي قبوركم ﴿عَدَدَ سِنِينَ﴾؟ تمييز.

١١٣ ـ ﴿قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ شكُّوا في ذلك واستقصروه لِعظَم ما هم فيه من العذاب ﴿فَسْـَٔلِ الْعَآدِّينَ﴾ أي: المحصين الحاسبين.

١١٤ ـ ﴿قَالَ﴾ تعالىٰ: ﴿إِنْ﴾ أي: ما ﴿لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ مقدار لَبْثكم من الطول، كان قليلاً بالنسبة إلىٰ لَبْثكم في النار.

١١٥ ـ ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا﴾ لا لحكمة ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾؟ بالبناء للمفعول ـ لا، بل لِنتعبَّدكم بالأمر والنهي، وترجعوا إلينا، ونجازي علىٰ ذلك، (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ).

١١٦ ـ ﴿فَتَعَٰلَى اللَّهُ﴾ عن العبث وغيره مما لا يليقُ به ﴿الْمَلِكُ الْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾.

١١٧ ـ ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾، صفة كاشفة لا مفهوم لها ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ﴾: جزاؤه ﴿عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ الْكَٰفِرُونَ﴾: لا يسعدون.

١١٨ ـ ﴿وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ﴾ المؤمنين، في الرحمة زيادة علىٰ المغفرة ﴿وَأَنتَ خَيْرُ الرَّٰحِمِينَ﴾: أفضل راحم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ ۙ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ ۙ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾

سورة النور

مدنية، وهي ثنتان ـ أو أربع ـ وستون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١ ـ هذه ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾: واضحاتِ الدلالات ﴿لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾: تتعظون.

٢ ـ ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾ أي: غير المحصنين، لرجمهما بالسُّنَّة ﴿فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ أي: ضربة، يقال: جلَده: ضرب جِلْدَه. ويُزاد على ذلك بالسُّنَّة تغريبُ عام، والرقيق على النصف مما ذكر ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ أي: حُكمه بأن تتركوا شيئاً من حدِّهما ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ أي: يوم البعث، في هذا تحريض على ما قبل الشرط، وهو جوابه، أو دال على جوابه ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا﴾ أي: الجلد ﴿طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قيل: ثلاثة، وقيل: أربعة، عدد شهود الزنى.

٣ ـ ﴿الزَّانِي لَا يَنكِحُ﴾: يتزوج، وقيل: يطأ. فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما بسند صحيح أنه قال: ليس هذا بالنكاح، إنما هو الجماع. قال ابن كثير: هذا خبر من الله بأن الزاني لا يطأ إلا زانية أو مشركة، أي: لا يطاوعه على مراده من الزنى إلا زانية عاصية أو مشركة لا ترى حرمة ذلك. ﴿إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾ أي: المناسب لكل منهما ما ذكر ﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ﴾ أي: نكاح الزواني ﴿عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ الأخيار. نزل ذلك لما همَّ فقراء المهاجرين أن يتزوَّجوا بغايا المشركين وهن موسرات لينفقن عليهم، فقيل: التحريم خاص بهم، وقيل: عام.

٤ ـ ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾: العفيفاتِ بالزنى ﴿ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾ على زناهن برؤيتهم ﴿فَاجْلِدُوهُمْ﴾ أي: كل واحد منهم ﴿ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً﴾ في شيء ﴿أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ لإتيانهم كبيرة.

٥ ـ ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾ عملَهم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لهم قذفَهم ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم بإلهامِهم التوبةَ، فبها ينتهي فسقُهم وتُقبل شهادتُهم، وقيل: لا تُقبل رجوعاً بالاستثناء إلى الجملة الأخيرة.

٦ ـ ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ﴾ بالزنى ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ﴾ عليه ﴿إِلَّا أَنفُسُهُمْ﴾، وقع ذلك لجماعة من الصحابة ﴿فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ﴾، مبتدأ ﴿أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ فيما رمى به زوجته من الزنى.

٧ ـ ﴿وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ في ذلك.

٨ ـ ﴿وَيَدْرَأُ﴾: يدفع ﴿عَنْهَا الْعَذَابَ﴾ أي: حدَّ الزنى الذي ثبت بشهاداته ﴿أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ فيما رماها به من الزنى.

٩ ـ ﴿وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في ذلك.

١٠ ـ ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ بالستر في ذلك ﴿وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ﴾ بقبوله التوبة في ذلك وغيره ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما حكم به في ذلك وغيره، لَبَيَّنَ الحق في ذلك، وعاجل بالعقوبة من يستحقها.

١١ ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ﴾: أسوأ الكذب على عائشة رضي الله عنها أمِّ المؤمنين بقذفها ﴿عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾: جماعة من

إِنَّ الَّذِينَ جَاءُو بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَاءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾

المؤمنين ولو ظاهراً، فقد كان فيهم عبد الله بن أُبيّ كبير المنافقين وهو الذي تولّىٰ كبر هذا الأمر. قالت عائشة: حسان بن ثابت، وعبد الله بنُ أُبيّ، ومِسْطَح، وحَمْنَة بنت جحش، ﴿لَا تَحْسَبُوهُ﴾ أيها المؤمنون غير العُصْبة ﴿شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ يأجُركم الله به، ويُظهر براءة عائشة ومن جاء معها منه، وهو صفوان، فإنها قالت: كنتُ مع النبي ﷺ في غزوة بعدما أُنزل الحجاب، ففرَغ منها ورجَع، ودنا من المدينة وآذن بالرحيل ليلة، فمشَيْتُ وقضَيْتُ شأني وأقبلت إلىٰ الرَّحْلِ، فإذا عِقْدي انقطعَ ـ هو بكسر المهملة: القلادة ـ فرجعتُ ألتمِسُه، وحملوا هَوْدجي ـ هو ما يُركب فيه ـ علىٰ بعيري يحسبونني فيه، وكانت النساء خِفافاً، إنما يأكلنَ العُلْقة ـ هو بضم المهملة وسكون اللام ـ من الطعام، أي: القليل، ووجدت عِقْدي، وجئتُ بعدما ساروا، فجلستُ في المنزل الذي كنتُ فيه، وظننتُ أن القوم سيفقدُونني، فيرجعون إليّ، فغلبَتْني عيناي فنمت، وكان صفوانُ قد عرَّس من وراء الجيش، فادَّلج ـ هما بتشديد الراء والداء ـ أي: نزل من آخر الليل للاستراحة، فسار منه، فأصبح في منزله، فرأىٰ سواد إنسان نائم، أي: شخصه، فعرفني حين رآني، وكان يراني قبل الحجاب، فاستيقظْتُ باسترجاعه حين عرفني، أي: قوله: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعونَ، فخمَّرتُ وجهي بجلبابي، أي: غَطَّيْتُه بالمُلاءة، والله ما كلمني بكلمة، ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حين أناخ راحلته، ووَطِئَ علىٰ يدها فركبتُها، فانطلق يقود بي الراحلة حتىٰ أتينا الجيش بعدما نزلوا مُوغرين في نحر الظهيرة ـ أي: من أَوْغر: واقعين في مكان وَغْرٍ من شدة الحر ـ فهلكَ من هَلكَ فيَّ، وكان الذي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ منهم عبد الله بنُ أُبيٍّ بن سلول. انتهىٰ قولها رواه البخاري (٢٦٦١) ومسلم (٢٧٧٠). قال تعالىٰ: ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم﴾ أي: عليه ﴿مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ﴾ في ذلك ﴿وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ﴾ أي: تحمّل مُعظَمه، فبدأ بالخوض فيه وأشاعه وهو عبدُ الله بنُ أُبيّ ﴿لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ هو النار في الآخرة. ١٢ ـ ﴿لَّوْلَا﴾: هلّا ﴿إِذْ﴾: حين ﴿سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ﴾ أي: ظن بعضُهم ببعض ﴿خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾: كذب بيِّن، فيه التفاتٌ عن الخطاب، أي: ظننتم أيها العصبة وقلتم ١٣ ـ ﴿لَّوْلَا﴾: هلّا ﴿جَاءُو﴾ أي: العصبة ﴿عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾ شاهدوه ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ﴾ أي: في حكمه ﴿هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ فيه. ١٤ ـ ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ﴾ أيها العصبة، أي: خضتم ﴿فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في الآخرة. ١٥ ـ ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ أي: يرويه بعضكم عن بعض، وحذف من الفعل إحدىٰ التاءين، و(إذ) منصوب بـ(مسّكم)، أو بـ(أفضتم) ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا﴾ لا إثم فيه ﴿وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ في الإثم. ١٦ ـ ﴿وَلَوْلَا﴾: هلّا ﴿إِذْ﴾: حين ﴿سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ﴾: ما ينبغي ﴿لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَانَكَ﴾، هو للتعجيب هنا ﴿هَٰذَا بُهْتَانٌ﴾: كذب ﴿عَظِيمٌ﴾. ١٧ ـ ﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ﴾: ينهاكم ﴿أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ تتعظون بذلك. ١٨ ـ ﴿وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ في الأمر والنهي ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بما يأمر به وينهىٰ عنه ﴿حَكِيمٌ﴾ فيه. ١٩ ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ﴾ باللسان ﴿فِي الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بنسبتها إليهم وهم العُصْبة ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا﴾ بحدّ القذف ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ بالنار لحق الله ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ انتفاءها عنهم ﴿وَأَنتُمْ﴾ أيها العُصْبة بما قلتم من الإفك ﴿لَا تَعْلَمُونَ﴾ وجودها فيهم. ٢٠ ـ ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ أيها العُصْبة ﴿وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ بكم، لَعاجلَكُم بالعقوبة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَاۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾

٢١ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ﴾ أي: طرق تزيينه ﴿وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ﴾ أي: الشيطان ﴿يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ أي: القبيح ﴿وَٱلْمُنكَرِۚ﴾ شرعاً باتباعها ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم﴾ أيها العُصْبة بما قلتم من الإفك ﴿مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ أي: ما صلح وطهر من هذا الذنب بالتوبة منه ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى﴾: يُطهِّر ﴿مَن يَشَآءُۗ﴾ من الذنب بقبول توبته منه ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لما قلتم ﴿عَلِيمٌ﴾ بما قصدتُم.

٢٢ ـ ﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾: يحلف ﴿أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ﴾ أي: أولو الفضل منكم في الدين، وكفىٰ به دليلاً علىٰ فضل الصِّديق. والسعة في المال أي: أصحاب الغنىٰ ﴿مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن﴾ لا ﴿يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِۖ﴾ نزلت في أبي بكر، حلف أن لا ينفق علىٰ مِسْطَح ـ وهو ابن خالته مسكين مهاجر بدري ـ لما خاض في الإفك بعد أن كان ينفق عليه، وناس من الصحابة أقسموا أن لا يتصدقوا علىٰ من تكلم بشيء من الإفك ﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ﴾ عنهم في ذلك ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ للمؤمنين، قال أبو بكر: بلىٰ أنا أُحب أن يغفر الله لي، ورجع إلىٰ مِسْطَح ما كان ينفقه عليه.

٢٣ ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ﴾ بالزنىٰ ﴿ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾: العفائف ﴿ٱلْغَٰفِلَٰتِ﴾ عن الفواحش، بأن لا يقع في قلوبهن فعلُها، أي: السليمات الصدور النقيات القلوب عن كل سوء ﴿ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ بالله ورسوله ﴿لُعِنُواْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

٢٤ ـ ﴿يَوْمَ﴾، ناصبه الاستقرار الذي تعلَّق به (لهم) أي: والتقدير: عذاب عظيم كائن لهم يوم (تَشْهَدُ) . . . فـ(لَهُمْ) متعلق بكائن وكذلك (يَوْمَ) متعلق بكائن أيضاً ﴿تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ من قول وفعل، وهو يوم القيامة. ٢٥ ـ ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ﴾: يجازيهم جزاءهم الواجب عليهم ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾ حيث حقق لهم جزاءه الذي كانوا يشكُّون فيه، ومنهم عبد الله بنُ أبيٍّ. والمحصناتُ هنا أزواجُ النبي ﷺ، لم يَذكر في قذفهن توبةً، ومَن ذَكر في قذفهن ـ أول السورة ـ التوبةَ غيرُهن. ٢٦ ـ ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ﴾ من النساء ومن الكلمات ﴿لِلْخَبِيثِينَ﴾ من الناس ﴿وَٱلْخَبِيثُونَ﴾ من الناس ﴿لِلْخَبِيثَٰتِۖ﴾ مما ذكر ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ مما ذكر ﴿لِلطَّيِّبِينَ﴾ من الناس ﴿وَٱلطَّيِّبُونَ﴾ منهم ﴿لِلطَّيِّبَٰتِۚ﴾ مما ذُكر، أي: اللائق بالخبيث مثلُه وبالطيب مثله ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الطيبون والطيبات من النساء، ومنهم عائشة وصفوان ﴿مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ﴾ أي: الخبيثون والخبيثات من النساء فيهم ﴿لَهُم﴾ للطيبين والطيبات من النساء ﴿مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ في الجنة، وقد افتخرت عائشةُ بأشياء، منها أنها خُلقت طَيِّبة، ووُعدت مغفرة ورزقاً كريماً. ٢٧ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ﴾ أي: تستأذنوا ﴿وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَاۚ﴾ فيقول الواحد: السلام عليكم، أأدخل؟ كما ورد في حديث رواه أبو داود (٥١٧٦) والترمذي (٢٧١٠) ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من الدخول بغير استئذان ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ خيريته، فتعملون به.

فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا فَٱرْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوٓا إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾

٢٨ - ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَآ أَحَدًا﴾ يأذن لكم ﴿فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ﴾ بعد الاستئذان: ﴿ٱرْجِعُوا فَٱرْجِعُوا هُوَ﴾ أي: الرجوع ﴿أَزْكَىٰ﴾ أي: خير ﴿لَكُمْ﴾ من القعود على الباب ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من الدخول بإذن وغير إذن ﴿عَلِيمٌ﴾ فيجازيكم عليه.

٢٩ - ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ﴾ أي: أغراض ومنفعة ﴿لَّكُمْ﴾ باستكنان وغيره، أي بطلبِ كِنٍّ يقي المرء الحر والبرد كبيوت الرُّبُط والخانات المُسبلة ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾: تُظهرون ﴿وَمَا تَكْتُمُونَ﴾: تُخفون في دخول غير بيوتكم من قصد صلاح أو غيره، وسيأتي أنهم إذا دخلوا بيوتهم يُسلِّمون على أنفسهم.

٣٠ - ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ﴾ عما لا يحلُّ لهم نظرُه، و(من) زائدة ﴿وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ عما لا يحلُّ لهم فعلُه بها ﴿ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ﴾ أي: خير ﴿لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ بالأبصار والفروج، فيُجازيهم عليه.

٣١ - ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ﴾ عما لا يحلُّ لهن نظرُه ﴿وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ عما لا يحلُّ لهن فعله بها ﴿وَلَا يُبْدِينَ﴾: يُظهرن ﴿زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ وهو الوجه والكفان، فيجوز نظره لأجنبي إن لم يخف فتنة، في أحد وجهين، والثاني: يحرُم، لأنه مَظِنَّةُ الفتنة، ورُجِّح حسماً للباب ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ أي: يسترن الرؤوس والأعناق والصدور بالمقانع ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ الخفية، وهي ما عدا الوجه والكفين ﴿إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾، جمع بعل، أي: زوج ﴿أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾ فيجوز لهم نظره إلا ما بين السرة والركبة، فيحرم نظرُه لغير الأزواج، وخرج بـ(نسائهن) الكافرات، فلا يجوز للمسلمات الكشف لهن، وشمل ما (ملكت أيمانهن) العبيد ﴿أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ﴾ في فضول الطعام ﴿غَيْرِ﴾، بالجر صفة، ﴿أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ﴾: أصحاب الحاجة إلى النساء ﴿مِنَ ٱلرِّجَالِ﴾ بأن لم ينتشر ذكرُ كلٍّ ﴿أَوِ ٱلطِّفْلِ﴾، بمعنى الأطفال ﴿ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا﴾ يطَّلعوا ﴿عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾ للجماع، فيجوز أن يُبدين لهم ما عدا ما بين السرة والركبة ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ من خَلْخَال يتقعقع ﴿وَتُوبُوٓا إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ مما وقع لكم من النظر الممنوع منه ومن غيره ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: تَنجُون من ذلك لقبول التوبة منه، وفي الآية تغليب الذكور على الإناث.

وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَـٰتٍ مُّبَيِّنَـٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَـٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴿٣٦﴾

ربع الحزب ٣٦

٣٢ ـ ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ﴾، جمع أيِّم، وهي مَن ليس لها زوج، بكراً كانت أو ثيِّباً، ومن ليس له زوج، وهذا في الأحرار والحرائر ﴿وَٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ أي: المؤمنين ﴿مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ﴾، وعباد من جموع عبد ﴿إِن يَكُونُوا۟﴾ أي: الأحرار ﴿فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ﴾ بالتزوُّج ﴿مِن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ لخلقه ﴿عَلِيمٌ﴾ بهم. ٣٣ ـ ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ أي: ما ينكحون به من مهر ونفقة، عن الزنىٰ ﴿حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾: يُوسِّع عليهم ﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾ فينكحون ﴿وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾، بمعنىٰ المكاتبة ﴿مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ﴾ من العبيد والإماء ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ أي: أمانة وقدرة علىٰ الكسب لأداء مال الكتابة، وصيغتها مثلاً: كاتبتك علىٰ ألفين في شهرين، كل شهر ألف، فإذا أدّيتها فأنت حر، فيقول: قبلتُ. ﴿وَءَاتُوهُم﴾، أمر للسادة ﴿مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾ ما يستعينون به في أداء ما التزموه لكم، وفي معنىٰ الإيتاء حطُّ شيء مما التزموه ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ﴾ أي: إماءكم ﴿عَلَى ٱلْبِغَآءِ﴾ أي: الزنىٰ ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾: تعفُّفاً عنه، وهذه الإرادة محلُّ الإكراه، فلا مفهوم للشرط ﴿لِّتَبْتَغُوا۟﴾ بالإكراه ﴿عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ نزلت في عبد الله بن أُبيٍّ، كان يُكره جَواريَه علىٰ الكسب بالزنىٰ ﴿وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ﴾ لهن ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهن. ٣٤ ـ ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَـٰتٍ مُّبَيِّنَـٰتٍ﴾ في هذه السورة أي: الآيات التي بيّنت الأحكام والحدود ﴿وَمَثَلًا﴾: خبراً عجيباً، وهو خبر عائشة ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ﴾ أي: من جنس أمثالهم، أي: أخبارهم العجيبة، كخبر يوسف ومريم ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ في قوله تعالىٰ: (وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ)، (لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ . . .) إلخ، (وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم . . .) إلخ، (يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ . . .) إلخ، وتخصيصها بالمتقين لأنهم المنتفعون بها. ٣٥ ـ ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: مُنوِّرُهما بالشمس والقمر ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ أي: صفتُه في قلب المؤمن ﴿كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ﴾ هي القنديل، والمصباح: السراج، أي: الفتيلة الموقدة، والمشكاة: الطاقة غيرُ النافذة ﴿ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا﴾ والنور فيها ﴿كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ﴾: مضيء، بضمّ الدال وتشديد الياء منسوبٌ إلىٰ الدُّر: اللُّؤلؤ ﴿يُوقَدُ مِن﴾ زيت ﴿شَجَرَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ بل بينهما، فلا يتمكن منها حرٌّ ولا برد مُضِرَّين ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ لصفائه ﴿نُّورٌ﴾ به، أي: بالزيت ﴿عَلَىٰ نُورٍ﴾ بالنار. ونورُ الله، أي: هداه للمؤمن، نور علىٰ نور الإيمان. جاء في «الفتوحات الإلٰهية» للعلّامة الجمل: [أي فالمشبّه نورٌ مجموعٌ من نورين: نور الهدىٰ ونور الإيمان، والمشبه به نور مجموع من نورين: نور الزيت الخَلْقي، ونور المصباح الموقد فيه]. ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ﴾ أي: دين الإسلام ﴿مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ﴾: يُبيِّنُ ﴿ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَـٰلَ لِلنَّاسِ﴾ تقريباً لأفهامهم ليعتبروا فيؤمنوا ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ ومنه ضرب الأمثال. ٣٦ ـ ﴿فِى بُيُوتٍ﴾، متعلق بـ(يسبح) الآتي ﴿أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾: تُعظَّمَ ﴿وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ بتوحيده ﴿يُسَبِّحُ﴾ أي: يصلي ﴿لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ﴾، مصدر بمعنىٰ الغدوات، أي: البُكر ﴿وَٱلْـَٔاصَالِ﴾: العشايا من بعد الزوال.

رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾

٣٧ ـ ﴿رِجَالٌ﴾، فاعل (يسبّح) ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ﴾ أي: شراء ﴿وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾، حذفُ هاء (إقامة) تخفيف ﴿وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ﴾: تضطرب ﴿فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ من الخوف، القلوب بين النجاة والهلاك، والأبصار بين ناحيتي اليمين والشمال، هو يوم القيامة.

٣٨ ـ ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟﴾ أي: ثوابه، وأحسن بمعنىٰ حسن ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ يقال: فلان ينفق بغير حساب، أي: يُوسع كأنه لا يَحسبُ ما ينفقه.

٣٩ ـ ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ﴾، جمع قاع، أي: في فلاة، وهو شعاع يُرىٰ فيها نصفَ النهار في شدة الحر يشبه الماء الجاري ﴿يَحْسَبُهُ﴾: يظنُّه ﴿ٱلظَّمْـَٔانُ﴾ أي: العطشان ﴿مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ مما حسبه، كذلك الكافر يحسب أن عمله كصدقة ينفعه، حتىٰ إذا مات وقَدِمَ علىٰ ربه، لم يجد عمله، أي: لم ينفعه ﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾ أي: عند عمله ﴿فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ﴾ أي: جازاه عليه ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ أي: المجازاة.

٤٠ ـ ﴿أَوْ﴾: الذين كفروا أعمالُهم السيئةُ ﴿كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ﴾: عميق ﴿يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ﴾ أي: الموج ﴿مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ﴾ أي: الموج الثاني ﴿سَحَابٌ﴾ أي: غيم، هذه ﴿ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾: ظلمة البحر، وظلمة الموج الأول، وظلمة الثاني، وظلمة السحاب ﴿إِذَآ أَخْرَجَ﴾ الناظرُ ﴿يَدَهُۥ﴾ في هذه الظلمات ﴿لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ﴾ أي: لم يقرب من رؤيتها ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ أي: من لم يهده الله، لم يهتد.

٤١ ـ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ومن التسبيح صلاة ﴿وَٱلطَّيْرُ﴾، جمع طائر، بين السماء والأرض ﴿صَٰٓفَّٰتٍ﴾، حال: باسطاتٍ أجنحتَهن ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ﴾ اللهُ ﴿صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾، فيه تغليب العاقل.

٤٢ ـ ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ﴾: خزائن المطر والرزق والنبات ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾: المرجع.

٤٣ ـ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا﴾: يسوقه برفق ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ﴾: يضم بعضه إلىٰ بعض، فيجعل القطع المتفرقة قطعة واحدة ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا﴾ بعضه فوق بعض ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ﴾: المطر ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾: مخارجه ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا﴾: في السماء، بدل بإعادة الجار ﴿مِنۢ بَرَدٍ﴾ أي: بعضه، أي: وينزل من السماء من سحب فيها كأنها لضخامتها جبال برداً ﴿فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ﴾: يقرب ﴿سَنَا بَرْقِهِۦ﴾: لمعانُه ﴿يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ﴾ الناظرة له، أي: يخطفها.

يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَّقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل لَّا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾

نصف الحزب ٣٦

٤٤ ـ ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ أي: يأتي بكل منهما بدل الآخر ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ التقليب ﴿لَعِبْرَةً﴾: دلالة ﴿لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾: لأصحاب البصائر على قدرة الله تعالى.

٤٥ ـ ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ﴾ أي: حيوان ﴿مِّن مَّاءٍ﴾ أي: نطفة ﴿فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ﴾ كالحيات والهوام ﴿وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ﴾ كالإنسان والطير ﴿وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ﴾ كالبهائم والأنعام ﴿يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

٤٦ ـ ﴿لَّقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ﴾ أي: بينات، هي القرآن ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ﴾: طريق ﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾ أي: دين الإسلام.

٤٧ ـ ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أي: المنافقون ﴿آمَنَّا﴾: صدَّقنا ﴿بِاللَّهِ﴾: بتوحيده ﴿وَبِالرَّسُولِ﴾ محمد ﴿وَأَطَعْنَا﴾هما، فيما حكما به ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ﴾: يُعرض ﴿فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ عنه ﴿وَمَا أُولَٰئِكَ﴾ المعرضون ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ﴾: المعهودين، الموافق قلوبهم لألسنتهم.

٤٨ ـ ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ المبلِّغ عنه ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ﴾ عن المجيء إليه.

٤٩ ـ ﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾: مسرعين طائعين.

٥٠ ـ ﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: كفر ﴿أَمِ ارْتَابُوا﴾ أي: شَكُّوا في نبوته ﴿أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ﴾ في الحكم، أي: فيظلموا فيه؟ لا ﴿بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ بالإعراض عنه.

٥١ ـ ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ بالقول اللائق بهم ﴿أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ بالإجابة ﴿وَأُولَٰئِكَ﴾ حينئذ ﴿هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾: الناجون.

٥٢ ـ ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ﴾: يخفه ﴿وَيَتَّقْهِ﴾ بأن يطيعه ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ بالجنة.

٥٣ ـ ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾: غايتها ﴿لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ﴾ بالجهاد ﴿لَيَخْرُجُنَّ قُل﴾ لهم: ﴿لَّا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ﴾ للنبي خيرٌ من قَسَمِكم الذي لا تَصْدُقون فيه ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من طاعتكم بالقول ومخالفتكم بالفعل.

قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحُۢ بَعْدَهُنَّ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾

٥٤ ـ ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ عن طاعته، بحذف إحدىٰ التاءين، خطابٌ لهم ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ﴾ من التبليغ ﴿وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ﴾ من طاعته ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ أي: التبليغ البيِّن.

٥٥ ـ ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ بدلاً عن الكفار ﴿كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من بني إسرائيل بدلاً عن الجبابرة ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ﴾ وهو الإسلام، بأن يُظهره علىٰ جميع الأديان ويُوسِّع لهم في البلاد فيملكوها ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ﴾ من الكفار ﴿أَمْنًا﴾ وقد أنجز الله وعده لهم بما ذُكر، وأثنىٰ عليهم بقوله: ـ ﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا﴾، هو مستأنف في حكم التعليل ﴿وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ الإنعام منهم به أي: بالإنعام ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ وأول من كفر به قتلة عثمان رضي الله عنه، فصاروا يقتتلون بعد أن كانوا إخواناً.

٥٦ ـ ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ أي: رجاء الرحمة.

٥٧ ـ ﴿لَا تَحْسَبَنَّ﴾، والفاعل الرسول ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مُعْجِزِينَ﴾ لنا ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ بأن يفوتونا ﴿وَمَأْوَىٰهُمُ﴾: مرجعُهم ﴿ٱلنَّارُ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾: المرجع هي.

٥٨ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ من العبيد والإماء ﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ﴾ من الأحرار وعرفوا أمر النساء ﴿ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ﴾ في ثلاثة أوقات ﴿مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ﴾ أي: وقتَ الظهر ﴿وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ﴾، بالرفع، خبر مبتدأ مقدر، بعده مضاف، وقام المضاف إليه مقامه، أي: هي أوقات، وهي لإلقاء الثياب تبدو فيها العورات ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: المماليك والصبيان ﴿جُنَاحٌ﴾ في الدخول عليكم بغير استئذان ﴿بَعْدَهُنَّ﴾ أي: بعد الأوقات الثلاثة، هم ﴿طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم﴾ للخدمة ﴿بَعْضُكُمْ﴾ طائف ﴿عَلَىٰ بَعْضٍ﴾، والجملة مؤكِّدة لما قبلها ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما بيَّن ما ذُكر ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ﴾ أي: الأحكامَ ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بأمور خلقه ﴿حَكِيمٌ﴾ بما دبَّره لهم، وآية الاستئذان قيل: منسوخة والصواب أنها غير منسوخة، ولكن تهاونَ الناس في ترك الاستئذان. قال ابن كثير: [ولما كانت هذه الآية محكمة لم تنسخ بشيء وكان عمل الناس بها قليلاً جداً أنكر عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ذلك علىٰ الناس] ثم روىٰ عن سعيد بن جبير قال: قال ابن عباس: ترك الناس ثلاث آيات فلم يعملوا بهنّ: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ . . .) إلىٰ آخر الآية. والآية التي في سورة النساء: (وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ) والآية التي في الحجرات: (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ).

وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

٥٩ ـ ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ﴾ أيها الأحرار ﴿ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟﴾ في جميع الأوقات ﴿كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: الأحرار الكبار.

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

٦٠ ـ ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾: قعدنَ عن الحيض والولد لكبرهن.

﴿ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾ لذلك ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾ من الجلباب والرِّداء والقِناع فوق الخمار.

﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ﴾: مُظهرات ﴿بِزِينَةٍ﴾ خفية، كقلادة وسوار وخَلْخَال.

﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ﴾ بأن لا يضعنها ﴿خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لقولكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بما في قلوبكم.

٦١ ـ ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ في مؤاكلة مقابليهم.

﴿وَلَا﴾ حرج ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ﴾ أي: بيوت أولادكم.

﴿أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾ أي: خزنتموه لغيركم.

﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ وهو مَن صدقكم في مودَّته.

المعنىٰ: يجوز الأكل من بيوت مَن ذُكر وإن لم يَحضروا، أي: إذا علم رضاهم به.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا﴾: مجتمعين.

﴿أَوْ أَشْتَاتًا﴾: متفرقين جمع شَتّ، نزل فيمن تحرَّج أن يأكل وحدَه، وإذا لم يجد من يؤاكله يترك الأكل.

﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا﴾ لكم لا أهل بها ﴿فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ أي: قولوا: السلام علينا وعلىٰ عباد الله الصالحين، فإن الملائكة تَرُدُّ عليكم.

وإن كان بها أهل فسلِّموا عليهم ﴿تَحِيَّةً﴾، مصدر حَيَّا ﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾ يُثاب عليها.

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ أي: يفصل لكم معالم دينكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ لكي تفهموا ذلك.

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُواْ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾

سورة الفرقان

آياتها ٧٧ — ترتيبها ٢٥

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٣٦

٦٢ ـ ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ﴾ أي: الرسول ﴿عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ﴾ كخطبة الجمعة، وخطبة العيد، والحروب، والاجتماعات التي كان ﷺ يدعو إليها للتشاور في الأمور أو للعلم.

﴿لَّمْ يَذْهَبُواْ﴾ لعروض عذر لهم ﴿حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾: أمرهم ﴿فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ بالانصراف ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

٦٣ ـ ﴿لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ بأن تقولوا: يا محمد.

بل قولوا: يا نبيَّ الله، يا رسول الله، في لين وتواضع وخفض صوت.

﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا﴾ أي: يخرجون من المسجد في الخطبة من غير استئذان خفية مستترين بشيء، و(قد) للتحقيق.

﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾ أي: الله، أو رسوله، أي: فليحذر الذين يخالفون أمره معرضين عنه ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾: بلاء ﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة.

٦٤ ـ ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ مُلكاً وخَلقاً وعبيداً.

﴿قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ﴾ أيها المكلَّفون ﴿عَلَيْهِ﴾ من الإيمان والنفاق ﴿وَ﴾ يعلم ﴿يَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ﴾، فيه التفات عن الخطاب، أي: متىٰ يكون ﴿فَيُنَبِّئُهُم﴾ فيه ﴿بِمَا عَمِلُواْ﴾ من الخير والشر ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ﴾ من أعمالهم وغيرها ﴿عَلِيمٌۢ﴾.

سورة الفرقان

مكية إلا: (وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ) إلى (رَحِيمًا) فمدني،
وهي سبع وسبعون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ ـ ﴿تَبَارَكَ﴾: تعالىٰ ﴿ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾: القرآن، لأنه فرّق بين الحق والباطل ﴿عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ محمد ﴿لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ﴾ أي: الإنس والجن دون الملائكة ﴿نَذِيرًا﴾: مُخوّفاً من عذاب الله.

٢ ـ ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ من شأنه أن يُخلق ﴿فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ سوّاه تسوية.

وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتٗا وَلَا حَيَوٰةٗ وَلَا نُشُورٗا ﴿٣﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴿٥﴾ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٦﴾ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوۡ يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٞ يَأۡكُلُ مِنۡهَاۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَٰلَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِيٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيۡرٗا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَيَجۡعَل لَّكَ قُصُورَۢا ﴿١٠﴾ بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلسَّاعَةِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾

٣ ـ ﴿وَٱتَّخَذُواْ﴾ أي: الكفار ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي: الله، أي: غيره ﴿ءَالِهَةً﴾ هي الأصنام ﴿لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرّٗا﴾ أي: دفعه ﴿وَلَا نَفۡعٗا﴾ أي: جرّه ﴿وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتٗا وَلَا حَيَوٰةٗ﴾ أي: إماتة لأحد وإحياءً لأحد ﴿وَلَا نُشُورٗا﴾ أي: بعثاً للأموات.

٤ ـ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ﴾ أي: ما القرآن ﴿إِلَّآ إِفۡكٌ﴾: كذب ﴿ٱفۡتَرَىٰهُ﴾ محمد ﴿وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ﴾ وهم من أهل الكتاب.

قال تعالىٰ ﴿فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا﴾: كفراً وكذباً، أي: بهما.

٥ ـ ﴿وَقَالُوٓاْ﴾ أيضاً: هو ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾: أكاذيبهم، جمع أُسطورة، بالضم.

﴿ٱكۡتَتَبَهَا﴾: انتسخها من أولئك القوم بغيره أي: أمر غيره بكتابتها ونسخها لأنه ﷺ كان أمياً ﴿فَهِيَ تُمۡلَىٰ﴾: تُقرأ ﴿عَلَيۡهِ﴾ ليحفظها ﴿بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا﴾: غُدوة وعشية.

٦ ـ قال تعالىٰ ردّاً عليهم: ﴿قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ﴾: الغيبَ ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا﴾ للمؤمنين ﴿رَّحِيمٗا﴾ بهم.

٧ ـ ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ لَوۡلَآ﴾: هلّا ﴿أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا﴾ يصدِّقُه.

٨ ـ ﴿أَوۡ يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡهِ كَنزٌ﴾ من السماء ينفقه، ولا يحتاج إلىٰ المشي في الأسواق لطلب المعاش.

﴿أَوۡ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٞ﴾: بستان ﴿يَأۡكُلُ مِنۡهَاۚ﴾ أي: من ثمارها، فيكتفي بها.

﴿وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ أي: الكافرون للمؤمنين: ﴿إِن﴾: ما ﴿تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا﴾: مخدوعاً مغلوباً علىٰ عقله.

٩ ـ قال تعالىٰ: ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَٰلَ﴾ بالمسحور، والمحتاج إلىٰ ما ينفقه، وإلىٰ مَلَك يقوم معه بالأمر ﴿فَضَلُّواْ﴾ بذلك عن الهدىٰ ﴿فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا﴾: طريقاً إليه.

١٠ ـ ﴿تَبَارَكَ﴾: تكاثر خيرُ ﴿ٱلَّذِيٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيۡرٗا مِّن ذَٰلِكَ﴾ الذي قالوه من الكنز والبستان.

﴿جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ أي: في الدنيا، لأنه شاء أن يُعطيه إياها في الآخرة ﴿وَيَجۡعَل﴾، بالجزم ﴿لَّكَ قُصُورَۢا﴾ أيضاً.

١١ ـ ﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلسَّاعَةِۖ﴾: القيامة ﴿وَأَعۡتَدۡنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾: ناراً مُسعَّرة، أي: مُشتَدَّة.

إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُواْ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُواْ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُواْ ٱلذِّكْرَ وَكَانُواْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾

١٢ ـ ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا﴾: غلياناً كالغضبان إذا غلىٰ صدره من الغضب ﴿وَزَفِيرًا﴾: صوتاً شديداً، أو سماع التغيظ رؤيته وعلمه. ١٣ ـ ﴿وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا﴾، بأن يُضيَّق عليهم، و(منها) حال من (مكاناً) لأنه في الأصل صفة له ﴿مُّقَرَّنِينَ﴾: مُصفَّدين قد قُرنت، أي: جُمعت أيديهم إلىٰ أعناقهم في الأغلال، والتشديد للتكثير ﴿دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾: هلاكاً.

١٤ ـ فيقال لهم: ﴿لَّا تَدْعُواْ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُواْ ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ كعذابكم. ١٥ ـ ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ﴾ المذكور من الوعيد وصفة النار ﴿خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ﴾ها ﴿ٱلْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ﴾ في علمه تعالىٰ ﴿جَزَآءً﴾: ثواباً ﴿وَمَصِيرًا﴾: مرجعاً.

١٦ ـ ﴿لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ﴾، حال لازمة ﴿كَانَ﴾ وعدُهم ما ذُكر ﴿عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا﴾ يسأله مَن وُعد به: (رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ). أو تسأله لهم الملائكة: (رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ).

١٧ ـ ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيرَه من الملائكة، وعيسىٰ، وعُزيرْ والجن ﴿فَيَقُولُ﴾ تعالىٰ، للمعبودين إثباتاً للحجة علىٰ العابدين: ﴿ءَأَنتُمْ﴾، بتحقيق الهمزتين ﴿أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ﴾: أوقعتموهم في الضلال بأمركم إياهم بعبادتكم ﴿أَمْ هُمْ ضَلُّواْ ٱلسَّبِيلَ﴾: طريق الحق بأنفسهم.

١٨ ـ ﴿قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ﴾: تنزيهاً لك عما لا يليق بك ﴿مَا كَانَ يَنۢبَغِى﴾: يستقيم ﴿لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ﴾ أي: غيرَك ﴿مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾، مفعول أول، و(من) زائدة لتأكيد النفي، وما قبله أي: (مِن دُونِكَ) المفعول الثاني، فكيف نأمرُ بعبادتنا؟ ﴿وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ﴾ من قبلهم بإطالة العمر وسَعَةِ الرِّزق ﴿حَتَّىٰ نَسُواْ ٱلذِّكْرَ﴾: تركوا الموعظة والإيمان بالقرآن ﴿وَكَانُواْ قَوْمًۢا بُورًا﴾: هَلْكىٰ.

١٩ ـ قال تعالىٰ: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم﴾: كذب المعبودون العابدين ﴿بِمَا تَقُولُونَ﴾، بالفوقانية، أنهم آلهة ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ﴾ أي: لا تستطيعون أنتم ﴿صَرْفًا﴾: دفعاً للعذاب عنكم ﴿وَلَا نَصْرًا﴾: منعاً لكم منه ﴿وَمَن يَظْلِم﴾: يُشْرِكْ ﴿مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾: شديداً في الآخرة. ٢٠ ـ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ فأنت مثلُهم في ذلك، وقد قيل لهم مثلُ ما قيل لك ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾: بليَّةً، ابتُلي الغنيُّ بالفقير، والصحيحُ بالمريض، والشريفُ بالوضيع، يقول الثاني في كلٍّ: ما لي لا أكونُ كالأول في كلٍّ؟ ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ علىٰ ما تسمعون ممن ابتُليتم بهم؟ استفهام بمعنىٰ الأمر، أي: اصبِرُوا ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ بمن يصبر وبمن يجزع.

٢١ ـ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ أي: وقال الذين لا يرجون لقاء الله ولا يخافون البعث لإنكارهم له فهم يقولون: كيف نبعث من قبورنا بعد أن نكون تراباً، ذلك رجع بعيد. قالوا: ﴿لَوْلَآ﴾: هلَّا ﴿أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾

۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾

فكانوا رُسلاً إلينا ﴿أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾: فنُخبَر بأن محمداً رسوله، قال تعالىٰ: ﴿لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾: تكبّروا ﴿فِىٓ﴾ شأن ﴿أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ﴾ طغَوْا ﴿عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ بطلبهم رؤيةَ الله تعالىٰ في الدنيا. و(عُتوّاً) بالواو علىٰ أصله بخلاف (عِتيّ) بالإبدال في (مريم). ٢٢ ـ ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ في جملة الخلائق، هو يوم القيامة، ونصبه بـ(اذكر) مقدّراً ﴿لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ أي: الكافرين، بخلاف المؤمنين، فلهم البشرىٰ بالجنة ﴿وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ علىٰ عادتهم في الدنيا إذا نزلت بهم شدة، أي: عوذاً معاذاً، يستعيذون من الملائكة. ٢٣ ـ قال تعالىٰ: ﴿وَقَدِمْنَآ﴾: عَمَدْنا ﴿إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ﴾ من الخير، كصدقة، وصلةِ رحم، وقِرَىٰ ضيف، وإغاثةِ ملهوف في الدنيا ﴿فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ هو ما يُرىٰ في الكُوَىٰ التي عليها الشمس كالغبار المفرَّق، أي: مثلُه في عدم النفع به، إذ لا ثواب فيه لعدم شرطه وهو الإيمان، ويُجازَون عليه في الدنيا. ٢٤ ـ ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ﴾: يوم القيامة ﴿خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾ من الكافرين في الدنيا ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ منهم، أي: موضع قائلة فيها، وهي الاستراحة نصفَ النهار في الحرّ، وأُخذ من ذلك انقضاءُ الحساب في نصف نهار كما ورد في حديث.

٢٥ ـ ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ﴾ أي: كلُّ سماء ﴿بِٱلْغَمَٰمِ﴾ أي: معه، وهو غيم أبيضُ ﴿وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ من كل سماء ﴿تَنزِيلًا﴾ هو يوم القيامة، ونصبه بـ(اذكر) مقدَّراً. ٢٦ ـ ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ﴾: لا يَشركُه فيه أحدٌ ﴿وَكَانَ﴾ اليومُ ﴿يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا﴾ بخلاف المؤمنين. ٢٧ ـ ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ﴾: المشرك، عُقبة بنُ أبي مُعَيط، كان نطق بالشهادتين، ثم رجع إرضاءً لأُبيِّ بن خَلَف ﴿عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ ندماً وتحسُّراً في يوم القيامة ﴿يَقُولُ يا﴾، للتنبيه ﴿لَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ﴾ محمد ﴿سَبِيلًا﴾: طريقاً إلىٰ الهدىٰ. ٢٨ ـ ﴿يَٰوَيْلَتَىٰ﴾، ألِفُه عوض عن ياء الإضافة، أي: ويلتي، ومعناه: هَلَكتي ﴿لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا﴾ أي: أُبيّاً ﴿خَلِيلًا﴾. ٢٩ ـ ﴿لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ﴾ أي: القرآن ﴿بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ﴾ بأن ردَّني عن الإيمان به. قال تعالىٰ: ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ﴾: الكافر ﴿خَذُولًا﴾ بأن يتركه ويتبرَّأ منه عند البلاء، وسواء كان سبب نزولها في عقبة بن أبي معيط أو غيره من الأشقياء فإنها عامة في كل ظالم؛ فكلُّ ظالم يندم يوم القيامة غاية الندم ويعض علىٰ يديه. وفي هذه الآيات أيضاً بيان خطر اتخاذ الخليل الكافر أو الفاسق، إذ يصرف صاحبه عن الهدىٰ وينحرف به إلىٰ طريق الغواية، ومن هنا كان التحذير من مصاحبة الضالين. قال رسول الله ﷺ: «لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي» رواه أبو داود (٤٨٣٢) وقال ﷺ: «المرء علىٰ دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل» رواه أبو داود (٤٨٣٣). وقال ﷺ: «إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكِير. فحامل المسك إما أن يُحذِيك، وإما أن تَبْتاع منه وإما أن تَجدْ منه ريحاً طيبة. ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة» رواه البخاري (٢١٠١) ومسلم (٢٦٢٨) وهذا لفظه.

٣٠ ـ ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ﴾ محمد: ﴿يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى﴾: قريشاً ﴿ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾: متروكاً. ٣١ ـ قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما جعلنا لك عدوّاً من مشركي قومك ﴿جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ﴾ قبلك ﴿عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ﴾: المشركين، فاصبر كما صبروا ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا﴾ لك ﴿وَنَصِيرًا﴾: ناصراً لك علىٰ أعدائك. ٣٢ ـ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا﴾: هلَّا ﴿نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ﴾ كالتوراة والإنجيل والزبور، قال تعالىٰ: نزلناه ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مُتفرقاً ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِۦ

وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْاْ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُواْ يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾

﴿فُؤَادَكَ﴾: نُقوّي قلبك ﴿وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ أي: أتينا به شيئاً بعد شيء بتمهُّل وتؤدة لتيسير فهمه وحفظه.

٣٣ ـ ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ في إبطال أمرك ﴿إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ الدافع له ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾: بياناً.

٣٤ ـ هم ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ أي: يُساقون ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾: هو جهنم ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾: أخطأ طريقاً من غيرهم، وهو كفرهم. ٣٥ ـ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾: التوراة ﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا﴾: مُعيناً.

٣٦ ـ ﴿فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ أي: القبط ـ فرعون وقومه ـ فذهبا إليهم بالرسالة فكذبوهما ﴿فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا﴾: أهلكناهم إهلاكاً. ٣٧ ـ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿قَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ﴾ بتكذيبهم نوحاً، لطول لَبْثه فيهم، فكأنه رُسُلٌ، أو لأن تكذيبه تكذيب لباقي الرسل لاشتراكهم في المجيء بالتوحيد ﴿أَغْرَقْنَٰهُمْ﴾، جواب (لمَّا) ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ﴾ بعدهم ﴿ءَايَةً﴾: عبرةً ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾ في الآخرة ﴿لِلظَّٰلِمِينَ﴾: الكافرين ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾: مؤلماً سوىٰ ما يَحُلُّ بهم في الدنيا.

٣٨ ـ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿عَادًا﴾: قومَ هود ﴿وَثَمُودَاْ﴾: قوم صالح ﴿وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ﴾: اسم بئر، ونبيهم قيل: شعيب، وقيل غيره، كانوا قعوداً حولها، فانهارت بهم وبمنازلهم ﴿وَقُرُونًۢا﴾: أقواماً ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾ أي: بين ذلك المذكور من الطوائف والأمم.

٣٩ ـ ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ﴾ في إقامة الحجة عليهم، فلم نُهلكهم إلا بعد الإنذار ﴿وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾: أهلكنا إهلاكاً بتكذيبهم أنبياءَهم.

٤٠ ـ ﴿وَلَقَدْ أَتَوْاْ﴾ أي: مرَّ كفارُ مكة ﴿عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ﴾، مصدر (ساء)، أي: بالحجارة وهي عظمىٰ قرىٰ قوم لوط، فأهلك الله أهلها لفعلهم الفاحشة ﴿أَفَلَمْ يَكُونُواْ يَرَوْنَهَا﴾ في سفرهم إلىٰ الشام فيعتبرون؟ والاستفهام للتقرير ﴿بَلْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ﴾: يخافون ﴿نُشُورًا﴾: بعثاً، فلا يؤمنون.

٤١ ـ ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن﴾: ما ﴿يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾: مهزوءاً به، يقولون: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾ في دعواه، محتقرين له عن الرسالة.

٤٢ ـ ﴿إِنْ﴾، مخففة من الثقيلة واسمها محذوف، أي: إنه ﴿كَادَ لَيُضِلُّنَا﴾: يصرفنا ﴿عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ لصرفنا عنها، قال تعالىٰ: ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ﴾ عِياناً في الآخرة ﴿مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾: أخطأُ طريقاً، أهم أم المؤمنون.

٤٣ ـ ﴿أَرَءَيْتَ﴾: أخبرني ﴿مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ أي: مَهوِيَّه، قدَّم المفعول الثاني لأنه أهم، وجملة (من اتخذ) مفعول أول لـ(رأيت)، والثاني: ﴿أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ حافظاً تحفظه عن اتباع هواه؟ لا.

أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ۞ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾

ربع الحزب ٣٧

٤٤ ـ ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ﴾ سماع تفهم ﴿أَوْ يَعْقِلُونَ﴾ ما تقول لهم ﴿إِنْ﴾: ما ﴿هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾: أخطأ طريقاً منها، لأنها تنقاد لمن يتعهدها، وهم لا يطيعون مولاهم المُنعِم عليهم.

٤٥ ـ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: تنظر ﴿إِلَىٰ﴾ فعل ﴿رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ من وقت الإسفار إلىٰ وقت طلوع الشمس ﴿وَلَوْ شَاءَ﴾ ربُّك ﴿لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾: مُقيماً لا يزول بطلوع الشمس ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ﴾ أي: الظل ﴿دَلِيلًا﴾ فلولا الشمس ما عُرف الظلُّ.

٤٦ ـ ﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ﴾ أي: الظل الممدود ﴿إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾: خفيّاً بطلوع الشمس.

٤٧ ـ ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾: ساتراً كاللباس ﴿وَالنَّوْمَ سُبَاتًا﴾: راحةً للأبدان بقطع الأعمال ﴿وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾: منشوراً فيه لابتغاء الرزق وغيره.

٤٨ ـ ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ وبُشراً: بضم الباء وسكون الشين أي: مبشرات، ومفردها (بشير) ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾: مطهِّراً.

٤٩ ـ ﴿لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا﴾، بالتخفيف، يستوي فيه المذكر والمؤنث، ذكَّره باعتبار المكان ﴿وَنُسْقِيَهُ﴾ أي: الماء ﴿مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا﴾: إبلاً وبقراً وغنماً ﴿وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾، جمع إنسان، وأصله (أناسين)، فأُبدلت النون ياءً وأُدغمت فيها الياء، أو جمع إنسيّ.

٥٠ ـ ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ﴾ أي: الماء. أعاد الجلالُ الضميرَ في (صرفناه) علىٰ الماء؛ لأنه أقرب مذكور، وهذا قول عدد من المفسرين، وهناك قول آخر أرجح وهو: أن يعود الضمير في (صرفناه) علىٰ القرآن. ومما يؤيده ما جاء في الآية التي وردت بعد هذه الآية وفيها قوله تعالىٰ: (وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا) فقد أمره سبحانه أن يجاهدهم بالقرآن لا بالماء. هذا وقد وردت كلمة (صرفنا) في آيات كثيرة مقرونة بالقرآن، وذلك من نحو قوله تعالىٰ: (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ) [الإسراء:٤١، الكهف:٥٤]. ﴿بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا﴾ أصله: يتذكروا، أُدغمت التاء في الذال، أي: نعمةَ الله به ﴿فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾: جُحوداً للنعمة حيث قالوا: مُطِرْنا بنَوْءِ كذا.

٥١ ـ ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾ يُخَوِّفُ أهلَها، ولكنْ بعثناك إلىٰ أهل القرىٰ كلها نذيراً لِيَعْظُمَ أجرُك.

٥٢ ـ ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ﴾ في هواهم ﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ﴾ أي: القرآن ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾.

٥٣ ـ ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾: أرسلهما متجاورين ﴿هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾: شديد العذوبة ﴿وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾: شديدُ الملوحة ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾: حاجزاً، لا يختلط أحدُهما بالآخر ﴿وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾ أي: ستراً ممنوعاً به اختلاطهما.

٥٤ ـ ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا﴾ من المنيِّ إنساناً ﴿فَجَعَلَهُ نَسَبًا﴾: ذا نسب ﴿وَصِهْرًا﴾: ذا صهر، بأن يتزوج، ذكراً كان أو أنثىٰ، طلباً للتناسل ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾: قادراً علىٰ ما يشاء.

٥٥ ـ ﴿وَيَعْبُدُونَ﴾ أي: الكفار ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ﴾ بعبادته ﴿وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾ بتركها، وهو الأصنام ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾: مُعيناً للشيطان بطاعته.

وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ﴿٦٠﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾

سجدة

٥٦ ـ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا﴾ بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾: مُخوِّفاً من النار.

٥٧ ـ ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: على تبليغ ما أُرسلتُ به ﴿مِنْ أَجْرٍ إِلَّا﴾: لكن ﴿مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾: طريقاً بإنفاق ماله في مرضاته تعالىٰ، فلا أمنعه من ذلك.

٥٨ ـ ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ﴾ مُتلبِّساً ﴿بِحَمْدِهِۦ﴾ أي: قل: سبحان الله والحمد لله ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾: عالماً، تعلق به: (بذنوب).

٥٩ ـ هـو ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ من أيام الدنيا، أي: في قَدْرها، لأنه لم يكن ثَمَّ شمسٌ، ولو شاء لخلقهن في لمحة، والعدولُ عنه لتعليم خلقه التثبُّت ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ هو في اللغة سرير الملك ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ﴾، بدل من ضمير (استوىٰ) أي: استواءً يليق به ﴿فَسْـَٔلْ﴾ أيها الإنسان ﴿بِهِۦ﴾: بالرحمٰن ﴿خَبِيرًا﴾ يُخبرك بصفاته.

٦٠ ـ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾: لكفار مكة: ﴿ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ والآمر محمد، ولا نعرفه؟ لا ﴿وَزَادَهُمْ﴾ هذا القول لهم ﴿نُفُورًا﴾ عن الإيمان.

٦١ ـ قال تعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ﴾: تعاظم ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾ اثني عشر: الحَمَل، والثَّور، والجَوْزاء، والسَّرَطان، والأسَد، والسُّنبُلة، والميزان، والعقْرَب، والقَوْس، والجَدْي، والدَّلْو، والحُوت، وهي منازل الكواكب السبعة السيارة: المِرِّيخ: وله الحَمَل والعَقْرب، والزُّهَرة: ولها الثَّور والميزان، وعُطارِد: وله الجَوْزاء والسُّنبُلة، والقمر: وله السَّرَطان، والشمس: ولها الأسَد، والمشتري: وله القَوْس والحُوت، وزُحَل: وله الجَدْي والدَّلْو ﴿وَجَعَلَ فِيهَا﴾ أيضاً ﴿سِرَٰجًا﴾: هو الشمس ﴿وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ أي: نيِّراً، وخُص القمرُ منها بالذِّكر لنوع فضيلة.

٦٢ ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ أي: يخلُف كلٌّ منهما الآخر ﴿لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ﴾ ما فاته في أحدهما من خير، فيفعلُه في الآخر ﴿أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ أي: شكراً لنعمة ربه عليه فيهما.

٦٣ ـ ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾، مبتدأ، وما بعده صفات له إلىٰ: (أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ) غير المعترض فيه ﴿ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ أي: بسكينة وتواضع ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ﴾ بما يكرهونه ﴿قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ أي: قولاً يَسلمون فيه من الإثم.

٦٤ ـ ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا﴾، جمع ساجد ﴿وَقِيَٰمًا﴾، بمعنىٰ قائمين، أي: يُصلُّون بالليل.

٦٥ ـ ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ أي: لازماً.

٦٦ ـ ﴿إِنَّهَا سَآءَتْ﴾: بئست ﴿مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ هي، أي: موضعُ استقرار وإقامة.

٦٧ ـ ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟﴾ علىٰ عيالهم ﴿لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟﴾، بفتح أوله، أي: يُضيّقوا ﴿وَكَانَ﴾ إنفاقُهم ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ الإسراف والإقتار ﴿قَوَامًا﴾: وَسَطاً.

وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

ترتيبها ٢٦ — آياتها ٢٢٧

٦٨ ـ ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾ قتلها ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ أي: واحداً من الثلاثة ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾ أي: عقوبة.

٦٩ ـ ﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ﴾، بجزم الفعلين بدلاً، ﴿مُهَانًا﴾، حال.

٧٠ ـ ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾ منهم ﴿فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ المذكورة ﴿حَسَنَاتٍ﴾ في الآخرة ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ أي: لم يزل متصفاً بذلك.

٧١ ـ ﴿وَمَن تَابَ﴾ من ذنوبه غير من ذكر ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ أي: يرجع إليه رجوعاً، فيجازيه خيراً.

٧٢ ـ ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ أي: الكذب والباطل.

﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ﴾ من الكلام القبيح وغيره ﴿مَرُّوا كِرَامًا﴾: معرضين عنه.

٧٣ ـ ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا﴾: وُعظوا ﴿بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ أي: القرآن ﴿لَمْ يَخِرُّوا﴾: يسقطوا ﴿عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ بل خرُّوا سامعين ناظرين منتفعين.

٧٤ ـ ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ لنا بأن نراهم مطيعين لك ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ في الخير.

٧٥ ـ ﴿أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ﴾: الدرجة العليا في الجنة ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ علىٰ طاعة الله.

﴿وَيُلَقَّوْنَ﴾، بالتشديد ﴿فِيهَا﴾ في الغرفة ﴿تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾ من الملائكة.

٧٦ ـ ﴿خَالِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾: موضع إقامة لهم، و(أولئك) وما بعده خبر (عباد الرحمٰن) المبتدأ.

٧٧ ـ ﴿قُلْ﴾ يا محمد لأهل مكة: ﴿مَا﴾، نافية ﴿يَعْبَأُ﴾: يكترث ﴿بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ إياه في الشدائد، فيكشفها.

﴿فَقَدْ﴾ أي: فكيف يعبأ بكم وقد ﴿كَذَّبْتُمْ﴾ الرسول والقرآن؟

﴿فَسَوْفَ يَكُونُ﴾ العذابُ ﴿لِزَامًا﴾: مُلازماً لكم في الآخرة بعدما يَحُلُّ بكم في الدنيا، فقُتل منهم يوم بدر سبعون، وجواب (لولا) دل عليه ما قبله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾

سورة الشعراء

مكية إلا: (وَٱلشُّعَرَآءُ) إلى آخرها فمدني، وهي مئتان وسبعٌ وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١ ـ ﴿طسٓمٓ﴾ الله أعلم بمراده بذلك. ٢ ـ ﴿تِلْكَ﴾ أي: هذه الآيات ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾: القرآن، الإضافة بمعنىٰ (من) ﴿ٱلْمُبِينِ﴾: المُظهر الحقَّ من الباطل. ٣ ـ ﴿لَعَلَّكَ﴾ يا محمد ﴿بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾: قاتلُها غمّاً من أجل ﴿أَلَّا يَكُونُوا۟﴾ أي: أهل مكة ﴿مُؤْمِنِينَ﴾ و(لعل) هنا للإشفاق، أي: أشفقْ عليها بتخفيف هذا الغمّ، وارحمها وارأف بها. ٤ ـ ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ﴾، بمعنىٰ المضارع، أي: تظلُّ، أي: تدوم ﴿أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾ فيؤمنون، ولما وصفت الأعناق بالخضوع الذي هو لأربابها، جُمعت الصفة منه جمعَ العقلاء، أي: فظلّوا لها خاضعين، ثم لما نسب الخضوع للأعناق لأنها مظهر الخضوع كان الظاهر أن يقال: (خاضعة) لكن لما وُصفت الأعناق بالخضوع وهو وصف لأربابها في الحقيقة سوّغ ذلك جمع الوصف بالياء والنون الذي هو للعقلاء. ٥ ـ ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ﴾: قرآن ﴿مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ﴾ أي: محدث التنزيل، وكلما نزل شيء من القرآن بعد شيء فهو أحدث من الأول. والمعنىٰ: وما يجدد الله لهم بوحيه موعظة وتذكيراً إلا جددوا إعراضاً عنه وكفراً ﴿إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾. ٦ ـ ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟﴾ به ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟﴾: عواقب ﴿مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾. ٧ ـ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾: ينظروا ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا﴾ أي: كثيراً ﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾: نوع حسن. ٨ ـ ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾: دلالة علىٰ كمال قدرته تعالىٰ ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ في علم الله. ٩ ـ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾: ذو العزة ينتقم من الكافرين ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ يرحم المؤمنين. ١٠ ـ ﴿وَ﴾ اذكر يا محمد لقومك ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ﴾ ليلة رأىٰ النار والشجرة ﴿أَنِ﴾ أي: بأن ﴿ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ رسولاً. ١١ ـ ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ معه، ظلموا أنفسهم بالكفر بالله، وبني إسرائيل باستعبادهم ﴿أَلَا﴾، الهمزة للاستفهام الإنكاريّ ﴿يَتَّقُونَ﴾ الله بطاعته فيوحدونه؟ ١٢ ـ ﴿قَالَ﴾ موسىٰ: ﴿رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾. ١٣ ـ ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِى﴾ من تكذيبهم لي ﴿وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى﴾ بأداء الرسالة للعقدة التي فيه ﴿فَأَرْسِلْ إِلَىٰ﴾ أخي ﴿هَٰرُونَ﴾ معي. ١٤ ـ ﴿وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ﴾ بقتل القبطي منهم ﴿فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾ به. ١٥ ـ ﴿قَالَ﴾ تعالىٰ: ﴿كَلَّا﴾ أي: لا يقتلونك ﴿فَٱذْهَبَا﴾ أي: أنت وأخوك، ففيه تغليب الحاضر علىٰ الغائب ﴿بِـَٔايَٰتِنَآ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾ ما تقولون وما يقال لكم، أُجريا مجرىٰ الجماعة. ١٦ ـ ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا﴾ أي: كلاًّ منا ﴿رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ إليك. ١٧ ـ ﴿أَنْ﴾ أي: بأن ﴿أَرْسِلْ مَعَنَا﴾ إلىٰ الشام ﴿بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ فأتياه، فقالا له ما ذُكر. ١٨ ـ ﴿قَالَ﴾ فرعون لموسىٰ: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا﴾: في منازلنا ﴿وَلِيدًا﴾: صغيراً قريباً من الولادة بعد فطامه ﴿وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾: ثلاثين سنة يلبس من ملابس فرعون، ويركب من مراكبه، وكان يسمىٰ ابنه. ١٩ ـ ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ﴾ هي قتله القبطي ﴿وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: الجاحدين لنعمتي عليك بالتربية وعدم الاستعباد؟

قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾

٢٠ ـ ﴿قَالَ﴾ موسىٰ: ﴿فَعَلْتُهَآ إِذًا﴾ أي: حينئذ ﴿وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ عما آتاني الله بعدها من العلم والرسالة.

٢١ ـ ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا﴾: علماً ﴿وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

٢٢ ـ ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ﴾، أصله: تمنُّ بها ﴿أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾، بيان لـ(تلك) أي: اتخذتهم عبيداً ولم تستعبدني، لا نعمة لك بذلك لظلمك باستعبادهم، وقدّر بعضهم أول الكلام همزة استفهام للإنكار والتقدير: أَو تلك نعمة تمنُّ بها عليَّ؟.. أي: ليست هذه نعمة حتىٰ تمنّ بها علي.

٣٣ ـ ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ﴾ لموسىٰ: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الذي قلت إنك رسوله؟ أي: أيُّ شيء هو؟ ولما لم يكن سبيل للخلق إلىٰ معرفة حقيقته تعالىٰ، وإنما يعرفونه بصفاته، أجابه موسىٰ عليه الصلاة والسلام ببعضها.

٢٤ ـ ﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ أي: خالق ذلك ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ بأنه تعالىٰ خالقه، فآمنوا به وحدَه.

٢٥ ـ ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ﴾ من أشراف قومه: ﴿أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾ جوابَه الذي لم يطابق السؤال؟

٢٦ ـ ﴿قَالَ﴾ موسىٰ: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ وهذا ـ وإن كان داخلاً فيما قبله ـ يَغيظ فرعون.

٢٧ ـ ولذلك ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾.

٢٨ ـ ﴿قَالَ﴾ موسىٰ: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أنه كذلك، فآمنوا به وحدَه.

٢٩ ـ ﴿قَالَ﴾ فرعون لموسىٰ: ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾ كان سجنُه شديداً، يحبِس الشخص في مكان تحت الأرض وحده، لا يبصر ولا يسمع فيه أحداً.

٣٠ ـ ﴿قَالَ﴾ له موسىٰ: ﴿أَوَلَوْ﴾ أي: أتفعل ذلك ولو ﴿جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ﴾ أي: برهان بَيِّن علىٰ رسالتي؟

٣١ ـ ﴿قَالَ﴾ فرعون له: ﴿فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ فيه.

٣٢ ـ ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾: حيَّة عظيمة.

٣٣ ـ ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ﴾: أخرجها من جيبه ﴿فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ﴾ ذاتُ شعاع ﴿لِلنَّٰظِرِينَ﴾ خلاف ما كانت عليه من الأُدْمة.

٣٤ ـ ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾: فائق في علم السحر.

٣٥ ـ ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾.

٣٦ ـ ﴿قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾: أخِّر أمرهما ﴿وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾: جامعين.

٣٧ ـ ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾ يفضُل موسىٰ في علم السحر.

٣٨ ـ ﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ وهو وقت الضحىٰ من يوم الزينة.

٣٩ ـ ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ﴾؟.

لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَـٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَـٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَـٰيَـٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَـٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَـٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَـٰهُم مِّن جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَـٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٣٧

٤٠ ـ ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَـٰلِبِينَ﴾، الاستفهام للحثِّ علىٰ الاجتماع، والترجِّي علىٰ تقدير غلبتهم ليستمروا علىٰ دينهم، فلا يتبعوا موسىٰ.

٤١ ـ ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ﴾، بتحقيق الهمزتين ﴿لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَـٰلِبِينَ﴾.

٤٢ ـ ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا﴾ أي: حينئذ ﴿لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾.

٤٣ ـ ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ﴾ ـ بعد ما قالوا له: إما أن تُلقِيَ وإما أن نكون نحن المُلقين ـ: ﴿أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ﴾ فالأمر فيه للإذن بتقديم إلقائهم توسّلاً به إلىٰ إظهار الحق.

٤٤ ـ ﴿فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَـٰلِبُونَ﴾.

٤٥ ـ ﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ﴾: تبتلع ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾: يقلبونه بتمويههم، فيُخيِّلون حبالَهم وعصيَّهم أنها حياتٌ تسعىٰ.

٤٦ ـ ﴿فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَـٰجِدِينَ﴾.

٤٧ ـ ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾.

٤٨ ـ ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ﴾ لعلمهم بأن ما شاهدوه من العصا لا يتأتّىٰ بالسحر.

٤٩ ـ ﴿قَالَ﴾ فرعون: ﴿ءَامَنتُمْ لَهُۥ﴾: لموسىٰ ﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ﴾ أنا ﴿لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾ فعلَّمكم شيئاً منه وغلَبكم بآخر ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ما ينالكم مني ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَـٰفٍ﴾ أي: يد كل واحد اليمنىٰ ورجله اليسرىٰ ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

٥٠ ـ ﴿قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ﴾: لا ضرر علينا في ذلك ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا﴾ بعد موتنا بأيِّ وجه كان ﴿مُنقَلِبُونَ﴾: راجعون في الآخرة.

٥١ ـ ﴿إِنَّا نَطْمَعُ﴾: نرجو ﴿أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَـٰيَـٰنَآ أَن﴾ أي: بأن ﴿كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ في زماننا.

٥٢ ـ ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ﴾ بعد سنين أقامها بينهم يدعوهم بآيات الله إلىٰ الحق فلم يزيدوا إلا عُتوّاً ﴿أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ﴾: بني إسرائيل، أي: سِرْ بهم ليلاً إلىٰ البحر ﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾: يتبعكم فرعون وجنوده، فيلجون وراءكم البحر، فأنجِّيكم وأُغرقهم. ٥٣ ـ ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ﴾ حين أُخبر بسيرهم ﴿فِى ٱلْمَدَآئِنِ﴾ قيل: كان له ألف مدينة واثنا عشر ألف قرية ﴿حَـٰشِرِينَ﴾: جامعين الجيش قائلاً. ٥٤ ـ ﴿إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ﴾: طائفة ﴿قَلِيلُونَ﴾ قيل: كانوا ست مئة ألف وسبعين ألفاً، ومقدمة جيشه سبع مئة ألف، فَقَلَّلَهُم بالنظر إلىٰ كثرة جيشه. ٥٥ ـ ﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ﴾: فاعلون ما يَغيظنا. ٥٦ ـ ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَـٰذِرُونَ﴾: مُتيقّظون، مستعدّون. ٥٧ ـ قال تعالىٰ: ﴿فَأَخْرَجْنَـٰهُم﴾ أي: فرعون وقومه من مصر لِيَلحقوا موسىٰ وقومه ﴿مِّن جَنَّـٰتٍ﴾: بساتين كانت علىٰ جانبي النيل ﴿وَعُيُونٍ﴾: أنهار جارية في الدور من النيل. ٥٨ ـ ﴿وَكُنُوزٍ﴾: أموال ظاهرة من الذهب والفضة، وسُميت كنوزاً لأنه لم يُعط حق الله تعالىٰ منها ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾: مجلس حسنٍ للأمراء والوزراء يحفُّه أتباعهم. ٥٩ ـ ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: إخراجنا كما وصفنا ﴿وَأَوْرَثْنَـٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ بعد إغراق فرعون وقومه. ٦٠ ـ ﴿فَأَتْبَعُوهُم﴾: لَحِقُوهم ﴿مُّشْرِقِينَ﴾: وقتَ شروق الشمس.

فَلَمَّا تَرَاءَا الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾

٦١ - ﴿فَلَمَّا تَرَاءَا الْجَمْعَانِ﴾ أي: رأىٰ كُلٌّ منهما الآخرَ ﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾: يُدركنا جمعُ فرعون، ولا طاقة لنا به.

٦٢ - ﴿قَالَ﴾ موسىٰ: ﴿كَلَّا﴾ أي: لن يُدركونا ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي﴾ بنصره ﴿سَيَهْدِينِ﴾ طريقَ النجاة.

٦٣ - قال تعالىٰ: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ﴾ فضربه ﴿فَانفَلَقَ﴾: فانشقَّ اثني عشر فرقاً ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾: الجبل الضخم، بينها مسالكُ سلكوها لم يبتلَّ منها سرج الراكب ولا لِبدُه.

٦٤ - ﴿وَأَزْلَفْنَا﴾: قَرَّبْنا ﴿ثَمَّ﴾: هناك ﴿الْآخَرِينَ﴾: فرعون وقومه حتىٰ سلكوا مسالكهم.

٦٥ - ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ﴾ بإخراجهم من البحر علىٰ هيئته المذكورة.

٦٦ - ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾: فرعون وقومه بإطباق البحر عليهم لما تم دخولُهم في البحر وخروج بني إسرائيل منه.

٦٧ - ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ أي: إغراق فرعون وقومه ﴿لَآيَةً﴾: عبرة لمن بعدهم ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ بالله، لم يؤمن منهم غير آسية امرأة فرعون، وحزقيل مؤمن آل فرعون، ومريم بنت ناموسىٰ التي دلَّتْ علىٰ عظام يوسف عليه السلام.

٦٨ - ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ فانتقم من الكافرين بإغراقهم ﴿الرَّحِيمُ﴾ بالمؤمنين، فأنجاهم من الغرق.

٦٩ - ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: كفار مكة ﴿نَبَأَ﴾: خبر ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾، ويبدل منه:

٧٠ - ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ﴾؟.

٧١ - ﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا﴾، صرحوا بالفعل ليعطفوا عليه: ﴿فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ﴾ أي: نُقيم نهاراً علىٰ عبادتها، زادوه في الجواب افتخاراً به.

٧٢ - ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ﴾: حين ﴿تَدْعُونَ﴾؟.

٧٣ - ﴿أَوْ يَنفَعُونَكُمْ﴾ إن عبدتموهم ﴿أَوْ يَضُرُّونَ﴾كم إن لم تعبدوهم؟.

٧٤ - ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ أي: مثل فعلنا.

٧٥ - ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴾.

٧٦ - ﴿أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ﴾.

٧٧ - ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي﴾ لا أعبدهم ﴿إِلَّا﴾: لكن ﴿رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ فإني أعبده.

٧٨ - ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ إلىٰ الدين.

٧٩ - ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾.

٨٠ - ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾. ٨١ - ﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾. ٨٢ - ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ﴾: أرجو ﴿أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ أي: الجزاء.

٨٣ - ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا﴾: علماً ﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾: النبيين.

وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ۞ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾

الحزب ٣٨

٨٤ ـ ﴿وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ﴾: ثناءً حسناً ﴿فِي ٱلْآخِرِينَ﴾: الذين يأتون بعدي إلىٰ يوم القيامة.

٨٥ ـ ﴿وَٱجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ﴾ أي: ممن يُعطاها.

٨٦ ـ ﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ بأن تتوب عليه، فتغفر له، وهذا قبل أن يتبين له أنه عدوٌّ لله كما ذكر في سورة براءة.

٨٧ ـ ﴿وَلَا تُخْزِنِي﴾: تفضحني ﴿يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ أي: الناس.

٨٨ ـ قال تعالىٰ فيه: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ أحداً.

٨٩ ـ ﴿إِلَّا﴾: لكن ﴿مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ من الشرك والنفاق، وهو قلب المؤمن، فإنه ينفعه ذلك.

٩٠ ـ ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ﴾: قُرِّبت ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ فيرونها.

٩١ ـ ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ﴾: أُظهرت ﴿لِلْغَاوِينَ﴾: الكافرين.

٩٢ ـ ﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴾.

٩٣ ـ ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره من الأصنام ﴿هَلْ يَنصُرُونَكُمْ﴾ بدفع العذاب عنكم ﴿أَوْ يَنتَصِرُونَ﴾ بدفعه عن أنفسهم؟ لا.

٩٤ ـ ﴿فَكُبْكِبُوا۟﴾: أُلقوا ﴿فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ﴾.

٩٥ ـ ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ﴾: أتباعُه، ومن أطاعه من الجن والإنس ﴿أَجْمَعُونَ﴾.

٩٦ ـ ﴿قَالُوا۟﴾ أي: الغاوون ﴿وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾ مع معبوديهم.

٩٧ ـ ﴿تَٱللَّهِ إِن﴾، مخففة من الثقيلة واسمها محذوف، أي: إنه ﴿كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾: بيِّن.

٩٨ ـ ﴿إِذْ﴾: حيث ﴿نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ في العبادة.

٩٩ ـ ﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ﴾ عن الهدىٰ ﴿إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ أي: الشياطين، أو أوَّلُونا السابقون الذين اقتدينا بهم.

١٠٠ ـ ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ﴾ كما للمؤمنين من الملائكة والنبيين والمؤمنين.

١٠١ ـ ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ أي: يُهِمُّه أمرُنا.

١٠٢ ـ ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾: رجعة إلىٰ الدنيا ﴿فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، (لو) هنا للتمني، و(نكون) جوابه.

١٠٣ ـ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور من قصة إبراهيم وقومه ﴿لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾. ١٠٤ ـ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾. ١٠٥ ـ ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ بتكذيبهم له لاشتراكهم في المجيء بالتوحيد، أو لأنه لِطُول لَبْثه فيهم كأنه رسل، وتأنيث (قوم) باعتبار معناه، وتذكيره باعتبار لفظه. ١٠٦ ـ ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ﴾ نسباً ﴿نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ الله؟ ١٠٧ ـ ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ علىٰ تبليغ ما أُرسلت به. ١٠٨ ـ ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ فيما آمركم به من توحيد الله وطاعته. ١٠٩ ـ ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾: علىٰ تبليغه ﴿مِنْ أَجْرٍ إِنْ﴾: ما ﴿أَجْرِيَ﴾ أي: ثوابي ﴿إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. ١١٠ ـ ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾، كرَّره تأكيداً. ١١١ ـ ﴿قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ﴾: نُصدق ﴿لَكَ﴾ لقولك ﴿وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾: السَّفِلةُ، كالحاكة والأساكفة.

١١٢ ـ ﴿قَالَ وَمَا عِلْمِى﴾: أيُّ علم لي ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾؟

١١٣ ـ ﴿إِنْ﴾: ما ﴿حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى﴾ فيُجازيهم ﴿لَوْ تَشْعُرُونَ﴾: تعلمون ذلك، ما عِبْتُموهُم.

١١٤ ـ ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

١١٥ ـ ﴿إِنْ﴾: ما ﴿أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾: بَيِّنُ الإنذار.

١١٦ ـ ﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ﴾ عما تقول لنا ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ﴾ بالحجارة أو بالشتم.

١١٧ ـ ﴿قَالَ﴾ نوح: ﴿رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ﴾.

١١٨ ـ ﴿فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا﴾ أي: احكم ﴿وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

١١٩ ـ قال تعالىٰ: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾: المملوء من الناس والحيوان والطير.

١٢٠ ـ ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ﴾ أي: بعد إنجائهم ﴿ٱلْبَاقِينَ﴾ من قومه.

١٢١ ـ ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

١٢٢ ـ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

١٢٣ ـ ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

١٢٤ ـ ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾.

١٢٥ ـ ﴿إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾.

١٢٦ ـ ﴿فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾.

١٢٧ ـ ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ﴾: ما ﴿أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

١٢٨ ـ ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ﴾: مكان مرتفع ﴿ءَايَةً﴾: بناءً محكماً باهراً هائلاً للتفاخر والتطاول بالمقدرة لا للحاجة ﴿تَعْبَثُونَ﴾ بمن يمرُّ بكم وتسخرون منهم؟ والجملة حال من ضمير (تبنون).

١٢٩ ـ ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ﴾ للماء تحت الأرض ﴿لَعَلَّكُمْ﴾، ومعنىٰ (لعل) هنا إما أن تكون بمعنىٰ (كأن) وهذا ما ذهب إليه المصنف، وإما أن تكون باقية علىٰ معناها الأصلي وهو الرجاء ويكون المعنىٰ: وتتخذون مصانع عاملين عمل من يرجو الخلود في الدنيا فلذلك تحكمون بنيانها ﴿تَخْلُدُونَ﴾ فيها لا تموتون.

١٣٠ ـ ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم﴾ بضرب أو قتل ﴿بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ من غير رأفة.

١٣١ ـ ﴿فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ﴾ في ذلك ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ فيما أمرتكم به.

١٣٢ ـ ﴿وَٱتَّقُوا ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم﴾: أنعم عليكم ﴿بِمَا تَعْلَمُونَ﴾.

١٣٣ ـ ﴿أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ﴾.

١٣٤ ـ ﴿وَجَنَّٰتٍ﴾: بساتين ﴿وَعُيُونٍ﴾: أنهار. ١٣٥ ـ ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ في الدنيا والآخرة إن عصيتموني. ١٣٦ ـ ﴿قَالُوا سَوَآءٌ عَلَيْنَآ﴾: مُستوٍ عندنا ﴿أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ﴾ أصلاً، أي: لا نَرْعَوي لوعظك.

إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُواْ نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾

١٣٧ ـ ﴿إِنْ﴾: ما ﴿هَٰذَآ﴾ الذي خوَّفتنا به ﴿إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي: ما هذا الذي نحن عليه من أن لا بعثَ إلا خُلُقُ الأوَّلين، أي: طبيعتهم وعاداتهم.

١٣٨ ـ ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾.

١٣٩ ـ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ﴾ في الدنيا بالريح. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

١٤٠ ـ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

١٤١ ـ ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

١٤٢ ـ ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾.

١٤٣ ـ ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾.

١٤٤ ـ ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾.

١٤٥ ـ ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ﴾: ما ﴿أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

١٤٦ ـ ﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ﴾ من الخير ﴿ءَامِنِينَ﴾.

١٤٧ ـ ﴿فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾.

١٤٨ ـ ﴿وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾: لطيف ليِّن.

١٤٩ ـ ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ﴾: حاذِقين، ماهرين في العمل.

١٥٠ ـ ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ فيما أمرتكم به.

١٥١ ـ ﴿وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾.

١٥٢ ـ ﴿ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ بالمعاصي ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ بطاعة الله.

١٥٣ ـ ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ﴾: الذين سُحروا كثيراً حتىٰ غلب علىٰ عقلهم.

١٥٤ ـ ﴿مَآ أَنتَ﴾ أيضاً ﴿إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في رسالتك.

١٥٥ ـ ﴿قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ﴾: نصيب من الماء ﴿وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾.

١٥٦ ـ ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ بعِظَم العذاب.

١٥٧ ـ ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ أي: عقرها بعضهم برضاهم ﴿فَأَصْبَحُواْ نَٰدِمِينَ﴾ علىٰ عقرها.

١٥٨ ـ ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ الموعود به، فهلكوا ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

١٥٩ ـ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾

ربع الحزب ٣٨

١٦٠ ـ ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

١٦١ ـ ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾.

١٦٢ ـ ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾.

١٦٣ ـ ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾.

١٦٤ ـ ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ﴾: ما ﴿أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

١٦٥ ـ ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؟! أي: من الناس.

١٦٦ ـ ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم﴾؟ ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ متجاوزون الحلال إلى الحرام.

١٦٧ ـ ﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ﴾ عن إنكارك علينا ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ﴾ من بلدتنا.

١٦٨ ـ ﴿قَالَ﴾ لوط: ﴿إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾: المبغضين.

١٦٩ ـ ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ أي: من عذابه.

١٧٠ ـ ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ﴾.

١٧١ ـ ﴿إِلَّا عَجُوزًا﴾: أمرأته ﴿فِي ٱلْغَٰبِرِينَ﴾: الباقين أهلكناها.

١٧٢ ـ ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ﴾: أهلكناهم.

١٧٣ ـ ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾: حجارةً من جملة الإهلاك ﴿فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ مطرُهم.

١٧٤ ـ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

١٧٥ ـ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

١٧٦ ـ ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ﴾: هي غيضة شجرٍ قرب مدين ﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

١٧٧ ـ ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾.

١٧٨ ـ ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾.

١٧٩ ـ ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾.

١٨٠ ـ ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ﴾: ما ﴿أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

١٨١ ـ ﴿أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ﴾: أتمّوه ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ﴾: الناقصين.

١٨٢ ـ ﴿وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ﴾: الميزان السويّ.

١٨٣ ـ ﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾: لا تنقصوهم من حقهم شيئاً ﴿وَلَا تَعْثَوْا۟ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ بالقتل وغيره، من (عَثِيَ) بكسر المثلثة: أفسدَ، و(مُفْسِدِينَ) حال مؤكدة لمعنى عاملها: (وَلَا تَعْثَوْا).

وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُواْ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾

١٨٤ ـ ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ﴾: الخليقة ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

١٨٥ ـ ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ﴾.

١٨٦ ـ ﴿وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن﴾، مخففة من الثقيلة واسمها محذوف، أي: إنه ﴿نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾.

١٨٧ ـ ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾: قطعاً ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في رسالتك.

١٨٨ ـ ﴿قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم به.

١٨٩ ـ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ﴾: هي سحابة أظلتهم بعد حر شديد أصابهم، فأمطرت عليهم ناراً، فاحترقوا ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

١٩٠ ـ ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

١٩١ ـ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

١٩٢ ـ ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي: القرآن ﴿لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

١٩٣ ـ ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾: جبريلُ.

١٩٤ ـ ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾.

١٩٥ ـ ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ﴾: بيِّن.

١٩٦ ـ ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي: ذكرُ القرآن المنزّل علىٰ محمد ﴿لَفِى زُبُرِ﴾: كتب ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾ كالتوراة والإنجيل.

١٩٧ ـ ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ﴾: لكفار مكة ﴿ءَايَةً﴾ علىٰ ذلك ﴿أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾؟ كعبد الله بن سلام وأصحابه ممن آمنوا، فإنهم يُخبرون بذلك.

١٩٨ ـ ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ﴾، جمع أعجم.

١٩٩ ـ ﴿فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم﴾ أي: كفار مكة ﴿مَّا كَانُواْ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾ أنفةً من اتباعه.

٢٠٠ ـ ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل إدخالنا التكذيب به بقراءة الأعجمي ﴿سَلَكْنَٰهُ﴾: أدخلنا التكذيب به ﴿فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ أي: كفار مكة بقراءة النبي.

٢٠١ ـ ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾.

٢٠٢ ـ ﴿فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

٢٠٣ ـ ﴿فَيَقُولُواْ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ﴾ لنؤمن؟ فيقال لهم: لا، قالوا: متىٰ هذا العذاب؟

٢٠٤ ـ قال تعالىٰ: ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾؟.

٢٠٥ ـ ﴿أَفَرَءَيْتَ﴾ أخبرني ﴿إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ﴾.

٢٠٦ ـ ﴿ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾ من العذاب.

مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾

سُورَةُ النَّمْلِ

ترتيبها ٢٧ — آياتها ٩٣

٢٠٧ ـ ﴿مَآ﴾، استفهامية بمعنىٰ: أيُّ شيء ﴿أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ﴾ في دفع العذاب أو تخفيفه؟ أي: لم يُغن.

٢٠٨ ـ ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ﴾: رسلٌ تُنذر أهلَها.

٢٠٩ ـ ﴿ذِكْرَىٰ﴾: عِظَةٌ لهم ﴿وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ في إهلاكهم بعد إنذارهم.

٢١٠ ـ ونزل ردّاً لقول المشركين: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ﴾: بالقرآن ﴿ٱلشَّيَٰطِينُ﴾.

٢١١ ـ ﴿وَمَا يَنۢبَغِى﴾: يصلحُ ﴿لَهُمْ﴾ أن ينزلوا به ﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ ذلك.

٢١٢ ـ ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ﴾ لكلام الملائكة ﴿لَمَعْزُولُونَ﴾ بالشهب.

٢١٣ ـ ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ﴾ إن فعلت ذلك الذي دَعَوْك إليه.

٢١٤ ـ ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ وهم بنو هاشم، وبنو المطلب، وقد أنذرَهم جهاراً. رواه البخاري (٤٧٧٠) ومسلم (٢٠٤).

٢١٥ ـ ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾: أَلِنْ جانبك ﴿لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: المُوحِّدين.

٢١٦ ـ ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ﴾أي: عشيرتك ﴿فَقُلْ﴾ لهم: ﴿إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ من عبادة غير الله.

٢١٧ ـ ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾ اللهِ، أي: فوِّضْ إليه جميعَ أمورك.

٢١٨ ـ ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾ إلىٰ الصلاة.

٢١٩ ـ ﴿وَتَقَلُّبَكَ﴾ في أركان الصلاة قائماً وقاعداً وراكعاً وساجداً ﴿فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ أي: المصلِّين.

٢٢٠ ـ ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

٢٢١ ـ ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ﴾ أي: كفار مكة ﴿عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾؟ بحذف إحدىٰ التاءين من الأصل.

٢٢٢ ـ ﴿تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ﴾: كذاب ﴿أَثِيمٍ﴾: فاجر، مثل مسيلمة وغيره من الكهنة.

٢٢٣ ـ ﴿يُلْقُونَ﴾ أي: الشياطينُ ﴿ٱلسَّمْعَ﴾ أي: ما سمعوه من الملائكة إلىٰ الكهنة ﴿وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ﴾: يضمون إلىٰ المسموع كذباً كثيراً، وكان هذا قبل أن حُجبت الشياطين عن السماء.

٢٢٤ ـ ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ في شعرهم، فيقولون به ويَرْوُونه عنهم، فهم مذمومون.

٢٢٥ ـ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: تعلم ﴿أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ﴾ من أودية الكلام وفنونه ﴿يَهِيمُونَ﴾: يمضون، فيُجاوزون الحدَّ مدحاً وهجاءً.

٢٢٦ ـ ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ﴾: فَعَلْنا ﴿مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ أي: يكذبون.

٢٢٧ ـ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ من الشعراء ﴿وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ أي: لم يشغلهم الشِّعر عن الذكر ﴿وَٱنتَصَرُواْ﴾ بهَجْوِهم الكفار ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ﴾ بهَجْوِ الكفارِ لهم في جملة المؤمنين، فليسوا مذمومين، قال تعالىٰ: (لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ) (فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ) ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ من الشعراء وغيرهم ﴿أَىَّ مُنقَلَبٍ﴾: مرجع ﴿يَنقَلِبُونَ﴾: يرجعون بعد الموت.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ وَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ إِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهۡلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا سَـَٔاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ ءَاتِيكُم بِشِهَابٖ قَبَسٖ لَّعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلۡقِ عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسۡنَۢا بَعۡدَ سُوٓءٖ فَإِنِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١١﴾ وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖۖ فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَقَوۡمِهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَٰتُنَا مُبۡصِرَةٗ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿١٣﴾

سورة النمل

مكية، وهي ثلاث ـ أو أربع، أو خمس ـ وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿طسٓۚ﴾ الله أعلم بمراده بذلك ﴿تِلۡكَ﴾ أي: هذه الآيات ﴿ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ﴾: آيات منه ﴿وَكِتَابٖ مُّبِينٍ﴾: مُظهر للحقِّ من الباطل.

٢ ـ هو ﴿هُدٗى﴾ أي: هادٍ من الضلالة ﴿وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾: المصدقين به بالجنة.

٣ ـ ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: يأتون بها على وجهها ﴿وَيُؤۡتُونَ﴾: يُعطون ﴿ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾: يَعْلَمُونها بالاستدلال، وأُعيدَ (هم) لمَّا فُصل بينه وبين الخبر.

٤ ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ القبيحةَ بتركيب الشهوة حتىٰ رأوها حسنة ﴿فَهُمۡ يَعۡمَهُونَ﴾: يتحيّرون فيها لِقُبْحِها عندنا.

٥ ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ﴾: أشَدُّه في الدنيا القتل والأسر ﴿وَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ﴾ لمصيرِهم إلىٰ النار المُؤبَّدة عليهم.

٦ ـ ﴿وَإِنَّكَ﴾: خطاب للنبي ﷺ ﴿لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ أي: يُلقَىٰ عليك بشدة ﴿مِن لَّدُنۡ﴾: من عند ﴿حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ في ذلك.

٧ ـ اذكر: ﴿إِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهۡلِهِۦٓ﴾: زوجته عند مسيره من مدين إلىٰ مصر: ﴿إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ﴾: أبصرتُ من بعيد ﴿نَارٗا سَـَٔاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ﴾ عن حال الطريق، وكان قد ضلَّها ﴿أَوۡ ءَاتِيكُم بِشِهَابٖ قَبَسٖ﴾ أي: شعلةِ نارٍ في رأس فتيلة، أو عود ﴿لَّعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ﴾، والطاء بدل من تاء الافتعال، من: صَلِيَ بالنارَ، بكسر اللام وفتحها: تستدفئون من البرد.

٨ ـ ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ﴾ أي: بأن ﴿بُورِكَ﴾ أي: بارك الله ﴿مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ أي: موسىٰ ﴿وَمَنۡ حَوۡلَهَا﴾ أي: الملائكة أو العكس و(بارك) يتعدىٰ بنفسه وبالحرف، ويُقدَّر بعد (في): مكان، ﴿وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ من جملة ما نُودي، ومعناهُ: تنزيهُ الله من السوء.

٩ ـ ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ﴾ أي: الشأن ﴿أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾.

١٠ ـ ﴿وَأَلۡقِ عَصَاكَۚ﴾ فألقاها ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ﴾: تتحرك ﴿كَأَنَّهَا جَآنّٞ﴾: حَيَّةٌ خفيفة ﴿وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ﴾: يرجع، قال تعالىٰ: ﴿يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ﴾ منها ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ﴾: عندي ﴿ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ من حيَّة وغيرها.

١١ ـ ﴿إِلَّا﴾: لكن ﴿مَن ظَلَمَ﴾ نفسه ﴿ثُمَّ بَدَّلَ حُسۡنَۢا﴾ أتاه ﴿بَعۡدَ سُوٓءٖ﴾ أي: تاب ﴿فَإِنِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾: أقبلُ التوبة وأغفر له.

١٢ ـ ﴿وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ﴾ طوق القميص ﴿تَخۡرُجۡ﴾ خلاف لونها من الأُدمة ﴿بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖۖ﴾: برص، لها شُعاع يُغشي البصر، آية ﴿فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ﴾ مرسَلاً بها ﴿إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَقَوۡمِهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ﴾.

١٣ ـ ﴿فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَٰتُنَا مُبۡصِرَةٗ﴾ أي: مُضيئةً واضحةً ﴿قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾: بيِّن ظاهر.

وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّاۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًاۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾

١٤ ـ ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا﴾ أي: لم يُقِرُّوا ﴿وَ﴾ قد ﴿ٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾: أي: تيقَّنُوا أنها من عند الله ﴿ظُلْمًا وَعُلُوًّاۚ﴾: تكبُّراً عن الإيمان بما جاء به موسىٰ، راجع إلىٰ الجحد ﴿فَٱنظُرْ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ التي علمتها من إهلاكهم.

١٥ ـ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾ ابنه ﴿عِلْمًاۖ﴾ بالقضاء بين الناس ومَنْطِق الطير وغير ذلك ﴿وَقَالَا﴾ شكراً لله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا﴾ بالنبوة وتسخير الجنِّ والإنس والشياطين ﴿عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

١٦ ـ ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَۖ﴾ النبوَّةَ والعلمَ، دون باقي أولاده ﴿وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ أي: فَهْمَ أصواتِه ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍۖ﴾ تُؤتاه الأنبياءُ والملوكُ ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ المُؤتَىٰ ﴿لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾: البيِّن الظاهر.

١٧ ـ ﴿وَحُشِرَ﴾: جُمع ﴿لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ﴾ في مسير له ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾: يُجمَعون ثم يسافرون.

١٨ ـ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾ ملكة النمل وقد رأت جند سليمان: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾: يكسرنَّكم ﴿سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ نزّل النمل منزلة العقلاء في الخطاب بخطابهم.

١٩ ـ ﴿فَتَبَسَّمَ﴾ سليمان ﴿ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ﴾: ألهمني ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ﴾ بها ﴿عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ الأنبياء والأولياء.

٢٠ ـ ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ﴾ ليرىٰ الهدهد الذي يرىٰ الماء تحت الأرض، ويدل عليه بنقره فيها، فلم يره ﴿فَقَالَ مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾ أي: أعَرَضَ لي ما منعني من رؤيته ﴿أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾ فلم أره لغَيْبَتِه.

٢١ ـ فلما تحققها قال: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا﴾: تعذيباً ﴿شَدِيدًا﴾ بنتف ريشه وذَنَبه ورميه في الشمس، فلا يمتنع من الهوامِّ ﴿أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ﴾ بقطع حلقومه ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّى﴾، بنون مشددة مكسورة ﴿بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾: ببُرهان بَيِّن ظاهر علىٰ عذره.

٢٢ ـ ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ أي: يسيراً من الزمان، وحضر لسليمان متواضعاً برفع رأسه، وإرخاء ذَنَبه وجناحيه، فعفا عنه، وسأله عما لقي في غَيْبَته ﴿فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾ أي: اطَّلَعْتُ علىٰ ما لم تَطَّلِعْ عليه ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ﴾: قبيلة باليمن سُمِّيت باسم جدٍّ لهم ﴿بِنَبَإٍ﴾: خبرٍ ﴿يَقِينٍ﴾.

إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٣٨ سجدة

٢٣ - ﴿إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾ أي: هي ملكة لهم اسمها بلقيس ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه الملوك من الآلة والعُدَّة ﴿وَلَهَا عَرْشٌ﴾: سرير ﴿عَظِيمٌ﴾.

٢٤ - ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾: طريق الحق ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾.

٢٥ - ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾ أي: أن يسجدوا له، فزيدت (لا) وأدغم فيها نون (أن) كما في قوله تعالىٰ: (لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ). والجملة في محل مفعول (يهتدون) بإسقاط (إلىٰ) والمعنىٰ: فهم لا يهتدون إلىٰ أن يسجدوا ﴿الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ﴾، مصدر بمعنىٰ المخبوء من المطر والنبات ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ﴾ في قلوبكم ﴿وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ بألسنتكم.

٢٦ - ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾، استئناف جملة ثناء مشتمل علىٰ عرش الرحمٰن في مقابلة عرش بلقيس، وبينهما بَوْن عظيم.

٢٧ - ﴿قَالَ﴾ سليمان للهدهد: ﴿سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ﴾ فيما أخبرتنا به ﴿أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ أي: من هذا النوع، فهو أبلغ من: أم كذبتَ فيه، ثم كتب سليمان كتاباً صورته: من عبد الله سليمانَ بن داود إلىٰ بلقيس ملكة سبأ، بسم الله الرحمٰن الرحيم، السلام علىٰ من اتَّبعَ الهُدىٰ، أما بعد: فلا تَعْلُوا عليَّ وأْتوني مسلمين. ثم طبعه بالمسك، وختمه بخاتَمه، ثم قال للهدهد:

٢٨ - ﴿اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ﴾ أي: بلقيس وقومها ﴿ثُمَّ تَوَلَّ﴾: انصرف ﴿عَنْهُمْ﴾ وقِفْ قريباً منهم ﴿فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾: يَرُدُّون من الجواب، فأخذه وأتاها وحولها جندُها، وألقاهُ في حِجرها، فلما رأته، ارتعدت وخضعت خوفاً، ثم وقفت علىٰ ما فيه.

٢٩ - ثم ﴿قَالَتْ﴾ لأشراف قومها: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾: مختوم.

٣٠ - ﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ﴾ مضمونُه: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾.

٣١ - ﴿أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾.

٣٢ - ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي﴾ أي: أشيروا علي ﴿فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا﴾: قاضيته ﴿حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾: تحضرون.

٣٣ - ﴿قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ أي: أصحاب شدة في الحرب ﴿وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾نا نُطعك.

٣٤ - ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾ بالتخريب ﴿وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ أي: مرسلو الكتاب.

٣٥ - ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ من قبول الهدية أو ردها، إن كان مَلِكاً، قَبِلَها، أو نبيّاً، لم يقبلها.

فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾

٣٦ ـ ﴿فَلَمَّا جَآءَ﴾ الرسولُ بالهدية ومعه أتباعه ﴿سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ﴾ من النبوة والملك ﴿خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم﴾ من الدنيا ﴿بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ لفخركم بزخارف الدنيا.

٣٧ ـ ﴿ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾ بما أتيت من الهدية ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ﴾: لا طاقة ﴿لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ﴾: من بلدهم سبأ، سميت باسم أبي قبيلتهم ﴿أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ أي: إن لم يأتوني مسلمين.

٣٨ ـ ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾: منقادين طائعين.

٣٩ ـ ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ هو القوي الشديد: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ الذي تجلس فيه للقضاء، وهو من الغداة إلىٰ نصف النهار ﴿وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ﴾ أي: علىٰ حمله ﴿أَمِينٌ﴾ علىٰ ما فيه من الجواهر وغيرها، قال سليمان: أريد أسرع من ذلك.

٤٠ ـ ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ المنزَّل: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ إذا نظرت به إلىٰ شيء، فقال له: انظر إلىٰ السماء، فنظر إليها، ثم رَدَّ بطَرْفه، فوجده موضوعاً بين يديه ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا﴾ أي: ساكناً ﴿عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا﴾ الإتيانُ لي به ﴿مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ﴾: ليختبرني ﴿ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ النعمةَ ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ أي: لأجلها، لأن ثواب شكره له ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ النعمة ﴿فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ﴾ عن شكره ﴿كَرِيمٌ﴾ بالإفضال علىٰ من يكفُرها.

٤١ ـ ﴿قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا﴾ أي: غيِّروه إلىٰ حالٍ تُنكره إذا رأته ﴿نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ﴾ إلىٰ معرفته ﴿أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ إلىٰ معرفة ما يغير عليهم، قصد بذلك اختبار عقلها لما قيل له: إن فيه شيئاً، فغيَّروه بزيادة أو نقص، أو غير ذلك.

٤٢ ـ ﴿فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ﴾ لها: ﴿أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ﴾ أي: أمِثْلُ هذا عرشك ﴿قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾ أي: فعرفته، وشبَّهتْ عليهم كما شبَّهوا عليها، إذ لم يقل: أهذا عرشُك، ولو قيل: هذا؟ قالت: نعم، قال سليمان لما رأىٰ لها معرفة وعلماً: ﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾.

٤٣ ـ ﴿وَصَدَّهَا﴾ عن عبادة الله ﴿مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾.

٤٤ ـ ﴿قِيلَ لَهَا﴾ أيضاً: ﴿ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ﴾: هو سطحٌ من زجاج أبيض شفاف، تحته ماء عذب جارٍ، فيه سمك ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾ من الماء ﴿وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا﴾ لتخوضَه، وكان سليمان علىٰ سريره في صدر الصرح ﴿قَالَ﴾ لها: ﴿إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ﴾: مُمَلَّس ﴿مِّن قَوَارِيرَ﴾ أي: زجاج، ودعاها إلىٰ الإسلام ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى﴾ بعبادة غيرك ﴿وَأَسْلَمْتُ﴾ كائنة ﴿مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فتزوجها وأحبها، وأقرَّها علىٰ ملكها، وكان يزورها في كل شهر مرة، ويقيم عندها ثلاثة أيام، وانقضىٰ ملكها بانقضاء ملك سليمان، روي أنه ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة، ومات وهو ابنُ ثلاث وخمسين سنة، فسبحان من لا انقضاء لدوام ملكه. والله أعلم.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾

٤٥ ـ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ﴾ من القبيلة ﴿صَٰلِحًا أَنِ﴾ أي: بأن ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾: وحّدوه ﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ في الدين، فريق مؤمنون من حين إرساله إليهم، وفريق كافرون.

٤٦ ـ ﴿قَالَ﴾ للمكذّبين: ﴿يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ﴾؟ أي: بالعذاب قبل الرحمة حيث قلتم: إن كان ما أتيتنا به حقّاً، فأْتنا بالعذاب ﴿لَوْلَا﴾: هلّا ﴿تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ﴾ من الشرك ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ فلا تُعذّبون؟

٤٧ ـ ﴿قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا﴾، أصله: تَطيَّرنا، أُدغمت التاء في الطاء، واجتُلبت همزة الوصل، أي: تشاءمنا ﴿بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾ أي: المؤمنين حيث قُحطوا المطرَ وجاعوا ﴿قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ﴾: شُؤْمُكم. جاء في حاشية العلامة الجمل: [أي: ما يصيبكم من الخير والشرّ بأمر الله وهو مكتوب عليكم، سُمّي طائراً؛ لأنه لا شيء أسرع من نزول القضاء المحتوم. وقال ابن عباس: الشؤم الذي أتاكم من عند الله بكفركم]. ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ أتاكم به ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾: تُختبرون بالخير والشر.

٤٨ ـ ﴿وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾: مدينة ثمود ﴿تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾ أي: رجال ﴿يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالمعاصي ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ بالطاعة.

٤٩ ـ ﴿قَالُوا۟﴾ أي: قال بعضهم لبعض: ﴿تَقَاسَمُوا۟﴾ أي: احلفوا ﴿بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ﴾ أي: من آمن به، أي: نقتلُهم ليلاً ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ﴾ أي: لوليّ دمه: ﴿مَا شَهِدْنَا﴾: حضرنا ﴿مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ﴾ أي: هلاكهم، فلا ندري من قتلهم ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾.

٥٠ ـ ﴿وَمَكَرُوا۟﴾ في ذلك ﴿مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا﴾ أي: جازيناهم بتعجيل عقوبتهم ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

٥١ ـ ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ﴾: أهلكناهم ﴿وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ بصيحة جبريل أو برمي الملائكة بحجارة يرونها ولا يرونهم.

٥٢ ـ ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ﴾ أي: خالية، ونصبُه على الحال، والعامل فيها معنى الإشارة ﴿بِمَا ظَلَمُوٓا۟﴾: بظلمهم، أي: كفرهم ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾: لعبرة ﴿لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ قدرتَنا فيتعظون.

٥٣ ـ ﴿وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بصالح ﴿وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ الشركَ.

٥٤ ـ ﴿وَلُوطًا﴾، منصوب بـ(اذكر) مقدّراً قبله، ويبدل منه: ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ أي: اللّواط ﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ أي: يُبصر بعضُكم بعضاً انهماكاً في المعصية.

٥٥ ـ ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ عاقبة فعلكم.

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ ٥٦ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ٥٧ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرٗاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ٥٨ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ٥٩ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلْ هُمْ قَوْمٞ يَعْدِلُونَ ٦٠ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارٗا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرٗا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٦١ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٦٢ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرَۢا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٦٣﴾

٥٦ - ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ﴾: أهله ﴿مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ﴾ من أدبار الرجال.

٥٧ - ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا﴾: جعلناها بتقديرنا ﴿مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾: الباقين في العذاب.

٥٨ - ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرٗاۖ﴾: هو حجارة السجيل، أهلكتهم ﴿فَسَآءَ﴾: بئس ﴿مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ بالعذاب مطرُهم.

٥٩ - ﴿قُلِ﴾ يا محمد: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ علىٰ هلاك كفار الأمم الخالية ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓۗ﴾هم.

﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ﴾ لمن يَعْبُدُهُ ﴿أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي: أهل مكة به الآلهة خيرٌ لعابديها؟

٦٠ - ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتْنَا﴾، فيه التفات من الغيبة إلىٰ التكلم ﴿بِهِۦ حَدَآئِقَ﴾، جمع حديقة، وهو البستان المُحوّط ﴿ذَاتَ بَهْجَةٖ﴾: حُسن.

﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ﴾ لعدم قدرتكم عليه.

﴿أَءِلَٰهٞ﴾، بتحقيق الهمزتين ﴿مَّعَ ٱللَّهِۚ﴾ أعانه علىٰ ذلك؟ أي: ليس معه إلٰه ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٞ يَعْدِلُونَ﴾: يُشركون بالله غيرَه.

٦١ - ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارٗا﴾: لا تميد بأهلها ﴿وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ﴾: فيما بينها ﴿أَنْهَٰرٗا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ﴾: جبالاً أثبت بها الأرض ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًاۗ﴾: بين العذب والمِلح، لا يختلط أحدُهما بالآخر ﴿أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ توحيدَه.

٦٢ - ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ﴾: المكروبَ الذي مسَّه الضُر ﴿إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ عنه وعن غيره ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِۗ﴾، الإضافة بمعنىٰ (في) أي: يخلُفُ كلُّ قرن القرن الذي قبله ﴿أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾: تتعظون، و(ما) زائدة لتقليل القليل.

٦٣ - ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ﴾: يُرشدكم إلىٰ مقاصدكم ﴿فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ بالنجوم ليلاً وبعلامات الأرض نهاراً.

﴿وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرَۢا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦٓۗ﴾ أي: قُدَّام المطر ﴿أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ به غيرَه.

أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾

٦٤ ـ ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ﴾ في الأرحام من نطفة ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ بعد الموت؟ وإن لم يعترفوا بالإعادة لقيام البراهين عليها ﴿وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ بالمطر ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ بالنبات ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ أي: لا يفعل شيئاً مما ذُكر إلا الله، ولا إلٰه معه ﴿قُلْ﴾ يا محمد: ﴿هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾: حُجَّتكم ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أن معه إلٰهاً فعلَ شيئاً مما ذُكر.

٦٥ ـ وسألوه عن وقت قيام الساعة، فنزل: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ من الملائكة والناس ﴿ٱلْغَيْبَ﴾ أي: ما غاب عنهم ﴿إِلَّا﴾: لكن ﴿ٱللَّهُ﴾ يعلمه ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: كفار مكة كغيرهم ﴿أَيَّانَ﴾: وقت ﴿يُبْعَثُونَ﴾.

٦٦ ـ ﴿بَلِ﴾، بمعنىٰ هل ﴿ٱدَّٰرَكَ﴾، بتشديد الدال، وأصله تدارك، أبدلت التاء دالاً وأدغمت في الدال، واجتُلبت همزة الوصل، أي: تتابع وتلاحق ﴿عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي: بها، حتىٰ سألوا عن وقت مجيئها؟ ليس الأمر كذلك ﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾ من عمىٰ القلب، وهو أبلغ مما قبله، والأصل: عَمِيون، استثقلت الضمة علىٰ الياء، فنقلت إلىٰ الميم بعد حذف كسرتها.

٦٧ ـ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ أيضاً في إنكار البعث: ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾ من القبور؟

٦٨ ـ ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ﴾: ما ﴿هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾، جمع أسطورة بالضم، أي: ما سُطر من الكذب.

٦٩ ـ ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ بإنكاره، وهي هلاكهم بالعذاب.

٧٠ ـ ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾، تسلية للنبي ﷺ، أي: لا تَهْتمَّ بمكرهم عليك، فإنَّا ناصروك عليهم.

٧١ ـ ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ بالعذاب ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ فيه.

٧٢ ـ ﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ﴾: قَرُب ﴿لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ﴾ فحصل لهم القتل ببدر، وباقي العذاب يأتيهم بعد الموت.

٧٣ ـ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ ومنه تأخير العذاب عن الكفار ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ فالكفار لا يشكرون تأخيرَ العذاب لإنكارهم وقوعَه.

٧٤ ـ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾: تُخفيه ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ بألسنتهم.

٧٥ ـ ﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾، الهاء للمبالغة، أي: شيء في غاية الخفاء علىٰ الناس ﴿إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾: بيِّن، هو اللوح المحفوظ ومكنونُ علمِه تعالىٰ، ومنه تعذيب الكفار.

٧٦ ـ ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ الموجودين في زمان نبيِّنا ﴿أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ أي: ببيان ما ذكر علىٰ وجهه الرافع للاختلاف بينهم لو أخذوا به وأسلموا.

وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾

ربع الحزب ٣٩

٧٧ ـ ﴿وَإِنَّهُۥ لَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ من العذاب. ٧٨ ـ ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم﴾ كغيرهم يوم القيامة ﴿بِحُكْمِهِۦ﴾ أي: عدله ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾: الغالب ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بما يحكم به، فلا يمكن أحداً مخالفتُه كما خالف الكفارُ في الدنيا أنبياءه. ٧٩ ـ ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾: ثِقْ به ﴿إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾ أي: الدِّين البيِّن، فالعاقبة لك بالنصر على الكفار، ثم ضرب أمثالاً لهم بالموتىٰ وبالصُّمِّ وبالعُمْي، فقال: ٨٠ ـ ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ﴾. ٨١ ـ ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن﴾: ما ﴿تُسْمِعُ﴾ سماعَ إفهام وقبول ﴿إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: القرآن ﴿فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾: مُخلصون بتوحيد الله. ٨٢ ـ ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾: حقَّ العذابُ أن ينزل بهم في جملة الكفار ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ أي: تُكلم الموجودين حين خروجها، تقول لهم من جملة كلامها عنا: ﴿أَنَّ ٱلنَّاسَ﴾ أي: تُكَلِّمُهُمْ بأنّ الناسَ كانوا بآياتنا لا يوقنون علىٰ تقدير (الباء) بعد (تكلمهم) ﴿كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ أي: لا يؤمنون بالقرآن المشتمل علىٰ البعث والحساب والعقاب، وبخروجها ينقطع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يؤمن كافر، كما أوحىٰ الله إلىٰ نوح: (أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ). ٨٣ ـ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾: جماعة ﴿مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ وهم رؤساؤهم المتّبَعون ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ أي: يُجمَعون بردِّ آخرهم إلىٰ أولهم، ثم يساقون. ٨٤ ـ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو﴾ مكان الحساب ﴿قَالَ﴾ تعالىٰ لهم: ﴿أَكَذَّبْتُم﴾ أنبيائي ﴿بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟﴾ من جهة تكذيبكم ﴿بِهَا عِلْمًا أَمَّا﴾ فيه إدغام ميم (أم) بميم (ما) الاستفهامية ﴿ذَا﴾، موصول أي: ما الذي ﴿كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ مما أُمرتم به؟ ٨٥ ـ ﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ﴾: حقَّ العذاب ﴿عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟﴾ أي: أشركوا ﴿فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ﴾ إذ لا حجة لهم. ٨٦ ـ ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا﴾: خلقنا ﴿ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ﴾ كغيرهم ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ بمعنىٰ: يُبصَر فيه ليتصرفوا فيه ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ﴾: دلالات علىٰ قدرته تعالىٰ ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ خُصُّوا بالذكر لانتفاعهم بها في الإيمان بخلاف الكافرين. ٨٧ ـ ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾: القرن، النفخة الأولىٰ من إسرافيل ﴿فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: خافوا الخوف المُفضي إلىٰ الموت كما في آية أخرىٰ: (فصعق)، والتعبير فيه بالماضي لتحقق وقوعه ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أي: جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، وعن ابن عباس: هم الشهداء، إذ هم أحياء عند ربهم يُرزقون ﴿وَكُلٌّ﴾، تنوينه عوض عن المضاف إليه، أي: وكلهم بعد إحيائهم يوم القيامة ﴿أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾: صاغرين، والتعبير في الإتيان بالماضي لتحقق وقوعه. ٨٨ ـ ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ﴾: تُبصرها وقتَ النفخة ﴿تَحْسَبُهَا﴾: تظنها ﴿جَامِدَةً﴾: واقفة مكانها لِعظَمِها ﴿وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾: المطر إذا ضربته الريح، أي: تسير سيره حتىٰ تقع علىٰ الأرض، فتستوي بها مبثوثة، تصير كالعِهْنِ، ثم تصير هباءً منثوراً ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ﴾، مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله أُضيف إلىٰ فاعله بعد حذف عامله، أي: صنعَ اللهُ ذلك صنعاً ﴿ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ﴾: أحكمَ ﴿كُلَّ شَىْءٍ﴾ صَنَعَهُ ﴿إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ أي: أعداؤه من المعصية، وأولياؤه من الطاعة.

مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

سُورَةُ الْقَصَصِ — ترتيبها ٢٨ — آياتها ٨٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

طسم ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُو عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥﴾

٨٩ ـ ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ﴾: ثواب ﴿مِّنْهَا﴾، وفي آية أخرىٰ: (عَشْرُ أَمْثَالِهَا) ﴿وَهُم﴾ أي: الجاؤون بها ﴿مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾.

٩٠ ـ ﴿وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ أي: الشرك ﴿فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾ بأن وُلِّيَتْها، وذُكرت الوجوه لأنها موضع الشرف من الحواس، فغيرها من باب أولىٰ، ويقال لهم تبكيتاً: ﴿هَلْ﴾ أي: ما ﴿تُجْزَوْنَ إِلَّا﴾ جزاء ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من الشرك والمعاصي.

٩١ ـ قل لهم: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ الْبَلْدَةِ﴾ أي: مكة ﴿الَّذِي حَرَّمَهَا﴾ أي: جعلها حرَماً آمناً لا يُسفك فيها دمُ إنسان، ولا يُظلم فيها أحد، ولا يُصاد صيدُها، ولا يُختَلىٰ خلاها، وذلك من النعم علىٰ قريش أهلِها في رفع الله عن بلدهم العذابَ والفتنَ الشائعة في جميع بلاد العرب ﴿وَلَهُ﴾ تعالىٰ ﴿كُلُّ شَيْءٍ﴾ فهو ربُّه وخالقه ومالكه ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ لله بتوحيده.

٩٢ ـ ﴿وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ﴾ عليكم تلاوة الدعوة إلىٰ الإيمان ﴿فَمَنِ اهْتَدَىٰ﴾ له ﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ أي: لأجلها، فإن ثواب اهتدائه له ﴿وَمَن ضَلَّ﴾ عن الإيمان وأخطأ طريق الهدىٰ ﴿فَقُلْ﴾ له: ﴿إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾: المُخوِّفين، فليس عليَّ إلا التبليغ، وهذا قبل الأمر بالقتال. ٩٣ ـ ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا﴾ فأراهم الله يوم بدر القتلَ والسَّبيَ، وضَرْبَ الملائكةِ وجوهَهم وأدبارهم، وعجَّلهم الله إلىٰ النار ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وإنما يُمهلهم لوقتهم.

سُورَةُ الْقَصَصِ

مكية، إلّا (إِنَّ الَّذِي فَرَضَ) الآية نزلت بالجحفة وإلا (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ) إلى: (لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ).

وهي سبع ـ أو ثمان ـ وثمانون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١ ـ ﴿طسم﴾ الله أعلم بمراده بذلك.

٢ ـ ﴿تِلْكَ﴾ أي: هذه الآيات ﴿آيَاتُ الْكِتَابِ﴾، الإضافة بمعنىٰ (من) ﴿الْمُبِينِ﴾: المُظهر الحق من الباطل. ٣ ـ ﴿نَتْلُو﴾: نقصُّ ﴿عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ﴾: خبر ﴿مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ﴾: الصدق ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: لأجلِهم، لأنهم المنتفعون به.

٤ ـ ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا﴾: تعظم ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: أرض مصر ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾: فِرقاً في خدمته ﴿يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ﴾: هم بنو إسرائيل ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ﴾ المولودين ﴿وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾: يستبقيهن أحياءً، لقول بعض الكهنة له: إن مولوداً يُولد في بني إسرائيل يكون سببُ زوال ملكك ﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ بالقتل وغيره. ٥ ـ ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾ يُقتدىٰ بهم في الخير ﴿وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ مُلْكَ فرعون.

وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

نصف الحزب ٣٩

٦ - ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: أرض مصر والشام ﴿وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ﴾: يخافون من المولود الذي يَذهبُ ملكُهم علىٰ يديه.

٧ - ﴿وَأَوْحَيْنَآ﴾ وحيَ إلهام أو منام ﴿إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾ وهو المولود المذكور، ولم يشعر بولادته غير أخته ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ﴾: البحر، أي: النيل ﴿وَلَا تَخَافِي﴾ غرقه ﴿وَلَا تَحْزَنِيٓ﴾ لفراقه ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ فأرضعته ثلاثة أشهر لا يبكي، وخافت عليه، فوضعته في تابوت مطليٍّ بالقار من داخل، مُمهَّدٍ له فيه، وأغلقته وألقته في بحر النيل ليلاً.

٨ - ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ﴾ بالتابوت صبيحة الليل ﴿ءَالُ﴾: أعوانُ ﴿فِرْعَوْنَ﴾ فوضعوه بين يديه وفُتح، وأُخرج موسىٰ منه ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ﴾ في عاقبة الأمر ﴿عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ أي: ليكون لهم عدواً يتحداهم وحزناً يدخل الهمَّ علىٰ قلوبهم. المصدر هنا بمعنىٰ اسم الفاعل من: حَزَنه، كأحزنه ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ﴾: وزيره ﴿وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ﴾ من الخطيئة، أي: عاصين، فعوقبوا علىٰ يديه.

٩ - ﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ﴾ وقد هَمَّ مع أعوانه بقتله: هو ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ فأطاعوها ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بعاقبة أمرهم معه.

١٠ - ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ﴾ لمَّا علمت بالتقاطه ﴿فَٰرِغًا﴾ مما سواه ﴿إِنْ﴾، مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف، أي: إنها ﴿كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ﴾ أي: بأنه ابنها ﴿لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ بالصبر، أي سَكَّنَّاه ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: المصدِّقين بوعد الله، وجواب (لولا) دل عليه ما قبلها.

١١ - ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ﴾ مريم: ﴿قُصِّيهِ﴾ أي: اتَّبعي أَثَرَه حتىٰ تعلمي خبرَه ﴿فَبَصُرَتْ بِهِۦ﴾: أبصرته ﴿عَن جُنُبٍ﴾: من مكان بعيد اختلاساً ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أنها أخته وأنها تَرْقُبه.

١٢ - ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ﴾ أي: قبل ردِّه إلىٰ أمه، أي: منعناه من قبول ثدي مرضعة غير أمه، فلم يقبل ثدي واحدة من المراضع المحضرة له ﴿فَقَالَتْ﴾ أخته: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ﴾ لما رأت حُنُوَّهم عليه ﴿يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ﴾ بالإرضاع وغيره ﴿وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾. وفسَّرتْ ضميرَ (له) بالمَلِك جواباً لهم، فأُجيبت، فجاءت بأمه، فقبل ثديها، وأجابتهم عن قبوله بأنها طيبةُ الرِّيح، طيبةُ اللبن، فأذن لها في إرضاعه في بيتها، فرجعت به، كما قال تعالىٰ:

١٣ - ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ بلقائه ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ حينئذ ﴿وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بردِّه إليها ﴿حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ أي: الناس ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ بهذا الوعد، ولا بأن هذه أختُه وهذه أمه، فمكث عندها إلىٰ أن فطمته، وأجرىٰ عليها أجرتها لكل يوم دينارٌ، وأخذتها لأنها مالُ حربي، فأتت به فرعونَ، فتربَّىٰ عنده كما قال تعالىٰ حكاية عنه في سورة الشعراء: (أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ).

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَاسْتَغَٰثَهُ الَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى الَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَاغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِى الْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِى اسْتَنصَرَهُۥ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ النَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ الْقَوْمِ الظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾

١٤ ـ ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ وهو ثلاثون سنة، أو وثلاث ﴿وَاسْتَوَىٰٓ﴾ أي: بلغ أربعين سنة ﴿ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا﴾: حكمة ﴿وَعِلْمًا﴾: فقهاً في الدين قبل أن يُبعث نبيّاً ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما جزيناه ﴿نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ﴾ لأنفسهم.

١٥ ـ ﴿وَدَخَلَ﴾ موسىٰ ﴿الْمَدِينَةَ﴾: مدينة فرعون وهي مَنْف، بعد أن غاب عنه مدة ﴿عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ وقتَ القيلولة ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ﴾ أي: إسرائيلي ﴿وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ أي: قبطي ﴿فَاسْتَغَٰثَهُ الَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى الَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ فقال له موسىٰ: خلِّ سبيلَه، فأبىٰ ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ﴾ أي: ضَرَبه بِجُمْع كفِّه، وكان شديد القوة والبطش ﴿فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ أي: قتلَه، ولم يكن قصد قتلَه ﴿قَالَ هَٰذَا﴾: أي: قَتْلُه ﴿مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَٰنِ﴾ المُهَيِّج غضبي ﴿إِنَّهُۥ عَدُوٌّ﴾ لابن آدم ﴿مُّضِلٌّ﴾ له ﴿مُّبِينٌ﴾: بيِّن الإضلال.

١٦ ـ ﴿قَالَ﴾ نادماً: ﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى﴾ بقتله ﴿فَاغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ أي: المتصف بهما أزلاً وأبداً.

١٧ ـ ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ﴾: بحقِّ إنعامك ﴿عَلَىَّ﴾ بالمغفرة اعصمني ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا﴾: عوناً ﴿لِّلْمُجْرِمِينَ﴾: الكافرين بعد هذه إنْ عَصَمْتَني.

١٨ ـ ﴿فَأَصْبَحَ فِى الْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾: ينتظر ما يناله من جهة القتيل ﴿فَإِذَا الَّذِى اسْتَنصَرَهُۥ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ﴾: يستغيث به علىٰ قبطيٍّ آخر ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ﴾: بيِّن الغواية لما فعلته أمسِ واليوم.

١٩ ـ ﴿فَلَمَّآ أَنْ﴾، زائدة ﴿أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا﴾: لموسىٰ والمستغيث به ﴿قَالَ﴾ المستغيث ـ ظانّاً أنه يبطش به لِمَا قال له ـ: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِن﴾: ما ﴿تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ فسمع القبطيُّ ذلك، فعلم أن القاتل موسىٰ، فانطلق إلىٰ فرعون، فأخبره بذلك، فأمر فرعونُ الذبَّاحين بقتل موسىٰ، فأخذوا في الطريق إليه.

٢٠ ـ ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ﴾: هو مؤمن آل فرعون ﴿مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ﴾: آخرها ﴿يَسْعَىٰ﴾: يُسرع في مشيه من طريقٍ أقربَ من طريقهم ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ الْمَلَأَ﴾ من قوم فرعون ﴿يَأْتَمِرُونَ بِكَ﴾: يتشاورون فيك ﴿لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ﴾ من المدينة ﴿إِنِّى لَكَ مِنَ النَّٰصِحِينَ﴾ في الأمر بالخروج.

٢١ ـ ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ لُحوق طالب، أو غوث الله إياه ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ الْقَوْمِ الظَّٰلِمِينَ﴾: قوم فرعون.

وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾

٢٢ ـ ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ﴾: قصد بوجهه ﴿تِلْقَآءَ مَدْيَنَ﴾: جهتها، وهي قرية شعيب، مسيرة ثمانية أيام من مصر، سُمّيت بمدين بن إبراهيم، ولم يكن يعرفُ طريقَها ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي: قصد الطريق، أي: الطريق الوسَط إليها، فأرسل الله له مَلَكاً بيده عَنَزَة، فانطلق به إليها. ٢٣ ـ ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ﴾: بئر فيها، أي: وصلَ إليها ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً﴾: جماعة ﴿مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ﴾ مواشيَهم ﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ﴾ أي: سواهم ﴿ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِۖ﴾: تمنعان أغنامَهما عن الماء ﴿قَالَ﴾ موسىٰ لهما: ﴿مَا خَطْبُكُمَاۖ﴾ أي: ما شأنكما لا تسقيان؟ ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ﴾ ـ جمع راع ـ، أي: يصرفوا مواشيَهم عن الماء ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ لا يقدر أن يسقي. ٢٤ ـ ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ من بئر أخرىٰ بقُربهما، رفعَ حجراً عنها لا يرفعه إلا عشرة أنفس ﴿ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ﴾: انصرف ﴿إِلَى ٱلظِّلِّ﴾ لِسَمُرَة، من شدة حرِّ الشمس، وهو جائع ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ﴾: طعام ﴿فَقِيرٌ﴾: محتاجٌ، فرجعتا إلىٰ أبيهما في زمن أقلَّ مما كانتا ترجعان فيه، فسألهما عن ذلك، فأخبرتاه بمن سقىٰ لهما، فقال لإحداهما: ادعيه لي. ٢٥ ـ قال تعالىٰ: ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ أي: واضعةً كُمَّ دِرعِها علىٰ وجهها حياءً منه ﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَاۚ﴾ فأجابها منكراً في نفسه أخذَ الأجرة، كأنها قصدت المكافأة إن كان ممن يريدها، فمشَتْ بين يديه، فجعلت الريحُ تضربُ ثوبَها فتكشفُ ساقيها، فقال لها: امشي خلفي ودليني علىٰ الطريق، ففعلت إلىٰ أن جاء أباها، وعنده عَشاء، فقال له: اجلس فتعشَّ، قال: أخاف أن يكون عِوَضاً مما سَقَيْتُ لهما، وإنّا أهلُ بيتٍ لا نطلب علىٰ عملِ خيرٍ عِوَضاً، قال: لا، عادتي وعادة آبائي نَقري الضيف، ونُطعم الطعام، فأكل وأخبره بحاله، قال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ﴾، مصدر بمعنىٰ المقصوص، من قتله القبطي، وقصدِهم قتلَه، وخوفِه من فرعون ﴿قَالَ لَا تَخَفْۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ إذ لا سلطانَ لفرعون علىٰ مدين. ٢٦ ـ ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا﴾ وهي المرسَلة، الكبرىٰ أو الصغرىٰ: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُۖ﴾: اتَّخِذْهُ أجيراً يرعىٰ غنمنا، أي: بَدَلَنا ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ﴾ أي: استأْجِرْهُ لقوته وأمانته، فسألها عنهما، فأخبرته بما تقدم من رفعه حجر البئر، ومن قوله لها: امشي خلفي، وزيادة أنها لما جاءته وعلم بها، صوَّب رأسه، فلم يرفعه، فرغب في إنكاحه. ٢٧ ـ ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ﴾ وهي الكبرىٰ أو الصغرىٰ ﴿عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي﴾: تكون أجيراً لي في رعي غنمي ﴿ثَمَٰنِيَ حِجَجٍۖ﴾ أي: سنين ﴿فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا﴾ أي: رعي عشر سنين ﴿فَمِنْ عِندِكَۖ﴾ التمام ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَۚ﴾ باشتراط العشر ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾، للتبرُّك ﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: الوافين بالعهد. ٢٨ ـ ﴿قَالَ﴾ موسىٰ: ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي قلته ﴿بَيْنِي وَبَيْنَكَۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ﴾: الثمان أو العشر، و(ما) زائدة أي: رَعيه ﴿قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّۖ﴾ بطلب الزيادة عليه ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ﴾ أنا وأنت ﴿وَكِيلٌ﴾: حفيظ أو شهيد، فتمَّ العقد بذلك.

۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْأٓمِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾

٢٩ ـ ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ﴾ أي: رعيه، وهو ثمان أو عشر سنين، وهو المظنون به ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ﴾: زوجته بإذن أبيها نحو مصر ﴿ءَانَسَ﴾: أبصرَ من بعيد ﴿مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ﴾: اسم جبل ﴿نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ﴾ هنا ﴿إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ عن الطريق، وكان قد أخطأها ﴿أَوْ جَذْوَةٍ﴾: قطعة وشعلة ﴿مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾: تستدفئون، والطاء بدل من تاء الافتعال من: صلي بالنار، بكسر اللام وفتحها.

٣٠ ـ ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ﴾: جانب ﴿ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ﴾ لموسىٰ ﴿فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ﴾ لموسىٰ لسماعه كلامَ الله فيها ﴿مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾، بدل من (شاطئ) بإعادة الجارِّ لنباتها فيه، وهي شجرة عُنَّاب، أو عُلَّيْق، أو عَوْسَج ﴿أَن﴾، مفسرة لا مخففة ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

٣١ ـ ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ فألقاها ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ﴾: تتحرك ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾: وهي الحية الصغيرة من سرعة حركتها ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا﴾: هارباً منها ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ أي: يرجع، فنودي: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْأٓمِنِينَ﴾.

٣٢ ـ ﴿ٱسْلُكْ﴾: أدخِلْ ﴿يَدَكَ﴾ اليمنىٰ بمعنىٰ الكفّ ﴿فِي جَيْبِكَ﴾ هو طوق القميص، وأخرجْها ﴿تَخْرُجْ﴾ خلافَ ما كانت عليه من الأُدْمة.

﴿بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ أي: بَرَصٍ، فأدخلَها وأخرجَها تُضيء كشعاع الشمس تُغشي البصر.

﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ﴾ أي: الخوف الحاصل من إضاءة اليد، بأن تدخلها في جيبك، فتعود إلىٰ حالتها الأولىٰ، وعبَّر عنها بالجَناح لأنها للإنسان كالجناح للطائر.

﴿فَذَٰنِكَ﴾ أي: العصا واليد، وهما مؤنثان، وإنما ذُكِّر المشار به إليهما ـ المبتدأ ـ لتذكير خبره. ﴿بُرْهَٰنَانِ﴾ مرسَلان ﴿مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾.

٣٣ ـ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا﴾: هو القبطي السابق ﴿فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾ به.

٣٤ ـ ﴿وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾: أبْيَن ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا﴾: مُعيناً ﴿يُصَدِّقُنِيٓ﴾، بالرفع، وجملته صفة (ردءاً) ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾.

٣٥ ـ ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ﴾: نُقوِّيك ﴿بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا﴾: غَلَبة ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾ بسوء، اذهبا ﴿بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ لهم.

فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾

٣٦ - ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ﴾: واضحات، حال.

﴿قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى﴾: مختلق ﴿وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا﴾ كائناً ﴿فِىٓ﴾ أيام ﴿ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

٣٧ - ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ﴾ أي: عالم ﴿بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ﴾، الضمير للرب ﴿وَمَن﴾، عطف على (مَن) ﴿تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾ أي: العاقبة المحمودة في الدار الآخرة، أي: هو أنا في الشقين، فأنا مُحقٌّ فيما جئت به.

﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: الكافرون.

٣٨ - ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ﴾: فاطْبُخْ لي الآجُرّ.

﴿فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا﴾: قصراً عالياً ﴿لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾: انظر إليه، وأقف عليه.

﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ في ادعائه إلٰهاً آخر وأنه رسوله.

٣٩ - ﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: أرضِ مصر ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ﴾.

٤٠ - ﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ﴾: طرحناهم ﴿فِى ٱلْيَمِّ﴾: البحر المالح، فغرقوا.

﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ حين صاروا إلىٰ الهلاك.

٤١ - ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ﴾ في الدنيا ﴿أَئِمَّةً﴾: رؤساء في الشرك.

﴿يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ بدعائهم إلىٰ الشرك ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ بدفع العذاب عنهم.

٤٢ - ﴿وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً﴾: خِزْياً.

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾: المبعَدين.

٤٣ - ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾: التوراة.

﴿مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ﴾: قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم.

﴿بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ﴾، حال من (الكتاب) جمع بصيرة وهي نور القلب، أي: أنواراً للقلوب.

﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة لمن عمل به ﴿وَرَحْمَةً﴾ لمن آمن به ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: يتعظون بما فيه من المواعظ.

وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾

٤٤ ـ ﴿وَمَا كُنتَ﴾ يا محمد ﴿بِجَانِبِ﴾ الجبل أو الوادي أو المكان ﴿ٱلْغَرْبِيِّ﴾ من موسىٰ حين المناجاة.

﴿إِذْ قَضَيْنَآ﴾: أوحينا ﴿إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ﴾ بالرسالة إلىٰ فرعون وقومه ﴿وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ لذلك، فتعلمه فتُخبِرَ به.

٤٥ ـ ﴿وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا﴾: أمماً من بعد موسىٰ ﴿فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ﴾ أي: طالتْ أعمارُهم، فنسُوا العهودَ، واندرَستِ العلوم، وانقطع الوحي، فجئنا بك رسولاً، وأوحينا إليك خبرَ موسىٰ وغيره.

﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا﴾: مقيماً ﴿فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾، خبر ثانٍ، فتعرف قصتهم، فتخبر بها ﴿وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ لك وإليك بأخبار المتقدمين.

٤٦ ـ ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ﴾: الجبل ﴿إِذْ﴾: حين ﴿نَادَيْنَا﴾ موسىٰ أن خُذِ الكتاب بقوة.

﴿وَلَٰكِن﴾ أرسلناك ﴿رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ وهم أهل مكة ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: يتَّعظون.

٤٧ ـ ﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ﴾: عقوبة ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من الكفر وغيره ﴿فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ﴾: هلّا ﴿أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ﴾ المرسَل بها ﴿وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، وجواب (لولا) محذوف، وما بعدها مبتدأ، والمعنىٰ: لولا الإصابةُ المسبب عنها قولهم، أو لولا قولهم المسبب عنها، أي: لعاجلناهم بالعقوبة، ولَما أرسلناك إليهم رسولاً.

٤٨ ـ ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ أي: فلمّا جاءهم الحق من عند الله علىٰ لسان محمد ﷺ ﴿مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ﴾: هلّا ﴿أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ﴾ من الآيات كاليد البيضاء والعصا وغيرهما، أو الكتاب جملة واحدة. قال تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾ حيث ﴿قَالُوا۟ سِحْرَانِ﴾ أي: القرآن والتوراة ﴿تَظَٰهَرَا﴾: تعاونا ﴿وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ﴾ من النَّبِيَّيْن والكتابَيْن ﴿كَٰفِرُونَ﴾.

٤٩ ـ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ﴾ من الكتابَيْن ﴿أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في قولكم.

٥٠ ـ ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ﴾ دعاءَك بالإتيان بكتاب ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ﴾ في كفرهم ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: لا أضلَّ منه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الكافرين.

﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝٥١ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ۝٥٢ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ۝٥٣ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٥٤ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ۝٥٥ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝٥٦ وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٥٧ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥٨ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ۝٥٩﴾

٥١ ـ ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا﴾: بيَّنَّا ﴿لَهُمُ ٱلْقَوْلَ﴾: القرآنَ ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: يتَّعِظُون، فيؤمنون.

٥٢ ـ ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ﴾ أي: القرآن ﴿هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾ أيضاً، أي: كما آمنوا بكتابهم. نزلت في جماعة أسلموا من اليهود كعبد الله بن سلام وغيره، ومن النصارىٰ قدموا من الحبشة ومن الشام.

٥٣ ـ ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ القرآنُ ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ﴾: موحِّدين.

٥٤ ـ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ بإيمانهم بالكتابَيْن ﴿بِمَا صَبَرُوا۟﴾ بصبرهم علىٰ العمل بهما ﴿وَيَدْرَءُونَ﴾: يدفعون ﴿بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ منهم ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾: يتصدقون.

٥٥ ـ ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ﴾: الشتم والأذىٰ من الكفار ﴿أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ سلامَ متاركة، أي: سلِمْتُم منَّا من الشتم وغيره ﴿لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ﴾: لا نصحبهم.

٥٦ ـ ونزل في حرصه ﷺ علىٰ إيمان عمِّه أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ هدايته ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ﴾ أي: عالم ﴿بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾. روىٰ البخاري (٤٧٧٢) ومسلم (٢٤) عن المسيب رضي الله عنه قال: لمّا حضرت أبا طالب الوفاةُ جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة فقال: «أي عمِّ قل: لا إلٰه إلا الله كلمة أحاجُّ لك بها عند الله» فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويُعيدانه بتلك المقالة حتىٰ قال أبو طالب آخرَ ما كلّمهم: علىٰ ملة عبد المطلب، وأبىٰ أن يقول: لا إلٰه إلا الله فقال رسول الله ﷺ: «والله لأستغفرن لك ما لم أُنهَ عنك» فأنزل الله (مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ) وأنزل الله في أبي طالب فقال لرسول الله ﷺ: (إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ).

٥٧ ـ ﴿وَقَالُوٓا۟﴾ أي: قومه: ﴿إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ﴾ أي: نُنتزع منها بسرعة، قال تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا﴾: يأمنون فيه من الإغارة والقتل الواقعين من بعض العرب علىٰ بعض ﴿يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ من كلِّ أوب ﴿رِّزْقًا﴾ لهم ﴿مِّن لَّدُنَّا﴾ أي: عندنا ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن ما نقوله حقٌّ.

٥٨ ـ ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ أي: عيشها، وأُريدَ بالقرية أهلُها ﴿فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ للمارة يوماً أو بعضه﴿وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ منهم.

٥٩ ـ ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ﴾ بظلم منها ﴿حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا﴾ أي: أعظمها ﴿رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾ بتكذيب الرسل.

وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾

٦٠ ـ ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا﴾ أي: تتمتعون وتتزينون به أيامَ حياتكم ثم يفنىٰ ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: ثوابه ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أن الباقي خير من الفاني.

٦١ ـ ﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ﴾: مُصيبُه، وهو الجنة ﴿كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ فيزول عن قريب ﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ النار؟ الأول المؤمن، والثاني الكافر، أي: لا تساويَ بينهما.

٦٢ ـ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ الله ﴿فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾هُم شركائي؟

٦٣ ـ ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ بدخول النار، وهم رؤساء الضلالة: ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ﴾هم، مبتدأ وصفته ﴿أَغْوَيْنَٰهُمْ﴾ خبره، فغَوَوْا ﴿كَمَا غَوَيْنَا﴾: لم نُكرِهْهمُ على الغيِّ ﴿تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ﴾ منهم ﴿مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾ (ما) نافية، وقدم المفعول للفاصلة.

٦٤ ـ ﴿وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ﴾ أي: الأصنام الذين كنتم تزعُمون أنهم شركاءُ لله ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ﴾ دعاءَهم ﴿وَرَأَوُا۟﴾ هم ﴿ٱلْعَذَابَ﴾: أبصروه ﴿لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ﴾ في الدنيا لما رأوه في الآخرة.

٦٥ ـ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ إليكم؟

٦٦ ـ ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ﴾: الأخبار المنجية في الجواب ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي: لم يجدوا خبراً لهم فيه نجاة ﴿فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ عنه، فيسكتون.

٦٧ ـ ﴿فَأَمَّا مَن تَابَ﴾ من الشرك ﴿وَءَامَنَ﴾: صدَّق بتوحيد الله ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾: أدَّىٰ الفرائض ﴿فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ﴾: الناجين بوعد الله.

٦٨ ـ ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ ما يشاء ﴿مَا كَانَ لَهُمُ﴾: للمشركين ﴿ٱلْخِيَرَةُ﴾: الاختيار في شيء ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ عن إشراكهم.

٦٩ ـ ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾: تُسِرُّ قلوبُهم من الكفر وغيره ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ بألسنتهم من ذلك.

٧٠ ـ ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ﴾: الدنيا ﴿وَٱلْءَاخِرَةِ﴾: الجنة ﴿وَلَهُ ٱلْحُكْمُ﴾: القضاء النافذ في كل شيء ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ بالنشور.

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾ ۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾

ربع الحزب ٤٠

٧١ ـ ﴿قُلْ﴾ لأهل مكة: ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ أي: أخبروني ﴿إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا﴾: دائماً ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ بزعمكم ﴿يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ﴾: نهارٍ تطلبون فيه المعيشة ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ ذلك سماع تفهُّم، فترجعون عن الإشراك؟

٧٢ ـ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ بزعمكم ﴿يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ﴾: تستريحون ﴿فِيهِ﴾ من التعب ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ ما أنتم عليه من الخطأ في الإشراك فترجعون عنه؟

٧٣ ـ ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ تعالىٰ ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ﴾ في الليل ﴿وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ في النهار بالكسب ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ النعمة فيهما.

٧٤ ـ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾، ذُكر ثانياً ليُبنىٰ عليه:

٧٥ ـ ﴿وَنَزَعْنَا﴾: أخرجنا ﴿مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ وهو نبيهم يشهد عليهم بما قالوا ﴿فَقُلْنَا﴾ لهم: ﴿هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ علىٰ ما قلتم من الإشراك ﴿فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ﴾ في الإلٰهية ﴿لِلَّهِ﴾ لا يشاركه فيها أحد. ﴿وَضَلَّ﴾: غاب ﴿عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ في الدنيا من أن معه شريكاً، تعالىٰ عن ذلك.

٧٦ ـ ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ﴾: ابن عمه وابن خالته، وآمن به ﴿فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ بالكِبْر والعُلُوِّ وكثرة المال ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ﴾: تثقل ﴿بِٱلْعُصْبَةِ﴾: الجماعة ﴿أُو۟لِى﴾: أصحاب ﴿ٱلْقُوَّةِ﴾ أي: تُثقلهم، فالباء للتعدية، وعِدَّتُهم قيل: سبعون، وقيل: أربعون، وقيل: عشرة وقيل غير ذلك، واذكر ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ﴾ المؤمنون من بني إسرائيل: ﴿لَا تَفْرَحْ﴾ بكثرة المال فرح بطر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ بذلك.

٧٧ ـ ﴿وَٱبْتَغِ﴾: اطلب ﴿فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ من المال ﴿ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ بأن تنفقه في طاعة الله ﴿وَلَا تَنسَ﴾: تترك ﴿نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: ولا تنس أن تأخذ نصيبك من الدنيا مما أباح الله فيها من المآكل والمشارب والمناكح والملابس والمساكن؛ فإن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، قال صاحب «الظلال»: [وفي هذا يتمثّل اعتدال المنهج الإلٰهي القويم، المنهج الذي يعلّق قلب واجد المال بالآخرة، ولا يحرمه أن يأخذ بقسط من المتاع في هذه الحياة، بل يحضه علىٰ هذا ويكلّفه إياه تكليفاً.... لقد خلق الله طيبات الحياة ليستمتع بها الناس..... ذلك علىٰ أن تكون وجهتهم في هذا المتاع هي الآخرة، فلا ينحرفون عن طريقها، ولا يشغلون بالمتاع عن تكاليفها، والمتاع في هذه الحالة لون من ألوان الشكر للمنعم، وتقبل لعطاياه، وانتفاع بها، فهو طاعة من الطاعات يجزي عليها الله بالحسنىٰ] ﴿وَأَحْسِن﴾ للناس بالصدقة ﴿كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ﴾: تطلب ﴿ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بعمل المعاصي ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾

قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾

٧٨ ـ ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ﴾ أي: المال ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ أي: في مقابلته. وكان أعلم بني إسرائيل بعد موسىٰ وهارون.

قال تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ﴾: الأمم ﴿مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ للمال؟

﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ لعلمه تعالىٰ بها، فيدخلون النار بلا حساب.

٧٩ ـ ﴿فَخَرَجَ﴾ قارون ﴿عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ﴾ بأتْباعه الكثيرين، رُكباناً مُتحلِّين بملابس الذهب والحرير علىٰ خيول وبغال مُتحلِّية.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَا﴾، للتنبيه ﴿لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ﴾ في الدنيا.

﴿إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ﴾: نصيب ﴿عَظِيمٍ﴾: وافٍ فيها.

٨٠ ـ ﴿وَقَالَ﴾ لهم ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ بما وعد الله في الآخرة: ﴿وَيْلَكُمْ﴾، كلمة زجر ﴿ثَوَابُ ٱللَّهِ﴾ في الآخرة بالجنة ﴿خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا﴾ مما أوتي قارون في الدنيا.

﴿وَلَا يُلَقَّىٰهَآ﴾ أي: الجنة المثاب بها ﴿إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ﴾ علىٰ الطاعة وعن المعصية.

٨١ ـ ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ﴾: بقارون ﴿وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره، بأن يمنعوا عنه الهلاك ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾ منه.

٨٢ ـ ﴿وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ﴾ أي: من قريب.

﴿يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ﴾: يوسع ﴿ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ﴾: يُضيِّق علىٰ من يشاء، و(وي) اسم فعل بمعنىٰ أعجبُ، أي: أنا، والكاف بمعنىٰ اللام.

﴿لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ لنعمة الله، كقارون.

٨٣ ـ ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ﴾ أي: الجنة ﴿نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالبغي ﴿وَلَا فَسَادًا﴾ بعمل المعاصي.

﴿وَٱلْعَـٰقِبَةُ﴾ المحمودة ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ عقابَ الله بعمل الطاعات.

٨٤ ـ ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾: ثوابٌ بسببها، وهو عشرُ أمثالها.

﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا﴾ جزاءَ ﴿مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ أي: مثله.

إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

سُورَةُ العَنكَبُوت
ترتيبها ٢٩ — آياتها ٦٩

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾

نصف الحزب ٤٠

٨٥ ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾: أنزله ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾: إلىٰ مكة، وكان قد اشتاقها ﴿قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ نزل جواباً لقول كفار مكة له: إنك في ضلال، أي: فهو الجائي بالهدىٰ، وهم في ضلال، و(أعلم) بمعنىٰ عالم.

٨٦ ـ ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾: القرآن ﴿إِلَّا﴾: لكن ألقي إليك ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا﴾: معيناً ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ علىٰ دينهم الذي دعوك إليه.

٨٧ ـ ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ﴾ أي: لا ترجع إليهم في ذلك ﴿وَٱدْعُ﴾ الناس ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ بتوحيده وعبادته ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ بإعانتهم، ولم يؤثر الجازم في الفعل لبنائه.

٨٨ ـ ﴿وَلَا تَدْعُ﴾: تعبد ﴿مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾: القضاء النافذ ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ بالنشور من قبوركم.

سُورَةُ العَنكَبُوت

مكية، وهي تسع وستون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ ـ ﴿الٓمٓ﴾ الله أعلم بمراده بذلك.

٢ ـ ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟﴾ أي: بقولهم: ﴿ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾: يُختبرون بما يتبين به حقيقة إيمانهم، نزل في جماعة آمنوا، فآذاهم المشركون.

٣ ـ ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟﴾ في إيمانهم علم مشاهدة ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ فيه.

٤ ـ ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: الشرك والمعاصي ﴿أَن يَسْبِقُونَا﴾: يفوتونا، فلا ننتقم منهم ﴿سَآءَ﴾: بئس ﴿مَا﴾: الذي ﴿يَحْكُمُونَ﴾ه، حكمُهم هذا.

٥ ـ ﴿مَن كَانَ يَرْجُوا۟﴾: يخافُ ﴿لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ﴾ به ﴿لَءَاتٍ﴾ فليستعدَّ له ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوال العباد ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بأفعالهم.

٦ ـ ﴿وَمَن جَٰهَدَ﴾ جهاد حرب أو نفس ﴿فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ﴾ فإن منفعة جهاده له، لا لله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: الإنس والجن والملائكة، وعن عبادتهم.

وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ
وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَٰنَ
بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ
فَلَا تُطِعْهُمَآ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾
وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى الصَّٰلِحِينَ
﴿٩﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى اللَّهِ جَعَلَ
فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ
إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ الْعَٰلَمِينَ
﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَٰفِقِينَ
﴿١١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ اتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا
وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن
شَىْءٍ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا
مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ
﴿١٣﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ
إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾

٧ - ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ بعمل الصالحات ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ﴾، بمعنىٰ حسن، ونصبه بنزع الخافض الباء ﴿الَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾: وهو الصالحات.

٨ - ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾ أي: إيصاءً ذا حُسن بأن يبرَّهما.

﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ﴾: بإشراكه ﴿عِلْمٌ﴾ موافقة للواقع، فلا مفهوم له.

﴿فَلَا تُطِعْهُمَآ﴾ في الإشراك ﴿إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فأجازيكم به.

٩ - ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى الصَّٰلِحِينَ﴾: الأنبياء والأولياء بأن نحشرهم معهم.

١٠ - ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ﴾ أي: أذاهم له ﴿كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ في الخوف منه، فيُطيعُهم، فينافق ﴿وَلَئِن﴾، لام قسم ﴿جَآءَ نَصْرٌ﴾ للمؤمنين ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾ فغنموا ﴿لَيَقُولُنَّ﴾، حُذف منه نون الرفع لتوالي النونات، والواو ضمير الجمع لالتقاء الساكنين ﴿إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾ في الإيمان فأشركُونا في الغنيمة.

قال تعالىٰ: ﴿أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ﴾ أي: بعالم ﴿بِمَا فِى صُدُورِ الْعَٰلَمِينَ﴾: قلوبهم من الإيمان والنفاق؟ بلىٰ.

١١ - ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بقلوبهم ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَٰفِقِينَ﴾ فيجازي الفريقين، واللام في الفعلين لام قسم.

١٢ - ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ اتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا﴾: ديننا ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ في اتّباعنا إن كانت.

قال تعالىٰ: ﴿وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ في ذلك.

١٣ - ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ﴾: أوزارهم ﴿وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ بقولهم للمؤمنين: اتبعوا سبيلنا، وإضلالِهم مقلّديهم.

﴿وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾: يكْذِبون علىٰ الله، سؤالَ توبيخ، واللام في الفعلين لام قسم، وحُذف فاعلهما الواو ونون الرفع.

١٤ - ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ وعُمرُه أربعون سنة أو أكثر.

﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ يدعوهم إلىٰ توحيد الله فكذبوه ﴿فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ﴾ أي: الماء الكثير، طاف بهم وعلاهم، فغرقوا ﴿وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾: مشركون.

فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾

١٥ ـ ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ﴾ أي: نوحاً ﴿وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ﴾ أي: الذين كانوا معه فيها ﴿وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً﴾: عبرة ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾: لمن بعدهم من الناس إنْ عصَوْا رسلَهم، وعاش نوح بعد الطوفان ستين سنة أو أكثر حتىٰ كثر الناس.

١٦ ـ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ﴾: خافوا عقابه ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ مما أنتم عليه من عبادة الأصنام ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الخيرَ من غيره.

١٧ ـ ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾: تقولون كذباً: إن الأوثان شركاء لله.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾: لا يقدرون أن يرزقوكم ﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ﴾: اطلبوه منه ﴿وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

١٨ ـ ﴿وَإِن تُكَذِّبُوا۟﴾ أي: تكذبوني يا أهل مكة ﴿فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾: مَنْ قبلي.

﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾: إلا البلاغ البيِّن، في هاتين القصتين تسلية للنبي ﷺ.

١٩ ـ وقال تعالىٰ في قومه: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾: ينظروا ﴿كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ﴾، هو بضم أوله، أي: يخلقهم ابتداءً ﴿ثُمَّ﴾ هو ﴿يُعِيدُهُۥٓ﴾ أي: يعيد الخلق بعد الموت كما بدأهم.

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ المذكور من الخلق الأول والثاني ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ فكيف ينكرون الثاني؟

٢٠ ـ ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ﴾ لمن كان قبلكم وأماتهم ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه البدء والإعادة.

٢١ ـ ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ تعذيبه ﴿وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ﴾ رحمته ﴿وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾: تُردُّون.

٢٢ ـ ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ ربَّكم عن إدراككم ﴿فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ لو كنتم فيها، أي: لا تفوتونه.

﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿مِن وَلِىٍّ﴾ يمنعكم منه ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ ينصركم من عذابه.

٢٣ ـ ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ﴾ أي: القرآن والبعث ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى﴾ أي: جنتي.

﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مؤلم.

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٤٠

٢٤ ـ قال تعالىٰ في قصة إبراهيم: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ﴾ التي قذفوه فيها بأن جعلها عليه برداً وسلاماً ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ أي: إنجائه منها ﴿لَءَايَٰتٍ﴾: هي عدمُ تأثيرها فيه مع عِظَمِها، وإخمادُها، وإنشاءُ رَوض مكانَها في زمن يسير ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: يصدقون بتوحيد الله وقدرته، لأنهم المنتفعون بها.

٢٥ ـ ﴿وَقَالَ﴾ إبراهيم: ﴿إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا﴾ تعبدونها ﴿مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾، مفعول له، و(ما) كافة، المعنىٰ: تَوادَدْتُم علىٰ عبادتها ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ﴾: يتبرأ القادة من الأتباع ﴿وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾: يلعن الأتباع القادة ﴿وَمَأْوَىٰكُمُ﴾: مصيركم جميعاً ﴿ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾: مانعين منها.

٢٦ ـ ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ﴾: صدق بإبراهيم ﴿لُوطٌ﴾: وهو ابن أخيه هاران ﴿وَقَالَ﴾ إبراهيم: ﴿إِنِّى مُهَاجِرٌ﴾ من قومي ﴿إِلَىٰ رَبِّىٓ﴾ أي: إلىٰ حيث أمرني ربي. وهجَرَ قومه، وهاجر من سواد العراق إلىٰ الشام ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في صنعه.

٢٧ ـ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ﴾ بعد إسماعيل ﴿إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ بعد إسحاق ﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ﴾ فكل الأنبياء بعد إبراهيم من ذريته ﴿وَٱلْكِتَٰبَ﴾، بمعنىٰ الكتب، أي: التوراة والإنجيل والزَّبور والفرقان ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَاۖ﴾: وهو الثناءُ الحسن في كل أهل الأديان ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ الذين لهم الدرجات العلىٰ.

٢٨ ـ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿لُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ أي: أدبار الرجال ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: الإنس والجن.

٢٩ ـ ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ﴾: طريق المارة بفعلكم الفاحشة بمن يمر بكم، فترك الناس المَمرَّ بكم ﴿وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ﴾ أي: مُتحدَّثكم ﴿ٱلْمُنكَرَۖ﴾: فعل الفاحشة بعضكم ببعض ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في استقباح ذلك، وفي أن العذاب نازل بفاعليه.

٣٠ ـ ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى﴾ بتحقيق قولي في إنزال العذاب ﴿عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾: العاصين بإتيان الرجال، فاستجاب الله دعاءه.

وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُواْ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُواْ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرْجُواْ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾

٣١ ـ ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ﴾ بإسحاق ويعقوب بعده.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ أي: قرية لوط ﴿إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾: كافرين.

٣٢ ـ ﴿قَالَ﴾ إبراهيم: ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُواْ﴾ أي الرسل:

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾: الباقين في العذاب.

٣٣ ـ ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ﴾: حزن بسببهم ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾: صدراً، لأنهم حِسانُ الوجوه في صورة أضياف، فخاف عليهم قومَه، فأعلموه أنهم رسلُ ربه.

﴿وَقَالُواْ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾، ونصب (أهلك) عطف على محل الكاف.

٣٤ ـ ﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا﴾: عذاباً ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا﴾: بالفعل الذي ﴿كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾ به، أي: بسبب فسقهم.

٣٥ ـ ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً﴾: ظاهرة، هي آثار خرابها ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: يتدبرون.

٣٦ ـ ﴿وَ﴾ أرسلنا ﴿إِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرْجُواْ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾: اخشوه، هو يوم القيامة.

﴿وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾، حال مؤكدة لعاملها، من (عَثِيَ) بكسر المثلثة: أفسد.

٣٧ ـ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾: الزلزلة الشديدة.

﴿فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾: باركين على الركب ميتين.

٣٨ ـ ﴿وَ﴾ أهلكنا ﴿عَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم﴾ إهلاكُهم ﴿مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ﴾ بالحِجر واليمن.

﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ من الكفر والمعاصي.

﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: سبيل الحق ﴿وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ﴾: ذوي بصائر.

وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾

٣٩ ـ ﴿وَ﴾ أهلكنا ﴿قَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم﴾ من قبل ﴿مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: الحجج الظاهرات ﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ﴾: فائتين عذابنا.

٤٠ ـ ﴿فَكُلًّا﴾ من المذكورين ﴿أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾: ريحاً عاصفة فيها حصباء كقوم لوط.

﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ﴾ كثمود.

﴿وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ كقارون.

﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ﴾ كقوم نوح وفرعون وقومه.

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ فيعذبهم بغير ذنب.

﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بارتكاب الذنب.

٤١ ـ ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ﴾ أي: أصناماً يرجون نفعها.

﴿كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ﴾ لنفسها تأوي إليه.

﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ﴾: أضعف ﴿ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ﴾ لا يدفع عنها حرّاً ولا برداً، كذلك الأصنام لا تنفع عابديها ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ ذلك ما عبدوها.

٤٢ ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا﴾، بمعنىٰ الذي ﴿يَدْعُونَ﴾: يعبدون ﴿مِن دُونِهِۦ﴾: غيره ﴿مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في صنعه.

٤٣ ـ ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ﴾ في القرآن ﴿نَضْرِبُهَا﴾: نجعلها ﴿لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ﴾ أي: يفهمها ﴿إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾: المُتدبّرون.

٤٤ ـ ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ﴾ أي: مُحقّاً.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾: دلالة علىٰ قدرته تعالىٰ ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ خُصوا بالذكر لأنهم المنتفعون بها في الإيمان بخلاف الكافرين.

٤٥ ـ ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: القرآن ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ﴾ شرعاً، أي: من شأنها ذلك ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ﴾ أي: وللصلاة أكبر من سائر الطاعات، وإنما عبّر عنها به كما في قوله تعالىٰ: (.. فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ) للإيذان بأنّ ما فيها من ذكر الله تعالىٰ هو العمدة في كونها مفضلة علىٰ الحسنات ناهية عن السيئات ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ فيجازيكم به.

۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ شَهِيدٗاۖ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾

٤٦ ـ ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي﴾ أي: المجادلة التي ﴿هِيَ أَحۡسَنُ﴾ كالدعاء إلىٰ الله بآياته والتنبيه علىٰ حججه.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾ بأن حاربوا وأبَوْا أن يُقِرُّوا بالجزية، فجادلوهم بالسيف حتىٰ يُسْلِموا أو يُعطُوا الجزية.

﴿وَقُولُوٓاْ﴾ لمن قَبِلَ الإقرار بالجزية إذا أخبروكم بشيء مما في كتبهم: ﴿ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ﴾ ولا تصدقوهم ولا تكذبوهم في ذلك ﴿وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾: مطيعون.

٤٧ ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ﴾: القرآن كما أنزلنا إليهم التوراة وغيرها.

﴿فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾: التوراة كعبد الله بن سلام وغيره ﴿يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ﴾: بالقرآن.

﴿وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي: أهل مكة ﴿مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ بعد ظهورها ﴿إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ أي: كاليهود، وظهر لهم أن القرآن حقٌّ، والجائي به مُحِقٌّ، وجحدوا ذلك.

٤٨ ـ ﴿وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ﴾ أي: القرآن ﴿مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا﴾ أي: لو كنت قارئاً كاتباً ﴿لَّٱرۡتَابَ﴾: شكَّ ﴿ٱلۡمُبۡطِلُونَ﴾: اليهود فيك، وقالوا: الذي في التوراة أنه أميٌّ لا يقرأ ولا يكتب.

٤٩ ـ ﴿بَلۡ هُوَ﴾ أي: القرآن الذي جئت به ﴿ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ﴾ أي: المؤمنين يحفظونه.

﴿وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ أي: كاليهود، والمعنىٰ: إلا المتوغلون في الكفر الذين جحدوها بعد ظهورها لهم.

٥٠ ـ ﴿وَقَالُواْ﴾ أي: كفار مكة: ﴿لَوۡلَآ﴾: هلَّا ﴿أُنزِلَ عَلَيۡهِ﴾ أي: محمد ﴿ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ﴾ كناقة صالح، وعصا موسىٰ، ومائدة عيسىٰ.

﴿قُلۡ﴾ لهم: ﴿إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ ينزلها كيف يشاء.

﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ﴾: مظهر إنذاري بالنار أهلَ المعصية.

٥١ ـ ﴿أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ﴾ فيما طلبوا ﴿أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾: القرآن ﴿يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ فهو آيةٌ مستمرة لا انقضاء لها، بخلاف ما ذُكر من الآيات ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ الكتاب ﴿لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ﴾: عظة ﴿لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾.

٥٢ ـ ﴿قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ شَهِيدٗاۖ﴾ بصدقي ﴿يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾ ومنه حالي وحالكم ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ﴾: وهو ما يُعبد من دون الله ﴿وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالإيمان.

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾

٥٣ ـ ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ له ﴿لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ عاجلاً ﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بوقت إتيانه.

٥٤ ـ ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾ في الدنيا ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

٥٥ ـ ﴿يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ﴾ فيه أي: يقول الموكَّل بالعذاب: ﴿ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: جزاءه فلا تفوتوننا.

٥٦ ـ ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ﴾ في أيِّ أرض تيسَّرتْ فيها العبادة، بأن تُهاجروا إليها من أرض لم تتيسر فيها. نزل في ضعفاء مسلمي مكة كانوا في ضيق من إظهار الإسلام بها.

٥٧ ـ ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ بعد البعث.

٥٨ ـ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم﴾: نُنْزِلنَّهُم ﴿مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ﴾: مقدِّرين الخلود ﴿فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ هذا الأجر.

٥٩ ـ هم ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾ أي: علىٰ أذىٰ المشركين والهجرة لإظهار الدين ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ فيرزقهم من حيث لا يحتسبون.

٦٠ ـ ﴿وَكَأَيِّن﴾: كم ﴿مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾ لضعفها ﴿ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ أيها المهاجرون، وإن لم يكن معكم زادٌ ولا نفقة ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوالكم ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بضمائركم.

٦١ ـ ﴿وَلَئِن﴾، لام قسم ﴿سَأَلْتَهُم﴾ أي: الكفار.

﴿مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾: يُصرفون عن توحيده بعد إقرارهم بذلك؟

٦٢ ـ ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ﴾: يوسعه ﴿لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ امتحاناً ﴿وَيَقْدِرُ﴾: يُضيق ﴿لَهُۥٓ﴾ بعد البسط، أي: لمن يشاء ابتلاءً ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ ومنه محلُّ البسط والتضييق.

٦٣ ـ ﴿وَلَئِن﴾، لام قسم ﴿سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ فكيف يشركون به؟

﴿قُلِ﴾ لهم: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ علىٰ ثبوت الحجة عليكم ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ تناقضهم في ذلك.

وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾

سورة الروم — ترتيبها ٣٠ — آياتها ٦٠

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾

٦٤ ـ ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾، وأما القُرَب فمن أمور الآخرة لظهور ثمرتها فيها ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾، بمعنىٰ الحياة الدائمة التي لا موت فيها ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ ذلك ما آثروا الدنيا عليها.

٦٥ ـ ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ أي: الدعاء، أي: لا يدعون معه غيره، لأنهم في شدة لا يكشفها إلا هو ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ به.

٦٦ ـ ﴿لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ من النعمة ﴿وَلِيَتَمَتَّعُوا۟﴾ باجتماعهم علىٰ عبادة الأصنام ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبةَ ذلك.

٦٧ ـ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾: يعلموا ﴿أَنَّا جَعَلْنَا﴾ بلدهم مكة ﴿حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ قتلاً وسبياً دونهم ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ﴾: الصنم ﴿يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ بإشراكهم؟

٦٨ ـ ﴿وَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ بأن أشرك به ﴿أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ﴾: النبيّ أو الكتاب ﴿لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾: مأوًى ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: فيها ذلك، وهو منهم.

٦٩ ـ ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا﴾: في حقّنا ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ أي: طُرق السير إلينا ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: المؤمنين بالنصر والعون.

سورة الروم

مكية، وهي ستون أو تسع وخمسون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ ـ ﴿الٓمٓ﴾ الله أعلم بمراده بذلك.

٢ ـ ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ وهم أهل الكتاب، غلبتها فارس وليسوا أهلَ كتاب، بل يعبدون الأوثان، ففرح كفارُ مكة بذلك، وقالوا للمسلمين: نحن نغلبكم كما غلَبتْ فارسُ الرومَ.

٣ ـ ﴿فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: أقرب أرض الروم إلىٰ فارس بالجزيرة، التقىٰ فيها الجيشان، والبادئ بالغزو الفرس ﴿وَهُم﴾ أي: الروم ﴿مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ﴾، أضيف المصدر إلىٰ المفعول، أي: غلبةِ فارس إياهم ﴿سَيَغْلِبُونَ﴾ فارسَ. ٤ ـ ﴿فِى بِضْعِ سِنِينَ﴾: هو ما بين الثلاث إلىٰ التسع أو العشر، فالتقىٰ الجيشان في السنة السابعة من الالتقاء الأول، وغَلبت الرومُ فارسَ ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ أي: من قبل غَلَب الروم ومن بعده، المعنىٰ: أن غلبة فارس أولاً، وغلبة الروم ثانياً بأمر الله، أي: إرادته ﴿وَيَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم تَغلب الرومُ ﴿يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾. ٥ ـ ﴿بِنَصْرِ ٱللَّهِ﴾ إياهم علىٰ فارس، وقد فرحوا بذلك، وعلموا به يوم وقوعه يوم بدر بنزول جبريل بذلك فيه، مع فرحهم بنصرهم علىٰ المشركين فيه ﴿يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾: الغالب ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بالمؤمنين.

وَعْدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّىۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾

٦ ـ ﴿وَعْدَ ٱللَّهِۖ﴾، مصدر، بدل من اللفظ بفعله، والأصل: وعَدَهم اللهُ النصر ﴿لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ به ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وعده تعالىٰ بنصرهم.

٧ ـ ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: معايشها من التجارة والزراعة، والبناء والغرس، وغير ذلك ﴿وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾، إعادة (هم) تأكيد.

٨ ـ ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمۗ﴾ ليرجعوا عن غفلتهم.

﴿مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّىۗ﴾ لذلك تفنىٰ عند انتهائه، وبعده البعثُ.

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ﴾ أي: لا يؤمنون بالبعث بعد الموت.

٩ ـ ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ﴾ من الأمم، وهي إهلاكهم بتكذيبهم رسلَهم ﴿كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ كعاد وثمود.

﴿وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ﴾: حرثوها وقلبوها للزرع والغرس.

﴿وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِۖ﴾: بالحجج الظاهرات.

﴿فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ بإهلاكهم بغير جُرم ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بتكذيبهم رسلَهم.

١٠ ـ ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾، تأنيث الأسوأ: الأقبح، والمراد بها جهنم. وإساءتُهم ﴿أَن﴾ أي: بأن ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: القرآن ﴿وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

١١ ـ ﴿ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ﴾ أي: يُنشئُ خلق الناس ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ أي: خَلْقَهم بعد موتهم ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

١٢ ـ ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾: يسكتُ المشركون لانقطاع حُجتهم.

١٣ ـ ﴿وَلَمْ يَكُن﴾ أي: لا يكون ﴿لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ﴾ ممن أشركوهم بالله، وهم الأصنام ليشفعوا لهم ﴿شُفَعَٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟﴾ أي: يكونون ﴿بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ أي: مُتبرِّئين منهم.

١٤ ـ ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ﴾، تأكيد ﴿يَتَفَرَّقُونَ﴾ أي: المؤمنون والكافرون.

١٥ ـ ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ﴾: جنة ﴿يُحْبَرُونَ﴾: يُسرُّون.

وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلۡأٓخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ وَحِينَ تُصۡبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَعَشِيّٗا وَحِينَ تُظۡهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ وَكَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبۡتِغَآؤُكُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَيُحۡيِۦ بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٢٤﴾

١٦ ـ ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: القرآن ﴿وَلِقَآيِٕ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾: البعث وغيره ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ﴾.

١٧ ـ ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ أي: سبِّحوا الله، بمعنىٰ: صَلُّوا ﴿حِينَ تُمۡسُونَ﴾ أي: تدخلون في المساء، وفيه صلاتان: المغرب والعشاء ﴿وَحِينَ تُصۡبِحُونَ﴾: تدخلون في الصباح، وفيه صلاة الصبح.

١٨ ـ ﴿وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾، اعتراض، ومعناه: يَحمَدُه أهلُهما ﴿وَعَشِيّٗا﴾ عطف علىٰ (حين)، وفيه صلاة العصر ﴿وَحِينَ تُظۡهِرُونَ﴾: تدخلون في الظهيرة، وفيه صلاة الظهر.

١٩ ـ ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ﴾ كالإنسان من النطفة، والطائر من البيضة.

﴿وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ﴾: النطفة والبيضة ﴿مِنَ ٱلۡحَيِّ وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ﴾ بالنبات ﴿بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ﴾ أي: يَبْسها ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ الإخراج ﴿تُخۡرَجُونَ﴾ من القبور.

٢٠ ـ ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ تعالىٰ الدالة علىٰ قدرته ﴿أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ﴾ أي: أصلكم آدم ﴿ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ﴾ من دم ولحم ﴿تَنتَشِرُونَ﴾ في الأرض.

٢١ ـ ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا﴾ فخُلقت حواءُ من ضِلَعِ آدم، وسائر النساء من نطف الرجال والنساء ﴿لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا﴾ وتألفوها.

﴿وَجَعَلَ بَيۡنَكُم﴾ جميعاً ﴿مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في صنع الله تعالىٰ.

٢٢ ـ ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ﴾ أي: لغاتكم من عربية وعجمية وغيرها.

﴿وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ﴾ من بياض وسواد وغيرهما، وأنتم أولاد رجل واحد وامرأة واحدة.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ﴾: دلالات علىٰ قدرته تعالىٰ ﴿لِّلۡعَٰلِمِينَ﴾ أي: ذوي العقول، وأولي العلم.

٢٣ ـ ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ بإرادته راحةً لكم ﴿وَٱبۡتِغَآؤُكُم﴾ بالنهار ﴿مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ﴾ أي: تصرُّفكم في طلب المعيشة بإرادته.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ﴾ سماعَ تدبُّر واعتبار.

٢٤ ـ ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ﴾ أي: إراءتكم ﴿ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا﴾ للمسافر من الصواعق ﴿وَطَمَعٗا﴾ للمقيم في المطر ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَيُحۡيِۦ بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ﴾ أي: يَبْسها بأن تُنبت ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾: يتدبرون.

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾

نصف الحزب ٤١

٢٥ ـ ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦۚ﴾: بإرادته من غير عَمَد ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ بأن ينفخ إسرافيلُ في الصور للبعث من القبور ﴿إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ منها أحياءً، فخروجكم منها بدعوةٍ من آياته تعالىٰ.

٢٦ ـ ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ مُلكاً وخلقاً وعبيداً ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾: مطيعون.

٢٧ ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ﴾ للناس ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ بعد هلاكهم ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ من البدء، بالنظر إلىٰ ما عند المخاطبين من أنَّ إعادة الشيء أسهل من ابتدائه، وإلا فهما عند الله تعالىٰ سواء في السهولة ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: الصفة العليا، وهي أنه لا إلٰه إلا الله ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في خلقه.

٢٨ ـ ﴿ضَرَبَ﴾: جعل ﴿لَكُم﴾ أيها المشركون ﴿مَّثَلًا﴾ كائناً ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ وهو: ﴿هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم﴾ أي: من مماليككم ﴿مِّن شُرَكَآءَ﴾ لكم ﴿فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ من الأموال وغيرها ﴿فَأَنتُمْ﴾ وهم ﴿فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ أي: أمثالكم من الأحرار، والاستفهام بمعنىٰ النفي، المعنىٰ: ليس مماليكُكم شركاءَ لكم، إلىٰ آخره، عندكم، فكيف تجعلون بعض مماليك الله شركاءَ له؟ ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ﴾: نُبيِّنها مثل ذلك التفصيل ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: يتدبّرون.

٢٩ ـ ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾ بالإشراك ﴿أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ﴾ أي: لا هادي له ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾: مانعين من عذاب الله.

٣٠ ـ ﴿فَأَقِمْ﴾ يا محمد ﴿وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾: مائلاً إليه، أي: أخلص دينك لله أنت ومن تبعك ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ﴾: خِلقته ﴿ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ وهي دينه، أي: الزموها ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾: لدينه، أي: لا تُبدِّلوه بأن تشركوا ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾: المستقيم توحيد الله ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ توحيدَ الله.

٣١ ـ ﴿مُنِيبِينَ﴾: راجعين ﴿إِلَيْهِ﴾ تعالىٰ فيما أمر به ونهىٰ عنه. حال من فاعل (أقم) وما أريد به، أي: أقيموا ﴿وَٱتَّقُوهُ﴾: خافوه ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

٣٢ ـ ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ﴾، بدل بإعادة الجار ﴿فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ﴾ باختلافهم فيما يعبدونه ﴿وَكَانُوا۟ شِيَعًا﴾: فِرَقاً في ذلك ﴿كُلُّ حِزْبٍۭ﴾ منهم ﴿بِمَا لَدَيْهِمْ﴾: عندهم ﴿فَرِحُونَ﴾: مسرورون به.

وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾

٣٣ ـ ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ﴾: شدة ﴿دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ﴾: راجعين ﴿إِلَيْهِ﴾ دون غيره ﴿ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً﴾ بالمطر، والخلاص من الأزمات والشدائد، والنجاة من الكوارث، والرزق ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾.

٣٤ ـ ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ أُريد به التهديد ﴿فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عاقبةَ تمتعكم، فيه التفات عن الغيبة.

٣٥ ـ ﴿أَمْ﴾، بمعنىٰ همزة الإنكار ﴿أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا﴾: حجة وكتاباً ﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ﴾ تكلُّم دلالة ﴿بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾ أي: يأمرهم بالإشراك؟ لا.

٣٦ ـ ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً﴾: نعمة ﴿فَرِحُوا بِهَا﴾ فرح بطر ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾: شدة ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾: ييأسون من الرحمة، ومن شأن المؤمن أن يشكر عند النعمة، ويرجو ربه عند الشدة.

٣٧ ـ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾: يعلموا ﴿أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾: يوسعه ﴿لِمَن يَشَاءُ﴾ امتحاناً ﴿وَيَقْدِرُ﴾: يُضيقه لمن يشاء ابتلاءً ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ بها.

٣٨ ـ ﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ﴾: القرابة ﴿حَقَّهُ﴾ من البرِّ والصِّلَة ﴿وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾: المسافر من الصدقة، والأمر بإعطاء ذي القربىٰ والمسكين وابن السبيل موجه إلىٰ النبي ﷺ وإلىٰ أمته فهي تبع له في ذلك. ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾ أي: ثوابه بما يعملون ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾: الفائزون.

٣٩ ـ ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا﴾ بأن يعطيَ شيئاً ـ هبةً أو هدية ـ ليطلب أكثر منه ﴿لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ﴾ المُعْطَين، أي: يزيد ﴿فَلَا يَرْبُو﴾: يزكو ﴿عِندَ اللَّهِ﴾ أي: لا ثواب فيه للمُعْطِين، أي: وما آتيتم من مال تريدون تنميته وذلك بإهداء الموسرين كي يردوا إليكم هداياكم أضعافاً مضاعفة، فهذا جائز، ولكن لا ثواب عليه من الله ولا يكون سبباً لنماء أموالكم، وأما ما تقدمونه من زكاة ولا تريدون بها إلا وجه الله فهذا الذي يقبله الله ويضاعفه أضعافاً كثيرة ويثيبكم عليه. وقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الربا نوعان: رباً محرم وهو الربا المعروف، ورباً لا بأس به وهو هدية الرجل يريد أن تعود إليه أضعافاً. ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ﴾: صدقة ﴿تُرِيدُونَ﴾ بها ﴿وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ ثوابهم بما أرادوه، فيه التفات عن الخطاب.

٤٠ ـ ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم﴾ ممن أشركتم بالله ﴿مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ﴾؟ لا ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ به.

٤١ ـ ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ﴾ أي: القفار، بقحط المطر وقلة النبات ﴿وَالْبَحْرِ﴾ أي: البلاد التي علىٰ الأنهار بقلّة مائها ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ من المعاصي ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ أي: عقوبته ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: يتوبون.

قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِي ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾

٤٢ ـ ﴿قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ﴾ فأهلكوا بإشراكهم، ومساكنُهم ومنازلُهم خاوية.

٤٣ ـ ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ﴾: دين الإسلام ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾: هو يوم القيامة.

﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾، وأصلها: يتصدعون وفيه إدغام التاء في الصاد: يتفرقون بعد الحساب إلىٰ الجنة والنار.

٤٤ ـ ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾: وبال كفره، وهو النار ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾: يوطئون منازلهم في الجنة.

٤٥ ـ ﴿لِيَجْزِيَ﴾ متعلق بـ(يصَّدَّعون) ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾: يُثيبهم ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي: ومع هذا هو العادل فيهم، لا يجور أبداً فيثيب المؤمن ويعاقب الكافر.

٤٦ ـ ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ تعالىٰ ﴿أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ﴾ بمعنىٰ: لتبشركم بالمطر.

﴿وَلِيُذِيقَكُم﴾ بها ـ ﴿مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾ المطر والخِصْب ﴿وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ﴾: السفنُ بها ﴿بِأَمْرِهِۦ﴾: بإرادته.

﴿وَلِتَبْتَغُواْ﴾: تطلبوا ﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾ الرزق بالتجارة في البحر ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ هذه النعمَ فتُوحِّدونه.

٤٧ ـ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: بالحجج الواضحات علىٰ صدقهم في رسالتهم إليهم، فكذَّبوهم ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ﴾: أهلكنا الذين كذبوهم ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ علىٰ الكافرين بإهلاكهم وإنجاء المؤمنين.

٤٨ ـ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾: تُزعجه ﴿فَيَبْسُطُهُۥ فِي ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ من قلة وكثرة ﴿وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا﴾ بفتح السين: قطعاً متفرقة ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ﴾: المطر ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ أي: وسطه ﴿فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ﴾ بالوَدْق ﴿مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾: يفرحون بالمطر.

٤٩ ـ ﴿وَإِن﴾: وقد ﴿كَانُواْ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ﴾، تأكيد، ﴿لَمُبْلِسِينَ﴾: آيسين من إنزاله.

٥٠ ـ ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ﴾ أي: نعمته بالمطر ﴿كَيْفَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ أي: يَبْسها بأن تُنبت ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ المُحيي الأرض ﴿لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أَنتَ بِهَٰدِ الْعُمْيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ ۞ اللَّهُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۖ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا الْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٤١

٥١ ـ ﴿وَلَئِنْ﴾، لام قسم ﴿أَرْسَلْنَا رِيحًا﴾ مُضِرَّة علىٰ نبات ﴿فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا﴾: صاروا، جواب القسم ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي: بعد اصفراره ﴿يَكْفُرُونَ﴾: يجحدون النعمة بالمطر.

٥٢ ـ ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾.

٥٣ ـ ﴿وَمَا أَنتَ بِهَٰدِ الْعُمْيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن﴾: ما ﴿تُسْمِعُ﴾ سماعَ إفهام وقبول ﴿إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: القرآن ﴿فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾: مخلصون بتوحيد الله.

٥٤ ـ ﴿اللَّهُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾: ماء مَهين ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ﴾ آخر، وهو ضعف الطفولية ﴿قُوَّةً﴾ أي: قوة الشباب ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾: ضعفَ الكِبَر، وشيبَ الهَرَم ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ من الضعف والقوة، والشباب والشيبة ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ﴾ بتدبير خلقه ﴿الْقَدِيرُ﴾ علىٰ ما يشاء.

٥٥ ـ ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ﴾: يحلف ﴿الْمُجْرِمُونَ﴾: الكافرون ﴿مَا لَبِثُوا﴾ في القبور ﴿غَيْرَ سَاعَةٍ﴾.

قال تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾: يُصرفون عن الحق: البعث، كما صرفوا عن الحق: الصدق في مدة اللَّبْث.

٥٦ ـ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَٰنَ﴾ من الملائكة وغيرهم: ﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ اللَّهِ﴾: فيما كتبه في سابق علمه ﴿إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ الْبَعْثِ﴾ الذي أنكرتموه ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ وقوعَه.

٥٧ ـ ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ﴾ في إنكارهم له ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾: لا يُطلب منهم العُتبىٰ، أي: الرجوع إلىٰ ما يرضي الله.

٥٨ ـ ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا﴾: جعلنا ﴿لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا الْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ تنبيهاً لهم ﴿وَلَئِن﴾، لام قسم ﴿جِئْتَهُم﴾ يا محمد ﴿بِـَٔايَةٍ﴾ مثل العصا واليد لموسىٰ ﴿لَّيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ منهم ﴿إِنْ﴾: ما ﴿أَنتُمْ﴾ أي: محمد وأصحابه ﴿إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾: أصحاب أباطيل.

٥٩ ـ ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ التوحيدَ كما طبع علىٰ قلوب هؤلاء.

٦٠ ـ ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بنصرك عليهم ﴿حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ بالبعث، أي: لا يَحملنَّك علىٰ الخِفَّة والطيش بترك الصبر، أي: لا تتركنَّه.

سُورَةُ لُقْمَانَ

مكية إلا (وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ)... الآيتين، فمدنيتان، وهي أربع وثلاثون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ ـ ﴿الٓمٓ﴾ الله أعلم بمراده به.

٢ ـ ﴿تِلْكَ﴾ أي: هذه الآيات ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾: القرآن ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾: ذي الحكمة، والإضافة بمعنىٰ من.

٣ ـ ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ﴾، بالنصب حالاً من (الآيات) العامل فيها ما في (تلك) من معنىٰ الإشارة.

٤ ـ ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، بيان لـ(المحسنين) ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾، (هم) الثاني تأكيد.

٥ ـ ﴿أُولَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: الفائزون.

٦ ـ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ أي: ما يلهي منه عما ينفع المسلم في الآخرة من الطاعات ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: طريق الإسلام ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا﴾، بالنصب عطفاً علىٰ (يضل) ﴿هُزُوًا﴾: مهزوءاً بها ﴿أُولَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾: ذو إهانة.

٧ ـ ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا﴾ أي: القرآن ﴿وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا﴾: مُتكبراً ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾: صَمَماً، وجملتا التشبيه حالان من ضمير (ولّىٰ)، أو الجملة الثانية وهي (كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا) بيان للجملة الأولىٰ ﴿فَبَشِّرْهُ﴾: أعلِمْه ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: مؤلم، وذِكرُ البشارة تهكُّم به، وهو النضر بنُ الحارث، كان يأتي الحيرة يتّجر، فيشتري كتب أخبار الأعاجم ويحدث بها أهل مكة ويقول: إن محمداً يُحدِّثكم أحاديث عاد وثمود، وأنا أُحدِّثُكم أحاديث فارس والروم، فيستملحون حديثه، ويتركون استماع القرآن.

٨ ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ﴾.

٩ ـ ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا﴾ أي: وعَدهم اللهُ ذلك وعداً وحقَّه حقّاً ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾: الذي لا يغلبه شيء، فيمنعه من إنجاز وعده ووعيده ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: الذي لا يضع شيئاً إلا في محله.

١٠ ـ ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ أي: العَمَد، جمع عِماد، وهو الأسطوانة، وهو صادق بأن لا عَمَدَ أصلاً ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ﴾: جبالاً مرتفعة لـ﴿أَن﴾ لا ﴿تَمِيدَ﴾: تتحرك ﴿بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَأَنزَلْنَا﴾، فيه التفات عن الغيبة ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾: صنف حسن.

١١ ـ ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ﴾ أي: مخلوقُه ﴿فَأَرُونِى﴾: أخبروني ﴿مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ غيره؟ أي: آلهتكم حتىٰ أشركتموها به تعالىٰ و(ما) اسم استفهام في محل رفع مبتدأ. و(ذا) اسم موصول بمعنىٰ (الذي) خبره. والاستفهام إنكاري. و(أروني) معلّق عن العمل، وما بعده سد مسدَّ المفعولين ﴿بَلِ﴾ للانتقال ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾: بيِّنٍ بإشراكهم.

سُورَةُ لُقْمَانَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾

١٢ ـ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ منها العلم، والديانة، والإصابة في القول، وحِكَمُه كثيرة مأثورة، كان يُفتي قبل بعثة داود، وأدرك بعثته، وأخذ عنه العلم وترك الفتيا، وقال في ذلك: ألا أكتفي إذا كُفيت؟ وقيل له: أيُّ الناس شرٌّ؟ قال: الذي لا يبالي إن رآه الناس مُسيئاً ﴿أَنِ﴾ أي: وقلنا له: أن ﴿ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾ علىٰ ما أعطاك من الحكمة ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ لأن ثواب شكره له ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ النعمة ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ﴾ عن خلقه ﴿حَمِيدٌ﴾: محمود في صنعه.

١٣ ـ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ﴾، تصغير إشفاق ﴿لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ﴾ بالله ﴿لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ فرجع إليه وأسلم.

١٤ ـ الآيتان (١٤ و١٥) من قوله: (وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ) إلىٰ قوله سبحانه: (فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) اعتراض بين قول لقمان: (يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ..) الآية إلىٰ قوله: (يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ..) الآية، وهذا الاعتراض من كلام الله سبحانه ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾: أمرناه أن يبَرَّهما ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ﴾ فوهنت ﴿وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ أي: ضَعُفتْ للحمل، وضَعُفتْ للطلق، وضَعُفَتْ للولادة ﴿وَفِصَٰلُهُۥ﴾ أي: فطامه ﴿فِى عَامَيْنِ﴾ وقلنا له: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ أي: المرجع.

١٥ ـ ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ أي: بالمعروف البرِّ والصلة ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ﴾: طريق ﴿مَنْ أَنَابَ﴾: رجع ﴿إِلَىَّ﴾ بالطاعة ﴿ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فأجازيكم عليه، وجملة الوصية وما بعدها اعتراض كما قلنا.

١٦ ـ ﴿يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ﴾ أي: الخصلة السيئة ﴿إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: في أخفىٰ مكان من ذلك ﴿يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ﴾ فيحاسِبُ عليها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ﴾ باستخراجها ﴿خَبِيرٌ﴾ بمكانها.

١٧ ـ ﴿يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾ بسبب الأمر والنهي ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ أي: معزوماتها التي يعزم عليها لوجوبها.

١٨ ـ ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾: لا تُمل وجهك عنهم تكبُّراً ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ أي: خُيلاء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾: متبختر في مشيه ﴿فَخُورٍ﴾ علىٰ الناس.

١٩ ـ ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ﴾: توسَّطْ فيه بين الدبيب والإسراع، وعليك السكينةُ والوقارُ ﴿وَٱغْضُضْ﴾: اخفض ﴿مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ﴾: أقبحها ﴿لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ أوله زفير وآخره شهيق.

أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۚ أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾

الحزب ٤٢

٢٠ - ﴿أَلَمْ تَرَوْا﴾: تعلموا ﴿أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ﴾ من الشمس والقمر والنجوم لتنتفعوا بها ﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ من الثمار والأنهار والدواب ﴿وَأَسْبَغَ﴾: أوسعَ وأتمَّ ﴿عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً﴾: وهي حسنُ الصورة، وتسويةُ الأعضاء وغير ذلك ﴿وَبَاطِنَةً﴾: هي المعرفة وغيرها ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى﴾ من رسول ﴿وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ أنزله الله، بل بالتقليد.

٢١ - ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ قال تعالىٰ: ﴿أ﴾يتَّبِعُونه ﴿وَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ أي: موجباته، لا.

٢٢ - ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ﴾: أي: يُقبل علىٰ طاعته ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾: مُوحِّد ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾: بالطرف الأوثق الذي لا يخاف انقطاعه ﴿وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾: مرجعها.

٢٣ - ﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ﴾ يا محمد ﴿كُفْرُهُ﴾: لا تهتمَّ بكفره ﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أي: بما فيها كغيره فمُجازٍ عليه.

٢٤ - ﴿نُمَتِّعُهُمْ﴾ في الدنيا ﴿قَلِيلًا﴾ أيام حياتهم ﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ﴾ في الآخرة ﴿إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾: وهو عذاب النار لا يجدون عنه محيصاً.

٢٥ - ﴿وَلَئِن﴾، لام قسم ﴿سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾، حُذف منه نون الرفع لتوالي الأمثال، وواو الضمير لالتقاء الساكنين ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ علىٰ ظهور الحجة عليهم بالتوحيد ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وجوبَه عليهم.

٢٦ - ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مُلكاً وخلقاً وعبيداً، فلا يستحق العبادة فيهما غيرُه ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عن خلقه ﴿الْحَمِيدُ﴾: المحمود في صنعه.

٢٧ - ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ مداداً ﴿مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ بكتبها بتلك الأقلام بذلك المداد، ولا بأكثر من ذلك لأن كلماته سبحانه كثيرة ومعلوماته تعالىٰ غير متناهية ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾: لا يُعجزه شيء ﴿حَكِيمٌ﴾: لا يخرج شيءٌ عن علمه وحكمته.

٢٨ - ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ خلقاً وبعثاً، لأنه بكلمة: (كن) فيكون﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾: يسمع كل مسموع ﴿بَصِيرٌ﴾: يُبصر كلَّ مبصر، لا يشغله شيء عن شيء.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾

سُورَةُ السَّجْدَةِ

٢٩ ـ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: تعلم ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ﴾: يُدخل ﴿ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ﴾: يُدخله ﴿فِى ٱلَّيْلِ﴾ فيزيد كلٌّ منهما بما نقص من الآخر.

﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ﴾ منهما ﴿يَجْرِىٓ﴾ في فلكه ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: هو يوم القيامة ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

٣٠ ـ ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾: الثابت.

﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ﴾: يعبدون ﴿مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ﴾: الزائل.

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ﴾ علىٰ خلقه بالقهر ﴿ٱلْكَبِيرُ﴾: العظيم.

٣١ ـ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ﴾: السفن ﴿تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ﴾: عبراً ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ عن معاصي الله ﴿شَكُورٍ﴾ لنعمته.

٣٢ ـ ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم﴾ أي: علا الكفار ﴿مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ﴾: كالجبال التي تُظل مَن تحتها ﴿دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ أي: الدعاء بأن ينجيهم، أي: لا يدعون معه غيره.

﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾: متوسط بين الكفر والإيمان، ومنهم باقٍ علىٰ كفره.

﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ ومنها الإنجاء من الموج ﴿إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ﴾: غدّار ﴿كَفُورٍ﴾ لِنعَم اللهِ تعالىٰ.

٣٣ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى﴾: يُغني ﴿وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ﴾ فيه شيئاً.

﴿وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ﴾ فيه ﴿شَيْـًٔا إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ بالبعث.

﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ عن الإسلام ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ﴾ في حلمه وإمهاله ﴿ٱلْغَرُورُ﴾: الشيطان.

٣٤ ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ متىٰ تقوم ﴿وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ بوقت يعلمه.

﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾ أذكرٌ أم أنثىٰ، ولا يعلم واحداً من الثلاثة غيرُ الله تعالىٰ.

﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ من خير أو شر، ويعلمه الله تعالىٰ.

﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ ويعلمه الله تعالىٰ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بكل شيء ﴿خَبِيرٌۢ﴾ بباطنه كظاهره.

روىٰ البخاري (٤٦٢٧) عن ابن عمر حديث: «مفاتح الغيب خمسة: إن الله عنده علم الساعة...» إلىٰ آخر السورة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ الْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَٰدَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَٰرَ وَالْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ وَقَالُوا أَءِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾

ربع الحزب ٤٢

سُورَةُ السَّجْدَةِ

مكية، ثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١ ـ ﴿الٓمٓ﴾ الله أعلم بمراده به.

٢ ـ ﴿تَنزِيلُ الْكِتَٰبِ﴾: القرآن، مبتدأ ﴿لَا رَيْبَ﴾: شك ﴿فِيهِ﴾، خبر أول ﴿مِن رَّبِّ الْعَٰلَمِينَ﴾، خبر ثانٍ.

٣ ـ ﴿أَمْ﴾: بل ﴿يَقُولُونَ افْتَرَىٰهُ﴾ محمد؟ لا ﴿بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ﴾ به ﴿قَوْمًا مَّا﴾، نافية ﴿أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ بإنذارك.

٤ ـ ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أولها الأحد وآخرها الجمعة ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ استواءً يليق به ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ﴾ أي: غيره ﴿مِن وَلِيٍّ﴾، اسم (ما) بزيادة (من) أي: ناصر ﴿وَلَا شَفِيعٍ﴾ يدفع عذابه عنكم ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ هذا فتؤمنون؟

٥ ـ ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ مدة الدنيا ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ﴾: يرجع الأمر والتدبير ﴿إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ في الدنيا، وفي سورة (سأل): (خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ) وهو يوم القيامة لشدة أهواله بالنسبة إلىٰ الكافر، وأما المؤمن فيكون أخفَّ عليه من صلاة مكتوبة يُصليها في الدنيا كما جاء في الحديث.

٦ ـ ﴿ذَٰلِكَ﴾ الخالق المدبر ﴿عَٰلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَٰدَةِ﴾ أي: ما غاب عن الخلق وما حضر ﴿الْعَزِيزُ﴾: المنيع في ملكه ﴿الرَّحِيمُ﴾ بأهل طاعته.

٧ ـ ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ﴾، بفتح اللام فعلاً ماضياً صفة ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَٰنِ﴾: آدم ﴿مِن طِينٍ﴾.

٨ ـ ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ﴾: ذريته ﴿مِن سُلَٰلَةٍ﴾: علقة ﴿مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾: ضعيف، هو النطفة.

٩ ـ ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ﴾ أي: خلق آدم ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾ أي: جعله حيّاً حساساً بعد أن كان جماداً ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ﴾ أي: لذريته ﴿السَّمْعَ﴾، بمعنىٰ الأسماع ﴿وَالْأَبْصَٰرَ وَالْأَفْـِٔدَةَ﴾: القلوب ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ (ما) زائدة مؤكدة للقلة.

١٠ ـ ﴿وَقَالُوا﴾ أي: منكرو البعث: ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾: غِبْنا فيها بأن صرنا تراباً مُختلطاً بترابها ﴿أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾؟ استفهام إنكار، قال تعالىٰ: ﴿بَلْ هُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾: بالبعث ﴿كَٰفِرُونَ﴾.

١١ ـ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ أي: بقبض أرواحكم ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ أحياءً، فيجازيكم بأعمالكم.

وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾

سجدة

١٢ ـ ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾: الكافرون ﴿نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾: مُطأطؤوها حياءً يقولون: ﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا﴾ ما أنكرنا من البعث ﴿وَسَمِعْنَا﴾ منك تصديق الرسل فيما كذبناهم فيه ﴿فَٱرْجِعْنَا﴾ إلىٰ الدنيا ﴿نَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ فيها ﴿إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ الآن.

فما ينفعهم ذلك ولا يُرجَعون، وجواب لو: لرأيت أمراً فظيعاً.

١٣ ـ قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾ فتهتدي بالإيمان والطاعة باختيار منها.

﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى﴾ وهو: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ﴾: الجن ﴿وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾.

١٤ ـ وتقول لهم الخزنةُ إذا دخلوها: ﴿فَذُوقُوا۟﴾ العذاب ﴿بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ﴾ أي: بترككم الإيمان به ﴿إِنَّا نَسِينَٰكُمْ﴾: تركناكم في العذاب.

﴿وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ﴾: الدائم ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من الكفر والتكذيب.

١٥ ـ ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: القرآن ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟﴾: وُعظوا ﴿بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟﴾ متلبِّسين ﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ أي: قالوا: سبحان الله وبحمده ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن الإيمان والطاعة.

١٦ ـ ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ﴾: ترتفع ﴿عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾: مواضع الاضطجاع بفُرُشها لصلاتهم بالليل تهجداً ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا﴾ من عقابه ﴿وَطَمَعًا﴾ في رحمته ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾: يتصدقون.

١٧ ـ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ﴾: خُبِّئَ ﴿لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾: ما تَقَرُّ به أعينُهم ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

١٨ ـ ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ﴾ أي: المؤمنون والفاسقون.

١٩ ـ ﴿أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا﴾: هو ما يُعَدُّ للضيف ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

٢٠ ـ ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟﴾ بالكفر والتكذيب ﴿فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾.

وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَـٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَـٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَـٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَـٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾

سُورَةُ الأَحْزَابِ (مدنية ٣٣ — آياتها ٧٣)

٢١ ـ ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ﴾: عذاب الدنيا بالقتل والأسر، والجَدْب سنين، والأمراض ﴿دُونَ﴾: قبل ﴿ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾: عذاب الآخرة ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ أي: من بقي منهم ﴿يَرْجِعُونَ﴾ إلىٰ الإيمان.

٢٢ ـ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ﴾: القرآن ﴿ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ﴾ أي: لا أحد أظلم منه.

﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ أي: المشركين ﴿مُنتَقِمُونَ﴾.

٢٣ ـ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ﴾: التوراة ﴿فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ﴾: شكٍّ ﴿مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾ وقد التقيا ليلة الإسراء ﴿وَجَعَلْنَـٰهُ﴾ أي: موسىٰ، أو الكتاب ﴿هُدًى﴾: هادياً ﴿لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾.

٢٤ ـ ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً﴾: قادة ﴿يَهْدُونَ﴾ الناسَ ﴿بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟﴾ علىٰ دينهم وعلىٰ البلاء من عدوهم.

﴿وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ الدالة علىٰ قدرتنا ووحدانيتنا ﴿يُوقِنُونَ﴾.

٢٥ ـ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من أمر الدين.

٢٦ ـ ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم﴾ أي: يتبين لكفار مكة أهلاكُنا كثيراً ﴿مِّنَ ٱلْقُرُونِ﴾: الأمم بكفرهم.

﴿يَمْشُونَ﴾ حال من ضمير (لهم) ﴿فِى مَسَـٰكِنِهِمْ﴾ في أسفارهم إلىٰ الشام وغيرها فيعتبروا؟

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ﴾: دلالات علىٰ قدرتنا ﴿أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ سماعَ تدبّر واتّعاظ؟

٢٧ ـ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ﴾: اليابسة التي لا نبات فيها ﴿فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَـٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ هذا، فيعلمون أنّا نقدر علىٰ إعادتهم؟

٢٨ ـ ﴿وَيَقُولُونَ﴾ للمؤمنين: ﴿مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْفَتْحُ﴾ بيننا وبينكم ﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾.

٢٩ ـ ﴿قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ﴾ بإنزال العذاب بهم.

﴿لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَـٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾: يُمهلون لتوبة أو معذرة.

٣٠ ـ ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ﴾ إنزالَ العذاب بهم ﴿إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾ بك حادثَ موتٍ، أو قتلٍ، فيستريحون منك، وهذا قبل الأمر بقتالهم.

وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِّيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا ۚ وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿١٥﴾

٧ ـ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾ حين أُخرجوا من صلب آدم كالذَّرِّ، جمع ذَرَّة، وهي أصغر النمل ﴿وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ بأن يعبدوا الله ويدعوا إلىٰ عبادته، وذِكرُ الخمسة من عطف الخاص علىٰ العام ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾: شديداً بالوفاء بما حملوه، وهو اليمين بالله تعالىٰ.

٨ ـ ثمَّ أخذ الميثاق ﴿لِّيَسْأَلَ﴾ الله ﴿الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ﴾ في تبليغ الرسالة تبكيتاً للكافرين بهم ﴿وَأَعَدَّ﴾ تعالىٰ ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ بهم ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾: مؤلماً، هو عطف علىٰ (أخذنا).

٩ ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾ من الكفار متحزّبون أيام حفر الخندق ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ من الملائكة ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من حفر الخندق، ﴿بَصِيرًا﴾.

١٠ ـ ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾: من أعلىٰ الوادي وأسفله، من المشرق والمغرب ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ﴾: مالت عن كل شيء إلىٰ عدوّها من كل جانب ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾، جمع حنجرة، وهي منتهىٰ الحلقوم، من شدة الخوف ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ المختلفة بالنصر واليأس.

١١ ـ ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ﴾: أُختُبروا ليتبيّن المُخلِص من غيره ﴿وَزُلْزِلُوا﴾: حُرِّكوا ﴿زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ من شدة الفزع.

١٢ ـ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: ضعف اعتقاد ﴿مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ بالنصر ﴿إِلَّا غُرُورًا﴾: باطلاً.

١٣ ـ ﴿وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ أي: المنافقين: ﴿يَا أَهْلَ يَثْرِبَ﴾ هي أرض المدينة، ولم تصرف للعلمية ووزن الفعل ﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ أي: لا إقامة ولا مكانة ﴿فَارْجِعُوا﴾ إلىٰ منازلكم من المدينة، وكانوا خرجوا مع النبي ﷺ إلىٰ سَلْع ـ جبل خارج المدينة ـ للقتال ﴿وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ﴾ في الرجوع ﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾: غير حصينة يُخشَىٰ عليها، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن﴾: ما ﴿يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ من القتال.

١٤ ـ ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ﴾ أي: المدينة ﴿عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾: نواحيها ﴿ثُمَّ سُئِلُوا﴾ أي: سألهم الداخلون ﴿الْفِتْنَةَ﴾: الشرك ﴿لَآتَوْهَا﴾ أي: أعطوها وفعلوها ﴿وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا﴾.

١٥ ـ ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾ عن الوفاء به.

قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾

١٦ ـ ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا﴾: إن فررتم ﴿لَّا تُمَتَّعُونَ﴾ في الدنيا بعد فراركم ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾: بقية آجالكم.

١٧ ـ ﴿قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم﴾: يُجيركم ﴿مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا﴾: هلاكاً وهزيمة.

﴿أَوْ﴾ يصيبكم بسوء إن ﴿أَرَادَ﴾ الله ﴿بِكُمْ رَحْمَةً﴾: خيراً.

﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿وَلِيًّا﴾ ينفعهم ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ يدفع الضرَّ عنهم.

١٨ ـ ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ﴾: المثبِّطين ﴿مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ﴾: تعالوا ﴿إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ﴾: القتال ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾: رياءً وسمعة.

١٩ ـ ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ بالمعاونة، جمع شحيح، وهو حال من ضمير يأتون.

﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى﴾ أي: تدور أعينهم كدوران عين الذي ﴿يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ أي: سكراته ﴿فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ﴾ وحيزت الغنائم ﴿سَلَقُوكُم﴾: آذوكم، أو ضربوكم ﴿بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ﴾ أي: الغنيمة يطلبونها.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟﴾ حقيقةً ﴿فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ﴾ الإحباط ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ بإرادته.

٢٠ ـ ﴿يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ﴾ من الكفار ﴿لَمْ يَذْهَبُوا۟﴾ إلىٰ مكة لخوفهم منهم.

﴿وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ﴾ كرَّة أخرىٰ ﴿يَوَدُّوا۟﴾: يتمنَّوا ﴿لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ﴾ أي: كائنون في البادية ﴿يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ﴾: أخباركم مع الكفار.

﴿وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم﴾ هذه الكرَّة ﴿مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا﴾: رياءً وخوفاً من التعيير.

٢١ ـ ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾: اقتداءٌ به في القتال والثبات في مواطنه ﴿لِّمَن﴾، بدل من (لكم) ﴿كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ﴾: يخافه ﴿وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ بخلاف من ليس كذلك.

٢٢ ـ ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ﴾ من الكفار ﴿قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ من الابتلاء والنصر.

﴿وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ في الوعد ﴿وَمَا زَادَهُمْ﴾ ذلك ﴿إِلَّآ إِيمَٰنًا﴾: تصديقاً بوعد الله ﴿وَتَسْلِيمًا﴾ لأمره.

مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَـٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَـٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَـٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾

٢٣ ـ ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ من الثبات مع النبيِّ ﷺ.

﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾: مات أو قُتل في سبيل الله.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ ذلك ﴿وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ في العهد، وهم بخلاف حال المنافقين.

٢٤ ـ ﴿لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِن شَآءَ﴾ بأن يميتهم على نفاقهم ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا﴾ لمن تاب ﴿رَّحِيمًا﴾ به.

٢٥ ـ ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: الأحزاب ﴿بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا﴾: مرادهم من الظفر بالمؤمنين.

﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾ بالريح والملائكة ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا﴾ على إيجاد ما يريده ﴿عَزِيزًا﴾: غالباً على أمره.

٢٦ ـ ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَـٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ أي: قريظة ﴿مِن صَيَاصِيهِمْ﴾: حصونهم، جمع صِيصِيَة، وهو ما يُتحصن به.

﴿وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾: الخوف ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ منهم، وهم المقاتلة ﴿وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ منهم، أي: الذراري.

٢٧ ـ ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَـٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا﴾ بعدُ، وهي خيبر أُخذت بعد قريظة ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾.

٢٨ ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾ وهن تسع، وطلبن منه من زينة الدنيا ما ليس عنده.

﴿إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ﴾ أي: متعة الطلاق ﴿وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾: أطلقكن من غير ضرار.

٢٩ ـ ﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾ أي: الجنة ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنكُنَّ﴾ بإرادة الآخرة ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ أي: الجنة، فاختَرْنَ الآخرة على الدنيا.

٣٠ ـ ﴿يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ أي: هي بيّنة.

﴿يُضَـٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾: ضِعفَيْ عذاب غيرهن، أي: مِثْلَيه ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾.

۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾

٣١ - ﴿وَمَن يَقْنُتْ﴾: يُطع ﴿مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾ أي: مِثْلَي ثواب غيرهن من النساء ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ في الجنة زيادة.

٣٢ - ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ﴾ أي: لستنّ كجماعة واحدة من جماعات النساء، ولا توجد جماعة واحدة تساويكن في الفضل والسابقة لأنكنّ أعظم ﴿مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ﴾ الله، فإنكن أعظم ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ﴾ للرجال ﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾: نفاق أو فجور ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ من غير خضوع.

٣٣ - ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ﴾ من القرار، وأصله، اقررن، من قررت، بفتح الراء، نقلت حركة الراء إلىٰ القاف وحذفت مع همزة الوصل.

﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ﴾، بترك إحدىٰ التائين من أصله ﴿تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ أي: ما قبل الإسلام من إظهار النساء محاسنهن للرجال.

والإظهار بعد الإسلام مذكور في آية: (وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا).

﴿وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ﴾: الإثم يا ﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ أي: نساء النبي ﷺ ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ﴾ منه ﴿تَطْهِيرًا﴾.

٣٤ - ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: القرآن ﴿وَٱلْحِكْمَةِ﴾: السنّة.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا﴾ بأوليائه ﴿خَبِيرًا﴾ بجميع خلقه.

٣٥ - ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ﴾: المطيعات ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ﴾ في الإيمان ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ﴾ علىٰ الطاعات ﴿وَٱلْخَٰشِعِينَ﴾: المتواضعين.

﴿وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ﴾ عن الحرام.

﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً﴾ للمعاصي ﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ علىٰ الطاعات.

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّۦنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾

٣٦ - ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ أي: الاختيار ﴿مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ خلاف أمر الله ورسوله، نزلت في عبد الله بن جحش وأخته زينب خطبها النبي ﷺ وعنىٰ لزيد بن حارثة، فكرها ذلك حين علما، لظنهما قبلُ أن النبي ﷺ خطبها لنفسه، ثم رضيا للآية ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾: بيّناً، فزوجها النبي ﷺ لزيد بن حارثة الذي كان يدعىٰ (زيد بن محمد)، وزيد عربيّ حرّ وقد عدا عليه العادون فاختطفوه واسترقوه وباعوه في سوق عكاظ، فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، فلما تزوجها رسول الله ﷺ وهبته له. وجاء أبوه إلىٰ مكة يطلب ولده ويعرض استعداده لدفع الفداء، فخيّر رسول الله زيداً، فاختار سيدنا رسول الله، فلما رأىٰ ذلك رسول الله أخرج زيداً إلىٰ الحجر فأعتقه وقال: «اشهدوا أن زيداً ابني أرثه ويرثني» علىٰ عادة العرب في ذلك الزمن، وقد أكرم رسول الله ﷺ زيداً مدة بقائه معه، وزوّجه بنت عمته زينب بنت جحش، ويبدو أنّ الحياة الزوجية بينهما لم تستقم، فجاء زيد إلىٰ رسول الله فقال: يا رسول الله، إن زينب اشتدّ علي لسانها، وأنا أريد أن أطلقها. فقال رسول الله ﷺ: «اتقِ الله وأمسك عليك زوجك». وقد أخبر الله سبحانه رسوله ﷺ بأن نظام التبني القائم في حياة العرب سيلغىٰ ويبطل، وسيكون إبطاله عملياً، وذلك بأن يتزوج النبي زوجة زيد بعد انتهاء عدتها من الطلاق، ولكن الرسول الحريص علىٰ المسلمين خَشِيَ أن يواجِهِ الناس بذلك فيكون منهم نفور، فلم يُعْلِن ذلك وأخفاهُ في نفسه ولم يُخْبر به زيداً ولا غيره، يخشىٰ قالة الناس: (تزوج محمد امرأة ابنه) قال تعالىٰ: ٣٧ - ﴿وَإِذْ﴾، منصوب بـ(اذكر) ﴿تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ بالإسلام ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ بالإعتاق، وهو زيد بن حارثة: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ في أمر طلاقها ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ من أمر إبطال التَّبَنِّي بأن تتزوج زوجة متبناك بعد طلاقها ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ﴾ أن يقولوا: تزوج زوجة ابنه ﴿وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ في كل شيء، وتزوَّجها، ولا عليك من قول الناس، ثم طلَّقها زيد وانقضت عدتها، قال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا﴾: حاجة ﴿زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ فدخل عليها النبي ﷺ بغير إذن، وأشبع المسلمين خبزاً ولحماً ﴿لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾: مقضيُّه ﴿مَفْعُولًا﴾. ٣٨ - ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ﴾: أحل ﴿ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ أي: كسنة الله فنُصب بنزع الخافض ﴿فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ﴾ من الأنبياء أن لا حرج عليهم في ذلك توسعة لهم في النكاح ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾: فعلُه ﴿قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾: مقضيّاً. ٣٩ - ﴿ٱلَّذِينَ﴾ نعت لـ(الذين) قبله ﴿يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾ فلا يَخْشَوْنَ مقالة الناس فيما أحلّ الله لهم ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾: حافظاً لأعمال خلقه ومحاسبتهم. ٤٠ - ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ فليس أبا زيد، أي: والده، فلا يحرم عليه التزوج بزوجته زينب ﴿وَلَٰكِن﴾ كان ﴿رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ كآلة الختم، أي: به خُتموا ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ منه بأن لا نبيَّ بعده، وإذا نزل السيد

تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَـٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّـٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّـٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَـٰلَـٰتِكَ ٱلَّـٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾

عيسىٰ، يحكم بشريعته. ٤١ ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾. ٤٢ ـ ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾: أول النهار وآخره. ٤٣ ـ ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ﴾ أي: يرحمكم ﴿وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ﴾ أي: يستغفرون لكم ﴿لِيُخْرِجَكُم﴾: ليديم إخراجه إياكم ﴿مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ﴾ أي: الكفر ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾ أي: الإيمان ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾.

٤٤ ـ ﴿تَحِيَّتُهُمْ﴾ منه تعالىٰ ﴿يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَـٰمٌ﴾ بلسان الملائكة.

﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾: هو الجنة.

٤٥ ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا﴾ علىٰ من أرسلت إليهم ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ من صدَّقك بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾: منذراً من كذَّبك بالنار.

٤٦ ـ ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ﴾: إلىٰ طاعته ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾: بأمره ﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ أي: مثله في الاهتداء به.

٤٧ ـ ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾: هو الجنة.

٤٨ ـ ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ﴾ فيما يخالف شريعتك ﴿وَدَعْ﴾: اترك ﴿أَذَىٰهُمْ﴾: لا تُجازهم عليه إلىٰ أن تؤمر فيهم بأمر ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ فهو كافيك ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾: مفوّضاً إليه.

٤٩ ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ أي: تجامعوهن ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾: تُحصونها بالأقراء وغيرها ﴿فَمَتِّعُوهُنَّ﴾: أعطوهن ما يستمتعن به، أي: إن لم يُسمَّ لهن أصدقة، وإلا، فلهن نصف المسمىٰ فقط، قاله ابن عباس وعليه الشافعي ﴿وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾: خلوا سبيلهن من غير إضرار.

٥٠ ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّـٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾: مهورهن.

﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ﴾ من الكفار بالسبي، كصفية وجويرية.

﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّـٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَـٰلَـٰتِكَ ٱلَّـٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ بخلاف من لم يهاجرن.

﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا﴾: يطلب نكاحها بغير صداق ﴿خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ النكاحُ بلفظ الهبة من غير صداق.

﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: المؤمنين ﴿فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ﴾ من الأحكام، بأن لا يزيدوا علىٰ أربع نسوة، ولا يتزوّجوا إلا بوليّ وشهود ومهر ﴿وَ﴾ في ﴿مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ﴾ من الإماء، بشراء وغيره، بأن تكون الأمَة ممّن تحل لمالكها كالكتابية، بخلاف المجوسية والوثنية، وأن تُستبرأ قبل الوطء ﴿لِكَيْلَا﴾، متعلق بما قبل ذلك ﴿يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾: ضيق في النكاح ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ فيما يعسر التحرُّز عنه ﴿رَّحِيمًا﴾ بالتوسعة في ذلك.

۞ تُرۡجِي مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ وَتُـٔۡوِيٓ إِلَيۡكَ مَن تَشَآءُۖ وَمَنِ ٱبۡتَغَيۡتَ مِمَّنۡ عَزَلۡتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكَۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعۡيُنُهُنَّ وَلَا يَحۡزَنَّ وَيَرۡضَيۡنَ بِمَآ ءَاتَيۡتَهُنَّ كُلُّهُنَّۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمٗا ﴿٥١﴾ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ﴿٥٢﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِن تُبۡدُواْ شَيۡـًٔا أَوۡ تُخۡفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ﴿٥٤﴾

٥١ ـ ﴿تُرۡجِي﴾: تؤخر ﴿مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ﴾ أي: أزواجك عن نوبتها ﴿وَتُـٔۡوِيٓ﴾: تضم ﴿إِلَيۡكَ مَن تَشَآءُ﴾ منهن فتأتيها.

﴿وَمَنِ ٱبۡتَغَيۡتَ﴾: طلبت ﴿مِمَّنۡ عَزَلۡتَ﴾ من القسمة ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكَ﴾ في طلبها وضمها إليك، خُيِّر في ذلك بعد أن كان القَسْمُ واجباً عليه.

﴿ذَٰلِكَ﴾ التخيير ﴿أَدۡنَىٰٓ﴾: أقرب إلىٰ ﴿أَن تَقَرَّ أَعۡيُنُهُنَّ وَلَا يَحۡزَنَّ وَيَرۡضَيۡنَ بِمَآ ءَاتَيۡتَهُنَّ﴾ ما ذُكر المخير فيه ﴿كُلُّهُنَّ﴾، تأكيد للفاعل في (يرضين).

﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمۡ﴾ من أمر النساء والميل إلىٰ بعضهن، وإنما خيَّرناك فيهن تيسيراً عليك في كل ما أردت ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَلِيمٗا﴾ عن عقابهم.

٥٢ ـ ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ﴾ بعدَ التسع اللاتي اخترنك.

﴿وَلَآ أَن تَبَدَّلَ﴾، بترك إحدىٰ التاءين في الأصل ﴿بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ﴾ بأن تطلقهن أو بعضهن وتنكح بدلَ مَنْ طلقت ﴿وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ﴾ من الإماء، فتحل لك.

وقد ملك ﷺ بعدهن مارية، وولدت له إبراهيم ومات في حياته ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا﴾: حفيظاً.

٥٣ ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ﴾ في الدخول بالدعاء ﴿إِلَىٰ طَعَامٍ﴾ فتدخلوا ﴿غَيۡرَ نَٰظِرِينَ﴾: منتظرين ﴿إِنَىٰهُ﴾: نضجه، مصدر أَنَىٰ يأني.

﴿وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا﴾ تمكثوا ﴿مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾ من بعضكم لبعض.

﴿إِنَّ ذَٰلِكُمۡ﴾ المكث ﴿كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡ﴾ أن يخرجكم.

﴿وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾ أن يُخرجكم، أي: لا يترك بيانه ﴿وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ﴾ أي: أزواج النبي ﷺ ﴿مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖ﴾: سِتْر ﴿ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ من الخواطر المريبة.

﴿وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ بشيء ﴿وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ﴾ ذنباً ﴿عَظِيمًا﴾.

٥٤ ـ ﴿إِن تُبۡدُواْ شَيۡـًٔا أَوۡ تُخۡفُوهُ﴾ من نكاحهن بعده ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا﴾ فيجازيكم عليه.

لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ ۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ ۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾

نصف الحزب ٤٣

٥٥ ـ ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ﴾ أي: المؤمنات ﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾ من الإماء والعبيد أن يروهن ويكلموهن من غير حجاب.

﴿وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ﴾ فيما أُمرتُنَّ به ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ لا يخفىٰ عليه شيء.

٥٦ ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ محمد ﷺ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ أي: قولوا: اللهم صلِّ علىٰ محمد وسلِّم.

٥٧ ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ وهم الكفار، يصفون الله بما هو مُنَزَّه عنه من الولد والشريك ويكذبون رسوله ﴿لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾: أبعدهم ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾: ذا إهانة، وهو النار.

٥٨ ـ ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟﴾: يرمونهم بغير ما عملوا ﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا﴾: تحملوا كذباً ﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾: بيِّناً.

٥٩ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾، جمع جلباب، وهي المُلاءة التي تشتمل بها المرأة، أي: يرخين بعضها علىٰ الوجوه إذا خرجن لحاجتهن إلا عيناً واحدة.

﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ﴾: أقرب إلىٰ ﴿أَن يُعْرَفْنَ﴾ بأنهن حرائر.

﴿فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ بالتعرض لهن، بخلاف الإماء، فلا يغطين وجوههن، فكان المنافقون يتعرضون لهن.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ لما سلف منهن من ترك الستر ﴿رَّحِيمًا﴾ بهن إذ سترهن.

٦٠ ـ ﴿لَّئِن﴾، لام قسم ﴿لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ عن نفاقهم ﴿وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أي: فجور وهم الزناة ﴿وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ المؤمنين بقولهم: قد أتاكم العدو، وسراياكم قُتِلُوا أو هُزِموا ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾: لنسلطنك عليهم ﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ﴾: يساكنونك ﴿فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ثم يخرجون.

٦١ ـ ﴿مَّلْعُونِينَ﴾: مبعدين عن الرحمة ﴿أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟﴾: وجدوا ﴿أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا﴾ أي: الحكم فيهم هذا علىٰ جهة الأمر به.

٦٢ ـ ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ أي: سَنَّ الله ذلك ﴿فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ﴾ من الأمم الماضية في منافقيهم المرجفين المؤمنين ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ منه.

يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾

٦٣ ـ ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ﴾ متىٰ تكون؟ ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدْرِيكَ﴾: يُعلِمك بها، أي: أنت لا تعلمها ﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ﴾: توجد ﴿قَرِيبًا﴾.

٦٤ ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: أبعدهم ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾: ناراً شديدة يدخلونها.

٦٥ ـ ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا﴾ يحفظهم عنها ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ يدفعها عنهم.

٦٦ ـ ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَـا﴾، للتنبيه ﴿لَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾.

٦٧ ـ ﴿وَقَالُوا۟﴾ أي: الأتباع منهم ﴿رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾: طريق الهدىٰ.

٦٨ ـ ﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ أي: مثلي عذابنا ﴿وَٱلْعَنْهُمْ﴾: عذّبهم ﴿لَعْنًا كَبِيرًا﴾ أي: عظيماً.

٦٩ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟﴾ مع نبيكم ﴿كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ﴾ بقولهم مثلاً: ما يمنعه أن يغتسل معنا إلا أنه آدر ﴿فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ۚ﴾ بأن وضع ثوبه علىٰ حجر ليغتسل، ففرَّ الحجر به حتىٰ وقف بين ملأ من بني إسرائيل، فأدركه موسىٰ، فأخذ ثوبه فاستتر به، فرأوه لا أدرة به، وهي نفخة في الخصية. انظر: البخاري (٢٧٨) ومسلم (٣٣٩). ﴿وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾: ذا جاه. ومما أوذي به نبيُّنا ﷺ أنه قسم قسماً، فقال رجل: هذه قِسْمَة ما أريدَ بها وجه الله تعالىٰ، فغضب النبيُّ ﷺ من ذلك، وقال: «يرحم الله موسىٰ لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر» رواه البخاري (٣٤٠٥) ومسلم (١٠٦٢).

٧٠ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا﴾: صواباً.

٧١ ـ ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾: يتقبلها، أو يوفقكم للأعمال الصالحة ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾: نال غاية مطلوبه.

٧٢ ـ ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ﴾: الصلوات وغيرها مما في فعلها من الثواب وتركها من العقاب ﴿عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ﴾ بأن خلق فيها فهماً ونطقاً ﴿فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ﴾: خِفْنَ ﴿مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُۖ﴾: آدم بعد عرضها عليه ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا﴾ لنفسه بما حمله ﴿جَهُولًا﴾ به.

٧٣ ـ ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ﴾، اللام متعلقة بـ(عرضنا) المترتِّب عليه حملُ آدم ﴿ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾: المضيعين الأمانة ﴿وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۗ﴾: المؤدِّين الأمانة ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ للمؤمنين ﴿رَّحِيمًا﴾ بهم.

سورة سبأ
بسم الله الرحمن الرحيم

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾

سورة سبأ

مكية، إلا: (وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ) الآية، وهي أربع ـ أو خمس ـ وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ حمد تعالىٰ نفسه بذلك القول، والمراد به الثناء بمضمونه من ثبوت الحمد، وهو الوصف بالجميل لله تعالىٰ.

﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ كالدنيا، يحمده أولياؤه إذا دخلوا الجنة ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ في فعله ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ بخلقه.

٢ ـ ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ﴾: يدخل ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ كماء وغيره ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ كنبات وغيره ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ من رزق وغيره ﴿وَمَا يَعْرُجُ﴾: يصعد ﴿فِيهَا﴾ من عمل وغيره ﴿وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ﴾ بأوليائه ﴿ٱلْغَفُورُ﴾ لهم.

٣ ـ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ﴾: القيامة.

﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ﴾: يغيب ﴿عَنْهُ مِثْقَالُ﴾: وزن ﴿ذَرَّةٍ﴾: أصغر نملة ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾: بيِّن، هو اللوح المحفوظ.

٤ ـ ﴿لِّيَجْزِىَ﴾ فيها ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾: حسن في الجنة.

٥ ـ ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ﴾ إبطال ﴿ءَايَٰتِنَا﴾: القرآن ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾ أي: مسابقين لنا، فيفوتونا لظنهم أن لا بعث ولا عقاب.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ﴾: سيِّئ العذاب ﴿أَلِيمٌ﴾: مؤلم.

٦ ـ ﴿وَيَرَى﴾: يعلم ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾: مؤمنو أهل الكتاب، كعبد الله بن سلام وأصحابه.

﴿ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ أي: القرآن ﴿هُوَ﴾ ـ فصل ـ ﴿ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ﴾: طريق ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ أي: الله ذي العزة المحمودة.

٧ ـ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: قال بعضهم علىٰ جهة التعجُّب لبعض:

﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ﴾: هو محمد ﴿يُنَبِّئُكُمْ﴾: يخبركم أنكم ﴿إِذَا مُزِّقْتُمْ﴾: قُطّعتم ﴿كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ بمعنىٰ: تمزيق ﴿إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾.

أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾

٨ ـ ﴿أَفْتَرَىٰ﴾، بفتح الهمزة للاستفهام، واستغني بها عن همزة الوصل ﴿عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ في ذلك ﴿أَم بِهِۦ جِنَّةٌ﴾: جنون تخيل به ذلك؟ قال تعالىٰ: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ المشتملة علىٰ البعث والعذاب ﴿فِى ٱلْعَذَابِ﴾ فيها ﴿وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ﴾ عن الحق في الدنيا. ٩ ـ ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا۟﴾: ينظروا ﴿إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم﴾: ما فوقهم وما تحتهم ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ المرئي ﴿لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾: راجع إلىٰ ربه، تدل علىٰ قدرة الله علىٰ البعث وما يشاء. ١٠ ـ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا﴾: نبوة وكتاباً، وقلنا: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِى﴾: رجّعي ﴿مَعَهُۥ﴾ بالتسبيح ﴿وَٱلطَّيْرَ﴾، بالنصب عطفاً علىٰ محل (الجبال)، أي: ودعوناها تسبح معه ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ فكان في يده كالعجين. ١١ ـ وقلنا: ﴿أَنِ ٱعْمَلْ﴾ منه ﴿سَٰبِغَٰتٍ﴾: دروعاً كوامل يجرُّها لابسها علىٰ الأرض ﴿وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾ أي: نَسْج الدروع، قيل لصانعها: سرّاد، أي: اجعله بحيث تتناسب حِلَقُهُ ﴿وَٱعْمَلُوا۟﴾ أي: آل داود معه ﴿صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فأجازيكم به. ١٢ ـ ﴿وَ﴾ سخرنا ﴿لِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا﴾: مسيرها من الغدوة ـ بمعنىٰ الصباح ـ إلىٰ الزوال ﴿شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا﴾: سيرها من الزوال إلىٰ الغروب ﴿شَهْرٌ﴾ أي: مسيرته ﴿وَأَسَلْنَا﴾: أذبنا ﴿لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾ أي: النحاس، فجعلناه لسليمان في معدنه كالعين النابعة من الأرض، وتلك معجزة خارقة كإلانة الحديد لداود، فإسالة النحاس تمكن الصانع من صبّه علىٰ أشكال كثيرة بسهولة. ﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ﴾: بأمر ﴿رَبِّهِۦ وَمَن يَزِغْ﴾: يعدل ﴿مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا﴾ له بطاعته ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾: النار في الآخرة، وقيل: في الدنيا، بأن يضربه مَلَك بسوط منها ضربة تحرقه. ١٣ ـ ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ﴾: أبنية مرتفعة يصعد إليها بدرج ﴿وَتَمَٰثِيلَ﴾: جمع تمثال وهو كل شيء مثّلته بشيء، أي: صوراً من نحاس وزجاج ورخام، ولم يكن اتخاذ الصور حراماً في شريعته ﴿وَجِفَانٍ﴾، جمع جفنة ﴿كَٱلْجَوَابِ﴾، جمع جابية، وهو حوض كبير، يجتمع علىٰ الجفنة رجال كثير يأكلون منها ﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ﴾: ثابتات، لها قوائم لا تتحرك عن أماكنها، وقلنا: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟﴾ يا ﴿ءَالَ دَاوُۥدَ﴾ بطاعة الله ﴿شُكْرًا﴾ له علىٰ ما آتاكم ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾: العامل بطاعتي شكراً لنعمتي. ١٤ ـ ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ﴾ علىٰ سليمان ﴿ٱلْمَوْتَ﴾ أي: مات، والجن علىٰ عادتها لا تشعر بموته، حتىٰ أكلت الأرضةُ عصاه، فخرَّ ميتاً ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾: عصاه، لأنها تنسأ: يُطرد ويزجر بها ﴿فَلَمَّا خَرَّ﴾ ميتاً ﴿تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ﴾: انكشف لهم ﴿أَن﴾ مخففة، أي: أنهم ﴿لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ﴾ ومنه ما غاب عنهم من موت سليمان ﴿مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾: العمل الشاق لهم لظنهم حياته. والمعنىٰ: لما قضينا عليه الموت ما دلّ الجنَّ علىٰ موته إلا الأرضة التي كانت في عصاه تأكل منها، إذ بينما هو متكئ عليها انكسرت بسبب تلك الأرضة، فسقط علىٰ الأرض، وحينئذٍ علمت الجن موته، وبذلك استبان كذب الجن الذين كانوا يزعمون أنهم يعلمون الغيب. وهم لا يعلمون المشاهد أمامهم إلّا بعد ظهوره ووضوحه، ولو كانوا يعلمون الغيب لعلموا موت سليمان قبل أن يسقط ولما لبثوا في العذاب المهين.

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾

١٥ ـ ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾: قبيلة سميت باسم جدٍّ لهم من العرب ﴿فِي مَسْكَنِهِمْ﴾ باليمن ﴿ءَايَةٌ﴾ دالة علىٰ قدرة الله تعالىٰ ﴿جَنَّتَانِ﴾ بدل ﴿عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ عن يمين واديهم وشماله، وقيل لهم: ﴿كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ علىٰ ما رزقكم من النعمة في أرض سبأ ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ ليس فيها سباخ، ولا بعوضة، ولا ذبابة، ولا بُرغوث، ولا عقرب، ولا حية، لطيب هوائها ﴿وَ﴾ الله ﴿رَبٌّ غَفُورٌ﴾.

١٦ ـ ﴿فَأَعْرَضُوا﴾ عن شكره وكفروا ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾، جمع عَرِمَة، وهو ما يمسك الماء من بناء وغيره إلىٰ وقت حاجته، أي: سَيلَ واديهم الممسوك بما ذُكر، فأغرق جَنَّتَيْهم وأموالهم ﴿وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ﴾، تثنية ذوات مفرد علىٰ الأصل ﴿أُكُلٍ خَمْطٍ﴾: مُرٍّ بَشِعٍ، ويُعطف عليه: ﴿وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾.

١٧ ـ ﴿ذَٰلِكَ﴾ التبديل ﴿جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا﴾ بكفرهم ﴿وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾.

١٨ ـ ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ بين سبأ وهم باليمن ﴿وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ بالماء والشجر، وهي قرىٰ الشام التي يسيرون إليها للتجارة ﴿قُرًى ظَاهِرَةً﴾: متواصلة من اليمن إلىٰ الشام ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾ بحيث يَقيلون في واحدة ويبيتون في أخرىٰ إلىٰ انتهاء سفرهم، ولا يحتاجون فيه إلىٰ حمل زاد وماء، أي: وقلنا: ﴿سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾: لا تخافون في ليل ولا في نهار.

١٩ ـ ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ إلىٰ الشام: اجعلها مفاوز ليتطاولوا علىٰ الفقراء بركوب الرواحل وحمل الزاد والماء، فبَطِروا النعمة ﴿وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ بالكفر ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ لمن بعدهم في ذلك ﴿وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾: فرقناهم في البلاد كل التفريق ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَآيَاتٍ﴾: عِبراً ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ عن المعاصي ﴿شَكُورٍ﴾ علىٰ النعم.

٢٠ ـ ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: الكفار، منهم سبأ ﴿إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ أنهم بإغوائه يتبعونه ﴿فَاتَّبَعُوهُ﴾ وصدَّق ـ بالتشديد ـ ظَنَّه، أي: وجده صادقاً ﴿إِلَّا﴾ بمعنىٰ لكن ﴿فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، للبيان، أي: هم المؤمنون لم يتبعوه.

٢١ ـ ﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ﴾: تسليط منّا ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ علم ظهور ﴿مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ﴾ فنجازي كلاً منهما ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾: رقيب.

٢٢ ـ ﴿قُلِ﴾ يا محمد: ﴿ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم﴾ أي: زعمتموهم آلهة ﴿مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره لينفعوكم بزعمكم قال تعالىٰ فيهم: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ﴾: وزن ﴿ذَرَّةٍ﴾ من خير أو شر ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ﴾: شركة ﴿وَمَا لَهُ﴾ تعالىٰ ﴿مِنْهُم﴾ من الآلهة ﴿مِّن ظَهِيرٍ﴾: معين.

وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ ۞قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُلِ ٱللَّهُۖ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّآ أَجۡرَمۡنَا وَلَا نُسۡـَٔلُ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلۡ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفۡتَحُ بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَهُوَ ٱلۡفَتَّاحُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلۡ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلۡحَقۡتُم بِهِۦ شُرَكَآءَۖ كَلَّاۚ بَلۡ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوۡمٖ لَّا تَسۡتَـٔۡخِرُونَ عَنۡهُ سَاعَةٗ وَلَا تَسۡتَقۡدِمُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ يَرۡجِعُ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ٱلۡقَوۡلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ ﴿٣١﴾

٢٣ ـ ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ﴾ تعالىٰ، ردٌّ لقولهم: إن آلهتهم تشفع عنده ﴿إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ﴾ ﴿لَهُۥ﴾ فيها ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ﴾: كشف عنها الفزع بالإذن فيها ﴿قَالُواْ﴾ قال بعضهم لبعض استبشاراً: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ﴾ فيها؟ ﴿قَالُواْ﴾: القول ﴿ٱلۡحَقَّۖ﴾ أي: قد أذن فيها ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ﴾ فوق خلقه بالقهر ﴿ٱلۡكَبِيرُ﴾: العظيم.

٢٤ ـ ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ المطر ﴿وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ النبات؟ ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ﴾ إن لم يقولوه، لا جواب غيره ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ﴾ أي: أحد الفريقين ﴿لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾: بيِّن، في الإبهام تلطُّف بهم داعٍ إلىٰ الإيمان إذا وُفّقوا له.

٢٥ ـ ﴿قُل لَّا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّآ أَجۡرَمۡنَا﴾: أذنبنا ﴿وَلَا نُسۡـَٔلُ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ لأنَّا بريئون منكم، وهذا من التلطف في الدعوة والمبالغة في التواضع حيث أسند الإجرام إلىٰ أنفسهم والعمل إلىٰ المخاطبين.

٢٦ ـ ﴿قُلۡ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَا رَبُّنَا﴾ يوم القيامة ﴿ثُمَّ يَفۡتَحُ﴾: يحكم ﴿بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ﴾ فيدخل المحقين الجنة والمبطلين النار ﴿وَهُوَ ٱلۡفَتَّاحُ﴾: الحاكم ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ بما يحكم به.

٢٧ ـ ﴿قُلۡ أَرُونِيَ﴾: أعلموني ﴿ٱلَّذِينَ أَلۡحَقۡتُم بِهِۦ شُرَكَآءَۖ﴾ في العبادة ﴿كَلَّاۚ﴾، ردع لهم عن اعتقاد شريك له ﴿بَلۡ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ﴾: الغالب علىٰ أمره ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ في تدبيره لخلقه، فلا يكون له شريك في ملكه.

٢٨ ـ ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ﴾، حال من (الناس)، قُدِّم للاهتمام ﴿لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا﴾: مبشراً للمؤمنين بالجنة ﴿وَنَذِيرٗا﴾: منذراً للكافرين بالعذاب ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ ذلك.

٢٩ ـ ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ﴾ بالعذاب ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ فيه.

٣٠ ـ ﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوۡمٖ لَّا تَسۡتَـٔۡخِرُونَ عَنۡهُ سَاعَةٗ وَلَا تَسۡتَقۡدِمُونَ﴾ عليه، وهو يوم القيامة.

٣١ ـ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ﴾ أي: تقدَّمه، كالتوراة والإنجيل الدالَّين علىٰ البعث، لإنكارهم له، قال تعالىٰ فيهم: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ﴾ يا محمد ﴿إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: الكافرون ﴿مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ يَرۡجِعُ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ٱلۡقَوۡلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ﴾: الأتباع ﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾ الرؤساء: ﴿لَوۡلَآ أَنتُمۡ﴾ صددتمونا عن الإيمان ﴿لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ﴾ بالنبيِّ.

قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾

٣٢ ـ ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم﴾؟ لا ﴿بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ﴾ في أنفسكم.

٣٣ ـ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ أي: مَكْرٌ فيهما منكم بنا ﴿إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا﴾: شركاء.

﴿وَأَسَرُّوا۟﴾ أي: الفريقان ﴿ٱلنَّدَامَةَ﴾ على ترك الإيمان به ﴿لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ أي: أخفاها كلٌّ عن رفيقه مخافة التعيير.

﴿وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ في النار ﴿هَلْ﴾: ما ﴿يُجْزَوْنَ إِلَّا﴾ جزاء ﴿مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ في الدنيا.

٣٤ ـ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ﴾: رؤساؤها المتنعمون ﴿إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾.

٣٥ ـ ﴿وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا﴾ ممن آمن ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾.

٣٦ ـ ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ﴾: يُوسعه ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ امتحاناً ﴿وَيَقْدِرُ﴾: يضيِّقه لمن يشاء ابتلاءً ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

٣٧ ـ ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ﴾: قربى، أي: تقريباً ﴿إِلَّا﴾: لكن ﴿مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟﴾ أي: جزاءُ العمل الحسنة مثلاً بعشر فأكثر ﴿وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ﴾ من الجنة ﴿ءَامِنُونَ﴾ من الموت وغيره.

٣٨ ـ ﴿وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾: القرآن بالإبطال ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾ لنا مقدرين عجزنا، وأنهم يفوتوننا.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾.

٣٩ ـ ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ﴾: يوسعه ﴿لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ امتحاناً.

﴿وَيَقْدِرُ﴾: يُضيقه ﴿لَهُۥ﴾ بعد البسط، أو لمن يشاء ابتلاءً.

﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ﴾ في الخير ﴿فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾.

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟
يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟
يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ
بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ
ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ
قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ
وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا
جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ
يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ
ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ
فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ ۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن
تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم
مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾
قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ
كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾

ربع الحزب ٤٤

٤٠ ـ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ أي: المشركين ﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ﴾.

٤١ ـ ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ﴾: تنزيهاً لك عن الشريك ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾ أي: لا موالاة بيننا وبينهم من جهتنا ﴿بَلْ﴾، للانتقال ﴿كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ﴾: الشياطين، أي: يطيعونهم في عبادتهم إيانا ﴿أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾: مصدقون فيما يقولون لهم.

٤٢ ـ قال تعالىٰ: ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ﴾ أي: بعض المعبودين لبعض العابدين ﴿نَّفْعًا﴾: شفاعة ﴿وَلَا ضَرًّا﴾: تعذيباً ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾: كفروا ﴿ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾.

٤٣ ـ ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا﴾: القرآن ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾: واضحات بلسان نبينا محمد ﷺ ﴿قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ﴾ من الأصنام ﴿وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ﴾ أي: القرآن ﴿إِلَّآ إِفْكٌ﴾: كذب ﴿مُّفْتَرًى﴾ على الله ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ﴾: القرآن ﴿لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ﴾: ما ﴿هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾: بيّن.

٤٤ ـ قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ﴾ فمن أين كذبوك؟

٤٥ ـ ﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟﴾ أي: هؤلاء ﴿مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ من القوة وطول العمر وكثرة المال ﴿فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى﴾ إليهم ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾: إنكاري عليهم بالعقوبة والإهلاك؟ أي: هو واقع موقعه.

٤٦ ـ ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ﴾ هي: ﴿أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ﴾ أي: لأجله ﴿مَثْنَىٰ﴾: اثنين اثنين ﴿وَفُرَٰدَىٰ﴾: واحداً واحداً ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟﴾ فتعلموا ﴿مَا بِصَاحِبِكُم﴾: محمد ﴿مِّن جِنَّةٍ﴾: جنون ﴿إِنْ﴾: ما ﴿هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ﴾ أي: قبل ﴿عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ في الآخرة إن عصيتموه.

٤٧ ـ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿مَا سَأَلْتُكُم﴾ علىٰ الإنذار والتبليغ ﴿مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾ أي: لا أسألكم عليه أجراً ﴿إِنْ أَجْرِىَ﴾: ما ثوابي ﴿إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾: مطّلع يعلم صدقي.

٤٨ ـ ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ﴾: يلقيه إلىٰ أنبيائه ﴿عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾: ما غاب عن خلقه في السماوات والأرض.

قُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَمَا يُبۡدِئُ ٱلۡبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلۡ إِن ضَلَلۡتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفۡسِيۖ وَإِنِ ٱهۡتَدَيۡتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٞ قَرِيبٞ ﴿٥٠﴾ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ فَزِعُواْ فَلَا فَوۡتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴿٥٢﴾ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبۡلُۖ وَيَقۡذِفُونَ بِٱلۡغَيۡبِ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ مَا يَشۡتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشۡيَاعِهِم مِّن قَبۡلُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ فِي شَكّٖ مُّرِيبِۭ ﴿٥٤﴾

ترتيبها ٣٥ سُورَةُ فَاطِرٍ آياتها ٤٥

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١﴾ مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٣﴾

٤٩ ـ ﴿قُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ﴾: الإسلام ﴿وَمَا يُبۡدِئُ ٱلۡبَٰطِلُ﴾: الكفر ﴿وَمَا يُعِيدُ﴾ أي: لم يبق له أثر.

٥٠ ـ ﴿قُلۡ إِن ضَلَلۡتُ﴾ عن الحق ﴿فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفۡسِيۖ﴾ أي: إثم ضلالي عليها ﴿وَإِنِ ٱهۡتَدَيۡتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓۚ﴾ من القرآن والحكمة ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٞ﴾ للدعاء ﴿قَرِيبٞ﴾.

٥١ ـ ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ﴾ يا محمد ﴿إِذۡ فَزِعُواْ﴾ عند البعث، لرأيت أمراً عظيماً ﴿فَلَا فَوۡتَ﴾ لهم منا، أي: لا يفوتوننا ﴿وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ﴾ أي: القبور.

٥٢ ـ ﴿وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾: بمحمد، أو القرآن ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ﴾ أي: تناول الإيمان ﴿مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ﴾ عن محله، إذ هم في الآخرة ومحله الدنيا.

٥٣ ـ ﴿وَقَدۡ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبۡلُۖ﴾ في الدنيا ﴿وَيَقۡذِفُونَ﴾: يرمون ﴿بِٱلۡغَيۡبِ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ﴾ أي: بما غاب علمه عنهم غيبة بعيدة، حيث قالوا في النبي: ساحر، شاعر، كاهن، وفي القرآن: سحر، شعر، كهانة.

٥٤ ـ ﴿وَحِيلَ بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ مَا يَشۡتَهُونَ﴾ من الإيمان، أي: قبوله ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشۡيَاعِهِم﴾: أشباههم في الكفر ﴿مِّن قَبۡلُۚ﴾ أي: قبلهم ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ فِي شَكّٖ مُّرِيبِۭ﴾: مُوقع في الريبة لهم فيما آمنوا به الآن، ولم يعتدوا بدلائله في الدنيا.

سورة فاطر

مكية، وهي خمس ـ أو ست ـ وأربعون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ ـ ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ حمد تعالىٰ نفسه بذلك كما بُين في أول سورة سبأ ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾: خالقهما علىٰ غير مثال سبق ﴿جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ إلىٰ الأنبياء ﴿أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ﴾: في الملائكة وغيرها ﴿مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾.

٢ ـ ﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ﴾ كرزق ومطر ﴿فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ﴾ من ذلك ﴿فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾ أي: بعد إمساكه ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾: الغالب علىٰ أمره ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ في فعله.

٣ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ اذكروا نِعَمَ الله عليكم التي لا تستطيعون إحصاءها، اذكروها بألسنتكم وقلوبكم، واشكروها بأعمالكم وذلك بأن تستعملوها فيما يرضي ربكم، اذكروها لاستدامتها وطلب المزيد منها ﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ﴾، (من) زائدة و(خالق) مبتدأ ﴿غَيۡرُ ٱللَّهِ﴾، بالرفع، نعت لـ(خالق) لفظاً ومحلاً، وخبر المبتدأ: ﴿يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ المطرَ ﴿وَ﴾ من ﴿ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ النباتَ؟ والاستفهام للتقرير، أي: لا خالق رازق غيره ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾ من أين تصرفون عن توحيده مع إقراركم بأنه الخالق الرازق؟

وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾

٤ ـ ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ يا محمد في مجيئك بالتوحيد والبعث والحساب والعقاب ﴿فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ في ذلك، فاصبر كما صبروا ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ في الآخرة، فيجازي المكذبين، وينصر المرسلين.

٥ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بالبعث وغيره ﴿حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ عن الإيمان بذلك ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ﴾ في حلمه وإمهاله ﴿ٱلْغَرُورُ﴾: الشيطان.

٦ ـ ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ بطاعة الله ولا تطيعوه ﴿إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ﴾: أتباعه في الكفر ﴿لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾: النار الشديدة.

٧ ـ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ هذا بيانُ ما لموافقي الشيطان وما لمخالفيه.

٨ ـ ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ بالتمويه ﴿فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾، (مَن) مبتدأ خبره: كمن هداه الله؟ لا، دل عليه: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ﴾ علىٰ المزيَّن لهم ﴿حَسَرَٰتٍ﴾ باغتمامك أن لا يؤمنوا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ فيجازيهم عليه.

٩ ـ ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾، المضارع لحكاية الحال الماضية أي: تُزعجه ﴿فَسُقْنَٰهُ﴾ فيه التفات عن الغيبة ﴿إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ لا نبات بها ﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ من البلد ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: يَبسها، أي: أنبتنا به الزرع والكلأ ﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ أي: البعث والإحياء.

١٠ ـ ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ أي: في الدنيا والآخرة، فلا تُنال منه إلا بطاعته، فليطعه ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾: وهو: لا إلٰه إلا الله، ونحوها من كل طيب يُرفع إلىٰ الله ويعرض عليه ويثنىٰ علىٰ صاحبه في الملأ الأعلىٰ ﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ يرفعه الله إليه كالكلم الطيب ﴿وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ﴾ المكراتِ ﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ بالنبي في دار الندوة من تقييده، أو قتله، أو إخراجه، كما ذكر في الأنفال ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾: يهلك.

١١ ـ ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ بخلق أبيكم آدم منه ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ أي: منيٍّ، بخلق ذريته منها ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا﴾: ذكوراً وإناثاً ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾، حال، أي: معلومة له ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ﴾ أي: ما يزاد في عمر طويل العمر ﴿وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ﴾ أي: ذلك المعمَّر أو معمَّر آخر ﴿إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾: هو اللوح المحفوظ ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾: هيِّن.

وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۚ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ۞ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۚ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾

١٢ - ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾: شديد العذوبة ﴿سَائِغٌ شَرَابُهُ﴾: شربه.

﴿وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾: شديد الملوحة ﴿وَمِن كُلٍّ﴾ منهما ﴿تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾: هو السمك ﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ﴾ من المِلْح، وقيل: منهما ﴿حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾: هي اللؤلؤ والمرجان.

﴿وَتَرَى﴾: تُبصر ﴿الْفُلْكَ﴾: السفن ﴿فِيهِ﴾: في كل منهما ﴿مَوَاخِرَ﴾: تمخر الماء، أي: تشقه بجريها فيه مقبلة ومدبرة بريح واحدة.

﴿لِتَبْتَغُوا﴾: تطلبوا ﴿مِن فَضْلِهِ﴾ تعالىٰ بالتجارة ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الله علىٰ ذلك.

١٣ - ﴿يُولِجُ﴾: يدخل الله ﴿اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ﴾: يدخله ﴿فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ﴾ منهما ﴿يَجْرِي﴾ في فلكه ﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: يوم القيامة.

﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۚ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ﴾: تعبدون ﴿مِن دُونِهِ﴾ أي: غيره، وهم الأصنام ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾: لفافة النواة.

١٤ - ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا﴾ فرضاً ﴿مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾: ما أجابوكم.

﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾: بإشراككم إياهم مع الله، أي: يتبرؤون منكم ومن عبادتكم إياهم ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ﴾ بأحوال الدارين ﴿مِثْلُ خَبِيرٍ﴾: عالم، وهو الله تعالىٰ.

١٥ - ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾ بكل حال ﴿وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عن خلقه ﴿الْحَمِيدُ﴾: المحمود في صنعه بهم.

١٦ - ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ بدلكم.

١٧ - ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾: شديد.

١٨ - ﴿وَلَا تَزِرُ﴾ نفسٌ ﴿وَازِرَةٌ﴾: آثمة، أي: لا تحمل ﴿وِزْرَ﴾ نفس ﴿أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ﴾ نفسٌ ﴿مُثْقَلَةٌ﴾ بالوزر ﴿إِلَىٰ حِمْلِهَا﴾ منه أحداً ليحمل بعضه ﴿لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ﴾ المدعو ﴿ذَا قُرْبَىٰ﴾: قرابة كالأب والابن. وعدم الحمل في الشقين حكمٌ من الله ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ أي: يخافونه وما رأوه، لأنهم المنتفعون بالإنذار ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾: أداموها ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ﴾: تطهَّر من الشرك وغيره ﴿فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ﴾ فصلاحه مختص به ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾: المرجع، فيُجزىٰ بالعمل في الآخرة.

وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ ۖ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ۚ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾

١٩ - ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾: الكافر والمؤمن.

٢٠ - ﴿وَلَا الظُّلُمَاتُ﴾: الكفر ﴿وَلَا النُّورُ﴾: الإيمان.

٢١ - ﴿وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ﴾: الجنة والنار.

٢٢ - ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾: المؤمنون والكفار، وزيادة (لا) في الثلاثة تأكيد ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ﴾ هدايته، فيجيبه بالإيمان ﴿وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ أي: الكفار - شبههم بالموتىٰ - فيجيبون.

٢٣ - ﴿إِنْ﴾: ما ﴿أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾: منذر لهم.

٢٤ - ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾: بالهدىٰ ﴿بَشِيرًا﴾ من أجاب إليه ﴿وَنَذِيرًا﴾ من لم يجب إليه ﴿وَإِنْ﴾: ما ﴿مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا﴾: سلف ﴿فِيهَا نَذِيرٌ﴾: نبي ينذرها.

٢٥ - ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾: المعجزات ﴿وَبِالزُّبُرِ﴾: كصحف إبراهيم ﴿وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ هو التوراة والإنجيل، فاصبر كما صبروا.

٢٦ - ﴿ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بتكذيبهم ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾: إنكاري عليهم بالعقوبة والإهلاك، أي: هو واقع موقعه.

٢٧ - ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: تعلم ﴿أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا﴾، فيه التفات عن الغيبة ﴿بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾ كأخضر، وأحمر، وأصفر، وغيرها ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ﴾ جمع جُدَّة: طريق في الجبل وغيره ﴿بِيضٌ وَحُمْرٌ﴾ وصُفْر ﴿مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا﴾ بالشدة والضعف ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ عطف علىٰ (جدد)، أي: صخور شديدة السواد، يقال كثيراً: أسودُ غِرْبيبٌ، وقليلاً: غِرْبيبٌ أسود.

٢٨ - ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ﴾ كاختلاف الثمار والجبال ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ بخلاف الجهال ككفار مكة ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ في ملكه ﴿غَفُورٌ﴾ لذنوب عباده المؤمنين.

٢٩ - ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ﴾: يقرؤون ﴿كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾: أداموها ﴿وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ زكاة وغيرها ﴿يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾: تهلك.

٣٠ - ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ﴾: ثواب أعمالهم المذكورة ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ﴾ لذنوبهم ﴿شَكُورٌ﴾ لطاعتهم.

وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٨﴾

٣١ ـ ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾: القرآن ﴿هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: تقدمه من الكتب.

﴿إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ عالم بالبواطن والظواهر.

٣٢ ـ ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا﴾: أعطينا ﴿الْكِتَابَ﴾: القرآن ﴿الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾: وهم أمتك.

﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ بالتقصير في العمل به.

﴿وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾ يعمل به أغلب الأوقات.

﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ يضم إلىٰ العمل التعليمَ والإرشادَ إلىٰ العمل ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: بإرادته.

﴿ذَلِكَ﴾ أي: إيراثهم الكتاب ﴿هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾.

٣٣ ـ ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾: إقامة ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾، جملة (يَدْخُلُونَهَا) خبر المبتدأ (جَنَّاتُ عَدْنٍ . .).

﴿يُحَلَّوْنَ﴾ خبر ثانٍ ﴿فِيهَا مِنْ﴾ بعض ﴿أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ مُرصّعاً بالذهب ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾.

٣٤ ـ ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾ جميعه ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ﴾ للذنوب ﴿شَكُورٌ﴾ للطاعة.

٣٥ ـ ﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ﴾ أي: الإقامة ﴿مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾: تعب.

﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾: إعياء من التعب لعدم التكليف فيها.

٣٦ ـ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ﴾ بالموت ﴿فَيَمُوتُوا﴾: يستريحوا.

﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ طرفة عين ﴿كَذَلِكَ﴾ كما جزيناهم ﴿نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾: كافر.

٣٧ ـ ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾: يستغيثون بشدة وعويل يقولون:

﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا﴾ منها ﴿نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ فيقال لهم:

﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا﴾: وقتاً ﴿يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾: الرسول، فما أجبتم ﴿فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾: الكافرين ﴿مِنْ نَصِيرٍ﴾ يدفع العذاب عنهم.

٣٨ ـ ﴿إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بما في القلوب، فعلمُه بغيره أولىٰ بالنظر إلىٰ حال الناس.

هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٤٤

٣٩ ـ ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾، جمع خليفة، أي: يخلُف بعضكم بعضاً.

﴿فَمَن كَفَرَ﴾ منكم ﴿فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾ أي: وبال كفره ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا﴾: غضباً ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ للآخرة.

٤٠ ـ ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾: تعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره، وهم الأصنام الذين زعمتم أنهم شركاء الله تعالىٰ.

﴿أَرُونِى﴾: أخبروني ﴿مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾: شركة مع الله ﴿فِى﴾ خلق ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ﴾: حجّة ﴿مِّنْهُ﴾ بأن لهم معي شركة؟ لا شيء من ذلك.

﴿بَلْ إِن﴾: ما ﴿يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: الكافرون ﴿بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾: باطلاً بقولهم: الأصنام تشفع لهم.

٤١ ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾ أي: يمنعهما من الزوال ﴿وَلَئِن﴾، لام قسم ﴿زَالَتَآ إِنْ﴾: ما ﴿أَمْسَكَهُمَا﴾: يمسكهما ﴿مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾ أي: سواه ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ في تأخير عقاب الكفار.

٤٢ ـ ﴿وَأَقْسَمُوا۟﴾ أي: كفار مكة أي: قبل أن يبعث الله محمداً ﷺ أقسموا ﴿بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾: غاية اجتهادهم فيها ﴿لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ﴾: رسول ﴿لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ﴾: اليهود والنصارىٰ وغيرهم، أي: أيَّ واحدة منها، لما رأوا من تكذيب بعضها بعضاً، إذ قالت اليهود: ليست النصارىٰ علىٰ شيء، وقالت النصارىٰ: ليست اليهود علىٰ شيء ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ﴾: محمد ﷺ ﴿مَّا زَادَهُمْ﴾ مجيئه ﴿إِلَّا نُفُورًا﴾: تباعداً عن الهدىٰ.

٤٣ ـ ﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ عن الإيمان، مفعول له ﴿وَمَكْرَ﴾ العمل ﴿ٱلسَّيِّئِ﴾ من الشِّرك وغيره.

﴿وَلَا يَحِيقُ﴾: يُحيط ﴿ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾: وهو الماكر ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ﴾: ينتظرون ﴿إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: سنة الله فيهم من تعذيبهم بتكذيبهم رسلهم.

﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ أي: لا يُبدل بالعذاب غيره، ولا يحوَّل إلىٰ غير مستحقه.

٤٤ ـ ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ فأهلكهم الله بتكذيبهم رسلهم.

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ﴾: يسبقه ويفوته ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا﴾ أي: بالأشياء كلها ﴿قَدِيرًا﴾ عليها.

وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾

سُورَةُ يسٓ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾

٤٥ ـ ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟﴾ من المعاصي ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا﴾ أي: الأرض ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾: نسمة تدبُّ عليها ﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: يوم القيامة ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا﴾ فيجازيهم علىٰ أعمالهم بإثابة المؤمنين وعقاب الكافرين.

سُورَةُ يسٓ

مكية أو إلا قوله: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟) الآية، أو مدنية، ثنتان وثمانون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ ـ ﴿يسٓ﴾ الله أعلم بمراده به.

٢ ـ ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾ المحكَم بعجيب النظم وبديع المعاني.

٣ ـ ﴿إِنَّكَ﴾ يا محمد ﴿لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

٤ ـ ﴿عَلَىٰ﴾، متعلق بما قبله ﴿صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ أي: طريق الأنبياء قبلك، التوحيد والهدىٰ. والتأكيد بالقسم وغيره ردٌّ لقول الكفار له: لست مرسلاً.

٥ ـ ﴿تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ بخلقه.

٦ ـ ﴿لِتُنذِرَ﴾ به ﴿قَوْمًا﴾، متعلق بـ (تنزيل) ﴿مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ أي: لم يُنذَروا في زمن الفترة ﴿فَهُمْ﴾ أي: القوم ﴿غَٰفِلُونَ﴾ عن الإيمان والرشد.

٧ ـ ﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ﴾: وجب ﴿عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ﴾ بالعذاب ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: الأكثر.

٨ ـ ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا﴾ بأن تُضم إليها الأيدي، لأن الغُلَّ يجمع اليد إلىٰ العنق ﴿فَهِىَ﴾ أي: الأيدي مجموعة ﴿إِلَى ٱلْأَذْقَانِ﴾ جمع ذَقَن، وهي مجتمع اللَّحْيين ﴿فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾: رافعون رؤوسهم لا يستطيعون خفضها، وهذا تمثيل، والمراد: أنهم لا يذعنون للإيمان ولا يخفضون رؤوسهم له.

٩ ـ ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾، بفتح السين ﴿فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾، تمثيل أيضاً لسدِّ طرق الإيمان عليهم.

١٠ ـ ﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

١١ ـ ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ﴾: ينفع إنذارك ﴿مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ﴾: القرآن ﴿وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾: خافه ولم يره ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾: هو الجنة

١٢ ـ ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ للبعث ﴿وَنَكْتُبُ﴾ في اللوح المحفوظ ﴿مَا قَدَّمُوا۟﴾ في حياتهم من خير وشر ليجازَوْا عليه ﴿وَءَاثَٰرَهُمْ﴾ ما استُنَّ به بعدهم ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ﴾، نصبُه بفعل يفسره: ﴿أَحْصَيْنَٰهُ﴾: ضبطناه ﴿فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾: كتاب بيِّن، هو اللوح المحفوظ.

وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾

١٣ ـ ﴿وَٱضْرِبْ﴾: اجعل ﴿لَهُم مَّثَلًا﴾، مفعول أول ﴿أَصْحَٰبَ﴾، مفعول ثان ﴿ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا﴾ إلىٰ آخره، بدل اشتمال من (أصحاب القرية) ﴿ٱلْمُرْسَلُونَ﴾.

١٤ ـ ﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا﴾ إلىٰ آخره، بدلٌ من (إذ) الأولىٰ ﴿فَعَزَّزْنَا﴾: قوّينا الاثنين ﴿بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾.

١٥ ـ ﴿قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ﴾: ما ﴿أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾.

١٦ ـ ﴿قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ﴾، جارٍ مجرىٰ القسم، وزيدَ التأكيد به وباللام علىٰ ما قبله لزيادة الإنكار في: ﴿إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾.

١٧ ـ ﴿وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾: التبليغ البيّن الظاهر بالأدلة الواضحة.

١٨ ـ ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا﴾: تشاءمنا ﴿بِكُمْ﴾ لانقطاع المطر عنا بسببكم ﴿لَئِن﴾ لام قسم ﴿لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾ بالحجارة ﴿وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مؤلم.

١٩ ـ ﴿قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم﴾: شؤمكم ﴿مَّعَكُمْ﴾ بكفركم ﴿أَئِن﴾، همزة استفهام دخلت علىٰ (إن) الشرطية ﴿ذُكِّرْتُم﴾: وعُظتم وخُوِّفتم، وجواب الشرط محذوف، أي: تطيرتم وكفرتم، وهو محل الاستفهام، والمراد به التوبيخ ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾: متجاوزون الحدَّ بشرككم.

٢٠ ـ ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ﴾ هو حبيب النجار، كان قد آمن بالرسل، ومنزله بأقصىٰ البلد ﴿يَسْعَىٰ﴾: يشتد عَدْواً لمّا سمع بتكذيب القوم الرسلَ ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

٢١ ـ ﴿ٱتَّبِعُوا۟﴾، تأكيد للأول ﴿مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا﴾ علىٰ رسالته ﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ فقيل له: أنت علىٰ دينهم؟

٢٢ ـ فقال: ﴿وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾: خلقني، أي: لا مانع لي من عبادته الموجود مقتضيها؟ وأنتم كذلك ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ بعد الموت، فيجازيكم بكفركم.

٢٣ ـ ﴿ءَأَتَّخِذُ﴾، وهو استفهام بمعنىٰ النفي ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي: غيره ﴿ءَالِهَةً﴾: أصناماً ﴿إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ﴾ التي زعمتموها ﴿شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ﴾ صفة (آلهة).

٢٤ ـ ﴿إِنِّىٓ إِذًا﴾ أي: إن عبدت غير الله ﴿لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾: بيِّن.

٢٥ ـ ﴿إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ﴾ أي: اسمعوا قولي، فرجموه فمات.

٣٦ ـ ﴿قِيلَ﴾ له عند موته: ﴿ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يا﴾، حرف تنبيه ﴿لَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ﴾.

٢٧ ـ ﴿بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى﴾: بغفرانه ﴿وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾.

۞ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ أَنَّهُمۡ إِلَيۡهِمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلّٞ لَّمَّا جَمِيعٞ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ ﴿٣٢﴾ وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلۡأَرۡضُ ٱلۡمَيۡتَةُ أَحۡيَيۡنَٰهَا وَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهَا حَبّٗا فَمِنۡهُ يَأۡكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلۡنَا فِيهَا جَنَّٰتٖ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَٰبٖ وَفَجَّرۡنَا فِيهَا مِنَ ٱلۡعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأۡكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتۡهُ أَيۡدِيهِمۡۚ أَفَلَا يَشۡكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴿٤٠﴾

٢٨ ـ ﴿وَمَآ﴾، نافية ﴿أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ﴾ أي: حبيب ﴿مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾: بعد موته ﴿مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: ملائكةً لإهلاكهم ﴿وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾ ملائكةً لإهلاك أحد. ٢٩ ـ ﴿إِن﴾: ما ﴿كَانَتۡ﴾ عقوبتهم ﴿إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ صاح بهم جبريل ﴿فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ﴾: ساكنون ميتون. ٣٠ ـ ﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ﴾ هؤلاء ونحوهم ممن كذبوا الرسل فأُهلكوا، وهي شدة التألم، ونداؤها مجاز، أي: هذا أوانُك فاحضري ﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾، مسوق لبيان سببها، لاشتماله علىٰ استهزائهم المؤدّي إلىٰ إهلاكهم المسبَّب عنه الحسرة. ٣١ ـ ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ﴾: أي: القائلون للنبي: لست مرسلاً، والاستفهام للتقرير: أي: عَلِموا ﴿كَمۡ﴾، خبرية بمعنىٰ كثيراً، معمولة لما بعدها معلِّقة لما قبلها عن العمل، والمعنىٰ: إنا ﴿أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم﴾ كثيراً ﴿مِّنَ ٱلۡقُرُونِ﴾: الأمم ﴿أَنَّهُمۡ﴾ أي: المهلكين ﴿إِلَيۡهِمۡ﴾ أي: المكذبين ﴿لَا يَرۡجِعُونَ﴾ أفلا يعتبرون بهم؟ والمعنىٰ: ألم يعلموا إهلاكنا كثيراً من الأمم السابقة، وهذا الإهلاك يشتمل علىٰ عدم رجوع المهلكين إلىٰ هؤلاء الباقين المكذبين الذين لم يعتبروا. ٣٢ ـ ﴿وَإِن﴾، نافية ﴿كُلّٞ﴾ أي: كل الخلائق، مبتدأ ﴿لَّمَّا﴾ بالتشديد بمعنىٰ إلا ﴿جَمِيعٞ﴾ خبر المبتدأ، أي: مجموعون ﴿لَّدَيۡنَا﴾: عندنا في الموقف بعد بعثهم ﴿مُحۡضَرُونَ﴾ للحساب، خبر ثان. ٣٣ ـ ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ﴾ علىٰ البعث، خبر مقدم ﴿ٱلۡأَرۡضُ ٱلۡمَيۡتَةُ﴾، بالتخفيف ﴿أَحۡيَيۡنَٰهَا﴾ بالماء، مبتدأ ﴿وَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهَا حَبّٗا﴾ كالحنطة ﴿فَمِنۡهُ يَأۡكُلُونَ﴾. ٣٤ ـ ﴿وَجَعَلۡنَا فِيهَا جَنَّٰتٖ﴾: بساتين ﴿مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَٰبٖ وَفَجَّرۡنَا فِيهَا مِنَ ٱلۡعُيُونِ﴾. ٣٥ ـ ﴿لِيَأۡكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ﴾ أي: ثمر المذكور من النخيل وغيره ﴿وَمَا عَمِلَتۡهُ أَيۡدِيهِمۡۚ﴾ أي: لم تعمل الثمر ﴿أَفَلَا يَشۡكُرُونَ﴾ أنعُمَه تعالىٰ عليهم؟ ٣٦ ـ ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ﴾: الأصناف ﴿كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ﴾ من الحبوب وغيرها ﴿وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾ من الذكور والإناث ﴿وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ﴾ من المخلوقات العجيبة الغريبة. ٣٧ ـ ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ﴾ علىٰ القدرة العظيمة ﴿ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ﴾: نفصل ﴿مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ﴾: داخلون في الظلام. ٣٨ ـ ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي﴾ إلىٰ آخره، من جملة الآية لهم، أو آية أخرىٰ، والقمر كذلك ﴿لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ﴾ أي: إليه لا تتجاوزه ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: جريها ﴿تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿ٱلۡعَلِيمِ﴾ بخلقه. ٣٩ ـ ﴿وَٱلۡقَمَرَ﴾، وهو منصوب بفعل يفسره ما بعده ﴿قَدَّرۡنَٰهُ﴾ من حيث سيرُه ﴿مَنَازِلَ﴾ ثمانية وعشرين منزلاً في ثمان وعشرين ليلة من كل شهر، ويستتر ليلتين إن كان الشهر ثلاثين يوماً، وليلةً إن كان تسعة وعشرين يوماً ﴿حَتَّىٰ عَادَ﴾ في آخر منازله في رأي العين ﴿كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ﴾ أي: كعود الشماريخ إذا عَتُق، فإنه يرِقُّ ويتقوَّس ويصفرُّ. والشماريخ جمع شمراخ وشمروخ وهو عيدان العنقود الذي يكون فيه الرطب. ٤٠ ـ ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي﴾: يسهل ويصحُّ ﴿لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ﴾ فتجتمع معه في الليل ﴿وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ﴾ فلا يأتي قبل انقضائه ﴿وَكُلّٞ﴾ ـ تنوينه عوض عن المضاف إليه ـ من الشمس والقمر والنجوم ﴿فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾: يسيرون، نُزلوا منزلة العقلاء.

وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾

سكتة لطيفة على الألف.

٤١ ـ ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ﴾ على قدرتنا ﴿أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ أي: آباءهم الأصول ﴿فِي ٱلْفُلْكِ﴾ أي: سفينة نوح ﴿ٱلْمَشْحُونِ﴾: المملوء.

٤٢ ـ ﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ أي: مثل فلك نوح، وهو ما عملوه على شكله من السفن الصغار والكبار بتعليم الله تعالى ﴿مَا يَرْكَبُونَ﴾ فيه.

٤٣ ـ ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ﴾ مع إيجاد السفن ﴿فَلَا صَرِيخَ﴾: مغيث ﴿لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ﴾: ينجون.

٤٤ ـ ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ أي: لا ينجيهم إلا رحمتنا لهم وتمتيعنا إياهم بلذاتهم إلى انقضاء آجالهم.

٤٥ ـ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ من عذاب الدنيا كغيركم ﴿وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ من عذاب الآخرة ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ أعرضوا.

٤٦ ـ ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾.

٤٧ ـ ﴿وَإِذَا قِيلَ﴾ أي: قال فقراء الصحابة ﴿لَهُمْ أَنفِقُوا۟﴾ علينا ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ من الأموال ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ استهزاء بهم: ﴿أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ﴾ في معتقدكم هذا؟ ﴿إِنْ﴾: ما ﴿أَنتُمْ﴾ في قولكم لنا ذلك مع معتقدكم هذا ﴿إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾: بيّن، وللتصريح بكفرهم موقع عظيم.

٤٨ ـ ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ بالبعث ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ فيه.

٤٩ ـ قال تعالى: ﴿مَا يَنظُرُونَ﴾ أي: ينتظرون ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ وهي نفخة إسرافيل الأولى ﴿تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾، بالتشديد، أصله: يختصمون، نُقلت حركة التاء إلى الخاء، وأُدغمت في الصاد، أي: وهم في غفلة عنها بتخاصم وتبايع، وأكل وشرب وغير ذلك.

٥٠ ـ ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ أي: أن يوصوا ﴿وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ من أسواقهم وأشغالهم، بل يموتون فيها.

٥١ ـ ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ هو قرن النفخة الثانية للبعث، وبين النفختين أربعون. كما في «الصحيحين»: البخاري (٤٨١٤) ومسلم (٢٩٥٥) أن أبا هريرة رضي الله عنه سئل: هل هي أربعون يوماً؟ قال: أبيت. قال: أربعون سنة؟ قال: أبيت قال: أربعون شهراً؟ قال أبيت. ولم يجزم بشيء. ﴿فَإِذَا هُم﴾ أي: المقبورون ﴿مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾: القبور ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾: يخرجون بسرعة.

٥٢ ـ ﴿قَالُوا۟﴾: أي: الكفار منهم: ﴿يا﴾، للتنبيه ﴿وَيْلَنَا﴾: هلاكنا، وهو مصدر لا فعل له من لفظه ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا﴾ أي: البعث ﴿مَا﴾ أي: الذي ﴿وَعَدَ﴾ به ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ﴾ فيه ﴿ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ أقرُّوا حين لا ينفعهم الإقرار، وقيل: يقال لهم ذلك.

٥٣ ـ ﴿إِن﴾: ما ﴿كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا﴾: عندنا ﴿مُحْضَرُونَ﴾.

٥٤ ـ ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا﴾ جزاء ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾

ربع الحزب ٤٥

٥٥ ـ ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ﴾ عما فيه أهل النار مما يتلذذون به، لا شغل يتعبون فيه، لأن الجنة لا نَصَب فيها ﴿فَٰكِهُونَ﴾: ناعمون، خبر ثان لـ (إنّ) والأول: (في شغل).

٥٦ ـ ﴿هُمْ﴾، مبتدأ ﴿وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ﴾، جمع ظُلَّة، أو ظِلٌّ: خبر، أي: لا تصيبهم الشمس ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾، جمع أريكة وهو السرير في الحَجلة، أو الفُرُش فيها ﴿مُتَّكِـُٔونَ﴾، خبر ثان، مُتعلّق علىٰ.

٥٧ ـ ﴿لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم﴾ فيها ﴿مَّا يَدَّعُونَ﴾: يتمنَّون.

٥٨ ـ ﴿سَلَٰمٌ﴾، مبتدأ ﴿قَوْلًا﴾، خبره: ﴿مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ بهم، أي: يقول لهم: سلام عليكم.

٥٩ ـ ﴿وَ﴾ يقول: ﴿ٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ أي: انفردوا عن المؤمنين عند اختلاطهم بهم.

٦٠ ـ ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ﴾: آمركم ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ﴾ علىٰ لسان رسلي ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾: لا تطيعوه ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾: بَيِّن العداوة.

٦١ ـ ﴿وَأَنِ ٱعْبُدُونِى﴾: وحّدوني وأطيعوني ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ﴾: طريق ﴿مُّسْتَقِيمٌ﴾.

٦٢ ـ ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا﴾: خلقاً ﴿كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ﴾ عداوته وإضلالَه، أو ما حلَّ بهم من العذاب فتؤمنون؟

٦٣ ـ ويقال لهم في الآخرة: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ بها.

٦٤ ـ ﴿ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

٦٥ ـ ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ أي: الكفار لقولهم: واللهِ ربِّنا ما كنا مشركين ﴿وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم﴾ وغيرُها ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ فكل عضو ينطق بما صدر منه.

٦٦ ـ ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ﴾: لأعميناها طمساً ﴿فَٱسْتَبَقُوا۟﴾: ابتدروا ﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾: الطريق ذاهبين كعادتهم ﴿فَأَنَّىٰ﴾: فكيف ﴿يُبْصِرُونَ﴾ حينئذٍ؟ أي: لا يبصرون.

٦٧ ـ ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ﴾ قردةً وخنازيرَ، أو حجارة ﴿عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ﴾ أي: في منازلهم ﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ أي: لم يقدروا علىٰ ذهاب ولا مجيء.

٦٨ ـ ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ﴾ بإطالة أجله ﴿نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ﴾ أي: خلقه، فيكون بعد قوته وشبابه ضعيفاً وهرماً ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ أن القادر علىٰ ذلك المعلوم عندهم قادرٌ علىٰ البعث فيؤمنون؟.

٦٩ ـ ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ﴾ أي: النبي ﴿ٱلشِّعْرَ﴾ ردٌّ لقولهم: إنَّ ما أتىٰ به من القرآن شعر ﴿وَمَا يَنۢبَغِى﴾: يسهل ﴿لَهُۥٓ﴾ الشّعر ﴿إِنْ هُوَ﴾ ليس الذي أتىٰ به ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾: عِظة ﴿وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾: مظهر للأحكام وغيرها.

٧٠ ـ ﴿لِّيُنذِرَ﴾ به ﴿مَن كَانَ حَيًّا﴾: يعقل ما يخاطب به، وهم المؤمنون ﴿وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ﴾ بالعذاب ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ وهم كالميتين لا يعقلون ما يخاطبون به.

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

سُورَةُ الصَّافَّات

مكية ٣٧ — آياتها ١٨٢

٧١ ـ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾: يعلموا، والاستفهام للتقرير، والواو الداخلة عليها للعطف ﴿أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم﴾ في جملة الناس ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾ أي: عملناه بلا شريك ولا معين ﴿أَنْعَامًا﴾ هي الإبل والبقر والغنم ﴿فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾: ضابطون.

٧٢ ـ ﴿وَذَلَّلْنَاهَا﴾: سخرناها ﴿لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾: مركوبهم ﴿وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾.

٧٣ ـ ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ كأصوافها وأوبارها وأشعارها ﴿وَمَشَارِبُ﴾ من لبنها، جمع مشرب بمعنىٰ شُرب، أو موضعه ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ المنعم عليهم بها فيؤمنون؟ أي: ما فعلوا ذلك.

٧٤ ـ ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿آلِهَةً﴾: أصناماً يعبدونها ﴿لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ﴾: يمنعون من عذاب الله تعالىٰ بشفاعة آلهتهم بزعمهم.

٧٥ ـ ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ أي: آلهتهم، نُزلوا منزلة العقلاء ﴿نَصْرَهُمْ وَهُمْ﴾ أي: آلهتهم من الأصنام ﴿لَهُمْ جُندٌ﴾ بزعمهم نصرهم ﴿مُّحْضَرُونَ﴾ في النار معهم.

٧٦ ـ ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ لك: لست مُرسلاً وغير ذلك ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ من ذلك وغيره، فنجازيهم عليه.

٧٧ ـ ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ﴾: يعلم، وهو العاصي بن وائل ﴿أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ﴾: منيٍّ إلىٰ أن صيرناه شديداً قوياً ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ﴾: شديد الخصومة لنا ﴿مُّبِينٌ﴾: بيِّنُها في نفي البعث.

٧٨ ـ ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾ في ذلك ﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ من المنيّ، وهو أغرب من مَثَله ﴿قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ أي: بالية، ولم يقل بالتاء [أي: رميمة] لأنه اسم لا صفة، وروي أنه أخذ عظماً رميماً، ففتته، وقال للنبي ﷺ: أترىٰ يُحيي اللهُ هذا بعد ما بَلِيَ ورَمَّ؟! فقال ﷺ: «نعم ويدخلك النار».

٧٩ ـ ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ﴾: مخلوق ﴿عَلِيمٌ﴾ مجملاً ومفصلاً قبل خلقه وبعد خلقه.

٨٠ ـ ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم﴾ في جملة الناس ﴿مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ﴾: المَرْخ والعَفار، أو كل شجر إلا العُنّاب ﴿نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾: تقدحون، وهذا دال علىٰ القدرة علىٰ البعث، فإنه جمع فيه بين الماء والنار والخشب، فلا الماء يطفئ النار، ولا النار تحرق الخشب.

٨١ ـ ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ مع عظمهما ﴿بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾ أي: الأناسيَّ في الصغر؟ ﴿بَلَىٰ﴾ أي: هو قادر علىٰ ذلك، أجاب نفسه ﴿وَهُوَ الْخَلَّاقُ﴾: الكثير الخلق ﴿الْعَلِيمُ﴾ بكل شيء.

٨٢ ـ ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ﴾: شأنه ﴿إِذَا أَرَادَ شَيْئًا﴾ أي: خَلْقَ شيءٍ ﴿أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ أي: فهو يكون.

٨٣ ـ ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ﴾: مُلك، زيدت الواو والتاء للمبالغة، أي: القدرة علىٰ ﴿كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: تُردُّون في الآخرة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴿٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا۟ لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ ۞ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾

نصف الحزب ٤٥

سورة الصافات

مكية، مئة واثنتان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا﴾: الملائكة تصفُّ نفوسها في العبادة، أو أجنحتها في الهواء تنتظر ما تُؤمر به. ٢ ـ ﴿فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا﴾: الملائكة تزجر السحاب، أي: تسوقه. ٣ ـ ﴿فَٱلتَّٰلِيَٰتِ﴾ أي: جماعة قرّاء القرآن يتلونه ﴿ذِكْرًا﴾، مصدر من معنىٰ التاليات. ٤ ـ ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ﴾. ٥ ـ ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ﴾ أي: والمغارب للشمس، لها كل يوم مشرق ومغرب. ٦ ـ ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾. ٧ ـ ﴿وَحِفْظًا﴾، منصوب بفعل مقدر، أي: حفظناها بالشهب ﴿مِّن كُلِّ﴾، متعلق بالمقدر ﴿شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ﴾: عاتٍ خارج عن الطاعة. ٨ ـ ﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ﴾ أي: الشياطين، مستأنف، أصله: يتسمعون، أدغمت التاء في السين وسماعهم هو في المعنىٰ المحفوظ عنه ﴿إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾: الملائكة في السماء، وعُدّي السماع بـ (إلىٰ) لتضمنه معنىٰ الإصغاء، ﴿وَيُقْذَفُونَ﴾ أي: الشياطين بالشهب ﴿مِن كُلِّ جَانِبٍ﴾ من آفاق السماء. ٩ ـ ﴿دُحُورًا﴾ مصدر دحره، أي: طرده وأبعده، وهو مفعول له ﴿وَلَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾: دائم. ١٠ ـ ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ﴾، مصدر، أي: المرة، والاستثناء من ضمير (يسمعون) أي: لا يسمع إلا الشيطان الذي سمع الكلمة من الملائكة، فأخذها بسرعة ﴿فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ يثقبه أو يحرقه أو يخبله. ١١ ـ ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ﴾: استخبر كفار مكة تقريراً أو توبيخاً: ﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ﴾ من الملائكة والسماوات والأرضين وما فيهما؟ وفي الإتيان بـ (مَن) تغليب العقلاء ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم﴾ أي: أصلهم آدم ﴿مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾: لازم يلصق باليد، المعنىٰ: أن خلقهم ضعيف، فلا يتكبروا بإنكار النبي والقرآن المؤدي إلىٰ هلاكهم اليسير. ١٢ ـ ﴿بَلْ﴾ للانتقال من غرض إلىٰ آخر، وهو الإخبار بحاله وحالهم ﴿عَجِبْتَ﴾، بفتح التاء خطاباً للنبي ﷺ، أي: من تكذيبهم إياك ﴿وَ﴾ هم ﴿يَسْخَرُونَ﴾ من تعجبك. ١٣ ـ ﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا۟﴾: وُعظوا بالقرآن ﴿لَا يَذْكُرُونَ﴾: لا يتعظون. ١٤ ـ ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً﴾ كانشقاق القمر ﴿يَسْتَسْخِرُونَ﴾: يستهزئون بها. ١٥ ـ ﴿وَقَالُوٓا۟﴾ فيها: ﴿إِنْ﴾: ما ﴿هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾: بيّن. ١٦ ـ وقالوا منكرين للبعث: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾. ١٧ ـ ﴿أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾. ١٨ ـ ﴿قُلْ نَعَمْ﴾ تُبعثون ﴿وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ﴾: صاغرون. ١٩ ـ ﴿فَإِنَّمَا هِىَ﴾، ضمير مبهم يفسره: ﴿زَجْرَةٌ﴾ أي: صيحة ﴿وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ﴾ أي: الخلائق أحياء ﴿يَنظُرُونَ﴾ ما يُفعل بهم. ٢٠ ـ ﴿وَقَالُوا۟﴾ أي: الكفار: ﴿يا﴾، للتنبيه ﴿وَيْلَنَا﴾: هلاكنا، وهو مصدر لا فعل له من لفظه، وتقول لهم الملائكة: ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ أي: الحساب والجزاء. ٢١ ـ ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ﴾ بين الخلائق ﴿ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ ٢٢ ـ ويقال للملائكة: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ أنفسهم بالشرك ﴿وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾: قرناءهم من الشياطين ﴿وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ﴾. ٢٣ ـ ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره من الأوثان ﴿فَٱهْدُوهُمْ﴾: دُلُّوهم وسوقوهم ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾: طريق النار. ٢٤ ـ ﴿وَقِفُوهُمْ﴾: احبسوهم عند الصراط ﴿إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾ عن جميع أقوالهم وأفعالهم.

مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ
عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾
قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ
بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ ﴿٣١﴾
فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ
﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ
لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا
لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ
لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ
﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾
فَوَاكِهُ ۖ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ
﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ
﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ
الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ
بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾

٢٥ ـ ويقال لهم توبيخاً: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾: لا ينصر بعضكم بعضاً كحالكم في الدنيا؟

٢٦ ـ ويقال لهم: ﴿بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾: منقادون أذلاء.

٢٧ ـ ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾: يتلاومون ويتخاصمون.

٢٨ ـ ﴿قَالُوا﴾ أي: الأتباع منهم للمتبوعين: ﴿إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ﴾: عن الجهة التي كنا نأمنكم منها لِحَلِفِكُم أنكم علىٰ الحق، فصدقناكم واتبعناكم، المعنىٰ: أنكم أضللتمونا.

٢٩ ـ ﴿قَالُوا﴾ أي: المتبوعون لهم: ﴿بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ وإنما يَصدُق الإضلال منا أن لو كنتم مؤمنين، فرجعتم عن الإيمان إلينا.

٣٠ ـ ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ﴾: قوة وقدرة نقهركم علىٰ متابعتنا ﴿بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ﴾: ضالِّين مثلنا. ٣١ ـ ﴿فَحَقَّ﴾: وجبَ ﴿عَلَيْنَا﴾ جميعاً ﴿قَوْلُ رَبِّنَا﴾ بالعذاب، أي: قوله: (لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) ﴿إِنَّا﴾ جميعاً ﴿لَذَائِقُونَ﴾ العذاب بذلك القول. ٣٢ ـ ونشأ عنه قولهم: ﴿فَأَغْوَيْنَاكُمْ﴾ المعلل بقولهم: ﴿إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ﴾. ٣٣ ـ قال تعالىٰ: ﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾: يوم القيامة ﴿فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ أي: لاشتراكهم في الغواية. ٣٤ ـ ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾ كما نفعل بهؤلاء ﴿نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ غير هؤلاء، أي: نعذبهم، التابع منهم والمتبوع. ٣٥ ـ ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي: هؤلاء، بقرينة ما بعده ﴿كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾. ٣٦ ـ ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ أي: لأجل قول محمد؟ ٣٧ ـ قال تعالىٰ: ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ الجائين به، وهو أن لا إلٰه إلا الله. ٣٨ ـ ﴿إِنَّكُمْ﴾ ـ فيه التفات ـ ﴿لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ﴾. ٣٩ ـ ﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا﴾ جزاء ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. ٤٠ ـ ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ أي: المؤمنين، استثناء منقطع. ٤١ ـ ذُكر جزاؤهم في قوله: ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ﴾ في الجنة ﴿رِزْقٌ مَّعْلُومٌ﴾ بكرة وعشيّاً. ٤٢ ـ ﴿فَوَاكِهُ﴾، بدل، أو بيان للرزق، وهو ما يؤكل تلذُّذاً لا لحفظ صحة، لأن أهل الجنة مستغنون عن حفظها بخلق أجسامهم للأبد ﴿وَهُم مُّكْرَمُونَ﴾ بثواب الله ﷻ. ٤٣ ـ ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾. ٤٤ ـ ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾: لا يرىٰ بعضهم قفا بعض. ٤٥ ـ ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم﴾: علىٰ كل منهم ﴿بِكَأْسٍ﴾ هو الإناء بشرابه ﴿مِّن مَّعِينٍ﴾ من خمر يجري علىٰ وجه الأرض كأنهار الماء. ٤٦ ـ ﴿بَيْضَاءَ﴾ أشد بياضاً من اللبن ﴿لَذَّةٍ﴾: لذيذة ﴿لِّلشَّارِبِينَ﴾ بخلاف خمر الدنيا، فإنها كريهة عند الشرب. ٤٧ ـ ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾: ما يَغتال عقولهم ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ من: نُزِف الشاربُ أي: يسكرون، بخلاف خمر الدنيا. ٤٨ ـ ﴿وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾: حابسات الأعين علىٰ أزواجهن لا ينظرن إلىٰ غيرهم لحسنهم عندهن ﴿عِينٌ﴾: ضخام الأعين حسانها. ٤٩ ـ ﴿كَأَنَّهُنَّ﴾ في اللون ﴿بَيْضٌ﴾ للنعام ﴿مَّكْنُونٌ﴾: مستور بريشه لا يصل إليه غبار، ولونه ـ وهو البياض في صفرة ـ أحسن ألوان النساء. ٥٠ ـ ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ﴾: بعض أهل الجنة ﴿عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ عما مرَّ بهم في الدنيا. ٥١ ـ ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾: صاحب ينكر البعث.

يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾

٥٢ - ﴿يَقُولُ﴾ لي تبكيتاً: ﴿أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ﴾ بالبعث؟!

٥٣ - ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾: مجزيّون ومحاسبون؟! أنكر ذلك أيضاً.

٥٤ - ﴿قَالَ﴾ ذلك القائل لإخوانه: ﴿هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾ معي إلىٰ النار لننظر حاله؟ فيقولون: لا.

٥٥ - ﴿فَٱطَّلَعَ﴾ ذلك القائل من بعض كُوىٰ الجنة ﴿فَرَءَاهُ﴾ أي: رأىٰ قرينه ﴿فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ أي: وسط النار.

٥٦ - ﴿قَالَ﴾ له تشميتاً: ﴿تَٱللَّهِ إِن﴾، مخففة من الثقيلة ﴿كِدتَّ﴾: قاربت ﴿لَتُرْدِينِ﴾: لتُهلكني بإغوائك. ٥٧ - ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى﴾ عليّ بالإيمان ﴿لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ معك في النار. ٥٨ - ويقول أهل الجنة: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾. ٥٩ - ﴿إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ﴾ أي: التي في الدنيا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾؟ هو استفهام تلذُّذ وتحدُّث بنعمة الله تعالىٰ من تأبيد الحياة وعدم التعذيب. ٦٠ - ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الذي ذُكر لأهل الجنة ﴿لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾. ٦١ - ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾ قيل: يقال لهم ذلك، وقيل: هم يقولونه. ٦٢ - ﴿أَذَٰلِكَ﴾ المذكور لهم ﴿خَيْرٌ نُّزُلًا﴾ وهو ما يعد للنازل من ضيف وغيره ﴿أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾ المعدة لأهل النار؟ وهي من أخبث الشجر المرّ بتهامة يُنبتها الله في الجحيم كما سيأتي. ٦٣ - ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهَا﴾ بذلك ﴿فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: الكافرين إذ قالوا: النار تحرق الشجر، فكيف تُنبته؟! ٦٤ - ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ﴾ أي: قعر جهنم وأغصانها ترتفع إلىٰ دركاتها. ٦٥ - ﴿طَلْعُهَا﴾ المشبَّه بطلع النخل ﴿كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ وإنما شبّهها برؤوس الشياطين وإن لم تكن معروفة من المخاطبين؛ لأنه استقرّ في النفوس أن الشياطين قبيحة المنظر. قال صاحب «الظلال»: والناس لايعرفون رؤوس الشياطين كيف تكون، ولكنها مفزعة ولا شك، ومجرد تصورها يثير الفزع والرعب، فكيف إذا كانت طلعاً يأكلونه ويملؤون منه البطون. وقيل: المراد بالشياطين ضرب من الحيات رؤوسها بشعة المنظر، وقيل غير ذلك. وما ذكرناه أولاً هو الأقوىٰ والله أعلم. ٦٦ - ﴿فَإِنَّهُمْ﴾ أي: الكفار ﴿لَءَاكِلُونَ مِنْهَا﴾ مع قبحها لشدة جوعهم ﴿فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ﴾. ٦٧ - ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾ أي: ماء حار، يشربونه فيختلط بالمأكول منها، فيصير شوباً له. ٦٨ - ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ﴾ يفيد أنهم يخرجون منها لشرب الحميم وأنه خارجها. ٦٩ - ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟﴾: وجدوا ﴿ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ﴾. ٧٠ - ﴿فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾: يُزعجون إلىٰ اتّباعهم، فيسرعون إليه. ٧١ - ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ من الأمم الماضية. ٧٢ - ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ﴾ من الرسل مخوِّفين. ٧٣ - ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾: الكافرين، أي: عاقبتهم العذاب. ٧٤ - ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ أي: المؤمنين، فإنهم نجَوْا من العذاب لأن الله أخلصهم لها. ٧٥ - ﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ﴾ بقوله: رب (أني مغلوب فانتصر) ﴿فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ﴾ له نحن، أي: دعانا علىٰ قومه، فأهلكناهم بالغرق. ٧٦ - ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ أي: الغرق.

وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ
عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ
عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَإِنَّ مِن
شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ
لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ
﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾
فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ
فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا
بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ
﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ
فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾
وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ
﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ
يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ
يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾

ربع الحزب ٤٥

٧٧ ـ ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾ فالناس كلهم من نسله عليه السلام، وكان له ثلاثة أولاد: سام وهو أبو العرب وفارس والروم، وحام وهو أبو السودان، ويافث وهو أبو الترك والخزر ويأجوج ومأجوج وما هنالك. ٧٨ ـ ﴿وَتَرَكْنَا﴾: أبقينا ﴿عَلَيْهِ﴾ ثناءً حسناً ﴿فِى ٱلْءَاخِرِينَ﴾ من الأنبياء والأمم إلىٰ يوم القيامة. ٧٩ ـ ﴿سَلَٰمٌ﴾ منّا ﴿عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. ٨٠ ـ ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾ كما جزيناهم ﴿نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾. ٨١ ـ ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾. ٨٢ ـ ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ﴾: كفار قومه. ٨٣ ـ ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ﴾ أي: ممن تابعه في أصل الدين ﴿لَإِبْرَٰهِيمَ﴾ وإن طال الزمان بينهما، وكان بينهما هود وصالح. ٨٤ ـ ﴿إِذْ جَآءَ﴾ أي: تابعه وقت مجيئه ﴿رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ من الشرك وغيره. ٨٥ ـ ﴿إِذْ قَالَ﴾ في هذه الحالة المستمرة له ﴿لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ﴾ موبِّخاً: ﴿مَاذَا﴾: ما الذي ﴿تَعْبُدُونَ﴾؟ ٨٦ ـ ﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ﴾؟ و(إفكاً) مفعول له، و(آلهة) مفعول به لـ (تريدون)، والإفك أسوأ الكذب، أي: أتعبدون غير الله؟ ٨٧ ـ ﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ إذ عبدتم غيره أنه يترككم بلا عقاب؟ لا. وكانوا نجّامين، فخرجوا إلىٰ عيدٍ لهم، وتركوا طعامهم عند أصنامهم، زعموا التبرُّك عليه، فإذا رجعوا أكلوه، وقالوا للسيد إبراهيم: اخرج معنا. ٨٨ ـ ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ﴾ إيهاماً لهم أنه يعتمد عليها ليتركوه ويعذروه في التخلف. ٨٩ ـ ﴿فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ﴾: عليل، أي: سأسقم. ٩٠ ـ ﴿فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ﴾ إلىٰ عيدهم ﴿مُدْبِرِينَ﴾. ٩١ ـ ﴿فَرَاغَ﴾: مال في خُفية ﴿إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ﴾ وهي الأصنام وعندها الطعام ﴿فَقَالَ﴾ استهزاءً: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾؟ فلم ينطقوا. ٩٢ ـ فقال: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ﴾؟ فلم يُجب. ٩٣ ـ ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ﴾: بالقوّة، فكسرها، فبلغ قومَه ممن رآه. ٩٤ ـ ﴿فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ﴾ أي: يسرعون المشي، فقالوا له: نحن نعبدها وأنت تكسرها؟ ٩٥ ـ ﴿قَالَ﴾ لهم موبخاً: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ من الحجارة وغيرها أصناماً. ٩٦ ـ ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ من نحتكم ومنحوتكم، فاعبدوه وحده، و(ما) مصدرية، وقيل: موصولة، وقيل: موصوفة. ٩٧ ـ ﴿قَالُوا۟﴾ بينهم: ﴿ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا﴾ فاملؤوه حطباً وأضرموه بالنار، فإذا التهب ﴿فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ﴾: النار الشديدة. ٩٨ ـ ﴿فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا﴾ بإلقائه في النار لتهلكه ﴿فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾: المقهورين، فخرج من النار سالماً. ٩٩ ـ ﴿وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى﴾: مهاجر إليه من دار الكفر ﴿سَيَهْدِينِ﴾ إلىٰ حيث أمرني ربي بالمصير إليه، وهو الشام. ١٠٠ ـ فلما وصل إلىٰ الأرض المقدسة قال: ﴿رَبِّ هَبْ لِى﴾ ولداً ﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾. ١٠١ ـ ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ أي: ذي حلم كثير ١٠٢ ـ ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ﴾ أي: أن يسعىٰ معه ويعينه، قيل: بلغ سبع سنين، وقيل: ثلاث عشرة سنة ﴿قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ﴾ أي: رأيت ﴿فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ﴾ ورؤيا الأنبياء حق، وأفعالهم بأمر الله تعالىٰ ﴿فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ من الرأي، شاوره ليأنس بالذبح وينقاد للأمر به ﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ﴾، التاء عوض عن ياء الإضافة ﴿ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ به ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ علىٰ ذلك.

فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ ﴿١١٣﴾ وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيۡنَٰهُمَا وَقَوۡمَهُمَا مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرۡنَٰهُمۡ فَكَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيۡنَٰهُمَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلۡمُسۡتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيۡنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِمَا فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنَّ إِلۡيَاسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدۡعُونَ بَعۡلٗا وَتَذَرُونَ أَحۡسَنَ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾

١٠٣ ـ ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا﴾: خضعا وانقادا لأمر الله تعالىٰ ﴿وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ﴾: صرعه عليه، ولكل إنسان جبينان بينهما الجبهة، وكان ذلك بمِنَى، وأمرَّ السكين علىٰ حلقه، فلم تعمل شيئاً بمانع من القدرة الإلٰهية.

١٠٤ ـ ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ﴾.

١٠٥ ـ ﴿قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ﴾ بما أتيت به مما أمكنك من أمر الذبح، أي: يكفيك ذلك، فجملة (ناديناه) جواب (لَمَّا) بزيادة الواو ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾ كما جزيناك ﴿نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ لأنفسهم بامتثال الأمر بإفراج الشدة عنهم.

١٠٦ ـ ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الذبحَ المأمور به ﴿لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ﴾ أي: الاختبار الظاهر.

١٠٧ ـ ﴿وَفَدَيۡنَٰهُ﴾ أي: المأمور بذبحه، وهو إسماعيل ﴿بِذِبۡحٍ﴾: بكبش ﴿عَظِيمٖ﴾ من الجنة، فذبحه السيد إبراهيم مكبِّراً.

١٠٨ ـ ﴿وَتَرَكۡنَا﴾: أبقينا ﴿عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ ثناءً حسناً.

١٠٩ ـ ﴿سَلَٰمٌ﴾ منا ﴿عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾.

١١٠ ـ ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما جزيناه ﴿نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ لأنفسهم.

١١١ ـ ﴿إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

١١٢ ـ ﴿وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ﴾ استُدل بذلك علىٰ أن الذبيح غيره ﴿نَبِيّٗا﴾، حال مقدرة، أي: يوجد مقدَّراً نبوته ﴿مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

١١٣ ـ ﴿وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ﴾ بتكثير ذريته ﴿وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ﴾ ولده، بجعْلنا أكثر الأنبياء من نسله ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ﴾: مؤمن ﴿وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ﴾: كافر ﴿مُبِينٞ﴾: بيِّن الكفر.

١١٤ ـ ﴿وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ بالنبوة.

١١٥ ـ ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُمَا وَقَوۡمَهُمَا﴾: بني إسرائيل ﴿مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ أي: استعباد فرعون إياهم.

١١٦ ـ ﴿وَنَصَرۡنَٰهُمۡ﴾ علىٰ القبط ﴿فَكَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ﴾.

١١٧ ـ ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُمَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلۡمُسۡتَبِينَ﴾: البليغ البيان فيما أتىٰ به من الحدود والأحكام وغيرها، وهو التوراة.

١١٨ ـ ﴿وَهَدَيۡنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ﴾: الطريق ﴿ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾.

١١٩ ـ ﴿وَتَرَكۡنَا﴾: أبقينا ﴿عَلَيۡهِمَا فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ ثناءً حسناً.

١٢٠ ـ ﴿سَلَٰمٌ﴾ منّا ﴿عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾. ١٢١ ـ ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾ كما جزيناهما ﴿نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾. ١٢٢ ـ ﴿إِنَّهُمَا مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾. ١٢٣ ـ ﴿وَإِنَّ إِلۡيَاسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ قيل: هو ابن أخي هارون أخي موسىٰ، وقيل غيره، أرسل إلىٰ قوم بـ (بعلبك) ونواحيها. ١٢٤ ـ ﴿إِذۡ﴾، منصوب بـ (اذكر) مقدراً ﴿قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ الله. ١٢٥ ـ ﴿أَتَدۡعُونَ بَعۡلٗا﴾ اسم صنم لهم من ذهب، وبه سمي البلد أيضاً مضافاً إلىٰ (بك) أي: أتعبدونه ﴿وَتَذَرُونَ﴾: تتركون ﴿أَحۡسَنَ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ فلا تعبدونه؟ ١٢٦ ـ ﴿ٱللَّهَ رَبَّكُمۡ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾.

فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ۞ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾

الحزب ٤٦

١٢٧ ـ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ في النار.

١٢٨ ـ ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ أي: المؤمنين منهم، فإنهم نجوا منها.

١٢٩ ـ ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ ثناءً حسناً.

١٣٠ ـ ﴿سَلَامٌ﴾ منّا ﴿عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ﴾ هو إلياس المتقدّم ذِكره، وقيل: هو ومن آمن معه، فجُمعوا معه تغليباً، كقولهم للمهلّب وقومه: المهلّبون.

١٣١ ـ ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾ كما جزيناه ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.

١٣٢ ـ ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾.

١٣٣ ـ ﴿وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

١٣٤ ـ اذكر ﴿إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾.

١٣٥ ـ ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾ أي: الباقين في العذاب.

١٣٦ ـ ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا﴾: أهلكنا ﴿الْآخَرِينَ﴾: كفار قومه. ١٣٧ ـ ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم﴾: علىٰ آثارهم ومنازلهم في أسفاركم ﴿مُّصْبِحِينَ﴾ أي: وقت الصباح، يعني بالنهار. ١٣٨ ـ ﴿وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ما حلَّ بهم فتعتبرون به؟ ١٣٩ ـ ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾. ١٤٠ ـ ﴿إِذْ أَبَقَ﴾: هرب ﴿إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾: السفينة المملوءة حين غاضب قومه لما لم ينزل بهم العذاب الذي وعدهم به، فركب السفينة، فوقفت في لُجّةِ البحر، فقال الملاحون: هنا عبد أبق من سيده تُظهره القُرعة. ١٤١ ـ ﴿فَسَاهَمَ﴾: قارع أهلُ السفينة ﴿فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾: المغلوبين بالقرعة، فألقوْه في البحر. ١٤٢ ـ ﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ﴾: ابتلعه ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ أي: آت بما يلام عليه من ذهابه إلىٰ البحر وركوبه السفينة بلا إذن من ربه. ١٤٣ ـ ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾: الذاكرين، بقوله كثيراً في بطن الحوت: (لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ). ١٤٤ ـ ﴿لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾: لصار بطن الحوت قبراً له إلىٰ يوم القيامة. ١٤٥ ـ ﴿فَنَبَذْنَاهُ﴾ أي: ألقيناه من بطن الحوت ﴿بِالْعَرَاءِ﴾ بوجه الأرض، أي: بالساحل من يومه أو بعد ثلاثة، أو سبعة أيام، أو عشرين، أو أربعين يوماً ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾: عليل كالفرخ المُمَّعط. ١٤٦ ـ ﴿وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ﴾ وهي القرع تُظله بساق، علىٰ خلاف العادة في القرع، معجزة له، وكانت تأتيه وَعْلَة صباحاً ومساء يشرب من لبنها حتىٰ قوي. ١٤٧ ـ ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ﴾ بعد ذلك إلىٰ قومه بـ (نينوىٰ) من أرض الموصل ﴿إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ﴾: بل ﴿يَزِيدُونَ﴾ عشرين، أو ثلاثين، أو سبعين ألفاً. ١٤٨ ـ ﴿فَآمَنُوا﴾ عند معاينة العذاب الموعودين به ﴿فَمَتَّعْنَاهُمْ﴾ أي: أبقيناهم مُمتَّعين بمالهم ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ تنقضي آجالهم فيه. ١٤٩ ـ ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ﴾: استخبر كفار مكة توبيخاً لهم ﴿أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ﴾ بزعمهم أن الملائكة بنات الله ﴿وَلَهُمُ الْبَنُونَ﴾ فيختصون بالأسنىٰ؟ ١٥٠ ـ ﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾ خلْقنا، فيقولون ذلك؟ ١٥١ ـ ﴿أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ﴾: كذبهم ﴿لَيَقُولُونَ﴾: ١٥٢ ـ ﴿وَلَدَ اللَّهُ﴾ بقولهم: الملائكة بنات الله ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ فيه. ١٥٣ ـ ﴿أَصْطَفَى﴾، بفتح الهمزة للاستفهام، واستغني بها عن همزة الوصل، فحذفت، أي: أختار ﴿الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾؟

مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَٰنَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا بِهِۦ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾

سورة ص

ترتيبها ٣٨ — آياتها ٨٨

١٥٤ ـ ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ هذا الحكم الفاسد؟

١٥٥ ـ ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أنه ﷻ منزه عن الولد.

١٥٦ ـ ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ﴾: حجة واضحة أن لله ولداً؟

١٥٧ ـ ﴿فَأْتُوا بِكِتَٰبِكُمْ﴾: التوراة، فأروني ذلك فيه ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في قولكم ذلك.

١٥٨ ـ ﴿وَجَعَلُوا﴾ أي: المشركون ﴿بَيْنَهُۥ﴾ تعالىٰ ﴿وَبَيْنَ الْجِنَّةِ﴾ أي: الملائكة، لاجتنانهم عن الأبصار ﴿نَسَبًا﴾ بقولهم: إنها بنات الله، ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ﴾ أي: قائلي ذلك ﴿لَمُحْضَرُونَ﴾ للنار يعذبون فيها.

١٥٩ ـ ﴿سُبْحَٰنَ اللَّهِ﴾: تنزيهاً له ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ بأن لله ولداً.

١٦٠ ـ ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ أي: المؤمنين، استثناء منقطع، أي: فإنهم ينزهون الله تعالىٰ عما يصفه هؤلاء.

١٦١ ـ ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ من الأصنام.

١٦٢ ـ ﴿مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: علىٰ معبودكم، و(عليه) متعلق بقوله: ﴿بِفَٰتِنِينَ﴾ أي: أحداً.

١٦٣ ـ ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ﴾ في علم الله تعالىٰ.

١٦٤ ـ قال جبريل للنبي ﷺ: ﴿وَمَا مِنَّا﴾ معشر الملائكة أحد ﴿إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ في السماوات يعبد الله فيه لا يتجاوزه. ١٦٥ ـ ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ﴾ أقدامنا في الصلاة. ١٦٦ ـ ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾: المنزِّهون الله عما لا يليق به. ١٦٧ ـ ﴿وَإِن﴾، مخففة من الثقيلة ﴿كَانُوا﴾ أي: كفار مكة ﴿لَيَقُولُونَ﴾: ١٦٨ ـ ﴿لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا﴾: كتاباً ﴿مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: من كتب الأمم الماضية. ١٦٩ ـ ﴿لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾. ١٧٠ ـ قال تعالىٰ: ﴿فَكَفَرُوا بِهِۦ﴾ أي: بالكتاب الذي جاءهم، وهو القرآن الأشرف من تلك الكتب ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبة كفرهم. ١٧١ ـ ١٧٣ ـ ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا﴾ بالنصر ﴿لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ وهي: (لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي) أو هي قوله: ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ۝ وَإِنَّ جُندَنَا﴾ أي: المؤمنين ﴿لَهُمُ الْغَٰلِبُونَ﴾ الكفارَ بالحجة والنصرة عليهم في الدنيا، وإن لم ينتصر بعض منهم في الدنيا، ففي الآخرة. ١٧٤ ـ ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ أي: أعْرِضْ عن كفار مكة ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ تؤمر فيه بقتالهم. ١٧٥ ـ ١٧٦ ـ ﴿وَأَبْصِرْهُمْ﴾ إذا نزل بهم العذاب ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ عاقبةَ كفرهم، فقالوا استهزاء: متىٰ نزول هذا العذاب؟ قال تعالىٰ تهديداً لهم: ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾؟ ١٧٧ ـ ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ﴾: بفِنائهم، قال الفراء: العرب تكتفي بذكر الساحة عن القوم ﴿فَسَاءَ﴾: بئس صباحاً ﴿صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ﴾، فيه إقامة الظاهر مقام المضمر. ١٧٨ ـ ﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾. ١٧٩ ـ ﴿وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾، كُرر تأكيداً لتهديدهم، وتسليةً له ﷺ. ١٨٠ ـ ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ﴾: الغلبة ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ بأن له ولداً. ١٨١ ـ ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾: المبلِّغين عن الله التوحيدَ والشرائعَ. ١٨٢ ـ ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَٰلَمِينَ﴾ علىٰ نصرهم وهلاك الكافرين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

صٓ وَالْقُرْءَانِ ذِى الذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾ وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ ءَالِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُم مُّلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِى الْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنظُرُ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾

سورة ص

مكية، ستٌّ ـ أو ثمان ـ وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿صٓ﴾ الله أعلم بمراده به ﴿وَالْقُرْءَانِ ذِى الذِّكْرِ﴾ أي: البيان أو الشرف، وجواب هذا القسم محذوف، أي: ما الأمر كما قال كفار مكة من تعدد الآلهة. ٢ ـ ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة ﴿فِى عِزَّةٍ﴾: حميَّة وتكبُّر عن الإيمان ﴿وَشِقَاقٍ﴾: خلاف وعداوة للنبي ﷺ. ٣ ـ ﴿كَمْ﴾ أي: كثيراً ﴿أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾ أي: أمة من الأمم الماضية ﴿فَنَادَوا﴾ حين نزول العذاب بهم ﴿وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ أي: ليس الحينُ حينَ فرار، والتاء زائدة، والجملة حال من فاعل (نادوا) أي: استغاثوا والحال أن لا مهرب ولا منجىٰ، وما اعتبر بهم كفار مكة. ٤ ـ ﴿وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾: رسولٌ من أنفسهم ينذرهم ويُخوِّفهم النارَ بعد البعث، وهو النبي ﷺ ﴿وَقَالَ الْكَٰفِرُونَ﴾ ـ فيه وضع الظاهر موضع المضمر ـ: ﴿هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾. ٥ ـ ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ حيث قال لهم: قولوا: لا إله إلا الله، أي: كيف يسع الخلق كلَّهم إله واحد ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ أي: عجيب. ٦ ـ ﴿وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ﴾ من مجلس اجتماعهم عند أبي طالب وسماعهم فيه من النبي ﷺ «قولوا: لا إله إلا الله»: ﴿أَنِ امْشُوا﴾ أي: يقول بعضهم لبعض: امشوا ﴿وَاصْبِرُوا عَلَىٰ ءَالِهَتِكُمْ﴾: اثبتوا علىٰ عبادتها ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ المذكورَ من التوحيد ﴿لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ منَّا. ٧ ـ ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ﴾ أي: ملة عيسىٰ ﴿إِنْ﴾: ما ﴿هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَٰقٌ﴾: كذب. ٨ ـ ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ﴾: علىٰ محمد ﴿الذِّكْرُ﴾: القرآن ﴿مِن بَيْنِنَا﴾ وليس بأكبرنا ولا أشرفنا، أي: لِمَ يُنزل عليه؟ قال تعالىٰ: ﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى﴾: وحيي، أي: القرآن، حيث كذبوا الجائي به ﴿بَل لَّمَّا﴾: لم ﴿يَذُوقُوا عَذَابِ﴾ ولو ذاقوه لصدَّقوا النبيَّ ﷺ فيما جاء به، ولا ينفعهم التصديق حينئذٍ. ٩ ـ ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ﴾: الغالب ﴿الْوَهَّابِ﴾ من النبوة وغيرها، فيعطونها من شاؤوا؟ ١٠ ـ ﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ إن زعموا ذلك ﴿فَلْيَرْتَقُوا فِى الْأَسْبَٰبِ﴾ الموصلة إلىٰ السماء، فيأتوا بالوحي، فيخصُّوا به من شاؤوا. و(أم) في الموضعين بمعنىٰ همزة الإنكار. ١١ ـ ﴿جُندٌ مَّا﴾ أي: هم جند حقير ﴿هُنَالِكَ﴾ أي: في تكذيبهم لك ﴿مَهْزُومٌ﴾ صفة جند ﴿مِّنَ الْأَحْزَابِ﴾ صفة جند أيضاً، أي: كالأجناد من جنس الأحزاب المتحزبين علىٰ الأنبياء قبلك، وأولئك قد قُهروا وأُهلكوا، فكذا يُهلَك هؤلاء. ١٢ ـ ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾، تأنيث (قوم) باعتبار المعنىٰ ﴿وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ﴾ كان يَتِدُ لكل من يغضب عليه أربعةَ أوتاد يشدُّ إليها يديه ورجليه ويعذبه. ١٣ ـ ﴿وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ﴾ أي: الغَيْضة، وهم قوم شعيب عليه السلام ﴿أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ﴾. ١٤ ـ ﴿إِن﴾: ما ﴿كُلٌّ﴾ من الأحزاب ﴿إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ﴾ لأنهم إذا كذبوا واحداً منهم، فقد كذبوا جميعهم، لأن دعوتهم واحدة، وهي دعوة التوحيد ﴿فَحَقَّ﴾: وجب ﴿عِقَابِ﴾. ١٥ ـ ﴿وَمَا يَنظُرُ﴾: ينتظر ﴿هَٰؤُلَاءِ﴾ أي: كفار مكة ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ هي نفخة القيامة تحلُّ بهم العذاب ﴿مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾ هذه الصيحة إذا جاء وقتها لم تستأخر مقدار فواق ناقة وهي المدة بين الحلبتين كما في قوله تعالىٰ: (فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ) [الأعراف: ٣٤]. ١٦ ـ ﴿وَقَالُوا﴾ لما نزل: (فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُ بِيَمِينِهِ) إلخ: ﴿رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ أي: كتاب أعمالنا ﴿قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ قالوا ذلك استهزاءً.

ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾
إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيۡرَ
مَحۡشُورَةٗۖ كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿١٩﴾ وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ
وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ۞ وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ
ٱلۡمِحۡرَابَ ﴿٢١﴾ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنۡهُمۡۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ
خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ
وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ
وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ
لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ لَيَبۡغِي
بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٞ
مَّا هُمۡۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّۤ رَاكِعٗاۤ وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾
فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٢٥﴾
يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ
بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ
عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٦﴾

ربع الحزب ٤٦

سجدة

١٧ ـ قال تعالىٰ: ﴿ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ﴾ أي: القوة في العبادة كان يصوم يوماً ويفطر يوماً، ويقوم نصف الليل، وينام ثلثه، ويقوم سدسه ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾: رجّاع إلىٰ مرضاة الله.

١٨ ـ ﴿إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ﴾ بتسبيحه ﴿بِٱلۡعَشِيِّ﴾: وقت صلاة العشاء ﴿وَٱلۡإِشۡرَاقِ﴾: وقت صلاة الضحىٰ، وهو أن تُشرق الشمس ويتناهىٰ ضوءها.

١٩ ـ ﴿وَ﴾ سخَّرنا ﴿ٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ﴾: مجموعةً إليه تُسبِّح معه ﴿كُلّٞ﴾ من الجبال والطير ﴿لَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾: رجّاعٌ إلىٰ طاعته بالتسبيح.

٢٠ ـ ﴿وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ﴾: قوّيناه بالحرس والجنود، وكان يحرس محرابه في كل ليلة ثلاثون ألف رجل ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ﴾: النبوّة والإصابة في الأمور ﴿وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ﴾: البيان الشافي في كل قصد.

٢١ ـ ﴿وَهَلۡ﴾، معنىٰ الاستفهام هنا التعجيب والتشويق إلىٰ استماع ما بعده ﴿أَتَىٰكَ﴾ يا محمد ﴿نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ﴾: محراب داود، أي: مسجده، حيث مُنعوا الدخول عليه من الباب لشغله بالعبادة، أي: خبرُهم وقصتُهم.

٢٢ ـ ﴿إِذۡ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنۡهُمۡۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ﴾ نحن ﴿خَصۡمَانِ﴾ والخصم يطلق علىٰ الواحد وأكثر، وهما مَلَكان جاءا في صورة خصمين، وقع لهما ما ذكر علىٰ سبيل الفرض ﴿بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ﴾: تجُرْ ﴿وَٱهۡدِنَآ﴾: أرشِدْنا ﴿إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾: وَسَطِ الطريق الصواب.

٢٣ ـ ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِي﴾: أي: علىٰ ديني ﴿لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ﴾ والنعجة معروفة، وهي الأنثىٰ من الضأن. ﴿وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا﴾ أي: اجعلني كافلَها ﴿وَعَزَّنِي﴾: غلبني ﴿فِي ٱلۡخِطَابِ﴾ أي: الجدال.

٢٤ ـ ﴿قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ﴾ ليضمها ﴿إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ﴾: الشركاء ﴿لَيَبۡغِي بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡۗ﴾ (ما) لتأكيد القلة، فذهب الملكان صاعدين في صورتهما إلىٰ السماء، قال تعالىٰ: ﴿وَظَنَّ﴾ أي: أيقن ﴿دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾ أي: اختبرناه في مسألة الحكم والقضاء بين المتخاصمين. لقد ولاه الله أمر الناس ليقضي بينهم بالحق والعدل، وليتبين الحق قبل إصدار الحكم، فلا يتعجل في إصداره قبل سماع كلام الخصم الآخر، فعرف داود أنه أخطأ في تعجله. ﴿فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّۤ رَاكِعٗاۤ﴾ أي: ساجداً ﴿وَأَنَابَ﴾.

٢٥ ـ ﴿فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ﴾ أي: غفرنا له ذنبه وهو أنه قضىٰ لأحد الخصمين قبل سماع كلام الآخر ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ﴾: زيادة خير في الدنيا ﴿وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ﴾: مرجع في الآخرة. ٢٦ ـ ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ تُدبِّر أمر الناس ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ﴾ أي: هوىٰ النفس ﴿فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ أي: عن الدلائل الدالة علىٰ توحيده ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: عن الإيمان بالله ﴿لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ﴾: بنسيانهم ﴿يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ﴾ المرتب عليه تركهم الإيمان، ولو أيقنوا بيوم الحساب، لآمنوا في الدنيا.

وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾

٢٧ ـ ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًاۚ﴾ أي: عبثاً ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: خلق ما ذُكر لا لشيء ﴿ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾. ٢٨ ـ ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ نزل لما قال كفار مكة للمؤمنين: إنَّا نُعطىٰ في الآخرة مثل ما تُعطون، و(أم) بمعنىٰ همزة الإنكار. ٢٩ ـ ﴿كِتَٰبٌ﴾، خبر مبتدأ محذوف، أي: هذا ﴿أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ﴾ أصله: يتدبّروا، أُدغمت التاء في الدال ﴿ءَايَٰتِهِۦ﴾: ينظروا في معانيها، فيؤمنوا ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ﴾: يتّعظ ﴿أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: أصحاب العقول. ٣٠ ـ ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَۚ﴾ ابنه ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُۖ﴾ أي: سليمان ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾: رجّاع في التسبيح والذكر في جميع الأوقات. ٣١ ـ ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ﴾ هو ما بعد الزوال ﴿ٱلصَّٰفِنَٰتُ﴾: الخيل، جمع صافنة، وهي القائمة علىٰ ثلاث، وإقامة الأخرىٰ علىٰ طرف الحافر، وهو من: صَفَنَ يَصفِنُ صفُوناً ﴿ٱلْجِيَادُ﴾، جمع جواد، وهو السابق، المعنىٰ: أنها إذا استُوقفتْ، سكنتْ، وإن رَكضتْ سَبقتْ، وكانت ألف فرس، عُرضت عليه لإرادته الجهاد عليها العدوّ. ٣٢ ـ ﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ﴾ أي: أردتُ ﴿حُبَّ ٱلْخَيْرِ﴾ أي: الخيل ﴿عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ أي: فتشاغل بحسنها وجريها عن ذكرٍ له حتىٰ توارت هذه الخيل عن الرؤية، فالمعنىٰ: شغلت عن ذكر ربي حتىٰ غابت الخيل الصافنات أي: دخلت اصطبلاتها فهي الحجاب. وقيل: حتىٰ توارت في المسابقة بما يحجبها عن النظر. وقيل: الضمير للشمس وإن لم يجر لها ذكر لدلالة (العشي) عليها. ٣٣ ـ ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّۖ﴾ أي: الخيل المعروضة، فردُّوها ﴿فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ﴾ السوق: جمع ساق. قال ابن عباس والزهري: مسحه بالسوق والأعناق لم يكن بالسيف. بل بيديه تكريماً لها ومحبة. وفي اللغة: مسح برأسه ورأسه بمعنىٰ واحد. ٣٤ ـ ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا﴾ قال أبو حيان: [ولم يبيّن الله الفتنة ما هي، ولا الجسد الذي ألقاه علىٰ كرسي سليمان، وأقرب ما قيل فيه: إن المراد بالفتنة كونه لم يستثن في الحديث الذي قال: «لأطوفن الليلة علىٰ تسعين امرأة، كل واحدة تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله، ولم يقل: إن شاء الله. فطاف عليهن، فلم تحمل إلا امرأة واحدة، وجاءته بشق رجل». قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لو قال: إن شاء الله، لجاهدوا في سبيل الله فرساناً أجمعون». وهذا الحديث أخرجه البخاري (٦٦٣٩)، ومسلم (١٦٥٤). فالمراد بقوله: (وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا) هو هذا الجسد الملقىٰ وهو المولود شق رجل.] انتهىٰ كلامه. ﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾ أي: تاب إلىٰ الله واستغفره بعد امتحاننا إياه. ٣٥ ـ ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي﴾: لا يكون ﴿لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓۖ﴾ أي: سواي نحو: (فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِۚ) أي: سوىٰ الله ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ فاستجاب الله دعاءه فسخر له الريح تجري بأمره، والشياطين يصنعون له ما يشاء. ٣٦ ـ ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً﴾: ليّنة ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾: أراد. ٣٧ ـ ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ﴾ يبني الأبنية العجيبة ﴿وَغَوَّاصٍ﴾ في البحر يستخرج اللؤلؤ. ٣٨ ـ ﴿وَءَاخَرِينَ﴾ منهم ﴿مُقَرَّنِينَ﴾: مشدودين ﴿فِي ٱلْأَصْفَادِ﴾: القيود، بجمع أيديهم إلىٰ أعناقهم. ٣٩ ـ وقلنا له: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ﴾: أعط منه من شئت ﴿أَوْ أَمْسِكْ﴾ عن العطاء ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي: لا حساب عليك في ذلك. ٤٠ ـ ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ تقدم مثله. ٤١ ـ ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي﴾ أي: بأني ﴿مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ﴾: بضُرٍّ ﴿وَعَذَابٍ﴾: ألم، ونسبَ ذلك إلىٰ

وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ ۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾

الشيطان وإن كانت الأشياء كلها من الله تأدباً معه تعالىٰ.

٤٢ ـ وقيل له: ﴿ٱرْكُضْ﴾: اضرب ﴿بِرِجْلِكَ﴾ الأرض، فضرب، فنبعت عين ماء، فقيل: ﴿هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ﴾: ماء تغتسل به ﴿بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾: تشرب منه، فاغتسلَ وشرِب، فذهب عنه كل داء كان بباطنه وظاهره.

٤٣ ـ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾أي: ورزقه مثلهم ﴿رَحْمَةً﴾: نعمةً ﴿مِّنَّا وَذِكْرَىٰ﴾: عِظة ﴿لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: لأصحاب العقول.

٤٤ ـ ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾ هو حزمة من حشيش أو قضبان ﴿فَٱضْرِب بِّهِۦ﴾ زوجتك، وكان قد حلف ليضربنَّها مئة ضربة لإبطائها عليه يوماً ﴿وَلَا تَحْنَثْ﴾ بترك ضربها، فأخذ مئة عود من الإذخر أو غيره، فضربها به ضربة واحدة ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾ أيوب ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾: رجّاع إلىٰ الله تعالىٰ.

٤٥ ـ ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى﴾: أصحاب القوىٰ في العبادة ﴿وَٱلْأَبْصَٰرِ﴾: البصائر في الدين.

٤٦ ـ ﴿إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ﴾ هي ﴿ذِكْرَى ٱلدَّارِ﴾: الآخرة، أي: ذِكْرُها والعملُ لها.

٤٧ ـ ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ﴾: المختارين ﴿ٱلْأَخْيَارِ﴾ جمع خَيِّر، بالتشديد.

٤٨ ـ ﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ﴾ هو نبي، واللام زائدة ﴿وَذَا ٱلْكِفْلِ﴾ اختُلف في نبوته، قيل: كَفَلَ مئة نبي فَرُّوا إليه من القتل ﴿وَكُلٌّ﴾ أي: كلهم ﴿مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾ جمع خَيِّر، بالتثقيل.

٤٩ ـ ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ﴾ لهم بالثناء الجميل هنا ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ﴾ الشاملين لهم ﴿لَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾: مرجع في الآخرة.

٥٠ ـ ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾، بدل، أو عطف بيان لـ (حُسن مآب) ﴿مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ﴾ منها.

٥١ ـ ﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا﴾ علىٰ الأرائك ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾. ٥٢ ـ ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾: حابسات العين علىٰ أزواجهن ﴿أَتْرَابٌ﴾: أسنانُهن واحدة، وهن بنات ثلاث وثلاثين سنة، جمع ترب.

٥٣ ـ ﴿هَٰذَا﴾ المذكور ﴿مَا تُوعَدُونَ﴾ بالخطاب التفاتاً ﴿لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ أي: لأجله.

٥٤ ـ ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ أي: انقطاع، والجملة حال من (رزقنا) أو خبر ثان لـ (إن).

٥٥ ـ ﴿هَٰذَا﴾ المذكور للمؤمنين ﴿وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ﴾ مستأنف ﴿لَشَرَّ مَـَٔابٍ﴾.

٥٦ ـ ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا﴾: يدخلونها ﴿فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾: الفراش. ٥٧ ـ ﴿هَٰذَا﴾ أي: العذاب المفهوم مما بعده ﴿فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ﴾ أي: ماء حار محرق ﴿وَغَسَّاقٌ﴾: ما يسيل من صديد أهل النار.

٥٨ ـ ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ﴾ أي: مثل المذكور من الحميم والغسّاق ﴿أَزْوَٰجٌ﴾: أصناف، أي: عذابُهم من أنواع مختلفة. ٥٩ ـ ويقال لهم عند دخولهم النار بأتباعهم: ﴿هَٰذَا فَوْجٌ﴾: جمع ﴿مُّقْتَحِمٌ﴾: داخل ﴿مَّعَكُمْ﴾ النار بشدة، فيقول المتبوعون: ﴿لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ﴾ أي: لا سَعة عليهم ﴿إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ﴾.

٦٠ ـ ﴿قَالُوا۟﴾ أي: الأتباع: ﴿بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ﴾ أي: الكفر ﴿لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾ لنا ولكم النار.

٦١ ـ ﴿قَالُوا۟﴾ أيضاً: ﴿رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا﴾ أي: مثل عذابه علىٰ كفره ﴿فِى ٱلنَّارِ﴾.

وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴿٦٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾

٦٢ ـ ﴿وَقَالُوا﴾ أي: الكفار وهم في النار: ﴿مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم﴾ في الدنيا ﴿مِّنَ الْأَشْرَارِ﴾.

٦٣ ـ ﴿أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا﴾ أي: كنا نسخر بهم في الدنيا، والياء للنسب، أي: أمفقدون هم ﴿أَمْ زَاغَتْ﴾: مالت ﴿عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ﴾ فلم نرهم؟ وهم فقراء المسلمين، كعمار وبلال وصهيب وسلمان.

٦٤ ـ ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ﴾: واجب وقوعه، وهو ﴿تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ كما تقدم.

٦٥ ـ ﴿قُلْ﴾ يا محمد: ﴿إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ﴾: مخوف بالنار ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ لخلقه.

٦٦ ـ ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ﴾: الغالب على أمره ﴿الْغَفَّارُ﴾ لأوليائه.

٦٧ ـ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾.

٦٨ ـ ﴿أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ أي: القرآن الذي أنبأتكم به، وجئتكم فيه بما لا يُعلم إلا بوحي، وهو قوله:

٦٩ ـ ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ﴾ أي: الملائكة ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ في شأن آدم، حين قال الله تعالىٰ: (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) إلخ.

٧٠ ـ ﴿إِن﴾: ما ﴿يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا﴾ أي: أني ﴿نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾: بيِّن الإنذار.

٧١ ـ اذكر ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾: هو آدم.

٧٢ ـ ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ﴾: أتممتُه ﴿وَنَفَخْتُ﴾: أجريت ﴿فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ فصار حيّاً، وإضافة الروح إليه تشريف لآدم، والروح جسم لطيف يحيا به الإنسان بنفوذه فيه ﴿فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ سجود تحية بالانحناء.

٧٣ ـ ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾، فيه تأكيدان.

٧٤ ـ ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ هو أبو الجن، كان بين الملائكة ﴿اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ في علم الله تعالىٰ.

٧٥ ـ ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ أي: توليتُ خلقه بيديّ، وهذا تشريف لآدم ﴿أَسْتَكْبَرْتَ﴾ الآن عن السجود؟ استفهام توبيخ ﴿أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ المتكبرين، فتكبرت عن السجود لكونك منهم؟

٧٦ ـ ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾.

٧٧ ـ ﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا﴾ أي: من الجنة، وقيل: من السماوات ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾: مطرود.

٧٨ ـ ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ﴾: الجزاء.

٧٩ ـ ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ أي: الناس.

٨٠ ـ ٨١ ـ ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ۞ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾: وقت النفخة الأولىٰ.

٨٢ ـ ٨٣ ـ ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ أي: المؤمنين.

قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾

سُورَةُ الزُّمَرِ

ترتيبها ٣٩ — آياتها ٧٥

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٥﴾

٨٤ ـ ﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ﴾.

٨٥ ـ ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ﴾ بذريتك ﴿وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ أي: الناس ﴿أَجْمَعِينَ﴾.

٨٦ ـ ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾: على تبليغ الرسالة ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾: جُعْل ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾: المتقوِّلين القرآن من تلقاء نفسي.

٨٧ ـ ﴿إِنْ هُوَ﴾ أي: ما القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾: عظة ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾: للإنس والجن العقلاء دون الملائكة.

٨٨ ـ ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ﴾: خبر صِدْقِه ﴿بَعْدَ حِينٍۭ﴾ أي: يوم القيامة، و(عَلِمَ) بمعنىٰ عرف، واللام قبلها لام قسم مقدر، أي: واللهِ.

سورة الزمر

مكية، إلا ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ الآية فمدنية، وهي خمس وسبعون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ ـ ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾: القرآن، مبتدأ ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ خبره ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ في صنعه.

٢ ـ ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ متعلق بـ (أنزل) ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ من الشرك، أي: موحداً له.

٣ ـ ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ لا يستحقه غيره ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ﴾: الأصنام ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾: قُربىٰ مصدر، بمعنىٰ تقريباً ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ وبين المسلمين ﴿فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من أمر الدين، فيُدخل المؤمنين الجنة، والكافرين النار ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ﴾ في نسبة الولد إليه ﴿كَفَّارٌ﴾ بعبادته غير الله.

٤ ـ ﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ كما قالوا: اتخذ الرحمٰن ولداً ﴿لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ واتخذه ولداً، غير مَن قالوا: إن الملائكة بنات الله، وعزير ابن الله، والمسيح ابن الله ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾: تنزيهاً له عن اتخاذ الولد ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ لخلقه.

٥ ـ ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾، متعلق بـ (خلق) ﴿يُكَوِّرُ﴾: يدخل ﴿ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ﴾ فيزيد ﴿وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ﴾: يدخله ﴿عَلَى ٱلَّيْلِ﴾ فيزيد ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى﴾ في فلكه ﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: ليوم القيامة ﴿أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾: الغالب علىٰ أمره المنتقم من أعدائه ﴿ٱلْغَفَّٰرُ﴾ لأوليائه.

خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ ۞ وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٨﴾ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾

٦ ـ ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ أي: آدم ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾: حواء.

﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ﴾: الإبل والبقر والغنم الضأن والمعز ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ من كلٍّ زوجان ذكرٌ وأنثىٰ، كما بيَّن في سورة الأنعام.

﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ﴾ أي: نُطفاً، ثم عَلَقاً، ثم مُضَغاً ﴿فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ هي ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة.

﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ عن عبادته إلىٰ عبادة غيره؟

٧ ـ ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا﴾ الله فتؤمنوا ﴿يَرْضَهُ﴾ أي: الشكر ﴿لَكُمْ وَلَا تَزِرُ﴾ نفسٌ ﴿وَازِرَةٌ وِزْرَ﴾ نفسٍ ﴿أُخْرَىٰ﴾ أي: لا تحمله.

﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بما في القلوب.

٨ ـ ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ﴾ أي: الكافر ﴿ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ﴾: تضرَّع ﴿مُنِيبًا﴾: راجعاً ﴿إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً﴾: أعطاه إنعاماً ﴿مِّنْهُ نَسِيَ﴾: ترك ﴿مَا كَانَ يَدْعُو﴾: يتضرع ﴿إِلَيْهِ مِن قَبْلُ﴾ وهو الله ف(ما) في موضع (مَن).

﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا﴾: شركاءَ ﴿لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ﴾: دين الإسلام.

﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا﴾: بقيةَ أجلك ﴿إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾.

٩ ـ ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ﴾: قائم بوظائف الطاعات ﴿آنَاءَ اللَّيْلِ﴾: ساعاته.

﴿سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾ في الصلاة ﴿يَحْذَرُ الْآخِرَةَ﴾ أي: يخاف عذابها ﴿وَيَرْجُو رَحْمَةَ﴾: جنة ﴿رَبِّهِ﴾ كمن هو عاصٍ بالكفر أو غيره؟ (أَمْ) بمعنىٰ بل والهمزة.

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: لا يستويان، كما لا يستوي العالم والجاهل.

﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ﴾: يتعظ ﴿أُولُو الْأَلْبَابِ﴾: أصحاب العقول.

١٠ ـ ﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ أي: عذابه، بأن تطيعوه.

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا﴾ بالطاعة ﴿حَسَنَةٌ﴾: هي الجنة ﴿وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ﴾ فهاجِروا إليها من بين الكفار ومشاهدة المنكرات.

﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ﴾ علىٰ الطاعة وما يُبتلون به ﴿أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: بغير مكيال ولا ميزان.

قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي ﴿١٤﴾ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ ۗ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ ۚ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ ﴿١٩﴾ لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ وَعْدَ اللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾

١١ ـ ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ﴾ من الشرك.

١٢ ـ ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ﴾ أي: بأن ﴿أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ من هذه الأمة.

١٣ ـ ١٤ ـ ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۞ قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي﴾ من الشرك.

١٥ ـ ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ﴾ غيره، فيه تهديد لهم، وإيذان بأنهم لا يعبدون الله تعالىٰ ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ بتخليد الأنفس في النار، وبعدم وصولهم إلىٰ الحُور المعدة لهم في الجنة لو آمنوا ﴿أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾: البيِّن.

١٦ ـ ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ﴾: طباق ﴿مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾: من النار ﴿ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ﴾ أي: المؤمنين ليتقوه، يدل عليه: ﴿يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾.

١٧ ـ ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ﴾: الأوثان ﴿أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا﴾: أقبلوا ﴿إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ﴾ بالجنة ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾.

١٨ ـ ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾: وهو ما فيه صلاحهم ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾: أصحاب العقول.

١٩ ـ ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾ أي: (لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ) الآية ﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ﴾: تُخرج ﴿مَن فِي النَّارِ﴾ جواب الشرط، وأقيم فيه الظاهر مقام المضمر، والهمزة للإنكار، والمعنىٰ: لا تقدرُ علىٰ هدايته فتنقذه من النار.

٢٠ ـ ﴿لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ﴾ بأن أطاعوه ﴿لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي: من تحت الغرف الفوقانية والتحتانية ﴿وَعْدَ اللَّهِ﴾، منصوب بفعله المقدر ﴿لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾: وَعْدَه.

٢١ ـ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: تعلم ﴿أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ﴾: أدخله أمكنة نَبع ﴿فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ﴾: ييْبَس ﴿فَتَرَاهُ﴾ بعد الخُضرة مثلاً ﴿مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا﴾: فُتاتاً ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ﴾: تذكيراً ﴿لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ يتذكرون به لدلالته علىٰ وحدانية الله تعالىٰ وقدرته.

أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُولَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾

٢٢ ـ ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ فاهتدىٰ ﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ كمن طبع علىٰ قلبه؟ دل علىٰ هذا: ﴿فَوَيْلٌ﴾ كلمة عذاب ﴿لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ أي: عن قبول القرآن ﴿أُولَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾: بيِّن.

٢٣ ـ ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا﴾، بدل من (أحسن) أي: قرآناً ﴿مُّتَشَٰبِهًا﴾ أي: يُشبه بعضه بعضاً في النظم وغيره ﴿مَّثَانِىَ﴾ ثنّىٰ فيه الوعد والوعيد وغيرهما ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ﴾: ترتعد عند ذكر وعيده ﴿جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ﴾: يخافون ﴿رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ﴾: تطمئن ﴿جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ أي: عند ذكر وعده ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: الكتاب ﴿هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾.

٢٤ ـ ﴿أَفَمَن يَتَّقِى﴾: يلقىٰ ﴿بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أي: أشدَّه، بأن يُلقىٰ في النار مغلولةً يداه إلىٰ عنقه كمن أمن منه بدخول الجنة؟ ﴿وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ أي: جزاءه.

٢٥ ـ ﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ رسلَهم في إتيان العذاب ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ من جهة لا تخطر ببالهم.

٢٦ ـ ﴿فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ﴾: الذلَّ والهوان من المسخ والقتل وغيره ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟﴾ أي: المكذبون ﴿يَعْلَمُونَ﴾ عذابَها ما كذبوا.

٢٧ ـ ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا﴾: جعلنا ﴿لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: يتعظون.

٢٨ ـ ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾، حال مؤكدة ﴿غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ أي: لَبْسٍ واختلافٍ ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الكفرَ.

٢٩ ـ ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ﴾ للمشرك والموحِّد ﴿مَثَلًا رَّجُلًا﴾، بدل من (مثلاً) ﴿فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ﴾: متنازعون سيئةً أخلاقهم ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا﴾: خالصاً ﴿لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾؟ تمييز، أي: لا يستوي العبد لجماعة والعبد لواحد، فإن الأول إذا طلب منه كلٌّ من مالكيه خدمته في وقت واحد، تحيَّر فيمن يخدمه منهم، وهذا مَثَل للمشرك، والثاني مَثَلٌ للموحد ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ وحدَه ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ما يصيرون إليه من العذاب، فيشركون.

٣٠ ـ ﴿إِنَّكَ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾: ستموت ويموتون، فلا شماتة بالموت، نزلت لما استبطؤوا موته ﷺ.

٣١ ـ ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ﴾ أيها الناس فيما بينكم من المظالم ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَـٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَـٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾

٣٢ ـ ﴿فَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ بنسبة الشريك والولد إليه ﴿وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ﴾: بالقرآن.

﴿إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾: مأوى ﴿لِّلْكَـٰفِرِينَ﴾؟ بلىٰ.

٣٣ ـ ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾: هو النبي ﷺ.

﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ هم المؤمنون، فـ(الذي) بمعنىٰ الذين ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ الشرك.

٣٤ ـ ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ لأنفسهم بإيمانهم.

٣٥ ـ ﴿لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾، أسوأ وأحسن بمعنىٰ السيِّئ والحَسَن.

٣٦ ـ ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ أي: النبي؟

بلىٰ ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ﴾ ـ الخطاب له ـ ﴿بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ أي: الأصنام أن تقتله أو تخبله ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾.

٣٧ ـ ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ﴾: غالب علىٰ أمره ﴿ذِى ٱنتِقَامٍ﴾ من أعدائه؟ بلىٰ.

٣٨ ـ ﴿وَلَئِن﴾، لام قسم ﴿سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ﴾: تعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: الأصنام ﴿إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾؟ لا.

﴿أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ﴾؟ لا ﴿قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾: يثق الواثقون.

٣٩ ـ ﴿قُلْ يَـٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾: حالتكم ﴿إِنِّى عَـٰمِلٌ﴾ علىٰ حالتي ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

٤٠ ـ ﴿مَن﴾، موصولة مفعول العلم ﴿يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ﴾: ينزل ﴿عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾: دائم، هو عذاب النار، وقد أخزاهم الله ببدر.

إِنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ عَٰلِمَ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحۡكُمُ بَيۡنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوۡ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾

٤١ ـ ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّۖ﴾ متعلق بـ (أنزل).

﴿فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَلِنَفۡسِهِۦۖ﴾ اهتداؤه.

﴿وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٍ﴾ فتجبرَهم على الهدىٰ.

٤٢ ـ ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَ﴾ يتوفىٰ ﴿ٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ﴾ أي: يتوفَّاها وقت النوم.

﴿فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۚ﴾ أي: وقت موتها.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَأٓيَٰتٖ﴾: دلالات ﴿لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيعلمون أن القادر علىٰ ذلك قادر علىٰ البعث، وقريش لم يتفكروا في ذلك.

٤٣ ـ ﴿أَمِ﴾: بل ﴿ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: الأصنام آلهةً ﴿شُفَعَآءَۚ﴾ عند الله بزعمهم.

﴿قُلۡ﴾ لهم: ﴿أَ﴾يشفعون ﴿وَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا﴾ من الشفاعة وغيرها ﴿وَلَا يَعۡقِلُونَ﴾ أنكم تعبدونهم، ولا غير ذلك؟ لا.

٤٤ ـ ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ﴾ أي: هو مختصٌّ بها، فلا يشفع أحد إلا بإذنه ﴿لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾.

٤٥ ـ ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ﴾ أي: دون آلهتهم ﴿ٱشۡمَأَزَّتۡ﴾: نفرَتْ وانقبضت ﴿قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي: الأصنام ﴿إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾.

٤٦ ـ ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ﴾ بمعنىٰ يا الله ﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾: مبدعهما ﴿عَٰلِمَ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾: ما غاب وما شوهد. ﴿أَنتَ تَحۡكُمُ بَيۡنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾ من أمر الدين، اهدني لما اختلفوا فيه من الحق.

٤٧ ـ ﴿وَلَوۡ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَبَدَا﴾: ظهر ﴿لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ﴾: يظنّون.

وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾

ربع الحزب ٤٧

٤٨ ـ ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ﴾: نزل ﴿بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أي: العذاب.

٤٩ ـ ﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ الجنس ﴿ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ﴾: أعطيناه ﴿نِعْمَةً﴾: إنعاماً ﴿مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ من الله بأني له أهل.

﴿بَلْ هِىَ﴾ أي: القولة ﴿فِتْنَةٌ﴾: بليّة يُبتلى بها العبد.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن التخويل استدراج وامتحان.

٥٠ ـ ﴿قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم كقارون وقومه الراضين بها.

﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾.

٥١ ـ ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا۟﴾ أي: جزاؤها.

﴿وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي: قريش ﴿سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾: بفائتين عذابنا، فقُحطوا سبعَ سنين ثم وُسّع عليهم.

٥٢ ـ ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ﴾: يُوسعه ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ امتحاناً ﴿وَيَقْدِرُ﴾: يُضيِّقه لمن يشاء ابتلاءً ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ به.

٥٣ ـ ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟﴾: تيأسوا ﴿مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ لمن تاب من الشرك ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

٥٤ ـ ﴿وَأَنِيبُوٓا۟﴾: ارجعوا ﴿إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟﴾: أخلصوا العمل ﴿لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ بمنعه إن لم تتوبوا.

٥٥ ـ ﴿وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾: هو القرآن ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ قبل إتيانه بوقته.

٥٦ ـ فبادروا قبل ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ﴾، أصله: يا حسرتي، أي: ندامتي ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ أي: طاعته ﴿وَإِن﴾، مخففة من الثقيلة، أي: وإني ﴿كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾ بدينه وكتابه.

أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾

٥٧ ـ ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى﴾ بالطاعة فاهتديت ﴿لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ عذابه.

٥٨ ـ ﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً﴾: رَجْعةً إلىٰ الدنيا ﴿فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: المؤمنين.

٥٩ ـ فيقال له من قِبَلِ الله: ﴿بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى﴾: القرآن، وهو سبب الهداية ﴿فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ﴾: تكبَّرتَ عن الإيمان بها ﴿وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

٦٠ ـ ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ﴾ بنسبة الشريك والولد إليه ﴿وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾: مأوًى ﴿لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ عن الإيمان؟ بلىٰ.

٦١ ـ ﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ﴾ من جهنم ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾ الشرك ﴿بِمَفَازَتِهِمْ﴾ أي: بمكان فوزهم من الجنة بأن يُجعلوا فيه ﴿لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

٦٢ ـ ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾: متصرف فيه كيف يشاء.

٦٣ ـ ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ﴾ أي: مفاتيح خزائنهما من المطر والنبات وغيرهما.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: القرآن ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ متصل بقوله: (وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟) إلخ. وما بينهما اعتراض.

٦٤ ـ ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ﴾، (غير) منصوب بـ (أعبد) المعمول لـ(تأمروني) بتقدير أن.

٦٥ ـ ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾: واللهِ ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ﴾ يا محمد فرضاً ﴿لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.

٦٦ ـ ﴿بَلِ ٱللَّهَ﴾ وحده ﴿فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ إنعامه عليك.

٦٧ ـ ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾: ما عرفوه حق معرفته، أو ما عظموه حق عظمته حين أشركوا به غيره ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا﴾، حال ﴿قَبْضَتُهُۥ﴾ أي: مقبوضة له ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ﴾: مجموعات ﴿بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ معه.

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾

٦٨ - ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ النفخة الأولىٰ ﴿فَصَعِقَ﴾: مات ﴿مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ﴾ من الحُور والوِلْدان وغيرِهما.

﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ﴾ أي: جميع الخلائق الموتىٰ ﴿قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾: ينتظرون ما يُفعل بهم.

٦٩ - ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ﴾: أضاءت ﴿بِنُورِ رَبِّهَا﴾ حين يتجلىٰ لفصل القضاء.

﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾: كتاب الأعمال للحساب.

﴿وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ﴾ أي: بمحمد ﷺ وأمته، يشهدون للرسل بالبلاغ.

﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ﴾ أي: العدل ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ شيئاً.

٧٠ - ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ أي: جزاءه.

﴿وَهُوَ أَعْلَمُ﴾ أي: عالم ﴿بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ فلا يحتاج إلىٰ شاهد.

٧١ - ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بعنف ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾: جماعات متفرقة.

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾، جواب (إذا).

﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ﴾: القرآن وغيره.

﴿وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾ أي: (لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ) الآية، ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

٧٢ - ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾: مقدّرين الخلود ﴿فَبِئْسَ مَثْوَى﴾: مأوىٰ ﴿الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ جهنم.

٧٣ - ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ﴾ بلطف ﴿إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾، الواو فيه للحال بتقدير قد.

﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ﴾، حال ﴿فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ مقدّرين الخلود فيها، وجواب (إذا) مقدر، أي: دخلوها. وسَوْقُهم، وفتحُ الأبواب قبل مجيئهم تكرمةٌ لهم، وسَوْقُ الكفار وفتحُ أبواب جهنم عند مجيئهم ليبقىٰ حرُّها إليهم إهانة لهم.

٧٤ - ﴿وَقَالُوا﴾ عطف علىٰ (دخولها) المقدر: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ﴾ بالجنة ﴿وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ﴾ أي: أرض الجنة ﴿نَتَبَوَّأُ﴾: ننزل ﴿مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾ لأنها كلها لا يختار فيها مكان علىٰ مكان ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ الجنة.

وَتَرَى الْمَلَـٰئِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾

سُورَةُ غَافِرٍ — ترتيبها ٤٠ — آياتها ٨٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

حم ﴿١﴾ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ ۖ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ ﴿٤﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِن بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٦﴾ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾

نصف الحزب ٤٧

٧٥ ـ ﴿وَتَرَى الْمَلَـٰئِكَةَ حَافِّينَ﴾، حال ﴿مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾: من كل جانب منه ﴿يُسَبِّحُونَ﴾، حال من ضمير حافين ﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ مُلابسين للحمد، أي: يقولون: سبحان الله وبحمده ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم﴾: بين جميع الخلائق ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي: العدل، فيدخل المؤمنون الجنة، والكافرون النار ﴿وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، خُتم استقرارُ الفريقين بالحمد من الملائكة.

سُورَةُ غَافِرٍ

مكية، إلا (إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ) الآيتين، خمس وثمانون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

١ ـ ﴿حم﴾ الله أعلم بمراده به.

٢ ـ ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ﴾: القرآن، مبتدأ ﴿مِنَ اللَّهِ﴾، خبره ﴿الْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿الْعَلِيمِ﴾ بخلقه.

٣ ـ ﴿غَافِرِ الذَّنبِ﴾ للمؤمنين ﴿وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ لهم، مصدر ﴿شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾ للكافرين، أي: مُشَدِّدُهُ ﴿ذِي الطَّوْلِ﴾ أي: الإنعام الواسع، وهو موصوف على الدوام بكل من هذه الصفات ﴿لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾: المرجع.

٤ ـ ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ﴾: القرآن ﴿إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ﴾ للمعاش سالمين، فإن عاقبتهم النار.

٥ ـ ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ﴾ كعاد وثمود وغيرهما ﴿مِن بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾: يقتلوه ﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا﴾: يزيلوا ﴿بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ﴾ بالعقاب ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ لهم، أي: هو واقع موقعه.

٦ ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ أي: (لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ) الآية، ﴿عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾، وقوله: (أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ) بدل من (كلمة).

٧ ـ ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ﴾، مبتدأ ﴿وَمَنْ حَوْلَهُ﴾، عطف عليه ﴿يُسَبِّحُونَ﴾، خبره ﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾: ملابسين للحمد، أي: يقولون: سبحان الله وبحمده ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ تعالى ببصائرهم، أي: يُصدقون بوحدانيته وبكل ما له سبحانه من صفات الجلال والكمال، ويقدسونه عمّا لا يليق. ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ يقولون: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ أي: وسِعَتْ رحمتُك كلَّ شيء، وعلمُك كلَّ شيء ﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا﴾ من الشرك ﴿وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾: دينَ الإسلام ﴿وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾: النار.

رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾

٨ - ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾: إقامة ﴿ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ﴾، عطف على (هم) في (وأدخلهم)، أو في (وعدتهم) ﴿مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ في صنعه.

٩ - ﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ أي: عذابها ﴿وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ﴾: يومَ القيامة ﴿فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

١٠ - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ﴾ من قِبلِ الملائكة، وهم يمقُتون أنفسهم عند دخولهم النار: ﴿لَمَقْتُ ٱللَّهِ﴾ إياكم ﴿أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ﴾ في الدنيا ﴿إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ﴾.

١١ - ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾: إماتتين ﴿وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾: إحياءتين لأنهم كانوا نُطفاً أمواتاً، فأُحيوا، ثم أُميتوا، ثم أُحيوا للبعث ﴿فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا﴾: بكفرنا بالبعث ﴿فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ﴾ من النار والرجوع إلىٰ الدنيا لنطيع ربنا ﴿مِّن سَبِيلٍ﴾ طريق؟ وجوابهم: لا.

١٢ - ﴿ذَٰلِكُم﴾ أي: العذاب الذي أنتم فيه ﴿بِأَنَّهُۥٓ﴾ أي: بسبب أنه في الدنيا ﴿إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ﴾ بتوحيده ﴿وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ﴾: يُجعل له شريك ﴿تُؤْمِنُوا۟﴾: تُصدقوا بالإشراك ﴿فَٱلْحُكْمُ﴾ في تعذيبكم ﴿لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ﴾ علىٰ خلقه ﴿ٱلْكَبِيرِ﴾: العظيم.

١٣ - ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾: دلائلَ توحيده ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا﴾ بالمطر ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ﴾: يتّعظ ﴿إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾: يرجع عن الشرك.

١٤ - ﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ﴾: اعبدوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ من الشرك ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ إخلاصكم منه.

١٥ - ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾ أي: الله عظيم الصفات، أو رافع درجات المؤمنين في الجنة ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ﴾: صاحبه ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ﴾: الوحي ﴿مِنْ أَمْرِهِۦ﴾ أي: قوله ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ﴾: يُخوف المُلقىٰ عليه الناسَ ﴿يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾، بحذف الياء: يوم القيامة، لتلاقي أهل السماء والأرض، والعابد والمعبود، والظالم والمظلوم فيه.

١٦ - ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ﴾: خارجون من قبورهم ﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾؟ يقوله تعالىٰ ويجيب نفسه: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ أي: لخلقه.

ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ إِذِ ٱلۡقُلُوبُ لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقۡضُونَ بِشَيۡءٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ ۞ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُواْ هُمۡ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُواْ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ قَوِيّٞ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُواْ سَٰحِرٞ كَذَّابٞ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ ٱقۡتُلُوٓاْ أَبۡنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ وَٱسۡتَحۡيُواْ نِسَآءَهُمۡۚ وَمَا كَيۡدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴿٢٥﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٤٧

١٧ ـ ﴿ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾: يُحاسب جميع الخلق في قدر نصف نهار من أيام الدنيا لحديث بذلك.

١٨ ـ ﴿وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ﴾: يوم القيامة من أزِف الرحيل: قَرُبَ.

﴿إِذِ ٱلۡقُلُوبُ﴾ ترتفع خوفاً ﴿لَدَى﴾: عند ﴿ٱلۡحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَۚ﴾: ممتلئين غمّاً، حال من (القلوب)، عوملت بالجمع بالياء والنون معاملة أصحابها.

﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ﴾: محبٌّ ﴿وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ﴾، لا مفهوم للوصف، إذ لا شفيع لهم أصلاً (فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ)، أو له مفهوم بناءً علىٰ زعمهم أن لهم شفعاء، أي: لو شفعوا فَرضاً لم يُقبلوا.

١٩ ـ ﴿يَعۡلَمُ﴾ أي: الله ﴿خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ﴾ بمسارقتها النظر إلىٰ مُحرم ﴿وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ﴾: القلوب.

٢٠ ـ ﴿وَٱللَّهُ يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ﴾: يعبدون ﴿مِن دُونِهِۦ﴾: وهم الأصنام ﴿لَا يَقۡضُونَ بِشَيۡءٍۗ﴾ فكيف يكونون شركاء لله؟ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوالهم ﴿ٱلۡبَصِيرُ﴾ بأفعالهم.

٢١ ـ ﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُواْ هُمۡ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ من مصانع وقصور ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ﴾: أهلكهم ﴿بِذُنُوبِهِمۡ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ﴾ عذابه.

٢٢ ـ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾: بالمعجزات الظاهرات ﴿فَكَفَرُواْ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ قَوِيّٞ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾.

٢٣ ـ ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ﴾: برهان بيِّن ظاهر.

٢٤ ـ ﴿إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُواْ﴾: هو ﴿سَٰحِرٞ كَذَّابٞ﴾.

٢٥ ـ ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ﴾: بالصدق ﴿مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ ٱقۡتُلُوٓاْ أَبۡنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ وَٱسۡتَحۡيُواْ﴾: استبقوا ﴿نِسَآءَهُمۡۚ وَمَا كَيۡدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ﴾: هلاك.

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾

٢٦ ـ ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ﴾ لأنهم كانوا يكفُّونه عن قتله ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ﴾ ليمنعه مني ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾ من عبادتكم إياي فتتبعوه ﴿أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ من قتل وغيره.

٢٧ ـ ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ﴾ لقومه وقد سمع ذلك:

﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾.

٢٨ ـ ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ قيل: هو ابن عمه ﴿يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن﴾ أي: لأن ﴿يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: بالمعجزات الظاهرات ﴿مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ﴾ أي: ضرر كذبه ﴿وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ به من العذاب عاجلاً.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾: مشرك ﴿كَذَّابٌ﴾: مفترٍ.

٢٩ ـ ﴿يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ﴾: غالبين، حال ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾: أرض مصر ﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ﴾: عذابه إن قتلتم أولياءه ﴿إِن جَآءَنَا﴾ أي: لا ناصر لنا.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾ أي: ما أشير عليكم إلا بما أشير به علىٰ نفسي، وهو قتل موسىٰ.

﴿وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾: طريق الصواب.

٣٠ ـ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ﴾ أي: يوم حزب بعد حزب.

٣١ ـ ﴿مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾، (مثل) بدل من (مثل) قبله، أي: مثلَ جزاء عادة مَن كفر قبلكم من تعذيبهم في الدنيا ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾.

٣٢ ـ ﴿وَيَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ﴾، بحذف الياء أي: يوم القيامة يكثر فيه نداء أصحاب الجنة أصحابَ النار، وبالعكس، والنداء: بالسعادة لأهلها، والشقاوة لأهلها، وغير ذلك.

٣٣ ـ ﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ﴾ عن موقف الحساب إلىٰ النار ﴿مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: من عذابه ﴿مِنْ عَاصِمٍ﴾: مانع ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾.

وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾

٣٤ ـ ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ﴾ أي: من قبل موسىٰ، وهو يوسف بن يعقوب ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: بالمعجزات الظاهرات ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ﴾ من غير برهان: ﴿لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ﴾ أي: فلن تزالوا كافرين بيوسف وغيره ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل إضلالكم ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾: مشرك ﴿مُّرْتَابٌ﴾: شاكٌّ فيما شهدت به البينات.

٣٥ ـ ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: معجزاته، مبتدأ ﴿بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ﴾: برهان ﴿أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ﴾ جدالُهم، خبر المبتدأ ﴿مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل إضلالهم ﴿يَطْبَعُ﴾: يختم ﴿ٱللَّهُ﴾ بالضلال ﴿عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾.

٣٦ ـ ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا﴾: بناءً عالياً ﴿لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ﴾.

٣٧ ـ ﴿أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: طُرقَها الموصلة إليها ﴿فَأَطَّلِعَ﴾ هذا يدل علىٰ أن موسىٰ عليه السلام أخبر فرعون بأن ربه الذي في السماء أرسله، وأن فرعون فهم ذلك منه، وإلّا ما طلبه في السماء ﴿إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ﴾ أي: موسىٰ ﴿كَٰذِبًا ۚ﴾ في أن له إلهاً غيري.

قال فرعون ذلك تمويهاً ﴿وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ﴾ طريق الهدىٰ.

﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ﴾: خسار.

٣٨ ـ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾.

٣٩ ـ ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ﴾: تمتُّع يزول ﴿وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾.

٤٠ ـ ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ رزقاً واسعاً بلا تبعة.

۞ وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٦﴾ وَإِذۡ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا نَصِيبٗا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُلّٞ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ حَكَمَ بَيۡنَ ٱلۡعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٩﴾

٤١ ـ ٤٢ ـ ﴿وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ۞ تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ﴾: الغالب علىٰ أمره ﴿ٱلۡغَفَّٰرِ﴾ لمن تاب.

٤٣ ـ ﴿لَا جَرَمَ﴾: حقاً ﴿أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ﴾ لأعبده ﴿لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ﴾ أي: استجابة دعوة ﴿فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ﴾: مرجعنا ﴿إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾: الكافرين ﴿هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾.

٤٤ ـ ﴿فَسَتَذۡكُرُونَ﴾ إذا عاينتم العذاب ﴿مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ قال ذلك لما تَوَعَّدُوه بمخالفته دينهم.

٤٥ ـ ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ﴾ به من القتل.

﴿وَحَاقَ﴾: نزل ﴿بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ﴾: قومه معه ﴿سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ﴾: الغرق.

٤٦ ـ ثم ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا﴾: يحرقون بها.

﴿غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ﴾: صباحاً ومساء، فيه دليل إثبات عذاب القبر كما يقول أهل السنة والجماعة، وذلك لأن عرضهم علىٰ النار غدواً وعشياً بعد الموت وقبل قيام الساعة.

﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ يقال: ﴿أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ﴾: أمر للملائكة ﴿أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾: عذاب جهنم.

٤٧ ـ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذۡ يَتَحَآجُّونَ﴾: يتخاصم الكفار ﴿فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا﴾، جمع تابع ﴿فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ﴾: دافعون ﴿عَنَّا نَصِيبٗا﴾: جزءاً ﴿مِّنَ ٱلنَّارِ﴾.

٤٨ ـ ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُلّٞ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ حَكَمَ بَيۡنَ ٱلۡعِبَادِ﴾ فأدخل المؤمنين الجنة والكافرين النار.

٤٩ ـ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا﴾ أي: قدر يوم ﴿مِّنَ ٱلۡعَذَابِ﴾.

قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡهُدَىٰ وَأَوۡرَثۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدٗى وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٥٤﴾ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلۡمُسِيٓءُۚ قَلِيلٗا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾

٥٠ ـ ﴿قَالُوٓاْ﴾ أي: الخزنة تهكُّماً: ﴿أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ﴾: بالمعجزات الظاهرات ﴿قَالُواْ بَلَىٰۚ﴾ أي: فكفروا بهم ﴿قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ﴾ أنتم، فإنَّا لا نشفع للكافرين، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ﴾: انعدام.

٥١ ـ ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾، جمع شاهد، وهم الملائكة، يشهدون للرسل بالبلاغ، وعلىٰ الكفار بالتكذيب. قال العلامة البيضاوي: أي: في الدارين، ولا ينتقض ذلك بما كان لأعدائهم عليهم من الغلبة أحياناً، إذ العبرة بالعواقب و(الأشهاد) جمع (شاهد) كصاحب وأصحاب، والمراد بهم من يقوم يوم القيامة للشهادة علىٰ الناس من الملائكة والأنبياء والمؤمنين.

٥٢ ـ ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ﴾: عذرهم لو اعتذروا ﴿وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ﴾ أي: البعد من الرحمة ﴿وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ الآخرة، أي: شدة عذابها.

٥٣ ـ ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡهُدَىٰ﴾: التوراة والمعجزات ﴿وَأَوۡرَثۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ من بعد موسىٰ ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾: التوراة.

٥٤ ـ ﴿هُدٗى﴾: هادياً ﴿وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾: تذكرة لأصحاب العقول.

٥٥ ـ ﴿فَٱصۡبِرۡ﴾ يا محمد ﴿إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ﴾ بنصر أوليائه ﴿حَقّٞ﴾ وأنت ومن تبعك منهم ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾ لِيُستَنَّ بك ﴿وَسَبِّحۡ﴾: صَلِّ متلبساً ﴿بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ﴾ وهو من بعد الزوال ﴿وَٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾: الصلوات الخمس.

٥٦ ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: القرآن ﴿بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ﴾: برهان ﴿أَتَىٰهُمۡ إِن﴾: ما ﴿فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ﴾: تكبُّر وطمع أن يَعلوا عليك ﴿مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ﴾ من شرِّهم ﴿بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوالهم ﴿ٱلۡبَصِيرُ﴾ بأحوالهم.

٥٧ ـ ونزل في منكري البعث: ﴿لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ ابتداءً ﴿أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ﴾ مرة ثانية، وهي الإعادة ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ ذلك، فهم كالأعمىٰ، ومن يعلمُه كالبصير.

٥٨ ـ ﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ وَ﴾ لا ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وهو المحسن ﴿وَلَا ٱلۡمُسِيٓءُۚ﴾ فيه زيادة (لا) ﴿قَلِيلٗا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾: أي: تذكركم قليل جداً.

إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ۞ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾

ربع الحزب ٤٨

٥٩ ـ ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ﴾: شك ﴿فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بها.

٦٠ ـ ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ أي: اعبدوني أُثِبْكم، بقرينة ما بعده، وتدل الآية أيضاً على أنه سبحانه يستجيب لمن يدعوه دعاء مسألة كالاستعاذة والاستعانة وسؤال المضطر لكشف ضره.

فالدعاء شامل للعبادة ولسؤال العبد ربه التوفيق والنجاح والغنى عن الناس ونحو ذلك.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾: صاغرين.

٦١ ـ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾، إسنادُ الإبصار إليه مَجازي، لأنه يُبصَرُ فيه.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ الله، فلا يؤمنون.

٦٢ ـ ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ فكيف تُصرفون عن الإيمان مع قيام البرهان.

٦٣ ـ ﴿كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ﴾ أي: مثلَ إفكِ هؤلاء أُفِكَ ﴿ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: معجزاته ﴿يَجْحَدُونَ﴾.

٦٤ ـ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾: سقفاً ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

٦٥ ـ ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ﴾: اعبدوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ من الشرك ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

٦٦ ـ ﴿قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾: تعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾: دلائل التوحيد ﴿مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾

٦٧ ـ ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ بخلق أبيكم آدم منه ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾: منيّ ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾: دم غليظ ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ بمعنىٰ أطفالاً ﴿ثُمَّ﴾ يُبقيكم ﴿لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ﴾: تكامُلَ قوتكم، من الثلاثين سنة إلىٰ الأربعين ﴿ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ﴾ أي: قبل الأشدّ والشيخوخة، فعل ذلك بكم لتعيشوا ﴿وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى﴾: وقتاً محدوداً ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ دلائل التوحيد فتؤمنون.

٦٨ ـ ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾: أراد إيجاد شيء ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾.

٦٩ ـ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: القرآن ﴿أَنَّىٰ﴾: كيف ﴿يُصْرَفُونَ﴾ عن الإيمان.

٧٠ ـ ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ﴾: القرآن ﴿وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا﴾ من التوحيد والبعث ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عقوبة تكذيبهم.

٧١ ـ ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ﴾، (إذ) بمعنىٰ إذا ﴿وَٱلسَّلَٰسِلُ﴾، عطف علىٰ (الأغلال) فتكون في الأعناق، أو مبتدأ خبره محذوف، أي: في أرجلهم، أو خبره: ﴿يُسْحَبُونَ﴾ أي: يُجَرُّون بها.

٧٢ ـ ﴿فِى ٱلْحَمِيمِ﴾ أي: جهنم ﴿ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾: يوقدون.

٧٣ ـ ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ﴾ تبكيتاً: ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾.

٧٤ ـ ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ معه، وهي الأصنام؟ ﴿قَالُوا۟ ضَلُّوا۟﴾: غابوا ﴿عَنَّا﴾ فلا نراهم ﴿بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا﴾: أنكروا عبادتهم إياها، ثم أحضرت، قال تعالىٰ: (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم) أي: وقودها ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل إضلال هؤلاء المكذبين ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

٧٥ ـ ويقال لهم أيضاً: ﴿ذَٰلِكُم﴾ العذابُ ﴿بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ من الإشراك وإنكار البعث ﴿وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾: تتوسعون في الفرح.

٧٦ ـ ﴿ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى﴾: مأوىٰ ﴿ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾.

٧٧ ـ ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بعذابهم ﴿حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾، فيه (إنْ) الشرطية مدغمة، و(ما) زائدة تؤكد معنىٰ الشرط أول الفعل، والنون تؤكد آخره، ﴿بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾ به من العذاب في حياتك، وجواب الشرط محذوف، أي: فذاك ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبل تعذيبهم ﴿فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ فنعذبهم أشد العذاب، فالجواب المذكور للمعطوف فقط.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾

٧٨ ـ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ﴾ منهم ﴿أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ لأنهم عبيد مربوبون.

﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ بنزول العذاب على الكفار.

﴿قُضِيَ﴾ بين الرسل ومكذبيها ﴿بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ أي: ظهر القضاء والخسران للناس، وهم خاسرون في كل وقت قبل ذلك.

٧٩ ـ ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ﴾ قيل: الإبل خاصة هنا، والظاهر: والبقر والغنم ﴿لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾.

٨٠ ـ ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ من الدَّرِّ والنَّسْل والوَبَر والصوف.

﴿وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ﴾: هي حمل الأثقال إلى البلاد.

﴿وَعَلَيْهَا﴾ في البر ﴿وَعَلَى الْفُلْكِ﴾: السفن في البحر ﴿تُحْمَلُونَ﴾.

٨١ ـ ﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ﴾ الدالة على وحدانيته ﴿تُنكِرُونَ﴾؟ استفهام توبيخ، وتذكيرُ (أيّ) أشهرُ من تأنيثه.

٨٢ ـ ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ من مصانع وقصور ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

٨٣ ـ ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾: المعجزات الظاهرات ﴿فَرِحُوا﴾ أي: الكفار ﴿بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ﴾ والمراد بالعلم هنا علم عقائدهم الزائفة وشبههم الداحضة، فآثروه على ما جاءت به الرسل، والله أعلم. ﴿وَحَاقَ﴾: نزل ﴿بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ أي: العذاب.

٨٤ ـ ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ أي: شدة عذابنا ﴿قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾.

٨٥ ـ ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ اللَّهِ﴾، نصبه على المصدر بفعل مقدر من لفظه.

﴿الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ۖ﴾ في الأمم أن لا ينفعهم الإيمانُ وقت نزول العذاب.

﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾: تبيَّن خسرانهم لكل أحد، وهم خاسرون في كل وقت قبل ذلك.

سُورَةُ فُصِّلَتْ (ترتيبها ٤١ — آياتها ٥٤)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾

نصف الحزب ٤٨

سورة حمٓ السجدة [أو فصلت]

مكية ثلاث وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١ ـ ﴿حمٓ﴾ الله أعلم بمراده به.

٢ ـ ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، مبتدأ.

٣ ـ ﴿كِتَٰبٌ﴾، خبره ﴿فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾: بُيِّنَتْ بالأحكام والقَصص والمواعظ ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾، حال من (كتاب) بصفته ﴿لِّقَوْمٍ﴾، متعلق بـ (فصلت) ﴿يَعْلَمُونَ﴾: يفهمون ذلك وهم العرب.

٤ ـ ﴿بَشِيرًا﴾، صفة (قرآناً) ﴿وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ سماعَ قبول.

٥ ـ ﴿وَقَالُوا۟﴾ للنبيِّ: ﴿قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ﴾: أغطية ﴿مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ﴾: ثِقَلٌ ﴿وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾: خلاف في الدين ﴿فَٱعْمَلْ﴾ علىٰ دينك ﴿إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾ علىٰ ديننا.

٦ ـ ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾ بالإيمان والطاعة ﴿وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ﴾ كلمة عذاب ﴿لِّلْمُشْرِكِينَ﴾.

٧ ـ ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ﴾، تأكيد ﴿كَٰفِرُونَ﴾.

٨ ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾: مقطوع.

٩ ـ ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾: الأحد والاثنين ﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا﴾: شركاء ﴿ذَٰلِكَ رَبُّ﴾: مالك ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، جمع عالَم، وهو ما سوىٰ الله، وجُمع لاختلاف أنواعه بالياء والنون تغليباً للعقلاء.

١٠ ـ ﴿وَجَعَلَ﴾، مستأنف ﴿فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾: جبالاً ثوابت ﴿مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا﴾ بكثرة المياه والزروع والضروع ﴿وَقَدَّرَ﴾: قسّم ﴿فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾ للناس والبهائم ﴿فِىٓ﴾ تمام ﴿أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ أي: الجعل وما ذكر معه في يوم الثلاثاء والأربعاء ﴿سَوَآءً﴾، منصوب علىٰ المصدر، أي: استوت الأربعةُ استواءً لا تزيد ولا تنقص ﴿لِّلسَّآئِلِينَ﴾ عن خلق الأرض بما فيها.

١١ ـ ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ﴾: قصد ﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾: بخارٌ مرتفع ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا﴾ إلىٰ مرادي منكما ﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾، في موضع الحال، أي: طائعتين أو مكرهتين ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا﴾ بمن فينا ﴿طَآئِعِينَ﴾، فيه تغليب المذكر العاقل، أو نُزّلتا لخطابهما منزلته.

فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا إِلَّا ٱللَّهَ قَالُوا لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾

١٢ ـ ﴿فَقَضَىٰهُنَّ﴾، الضمير يرجع إلىٰ السماء، لأنها في معنىٰ الجمع الآيلة إليه، أي: صَيَّرها.

﴿سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾: الخميس والجمعة، فرغ منها في آخر ساعة منه، وفيها خُلق آدم، ولذلك لم يقل هنا: سواء، ووافق ما هنا آيات خلق السماوات والأرض في ستة أيام.

﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾ الذي أَمر به من فيها من الطاعة والعبادة.

﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾: بنجوم ﴿وَحِفْظًا﴾، منصوب بفعله المقدر، أي: حفظناها من استراق الشياطين السمعَ بالشهب.

﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿ٱلْعَلِيمِ﴾ بخلقه.

١٣ ـ ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ عن الإيمان بعد هذا البيان ﴿فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ﴾: خوّفتكم ﴿صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ أي: عذاباً يُهلككم مثل الذي أهلكهم.

١٤ ـ ﴿إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ أي: مقبلين عليهم ومدبرين عنهم، فكفروا كما سيأتي، ﴿أ﴾ن، أي: بأن ﴿لا تَعْبُدُوٓا إِلَّا ٱللَّهَ قَالُوا لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ﴾ علينا ﴿مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ﴾ علىٰ زعمكم ﴿كَٰفِرُونَ﴾.

١٥ ـ ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا﴾ لما خُوِّفوا بالعذاب: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ أي: لا أحد، كان واحدُهم يقلع الصخرة العظيمة من الجبل يجعلها حيث يشاء.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾: يعلموا ﴿أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِـَٔايَٰتِنَا﴾ المعجزات ﴿يَجْحَدُونَ﴾.

١٦ ـ ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾: باردة شديدة الصوت بلا مطر ﴿فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾ مشؤومات عليهم ﴿لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ﴾: الذلّ ﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰ﴾: أشدُّ ﴿وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾ بمنعه عنهم.

١٧ ـ ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾: بيَّنَّا لهم طريق الهدىٰ ﴿فَٱسْتَحَبُّوا ٱلْعَمَىٰ﴾: اختاروا الكفر ﴿عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ﴾: المهين ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

١٨ ـ ﴿وَنَجَّيْنَا﴾ منها ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ الله.

١٩ ـ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾: يُساقون.

٢٠ ـ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا﴾، زائدة ﴿جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُواْ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ ۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٤٨

٢١ ـ ﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ أي: أرادَ نطقه ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ قيل: هو من كلام الجلود، وقيل: هو من كلام الله تعالىٰ كالذي بعده، وموقعه قريب مما قبله، بأن القادر علىٰ إنشائكم ابتداءً وإعادتكم بعد الموت أحياءً قادرٌ علىٰ إنطاق جلودكم وأعضائكم.

٢٢ ـ ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾ عن ارتكابكم الفواحش من ﴿أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ لأنكم لم توقنوا بالبعث ﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ﴾ عند استتاركم ﴿أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

٢٣ ـ ﴿وَذَٰلِكُمْ﴾، مبتدأ ﴿ظَنُّكُمُ﴾، بدل منه ﴿ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ﴾، نعت، والخبر: ﴿أَرْدَىٰكُمْ﴾ أي: أهلككم ﴿فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.

٢٤ ـ ﴿فَإِن يَصْبِرُواْ﴾ علىٰ العذاب ﴿فَٱلنَّارُ مَثْوًى﴾: مأوى ﴿لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُواْ﴾: يطلبوا العُتبىٰ، أي: الرضا ﴿فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ﴾: المرضيين.

٢٥ ـ ﴿وَقَيَّضْنَا﴾: سبَّبنا ﴿لَهُمْ قُرَنَآءَ﴾ من الشياطين ﴿فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من أمر الدنيا واتباع الشهوات ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ من أمر الآخرة بقولهم: لا بعث ولا حساب ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ بالعذاب ـ وهو: (لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ) الآية ـ ﴿فِىٓ﴾ جملة ﴿أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ﴾: هلكت ﴿مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُواْ خَٰسِرِينَ﴾.

٢٦ ـ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ عند قراءة النبي ﷺ: ﴿لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ﴾: ائتوا باللَّغط ونحوه، وصيحوا في زمن قراءته ﴿لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ فيسكت عن القراءة.

٢٧ ـ قال الله تعالىٰ فيهم: ﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ أي: أقبح جزاءِ عملهم.

٢٨ ـ ﴿ذَٰلِكَ﴾ العذاب الشديد وأسوأ الجزاء ﴿جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ﴾، عطف بيان للجزاء المخبر به عن (ذلك) ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ﴾ أي: إقامة لا انتقال منها ﴿جَزَآءًۢ﴾، منصوب علىٰ المصدر بفعله المقدَّر ﴿بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: القرآن ﴿يَجْحَدُونَ﴾.

٢٩ ـ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ في النار: ﴿رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ أي: إبليس وقابيل، سَنَّا الكفر والقتل ﴿نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا﴾ في النار ﴿لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾ أي: أشدّ عذاباً منَّا.

إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾

سجدة

٣٠ - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ علىٰ التوحيد وغيره مما وجب عليهم ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ عند الموت ﴿أَ﴾نْ: بأن ﴿لا تَخَافُوا۟﴾ من الموت وما بعده ﴿وَلَا تَحْزَنُوا۟﴾ علىٰ ما خلّفتم من أهل وولد، فنحن نخلفكم فيه ﴿وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾.

٣١ - ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: نحفظكم فيها ﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي: نكون معكم فيها حتىٰ تدخلوا الجنة ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾: تطلبون.

٣٢ - ﴿نُزُلًا﴾: رزقاً مهيئاً، منصوب بـ (جعل) مقدراً ﴿مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ أي: الله.

٣٣ - ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا﴾ أي: لا أحد أحسن قولاً ﴿مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ بالتوحيد ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾.

٣٤ - ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ﴾ أي: لا تستوي الحسنة مع السيئة، بل الحسنة خير والسيئة شر ﴿ٱدْفَعْ﴾ السيئةَ ﴿بِٱلَّتِى﴾ أي: بالخصلة التي ﴿هِىَ أَحْسَنُ﴾ كالغضب بالصبر، والجهل بالحلم، والإساءة بالعفو ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ أي: فيصير عدوّك كالصديق القريب في محبته إذا فعلت ذلك، فـ (الذي) مبتدأ و(كأنه) الخبر، و(إذا) ظرف لمعنىٰ التشبيه، وهذا مبني علىٰ القول باسمية (إذا) الفجائية، والأرجح أنها حرف.

٣٥ - ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ﴾ أي: يُؤتَىٰ الخصلةَ التي هي أحسن ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ﴾: ثواب ﴿عَظِيمٍ﴾.

٣٦ - ﴿وَإِمَّا﴾، فيه إدغام نون (إنْ) الشرطية في (ما) الزائدة ﴿يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ﴾ أي: يصرفك عن الخصلة وغيرها من الخير صارف ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾، جواب الشرط، وجواب الأمر محذوف، أي: يدفعه عنك ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ للقول ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بالفعل.

٣٧ - ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ﴾ أي: الآيات الأربع ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾.

٣٨ - ﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ عن السجود لله وحده ﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ أي: فالملائكة ﴿يُسَبِّحُونَ﴾: يصلون ﴿لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ﴾: لا يملّون.

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾

٣٩ - ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً﴾: يابسة لا نبات فيها ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ﴾: تحركت ﴿وَرَبَتْ﴾: انتفخت وعلت ﴿إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

٤٠ - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾: القرآن بالتكذيب ﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ﴾ فنجازيهم ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ تهديد لهم.

٤١ - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ﴾: القرآن ﴿لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ نجازيهم ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ﴾: منيع.

٤٢ - ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ أي: ليس قبله كتاب يكذبه ولا بعده، أي: لا يتطرق إليه الباطل من جهة من الجهات، والمعنىٰ: كل ما فيه حق وصدق.

﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ أي: الله المحمود في أمره.

٤٣ - ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ﴾ من التكذيب ﴿إِلَّا﴾: مثل ﴿مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾ للمؤمنين ﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ للكافرين.

٤٤ - ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ﴾ أي: الذكر ﴿قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا﴾: هلَّا ﴿فُصِّلَتْ﴾: بُيِّنَتْ ﴿ءَايَٰتُهُۥٓ﴾ حتىٰ نفهمها ﴿أ﴾ قرآن ﴿أَعْجَمِىٌّ وَ﴾ نبيٌّ ﴿عَرَبِىٌّ﴾؟ استفهام إنكار منهم ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَشِفَآءٌ﴾ من الجهل.

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾: ثِقَلٌ، فلا يسمعونه ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ فلا يفهمونه.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ أي: هم كالمنادىٰ من مكان بعيد لا يسمع ولا يفهم ما ينادىٰ به.

٤٥ - ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾: التوراة ﴿فَٱخْتُلِفَ فِيهِ﴾ بالتصدي والتكذيب كالقرآن ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ بتأخير الحساب والجزاء للخلائق إلىٰ يوم القيامة ﴿لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ في الدنيا فيما اختلفوا فيه ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ أي: المكذبين به ﴿لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾: مُوقع في الريبة.

٤٦ - ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ﴾ عملَ ﴿وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾ أي: فضرر إساءته علىٰ نفسه ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ أي: بذي ظلم، لقوله تعالىٰ: (إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ).

۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَظَنُّوا۟ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾

٤٧ ـ ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ متىٰ تكون لا يعلمها غيره ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا﴾: أوعيتها، جمع كِم، بكسر الكاف، إلا بعلمه ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ﴾: أعلمناك الآن ﴿مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾ أي: شاهد بأن لك شريكاً.

٤٨ ـ ﴿وَضَلَّ﴾: غاب ﴿عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَدْعُونَ﴾: يعبدون ﴿مِن قَبْلُ﴾ في الدنيا من الأصنام ﴿وَظَنُّوا۟﴾: أيقنوا ﴿مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾: مهرب من العذاب، والنفي في الموضعين أي: (ما منا) و(ما لهم)، أما النفي (ما منا) فقد علق (آذناك) عن العمل لفظاً، وأما النفي (ما لهم من محيص) فقد علق أيضاً (ظنوا) عن العمل لفظاً، وجملة النفي سدَّت مسد المفعولين.

٤٩ ـ ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ﴾ أي: لا يزال يسأل ربه المال والصحة وغيرهما ﴿وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾: الفقر والشدة ﴿فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ﴾ من رحمة الله، وهذا وما بعده في الكافرين.

٥٠ ـ ﴿وَلَئِنْ﴾، لام قسم ﴿أَذَقْنَٰهُ﴾: آتيناه ﴿رَحْمَةً﴾: غِنًى وصحة ﴿مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ﴾: شدَّةٍ وبلاء ﴿مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى﴾ أي: بعملي ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن﴾، لام قسم ﴿رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ أي: الجنة ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾: شديد، واللام في الفعلين لام قسم.

٥١ ـ ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ الجنس ﴿أَعْرَضَ﴾ عن الشكر ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾: ثنىٰ عطفه متبختراً ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾: كثير.

٥٢ ـ ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ﴾ أي: القرآن ﴿مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ كما قال النبي ﷺ ﴿ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ﴾: خلاف ﴿بَعِيدٍ﴾ عن الحق، أوقع قوله: (مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ) موقع (منكم) بياناً لحالهم.

٥٣ ـ ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ﴾: أقطار السماوات والأرض من النيِّرات والنبات والأشجار ﴿وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ من لطيف الصَّنعة وبديع الحكمة ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ﴾ أي: القرآن ﴿ٱلْحَقُّ﴾: المنزل من الله بالبعث والحساب والعقاب، فيعاقبون علىٰ كفرهم به وبالجائي به ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ﴾، فاعل (يكف) ﴿أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾؟ بدل منه، أي: أولم يكفهم في صدقك أن ربك لا يغيبُ عنه شيءٌ ما؟

٥٤ ـ ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ﴾: شكٌّ ﴿مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ﴾ لإنكارهم البعث ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ﴾ تعالىٰ ﴿بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾ علماً وقدرة، فيجازيهم بكفرهم.

سُورَةُ الشُّورَىٰ

مكية، إلا (قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ) الآيات الأربع، ثلاث وخمسون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ ـ ﴿حمٓ﴾.

٢ ـ ﴿عٓسٓقٓ﴾ الله أعلم بمراده به.

٣ ـ ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل ذلك الإيحاء ﴿يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَ﴾ أوحىٰ ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ﴾، فاعل الإيحاء ﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ في صنعه وفي تشريعه وقدره وجزائه وفي كلامه وإرسال رسله.

٤ ـ ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ﴾ علىٰ خلقه ﴿ٱلۡعَظِيمُ﴾: الكبير.

٥ ـ ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ﴾ أي: تنشق كل واحدة فوق التي تليها من عظمة الله تعالىٰ ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ﴾ أي: ملابسين للحمد ﴿وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ من المؤمنين ﴿أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ﴾ لأوليائه ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بهم.

٦ ـ ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ﴾ أي: الأصنام ﴿ٱللَّهُ حَفِيظٌ﴾: مُحْصٍ ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ ليجازيهم ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ﴾ تُحصل المطلوب منهم، ما عليك إلا البلاغ.

٧ ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلك الإيحاء ﴿أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ﴾: تُخوِّف ﴿أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا﴾ أي: أهل مكة وسائر الناس ﴿وَتُنذِرَ﴾ الناسَ ﴿يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ﴾ أي: يوم القيامة يُجمع فيه الخلائق ﴿لَا رَيۡبَ﴾: شكَّ ﴿فِيهِۚ فَرِيقٞ﴾ منهم ﴿فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾: النار.

٨ ـ ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ أي: علىٰ دين واحد، وهو الإسلام ﴿وَلَٰكِن يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ﴾: الكافرون ﴿مَا لَهُم مِّن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ﴾ يدفع عنهم العذاب.

٩ ـ ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي: الأصنام ﴿أَوۡلِيَآءَۖ﴾، (أم) منقطعة بمعنىٰ بل التي للانتقال، والهمزة للإنكار، أي: ليس المتَّخذون أولياء ﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ﴾ أي: الناصر للمؤمنين، والفاء لمجرد العطف ﴿وَهُوَ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾.

١٠ ـ ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ﴾ مع الكفار ﴿فِيهِ مِن شَيۡءٖ﴾ من الدين وغيره ﴿فَحُكۡمُهُۥٓ﴾ مردود ﴿إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ يومَ القيامة يفصلُ بينكم، قل لهم: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾: أرجع.

فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗا يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١٢﴾ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ﴿١٤﴾ فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٥﴾

ربع الحزب ٤٩

١١ ـ ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾: مبدعهما ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا﴾ حيث خلق حواء من ضِلَع آدم.

﴿وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗا﴾ ذكوراً وإناثاً ﴿يَذۡرَؤُكُمۡ﴾ بالمعجمة: يخلقكم ﴿فِيهِۚ﴾ في الجعل المذكور، أي: يُكَثِّرُكُمْ بسببه بالتوالد، والضمير للأناسيِّ والأنعام بالتغليب.

﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾، الكاف زائدة لأنه تعالىٰ لا مثل له ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لما يقال ﴿ٱلۡبَصِيرُ﴾ لما يُفعل.

١٢ ـ ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ أي: مفاتيح خزائنهما من المطر والنبات وغيرهما.

﴿يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ﴾: يوسعه ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ امتحاناً ﴿وَيَقۡدِرُۚ﴾: يُضيِّقه لمن يشاء ابتلاءً ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾.

١٣ ـ ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا﴾ هو أول أنبياء الشريعة.

﴿وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ هذا هو المشروع الموصىٰ به والموحىٰ إلىٰ محمد ﷺ، وهو التوحيد.

﴿كَبُرَ﴾: عظُم ﴿عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ﴾ من التوحيد.

﴿ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ﴾: إلىٰ التوحيد ﴿مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ﴾: يُقبل إلىٰ طاعته.

١٤ ـ ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ﴾ أي: أهل الأديان في الدين بأن وحَّد بعضٌ وكفر بعض.

﴿إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ﴾ بالتوحيد ﴿بَغۡيَۢا﴾ من الكافرين ﴿بَيۡنَهُمۡۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ﴾ بتأخير الجزاء ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ يوم القيامة ﴿لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ﴾ بتعذيب الكافرين في الدنيا.

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ وهم اليهود والنصارىٰ ﴿لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ﴾: من محمد ﷺ ﴿مُرِيبٖ﴾: مُوقع في الرِّيبة.

١٥ ـ ﴿فَلِذَٰلِكَ﴾ التوحيد ﴿فَٱدۡعُۖ﴾ يا محمد الناسَ ﴿وَٱسۡتَقِمۡ﴾ عليه ﴿كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ﴾ في تركه ﴿وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ﴾ أي: بأن أعدل ﴿بَيۡنَكُمُۖ﴾ في الحكم.

﴿ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ﴾ فكلٌّ يُجازىٰ بعمله ﴿لَا حُجَّةَ﴾: خُصومة ﴿بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ﴾، هذا قبل أن يُؤمر بالجهاد ﴿ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ﴾ في المَعاد لفصل القضاء ﴿وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾: المرجع.

وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾

١٦ - ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي﴾ دين ﴿اللَّهِ﴾ نبيِّه ﴿مِن بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ﴾ بالإيمان لظهور معجزته، وهم اليهود ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ﴾: باطلة ﴿عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾.

١٧ - ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ﴾: القرآن ﴿بِالْحَقِّ﴾، متعلق بـ (أنزل) ﴿وَالْمِيزَانَ﴾: العدل ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾: يُعلِمُك ﴿لَعَلَّ السَّاعَةَ﴾ أي: إتيانها ﴿قَرِيبٌ﴾، و(لعل) معلِّقٌ للفعل عن العمل، وما بعده سدَّ مسدَّ المفعولين.

١٨ - ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾ يقولون: متىٰ تأتي؟ ظنّاً منهم أنها غير آتية.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ﴾: خائفون ﴿مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ﴾: يجادلون ﴿فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾.

١٩ - ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾ بَرِّهِمْ وفاجرهم، حيث لم يهلكْهم جوعاً بمعاصيهم ﴿يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ﴾ من كلٍّ منهم ما يشاء ﴿وَهُوَ الْقَوِيُّ﴾ علىٰ مراده ﴿الْعَزِيزُ﴾: الغالب علىٰ أمره.

٢٠ - ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ﴾ بعمله ﴿حَرْثَ الْآخِرَةِ﴾ أي: كسبَها، وهو الثواب ﴿نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾ بالتضعيف فيه الحسنة إلىٰ العشرة وأكثر ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ بلا تضعيف ما قُسم له ﴿وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾.

٢١ - ﴿أَمْ﴾: بل ﴿لَهُمْ شُرَكَاءُ﴾ هم شياطينُهم ﴿شَرَعُوا﴾ أي: الشركاء ﴿لَهُم﴾: للكفار ﴿مِّنَ الدِّينِ﴾ الفاسدِ ﴿مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾ كالشرك وإنكار البعث ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ﴾ أي: القضاء السابق بأن الجزاء في يوم القيامة ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ وبين المؤمنين بالتعذيب لهم في الدنيا ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ﴾: الكافرين ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مؤلم.

٢٢ - ﴿تَرَى الظَّالِمِينَ﴾ يوم القيامة ﴿مُشْفِقِينَ﴾: خائفين ﴿مِمَّا كَسَبُوا﴾ في الدنيا من السيئات أن يُجازَوْا عليها ﴿وَهُوَ﴾ أي: الجزاء عليها ﴿وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ يوم القيامة لا محالة ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ﴾: أنزهها بالنسبة إلىٰ من دونهم ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾.

ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾

نصف الحزب ٤٩

٢٣ ـ ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ﴾ ـ من البشارة ـ به ﴿ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: علىٰ تبليغ الرسالة ﴿أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ﴾، استثناء منقطع، أي: لكن أسألكم أن تودُّوا قرابتي التي هي قرابتكم أيضاً، فإن له في كل بطن من قريش قرابة ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ﴾: يكتسب ﴿حَسَنَةً﴾: طاعة ﴿نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ﴾ بتضعيفها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ للذنوب ﴿شَكُورٌ﴾ للقليل فيضاعفه.

٢٤ ـ ﴿أَمْ﴾: بل ﴿يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ﴾ بنسبة القرآن إلىٰ الله تعالىٰ ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ﴾: يربط ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ﴾ بالصبر علىٰ أذاهم بهذا القول وغيره، وقد فعل ﴿وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ﴾ الذي قالوه ﴿وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ﴾: يُثبته ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ﴾ المنزلة علىٰ نبيه ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ بما في القلوب.

٢٥ ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ منهم ﴿وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ المتاب عنها ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾.

٢٦ ـ ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: يجيبهم إلىٰ ما يسألون ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾.

٢٧ ـ ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ﴾ جميعهم ﴿لَبَغَوْا۟﴾ جميعُهم، أي: طَغَوا ﴿فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ﴾ من الأرزاق ﴿بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ﴾ فيبسطها لبعض عباده دون بعض، وينشأ عن البسط البغي ﴿إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾.

٢٨ ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾: المطر ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟﴾: يئسوا من نزوله ﴿وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ﴾: يبسُط مطرَه ﴿وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ﴾ المحسن للمؤمنين ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾: المحمود عندهم.

٢٩ ـ ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَ﴾ خلق ﴿مَا بَثَّ﴾: فرّق ونشر ﴿فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ﴾ هي ما يدبُّ علىٰ الأرض من الناس وغيرهم ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ﴾ للحشر ﴿إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ﴾ في الضمير تغليب العاقل علىٰ غيره.

٣٠ ـ ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم﴾ خطاب للناس جميعاً ﴿مِّن مُّصِيبَةٍ﴾: بليَّةٌ وشدة ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ أي: كسبتم من الذنوب، وعبَّر بالأيدي لأن أكثر الأفعال تزاول بها ﴿وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾ منها، فلا يُجازي عليه، وهو تعالىٰ أكرم من أن يُثنِّي الجزاء في الآخرة، أي: فالذنب الذي عاقب عليه في الدنيا بالمصيبة لا يعاقب عليه في الآخرة؛ لأن الكريم لا يعاقب مرتين. أما غير المذنبين، فما يصيبهم في الدنيا لرفع درجاتهم في الآخرة.

٣١ ـ ﴿وَمَآ أَنتُم﴾ يا مشركون ﴿بِمُعْجِزِينَ﴾ الله هرباً ﴿فِى ٱلْأَرْضِ ۖ﴾ فتفوتونه ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ يدفع عذابه عنكم.

وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾

٣٢ - ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ﴾: السفن ﴿فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾ كالجبال في العِظَم.

٣٣ - ﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ﴾: يَصِرْنَ ﴿رَوَاكِدَ﴾: ثوابتَ لا تجري ﴿عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾: هو المؤمن يصبر في الشدة ويشكر في الرخاء.

٣٤ - ﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ﴾، عطف علىٰ (يسكن) أي: يغرقهن بعصف الريح بأهلهن ﴿بِمَا كَسَبُوا۟﴾ أي: أهلهن من الذنوب ﴿وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ﴾ منها، فلا يغرق أهله.

٣٥ - ﴿وَيَعْلَمَ﴾، معطوف علىٰ تعليل مقدر، أي: يُغرقهم لينتقم منهم ويعلمَ ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾: مهرب من العذاب، وجملة النفي سَدَّت مسد مفعولي (يعلم)، والنفي معلق عن العمل.

٣٦ - ﴿فَمَآ أُوتِيتُم﴾ خطاب للمؤمنين وغيرهم ﴿مِّن شَىْءٍ﴾ من أثاث الدنيا ﴿فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ يتمتع به فيها ثم يزول ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ من ثواب ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

٣٧ - ويُعطف عليهم: ﴿وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ﴾ موجبات الحدود، من عطف البعض علىٰ الكل ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾: يتجاوزون.

٣٨ - ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ﴾: أجابوه إلىٰ ما دعاهم إليه من التوحيد والعبادة ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: أداموها ﴿وَأَمْرُهُمْ﴾ الذي يبدو لهم ﴿شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾: يتشاورون فيه ولا يعجلون ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾: أعطيناهم ﴿يُنفِقُونَ﴾ في طاعة الله، ومَن ذكر صنفٌ.

٣٩ - ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ﴾: الظلم ﴿هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾ صنفٌ، أي: ينتقمون ممن ظلمهم بمثل ظلمه كما قال تعالىٰ:

٤٠ - ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ سميت الثانيةُ سيئةً لمشابهتها للأولىٰ في الصورة، وهذا ظاهر فيما يُقتص فيه من الجراحات، قال بعضهم: وإذا قال له: أخزاك الله، فيجيبه: أخزاك الله ﴿فَمَنْ عَفَا﴾ عن ظالمه ﴿وَأَصْلَحَ﴾ الوُدَّ بينه وبين المعفو عنه ﴿فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي: إن الله يأجره لا محالة ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: البادئين بالظلم، فيترتب عليهم عقابُه.

٤١ - ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ﴾ أي: ظُلم الظالم إياه ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾: مؤاخذة.

٤٢ - ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ﴾: يعملون ﴿فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ بالمعاصي ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مؤلم.

٤٣ - ﴿وَلَمَن صَبَرَ﴾ فلم ينتصر ﴿وَغَفَرَ﴾: تجاوز ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ الصبر والتجاوز ﴿لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ أي: معزوماتها، بمعنىٰ المطلوبات شرعاً.

٤٤ - ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي: أحد يلي هدايته بعد إضلال الله إياه ﴿وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ﴾ إلىٰ الدنيا ﴿مِّن سَبِيلٍ﴾: طريق؟

وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٤٩

٤٥ ـ ﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ أي: النار ﴿خَٰشِعِينَ﴾: خائفين متواضعين ﴿مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ﴾ إليها ﴿مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾: ضعيف النظر مسارقةً، و(من) ابتدائية، أو بمعنىٰ الباء ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ بتخليدهم في النار، وعدم وصولهم إلىٰ الحور المعدة لهم في الجنة لو آمنوا، والموصول خبر (إنّ) ﴿أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الكافرين ﴿فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾: دائم، هو من مقول الله تعالىٰ.

٤٦ ـ ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: غيره يدفع عذابه عنهم ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ﴾: طريق إلىٰ الحق في الدنيا وإلىٰ الجنة في الآخرة.

٤٧ ـ ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم﴾: أجيبوه بالتوحيد والعبادة ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ﴾ هو يوم القيامة ﴿لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ أي: أنه إذا أتىٰ به لا يرد ﴿مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ﴾ تلجؤون إليه ﴿يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾: إنكار لذنوبكم، لأنها مدونة في صحائفكم وتشهد بها عليكم جوارحكم، ويمكن أن يكون المعنىٰ: وما لكم من نكير أي: ناصر ينصركم.

٤٨ ـ ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟﴾ عن الإجابة ﴿فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ تحفظ أعمالهم بأن توافق المطلوب منهم ﴿إِنْ﴾: ما ﴿عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ وهذا قبل الأمر بالجهاد ﴿وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً﴾: نعمةً كالغنىٰ والصحة ﴿فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ﴾، الضمير للإنسان باعتبار الجنس ﴿سَيِّئَةٌ﴾: بلاء ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: قدموه، وعبَّر بالأيدي لأن أكثر الأفعال تزاول بها ﴿فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ﴾ للنعمة.

٤٩ ـ ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ﴾ من الأولاد ﴿إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾.

٥٠ ـ ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ﴾ أي: يجعلهم ﴿ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا﴾ العقيم: هو الذي لا يولد له، وتطلق هذه الكلمة علىٰ الذكر والأنثىٰ، فيقال للمرأة: عقيم إذا كانت لا تلد، ويقال للرجل: عقيم إذا كان لا يولد له ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌ﴾ بما يخلق ﴿قَدِيرٌ﴾ علىٰ ما يشاء.

٥١ ـ ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا﴾ أن يوحيَ إليه ﴿وَحْيًا﴾ في المنام أو بإلهام ﴿أَوْ﴾: إلا ﴿مِن وَرَآئِ حِجَابٍ﴾ بأن يسمعه كلامه ولا يراه كما وقع لموسىٰ عليه السلام ﴿أَوْ﴾: إلا أن ﴿يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ مَلَكاً كجبريل ﴿فَيُوحِىَ﴾ الرسول إلىٰ المرسَل إليه، أي: يكلمه ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ أي: الله ﴿مَا يَشَآءُ﴾ الله ﴿إِنَّهُۥ عَلِىٌّ﴾ عن صفات المحدَثين ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه وتشريعه وقدره وجزائه وفي كلامه وإرسال رسله.

وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾

سُورَةُ الزُّخْرُفِ — ترتيبها ٤٣ — آياتها ٨٩

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِىٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾

٥٢ ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل إيحائنا إلىٰ غيرك من الرسل ﴿أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿رُوحًا﴾: هو القرآن به تحيا القلوب ﴿مِّنْ أَمْرِنَاۚ﴾ الذي نوحيه إليك ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى﴾: تعرف قبل الوحي إليك ﴿مَا ٱلْكِتَٰبُ﴾: القرآن ﴿وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ أي: شرائعه ومعالمه، والنفي معلّق للفعل عن العمل، وما بعده سد مسد المفعولين ﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ﴾ أي: الروح أو الكتاب ﴿نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ﴾: تدعو بالوحي إليك ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ﴾: طريق ﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾: دين الإسلام.

٥٣ ـ ﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾: ترجع.

سُورَةُ الزُّخْرُفِ

مكية، وقيل إلا (وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا) الآية،

تسع وثمانون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ ـ ﴿حمٓ﴾ الله أعلم بمراده به.

٢ ـ ﴿وَٱلْكِتَٰبِ﴾: القرآن ﴿ٱلْمُبِينِ﴾: المظهر طريقَ الهدىٰ، وما يُحتاج إليه من الشريعة.

٣ ـ ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ﴾: أنزلناه ﴿قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ بلغة العرب ﴿لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ تفهمون معانيه.

٤ ـ ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ مُثبتٌ ﴿فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ﴾: أصل الكتب، أي: اللوح المحفوظ ﴿لَدَيْنَا﴾: عندنا ﴿لَعَلِىٌّ﴾ علىٰ الكتب قبله ﴿حَكِيمٌ﴾: ذو حكمة بالغة.

٥ ـ ﴿أَفَنَضْرِبُ﴾: نُمسك ﴿عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ﴾: القرآن ﴿صَفْحًا﴾: إمساكاً، فلا تؤمرون ولا تُنهون لأجل ﴿أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾: مشركين؟ لا.

٦ ـ ٧ ـ ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ وَمَآ﴾ كان ﴿يَأْتِيهِم﴾: أتاهم ﴿مِّن نَّبِىٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ كاستهزاء قومك بك، وهذا تسلية له ﷺ.

٨ ـ ﴿فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم﴾ من قومك ﴿بَطْشًا﴾: قوة ﴿وَمَضَىٰ﴾: سبق في آيات ﴿مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: صفتهم في الإهلاك، فعاقبة قومك كذلك.

٩ ـ ﴿وَلَئِن﴾، لام قسم ﴿سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ﴾، حذف منه نون الرفع لتوالي النونات، وواو الضمير لالتقاء الساكنين ﴿خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ آخر جوابهم، أي: الله ذو العزة والعلم. زاد تعالىٰ:

١٠ ـ ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾: فراشاً، كالمهد للصبي ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾: طرقاً ﴿لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إلىٰ مقاصدكم في أسفاركم.

وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾

١١ ـ ﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ﴾ أي: بقدر حاجتكم إليه ولم يُنزله طُوفاناً ﴿فَأَنشَرْنَا﴾: أحْيينا ﴿بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل هذا الإحياء ﴿تُخْرَجُونَ﴾ من قبوركم أحياءً.

١٢ ـ ﴿وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ﴾: الأصناف ﴿كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ﴾: السفن ﴿وَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ كالإبل ﴿مَا تَرْكَبُونَ﴾.

١٣ ـ ﴿لِتَسْتَوُۥا۟﴾: لتستقرُّوا ﴿عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾، ذُكِّر الضمير وجُمع الظَّهر نظراً للفظ (ما) ومعناها ﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ﴾: مطيقين.

١٤ ـ ﴿وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾: لمنصرفون.

١٥ ـ ﴿وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا﴾ حيث قالوا: الملائكة بنات الله، لأن الولد جزء الوالد، والملائكة من عباد الله تعالىٰ ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ القائل ما تقدم ﴿لَكَفُورٌ مُّبِينٌ﴾: بَيِّنٌ ظاهر الكفر.

١٦ ـ ﴿أَمِ﴾، بمعنىٰ همزة الإنكار، والقول مقدر، أي: أتقولون: ﴿ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ﴾ لنفسه ﴿وَأَصْفَىٰكُم﴾: أخلصكم ﴿بِٱلْبَنِينَ﴾ اللازم من قولكم السابق، فهو من جملة المنكر.

١٧ ـ ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا﴾: جعل له شَبهاً بنسبة البنات إليه، لأن الولد يُشبه الوالد، المعنىٰ: إذا أُخبر أحدُهم بالبنت تُولد له ﴿ظَلَّ﴾: صار ﴿وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا﴾: متغيراً تغير مُغتمّ ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾: ممتلئ غمّاً، فكيف ينسب البناتِ إليه؟ تعالىٰ عن ذلك.

١٨ ـ ﴿أَوَ﴾، همزة الإنكار وواو العطف متعلق بجملة مقدرة، أي: يجعلون لله ﴿مَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ﴾: الزينة ﴿وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾: مظهر الحجة لضعفه عنها بالأنوثة.

١٩ ـ ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟﴾: حضروا ﴿خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ﴾ بأنهم إناث ﴿وَيُسْـَٔلُونَ﴾ عنها في الآخرة فيترتب عليهم العقاب.

٢٠ ـ ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم﴾ أي: الملائكة، فعبادتنا إياهم بمشيئته، فهو راضٍ بها، قال تعالىٰ: ﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ﴾ المقول من الرضا بعبادتها ﴿مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ﴾: ما ﴿هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾: يكذبون فيه، فيترتب عليهم العقاب به.

٢١ ـ ﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ﴾ أي: القرآن بعبادة غير الله ﴿فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ﴾ أي: لم يقع ذلك.

٢٢ ـ ﴿بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾: مِلَّة ﴿وَإِنَّا﴾ ماشون ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ بهم، وكانوا يعبدون غير الله.

وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ٢٣ ۞ قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٢٤ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٢٥ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ٢٧ وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٢٨ بَلۡ مَتَّعۡتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ وَرَسُولٞ مُّبِينٞ ٢٩ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٣٠ وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ٣١ أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٣٢ وَلَوۡلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ لَّجَعَلۡنَا لِمَن يَكۡفُرُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ لِبُيُوتِهِمۡ سُقُفٗا مِّن فِضَّةٖ وَمَعَارِجَ عَلَيۡهَا يَظۡهَرُونَ ٣٣

٢٣ ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ﴾: مُتنعِّموها، مثل قول قومك: ﴿إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ﴾: مِـلَّـة ﴿وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ﴾: متَّبِعون.

٢٤ ـ ﴿قَٰلَ﴾ لهم: ﴿أ﴾تتبعون ذلك ﴿وَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ﴾ أنت ومن قبلك ﴿كَٰفِرُونَ﴾.

٢٥ ـ قال تعالىٰ تخويفاً لهم: ﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡۖ﴾ أي: من المكذبين للرسل قبلك ﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾.

٢٦ ـ ﴿وَ﴾ اذكـر ﴿إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ﴾ أي: بـريء ﴿مِّمَّا تَعۡبُدُونَ﴾. ٢٧ ـ ﴿إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾: خلقني ﴿فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ﴾: يُرشدني لدينه.

٢٨ ـ ﴿وَجَعَلَهَا﴾ أي: كلمة التوحيد المفهومة من قـولـه: (إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ) ﴿كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ﴾: ذُرِّيَّته، فلا يزال فيهم من يُوحِّد الله. ﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ عمّا هم عليه إلىٰ دين إبراهيم أبيهم.

٢٩ ـ ﴿بَلۡ مَتَّعۡتُ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ المشركين ﴿وَءَابَآءَهُمۡ﴾ ولم أعاجلهم بالعقوبة ﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ﴾: القرآن ﴿وَرَسُولٞ مُّبِينٞ﴾: مُظهر لهم الأحكامَ الشرعية، وهو محمد ﷺ.

٣٠ ـ ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ﴾: القرآن ﴿قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾. ٣١ ـ ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا﴾: هلَّا ﴿نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ﴾ من أيّة منهما ﴿عَظِيمٍ﴾ أي: الوليد بن المغيرة بمكة، وعروة بن مسعود الثقفي بالطائف.

٣٢ ـ ﴿أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ﴾: النبوة ﴿نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ﴾ فجعلنا بعضهم غنياً وبعضهم فقيراً ﴿وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ﴾ بالغنىٰ ﴿فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم﴾: الغنيُّ ﴿بَعۡضٗا﴾: الفقير ﴿سُخۡرِيّٗاۗ﴾ مُسخَّراً في العمل له بالأجرة، والياء للنسب ﴿وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ﴾ أي: الجنة ﴿خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾ في الدنيا.

٣٣ ـ ﴿وَلَوۡلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ علىٰ الكفر ﴿لَّجَعَلۡنَا لِمَن يَكۡفُرُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ لِبُيُوتِهِمۡ﴾، بدل من (لِمَن) ﴿سُقُفٗا مِّن فِضَّةٖ وَمَعَارِجَ﴾ كالدَّرَج من فضة ﴿عَلَيۡهَا يَظۡهَرُونَ﴾: يعلون إلىٰ السطح.

٣٤ ـ ﴿وَلِبُيُوتِهِمۡ أَبۡوَٰبٗا﴾ من فضة ﴿وَ﴾ جعلنا لهم ﴿سُرُرًا﴾ من فضة، جمع سرير ﴿عَلَيۡهَا يَتَّكِـُٔونَ﴾.
٣٥ ـ ﴿وَزُخۡرُفٗاۚ﴾ ذهباً. المعنىٰ: لولا خوف الكفر علىٰ المؤمن من إعطاء الكافر ما ذُكر، لأعطيناه ذلك لقلة خطر الدنيا عندنا، وعدم حظه في الآخرة في النعيم. ﴿وَإِن﴾، نافية ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا﴾ بمعنىٰ إلا ﴿مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ

وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾

﴿ٱلدُّنْيَا﴾ يتمتع به فيها ثم يزول ﴿وَٱلْءَاخِرَةُ﴾: الجنة ﴿عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾. ٣٦ ـ ﴿وَمَن يَعْشُ﴾: يُعرض ﴿عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ أي: القرآن ﴿نُقَيِّضْ﴾: نُسبب ﴿لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ لا يفارقه. ٣٧ ـ ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ أي: الشياطين ﴿لَيَصُدُّونَهُمْ﴾ أي: العاشين ﴿عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي: طريق الهدىٰ ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾، في الجمع رعاية معنىٰ (مَن). ٣٨ ـ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا﴾ العاشي بقرينه يوم القيامة ﴿قَالَ﴾ له: ﴿يا﴾، للتنبيه ﴿لَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ﴾ أي: مثل بُعد ما بين المشرق والمغرب ﴿فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ﴾ أنت لي. ٣٩ ـ قال تعالىٰ: ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ﴾ الخطاب للعاشين المعرضين عن ذكر الرحمٰن ﴿ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ﴾، (إذ) للتعليل أي: لأنكم ظلمتم أنفسكم بالشرك في الدنيا ﴿أَنَّكُمْ﴾ مع قرنائكم ﴿فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾، أنّكم وما بعدها في تأويل مصدر في محلِ رفع فاعل لـ (يَنفَعُكُمْ) والمعنىٰ: لن ينفعكم ولن يخفف عنكم العذاب يوم القيامة اشتراككم في العذاب، ولن يكون الاشتراك في العذاب مبعث تسلية لكم لأنكم ظلمتم أنفسكم في الدنيا بالشرك وفروعه. ٤٠ ـ ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾: بَيِّن؟ أي: فهم لا يؤمنون. ٤١ ـ ﴿فَإِمَّا﴾، فيه إدغام نون (إن) الشرطية في (ما) الزائدة ﴿نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾ بأن نميتك قبل تعذيبهم ﴿فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾ في الآخرة. ٤٢ ـ ﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ﴾ في حياتك ﴿ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ﴾ به من العذاب ﴿فَإِنَّا عَلَيْهِم﴾ علىٰ عذابهم ﴿مُّقْتَدِرُونَ﴾: قادرون. ٤٣ ـ ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ﴾ أي: القرآن ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ﴾: طريق ﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾. ٤٤ ـ ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ﴾: لَشَرفٌ ﴿لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ لنزوله بلغتهم ﴿وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾ عن القيام بحقه. قال صاحب «الظلال»: [إن هذا القرآن يرفع ذكرك وذكر قومك وهذا ما حدث فعلاً... فأما الرسول ﷺ فإن مئات الملايين من الشفاه تصلّي وتسلّم عليه، وتذكره ذكر المحب المشتاق آناء الليل وأطراف النهار منذ قرابة ألف وأربع مائة عام، ومئات الملايين من القلوب تخفق بذكره وحبه منذ ذلك التاريخ البعيد إلىٰ أن يرث الله الأرض ومن عليها. وأما قومه فقد جاءهم هذا القرآن والدنيا لا تحسّ بهم، وإن أحسّت اعتبرتهم علىٰ هامش الحياة، وهو الذي جعل لهم دورهم الأكبر في تاريخ هذه البشرية، وهو الذي واجهوا به الدنيا فعرفتهم ودانت لهم طوال الفترة التي استمسكوا فيها به. فلما أن تخلوا عنه أنكرتهم الأرض، واستصغرتهم الدنيا، وقذفت بهم في ذيل القافلة هناك، بعد أن كانوا قادة الموكب المرموقين! وإنها لتبعة ضخمة تسأل عنها الأمة التي اختارها الله لدينه، واختارها لقيادة القافلة البشرية الشاردة، إذا هي تخلّت عن الأمانة (وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ)]. ٤٥ ـ ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ أي: غيره ﴿ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾؟ قيل: هو علىٰ ظاهره، بأن جمع له الرسل ليلةَ الإسراء، وقيل: المرادُ أمم من أيِّ أهل الكتابين، ولم يَسأل علىٰ واحد من القولين، لأن المراد من الأمر بالسؤال التقرير لمشركي قريش أنه لم يأت رسول من الله ولا كتاب بعبادة غير الله. ٤٦ ـ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ﴾ أي: القبط ﴿فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. ٤٧ ـ ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ الدالّة علىٰ رسالته ﴿إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ﴾.

وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِي ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾

ربع الحزب ٥٠

٤٨ ـ ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ﴾ من آيات العذاب كالطوفان ـ وهو ماء دخل بيوتهم ووصل إلىٰ حلوق الجالسين سبعة أيام ـ والجراد ﴿إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾: قرينتها التي قبلها ﴿وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عن الكفر.

٤٩ ـ ﴿وَقَالُواْ﴾ لموسىٰ لما رأوا العذاب: ﴿يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ﴾ أي: العالم الكامل، لأن السحر عندهم علم عظيم ﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ من كشف العذاب عنا إن آمنّا ﴿إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ﴾ أي: مؤمنون.

٥٠ ـ ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا﴾ بدعاء موسىٰ ﴿عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾: ينقضون عهدهم ويُصِرُّون علىٰ كفرهم.

٥١ ـ ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ﴾ افتخاراً ﴿فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ أي: من النيل ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ﴾ أي: تحت قصوري ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ عظمتي؟

٥٢ ـ ﴿أَمْ﴾ تبصرون، وحينئذٍ ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا﴾ أي: موسىٰ ﴿ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٌ﴾: ضعيف حقير ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾: يُظهر كلامه، هذا وقد كان بلسان موسىٰ عقدة إلّا أنه سأل الله أن يحلّها فآتاه سؤله قال تعالىٰ علىٰ لسان موسىٰ: (وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ۝ يَفْقَهُواْ قَوْلِي) فقول فرعون افتراء علىٰ موسىٰ.

٥٣ ـ ﴿فَلَوْلَآ﴾: هلّا ﴿أُلْقِيَ عَلَيْهِ﴾ إن كان صادقاً ﴿أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ﴾ كعادتهم فيمن يسوّدونه أن يلبسوه أسورة ذهب، ويُطوّقونه طوق ذهب ﴿أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾: متتابعين يشهدون بصدقه.

٥٤ ـ ﴿فَٱسْتَخَفَّ﴾: استفزَّ فرعون ﴿قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ﴾ فيما يريد من تكذيب موسىٰ ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾.

٥٥ ـ ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا﴾: أغضبونا ﴿ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

٥٦ ـ ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا﴾، جمع سالف، كخادم وخدم، أي: سابقين، عبرةً ﴿وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ﴾ بعدهم يتمثلون بحالهم، فلا يُقدمون علىٰ مثل فعالهم.

٥٧ ـ ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ﴾: جُعل ﴿ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾ حين نزل قوله تعالىٰ: (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ)، فقال المشركون: رضينا أن تكون آلهتنا مع عيسىٰ، لأنه عُبد من دون الله ﴿إِذَا قَوْمُكَ﴾ أي: المشركون ﴿مِنْهُ﴾ من المثل ﴿يَصِدُّونَ﴾: يضحكون فرحاً بما سمعوا.

٥٨ ـ ﴿وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾ أي: عيسىٰ فنرضىٰ أن تكون آلهتنا معه ﴿مَا ضَرَبُوهُ﴾ أي: المثل ﴿لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا﴾: خصومة بالباطل لعلمهم أن (ما) في قوله تعالىٰ: (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ) لغير العاقل، فلا يتناول عيسىٰ عليه السلام ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾: شديدو الخصومة.

٥٩ ـ ﴿إِنْ﴾: ما ﴿هُوَ﴾: عيسىٰ ﴿إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ بالنبوة ﴿وَجَعَلْنَٰهُ﴾ بوجوده من غير أب ﴿مَثَلًا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي: كالمثل لغرابته، يُستدل بها علىٰ قدرة الله تعالىٰ علىٰ ما يشاء.

٦٠ ـ ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم﴾: بدلكم ﴿مَّلَٰٓئِكَةً فِي ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾ بأن نهلككم.

وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾

٦١ ـ ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي: عيسىٰ ﴿لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ تُعلم بنزوله ﴿فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ أي: تَشكُّنَّ فيها، حُذف منه نونُ الرفع للجزم، وواوُ الضمير لالتقاء الساكنين ﴿وَ﴾ قل لهم: ﴿ٱتَّبِعُونِ﴾ علىٰ التوحيد ﴿هَٰذَا﴾ الذي آمركم به ﴿صِرَٰطٌ﴾: طريق ﴿مُّسْتَقِيمٌ﴾.

٦٢ ـ ﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ﴾: يصرفنَّكم عن دين الله ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾: بيِّن العداوة.

٦٣ ـ ﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: بالمعجزات والشرائع ﴿قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ﴾: بالنبوة وشرائع الإنجيل ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ من أحكام التوراة من أمر الدين وغيره، فبيَّن لهم أمر الدين ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾.

٦٤ ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ﴾: طريق ﴿مُّسْتَقِيمٌ﴾.

٦٥ ـ ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ﴾ في عيسىٰ، أهو الله أو ابن الله أو ثالث ثلاثة؟ ﴿فَوَيْلٌ﴾: كلمة عذاب ﴿لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾: كفروا بما قالوه في عيسىٰ ﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾: مؤلم.

٦٦ ـ ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ أي: ما ينتظرون ﴿إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم﴾، بدل من (الساعة) ﴿بَغْتَةً﴾: فجأةً ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بوقت مجيئها قبله.

٦٧ ـ ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ﴾ علىٰ المعصية في الدنيا ﴿يَوْمَئِذٍۭ﴾: يوم القيامة، متعلق بقوله: ﴿بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾: المتحابِّين في الله علىٰ طاعته، فإنهم أصدقاء.

٦٨ ـ ويقال لهم: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾.

٦٩ ـ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، نعت لـ (عبادي) ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾: القرآن ﴿وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ﴾

٧٠ ـ ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ﴾، مبتدأ ﴿وَأَزْوَٰجُكُمْ﴾: زوجاتكم ﴿تُحْبَرُونَ﴾: تُسرُّون وتكرمون، خبر المبتدأ.

٧١ ـ ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ﴾: بقصاع ﴿مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾، جمع كوب، وهو إناء لا عروة له، ليشرب الشارب من حيث شاء ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ﴾ تلذذاً ﴿وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ نظراً ﴿وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

٧٢ ـ ٧٣ ـ ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا﴾ أي: بعضها ﴿تَأْكُلُونَ﴾ وكل ما يؤكل يُخلف بدله.

إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ٧٤ لَا يُفَتَّرُ عَنۡهُمۡ وَهُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ٧٥ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ٧٦ وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ٧٧ لَقَدۡ جِئۡنَٰكُم بِٱلۡحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَكُمۡ لِلۡحَقِّ كَٰرِهُونَ ٧٨ أَمۡ أَبۡرَمُوٓاْ أَمۡرٗا فَإِنَّا مُبۡرِمُونَ ٧٩ أَمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّا لَا نَسۡمَعُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيۡهِمۡ يَكۡتُبُونَ ٨٠ قُلۡ إِن كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٞ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡعَٰبِدِينَ ٨١ سُبۡحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ٨٢ فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ٨٣ وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ ٨٤ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٨٥ وَلَا يَمۡلِكُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٨٦ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٨٧ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ ٨٨ فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٨٩

٧٤ - ٧٥ - ﴿إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ۝ لَا يُفَتَّرُ﴾: يُخفف ﴿عَنۡهُمۡ وَهُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ﴾: ساكتون سكوت يأس.

٧٦ - ٧٧ - ﴿وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ﴾: هو خازن النار ﴿لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ﴾: ليُميتنا ﴿قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾: مقيمون في العذاب دائماً.

٧٨ - قال تعالىٰ: ﴿لَقَدۡ جِئۡنَٰكُم بِٱلۡحَقِّ﴾ علىٰ لسان الرسول ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَكُمۡ لِلۡحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾.

٧٩ - ﴿أَمۡ أَبۡرَمُوٓاْ﴾ أي: الكفار: أحكموا ﴿أَمۡرٗا﴾ في كيد محمد النبي ﴿فَإِنَّا مُبۡرِمُونَ﴾: مُحكمون كيدنا في إهلاكهم.

٨٠ - ﴿أَمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّا لَا نَسۡمَعُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۚ﴾: ما يُسرون إلىٰ غيرهم وما يجهرون به بينهم ﴿بَلَىٰ﴾ نسمع ذلك ﴿وَرُسُلُنَا﴾ الحفظةُ ﴿لَدَيۡهِمۡ﴾: عندهم ﴿يَكۡتُبُونَ﴾ ذلك.

٨١ - ﴿قُلۡ إِن كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٞ﴾ فرضاً ﴿فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡعَٰبِدِينَ﴾ للولد، لكن ثبت أن لا ولد له تعالىٰ، فانتفت عبادته.

٨٢ - ﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾: يقولون من الكذب بنسبة الولد إليه.

٨٣ - ﴿فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ﴾ في باطلهم ﴿وَيَلۡعَبُواْ﴾ في دنياهم ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ﴾ فيه العذاب، وهو يوم القيامة.

٨٤ - ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي﴾ هو ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ﴾ أي: معبودٌ ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞۚ﴾، وكلٌّ من الظرفين متعلق بما بعده ﴿وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ﴾ في تدبير خلقه ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ بمصالحهم.

٨٥ - ﴿وَتَبَارَكَ﴾: تعظَّم ﴿ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ متىٰ تقوم ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾.

٨٦ - ﴿وَلَا يَمۡلِكُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ﴾: يعبدون، أي: الكفار ﴿مِن دُونِهِ﴾ أي: الله ﴿ٱلشَّفَٰعَةَ﴾ لأحد ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ﴾ أي: قال: لا إلٰه إلا الله ﴿وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم، وهم عيسىٰ وعُزير والملائكة، فإنهم يشفعون للمؤمنين.

٨٧ - ﴿وَلَئِن﴾، لام قسم ﴿سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ﴾، حذف منه نون الرفع وواو الضمير ﴿فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾: يصرفون عن عبادة الله؟

٨٨ - ﴿وَقِيلِهِۦ﴾ أي: قول محمد النبي، أي: وقال: ﴿يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾.

٨٩ - قال تعالىٰ: ﴿فَٱصۡفَحۡ﴾: أعرضْ ﴿عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ﴾ منكم، وهذا قبل أن يؤمر بقتالهم ﴿فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾ تهديد لهم.

سُورَةُ الدُّخَانِ

آياتها ٥٩ — ترتيبها ٤٤

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦﴾ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ ۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوٓا۟ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾

نصف الحزب ٥٠

سُورَةُ الدُّخَانِ

مكية، وقيل: إلا ﴿إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ﴾ الآية، وهي ست ـ أو سبع أو تسع ـ وخمسون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ ـ ﴿حمٓ﴾ الله أعلم بمراده به.

٢ ـ ﴿وَٱلْكِتَٰبِ﴾: القرآن ﴿ٱلْمُبِينِ﴾: المظهر الحلال من الحرام.

٣ ـ ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ هي ليلة القدر ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾: مُخوِّفين به.

٤ ـ ﴿فِيهَا﴾ أي: في ليلة القدر ﴿يُفْرَقُ﴾: يُفصل ﴿كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾: محكم من الأرزاق والآجال وغيرهما التي تكون في السنة إلىٰ مثل تلك الليلة.

٥ ـ ﴿أَمْرًا﴾: فَرْقاً ﴿مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ الرُّسل، محمداً ﷺ ومَن قبله.

٦ ـ ﴿رَحْمَةً﴾: رأفةً بالمرسَل إليهم ﴿مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوالهم ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بأفعالهم.

٧ ـ ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ بأنه تعالىٰ ربُّ السماوات والأرض، فأيقنوا بأن محمداً ﷺ رسوله.

٨ ـ ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾.

٩ ـ ﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ﴾ من البعث ﴿يَلْعَبُونَ﴾ استهزاءً بك يا محمد، فقال: «اللهم أعِنِّي عليهم بسبعٍ كسبعِ يوسف».

١٠ ـ قال تعالىٰ: ﴿فَٱرْتَقِبْ﴾ لهم ﴿يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ فأجدبت الأرض واشتدَّ بهم الجوع إلىٰ أن رأوا من شدته كهيئة الدخان بين السماء والأرض.

١١ ـ ﴿يَغْشَى ٱلنَّاسَ﴾ فقالوا: ﴿هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

١٢ ـ ﴿رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾: مصدقون نبيَّك.

١٣ ـ قال تعالىٰ: ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ أي: لا ينفعهم الإيمان عند نزول العذاب ﴿وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ﴾: بَيِّنُ الرسالة. هذا وهناك قول آخر وهو أنّ الدخان من الآيات المنتظرة عند يوم القيامة، وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما والحسن البصري وآخرين. وهو الأرجح.

١٤ ـ ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ﴾ أي: يعلِّمه القرآنَ بشرٌ ﴿مَّجْنُونٌ﴾.

١٥ ـ ﴿إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ﴾ عنكم زمناً ﴿قَلِيلًا﴾ فكشف عنهم ﴿إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ﴾ إلىٰ كفركم، فعادوا إليه.

١٦ ـ اذكر ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾: هو يوم بدر ﴿إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ منهم، والبطش: الأخذ بقوة.

١٧ ـ ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا﴾: بلونا ﴿قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ معه ﴿وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ﴾: هو موسىٰ عليه السلام ﴿كَرِيمٌ﴾ علىٰ الله تعالىٰ.

١٨ ـ ﴿أَنْ﴾ أي: بأن ﴿أَدُّوٓا۟ إِلَىَّ﴾ ما أدعوكم إليه من الإيمان، أي: أظهِرُوا إيمانَكم بالطاعة لي يا ﴿عِبَادَ ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ علىٰ ما أرسلت به.

وَأَن لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَآتَيْنَاهُم مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾

١٩ ـ ﴿وَأَن لَّا تَعْلُوا﴾: تتجبَّروا ﴿عَلَى اللَّهِ﴾ بترك طاعته ﴿إِنِّي آتِيكُم بِسُلْطَانٍ﴾: برهان ﴿مُّبِينٍ﴾: بيِّن علىٰ رسالتي، فتوعَّدوه بالرجم.

٢٠ ـ فقال: ﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ﴾ بالحجارة.

٢١ ـ ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي﴾: تُصدقوني ﴿فَاعْتَزِلُونِ﴾: فاتركوا أذاي، فلم يتركوه.

٢٢ ـ ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ﴾ أي: بأن ﴿هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ﴾: مشركون.

٢٣ ـ فقال تعالىٰ: ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي﴾: بني إسرائيل ﴿لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾: يتبعُكم فرعون وقومُه.

٢٤ ـ ﴿وَاتْرُكِ الْبَحْرَ﴾ إذا قطعتَه أنت وأصحابك ﴿رَهْوًا﴾: ساكناً منفرجاً حتىٰ يدخله القبط ﴿إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ﴾ فاطمأن بذلك، فأُغرقوا.

٢٥ ـ ﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ﴾: بساتين ﴿وَعُيُونٍ﴾ تجري.

٢٦ ـ ﴿وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾: مجلس حسن.

٢٧ ـ ﴿وَنَعْمَةٍ﴾: مُتعة ﴿كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ﴾: ناعمين.

٢٨ ـ ﴿كَذَٰلِكَ﴾، خبر مبتدأ، أي: الأمر ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا﴾ أي: أموالهم ﴿قَوْمًا آخَرِينَ﴾ أي: بني إسرائيل.

٢٩ ـ ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ بخلاف المؤمنين، يبكي عليهم بموتهم مصلّاهم من الأرض ومصعدُ عملهم من السماء ﴿وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾: مؤخَّرين للتوبة.

٣٠ ـ ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾: قتلِ الأبناء واستخدام النساء.

٣١ ـ ﴿مِن فِرْعَوْنَ﴾، قيل: بدل من (العذاب) بتقدير مضاف، أي: عذاب، وقيل: حال من (العذاب) ﴿إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ﴾.

٣٢ ـ ﴿وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ﴾ أي: بني إسرائيل ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ منّا بحالهم ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ أي: عالمي زمانهم، أي: العقلاء.

٣٣ ـ ﴿وَآتَيْنَاهُم مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ﴾: نعمة ظاهرة، من فلق البحر، والمنِّ والسلوىٰ، وغيرها.

٣٤ ـ ﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ﴾ أي: كفار مكة ﴿لَيَقُولُونَ﴾:

٣٥ ـ ﴿إِنْ هِيَ﴾: ما الموتة التي بعدها الحياة ﴿إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ﴾ أي: وهم نُطفٌ ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾: بمبعوثين أحياءً بعد الثانية. ٣٦ ـ ﴿فَأْتُوا بِآبَائِنَا﴾ أحياءً ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ أنَّا نُبعث بعد موتنا، أي: نحيا. ٣٧ ـ قال تعالىٰ: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾: هو نبي، أو رجل صالح ﴿وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ بكفرهم، والمعنىٰ: ليسوا أقوىٰ منهم وأهلكوا ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾. ٣٨ ـ ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾ بخلق ذلك، حال. ٣٩ ـ ﴿مَا خَلَقْنَاهُمَا﴾ وما بينهما ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ أي: مُحقّين في ذلك ليُستدلَّ به علىٰ قدرتنا ووحدانيتنا وغير ذلك ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾

سُورَةُ الجَاثِيَةِ

آياتها ٣٧ — ترتيبها ٤٥

٤٠ ـ ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ﴾: يوم القيامة يفصل الله فيه بين العباد ﴿مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ للعذاب الدائم للكفار، والنعيم الدائم للمؤمنين.

٤١ ـ ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى﴾ بقرابة أو صداقة، أي: لا يدفع عنه ﴿شَيْـًٔا﴾ من العذاب ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾: يُمنعون منه، و(يوم) بدل من (يوم الفصل).

٤٢ ـ ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ﴾ وهم المؤمنون، فإنه يشفع بعضهم لبعض بإذن الله ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾: الغالب في انتقامه من الكفار ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بالمؤمنين.

٤٣ ـ ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ﴾ هي من أخبث الشجر المرّ بتهامة، يُنبتها الله تعالىٰ في الجحيم.

٤٤ ـ ﴿طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾أي: ذي الإثم الكبير، فـ (أثيم) صيغة مبالغة لـ (آثم).

٤٥ ـ ﴿كَٱلْمُهْلِ﴾ أي: كدُرْدِيِّ الزيت الأسود، خبر ثان ﴿يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ﴾.

٤٦ ـ ﴿كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ﴾: الماء الشديد الحرارة.

٤٧ ـ ﴿خُذُوهُ﴾ يقال للزبانية، خذوا الأثيم ﴿فَٱعْتِلُوهُ﴾: جرُّوه بغِلْظة وشدة ﴿إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾: وَسَط النار.

٤٨ ـ ﴿ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ﴾ أي: من الحميم الذي لا يفارقه العذاب، فهو أبلغ مما في آية: (يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ).

٤٩ ـ ويقال له: ﴿ذُقْ﴾ أي: العذاب ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ بزعمك.

٥٠ ـ ويقال لهم: ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الذي ترون من العذاب ﴿مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ﴾ فيه، تَشُكُّون.

٥١ ـ ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ﴾: مجلس ﴿أَمِينٍ﴾: يُؤْمَن فيه الخوف.

٥٢ ـ ﴿فِى جَنَّٰتٍ﴾: بساتين ﴿وَعُيُونٍ﴾.

٥٣ ـ ﴿يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ أي: ما رَقّ من الديباج وما غَلُظ منه ﴿مُّتَقَٰبِلِينَ﴾، حال، أي: لا ينظر بعضهم إلىٰ قفا بعض لدوران الأسِرَّة بهم.

٥٤ ـ ﴿كَذَٰلِكَ﴾، يُقدّر قبله: الأمر ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم﴾ من التزويج، أو قرنّاهم ﴿بِحُورٍ عِينٍ﴾: بنساء بيض واسعات الأعين حسانها. ٥٥ ـ ﴿يَدْعُونَ﴾: يطلبون الخدم ﴿فِيهَا﴾ أي: الجنة أن يأتوا ﴿بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ﴾ منها ﴿ءَامِنِينَ﴾ من انقطاعها ومضرتها ومن كل مخوف، حال. ٥٦ ـ ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ أي: التي في الدنيا بعد حياتهم فيها، قال بعضهم: (إلا) بمعنىٰ بعد ﴿وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾. ٥٧ ـ ﴿فَضْلًا﴾، مصدر بمعنىٰ: تَفَضُّلاً، منصوب بـ: تفضَّلَ، مقدراً ﴿مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾. ٥٨ ـ ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ﴾: سهلنا القرآن ﴿بِلِسَانِكَ﴾: بلغتك لتفهمه العرب منك ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: يتعظون، فيؤمنون، لكنهم لا يؤمنون. ٥٩ ـ ﴿فَٱرْتَقِبْ﴾: انتظر هلاكهم ﴿إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ﴾ هلاكَك، وهذا قبل نزول الأمر بجهادهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَىِّ حَدِيثٍ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَٰذَا هُدًى وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾

ثلاثة أرباع الحزب

سُورَةُ الجَاثِيَةِ

مكية إلا (قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟) الآية، وهي ست ـ أو سبع ـ وثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١ ـ ﴿حمٓ﴾ الله أعلم بمراده به.

٢ ـ ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾: القرآن، مبتدأ ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾، خبره ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ في صنعه.

٣ ـ ﴿إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: في خلقهما ﴿لَءَايَٰتٍ﴾ دالةً علىٰ قدرة الله تعالىٰ ووحدانيته تعالىٰ ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾.

٤ ـ ﴿وَفِى خَلْقِكُمْ﴾ أي: في خلق كل منكم من نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، إلىٰ أن صار إنساناً ﴿وَ﴾ خلق ﴿مَا يَبُثُّ﴾: يُفرق في الأرض ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾: هي ما يَدِبُّ علىٰ الأرض من الناس وغيرهم ﴿ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ بالبعث.

٥ ـ ﴿وَ﴾ في ﴿ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾: ذهابهما ومجيئهما ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ﴾: مطر، لأنه سبب الرزق ﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾: تقليبها مرة جنوباً، ومرة شمالاً، وباردة وحارة ﴿ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ الدليلَ فيؤمنون.

٦ ـ ﴿تِلْكَ﴾ الآيات المذكورة ﴿ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾: حُججه الدالة علىٰ وحدانيته ﴿نَتْلُوهَا﴾: نقصُّها ﴿عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ﴾، متعلق بـ (نتلو) ﴿فَبِأَىِّ حَدِيثٍ بَعْدَ ٱللَّهِ﴾ أي: حديثه، وهو القرآن ﴿وَءَايَٰتِهِۦ﴾: حججه ﴿يُؤْمِنُونَ﴾؟ أي: لا يؤمنون.

٧ ـ ﴿وَيْلٌ﴾، كلمة عذاب ﴿لِّكُلِّ أَفَّاكٍ﴾: كذّاب ﴿أَثِيمٍ﴾: كثير الإثم.

٨ ـ ﴿يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: القرآنَ ﴿تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ﴾ علىٰ كفره ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾: متكبراً عن الإيمان ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: مؤلم.

٩ ـ ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا﴾ أي: القرآن ﴿شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا﴾ أي: مهزوءاً بها ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ أي: الأفاكون ﴿لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾: ذو إهانة.

١٠ ـ ﴿مِّن وَرَآئِهِمْ﴾ أي: أمامَهم، لأنهم في الدنيا، هذا وكلمة (الوراء) تطلق أحياناً علىٰ (الأمام) كما تطلق علىٰ الخلف. ﴿جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟﴾ من المال والفعال ﴿شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: الأصنام ﴿أَوْلِيَآءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

١١ ـ ﴿هَٰذَا﴾ أي: القرآن ﴿هُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ﴾ أي: عذاب ﴿أَلِيمٌ﴾: موجع.

١٢ ـ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ﴾: السفن ﴿فِيهِ بِأَمْرِهِۦ﴾: بإذنه ﴿وَلِتَبْتَغُوا۟﴾ تطلبوا بالتجارة ﴿مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾. ١٣ ـ ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ من شمس وقمر ونجوم وماء وغيره ﴿وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ من دابة وشجر ونبات وأنهار وغيرها، أي: خلق ذلك لمنافعكم ﴿جَمِيعًا﴾ ـ تأكيد ـ ﴿مِّنْهُ﴾، حال، أي: سخّرها كائنةً منه تعالىٰ ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيها، فيؤمنون.

قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾

١٤ ـ ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ﴾: يخافون ﴿أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾: وقائعه، أي: اغفروا للكفار ما وقع منهم من الأذىٰ لكم، وهذا قبل الأمر بجهادهم ﴿لِيَجْزِىَ﴾ أي: الله ﴿قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ من الغَفْر للكفار أذاهم.

١٥ ـ ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ﴾ عمل ﴿وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾ أساء ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾: تصيرون، فيجازي المصلح والمسيء.

١٦ ـ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾: التوراة ﴿وَٱلْحُكْمَ﴾ به بين الناس ﴿وَٱلنُّبُوَّةَ﴾ لموسىٰ وهارون منهم ﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾: الحلالات كالمنِّ والسلوىٰ ﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: عالَمي زمانهم العقلاء.

١٧ ـ ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾: أمر الدين من الحلال والحرام وبعثة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟﴾ في بعثته ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ أي: لبغي حدث بينهم حسداً له ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

١٨ ـ ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ﴾ يا محمد ﴿عَلَىٰ شَرِيعَةٍ﴾: طريقة ﴿مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾: أمر الدين ﴿فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ في عبادة غير الله.

١٩ ـ ﴿إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟﴾ يدفعوا ﴿عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ﴾ من عذابه ﴿شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الكافرين ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾: المؤمنين.

٢٠ ـ ﴿هَٰذَا﴾ القرآن ﴿بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ﴾: معالمُ يتبصرون بها في الأحكام والحدود ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ بالبعث.

٢١ ـ ﴿أَمْ﴾، بمعنىٰ همزة الإنكار ﴿حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟﴾: اكتسبوا ﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: الكفرَ والمعاصيَ ﴿أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾؟ المعنىٰ: أحسبوا أن نجعلهم في الآخرة في خير كالمؤمنين؟ أي: في رَغَدٍ من العيش مساوٍ لعيشهم في الدنيا، حيث قالوا للمؤمنين: لئن بُعثنا لَنُعطىٰ من الخير مثل ما تُعطون، قال تعالىٰ علىٰ وفق إنكاره بالهمزة: ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ أي: ليس الأمر كذلك، فهم في الآخرة في العذاب علىٰ خلاف عيشهم في الدنيا، والمؤمنون في الآخرة في الثواب بعملهم الصالحات في الدنيا من الصلاة والزكاة والصيام وغير ذلك، و(ما) مصدرية، أي: بئس حكماً حكمُهم هذا.

٢٢ ـ ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَ﴾ خلق ﴿ٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾، متعلق بـ (خلق) ليدل علىٰ قدرته ووحدانيته ﴿وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ من المعاصي والطاعات، فلا يساوي الكافر المؤمن ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾

٢٣ ـ ﴿أَفَرَءَيْتَ﴾: أخبرني ﴿مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾: ما يهواه من حجر بعد حجر يراه أحسن ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ منه تعالىٰ، أي: عالماً بأنه من أهل الضلال قبل خلقه، ويمكن أن يكون المعنىٰ: وأضله الله علىٰ علم أي: من هذا الضال، الذي هو عالم بالحق، فيكون مثل قوله تعالىٰ: (فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ) ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ﴾ فلم يسمع الهدىٰ ولم يعقله ﴿وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾: ظُلمة، فلم يُبصر الهدىٰ، ويُقدَّر هنا المفعول الثاني لـ (رأيت)، أيهتدي؟ ﴿فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ﴾ أي: بعد إضلاله إياه، أي: لا يهتدي ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾: تتعظون.

٢٤ ـ ﴿وَقَالُوا۟﴾ أي: منكرو البعث: ﴿مَا هِىَ﴾ أي: الحياة ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا﴾ التي في ﴿ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ أي: يموت بعضٌ ويحيا بعض بأن يولدوا ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ أي: مرورُ الزمان، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ﴾ المقول ﴿مِنْ عِلْمٍ إِنْ﴾: ما ﴿هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾.

٢٥ ـ ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا﴾ من القرآن الدالة علىٰ قدرتنا علىٰ البعث ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾: واضحات، حال ﴿مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ﴾ أحياءً ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أنَّا نُبعث.

٢٦ ـ ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ﴾ حين كنتم نُطفاً ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ﴾ أحياءً ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ﴾: شك ﴿فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ وهم القائلون ما ذكر ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾.

٢٧ ـ ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾، يبدل منه: ﴿يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾: الكافرون، أي: يظهر خسرانهم بأن يصيروا إلىٰ النار.

٢٨ ـ ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ﴾ أي: أهل دين ﴿جَاثِيَةً﴾ علىٰ الرُّكب أو مجتمعة ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾: كتاب أعمالها، ويقال لهم: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: جزاءه.

٢٩ ـ ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا﴾: ديوان الحفظة ﴿يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ﴾: نُثبت ونحفظ ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

٣٠ ـ ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾: جنته ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ﴾: البيِّن الظاهر.

٣١ ـ ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ فيقال لهم: ﴿أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى﴾: القرآن ﴿تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾: تكبرتم ﴿وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾: كافرين.

٣٢ ـ ﴿وَإِذَا قِيلَ﴾ لكم أيها الكفار: ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بالبعث ﴿حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ﴾: شك ﴿فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن﴾: ما ﴿نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾ قال المبرد: أصله: إن نحن إلا نظنُّ ظناً ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ أنها آتية.

وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾

سُورَةُ الأَحْقَافِ (ترتيبها ٤٦ — آياتها ٣٥)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾

٣٣ ـ ﴿وَبَدَا﴾: ظهر ﴿لَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾ في الدنيا، أي: جزاؤها ﴿وَحَاقَ﴾: نزل ﴿بِهِم مَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أي: العذاب.

٣٤ ـ ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ﴾: نترككم في النار ﴿كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ أي: تركتم العمل للقائه ﴿وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾: مانعين منها.

٣٥ ـ ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ﴾: القرآن ﴿هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ حتىٰ قلتم: لا بعث ولا حساب ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا﴾: من النار ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ أي: لا يُطلب منهم أن يُرضوا ربهم بالتوبة والطاعة لأنها لا تنفع يومئذٍ.

٣٦ ـ ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ﴾: الوصف بالجميل علىٰ وفاء وعده في المكذبين ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ خالق ما ذكر، والعالَم: ما سوىٰ الله، وجُمع لاختلاف أنواعه، و(ربِّ) بدل.

٣٧ ـ ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ﴾: العظمة ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، حال، أي: كائنة فيهما ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ تقدم.

سُورَةُ الأَحْقَافِ

مكية إلا (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ) **الآية، وإلا** (فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ) **الآية، وإلا** (وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ) **الثلاث آيات، وهي أربع ـ أو خمس ـ وثلاثون آية**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١ ـ ﴿حمٓ﴾ الله أعلم بمراده به.

٢ ـ ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ﴾: القرآن، مبتدأ ﴿مِنَ اللَّهِ﴾، خبره ﴿الْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمِ﴾ في صنعه.

٣ ـ ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا﴾ خلقاً ﴿بِالْحَقِّ﴾ ليدلَّ علىٰ قدرتنا ووحدانيتنا ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلىٰ فنائهما يوم القيامة ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا﴾: خُوِّفوا به من العذاب ﴿مُعْرِضُونَ﴾.

٤ ـ ﴿قُلْ أَرَأَيْتُم﴾: أخبروني ﴿مَّا تَدْعُونَ﴾: تعبدون ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي: الأصنام، مفعول أول ﴿أَرُونِي﴾: أخبروني، تأكيد ﴿مَاذَا خَلَقُوا﴾، مفعول ثان ﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾، بيان (ما) ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾: مشاركة ﴿فِي﴾ خلق ﴿السَّمَاوَاتِ﴾ مع الله؟ و(أم) بمعنىٰ همزة الإنكار ﴿ائْتُونِي بِكِتَابٍ﴾ مُنزل ﴿مِّن قَبْلِ هَٰذَا﴾ القرآن ﴿أَوْ أَثَارَةٍ﴾: بقية ﴿مِّنْ عِلْمٍ﴾ يؤثر عن الأولين بصحة دعواكم في عبادة الأصنام أنها تقربكم إلىٰ الله ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ في دعواكم.

٥ ـ ﴿وَمَنْ﴾ استفهام بمعنىٰ النفي، أي: لا أحد ﴿أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو﴾: يعبدُ ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ وهم الأصنام، لا يجيبون عابديهم إلىٰ شيء يسألونه أبداً ﴿وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ﴾: عبادتهم ﴿غَافِلُونَ﴾ لأنهم جماد لا يعقلون.

وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

٦ ـ ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا﴾ أي: الأصنام ﴿لَهُمْ﴾: لعابديهم ﴿أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ﴾: بعبادة عابديهم ﴿كَافِرِينَ﴾: جاحدين.

٧ ـ ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾: القرآن ﴿بَيِّنَاتٍ﴾: ظاهرات، حال ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ منهم ﴿لِلْحَقِّ﴾ أي: القرآن ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾: بيِّنٌ ظاهر.

٨ ـ ﴿أَمْ﴾، بمعنىٰ بل وهمزة الإنكار ﴿يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ أي: القرآن ﴿قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ﴾ فرضاً ﴿فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ﴾: من عذابه ﴿شَيْئًا﴾ أي: لا تقدرون علىٰ دفعه عني إذا عذَّبني الله ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ﴾: تقولون في القرآن ﴿كَفَىٰ بِهِ﴾ تعالىٰ ﴿شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ﴾ لمن تاب ﴿الرَّحِيمُ﴾ به، فلم يعاجلكم بالعقوبة.

٩ ـ ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا﴾: بديعاً ﴿مِنَ الرُّسُلِ﴾ أي: أول مرسل، قد سبق قبلي كثير منهم، فكيف تكذبونني؟ ﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ في الدنيا، أأُخرج من بلدي، أم أُقتل كما فُعل بالأنبياء قبلي؟ أو تُرجمون بالحجارة أم يُخسف بكم كالمكذبين قبلكم؟ ﴿إِنْ﴾: ما ﴿أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ أي: القرآن، ولا أبتدع من عندي شيئاً ﴿وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾: بيِّن الإنذار.

١٠ ـ ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾: أخبروني، ماذا حالكم ﴿إِنْ كَانَ﴾ أي: القرآن ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ﴾، جملة حالية ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾: هو عبد الله بن سلام ﴿عَلَىٰ مِثْلِهِ﴾ أي: عليه أنه من عند الله ﴿فَآمَنَ﴾ الشاهد ﴿وَاسْتَكْبَرْتُمْ﴾: تكبرتم عن الإيمان، وجواب الشرط بما عطف عليه: ألستم ظالمين؟ دل عليه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

١١ ـ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: في حقهم: ﴿لَوْ كَانَ﴾ الإيمانُ ﴿خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا﴾ أي: القائلون ﴿بِهِ﴾ أي: بالقرآن ﴿فَسَيَقُولُونَ هَٰذَا﴾ أي: القرآن ﴿إِفْكٌ﴾: كذب ﴿قَدِيمٌ﴾.

١٢ ـ ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ﴾ أي: القرآن ﴿كِتَابُ مُوسَىٰ﴾ أي: التوراة ﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ للمؤمنين به، حالان ﴿وَهَٰذَا﴾ أي: القرآن ﴿كِتَابٌ مُصَدِّقٌ﴾ للكتب قبله ﴿لِسَانًا عَرَبِيًّا﴾، حال من الضمير في (مصدق) ﴿لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ ﴿وَ﴾ هو ﴿بُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾: المؤمنين.

١٣ ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ علىٰ الطاعة ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

١٤ ـ ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا﴾، حال ﴿جَزَاءً﴾، منصوب علىٰ المصدر بفعله المقدر، أي: يُجزون ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَـٰلُهُۥ ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَـٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَـٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَـٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَـٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَـٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾

١٥ ـ ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا﴾ أي: أمرناه أن يُحسن إليهما، فنَصب (إحساناً) على المصدر بفعله المقدر ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ أي: على مشقة ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَـٰلُهُۥ﴾ من الرضاع ﴿ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا﴾ ستة أشهر أقل مدة الحمل، والباقي أكثر مدة الرضاع، وقيل: إن حملت به ستة أو تسعة، أرضعته الباقي ﴿حَتَّىٰٓ﴾، غاية لجملة مقدرة، أي: وعاش حتى ﴿إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾: هو كمال قوته وعقله ورأيه، أقله ثلاث وثلاثون سنة، أو ثلاثون ﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ أي: تمامها وهو أكثر الأشدّ ﴿قَالَ رَبِّ﴾ إلخ، نزل في أبي بكر الصديق ـ لما بلغ أربعين سنة ـ بعد سنتين من مبعث النبي ﷺ، آمن به، ثم آمن أبواه، ثم ابنه عبد الرحمـٰن، وابن عبد الرحمـٰن أبو عتيق ﴿أَوْزِعْنِىٓ﴾: ألهمني ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ﴾ بها ﴿عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ﴾ وهي التوحيد ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾ فأعتق تسعةً من المؤمنين يُعذبون في الله ﴿وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ﴾ فكلهم مؤمنون ﴿إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾.

١٦ ـ ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ﴾ أي: قائلو هذا القول أبو بكر وغيره ﴿ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ﴾، بمعنى حسن ﴿مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَـٰبِ ٱلْجَنَّةِ﴾، حال، أي: كائنين في جملتهم ﴿وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ﴾ في قوله تعالى: (وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٍ).

١٧ ـ ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ﴾، أريد به الجنس: ﴿أُفٍّ لَّكُمَآ﴾: أتضجّر منكما ﴿أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ﴾ من القبر ﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ﴾: الأمم ﴿مِن قَبْلِى﴾ ولم تُخرج من القبور ﴿وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ﴾: يسألانه الغوث برجوعه، ويقولان: إن لم ترجع ﴿وَيْلَكَ﴾ أي: هلاكك، بمعنى: هلكتَ ﴿ءَامِنْ﴾ بالبعث ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَـٰذَآ﴾ أي: القول بالبعث ﴿إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: أكاذيبهم.

١٨ ـ ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ﴾: وجب ﴿عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ بالعذاب ﴿فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَـٰسِرِينَ﴾.

١٩ ـ ﴿وَلِكُلٍّ﴾ من جنس المؤمن والكافر ﴿دَرَجَـٰتٌ﴾ فدرجات المؤمنين في الجنة عالية، ودرجات الكافرين في النار سافلة ﴿مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾ أي: المؤمنون من الطاعات، والكافرون من المعاصي ﴿وَلِيُوَفِّيَهُمْ﴾ أي: الله ﴿أَعْمَـٰلَهُمْ﴾ أي: جزاءها ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ شيئاً يُنقص للمؤمنين ويُزاد للكفار.

٢٠ ـ ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ بأن تُكشف لهم، يقال لهم: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَـٰتِكُمْ﴾ باشتغالكم بلذاتكم ﴿فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم﴾: تمتعتم ﴿بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ أي: الهوان ﴿بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾: تتكبرون ﴿فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ به وتعذبون بها.

۞ وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾

٢١ - ﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ﴾: هو هود عليه السلام ﴿إِذْ﴾ إلخ، بدل اشتمال ﴿أَنذَرَ قَوْمَهُ﴾: خوَّفهم ﴿بِالْأَحْقَافِ﴾: وادٍ باليمن به منازلهم ﴿وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ﴾: مضت الرسل ﴿مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ أي: من قبل هود ومن بعده إلىٰ أقوامهم ﴿أَ﴾نْ، أي: بأن قال: ﴿لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾، وجملة: (وَقَدْ خَلَتِ) معترضة ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ إن عبدتم غيرَ الله ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

٢٢ - ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا﴾: لتصرفنا عن عبادتها ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ من العذاب علىٰ عبادتها ﴿إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في أنه يأتينا.

٢٣ - ﴿قَالَ﴾ هود: ﴿إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ﴾ هو الذي يعلم متىٰ يأتيكم العذاب ﴿وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ﴾ إليكم ﴿وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ باستعجالكم العذاب.

٢٤ - ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ أي: العذاب ﴿عَارِضًا﴾: سحاباً عرض في أفق السماء ﴿مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ أي: ممطرٌ إيانا، قال تعالىٰ: ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ﴾ من العذاب ﴿رِيحٌ﴾، بدل من (ما) ﴿فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مؤلم.

٢٥ - ﴿تُدَمِّرُ﴾: تُهلك ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ مرت عليه ﴿بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾: بإرادته، أي: كل شي أراد إهلاكه بها، فأهلكَتْ رجالَهم ونساءَهم وصغارهم وأموالهم، بأن طارت بذلك بين السماء والأرض ومزَّقته، وبقي هود ومن آمن معه ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ﴾ كما جزيناهم ﴿نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ غيرهم.

٢٦ - ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا﴾: في الذي ﴿إِن﴾، نافية، أو زائدة ﴿مَّكَّنَّاكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿فِيهِ﴾ من القوة والمال ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا﴾ بمعنىٰ: أسماعاً ﴿وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً﴾: قلوباً ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ﴾ أي: شيئاً من الإغناء، و(من) زائدة ﴿إِذْ﴾، معمولة لـ (أغنىٰ) وأُشربت معنىٰ التعليل ﴿كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾: بحججه البينة ﴿وَحَاقَ﴾: نزل ﴿بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾: أي: العذاب.

٢٧ - ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ الْقُرَىٰ﴾ أي: من أهلها، كثمود وعاد وقوم لوط ﴿وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ﴾: كررنا الحجج البينات ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

٢٨ - ﴿فَلَوْلَا﴾: هلَّا ﴿نَصَرَهُمُ﴾ بدفع العذاب عنهم ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿قُرْبَانًا﴾: متقرباً بهم إلىٰ الله ﴿آلِهَةً﴾ معه، وهم الأصنام، ومفعول (اتخذ) الأول ضمير محذوف يعود علىٰ الموصول، أي: هم، و(قرباناً): الثاني، (وآلهة) بدل منه ﴿بَلْ ضَلُّوا﴾: غابوا ﴿عَنْهُمْ﴾ عند نزول العذاب ﴿وَذَٰلِكَ﴾ أي: اتخاذهم الأصنام آلهة قرباناً ﴿إِفْكُهُمْ﴾: كذبهم ﴿وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾: يكذبون، و(ما) مصدرية، أو موصولة، والعائد محذوف، أي: فيه.

وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَٰقَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَٰغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾

سُورَةُ مُحَمَّدٍ

ترتيبها ٤٧ — آياتها ٣٨

٢٩ ـ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ صَرَفْنَآ﴾: أملنا ﴿إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ وكان ﷺ ببطن نخلة يصلي بأصحابه الفجر. رواه البخاري (٧٧٣) ومسلم (٤٤٩). ﴿يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟﴾ أي: قال بعضهم لبعض: ﴿أَنصِتُوا۟﴾: أصغوا لاستماعه ﴿فَلَمَّا قُضِىَ﴾: فُرغ من قراءته ﴿وَلَّوْا۟﴾: رجعوا ﴿إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾: مُخوّفين قومَهم العذاب إن لم يؤمنوا، وكانوا يهوداً وقد أسلموا.

٣٠ ـ ﴿قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا﴾: هو القرآن ﴿أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: تقدمه، كالتوراة ﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾: الإسلام ﴿وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ أي: طريقه.

٣١ ـ ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ﴾: محمداً ﷺ إلى الإيمان ﴿وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ﴾ الله ﴿لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ أي: بعضها، لأن منها المظالم ولا تُغفر ألا برضى أصحابها ﴿وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: مؤلم.

٣٢ ـ ﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: لا يعجز الله بالهرب منه فيفوته ﴿وَلَيْسَ لَهُۥ﴾: لمن لا يُجبْ ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي: الله ﴿أَوْلِيَآءُ﴾: أنصار يدفعون عنه العذاب ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ الذين لم يُجيبوا ﴿فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾: بيِّن ظاهر.

٣٣ ـ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾: يعلموا، أي: منكرو البعث ﴿أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ﴾: لم يعجز عنه ﴿بِقَٰدِرٍ﴾، خبر (أن) وزيدت الباء فيه لأن الكلام في قوة: أليس الله بقادر ﴿عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ بَلَىٰٓ﴾ هو قادر على إحياء الموتى ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

٣٤ ـ ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ بأن يعذبوا بها، يقال لهم: ﴿أَلَيْسَ هَٰذَا﴾ التعذيب ﴿بِٱلْحَقِّ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

٣٥ ـ ﴿فَٱصْبِرْ﴾ على أذى قومك ﴿كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ﴾: ذوو الثبات والصبر على الشدائد ﴿مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ قبلك، فتكون ذا عزم، و(من) للبيان، فكلهم ذوو عزم، وقيل: للتبعيض، فليس منهم آدم، لقوله تعالى: (وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا)، ولا يونس لقوله تعالى: (وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ) ﴿وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾: لقومك نزولَ العذاب بهم، قيل: كأنه ضجر منهم، فأحب نزولَ العذاب بهم، فأُمر بالصبر وترك الاستعجال للعذاب، فإنه نازل بهم لا محالة ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ﴾ من العذاب في الآخرة لطوله ﴿لَمْ يَلْبَثُوٓا۟﴾ في الدنيا في ظنهم ﴿إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ﴾. هذا القرآن ﴿بَلَٰغٌ﴾: تبليغ من الله إليكم ﴿فَهَلْ﴾ أي: لا ﴿يُهْلَكُ﴾ عند رؤية العذاب ﴿إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ أي: الكافرون.

بسم الله الرحمن الرحيم

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾ ۞ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ﴿١٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾

نصف الحزب ٥١

سورة القتال

مدنية إلا (وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ) الآية،

وهي ثمان ـ أو تسع ـ وثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ﴾ غيرهم ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: الإيمان ﴿أَضَلَّ﴾: أحبط ﴿أَعْمَٰلَهُمْ﴾ كإطعام الطعام، وصلة الأرحام، فلا يرون لها في الآخرة ثواباً، ويُجزون بها في الدنيا من فضله تعالىٰ.

٢ ـ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ﴾ أي: القرآن ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ﴾: غفر لهم ﴿سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ أي: حالهم، فلا يعصُونه.

٣ ـ ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: إضلال الأعمال وتكفير السيئات ﴿بِأَنَّ﴾: بسبب أن ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَٰطِلَ﴾: الكفر ﴿وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ﴾: الإيمان والتوحيد ﴿مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل ذلك البيان ﴿يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ﴾: يبيّن أحوالهم، أي: فالكافر يُحبط عمله والمؤمن يُغفر زلله.

٤ ـ ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾، مصدر، بدل من اللفظ بفعله، أي: فاضربوا رقابهم، أي: اقتلوهم، وعبر بـ(ضرب الرقاب) لأن الغالب في القتل أن يكون بضرب الرقبة ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ﴾: أكثرتم فيهم القتل ﴿فَشُدُّواْ﴾ أي: فأمسكوا عنهم وأسروهم وشدوا ﴿ٱلْوَثَاقَ﴾: ما يُوثق به الأسرىٰ ﴿فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ﴾، مصدر، بدل من اللفظ بفعله، أي: تَمُنّون عليهم بإطلاقهم من غير شيء ﴿وَإِمَّا فِدَآءً﴾ أي: تُفادونهم بمال، أو أسرىٰ مسلمين ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ﴾ أي: أهلها ﴿أَوْزَارَهَا﴾: أثقالها من السلاح وغيره، بأن يُسلم الكفار، أو يدخلوا في العهد، وهذه غاية للقتل والأسر ﴿ذَٰلِكَ﴾، خبر مبتدأ مقدر، أي: الأمر فيهم ما ذكر ﴿وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ﴾ بغير قتال ﴿وَلَٰكِن﴾ أمركم به ﴿لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ منهم في القتال، فيصير من قُتل منكم إلىٰ الجنة، ومنهم إلىٰ النار ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ﴾، الآية، نزلت يوم أُحد وقد فشا في المسلمين القتل والجراحات ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ﴾: يُحبط ﴿أَعْمَٰلَهُمْ﴾.

٥ ـ ﴿سَيَهْدِيهِمْ﴾ في الدنيا والآخرة إلىٰ ما ينفعهم ﴿وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾: حالهم فيهما وما في الدنيا لمن لم يُقتل، وأدرجوا في (قُتلوا) تغليباً. ٦ ـ ﴿وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا﴾: بيّنها ﴿لَهُمْ﴾ فيهتدون إلىٰ مساكنهم منها وأزواجهم وخدمهم من غير استدلال. ٧ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ﴾ أي: دينه ورسوله ﴿يَنصُرْكُمْ﴾ علىٰ عدوّكم ﴿وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾: يُثبتكم في المعترك. ٨ ـ ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، مبتدأ، خبره: تعسوا، يدل عليه: ﴿فَتَعْسًا لَّهُمْ﴾ أي: هلاكاً وخيبة من الله ﴿وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾، عطف علىٰ تعسوا. ٩ ـ ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: التعس والإضلال ﴿بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ من القرآن المشتمل علىٰ التكاليف ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾. ١٠ ـ ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾: أهلك أنفسهم وأولادهم وأموالهم ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا﴾ أي: أمثال عاقبة مَن قبلهم. ١١ ـ ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: نصر المؤمنين وقهر الكافرين ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى﴾: وليّ وناصرُ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾.

إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ﴿١٢﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةٗ مِّن قَرۡيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَتۡكَ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ فَلَا نَاصِرَ لَهُمۡ ﴿١٣﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم ﴿١٤﴾ مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗىۖ وَلَهُمۡ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡۖ كَمَنۡ هُوَ خَٰلِدٞ فِي ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمٗا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ ﴿١٥﴾ وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنۡ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ﴿١٧﴾ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗۖ فَقَدۡ جَآءَ أَشۡرَاطُهَاۚ فَأَنَّىٰ لَهُمۡ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ ذِكۡرَىٰهُمۡ ﴿١٨﴾ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾

١٢ - ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ﴾ في الدنيا ﴿وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ﴾ أي: ليس لهم هِمَّةٌ إلا بطونهم وفروجهم، ولا يلتفتون إلىٰ الآخرة ﴿وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ﴾ أي: منزل ومقام ومصير.

١٣ - ﴿وَكَأَيِّن﴾: وكم ﴿مِّن قَرۡيَةٍ﴾ أريد بها أهلُها ﴿هِيَ أَشَدُّ قُوَّةٗ مِّن قَرۡيَتِكَ﴾ مكة، أي: أهلها ﴿ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَتۡكَ﴾، روعي لفظ (قرية) ﴿أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ﴾، روعي معنىٰ (قرية) الأولىٰ ﴿فَلَا نَاصِرَ لَهُمۡ﴾ من إهلاكنا.

١٤ - ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ﴾: حجة وبرهان ﴿مِّن رَّبِّهِۦ﴾ وهم المؤمنون ﴿كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ فرآه حسناً ﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم﴾ في عبادة الأوثان، أي: لا مماثلة بينهما.

١٥ - ﴿مَّثَلُ﴾ أي: صفةُ ﴿ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ﴾ المشتركة بين داخليها، مبتدأ، خبره: ﴿فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ﴾ أي: غير متغير، بخلاف ماء الدنيا، فيتغير بعارض ﴿وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ﴾ بخلاف لبن الدنيا لخروجه من الضروع ﴿وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ﴾: لذيذة ﴿لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ بخلاف خمر الدنيا، فإنها كريهة عند الشرب ﴿وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗىۖ﴾ بخلاف عسل الدنيا، فإنه بخروجه من بطون النحل يخالط الشمع وغيره ﴿وَلَهُمۡ فِيهَا﴾ أصناف ﴿مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡۖ﴾ فهو راض عنهم مع إحسانه إليهم بما ذكر، بخلاف سيد العبيد في الدنيا، فإنه قد يكون مع إحسانه إليهم ساخطاً عليهم ﴿كَمَنۡ هُوَ خَٰلِدٞ فِي ٱلنَّارِ﴾، خبر مبتدأ مقدر، أي: أمَّن هو في هذا النعيم، ﴿وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمٗا﴾ أي: شديد الحرارة ﴿فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ﴾ أي: مصارينهم، فخرجت من أدبارهم، وهو جمع مِعًى، بالقصر، وألفه عن ياء لقولهم: معيان.

١٦ - ﴿وَمِنۡهُم﴾ أي: الكفار ﴿مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَ﴾ في خطبة الجمعة، وهم المنافقون ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنۡ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ﴾: لعلماء الصحابة، منهم ابن مسعود، وابن عباس استهزاءً وسخرية: ﴿مَاذَا قَالَ ءَانِفًاۚ﴾؟ أي: الساعة، أي: لا نرجع إليه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ بالكفر ﴿وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾ في النفاق. ١٧ - ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ﴾: وهم المؤمنون ﴿زَادَهُمۡ﴾ الله ﴿هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ﴾: ألهمهم ما يتقون به النار. ١٨ - ﴿فَهَلۡ يَنظُرُونَ﴾: ما ينتظرون ﴿إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم﴾، بدل اشتمال من (الساعة) أي: ليس الأمر إلا أن تأتيهم ﴿بَغۡتَةٗۖ﴾: فجأة ﴿فَقَدۡ جَآءَ أَشۡرَاطُهَاۚ﴾: علاماتها، منها بعثة النبي ﷺ، وانشقاق القمر، والدخان ﴿فَأَنَّىٰ لَهُمۡ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ﴾ الساعة ﴿ذِكۡرَىٰهُمۡ﴾: تَذَكُّرُهم، أي: لا ينفعهم. ١٩ - ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ أي: دُم يا محمد علىٰ علمك بذلك النافع في القيامة ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾: لأجله، قيل له ذلك مع عصمته لِتَسْتَنَّ به أمته وقد فعله، قال النبي ﷺ: «إني لأستغفر الله في كل يوم مئة مرة» رواه مسلم (٢٧٠٢) ﴿وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ﴾ فيه إكرامٌ لهم بأمر نبيهم بالاستغفار لهم ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ﴾: مُتصرَّفكم لأشغالكم بالنهار ﴿وَمَثۡوَىٰكُمۡ﴾: مأواكم إلىٰ مضاجعكم بالليل، أي: هو عالم بجميع أحوالكم لا يخفىٰ عليه شيء منها، فاحذروه، والخطاب للمؤمنين وغيرهم.

وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾

٢٠ ـ ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ طلباً للجهاد: ﴿لَوْلَا﴾: هلّا ﴿نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾ فيها ذكر الجهاد ﴿فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ﴾ أي: لم يُنسخ منها شيء ﴿وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ﴾ أي: طلبه ﴿رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أي: شكٌّ، وهم المنافقون ﴿يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ خوفاً منه وكراهية له، أي: فهم يخافون من القتال ويكرهونه ﴿فَأَوْلَىٰ لَهُمْ﴾، مبتدأ، خبره:

٢١ ـ ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ أي: حَسنٌ لك ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ﴾ أي: فُرض القتال ﴿فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في الإيمان والطاعة ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾، وجملة (لو) جواب (إذا).

٢٢ ـ ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾، وفيه التفات عن الغيبة إلىٰ الخطاب، أي: لعلكم ﴿إِن تَوَلَّيْتُمْ﴾: أعرضتم عن الإيمان ﴿أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ﴾ أي: تعودوا إلىٰ أمر الجاهلية من البغي والقتال.

٢٣ ـ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ أي: المفسدون ﴿ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ﴾ عن استماع الحق ﴿وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ عن طريق الهدىٰ.

٢٤ ـ ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ فيعرفون الحق ﴿أَمْ﴾: بل ﴿عَلَىٰ قُلُوبٍ﴾ لهم ﴿أَقْفَالُهَآ﴾ فلا يفهمونه.

٢٥ ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟﴾ بالنفاق ﴿عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ﴾ أي: زيّن ﴿لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ والمُمْلي الشيطان بإرادته تعالىٰ، فهو المضل لهم.

٢٦ ـ ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: إضلالهم ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ﴾ أي: للمشركين: ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ﴾ أي: المعاونة علىٰ عداوة النبي ﷺ وتثبيط الناس عن الجهاد معه، قالوا ذلك سرّاً فأظهره الله تعالىٰ ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾.

٢٧ ـ ﴿فَكَيْفَ﴾ حالهم ﴿إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ﴾، حال من (الملائكة) ﴿وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾: ظهورهم بمقامعَ من حديد.

٢٨ ـ ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: التوفّي علىٰ الحالة المذكورة ﴿بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ﴾ أي: العمل بما يرضيه ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾.

٢٩ ـ ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ﴾: يُظهر أحقادهم علىٰ النبي ﷺ والمؤمنين.

وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٣٢﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾

٣٠ ـ ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ﴾: عرَّفناكهم، وكررت اللام في: ﴿فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾: علامتهم ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ﴾، الواو لقسم محذوف، وما بعدها جوابه ﴿فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾ أي: معناه إذا تكلموا عندك بأن يُعرضوا بما فيه تهجين أمر المسلمين ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ﴾.

٣١ ـ ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾: نختبرنكم بالجهاد وغيره ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ﴾ علم ظهور ﴿ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ في الجهاد وغيره ﴿وَنَبْلُوَا۟﴾: نظهر ﴿أَخْبَارَكُمْ﴾ من طاعتكم وعصيانكم في الجهاد وغيره.

٣٢ ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: طريق الحق ﴿وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾: خالفوه ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ﴾ هو معنىٰ سبيل الله ﴿لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾: يُبطلُها من صدقة ونحوها، فلا يرون لها في الآخرة ثواباً. نزلت في المُطْعِمين من أصحاب بدر، أو في قريظة والنضير.

٣٣ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ بالمعاصي مثلاً.

٣٤ ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: طريقه، وهو الهدىٰ ﴿ثُمَّ مَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ نزلت في أصحاب القليب.

٣٥ ـ ﴿فَلَا تَهِنُوا۟﴾: تضعُفوا ﴿وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ﴾ أي: الصلح مع الكفار إذا لقيتموهم ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾، حذف منه واو لام الكلمة: الأغلبون القاهرون ﴿وَٱللَّهُ مَعَكُمْ﴾ بالعون والنصر ﴿وَلَن يَتِرَكُمْ﴾: ينقُصكم ﴿أَعْمَٰلَكُمْ﴾ أي: ثوابها.

٣٦ ـ ﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: الاشتغال فيها ﴿لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟﴾ الله، وذلك من أمور الآخرة ﴿يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ﴾ جميعها، بل الزكاة المفروضة فيها.

٣٧ ـ ﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ﴾: يبالغ في طلبها ﴿تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ﴾ البخلُ ﴿أَضْغَٰنَكُمْ﴾ لدين الإسلام.

٣٨ ـ ﴿هَٰٓأَنتُمْ﴾ يا ﴿هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ ما فُرض عليكم ﴿فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ﴾ يقال: بخل عليه وعنه ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ﴾ عن نفقتكم ﴿وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ إليه ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟﴾ عن طاعته ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ أي: يجعلهم بدلكم ﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم﴾ في التولِّي عن طاعته، بل مطيعين له عز وجل.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الفتح (ترتيبها ٤٨) (آياتها ٢٩)

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾

سُورَةُ الفَتْح

مدنية، تسع وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١ - ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾: قضينا بفتح مكة وغيرها في المستقبل عَنوة بجهادك ﴿فَتْحًا مُّبِينًا﴾: بيِّناً ظاهراً.

٢ - ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ﴾ بجهادك ﴿مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ منه، لترغب أمتك في الجهاد، وهو مُؤوَّل، لعصمة الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام بالدليل العقلي القاطع - من الذنوب، واللام للعلة الغائية، فمدخولها مسبَّبٌ لا سبب ﴿وَيُتِمَّ﴾ بالفتح المذكور ﴿نِعْمَتَهُ﴾: إنعامه ﴿عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ﴾ به ﴿صِرَاطًا﴾: طريقاً ﴿مُّسْتَقِيمًا﴾: يُثبّتك عليه، وهو دين الإسلام.

٣ - ﴿وَيَنصُرَكَ اللَّهُ﴾ به ﴿نَصْرًا عَزِيزًا﴾: ذا عِزٍّ لا ذل معه.

٤ - ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ﴾: الطمأنينة ﴿فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ﴾ بشرائع الدين، كلما نزل واحدة منها، آمنوا بها، منها الجهاد. قال العلّامة عبد الرزاق عفيفي: أو المعنىٰ: ليزدادوا قوة في إيمانهم بإنزال الله السكينة والطمأنينة في القلوب، وتتابع الأدلة والحجج الكونية والشرعية عليها، والإكثار من العمل الصالح. ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فلو أراد نصر دينه بغيركم لفعل ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمًا﴾ في صنعه، أي: لم يزل متصفاً بذلك.

٥ - ﴿لِّيُدْخِلَ﴾، متعلق بمحذوف، أي: أمر بالجهاد ﴿الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾.

٦ - ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ﴾ ظنوا أنه لا ينصر محمداً ﷺ والمؤمنين ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ بالذل والعذاب ﴿وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ﴾: أبعدهم ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ أي: مرجعاً.

٧ - ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا﴾ في ملكه ﴿حَكِيمًا﴾ في صنعه، أي: لم يزل متصفاً بذلك.

٨ - ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا﴾ علىٰ أمتك في القيامة ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ لهم في الدنيا بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾: مُنذراً مُخوِّفاً فيها مَن عمل سوءاً بالنار.

٩ - ﴿لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ﴾: تنصروه ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾: تُعظِّموه، وضميرهما لله أو لرسوله ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ أي: الله ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾: بالغداة والعشي.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾

١٠ ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ بيعة الرضوان بالحديبية ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ التي بايعوا بها النبيَّ ﷺ، وفي الآية إثبات اليد حقيقة لله علىٰ ما يليق به سبحانه وتعالى.

﴿فَمَن نَّكَثَ﴾: نقض البيعة ﴿فَإِنَّمَا يَنكُثُ﴾: يرجع وبالُ نقضه ﴿عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

١١ ـ ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ حول المدينة، أي: الذين خلَّفهم الله عن صحبتك، لما طلَبْتهم ليخرجوا معك إلىٰ مكة خوفاً من تعرض قريش لك عام الحديبية إذا رجعت منها: ﴿شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا﴾ عن الخروج معك. ﴿فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا﴾ اللهَ من ترك الخروج معك.

قال تعالىٰ مكذباً لهم: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم﴾ أي: من طلب الاستغفار وما قبله ﴿مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾ فهم كاذبون في اعتذارهم ﴿قُلْ فَمَن﴾، استفهام بمعنىٰ النفي، أي: لا أحد ﴿يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا﴾ أي: لم يزل متصفاً بذلك.

١٢ ـ ﴿بَلْ﴾، في الموضعين للانتقال من غرض إلىٰ آخر ﴿ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ أي: أنهم يُستأصلون بالقتل، فلا يرجعون.

﴿وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾ هذا وغيره ﴿وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا﴾، جمع بائر، أي: هالكين عند الله بهذا الظن.

١٣ ـ ﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا﴾: ناراً شديدة.

١٤ ـ ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ أي: لم يزل متصفاً بما ذكر.

١٥ ـ ﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ﴾ المذكورون ﴿إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ﴾: هي مغانم خيبر ﴿لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا﴾: اتركونا ﴿نَتَّبِعْكُمْ﴾ لنأخذ منها ﴿يُرِيدُونَ﴾ بذلك ﴿أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ أي: مواعيده بغنائم خيبر أهلَ الحديبية خاصة.

﴿قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ أي: قبل عودنا ﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾ أن نُصيب معكم من الغنائم فقلتم ذلك ﴿بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ﴾ من الدين ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾.

قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ ۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾

الحزب ٥٢

١٦ - ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ المذكورين اختباراً: ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى﴾: أصحاب ﴿بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ قيل: هم بنو حنيفة أصحاب اليمامة، وقيل: فارس والروم.

﴿تُقَٰتِلُونَهُمْ﴾، حال مقدرة هي المدعو إليها في المعنىٰ ﴿أَوْ﴾ هم ﴿يُسْلِمُونَ﴾ فلا تقاتلون.

﴿فَإِن تُطِيعُوا۟﴾ إلىٰ قتالهم ﴿يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾: مؤلماً.

١٧ - ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ﴾ في ترك الجهاد.

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

١٨ - ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ﴾ بالحديبية ﴿تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ هي سَمُرَة، وهم ألف وثلاث مئة أو أكثر، ثم بايعهم علىٰ أن يناجزوا قريشاً وأن لا يفروا من الموت.

﴿فَعَلِمَ﴾ الله ﴿مَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ من الصدق والوفاء ﴿فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ هو فتح خيبر بعد انصرافهم من الحديبية.

١٩ - ﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ﴾ من خيبر ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ أي: لم يزل متصفاً بذلك.

٢٠ - ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾ من الفتوحات.

﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ﴾ غنيمة خيبر ﴿وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ﴾ في عيالكم لما خرجتم، وهمت بهم اليهود فقذف الله في قلوبهم الرعب.

﴿وَلِتَكُونَ﴾ أي: المعجّلة، عطف علىٰ مقدر، أي: لتشكروه ﴿ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ في نصرهم ﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ أي: طريق التوكل عليه تفويض الأمر إليه تعالىٰ.

٢١ - ﴿وَأُخْرَىٰ﴾، صفة (مغانم) مقدراً، مبتدأ ﴿لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا﴾ هي من فارس والروم ﴿قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ﴾ علم أنها ستكون لكم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾ أي: لم يزل متصفاً بذلك.

٢٢ - ﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بالحديبية ﴿لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا﴾ يحرسهم ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾.

٢٣ - ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾، مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله من هزيمة الكافرين ونصر المؤمنين، أي: سنّ الله ذلك سنةً ﴿ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ منه.

وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾

٢٤ ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾ بالحديبية ﴿مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ فإن ثمانين منهم طافوا بعسكركم ليُصيبوا منكم فأُخذوا، وأُتي بهم إلىٰ رسول الله ﷺ، فعفا عنهم وخلَّىٰ سبيلهم، فكان ذلك سبب الصلح ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ أي: لم يزل متصفاً بذلك.

٢٥ ـ ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ أي: عن الوصول إليه ﴿وَٱلْهَدْىَ﴾، معطوف علىٰ (كم) ﴿مَعْكُوفًا﴾: محبوساً، حال ﴿أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ﴾ أي: مكانه الذي يُنحر فيه عادة، وهو الحرم، بدل اشتمال ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ﴾: موجودون بمكة مع الكفار ﴿لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾ بصفة الإيمان ﴿أَن تَطَـُٔوهُمْ﴾: أي: تقتلوهم مع الكفار لو أُذن لكم في الفتح، بدل اشتمال من (هم) ﴿فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ﴾ أي: إثم ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ منكم به، وضمائر الغيبة للصنفين بتغليب الذكور، وجواب لولا محذوف، أي: لأذن لكم في الفتح، لكن لم يؤذن فيه حينئذٍ ﴿لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ كالمؤمنين المذكورين ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا۟﴾: تميَّزوا عن الكفار ﴿لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ﴾: من أهل مكة حينئذٍ بأن نأذن لكم في فتحها ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾: مؤلماً.

٢٦ ـ ﴿إِذْ جَعَلَ﴾، متعلق بـ (عذبنا) ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾، فاعل ﴿فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ﴾: الأنفة من الشيء ﴿حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾، بدل من (الحميَّة)، وهي صدُّهم النبيَّ وأصحابَه عن المسجد الحرام ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فصالحوهم علىٰ أن يعودوا من قابل، ولم يلحقهم من الحمية ما لحق الكفار حتىٰ يقاتلوهم ﴿وَأَلْزَمَهُمْ﴾ أي: المؤمنين ﴿كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾: لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله، وأضيفت إلىٰ (التقوىٰ) لأنها سببها ﴿وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا﴾: بالكلمة من الكفار ﴿وَأَهْلَهَا﴾، عطف تفسيري ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ أي: لم يزل متصفاً بذلك، ومن معلومه تعالىٰ أنهم أهلها.

٢٧ ـ ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾ رأىٰ رسول الله ﷺ في النوم عام الحديبية قبل خروجه أنه يدخل مكة هو وأصحابه آمنين، ويحلقون، ويقصرون، فأخبر بذلك أصحابه، ففرحوا، فلما خرجوا معه وصدهم الكفار بالحديبية ورجعوا، وشق عليهم ذلك وراب بعض المنافقين، نزلت. وقوله: (بالحق) متعلق بـ (صدق)، أو حال من (الرؤيا)، وما بعدها تفسيرها ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾، للتبرُّك ﴿ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ﴾ أي: جميع شعورها ﴿وَمُقَصِّرِينَ﴾ بعض شعورها، وهما حالان مقدرتان ﴿لَا تَخَافُونَ﴾ أبداً ﴿فَعَلِمَ﴾ في الصلح ﴿مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟﴾ من الصلاح ﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ﴾ أي: الدخول ﴿فَتْحًا قَرِيبًا﴾: هو فتح خيبر، وتحققت الرؤيا في العام القابل.

٢٨ ـ ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ﴾ أي: دين الحق ﴿عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾: علىٰ جميع باقي الأديان ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ أنك مرسل بما ذكر كما قال الله تعالىٰ.

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾

سورة الحجرات

ترتيبها ٤٩ — آياتها ١٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾

ربع الحزب ٥٢

٢٩ ـ ﴿مُحَمَّدٌ﴾، مبتدأ ﴿رَسُولُ اللَّهِ﴾، خبره ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ أي: أصحابه من المؤمنين، مبتدأ، خبره: ﴿أَشِدَّاءُ﴾: غلاظ ﴿عَلَى الْكُفَّارِ﴾ لا يرحمونهم ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾، خبر ثان، أي: متعاطفون متوادُّون كالوالد مع الولد. دلت الآية علىٰ ما كان عليه سلف الأمة من الولاء للمؤمنين، ووجوب التراحم بينهم، والبراء من الكافرين، وإعلانهم بالعداوة والبغضاء، وذلك خلاف ما عليه المسلمون اليوم. ﴿تَرَاهُمْ﴾: تُبصرهم ﴿رُكَّعًا سُجَّدًا﴾، حالان ﴿يَبْتَغُونَ﴾، مستأنف: يطلبون ﴿فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ﴾: علامتهم، مبتدأ ﴿فِي وُجُوهِهِمْ﴾، خبره، وهو نور وبياض يُعرفون به في الآخرة أنهم سجدوا في الدنيا ﴿مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾، متعلق بما تعلق به الخبر، أي كائنة، وأعرف حالاً من ضميره المنتقل إلىٰ الخبر ﴿ذَلِكَ﴾ أي: الوصف المذكور ﴿مَثَلُهُمْ﴾: صفتهم ﴿فِي التَّوْرَاةِ﴾، مبتدأ وخبره، ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ﴾، مبتدأ، خبره: ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾: فِراخه ﴿فَآزَرَهُ﴾: قوّاه وأعانه ﴿فَاسْتَغْلَظَ﴾: غلظ ﴿فَاسْتَوَى﴾: قوي واستقام ﴿عَلَى سُوقِهِ﴾: أصوله، جمع ساق ﴿يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ﴾ أي: زُرّاعه لحُسنه. مَثَّلَ الصحابة ﷺ بذلك لأنهم بدؤوا في قلة وضعف، فكثروا وقووا علىٰ أحسن الوجوه ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾، متعلق بمحذوف دل عليه ما قبله، أي: شُبِّهوا بذلك ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ﴾ أي: الصحابة، و(من) لبيان الجنس لا للتبعيض لأنهم كلهم بالصفة المذكورة ﴿مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾: الجنة، وهما لمن بعدهم أيضاً في آيات.

سورة الحجرات

مدنية، ثماني عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١ ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا﴾، من قدَّم بمعنىٰ تقدَّم، أي: لا تتقدموا بقول ولا فعل ﴿بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ المُبلِّغ عنه، أي: بغير إذنهما. قال العلامة عبد الرزاق عفيفي: فيه تحذيرٌ للمؤمنين أن يبتدعوا في الدين أو يشرعوا ما لم يأذن به الله، أدباً مع الله ورسوله وإنزالاً لكل منزلته، فمن الله التشريع، وعلىٰ الرسول البلاغ وعلينا الاتباع. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لقولكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بفعلكم، نزلت في مجادلة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما عند النبي ﷺ في تأمير الأقرع بن حابس أو القعقاع بن معبد. ٢ ـ ونزل فيمن رفع صوته عند النبي ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ﴾ إذا نطقتم ﴿فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ إذا نطق ﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ﴾ إذا ناجيتموه ﴿كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ بل دون ذلك إجلالاً له ﴿أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ أي: خشية ذلك، بالرفع والجهر المذكورين. ٣ ـ ونزل فيمن كان يخفض صوته عند النبي ﷺ كأبي بكر وعمر وغيرهما رضي الله عنهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ﴾: اختبر ﴿اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾ أي: لتظهر منهم ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾: الجنة. ٤ ـ ونزل في قوم جاؤوا وقت الظهيرة والنبي ﷺ في منزله فنادوه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ﴾: حُجرات نسائه ﷺ، جمع حُجرة، وهي ما يُحجر عليه من الأرض بحائط ونحوه، وكان كل واحد منهم نادىٰ خلف حجرة، لأنهم لم يعلموه في أيِّ حجرة، مناداةَ الأعراب بغلظة وجفاء ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ فيما فعلوه محلَّك الرفيع وما يناسبه من التعظيم.

وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴿٦﴾ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَـٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَـٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿١١﴾

٥ - ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟﴾ (أنهم) في محل رفع بالابتداء، وقيل: فاعل لفعل مقدر، أي: ثبت ﴿حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لمن تاب منهم.

٦ - ونزل في الوليد بن عقبة وقد بعثه النبي ﷺ إلىٰ بني المصطلق مُصَدِّقاً، فخافهم لِتِرَةٍ كانت بينه وبينهم في الجاهلية، فرجع وقال: إنهم منعوا الصدقة، وهمُّوا بقتله، فهَمَّ النبي ﷺ بغزوهم، فجاؤوا منكرين ما قاله عنهم: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ﴾: خبر ﴿فَتَبَيَّنُوٓا۟﴾ صدقه من كذبه، ﴿أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا﴾، مفعول له، أي: خشية ذلك ﴿بِجَهَـٰلَةٍ﴾، حال من الفاعل، أي: جاهلين ﴿فَتُصْبِحُوا۟﴾: تصيروا ﴿عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ﴾ من الخطأ بالقوم ﴿نَـٰدِمِينَ﴾. وأرسل ﷺ إليهم بعد عودهم إلىٰ بلادهم خالداً، فلم يرَ فيهم إلا الطاعة والخير، فأخبر النبي بذلك.

٧ - ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ فلا تقولوا الباطل، فإن الله يخبره بالحال ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾ أي: لو يطيعكم في جميع ما تختارونه من الأمور منقادين لأهوائكم لأدىٰ ذلك إلىٰ عنتكم وحرجكم كما قال تعالىٰ: (وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ). ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ﴾: حسَّنه ﴿فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ﴾، فيه التفات عن الخطاب ﴿ٱلرَّٰشِدُونَ﴾: الثابتون علىٰ دينهم.

٨ - ﴿فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾، مصدر منصوب بفعله المقدر، أي: أَفْضَلَ، ﴿وَنِعْمَةً﴾ منه ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بهم ﴿حَكِيمٌ﴾ في إنعامه عليهم.

٩ - ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، الآية نزلت في قضية هي أن النبي ﷺ ركبَ حماراً ومرَّ علىٰ ابن أُبيٍّ، فبال الحمار فسدَّ ابن أُبي أنفه، فقال ابن رواحة: والله لَبَولُ حماره أطيب ريحاً من مسكك، فكان بين قوميهما ضرب بالأيدي والنعال والسَّعَف ﴿ٱقْتَتَلُوا۟﴾، جُمع نظراً إلىٰ المعنىٰ لأن كل طائفة جماعة ﴿فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾، ثُنّي نظراً إلىٰ اللفظ ﴿فَإِنۢ بَغَتْ﴾: تعدَّت ﴿إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ﴾: ترجع ﴿إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾: الحق ﴿فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ﴾: بالإنصاف ﴿وَأَقْسِطُوٓا۟﴾: اعدلوا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾.

١٠ - ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ في الدين ﴿فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ إذا تنازعا ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾. ١١ - ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ﴾، الآية نزلت في وفد تميم حين سخروا من فقراء المسلمين كعمار وصهيب، والسخرية: الازدراء والاحتقار ﴿قَوْمٌ﴾ أي: رجال منكم ﴿مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ عند الله ﴿وَلَا نِسَآءٌ﴾ منكم ﴿مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾: لا تعيبوا فتُعابوا، أي: لا يَعِبْ بعضكم بعضاً ﴿وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَـٰبِ﴾ لا يدعو بعضكم بعضاً بلقب يكرهه، ومنه: يا فاسق، يا كافر ﴿بِئْسَ ٱلِٱسْمُ﴾ أي: المذكور من السخرية واللمز والتنابز ﴿ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَـٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ﴾ من ذلك ﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿١٣﴾ ۞ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلۡ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٨﴾

نصف الحزب ٥٢

١٢ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ﴾ أي: مؤثم، وهو كثير، كَظَنّ السوء بأهل الخير من المؤمنين، وهم كثير، بخلافه بالفساق منهم، فلا إثم فيه في نحو ما يظهر منهم ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾، حذف منه إحدىٰ التاءين: لا تَتَّبعوا عورات المسلمين ومعايبَهم بالبحث عنها ﴿وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ﴾: لا يذكره بشيء يكرهه وإن كان فيه ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا﴾، أي: لا يحسن به ﴿فَكَرِهۡتُمُوهُۚ﴾ أي: فاغتيابه في حياته كأكل لحمه بعد مماته، وقد عرض عليكم الثاني فكرهتموه، فاكرهوا الأول ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾ أي: عقابه في الاغتياب بأن تتوبوا منه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ﴾: قابل توبة التائبين ﴿رَّحِيمٞ﴾ بهم.

١٣ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ﴾: آدم وحواء ﴿وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا﴾، جمع شَعب، بفتح الشين، هو أعلىٰ طبقات النسب ﴿وَقَبَآئِلَ﴾ هي دون الشعوب، وبعدها العمائر، ثم البطون، ثم الأفخاذ، ثم الفصائل آخرها. مثاله: خُزيمة شعب، كنانة قبيلة، قريش عِمارة، بكسر العين، قُصي بطن، هاشم فخذ، العباس فصيلة ﴿لِتَعَارَفُوٓاْۚ﴾، حذف منه إحدىٰ التاءين، ليعرف بعضكم بعضاً، لا لتفاخروا بعلوِّ النسب، وإنما الفخر بالتقوىٰ ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بكم ﴿خَبِيرٞ﴾ ببواطنكم.

١٤ ـ ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ﴾ نفر من بني أسد: ﴿ءَامَنَّاۖ﴾: صدقنا بقلوبنا ﴿قُل﴾ لهم: ﴿لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا﴾ أي: انقدنا ظاهراً ﴿وَلَمَّا﴾ أي: لم ﴿يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ﴾ إلىٰ الآن، لكنه يتوقع منكم ﴿وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ بالإيمان وغيره ﴿لَا يَلِتۡكُم﴾: لا ينقُصْكم ﴿مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ﴾ أي: من ثوابها ﴿شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ﴾ للمؤمنين ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم.

١٥ ـ ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ أي: الصادقون في إيمانهم كما صرح به بعد ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ﴾: لم يشكُّوا في الإيمان ﴿وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ فجهادهم يُظهر صدقَ إيمانهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ في إيمانهم، لا من قالوا: آمنا، ولم يوجد منهم غير الإسلام.

١٦ ـ ﴿قُلۡ﴾ لهم: ﴿أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمۡ﴾، مضعّف علم، بمعنىٰ شعر، أي: أتشعرونه بما أنتم عليه في قولكم آمنا؟ ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾.

١٧ ـ ﴿يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ﴾ من غير قتال بخلاف غيرهم ممن أسلم بعد قتاله منهم ﴿قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ﴾، منصوب بنزع الخافض: الباء، ويقدر قبل (أن) في الموضعين ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ في قولكم آمنا.

١٨ ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ أي: ما غاب فيهما ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾: لا يخفىٰ عليه شيء منه.

سورة ق

ترتيبها ٥٠ — آياتها ٤٥

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ١ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ
فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ٢ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ
رَجۡعُۢ بَعِيدٞ ٣ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ
حَفِيظُۢ ٤ بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ
٥ أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا
وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ٦ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ
وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٧ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ
مُّنِيبٖ ٨ وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ
وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ ٩ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ ١٠
رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِۖ وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ ١١ كَذَّبَتۡ
قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَأَصۡحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ١٢ وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ وَإِخۡوَٰنُ
لُوطٖ ١٣ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ وَقَوۡمُ تُبَّعٖۚ كُلّٞ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ
١٤ أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ ١٥

سورة ق

مكية إلا (وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ) الآية، فمدنية، خمس وأربعون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ - ﴿قٓۚ﴾ الله أعلم بمراده به ﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾: الكريم، ما آمن كفار مكة بمحمد ﷺ.

٢ - ﴿بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ﴾: رسول من أنفسهم يخوفهم بالنار بعد البعث ﴿فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا﴾ الإنذار ﴿شَيۡءٌ عَجِيبٌ﴾.

٣ - ﴿أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ﴾ نرجع؟ ﴿ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ﴾: في نهاية البعد.

٤ - ﴿قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ﴾: تأكل ﴿مِنۡهُمۡۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ﴾: هو اللوح المحفوظ فيه جميع الأشياء المقدرة.

٥ - ﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ﴾: بالقرآن ﴿لَمَّا جَآءَهُمۡ فَهُمۡ﴾ في شأن النبي ﷺ والقرآن ﴿فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ﴾: مضطرب، قالوا مرة: ساحر وسحر، ومرة: شاعر وشعر، ومرة: كاهن وكهانة.

٦ - ﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ﴾ بعيونهم معتبرين بعقولهم حين أنكروا البعث ﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ كائنة ﴿فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا﴾ بلا عمد ﴿وَزَيَّنَّٰهَا﴾ بالكواكب ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ﴾: شقوق تعيبها؟

٧ - ﴿وَٱلۡأَرۡضَ﴾، معطوف علىٰ موضع (إلىٰ السماء)، كيف ﴿مَدَدۡنَٰهَا﴾: أي: بسطناها ﴿وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾: جبالاً تثبتها ﴿وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ﴾: صنف ﴿بَهِيجٖ﴾ يُبهج به لحسنه.

٨ - ﴿تَبۡصِرَةٗ﴾، مفعول له، أي: فعلنا ذلك تبصيراً منا ﴿وَذِكۡرَىٰ﴾: تذكيراً ﴿لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ﴾: رجّاع إلىٰ طاعتنا.

٩ - ﴿وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا﴾: كثيرَ البركة ﴿فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ﴾: بساتين ﴿وَحَبَّ﴾ الزرع ﴿ٱلۡحَصِيدِ﴾: المحصود.

١٠ - ﴿وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ﴾: طوالاً، حال مقدرة ﴿لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ﴾: متراكب بعضُه فوق بعض.

١١ - ﴿رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِۖ﴾، مفعول له ﴿وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ﴾، يستوي فيه المذكر والمؤنث ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل هذا الإحياء ﴿ٱلۡخُرُوجُ﴾ من القبور، فكيف تنكرونه؟ والاستفهام للتقرير، والمعنىٰ: أنهم نظروا وعلموا ما ذكر.

١٢ - ﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ﴾، تأنيث الفعل لمعنىٰ (قوم) ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلرَّسِّ﴾: هي بئر كانوا مقيمين عليها بمواشيهم يعبدون الأصنام، ونبيهم قيل: حنظلة بن صفوان، وقيل غيره ﴿وَثَمُودُ﴾: قوم صالح.

١٣ - ﴿وَعَادٞ﴾: قوم هود ﴿وَفِرۡعَوۡنُ وَإِخۡوَٰنُ لُوطٖ﴾. ١٤ - ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ﴾ أي: الغَيْضة، قوم شعيب ﴿وَقَوۡمُ تُبَّعٖۚ﴾: هو ملك كان باليمن أسلم ودعا قومه إلىٰ الإسلام فكذبوه ﴿كُلّٞ﴾ من المذكورين ﴿كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾ كقريش ﴿فَحَقَّ وَعِيدِ﴾: وجبَ نزول العذاب علىٰ الجميع، فلا يضيق صدرك من كفر قريش بك. ١٥ - ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ﴾ أي: لم نَعْيَ به، فلا نعيا بالإعادة ﴿بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ﴾: شكٍّ ﴿مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ﴾ وهو البعث.

وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٥٢

١٦ - ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ﴾، حال بتقدير نحن ﴿مَا﴾، مصدرية أو موصولة ﴿تُوَسْوِسُ﴾: تُحدث ﴿بِهِۦ﴾، الباء زائدة أو للتعدية، والضمير للإنسان ﴿نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾ بالعلم ﴿مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾، الإضافة للبيان، والوريدان عرقان بصفحتي العنق. ١٧ - ﴿إِذْ﴾، ناصبه: اذكر، مُقدَّراً ﴿يَتَلَقَّى﴾: يأخذ ويُثبت ﴿ٱلْمُتَلَقِّيَانِ﴾: الملَكان الموكلان بالإنسان ما يعمله ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ﴾ منه ﴿قَعِيدٌ﴾ أي: قاعدان، وهو مبتدأ، خبره ما قبله. ١٨ - ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ﴾: حافظ ﴿عَتِيدٌ﴾: حاضر. ١٩ - ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ﴾: غمرتُه وشدته ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ من أمر الآخرة حتىٰ يراه المنكر لها عياناً ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: الموت ﴿مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾: تهرب وتفزع. ٢٠ - ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ﴾ للبعث ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: يوم النفخ ﴿يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ﴾ للكفار بالعذاب. ٢١ - ﴿وَجَآءَتْ﴾ فيه ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ إلىٰ المحشر ﴿مَّعَهَا سَآئِقٌ﴾: مَلَك يسوقها إليه ﴿وَشَهِيدٌ﴾: يشهد عليها بعملها، وهو الأيدي والأرجل وغيرها. ٢٢ - ويقال للكافر: ﴿لَّقَدْ كُنتَ﴾ في الدنيا ﴿فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ النازل بك اليوم ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ﴾: أزلْنا غفلتَك بما تشاهده اليوم ﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾: حادٌّ تدرك به ما أنكرته في الدنيا. ٢٣ - ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ﴾: الملَك المُوكل به: ﴿هَٰذَا مَا﴾ أي: الذي ﴿لَدَىَّ عَتِيدٌ﴾: حاضر. ٢٤ - فيقال لملكين من خزنة النار، أو للسائق والشهيد ﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ﴾ أو يكون الخطاب لواحد علىٰ تنزيل الفاعل منزلة تثنية الفعل وتكريره أي: ألق ألق أو علىٰ أنّ الألف من (ألقيا) بدل من نون التوكيد الخفيفة (ألقينْ) علىٰ إجراء الوصل مجرىٰ الوقف. وبه قرأ الحسن، فأبدلت النون ألفاً ﴿كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾: معاند للحق. ٢٥ - ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ كالزكاة ﴿مُعْتَدٍ﴾: ظالم ﴿مُّرِيبٍ﴾: شاكٌّ في دينه. ٢٦ - ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾، مبتدأ ضُمن معنىٰ الشرط، خبره: ﴿فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ﴾. ٢٧ - ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ﴾ الشيطان: ﴿رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾: أضللته ﴿وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ فدعوته فاستجاب لي، وقال: هو أطغاني بدعائه لي. ٢٨ - ﴿قَالَ﴾ تعالىٰ: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ﴾ أي: ما ينفع الخصام هنا ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم﴾ في الدنيا ﴿بِٱلْوَعِيدِ﴾: بالعذاب في الآخرة لو لم تؤمنوا ولا بد منه. ٢٩ - ﴿مَا يُبَدَّلُ﴾: يُغيَّر ﴿ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ﴾ في ذلك ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ فأعذبهم بغير جرم، وظلام بمعنىٰ ذي ظلم، لقوله: (لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ). ٣٠ - ﴿يَوْمَ﴾، ناصبه: ظلّام، ﴿نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ﴾؟ استفهام تحقيق لوعده بملئها ﴿وَتَقُولُ﴾ بصورة الاستفهام كالسؤال: ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾؟ أي: لا أسع غير ما امتلأت به، أي: قد امتلأت، ويحتمل أنّ قولها (هَلْ مِن مَّزِيدٍ) لطلب الزيادة، فهو بمعنىٰ الأمر أي: زدني، ويدل عليه ما جاء في الحديث الذي رواه البخاري (٤٨٤٨) ومسلم (٢٨٤٨) والترمذي (٣٢٧٢) عن أنس قال قال ﷺ: «لا تزال جهنم يلقىٰ فيها وتقول: هل من مزيد، حتىٰ يضع رب العرش قدمه فيها، فينزوي بعضها إلىٰ بعض وتقول: قط قط وعزتك وكرمك». ٣١ - ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ﴾: قُرِّبت ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ مكاناً ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ منهم فيرونها. ٣٢ - ويقال لهم: ﴿هَٰذَا﴾ المرئي ﴿مَا تُوعَدُونَ﴾ في الدنيا، ويبدل من (للمتقين) قوله: ﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾: رجّاع إلىٰ طاعة الله ﴿حَفِيظٍ﴾: حافظ لحدوده. ٣٣ - ﴿مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾: خافه ولم يره ﴿وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾: مُقبل علىٰ طاعته. ٣٤ - ويقال للمتقين أيضاً: ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ﴾ أي: سالمين من كل مخوف، أو مع سلام، أي: سَلِّموا وادخُلوا. ﴿ذَٰلِكَ﴾ اليوم الذي حصل فيه الدخول ﴿يَوْمُ ٱلْخُلُودِ﴾: الدوام في الجنة. ٣٥ - ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ زيادة علىٰ ما عملوا وطلبوا.

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾

سُورَةُ الذَّارِيَاتِ — ترتيبها ٥١ — آياتها ٦٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ﴿٣﴾ فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴿٦﴾

٣٦ ـ ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾ أي: أهلكنا قبل كفار قريش قروناً كثيرة من الكفار ﴿هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا﴾ قوة ﴿فَنَقَّبُوا﴾: فتَّشوا ﴿فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾ لهم أو لغيرهم من الموت؟ فلم يجدوا. ٣٧ ـ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَذِكْرَىٰ﴾: لعظةً ﴿لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾: عقل ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ﴾: استمعَ الوعظَ ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾: حاضر بالقلب. ٣٨ ـ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أولها الأحد وآخرها الجمعة ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾: تعب، نزل ردّاً علىٰ اليهود في قولهم: إن الله استراح يوم السبت، وانتفاء التعب عنه لتنزّهه تعالىٰ عن صفات المخلوقين، ولعدم المماسة بينه وبين غيره (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ). ٣٩ ـ ﴿فَاصْبِرْ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ أي: اليهود وغيرهم من التشبيه والتكذيب ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾: صَلِّ حامداً ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ أي: صلاة الصبح ﴿وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ أي: صلاة الظهر والعصر. ٤٠ ـ ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ أي: صل العشاءين ﴿وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴾، بفتح الهمزة جمع دبر، أي: صل النوافل المسنونة عقب الفرائض، وقيل: المراد حقيقة التسبيح في هذه الأوقات ملابساً للحمد.

٤١ ـ ﴿وَاسْتَمِعْ﴾ يا مخاطب مقولي ﴿يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ يقول: أيتها العظام البالية، والأوصال المتقطعة، واللحوم المتمزقة، والشعور المتفرقة، إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء. ٤٢ ـ ﴿يَوْمَ﴾، بدل من (يوم) قبله ﴿يَسْمَعُونَ﴾ أي: الخلق كلهم ﴿الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ﴾ بالبعث، وهي النفخة الثانية من إسرافيل ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: يوم النداء والسماع ﴿يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾ من القبور، وناصب (يوم) ينادي مقدَّراً، أي: يعلمون عاقبة تكذيبهم. ٤٣ ـ ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ﴾. ٤٤ ـ ﴿يَوْمَ﴾، بدل من (يوم) قبله، وما بينهما اعتراض ﴿تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا﴾، جمع سريع، حال من مقدر، أي: فيخرجون مسرعين ﴿ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾، فيه فصل بين الموصوف والصفة بمتعلقها للاختصاص، وهو لا يضر، و(ذلك) إشارة إلىٰ معنىٰ الحشر المخبر به عنه، وهو الإحياء بعد الفناء، والجمعُ للعرض والحساب. ٤٥ ـ ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ أي: كفار قريش ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ تجبرهم علىٰ الإيمان، وهذا قبل الأمر بالجهاد ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ وهم المؤمنون.

سورة الذاريات

مكية ستون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١ ـ ﴿وَالذَّارِيَاتِ﴾: الرياح تذرو التراب وغيره ﴿ذَرْوًا﴾، مصدر، ويقال: تذريه ذرياً، تهبُّ به. ٢ ـ ﴿فَالْحَامِلَاتِ﴾: السحب تحمل الماء ﴿وِقْرًا﴾: ثِقْلاً، مفعول (الحاملات). ٣ ـ ﴿فَالْجَارِيَاتِ﴾: السفن تجري علىٰ وجه الماء ﴿يُسْرًا﴾ بسهولة، مصدر في موضع الحال، أي: ميسَّرة. ٤ ـ ﴿فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا﴾: الملائكة تقسم الأرزاق والأمطار وغيرها بين العباد والبلاد. ٥ ـ ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾، (ما) مصدرية، أي: إن وعدهم بالبعث وغيره ﴿لَصَادِقٌ﴾: لوعد صادق. ٦ ـ ﴿وَإِنَّ الدِّينَ﴾: الجزاء بعد الحساب ﴿لَوَاقِعٌ﴾ لا محالة.

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ
أُفِكَ ﴿٩﴾ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾
يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا
فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ
وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ
﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ
﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ
لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ
وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ
تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾
إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ
أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ
﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ
﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ
﴿٢٩﴾ قَالُوا كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾

٧ ـ ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾، جمع حبيكة، كطريقة وطُرُق، أي: صاحبة الطُّرُق في الخلقة، كالطريق في الرمل. ٨ ـ ﴿إِنَّكُمْ﴾ في شأن النبي ﷺ والقرآن ﴿لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾ قيل: شاعر، ساحر، كاهن، شعر، سحر، كهانة. ٩ ـ ﴿يُؤْفَكُ﴾: يُصرف ﴿عَنْهُ﴾: عن النبي ﷺ والقرآن، أي: عن الإيمان به ﴿مَنْ أُفِكَ﴾: صُرف عن الهداية في علم الله تعالىٰ. ١٠ ـ ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾: لُعن الكذابون أصحابُ القول المختلف. ١١ ـ ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ﴾: جهل يغمرهم ﴿سَاهُونَ﴾: غافلون عن أمر الآخرة. ١٢ ـ ﴿يَسْأَلُونَ﴾ النبي ﷺ استفهام استهزاء: ﴿أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ﴾؟ أي: متىٰ مجيئه؟ ١٣ ـ وجوابهم: يجيء ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ أي: يعذبون فيها. ١٤ ـ ويقال لهم حين التعذيب: ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾: تعذيبكم ﴿هَٰذَا﴾ التعذيب ﴿الَّذِي كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ في الدنيا استهزاء. ١٥ ـ ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ﴾: بساتين ﴿وَعُيُونٍ﴾ تجري فيها. ١٦ ـ ﴿آخِذِينَ﴾، حال من الضمير في خبر (إنَّ) وهو محذوف وتقديره (كائنون) في جنات وعيون حال كونهم آخذين ما آتاهم ربهم ﴿مَا آتَاهُمْ﴾: أعطاهم ﴿رَبُّهُمْ﴾ من الثواب ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ﴾ أي: دخولهم الجنة ﴿مُحْسِنِينَ﴾ في الدنيا. ١٧ ـ ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾: ينامون، و(ما) زائدة، و(يهجعون) خبر (كان)، و(قليلاً) ظرف، أي: ينامون في زمن يسير من الليل، ويصلون أكثره. ١٨ ـ ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ يقولون: اللهم اغفر لنا. ١٩ ـ ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ الذي لا يسأل لتعففه. ٢٠ ـ ﴿وَفِي الْأَرْضِ﴾ من الجبال والبحار والأشجار والثمار والنبات وغيرها ﴿آيَاتٌ﴾: دلالات علىٰ قدرة الله ﷻ ووحدانيته ﴿لِّلْمُوقِنِينَ﴾. ٢١ ـ ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ﴾ آياتٌ أيضاً من مبدأ خلقكم إلىٰ منتهاه، وما في تركيب خلقكم من العجائب ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ ذلك، فتستدلون به علىٰ صانعه وقدرته؟ ٢٢ ـ ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾ أي: المطر المسبب عنه النبات الذي هو رزق ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ من المآب والثواب والعقاب، أي: مكتوب ذلك في السماء. ٢٣ ـ ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ﴾ أي: ما توعدون ﴿لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾، بفتح اللام مركبة مع (ما)، المعنىٰ: مثل نطقكم في حقيقته، أي: معلوميته عندكم ضرورة صدوره عنكم. ٢٤ ـ ﴿هَلْ أَتَاكَ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ وهم ملائكة، منهم جبريل. ٢٥ ـ ﴿إِذْ﴾، ظرف لـ (حديث ضيف) ﴿دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا﴾ أي: هذا اللفظ ﴿قَالَ سَلَامٌ﴾ أي: هذا اللفظ ﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾: لا نعرفهم، قال ذلك في نفسه، وهو خبر مبتدأ مقدر، أي: هؤلاء. ٢٦ ـ ﴿فَرَاغَ﴾: مال ﴿إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾ سراً ﴿فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾، وفي سورة هود: (بعجل حنيذ) أي: مشوي. ٢٧ ـ ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾؟ عرض عليهم الأكل فلم يجيبوا. ٢٨ ـ ﴿فَأَوْجَسَ﴾: أضمر في نفسه ﴿مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ﴾ إنا رسل ربك ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾: ذي علم كثير، وهو إسحاق كما ذكر في هود. ٢٩ ـ ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ﴾: سارة ﴿فِي صَرَّةٍ﴾: صيحة، حال، أي: جاءت صائحة ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾: لطمته ﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾: لم تلد قط، وعمرها تسع وتسعون سنة، وعمر إبراهيم مئة سنة، أو عمره مئة وعشرون سنة، وعمرها تسعون سنة. ٣٠ ـ ﴿قَالُوا كَذَٰلِكِ﴾ أي: مثل قولنا في البشارة ﴿قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ﴾ في صنعه ﴿الْعَلِيمُ﴾ بخلقه.

۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٤٦﴾ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥١﴾

٣١ ـ ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾: شأنكم ﴿أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾.

٣٢ ـ ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُجْرِمِينَ﴾: كافرين، أي: قوم لوط.

٣٣ ـ ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ﴾ مطبوخ بالنار.

٣٤ ـ ﴿مُسَوَّمَةً﴾: معلَّمة، عليها اسم من يُرمىٰ بها ﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾، ظرف لها ﴿لِلْمُسْرِفِينَ﴾ بإتيانهم الذكور مع كفرهم.

٣٥ ـ ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا﴾ أي: قرىٰ قوم لوط ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لإهلاك الكافرين.

٣٦ ـ ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ وهم لوط وابنتاه، وُصفوا بالإيمان والإسلام، أي: هم مصدقون بقلوبهم، عاملون بجوارحهم الطاعات.

٣٧ ـ ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا﴾ بعد إهلاك الكافرين ﴿آيَةً﴾: علامة علىٰ إهلاكهم ﴿لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ فلا يفعلون مثل فعلهم.

٣٨ ـ ﴿وَفِي مُوسَىٰ﴾، معطوف علىٰ (فيها)، المعنىٰ: وجعلنا في قصة موسىٰ آية ﴿إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ ملتبساً ﴿بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾: بحجة واضحة.

٣٩ ـ ﴿فَتَوَلَّىٰ﴾: أعرض عن الإيمان ﴿بِرُكْنِهِ﴾ مع جنوده لأنهم له كالركن ﴿وَقَالَ﴾ لموسىٰ: هو ﴿سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾. ٤٠ ـ ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ﴾: طرحناهم ﴿فِي الْيَمِّ﴾: البحر، فغرقوا ﴿وَهُوَ﴾ أي: فرعون ﴿مُلِيمٌ﴾: آتٍ بما يُلام عليه من تكذيب الرسل ودعوىٰ الربوبية. ٤١ ـ ﴿وَفِي﴾ إهلاك ﴿عَادٍ﴾ آية ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾: هي التي لا خير فيها، لأنها لا تحمل المطر ولا تلقح الشجر، وهي الدَّبور. ٤٢ ـ ﴿مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ﴾: نفس أو مال ﴿أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾: كالبالي المتفتت. ٤٣ ـ ﴿وَفِي﴾ إهلاك ﴿ثَمُودَ﴾ آية ﴿إِذْ قِيلَ لَهُمْ﴾ بعد عقرهم الناقة: ﴿تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ﴾ أي: إلىٰ انقضاء آجالكم كما في آية: (تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ). ٤٤ ـ ﴿فَعَتَوْا﴾: تكبَّروا ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ أي: عن امتثاله ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ بعد مضي الثلاثة أيام، أي: الصيحة المهلكة ﴿وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ أي: بالنهار. ٤٥ ـ ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ﴾ أي: ما قدروا علىٰ النهوض حين نزول العذاب ﴿وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ﴾ علىٰ من أهلكهم. ٤٦ ـ ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾ أي: وأهلكنا قوم نوح ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قبل إهلاك هؤلاء المذكورين ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾. ٤٧ ـ ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾: بقوة ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾: قادرون، يقال: آد الرجلُ يئيد: قوِيَ، وأوسَعَ الرجلُ: صار ذا سعة وقوة. ٤٨ ـ ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا﴾: مهدناها ﴿فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾ نحن. ٤٩ ـ ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾، متعلق بقوله: ﴿خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾: نصفين كالذكر والأنثىٰ، والسماء والأرض، والشمس والقمر، والسهل والجبل، والصيف والشتاء، والحلو والحامض، والنور والظلمة ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، بحذف إحدىٰ التاءين من الأصل، فتعلمون أن خالق الأزواج فرد فتعبدونه. ٥٠ ـ ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ أي: إلىٰ ثوابه من عقابه بأن تطيعوه ولا تعصوه ﴿إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾: بيِّنُ الإنذار. ٥١ ـ ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾، يُقدَّر قبل (ففروا): قل لهم.

كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبًا مِّثۡلَ ذَنُوبِ أَصۡحَٰبِهِمۡ فَلَا يَسۡتَعۡجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيۡلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوۡمِهِمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾

سُورَةُ الطُّورِ

مكية ٥٢ — آياتها ٤٩

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٍ مَّسۡطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ﴿٤﴾ وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ﴿٥﴾ وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوۡمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوۡرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ ٱلۡجِبَالُ سَيۡرًا ﴿١٠﴾ فَوَيۡلٌ يَوۡمَئِذٍ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي خَوۡضٍ يَلۡعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوۡمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾

٥٢ ـ ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ﴾: هو ﴿سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ﴾ أي: مثل تكذيبهم لك بقولهم: إنك ساحر أو مجنون تكذيبُ الأمم قبلهم رسلَهم بقولهم ذلك.

٥٣ ـ ﴿أَتَوَاصَوۡاْ﴾ كلهم ﴿بِهِۦ﴾؟ استفهام بمعنىٰ النفي ﴿بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ طَاغُونَ﴾ جمعهم علىٰ هذا القول طغيانهم.

٥٤ ـ ﴿فَتَوَلَّ﴾: أعرض ﴿عَنۡهُمۡ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ﴾ لأنك بلَّغتهم الرسالة.

٥٥ ـ ﴿وَذَكِّرۡ﴾: عظ بالقرآن ﴿فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ من علم الله تعالىٰ أنه يؤمن.

٥٦ ـ ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ ولا ينافي ذلك عدم عبادة الكافرين لأن الغاية لا يلزم وجودها، كما في قولك: بريت هذا القلم لأكتب به، فإنك قد لا تكتب به.

٥٧ ـ ﴿مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٍ﴾ لي ولأنفسهم وغيرهم ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ﴾ ولا أنفسهم ولا غيرهم.

٥٨ ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ﴾: الشديد.

٥٩ ـ ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ أنفسهم بالكفر ﴿ذَنُوبًا﴾: نصيباً من العذاب ﴿مِّثۡلَ ذَنُوبِ﴾: نصيب ﴿أَصۡحَٰبِهِمۡ﴾ الهالكين قبلهم ﴿فَلَا يَسۡتَعۡجِلُونِ﴾ بالعذاب إن أخرتهم إلىٰ يوم القيامة.

٦٠ ـ ﴿فَوَيۡلٌ﴾: شدةُ عذاب ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن﴾: في ﴿يَوۡمِهِمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ﴾ أي: يوم القيامة.

سُورَةُ الطُّورِ

مكية تسع وأربعون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ ـ ﴿وَٱلطُّورِ﴾ أي: الجبل الذي كلم الله عليه موسىٰ.

٢ ـ ﴿وَكِتَٰبٍ مَّسۡطُورٍ﴾.

٣ ـ ﴿فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ﴾: أي: التوراة أو القرآن. ٤ ـ ﴿وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ﴾ هو في السماء الثالثة، أو السادسة، أو السابعة بحيال الكعبة، يزوره كل يوم سبعون ألف ملك بالطواف والصلاة لا يعودون إليه أبداً. ٥ ـ ﴿وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ﴾ أي: السماء. ٦ ـ ﴿وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ﴾ أي: المملوء. وقيل: المسجور الممتلئ بالنار أي: يوقد يوم القيامة ناراً. ٧ ـ ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ﴾: لنازل بمستحقه. ٨ ـ ﴿مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ﴾ عنه. ٩ ـ ﴿يَوۡمَ﴾، معمول لـ (واقع) ﴿تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوۡرًا﴾: تتحرك وتدور ١٠ ـ ﴿وَتَسِيرُ ٱلۡجِبَالُ سَيۡرًا﴾: تصير هباءً منثوراً، وذلك في يوم القيامة. ١١ ـ ﴿فَوَيۡلٌ﴾: شدة عذاب ﴿يَوۡمَئِذٍ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾ الرسلَ ١٢ ـ ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي خَوۡضٍ﴾: باطل ﴿يَلۡعَبُونَ﴾ أي: يتشاغلون بكفرهم. ١٣ ـ ﴿يَوۡمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾: يُدفعون بعنف، بدل من (يَوۡمَ تَمُورُ). ١٤ ـ ويقال لهم تبكيتاً: ﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾.

أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾

ربع الحزب ٥٣

١٥ ـ ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ﴾ العذابُ الذي ترون كما كنتم تقولون في الوحي: هذا سحر ﴿أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾؟

١٦ ـ ﴿ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا۟﴾ عليها ﴿أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟﴾ صبركم وجزعكم ﴿سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ﴾ لأن صبركم لا ينفعكم ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: جزاءه.

١٧ ـ ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ﴾.

١٨ ـ ﴿فَٰكِهِينَ﴾: متلذذين ﴿بِمَآ﴾، مصدرية ﴿ءَاتَىٰهُمْ﴾: أعطاهم ﴿رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾، عطفاً علىٰ (آتاهم)، أي: بإتيانهم ووقايتهم.

١٩ ـ ويقال لهم: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا﴾، حال، أي: مهنئين ﴿بِمَآ﴾، الباء سببية ﴿كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

٢٠ ـ ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾، حال من الضمير المستكن في قوله تعالىٰ: (في جنات) ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ﴾ بعضها إلىٰ جنب بعض ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم﴾، هذه الجملة (وزوجناهم) جملة خبرية وهي معطوفة علىٰ الجملة الخبرية (إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ . .) وزوجناهم أي: قرنَّاهم ﴿بِحُورٍ عِينٍ﴾: عظام الأعين حسانها.

٢١ ـ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ في الجنة، فيكونون في درجتهم وإن لم يعملوا بعملهم تكرمة للآباء باجتماع الأولاد إليهم، ولتقرَّ أعينَ الآباء بأولادهم عندهم في منازلهم ﴿وَمَآ أَلَتْنَٰهُم﴾، بفتح اللام: نقصناهم ﴿مِّنْ عَمَلِهِم مِّن﴾، زائدة ﴿شَىْءٍ﴾ يزاد في عمل الأولاد ﴿كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ﴾ من عملٍ خير أو شر ﴿رَهِينٌ﴾: مرهون، يُؤاخَذ بالشر ويُجازَىٰ بالخير.

٢٢ ـ ﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم﴾: زدناهم في وقت بعد وقت ﴿بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ وإن لم يصرحوا بطلبه.

٢٣ ـ ﴿يَتَنَٰزَعُونَ﴾: يتعاطون بينهم ﴿فِيهَا﴾ أي: الجنة ﴿كَأْسًا﴾: خمراً ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا﴾ أي: بسبب شربها يقع بينهم ﴿وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ به يلحقهم، بخلاف خمر الدنيا. ٢٤ ـ ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ للخدمة ﴿غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ﴾ وحسناً ولطافة ﴿لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾: مصون في الصدف، لأنه فيها أحسن منه في غيرها. ٢٥ ـ ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾: يسأل بعضهم بعضاً، عما كانوا عليه وما وصلوا إليه، تلذذاً واعترافاً بالنعمة. ٢٦ ـ ﴿قَالُوٓا۟﴾ إيماءً إلىٰ علة الوصول: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا﴾ في الدنيا ﴿مُشْفِقِينَ﴾: خائفين من عذاب الله. ٢٧ ـ ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾ بالمغفرة ﴿وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ أي: النار لدخولها في المسام. ٢٨ ـ وقالوا إيماءً أيضاً: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ﴾ أي: في الدنيا ﴿نَدْعُوهُ﴾ أي: نعبده موحدين ﴿إِنَّهُۥ﴾، بالكسر استئنافاً وإن كان تعليلاً معنًى ﴿هُوَ ٱلْبَرُّ﴾: المحسن الصادق في وعده ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾: العظيم الرحمة. ٢٩ ـ ﴿فَذَكِّرْ﴾: دُم علىٰ تذكير المشركين ولا ترجع عنه لقولهم لك: كاهن، مجنون ﴿فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ﴾ أي: بإنعامه عليك ﴿بِكَاهِنٍ﴾، خبر (ما) ﴿وَلَا مَجْنُونٍ﴾، معطوف عليه. ٣٠ ـ ﴿أَمْ﴾: بل ﴿يَقُولُونَ﴾: هو ﴿شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾: حوادث الدهر فيهلك كغيره من الشعراء. ٣١ ـ ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا۟﴾ هلاكي ﴿فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ﴾ هلاككم، فعذِّبوا بالسيف يومَ بدر، والتربُّص: الانتظار.

أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾

سورة النجم

(مكية ٥٣ — آياتها ٦٢)

٣٢ ـ ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم﴾: عقولهم ﴿بِهَٰذَآ﴾؟ أي: قولهم له: ساحر، كاهن، شاعر، مجنون، أي: لا تأمرهم بذلك ﴿أَمْ﴾: بل ﴿هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ بعنادهم.

٣٣ ـ ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ﴾: اختلق القرآن؟ لم يختلقه ﴿بَل لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ استكباراً.

٣٤ ـ فإن قالوا: اختلقه ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ﴾ مُخْتَلق ﴿مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ﴾ في قولهم.

٣٥ ـ ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ﴾ أي: خالق ﴿أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ أنفسهم؟ ولا يُعقَل مخلوق بغير خالق، ولا معدومٌ يَخلُق، فلا بدَّ لهم من خالق هو الله الواحد، فلِمَ لا يوحدونه ويؤمنون برسوله وكتابه؟

٣٦ ـ ﴿أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾؟ ولا يقدر علىٰ خلقهما إلا الله الخالق، فلِمَ لا يعبدونه؟ ﴿بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ به، وإلا لآمنوا بنبيه.

٣٧ ـ ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ﴾ من النبوة والرزق وغيرهما، فيخصُّوا من شاؤوا بما شاؤوا ﴿أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾: المتسلطون الجبارون وفعله سيطر.

٣٨ ـ ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ﴾: مرقًى إلىٰ السماء ﴿يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ أي: عليه كلامَ الملائكة حتىٰ يمكنهم منازعة النبي بزعمهم إن ادَّعوا ذلك ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم﴾ أي: مدعي الاستماع عليه ﴿بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾: بحجَّة بيِّنة واضحة.

٣٩ ـ ولشبه هذا الزعم بزعمهم أن الملائكة بنات الله قال تعالىٰ: ﴿أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ﴾ أي: بزعمكم ﴿وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ﴾؟ تعالىٰ الله عما زعموه.

٤٠ ـ ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا﴾ علىٰ ما جئتهم به من الدين ﴿فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ﴾: غُرم ذلك ﴿مُّثْقَلُونَ﴾ فلا يُسلِمون؟

٤١ ـ ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ﴾ أي: علمه ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ ذلك، حتىٰ يمكنهم منازعة النبي ﷺ في البعث وأمور الآخرة بزعمهم؟

٤٢ ـ ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾ بك ليهلكوك في دار الندوة؟ ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ﴾: المغلوبون المهلكون، فحفظه الله منهم ثم أهلكهم ببدر. ٤٣ ـ ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ به من الآلهة، والاستفهام بـ (أم) في مواضعها للتقبيح والتوبيخ. ٤٤ ـ ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا﴾: بعضاً ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا﴾ عليهم، كما قالوا: فأسقط علينا كسفاً من السماء، أي: تعذيباً لهم ﴿يَقُولُوا۟﴾: هذا ﴿سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾: متراكم، نُروىٰ به، ولا يؤمنون. ٤٥ ـ ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾: يموتون. ٤٦ ـ ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى﴾، بدل من (يومهم) ﴿عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾: يُمنعون من العذاب في الآخرة. ٤٧ ـ ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ بكفرهم ﴿عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أي: في الدنيا قبل موتهم، فعذبوا بالجوع والقحط سبع سنين، وبالقتل يوم بدر ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن العذاب ينزل بهم. ٤٨ ـ ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ بإمهالهم، ولا يضق صدرك ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾: بمَرْأى منا نراك ونحفظك ﴿وَسَبِّحْ﴾ متلبساً ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي: قل: سبحان الله وبحمده ﴿حِينَ تَقُومُ﴾ من منامك أو من مجلسك. ٤٩ ـ ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ حقيقة أيضاً ﴿وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾، مصدر، أي: عقب غروبها سبِّحه أيضاً، أو صلِّ في الأول العشاءين، وفي الثاني الفجر، وقيل: الصبح.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ① مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ② وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ③ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ④ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ⑤ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ⑥ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ⑦ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ⑧ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ⑨ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ⑩ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ⑪ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ⑫ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ⑬ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ⑭ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ⑮ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ⑯ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ⑰ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ⑱ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ⑲ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ⑳ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ㉑ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ㉒ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ ㉓ أَمْ لِلْإِنسَانِ مَا تَمَنَّىٰ ㉔ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ ㉕ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ㉖

نصف الحزب ٥٣

سُورَةُ النَّجْمِ

مكية، ثنتان وستون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١ - ﴿وَالنَّجْمِ﴾: الثريا ﴿إِذَا هَوَىٰ﴾: غاب. ٢ - ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾: محمد عليه الصلاة والسلام عن طريق الهداية ﴿وَمَا غَوَىٰ﴾: ما لابس الغيّ، وهو جهل من اعتقاد فاسد. ٣ - ﴿وَمَا يَنطِقُ﴾ بما يأتيكم به ﴿عَنِ الْهَوَىٰ﴾: هوىٰ نفسه. ٤ - ﴿إِنْ هُوَ﴾: أي: ما الذي ينطق به من القرآن ﴿إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ إليه. ٥ - ﴿عَلَّمَهُ﴾ إياه ملَكٌ ﴿شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾. ٦ - ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾: قوة وشدة، أو منظر حسن، أي: جبريل ﷺ ﴿فَاسْتَوَىٰ﴾: استقرَّ. ٧ - ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ﴾ علىٰ صورته التي خُلق عليها، فرآه النبي ﷺ وكان بحراء قد سدّ الأفق إلىٰ المغرب، فخرَّ مغشيّاً عليه، وكان قد سأله أن يُريه نفسه علىٰ صورته التي خُلق عليها، فواعده بحراء، فنزل جبريل له في صورة الآدميين. ٨ - ﴿ثُمَّ دَنَا﴾: قَرُب منه ﴿فَتَدَلَّىٰ﴾: زاد في القرب. ٩ - ﴿فَكَانَ﴾ منه ﴿قَابَ﴾: قدر ﴿قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ من ذلك حتىٰ أفاق وسكن روعه. ١٠ - ﴿فَأَوْحَىٰ﴾ تعالىٰ ﴿إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾، ولم يذكر المُوحىٰ تفخيماً لشأنه. ١١ - ﴿مَا كَذَبَ﴾: أنكر ﴿الْفُؤَادُ﴾: فؤادُ النبي ﴿مَا رَأَىٰ﴾ ببصره من صورة جبريل. ١٢ - ﴿أَفَتُمَارُونَهُ﴾: تجادلونه وتغلبونه ﴿عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ خطاب للمشركين المنكرين رؤية النبي ﷺ لجبريل. ١٣ - ﴿وَلَقَدْ رَآهُ﴾ علىٰ صورته ﴿نَزْلَةً﴾: مرة ﴿أُخْرَىٰ﴾. ١٤ - ﴿عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ﴾ لمَّا أُسري به في السماوات، وهي شجرة نَبْق عن يمين العرش لا يتجاوزها أحد من الملائكة وغيرهم. ١٥ - ﴿عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ﴾: تأوي إليها الملائكة وأرواح الشهداء والمتقين. ١٦ - ﴿إِذْ﴾: حين ﴿يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ من طير وغيره، و(إذ) معمولة لـ (رآه). ١٧ - ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ﴾ من النبي ﷺ ﴿وَمَا طَغَىٰ﴾ أي: ما مال بصره عن مرئيه المقصود له ولا جاوزه تلك الليلة. ١٨ - ﴿لَقَدْ رَأَىٰ﴾ فيها ﴿مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾ أي: العظام، أي: بعضها، فرأىٰ من عجائب الملكوت رفرفاً أخضر سدَّ أفق السماء، وجبريل له ست مئة جناح. ١٩ - ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ﴾. ٢٠ - ﴿وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ﴾ لِلَّتيْن قبلها ﴿الْأُخْرَىٰ﴾ وهي أصنام من حجارة كان المشركون يعبدونها، ويزعمون أنها تشفع لهم عند الله، ومفعول أرأيت الأول (اللات) وما عطف عليه، والثاني محذوف، والمعنىٰ: أخبروني ألهذه الأصنام قدرة علىٰ شيء ما فتعبدونها دون الله القادر علىٰ ما تقدم ذكره؟ ٢١ - ولما زعموا أيضاً أن الملائكة بنات الله مع كراهتهم البنات نزل: ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ﴾؟ ٢٢ - ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ﴾: جائرة من: ضازه، يضيزه، إذا ظلمه وجار عليه. ٢٣ - ﴿إِنْ هِيَ﴾ أي: ما المذكورات ﴿إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا﴾ أي: سميتم بها ﴿أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم﴾ أصناماً تعبدونها ﴿مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا﴾ أي: بعبادتها ﴿مِن سُلْطَانٍ﴾: حجة وبرهان ﴿إِن﴾: ما ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ في عبادتها ﴿إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ﴾ مما زين لهم الشيطان من أنها تشفع لهم عند الله تعالىٰ ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ﴾ علىٰ لسان النبي ﷺ بالبرهان القاطع، فلم يرجعوا عما هم عليه. ٢٤ - ﴿أَمْ لِلْإِنسَانِ﴾ أي: لكل إنسان منهم ﴿مَا تَمَنَّىٰ﴾ من أن الأصنام تشفع لهم؟ ليس الأمر كذلك. ٢٥ - ﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ﴾ أي: الدنيا، فلا يقع فيهما إلا ما يريده تعالىٰ. ٢٦ - ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ﴾ أي: وكثير من الملائكة ﴿فِي السَّمَاوَاتِ﴾ وما أكرمهم عند الله ﴿لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ﴾ لهم فيها ﴿لِمَن يَشَاءُ﴾ من عباده ﴿وَيَرْضَىٰ﴾ عنه، لقوله: (وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ) ومعلوم أنها لا توجد منهم إلا بعد الإذن فيها: (مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ).

إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ تَسۡمِيَةَ ٱلۡأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا ﴿٢٨﴾ فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبۡلَغُهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَى ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعۡطَىٰ قَلِيلٗا وَأَكۡدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡغَيۡبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمۡ لَمۡ يُنَبَّأۡ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعۡيَهُۥ سَوۡفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجۡزَىٰهُ ٱلۡجَزَآءَ ٱلۡأَوۡفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحۡيَا ﴿٤٤﴾

٢٧ - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ تَسۡمِيَةَ ٱلۡأُنثَىٰ﴾ حيث قالوا: هم بنات الله.

٢٨ - ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ﴾: بهذا المقول ﴿مِنۡ عِلۡمٍۖ إِن﴾: ما ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ فيه ﴿إِلَّا ٱلظَّنَّۖ﴾ الذي تخيَّلوه ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا﴾ أي: عن العلم فيما المطلوب فيه العلم.

٢٩ - ﴿فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا﴾ أي: القرآن ﴿وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾ وهذا قبل الأمر بالجهاد.

٣٠ - ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: طلب الدنيا ﴿مَبۡلَغُهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِۚ﴾ أي: نهاية علمهم أن آثروا الدنيا علىٰ الآخرة ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱهۡتَدَىٰ﴾ أي: عالم بهما فيجازيهما.

٣١ - ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: هو مالك لذلك، ومنه الضال والمهتدي، يضل من يشاء ويهدي من يشاء ﴿لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ﴾ من الشرك وغيره ﴿وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ﴾ بالتوحيد وغيره من الطاعات ﴿بِٱلۡحُسۡنَى﴾ أي: الجنة.

٣٢ - وبيَّنَ المحسنين بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ﴾: هو صغار الذنوب، كالنظرة والقبلة واللمسة، فهو استثناء منقطع، والمعنىٰ: لكن اللمم يُغفر باجتناب الكبائر ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِۚ﴾ بذلك وبقبول التوبة. ونزل فيمن كان يقول: صلاتنا، صيامنا، حجنا: ﴿هُوَ أَعۡلَمُ﴾ أي: عالم ﴿بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: خلق أباكم آدم من التراب ﴿وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ﴾، جمع جنين ﴿فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ﴾: لا تمدحوها، أي: علىٰ سبيل الإعجاب، أما علىٰ سبيل الاعتراف بالنعمة فحسن ﴿هُوَ أَعۡلَمُ﴾ أي: عالم ﴿بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾.

٣٣ - ﴿أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي تَوَلَّىٰ﴾ يذمّ تعالىٰ من تولّىٰ عن طاعته، وأعرض عن توحيده وعبادته، فما أقبح حاله. ٣٤ - ﴿وَأَعۡطَىٰ قَلِيلٗا وَأَكۡدَىٰٓ﴾ أي: كان قد أعطىٰ قليلاً من المال لهذا الدين، ولكنه لم يستمر علىٰ ذلك، بل بخل ومنع، ولم يثبت علىٰ فعل المعروف لأنه ليس من أهله. وقوله: أكدىٰ، مأخوذ من الكُدْية، وهي أرض صلبة كالصخرة تمنع حافر البئر إذا وصل إليها من الحفر. ٣٥ - ﴿أَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡغَيۡبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾: أي: أعند هذا الذي أكدىٰ وأمسك يده خشية الإنفاق وقطع معروفه، أعنده علم الغيب أنه سينفد ما في يده حتىٰ أمسك عن معروفه، فهو يرىٰ ذلك عياناً؟ أي ليس الأمر كذلك، وإنما أمسك عن فعل المعروف والبر بخلاً وشحاً. وجملة (أعنده) المفعول الثاني لـ(رأيت) بمعنىٰ أخبرني. ٣٦ - ﴿أَمۡ﴾: بل ﴿لَمۡ يُنَبَّأۡ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ﴾: أسفار التوراة أو صحف قبلها. ٣٧ - ﴿وَ﴾ صحف ﴿إِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ﴾: تمّم ما أُمر به، نحو: (وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ). ٣٨ - وبيان (ما): ﴿أَ﴾نْ ﴿لا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ﴾ إلخ، و(أن) مخففة من الثقيلة أي: أنه لا تحمل نفسٌ ذنبَ غيرها. ٣٩ - ﴿وَأَن﴾ أي: أنه ﴿لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ من خير، فليس له من سَعْي غيره الخير شيء. ٤٠ - ﴿وَأَنَّ سَعۡيَهُۥ سَوۡفَ يُرَىٰ﴾ أي: يُبصَر في الآخرة. ٤١ - ﴿ثُمَّ يُجۡزَىٰهُ ٱلۡجَزَآءَ ٱلۡأَوۡفَىٰ﴾: الأكمل، يقال: جزيته سعيه وبسعيه. ٤٢ - ﴿وَأَنَّ﴾، بالفتح ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ﴾: المرجع والمصير بعد الموت فيجازيهم. ٤٣ - ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ﴾ من شاء أفرحه ﴿وَأَبۡكَىٰ﴾ من شاء أحزنه. ٤٤ - ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ﴾ في الدنيا ﴿وَأَحۡيَا﴾ للبعث.

وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾

سجدة

سُورَةُ القَمَرِ

ترتيبها ٥٤ — آياتها ٥٥

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴿٥﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾

٤٥ ـ ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ﴾: الصنفين ﴿ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ﴾ ٤٦ ـ ﴿مِن نُّطْفَةٍ﴾: منيٍّ ﴿إِذَا تُمْنَىٰ﴾: تُصب في الرحم. ٤٧ ـ ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ﴾: الخلقة الأخرىٰ للبعث بعد الخلقة الأولىٰ. ٤٨ ـ ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ﴾ الناس بالكفاية بالأموال ﴿وَأَقْنَىٰ﴾: أعطىٰ المال المتخذ قُنية. ٤٩ ـ ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ﴾: هو كوكب خلف الجوزاء كانت تُعبد في الجاهلية. ٥٠ ـ ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ﴾ هي قوم هود، والأخرىٰ قوم صالح. ٥١ ـ ﴿وَثَمُودَا۟﴾ وهو معطوف علىٰ (عاداً) ﴿فَمَآ أَبْقَىٰ﴾ منهم أحداً. ٥٢ ـ ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ﴾ أي: قبل عاد وثمود أهلكناهم ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ﴾ من عاد وثمود، لطول لبث نوح فيهم: (فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا) وهم مع عدم إيمانهم به يؤذونه ويضربونه. ٥٣ ـ ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ﴾: وهي قرىٰ قوم لوط ﴿أَهْوَىٰ﴾: أسقطها بعد رفعها إلىٰ السماء مقلوبة إلىٰ الأرض بأمره جبريل بذلك. ٥٤ ـ ﴿فَغَشَّىٰهَا﴾ من الحجارة بعد ذلك ﴿مَا غَشَّىٰ﴾، أبهم تهويلاً، وفي هود: (جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ). ٥٥ ـ ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ﴾: أنعمه الدالة علىٰ وحدانيته وقدرته ﴿تَتَمَارَىٰ﴾: تتشكك أيها الإنسان أو تكذب؟ ٥٦ ـ ﴿هَٰذَا﴾ محمد ﴿نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾ من جنسهم، أي: رسول كالرسل قبله، أُرسل إليكم كما أُرسلوا إلىٰ أقوامهم. ٥٧ ـ ﴿أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ﴾: قَرُبت القيامة. ٥٨ ـ ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ نفسٌ ﴿كَاشِفَةٌ﴾ أي: لا يكشفها ويظهرها إلا هو، كقوله: (لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ). ٥٩ ـ ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ أي: القرآن ﴿تَعْجَبُونَ﴾ تكذيباً. ٦٠ ـ ﴿وَتَضْحَكُونَ﴾ استهزاءً ﴿وَلَا تَبْكُونَ﴾ لسماع وعده ووعيده. ٦١ ـ ﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ﴾: لاهون غافلون عما يُطلب منكم. ٦٢ ـ ﴿فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ﴾ الذي خلقكم ﴿وَٱعْبُدُوا۟﴾ ولا تسجدوا للأصنام ولا تعبدوها.

سُورَةُ القَمَرِ

مكية إلا (سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ) الآية وهي خمس وخمسون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ ـ ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾: قربت القيامة ﴿وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾: انفلق فلقتين علىٰ أبي قبيس وقُعَيْقِعَان، آيةً له ﷺ، وقد سُئلها فقال: (اشهدوا) رواه البخاري (٣٨٦٩) ومسلم (٢٨٠٠). ٢ ـ ﴿وَإِن يَرَوْا۟﴾ أي: كفار قريش ﴿ءَايَةً﴾: معجزة له ﷺ ﴿يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟﴾: هذا ﴿سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾: قويّ، من المِرَّة: القوة، أو دائم. ٣ ـ ﴿وَكَذَّبُوا۟﴾ النبيَّ ﷺ ﴿وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ﴾ في الباطل ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ﴾ من الخير والشر ﴿مُّسْتَقِرٌّ﴾ بأهله في الجنة أو النار. ٤ ـ ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ﴾: أخبار إهلاك الأمم المكذِّبة رسلَهم ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ لهم، اسم مصدر، أو اسم مكان. والدال بدل من تاء الافتعال، وازدجرتُه وزجرتُه: نهيته بغِلظة، و(ما) موصولة، أو موصوفة. ٥ ـ ﴿حِكْمَةٌۢ﴾، خبر مبتدأ محذوف، أو بدل من (ما) أو من (مزدجر) ﴿بَٰلِغَةٌ﴾: تامة ﴿فَمَا تُغْنِ﴾: تنفع فيهم ﴿ٱلنُّذُرُ﴾، جمع نذير بمعنىٰ منذر، أي: الأمور المنذرة لهم، و(ما) للنفي أو للاستفهام الإنكاري، وهي علىٰ الثاني مفعول مقدم. ٦ ـ ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾، هو فائدة ما قبله، وتم به الكلام ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾: هو إسرافيل، وناصب (يوم): (يخرجون) الآتي في الآية التي بعد هذه الآية ﴿إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ﴾ أي: منكر، تنكره النفوس لشدته، وهو الحساب.

ثلاثة أرباع الحزب ٥٣

خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾ ۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾

٧ـ ﴿خُشَّعًا﴾ أي: ذليلة ﴿أَبْصَٰرُهُمْ﴾، حال من فاعل ﴿يَخْرُجُونَ﴾ أي: الناس ﴿مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾: القبور ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ لا يدرون أين يذهبون من الخوف والحيْرة، والجملة حال من فاعل (يَخْرُجُونَ)، وكذا قوله: ٨ـ ﴿مُّهْطِعِينَ﴾ أي: مسرعين مادّين أعناقهم ﴿إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ منهم: ﴿هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ أي: صعب علىٰ الكافرين كما في المدثر: (يَوْمٌ عَسِيرٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ). ٩ ـ ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾: قبل قريش ﴿قَوْمُ نُوحٍ﴾، تأنيث الفعل لمعنىٰ (قوم) وهو الأمة ﴿فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا﴾ نوحاً ﴿وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ﴾ أي: انتهروه بالسبِّ وغيره. ١٠ ـ ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى﴾ بالفتح، أي: بأني ﴿مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ﴾. ١١ ـ ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾: مُنصبٍّ انصباباً شديداً. ١٢ ـ ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا﴾ تنبع ﴿فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ﴾: ماء السماء والأرض ﴿عَلَىٰٓ أَمْرٍ﴾: حال ﴿قَدْ قُدِرَ﴾: قُضي به في الأزل، وهو هلاكهم غرقاً. ١٣ ـ ﴿وَحَمَلْنَٰهُ﴾ أي: نوحاً ﴿عَلَىٰ﴾ سفينة ﴿ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ﴾: وهو ما تُشد به الألواح من المسامير وغيرها، واحدها دسار، ككتاب. ١٤ ـ ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾: بمرأىً منا، أي: محفوظة ﴿جَزَآءً﴾، منصوب بفعل مقدر، أي: أغرقوا انتصاراً ﴿لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ وهو نوح ﷺ، أي: أُغرقوا عقاباً لهم. ١٥ ـ ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ﴾: أبقينا هذه الفعلة ﴿ءَايَةً﴾ لمن يعتبر بها، أي: شاع خبرُها واستمر ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾: معتبر ومتعظ بها؟ وأصله: مذتكر، أبدلت التاء دالاً مهملة، وكذا المعجمة، وأدغمت فيها. ١٦ ـ ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾؟ أي: إنذاري، استفهام تقرير، و(كيف) خبر (كان) وهي للسؤال عن الحال، والمعنىٰ: حَمْلُ المخاطبين علىٰ الإقرار بوقوع عذابه تعالىٰ بالمكذبين لنوح موقعه. ١٧ ـ ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾: سهلناه للحفظ وهيأناه للتذكر ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾: متعظ به وحافظ له؟ والاستفهام بمعنىٰ الأمر، أي: احفظوه واتعظوا به، وليس يُحفظ، من كتب الله عن ظهر القلب غيرُه. ١٨ ـ ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ﴾ نبيَّهم هوداً، فعُذِّبوا ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ أي: إنذاري لهم بالعذاب قبل نزوله، أي: وقع موقعه. ١٩ ـ وقد بيَّنه بقوله: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ أي: شديدة الصوت ﴿فِى يَوْمِ نَحْسٍ﴾: شؤم ﴿مُّسْتَمِرٍّ﴾: دائم الشؤم، أو قويِّه، وكان يوم الأربعاء آخر الشهر. ٢٠ ـ ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ﴾: تقلعُهم من حُفر الأرض المندسين فيها وتصرعهم علىٰ رؤوسهم فتدقُّ رقابهم، فتُبين الرأسَ عن الجسد ﴿كَأَنَّهُمْ﴾ وحالهم ما ذكر ﴿أَعْجَازُ﴾: أصول ﴿نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾: منقطع ساقط علىٰ الأرض، وشُبهوا بالنخل لطولهم، وذُكِّر هنا وأُنِّث في الحاقة: (نَخْلٍ خَاوِيَةٍ) مراعاةً للفواصل في الموضعين. ٢١ ـ ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾. ٢٢ ـ ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾. ٢٣ ـ ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ﴾، جمع نذير بمعنىٰ منذر، أي: بالأمور التي أنذرهم بها نبيهم صالح إن لم يؤمنوا به ويتبعوه. ٢٤ ـ ﴿فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا﴾، منصوب علىٰ الاشتغال ﴿مِّنَّا وَٰحِدًا﴾، صفتان لـ (بشراً) ﴿نَّتَّبِعُهُۥٓ﴾، مفسِّر للفعل الناصب له، والاستفهام بمعنىٰ النفي، المعنىٰ: كيف نتبعه ونحن جماعة كثيرة، وهو واحد منَّا وليس بملك، أي: لا نتبعه ﴿إِنَّآ إِذًا﴾ أي: إن اتَّبعناه ﴿لَّفِى ضَلَٰلٍ﴾: ذهاب عن الصواب ﴿وَسُعُرٍ﴾: جنون. ٢٥ ـ ﴿أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ﴾: الوحيُ ﴿عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ أي: لم يوح إليه ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ﴾ في قوله إنه أوحي إليه ما ذكر ﴿أَشِرٌ﴾: متكبر بطر. ٢٦ ـ قال تعالىٰ: ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا﴾ في الآخرة ﴿مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ﴾ وهو هم، بأن يعذبوا علىٰ تكذيبهم نبيَّهم صالحاً. ٢٧ ـ ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ﴾: مخرجوها من الهضبة الصخرة كما سألوا ﴿فِتْنَةً﴾: محنة ﴿لَّهُمْ﴾ لنختبرهم ﴿فَٱرْتَقِبْهُمْ﴾ يا صالح، أي: انتظر ما هم صانعون وما يصنع بهم ﴿وَٱصْطَبِرْ﴾، الطاء بدل من تاء الافتعال، أي: اصبر علىٰ أذاهم.

وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾

٢٨ ـ ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌ﴾: مقسوم ﴿بَيْنَهُمْ﴾ وبين الناقة، فيومٌ لهم، ويوم لها ﴿كُلُّ شِرْبٍ﴾: نصيب من الماء ﴿مُّحْتَضَرٌ﴾: يحضره القومُ يومَهم، والناقةُ يومَها، فتمادَوا علىٰ ذلك ثم ملّوه، فهمُّوا بقتل الناقة. ٢٩ ـ ﴿فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ﴾ قُداراً ليقتلها ﴿فَتَعَاطَىٰ﴾: تناول السيف ﴿فَعَقَرَ﴾ به الناقة، أي: قتلها موافقة لهم. ٣٠ ـ ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ أي: إنذاري لهم بالعذاب قبل نزوله، أي: وقع موقعه، وبيَّنه بقوله: ٣١ ـ ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ﴾: هو الذي يجعل لغنمه حظيرة من يابس الشجر والشوك يحفظهن فيها من الذئاب والسباع، وما سقط من ذلك فداسته هو الهشيم. ٣٢ ـ ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾. ٣٣ ـ ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ﴾ أي: بالأمور المنذرة لهم علىٰ لسانه. ٣٤ ـ ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾: ريحاً ترميهم بالحصباء، وهي صغار الحجارة، الواحد دون ملء الكف، فهلكوا ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ﴾: وهم ابنتاه معه ﴿نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ﴾ من الأسحار، أي: وقت الصبح من يوم غير معين، ولو أريد من يوم معين لمُنع الصرف، لأنه معرفة معدول عن السَّحَر، لأن حقَّه أن يُستعمل في المعرفة بـ (أل). ٣٥ ـ ﴿نِّعْمَةً﴾، مصدر، أي: إنعاماً ﴿مِّنْ عِندِنَا ۚ كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل ذلك الجزاء ﴿نَجْزِى مَن شَكَرَ﴾ أنعمنا وهو مؤمن، أو من آمن بالله ورسوله وأطاعهما. ٣٦ ـ ﴿وَلَقَدْ أَنذَرَهُم﴾: خوَّفهم لوط ﴿بَطْشَتَنَا﴾ أخذتنا إياهم بالعذاب ﴿فَتَمَارَوْا۟﴾: تجادلوا وكذبوا ﴿بِٱلنُّذُرِ﴾: بإنذاره. ٣٧ ـ ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ﴾ أي: أن يخلي بينهم وبين القوم الذين أتوه في صورة الأضياف ليخبثوا بهم، وكانوا ملائكة ﴿فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ﴾: أعميناهم وجعلناها بلا شق كباقي الوجه، بأن صفقها جبريل بجناحه ﴿فَذُوقُوا۟﴾ فقلنا لهم: ذوقوا ﴿عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ أي: إنذاري وتخويفي، أي: ثمرته وفائدته. ٣٨ ـ ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً﴾: وقتَ الصبح من يوم غير معين ﴿عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ﴾: دائم متصل بعذاب الآخرة. ٣٩ ـ ﴿فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾. ٤٠ ـ ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾. ٤١ ـ ﴿وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾: قومَه معه ﴿ٱلنُّذُرُ﴾: الإنذار علىٰ لسان موسىٰ وهارون، فلم يؤمنوا. ٤٢ ـ بل ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا﴾ أي: التسع التي أوتيها موسىٰ ﴿فَأَخَذْنَٰهُمْ﴾ بالعذاب ﴿أَخْذَ عَزِيزٍ﴾: قويّ ﴿مُّقْتَدِرٍ﴾: قادر لا يُعجزه شيء. ٤٣ ـ ﴿أَكُفَّارُكُمْ﴾ يا قريش ﴿خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ﴾ المذكورين من قوم نوح إلىٰ فرعون، فلم يعذبوا ﴿أَمْ لَكُم﴾ يا كفار قريش ﴿بَرَآءَةٌ﴾ من العذاب ﴿فِى ٱلزُّبُرِ﴾ الكتب؟ والاستفهام في الموضعين بمعنىٰ النفي، أي: ليس الأمر كذلك. ٤٤ ـ ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ أي: كفار قريش: ﴿نَحْنُ جَمِيعٌ﴾ أي: جمع ﴿مُّنتَصِرٌ﴾ علىٰ محمد. ٤٥ ـ ولما قال أبو جهل يوم بدر: إنا جمع منتصر نزل: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ فهزموا ببدر ونُصر رسولُ الله ﷺ. ٤٦ ـ ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾ بالعذاب ﴿وَٱلسَّاعَةُ﴾ أي: عذابُها ﴿أَدْهَىٰ﴾: أعظم بليَّة ﴿وَأَمَرُّ﴾: أشدُّ مرارة من عذاب الدنيا. ٤٧ ـ ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ﴾: هلاك بالقتل في الدنيا ﴿وَسُعُرٍ﴾: نار مُسعَّرة ـ بالتشديد ـ أي: مهيجة في الآخرة. ٤٨ ـ ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ أي: في الآخرة، ويقال لهم: ﴿ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ﴾: إصابة جهنم لكم. ٤٩ ـ ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ﴾، منصوب بفعل يفسره: ﴿خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾: بتقدير، حال من (كل) أي: مقدراً.

وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾

سُورَةُ الرَّحْمَٰنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾

٥٠ ـ ﴿وَمَا أَمْرُنَا﴾ لشيء نُريد وجودَه ﴿إِلَّا﴾ أمرةٌ ﴿وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ في السرعة، وهي قول: (كن)، فيوجد: (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ). ٥١ ـ ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ﴾: أشباهكم في الكفر من الأمم الماضية ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾؟ استفهام بمعنىٰ الأمر، أي: اذكروا واتّعظوا. ٥٢ ـ ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ﴾ أي: العباد، مكتوب ﴿فِي الزُّبُرِ﴾: كتب الحفظة. ٥٣ ـ ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾ من الذنب أو العمل ﴿مُّسْتَطَرٌ﴾: مكتوب في اللوح المحفوظ. ٥٤ ـ ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ﴾: بساتين ﴿وَنَهَرٍ﴾، أريد به الجنس، المعنىٰ: أنهم يشربون من أنهارها الماء واللبن والعسل والخمر. ٥٥ ـ ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾: مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم، وأريد به الجنس، المعنىٰ: أنهم في مجالس من الجنات سالمة من اللغو والتأثيم، بخلاف مجالس الدنيا، فقلَّ أن تسلم من ذلك، وأعرب هذا خبراً ثانياً وبدلاً، وهو صادق ببدل البعض وغيره ﴿عِندَ مَلِيكٍ﴾، مثال مبالغة، أي: عزيز الملك واسعه ﴿مُّقْتَدِرٍ﴾: قادر لا يُعجزه شيء، وهو الله تعالىٰ، و(عند) إشارة إلىٰ الرتبة والقربة منه تعالىٰ ومن فضله.

سُورَةُ الرَّحْمَٰنِ

مكية إلا (يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) الآية فمدنية، وهي ست ـ أو ثمان ـ وسبعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١ ـ ﴿الرَّحْمَٰنُ﴾. ٢ ـ ﴿عَلَّمَ﴾ من شاء ﴿الْقُرْآنَ﴾. ٣ ـ ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ﴾ أي: الجنس. ٤ ـ ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾: النطق. ٥ ـ ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ يجريان. ٦ ـ ﴿وَالنَّجْمُ﴾: ما لا ساق له من النبات ﴿وَالشَّجَرُ﴾: ما له ساق ﴿يَسْجُدَانِ﴾: يخضعان لما يُراد منهما. ٧ ـ ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾: أثبت العدل. ٨ ـ ﴿أَلَّا تَطْغَوْا﴾ أي: لأجل أن لا تجوروا ﴿فِي الْمِيزَانِ﴾: ما يوزن به. ٩ ـ ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ﴾: بالعدل ﴿وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾: تنقصوا الموزون. ١٠ ـ ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا﴾: أثبتها ﴿لِلْأَنَامِ﴾: للخلق، الإنس والجن وغيرهم. ١١ ـ ﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ﴾ المعهود ﴿ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾: أوعية طلعها. ١٢ ـ ﴿وَالْحَبُّ﴾ كالحنطة والشعير ﴿ذُو الْعَصْفِ﴾: التبن ﴿وَالرَّيْحَانُ﴾: الرزق أو المشموم. ١٣ ـ ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ﴾: نِعَم ﴿رَبِّكُمَا﴾ أيها الإنس والجن ﴿تُكَذِّبَانِ﴾؟ ذكرت إحدىٰ وثلاثين مرة، والاستفهام فيها للتقرير لِما روىٰ الحاكم عن جابر قال: قرأ علينا رسول الله ﷺ سورة الرحمٰن حتىٰ ختمها، ثم قال: «ما لي أراكم سكوتاً، لَلجنُّ كانوا أحسنَ منكم ردّاً، ما قرأت عليهم هذه الآية من مرة: (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)، إلا قالوا: ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب، فلك الحمد». ١٤ ـ ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ﴾: آدم ﴿مِن صَلْصَالٍ﴾: طين يابس يسمع لَهُ صلصلة، أي: صوت إذا نُقر ﴿كَالْفَخَّارِ﴾: وهو ما طبخ من الطين. ١٥ ـ ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ﴾: أبا الجن، وهو إبليس ﴿مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾: هو لهبها الخالص من الدخان. ١٦ ـ ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾

رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَـٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾

١٧ ـ ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ﴾: مشرق الشتاء ومشرق الصيف ﴿وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾ كذلك.

١٨ ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

١٩ ـ ﴿مَرَجَ﴾: أرسل ﴿ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ العَذْب والمِلْح ﴿يَلْتَقِيَانِ﴾ في رأي العين.

٢٠ ـ ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾: حاجز من قدرته تعالىٰ ﴿لَّا يَبْغِيَانِ﴾، لا يبغي واحد منهما علىٰ الآخر فيختلط به.

٢١ ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

٢٢ ـ ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾: خرز أحمر أو صغار اللؤلؤ.

٢٣ ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

٢٤ ـ ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ﴾: السفنُ ﴿ٱلْمُنشَـَٔاتُ﴾: المُحدَثات ﴿فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ﴾: كالجبال عظماً وارتفاعاً.

٢٥ ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

٢٦ ـ ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا﴾ أي: الأرض من الحيوان ﴿فَانٍ﴾: هالك، وعَبَّرَ بـ (من) تغليباً للعقلاء.

٢٧ ـ ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ﴾: العظمة ﴿وَٱلْإِكْرَامِ﴾ للمؤمنين بأنعمه عليهم.

٢٨ ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

٢٩ ـ ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: بنطق أو حال، ما يحتاجون إليه، من القوة علىٰ العبادة، والرزق والمغفرة، وغير ذلك ﴿كُلَّ يَوْمٍ﴾: وقت ﴿هُوَ فِى شَأْنٍ﴾: أمر يظهره علىٰ وفق ما قدّره في الأزل، من إحياء وإماتة، وإعزاز وإذلال، وإغناء وإعدام، وإجابة داع، وإعطاء سائل، وغير ذلك. ٣٠ ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

٣١ ـ ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾: سنقصد لحسابكم ﴿أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾: الإنس والجن.

٣٢ ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

٣٣ ـ ﴿يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟﴾: تخرجوا ﴿مِنْ أَقْطَارِ﴾: نواحي ﴿ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟﴾، أمر تعجيز ﴿لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَـٰنٍ﴾: بقوة، ولا قوة لكم علىٰ ذلك.

٣٤ ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

٣٥ ـ ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ﴾: هو لهبها الخالص من الدخان أو معه ﴿وَنُحَاسٌ﴾ أي: دخان لا لهب فيه ﴿فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾: تمتنعان من ذلك، بل يسوقكم إلىٰ المحشر.

٣٦ ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

٣٧ ـ ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ﴾: انفرجت أبواباً لنزول الملائكة ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً﴾ أي: مثلها مُحمرة ﴿كَٱلدِّهَانِ﴾: كالأديم الأحمر علىٰ خلاف العهد بها، وجواب إذا: فما أعظم الهول.

٣٨ ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

٣٩ ـ ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ عن ذنبه، ويسألون في وقت آخر: (فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ)، والجان هنا وفيما سيأتي بمعنىٰ الجني، والإنس فيهما بمعنىٰ الإنسي.

٤٠ ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

يُعرفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾

٤١ ـ ٤٢ ـ ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ﴾ أي: سواد الوجوه وزُرقة العيون ﴿فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ۝ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ أي: تضم ناصية كل منهم إلىٰ قدميه من خلف أو قُدَّام، ويُلقىٰ في النار.

٤٣ ـ ويقال لهم: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾.

٤٤ ـ ﴿يَطُوفُونَ﴾: يسعون ﴿بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ﴾: ماء حارٍّ ﴿ءَانٍ﴾: شديد الحرارة، يُسقونه إذا استغاثوا من حرِّ النار، وهو منقوص كـ (قاضٍ).

٤٥ ـ ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

٤٦ ـ ﴿وَلِمَنْ خَافَ﴾ أي: لكل منهم أو لمجموعهم ﴿مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾: قيامه بين يديه للحساب، فترك معصيته ﴿جَنَّتَانِ﴾.

٤٧ ـ ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

٤٨ ـ ﴿ذَوَاتَآ﴾، تثنية ذوات علىٰ الأصل، ولامها ياء ﴿أَفْنَانٍ﴾: أغصان، جمع فنن، كـ (طَلَل).

٤٩ ـ ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. ٥٠ ـ ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾. ٥١ ـ ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. ٥٢ ـ ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ﴾ في الدنيا، أو كل ما يُتفكه به ﴿زَوْجَانِ﴾: نوعان، رطب ويابس، والمرُّ منهما في الدنيا كالحنظل حلو. ٥٣ ـ ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. ٥٤ ـ ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾، حال عامله محذوف، أي: يتنعمون ﴿عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾: ما غلظ من الديباج وخشن، والظهائر من السندس ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ﴾: ثمرهما ﴿دَانٍ﴾: قريب، يناله القائم والقاعد والمضطجع. ٥٥ ـ ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. ٥٦ ـ ﴿فِيهِنَّ﴾ في الجنتين وما اشتملتا عليه من العلالي والقصور ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾: العين، علىٰ أزواجهن المتكئين من الإنس والجن ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ﴾: يفتضَّهن وهن من الحور، أو من نساء الدنيا المنشآت ﴿إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾.

٥٧ ـ ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

٥٨ ـ ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ﴾ صفاءً ﴿وَٱلْمَرْجَانُ﴾ أي: اللؤلؤ بياضاً.

٥٩ ـ ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

٦٠ ـ ﴿هَلْ﴾: ما ﴿جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ﴾ بالطاعة ﴿إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ بالنعيم.

٦١ ـ ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. ٦٢ ـ ﴿وَمِن دُونِهِمَا﴾ أي: الجنتين المذكورتين ﴿جَنَّتَانِ﴾ أيضاً لمن خاف مقام ربه.

٦٣ ـ ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

٦٤ ـ ﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾: سوداوان من شدة خضرتهما.

٦٥ ـ ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

٦٦ ـ ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾: فوارتان بالماء لا ينقطعان.

٦٧ ـ ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾

سُورَةُ الوَاقِعَةِ

ترتيبها ٥٦ — آياتها ٩٦

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾

ربع الحزب ٥٤

٦٨ ـ ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ والنخل والرمان من الفاكهة، فعطفهما على الفاكهة من عطف الخاص على العام.

٦٩ ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

٧٠ ـ ﴿فِيهِنَّ﴾ أي: الجنتين وما فيهما ﴿خَيْرَٰتٌ﴾ أخلاقاً ﴿حِسَانٌ﴾ وجوهاً.

٧١ ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

٧٢ ـ ﴿حُورٌ﴾ شديدات سواد العيون وبياضها ﴿مَّقْصُورَٰتٌ﴾: مستورات ﴿فِى ٱلْخِيَامِ﴾ من درٍّ مجوف، مضافة إلى القصور شبيهة بالخدور.

٧٣ ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

٧٤ ـ ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ﴾: قبل أزواجهن ﴿وَلَا جَآنٌّ﴾.

٧٥ ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

٧٦ ـ ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾ أي: أزواجهن، وإعرابه حال، عامله محذوف تقديره: يتنعمون. ﴿عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾، جمع رفرفة، أي: بُسُط، أو وسائد ﴿وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ﴾، جمع عبقرية، أي: طنافس.

٧٧ ـ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

٧٨ ـ ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾.

سُورَةُ الوَاقِعَةِ

مكية إلا (أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ) الآية و(ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ) الآية،

وهي ست ـ أو سبع أو تسع ـ وتسعون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ ـ ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾: قامت القيامة. ٢ ـ ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾: نفس تكذب، بأن تنفيها كما نفتْها في الدنيا. ٣ ـ ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ أي: هي مظهرة لخفض أقوام بدخولهم النار، ولرفع آخرين بدخولهم الجنة. ٤ ـ ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا﴾: حُرِّكت حركة شديدة. ٥ ـ ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا﴾: فُتِّتت. ٦ ـ ﴿فَكَانَتْ هَبَآءً﴾: غباراً ﴿مُّنۢبَثًّا﴾: منتشراً، و(إذا) الثانية بدل من الأولى. ٧ ـ ﴿وَكُنتُمْ﴾ في القيامة ﴿أَزْوَٰجًا﴾: أصنافاً ﴿ثَلَٰثَةً﴾. ٨ ـ ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾: وهم الذين يُؤتَون كتبهم بأيمانهم، مبتدأ، خبره: ﴿مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ تعظيم لشأنهم بدخولهم الجنة. ٩ ـ ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ أي: الشمال، بأن يُؤتى كلٌّ منهم كتابه بشماله ﴿مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ تحقير لشأنهم بدخول النار. ١٠ ـ ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ﴾ إلى الإيمان وطاعة الله والخير من غير تردد ولا تلعثم ولا توان ﴿ٱلسَّٰبِقُونَ﴾، تأكيد لتعظيم شأنهم. ١١ ـ والخبر: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾. ١٢ ـ ﴿فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾. ١٣ ـ ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾، مبتدأ، أي: جماعة من الأمم الماضية. ١٤ ـ ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْـَٔاخِرِينَ﴾: من أمة محمد ﷺ، وهم السابقون من الأمم الماضية وهذه الأمة. ١٥ ـ والخبر: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾: منسوجة بقضبان الذهب والجواهر. ١٦ ـ ﴿مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ﴾، حالان من الضمير في الخبر.

يَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكۡوَابٖ وَأَبَارِيقَ وَكَأۡسٖ مِّن مَّعِينٖ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنۡهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٖ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحۡمِ طَيۡرٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٞ ﴿٢٢﴾ كَأَمۡثَٰلِ ٱللُّؤۡلُوِ ٱلۡمَكۡنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا تَأۡثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلٗا سَلَٰمٗا سَلَٰمٗا ﴿٢٦﴾ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ ﴿٢٨﴾ وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ ﴿٢٩﴾ وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٖ مَّسۡكُوبٖ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقۡطُوعَةٖ وَلَا مَمۡنُوعَةٖ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٖ مَّرۡفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ ﴿٣٥﴾ فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتۡرَابٗا ﴿٣٧﴾ لِّأَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٤٠﴾ وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٖ وَحَمِيمٖ ﴿٤٢﴾ وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٖ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُتۡرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُواْ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلۡحِنثِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُواْ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَوَّلِينَ وَٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجۡمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٥٠﴾

١٧ ـ ﴿يَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ﴾ للخدمة ﴿وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ﴾ علىٰ شكل الأولاد لا يهرمون.

١٨ ـ ﴿بِأَكۡوَابٖ﴾: أقداح لا عرىٰ لها ﴿وَأَبَارِيقَ﴾ لها عرىٰ وخراطيم ﴿وَكَأۡسٖ﴾: إناء شرب الخمر ﴿مِّن مَّعِينٖ﴾ أي: خمر جارية من منبع لا ينقطع أبداً.

١٩ ـ ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنۡهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾، من: نُزف الشارب، وأنزف، أي: لا يحصل لهم منها صداع، ولا ذهاب عقل، بخلاف خمر الدنيا.

٢٠ ـ ﴿وَفَٰكِهَةٖ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾.

٢١ ـ ﴿وَلَحۡمِ طَيۡرٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ﴾.

٢٢ ـ ﴿وَ﴾ لهم للاستمتاع ﴿حُورٌ﴾: نساء شديدات سواد العيون وبياضها ﴿عِينٞ﴾: ضخام العيون، كسرت عينه بدل ضمها لمجانسة الياء، ومفرده عيناء، كحمراء،

٢٣ ـ ﴿كَأَمۡثَٰلِ ٱللُّؤۡلُوِ ٱلۡمَكۡنُونِ﴾: المصون.

٢٤ ـ ﴿جَزَآءَۢ﴾، مفعول له أو مصدر، والعامل مقدر، أي: جعلنا لهم ما ذكر للجزاء، أو جزيناهم ﴿بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾.

٢٥ ـ ﴿لَا يَسۡمَعُونَ فِيهَا﴾: في الجنة ﴿لَغۡوٗا﴾: فاحشاً من الكلام ﴿وَلَا تَأۡثِيمًا﴾: ما يؤثم.

٢٦ ـ ﴿إِلَّا﴾: لكن ﴿قِيلٗا﴾: قولاً ﴿سَلَٰمٗا سَلَٰمٗا﴾، بدل من (قيلاً) فإنهم يسمعونه.

٢٧ ـ ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ﴾.

٢٨ ـ ﴿فِي سِدۡرٖ﴾: شجر النَّبق ﴿مَّخۡضُودٖ﴾: لا شوك فيه.

٢٩ ـ ﴿وَطَلۡحٖ﴾: شجر الموز ﴿مَّنضُودٖ﴾ بالحمل من أسفله إلىٰ أعلاه.

٣٠ ـ ﴿وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ﴾: دائم.

٣١ ـ ﴿وَمَآءٖ مَّسۡكُوبٖ﴾: جارٍ دائماً. ٣٢ ـ ﴿وَفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ﴾. ٣٣ ـ ﴿لَّا مَقۡطُوعَةٖ﴾ في زمن ﴿وَلَا مَمۡنُوعَةٖ﴾ بثمن. ٣٤ ـ ﴿وَفُرُشٖ مَّرۡفُوعَةٍ﴾ علىٰ سرر. ٣٥ ـ ﴿إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ﴾ أي: الحور العين من غير ولادة. ٣٦ ـ ﴿فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا﴾: عذارىٰ، كلما أتاهن أزواجهن وجدوهنَّ عذارىٰ ولا وجع. ٣٧ ـ ﴿عُرُبًا﴾، جمع عَروب، وهي المتحببة إلىٰ زوجها عشقاً له ﴿أَتۡرَابٗا﴾، جمع تِرْب، أي: مستويات في السن. ٣٨ ـ ﴿لِّأَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ﴾، صلة (أنشأناهن) أو (جعلناهن). ٣٩ ـ وهم: ﴿ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾. ٤٠ ـ ﴿وَثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ﴾. ٤١ ـ ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ﴾. ٤٢ ـ ﴿فِي سَمُومٖ﴾: ريح حارة من النار تنفذ في المسام ﴿وَحَمِيمٖ﴾: ماء شديد الحرارة. ٤٣ ـ ﴿وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ﴾: دخان شديد السواد. ٤٤ ـ ﴿لَّا بَارِدٖ﴾ كغيره من الظلال ﴿وَلَا كَرِيمٍ﴾: حسن المنظر. ٤٥ ـ ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ﴾ في الدنيا ﴿مُتۡرَفِينَ﴾: منعمين لا يتعبون في الطاعة. ٤٦ ـ ﴿وَكَانُواْ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلۡحِنثِ﴾: الذنب ﴿ٱلۡعَظِيمِ﴾ أي: الشرك. ٤٧ ـ ﴿وَكَانُواْ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ﴾؟ ٤٨ ـ ﴿أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ﴾؟ بفتح الواو للعطف والهمزة للاستفهام، وهو في ذلك وفيما قبله للاستبعاد. ٤٩ ـ ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَوَّلِينَ وَٱلۡأٓخِرِينَ﴾. ٥٠ ـ ﴿لَمَجۡمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ﴾: لوقت ﴿يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ﴾ أي: يوم القيامة.

ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَأَكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾

نصف الحزب ٥٤

٥١ ـ ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ﴾.

٥٢ ـ ﴿لَأَكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ﴾، بيان للشجر.

٥٣ ـ ﴿فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا﴾: من الشجر ﴿ٱلْبُطُونَ﴾.

٥٤ ـ ﴿فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ﴾ أي: الزقوم المأكول ﴿مِنَ ٱلْحَمِيمِ﴾.

٥٥ ـ ﴿فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ﴾، بضمّ الشين، مصدر، ﴿ٱلْهِيمِ﴾: الإبل العطاش، جمع هيمان للذكر، وهيمىٰ للأنثىٰ، كعطشان وعطشىٰ.

٥٦ ـ ﴿هَٰذَا نُزُلُهُمْ﴾: ما أُعدَّ لهم ﴿يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾: يوم القيامة.

٥٧ ـ ﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ﴾: أوجدناكم من عدم ﴿فَلَوْلَا﴾: هلّا ﴿تُصَدِّقُونَ﴾ بالبعث، إذ القادر علىٰ الإنشاء قادر علىٰ الإعادة.

٥٨ ـ ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ﴾: تريقون المنيَّ في أرحام النساء.

٥٩ ـ ﴿ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ﴾ أي: المني بشراً ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾؟

٦٠ ـ ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾: بعاجزين.

٦١ ـ ﴿عَلَىٰٓ﴾: عن ﴿أَن نُّبَدِّلَ﴾ أي: نجعل ﴿أَمْثَٰلَكُمْ﴾: مكانكم ﴿وَنُنشِئَكُمْ﴾: نخلقكم ﴿فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من الصور كالقردة والخنازير.

٦٢ ـ ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾.

٦٣ ـ ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾: تُثيرون الأرض وتلقون البذر فيها.

٦٤ ـ ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ﴾: تنبتونه ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾؟

٦٥ ـ ﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا﴾: نباتاً يابساً لا حَبَّ فيه ﴿فَظَلْتُمْ﴾، أصله: ظللتم، بكسر اللام، حذفت تخفيفاً، أي: أقمتم نهاراً ﴿تَفَكَّهُونَ﴾، حذفت منه إحدىٰ التاءين في الأصل: تعجبون من ذلك وتقولون:

٦٦ ـ ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾ نفقة زرعنا.

٦٧ ـ ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾: ممنوعون رزقنا.

٦٨ ـ ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ﴾. ٦٩ ـ ﴿ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ﴾: السحاب، جمع مُزْنة ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ﴾؟. ٧٠ ـ ﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا﴾: مِلْحاً لا يمكن شربه ﴿فَلَوْلَا﴾: فهلّا ﴿تَشْكُرُونَ﴾؟ ٧١ ـ ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ﴾: تُخرجون من الشجر الأخضر. ٧٢ ـ ﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ﴾ كالمَرْخ والعَفار والكَلْخ ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ﴾؟ ٧٣ ـ ﴿نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً﴾ لنار جهنم ﴿وَمَتَٰعًا﴾: بُلْغة ﴿لِّلْمُقْوِينَ﴾: للمسافرين، من: أقوىٰ القومُ، أي: صاروا بالقَواء، بالقصر والمد، أي: القفر، وهو مفازة لا نبات فيها ولا ماء. ٧٤ ـ ﴿فَسَبِّحْ﴾: نزّه ﴿بِٱسْمِ﴾، الباء زائدة، ويشهد للزيادة قوله تعالىٰ: (سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى) ﴿رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ أي: الله. ٧٥ ـ ﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾، (لا) زائدة ﴿بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾: بمساقطها لغروبها. ٧٦ ـ ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي: القسم بها ﴿لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ أي: لو كنتم من ذوي العلم، لعلمتم عظم هذا القسم.

إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

سُورَةُ الحَدِيدِ — ترتيبها ٥٧ — آياتها ٢٩

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾

٧٧ - ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي: المتلوَّ عليكم ﴿لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾. ٧٨ - ﴿فِي كِتَٰبٍ﴾: مكتوب ﴿مَّكْنُونٍ﴾: مصون مستور عن عيون الخلق وهو اللوح المحفوظ. ٧٩ - ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ﴾، خبر بمعنىٰ النهي ﴿إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ أي: لا يمسه إلا الملائكة الكرام الذين طهرهم الله من الآفات والذنوب والعيوب. ٨٠ - ﴿تَنزِيلٌ﴾: منزل ﴿مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. ٨١ - ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾: القرآن ﴿أَنتُم مُّدْهِنُونَ﴾: مُتهاونون مُكذِّبون؟ ٨٢ - ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ من المطر، أي: شكره ﴿أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ بسقيا الله حيث قلتم: مطرنا بنوء كذا. ٨٣ - ﴿فَلَوْلَآ﴾: فهلَّا ﴿إِذَا بَلَغَتِ﴾ الروحُ وقت النزع ﴿ٱلْحُلْقُومَ﴾: هو مجرىٰ الطعام. ٨٤ - ﴿وَأَنتُمْ﴾ يا حاضري الميت ﴿حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ﴾ إليه. ٨٥ - ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾ بالعلم ﴿وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ من البصيرة، أي: لا تعلمون ذلك. ٨٦ - ﴿فَلَوْلَآ﴾: فهلَّا ﴿إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾: مجزيين بأن تبعثوا، أي: غير مبعوثين بزعمكم. ٨٧ - ﴿تَرْجِعُونَهَآ﴾: تردون الروح إلىٰ الجسد بعد بلوغ الحلقوم ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ فيما زعمتم، (فلولا) الثانية تأكيد للأولىٰ، و(إذا) ظرف لـ (ترجعون) المتعلق به الشرطان، والمعنىٰ: هلَّا تَرجعونها إن نفيتم البعث صادقين في نفيه؟ أي: لينتفي عن محلها الموتُ كالبعث. ٨٨ - ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ﴾ الميتُ ﴿مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾. ٨٩ - ﴿فَرَوْحٌ﴾ أي: فله استراحة ﴿وَرَيْحَانٌ﴾: رزق حسن ﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾، وهل الجواب لـ(أمّا) أو لـ(إنْ) أو لهما؟ أقوال. ٩٠ - ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾. ٩١ - ﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ﴾ أي: له السلامة من العذاب ﴿مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ من جهة أنه منهم. ٩٢ - ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ﴾. ٩٣ - ﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾. ٩٤ - ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾. ٩٥ - ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾، من إضافة الصفة إلىٰ الموصوف. ٩٦ - ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾.

سورة الحديد

مكية أو مدنية، تسع وعشرون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ - ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: نَزَّهَهُ كُلُّ شيءٍ، فاللام مزيدة، وجيء بـ (ما) دون (من) تغليباً للأكثر ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في صنعه. ٢ - ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْيِۦ﴾ بالإنشاء ﴿وَيُمِيتُ﴾ بعده ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. ٣ - ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾ قبل كل شيء بلا بداية ﴿وَٱلْآخِرُ﴾ بعد كل شيء بلا نهاية ﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾ بالأدلة عليه ﴿وَٱلْبَاطِنُ﴾ عن إدراك الحواسِّ. وقد أخرج مسلم (٢٧١٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: كان رسول الله ﷺ يأمرنا إذا أخذنا مضاجعنا أن نقول: «اللهمّ ربَّ السماوات، وربَّ الأرض، ورب العرش العظيم.. اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عنّا الدين، وأغننا من الفقر» ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾

٤ ـ ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ من أيام الدنيا، أولها الأحد وآخرها الجمعة ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ استواءً يليق به ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ﴾: يدخل ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ كالمطر والأموات ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ كالنبات والمعادن ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ كالرحمة والعذاب ﴿وَمَا يَعْرُجُ﴾: يصعد ﴿فِيهَا﴾ كالأعمال الصالحة والسيئة ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ بعلمه ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

٥ ـ ﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾: الموجودات جميعها.

٦ ـ ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ﴾: يدخله ﴿فِى ٱلنَّهَارِ﴾ فيزيد وينقصُ الليلُ ﴿وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ فيزيد وينقصُ النهارُ ﴿وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ بما فيها من الأسرار والمعتقدات.

٧ ـ ﴿ءَامِنُوا۟﴾: دوموا على الإيمان ﴿بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟﴾ في سبيل الله ﴿مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ من مال مَن تقدمكم، وسيخلفكم فيه مَن بعدكم، نزل في غزوة العُسرة، وهي غزوة تبوك ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟﴾، إشارة إلى عثمان رضي الله عنه ﴿لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾.

٨ ـ ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ﴾، خطاب للكفار، أي: لا مانع لكم من الإيمان ﴿بِٱللَّهِ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ﴾ عليه، أي: أخذه الله في عالم الذَّرِّ حين أشهدهم على أنفسهم: ألست بربكم؟ قالوا: بلى ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي: مريدين الإيمان به، فبادروا إليه.

٩ ـ ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾: آيات القرآن ﴿لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: الكفر ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾: الإيمان ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ﴾ في إخراجكم من الكفر إلى الإيمان ﴿لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

١٠ ـ ﴿وَمَا لَكُمْ﴾ بعد إيمانكم ﴿أَلَّا﴾، فيه إدغام نون (أن) في لام (لا) ﴿تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ بما فيهما فيصل إليه أموالكم من غير أجر الإنفاق، بخلاف ما لو أنفقتم فتؤجرون ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ﴾ لمكة ﴿وَقَٰتَلَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ وَكُلًّا﴾ من الفريقين ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾: الجنة ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ فيجازيكم به.

١١ ـ ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ﴾ بإنفاق ماله في سبيل الله ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ بأن ينفقه لله ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ﴾ من عشر إلى أكثر من سبع مئة كما ذُكر في سورة البقرة ﴿وَلَهُۥٓ﴾ مع المضاعفة ﴿أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ مقترن به رضاً وإقبال.

يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٥٤

١٢ ـ اذكر ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: أمامهم ﴿وَ﴾ يكون ﴿بِأَيْمَٰنِهِم﴾ ويقال لهم: ﴿بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ﴾ أي: ادخلوها ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

١٣ ـ ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا﴾: أبصرونا، أمهلونا ﴿نَقْتَبِسْ﴾: نأخذ القبس والإضاءة ﴿مِن نُّورِكُمْ قِيلَ﴾ لهم استهزاءً بهم:

﴿ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا﴾ فرجعوا ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم﴾ وبين المؤمنين ﴿بِسُورٍ﴾ قيل: هو سور الأعراف ﴿لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ﴾ من جهة المؤمنين ﴿وَظَٰهِرُهُۥ﴾ من جهة المنفقين ﴿مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾.

١٤ ـ ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ على الطاعة.

﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ بالنفاق ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ بالمؤمنين الدوائر ﴿وَٱرْتَبْتُمْ﴾: شككتم في دين الإسلام ﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ﴾: الأطماع.

﴿حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾: الموت ﴿وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾: الشيطانُ.

١٥ ـ ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ﴾: أولىٰ بكم ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ هي.

١٦ ـ ﴿أَلَمْ يَأْنِ﴾: يَحِنْ ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ نزلت في شأن الصحابة لمَّا أكثروا المزاح.

﴿أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾: القرآن ﴿وَلَا يَكُونُوا۟﴾، معطوف علىٰ (تخشع) ﴿كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ﴾ هم اليهود والنصارىٰ ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ﴾: الزمن بينهم وبين أنبيائهم ﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: لم تَلِنْ لذكر الله ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾.

١٧ ـ ﴿ٱعْلَمُوٓا۟﴾، خطاب للمؤمنين المذكورين ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ بالنبات، فكذلك يفعل بقلوبكم، يردها إلىٰ الخشوع.

﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ الدالة علىٰ قدرتنا بهذا وغيره ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

١٨ ـ ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ﴾، من التصدق، أدغمت التاء في الصاد، أي: الذين تصدقوا ﴿وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ﴾: اللاتي تصدَّقن.

﴿وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾، راجع إلىٰ الذكور والإناث بالتغليب، وعُطف الفعلُ علىٰ الاسم في صلة (أل) لأنه فيها حل محل الفعل، وذكر القرض بوصفه بعد التصدق تقييد له ﴿يُضَٰعَفُ﴾ أي: قرضهم ﴿لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾.

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١٩﴾ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢١﴾ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٢٢﴾ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٤﴾

١٩ ـ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ﴾ : المبالغون في التصديق.

﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ علىٰ المكذبين من الأمم ﴿لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ الدالة علىٰ وحدانيتنا ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ : النار.

٢٠ ـ ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ﴾ : تزيين ﴿وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ﴾ أي: الاشتغال فيها، وأما الطاعات وما يُعين عليها فمن أمور الآخرة.

﴿كَمَثَلِ﴾ أي: هي في إعجابها لكم واضمحلالها كمثل ﴿غَيۡثٍ﴾ : مطر ﴿أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ﴾ : الزراع ﴿نَبَاتُهُۥ﴾ الناشئ عنه.

﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾ : ييبس ﴿فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ﴾ : فتاتاً يضمحل بالرياح.

﴿وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ﴾ لمن آثر عليها الدنيا ﴿وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ﴾ لمن لم يؤثر عليها الدنيا.

﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ﴾ : ما التمتع فيها ﴿إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾.

٢١ ـ ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ لو وصلت إحداهما بالأخرىٰ، والعرض: السعة ﴿أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾.

٢٢ ـ ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ بالجدب ﴿وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ كالمرض وفقد الولد ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٖ﴾ يعني اللوح المحفوظ ﴿مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ﴾ : نخلقها، ويقال في النعمة كذلك ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾.

٢٣ ـ ﴿لِّكَيۡلَا﴾ ، (كي) ناصبة للفعل بمعنىٰ (أن)، أي: أخبر تعالىٰ بذلك لئلا ﴿تَأۡسَوۡاْ﴾ : تحزنوا ﴿عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ﴾ فرح بطر، بل فرح شكر علىٰ النعمة ﴿بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ﴾ : أعطاكم.

﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ﴾ : متكبر بما أوتي ﴿فَخُورٍ﴾ به علىٰ الناس.

٢٤ ـ ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ﴾ بما يجب عليهم ﴿وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ﴾ به، لهم وعيد شديد.

﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ عما يجب عليه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ﴾ ، ضمير فصل، ﴿ٱلۡغَنِيُّ﴾ عن غيره ﴿ٱلۡحَمِيدُ﴾ لأوليائه.

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

٢٥ - ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا﴾ الملائكة إلىٰ الأنبياء ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: بالحجج القواطع.

﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ بمعنىٰ: الكتب ﴿وَٱلْمِيزَانَ﴾: العدل.

﴿لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ﴾: أخرجناه من المعادن ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ يقاتل به ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ﴾ علم مشاهدة، معطوف علىٰ (ليقوم الناس) ﴿مَن يَنصُرُهُۥ﴾ بأن ينصر دينه بآلات الحرب من الحديد وغيره ﴿وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾، حال من هاء (ينصره) أي: غائباً عنهم في الدنيا.

قال ابن عباس: ينصرونه ولا يُبصرونه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ لا حاجة له إلىٰ النصرة لكنها تنفع من يأتي بها.

٢٦ - ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ يعني الكتب الأربعة: التوراة والإنجيل والزّبور والفرقان، فإنها في ذرية إبراهيم ﴿فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾.

٢٧ - ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً﴾: هي رفض النساء واتخاذ الصوامع ﴿ٱبْتَدَعُوهَا﴾ من قبل أنفسهم ﴿مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾: ما أمرناهم بها ﴿إِلَّا﴾: لكن فعلوها ﴿ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ﴾: مرضاة ﴿ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ إذ تركها كثير منهم وكفروا بدين عيسىٰ ودخلوا في دين ملكهم.

وبقي علىٰ دين عيسىٰ كثير منهم، فآمنوا بنبينا ﴿فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ به ﴿مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾.

٢٨ - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ﴾ محمد ﷺ وعيسىٰ.

﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ﴾: نصيبين ﴿مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ لإيمانكم بالنبيّين.

﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ علىٰ الصراط ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

٢٩ - ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ﴾ أي: أعلمكم بذلك ليعلم ﴿أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ التوراة الذين لم يؤمنوا بمحمد ﷺ ﴿أَ﴾نْ، مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن، والمعنىٰ: أنهم ﴿لا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ خلاف ما في زعمهم أنهم أحبّاء الله وأهل رضوانه.

﴿وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ﴾: يعطيه ﴿مَن يَشَآءُ﴾ فآتىٰ المؤمنين منهم أجرهم مرتين كما تقدم ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ جل وعلا.

سورة المجادلة

بسم الله الرحمن الرحيم

قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًاۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٍۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾

سورة المجادلة

مدنية، ثنتان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ﴾: تراجعك أيها النبي ﴿فِي زَوْجِهَا﴾ المظاهر منها، وكان قال لها: أنتِ عليَّ كظهر أمي، وقد سألت النبيَّ ﷺ عن ذلك، فأجابها بأنها حرُمت عليه على ما هو المعهود عندهم من أن الظهار موجبه فُرقة مؤبدة، وهي خولة بنت ثعلبة، وهو أوس بن الصامت.

﴿وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ وحدتَها وفاقتَها، وصبيةً صغاراً، إن ضمتهم إليه ضاعوا، أو إليها جاعوا.

﴿وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ﴾: تراجعكما ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾.

٢ ـ ﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْۚ وَإِنَّهُمْ﴾ بالظهار ﴿لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًاۚ﴾ كذباً ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ للمظاهر بالكفارة.

٣ ـ ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ﴾ أي: فيه بأن يخالفوه بإمساك المظاهَر منها الذي هو خلاف مقصود الظهار من وصف المرأة بالتحريم.

﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ أي: إعتاقُها عليه ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ﴾ بالوطء.

﴿ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

٤ ـ ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ رقبة ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ﴾ أي: الصيام ﴿فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًاۚ﴾ عليه، أي: من قبل أن يتماسا، حملاً للمطلق على المقيد، لكل مسكين مُدٌّ من غالب قوت البلد.

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: التخفيف في الكفارة ﴿لِتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلْكَ﴾ أي: الأحكام المذكورة ﴿حُدُودُ ٱللَّهِۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ﴾ بها ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مؤلم.

٥ ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ﴾: يُخالفون ﴿ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ﴾: أُذلوا ﴿كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ﴾ في مخالفتهم رسلَهم.

﴿وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٍۚ﴾: دالةً على صدق الرسول.

﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ﴾ بالآيات ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾: ذو إهانة.

٦ ـ ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾

٧ ـ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: تعلم ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ بعلمه.

﴿وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.

٨ ـ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: تنظر ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ﴾ هم اليهود.

نهاهم النبي ﷺ عمَّا كانوا يفعلون من تناجيهم، أي: تحدُّثهم سرّاً ناظرين إلىٰ المؤمنين ليوقعوا في قلوبهم الريبة.

﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ﴾ أيها النبي ﴿بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾ وهو قولهم: السَّام عليك، أي: الموت.

﴿وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا﴾: هلّا ﴿يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ من التحية وأنه ليس بنبي هلّا يعذبنا الله إن كان محمد نبياً ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ هي.

٩ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

١٠ ـ ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ﴾ بالإثم ونحوه ﴿مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ بغروره ﴿لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ﴾ هو ﴿بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي: إرادته ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾.

١١ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟﴾: توسَّعوا ﴿فِى ٱلْمَجَٰلِسِ﴾: مجالس النبي ﷺ، أو الذكر حتىٰ يجلس من جاءكم ﴿فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ في الجنة ﴿وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟﴾: قوموا إلىٰ الصلاة وغيرها من الخيرات ﴿فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ﴾ بالطاعة في ذلك ﴿وَ﴾ يرفع ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ في الجنة ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٣﴾ ۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مَّا هُم مِّنكُمۡ وَلَا مِنۡهُمۡ وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدًاۖ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٦﴾ لَّن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيَحۡلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحۡلِفُونَ لَكُمۡۖ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍۚ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴿٢١﴾

١٢ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ﴾: أردتم مناجاته ﴿فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ﴾ قبلها ﴿صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ﴾ لذنوبكم ﴿فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ﴾ ما تتصدقون به ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ﴾ لمناجاتكم ﴿رَّحِيمٌ﴾ بكم، يعني فلا عليكم في المناجاة من غير صدقة، ثم نسخ ذلك بقوله:

١٣ ـ ﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ﴾ أي: خفتم من ﴿أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ﴾ لفقر ﴿فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ﴾ الصدقة ﴿وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ﴾: رجع بكم عنها ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ﴾ أي: دوموا على ذلك ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾.

١٤ ـ ﴿أَلَمۡ تَرَ﴾: تنظر ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ﴾: هم المنافقون ﴿قَوۡمًا﴾ هم اليهود ﴿غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مَّا هُم﴾ أي: المنافقون ﴿مِّنكُمۡ﴾ من المؤمنين ﴿وَلَا مِنۡهُمۡ﴾ من اليهود، بل هم مذبذبون ﴿وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ﴾ أي: قولهم إنهم مؤمنون ﴿وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ أنهم كاذبون فيه.

١٥ ـ ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدًاۖ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ من المعاصي.

١٦ ـ ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ﴾: ستراً على أنفسهم وأموالهم ﴿فَصَدُّواْ﴾ بها المؤمنين ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: الجهاد فيهم بقتلهم وأخذ أموالهم ﴿فَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾: ذو إهانة.

١٧ ـ ﴿لَّن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾: من عذابه ﴿شَيۡـًٔاۚ﴾ من الإغناء ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

١٨ ـ اذكر ﴿يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيَحۡلِفُونَ لَهُۥ﴾ أنهم مؤمنون ﴿كَمَا يَحۡلِفُونَ لَكُمۡۖ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍۚ﴾ من نفع حلفهم في الآخرة كالدنيا ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ﴾.

١٩ ـ ﴿ٱسۡتَحۡوَذَ﴾: استولى ﴿عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ بطاعتهم له ﴿فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾: أتباعه ﴿أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾.

٢٠ ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ﴾: يخالفون ﴿ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ﴾: المغلوبين.

٢١ ـ ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ﴾ في اللوح المحفوظ، أو قضى ﴿لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ﴾ بالحجة أو السيف ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ﴾.

لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾

سُورَةُ الحَشْر

ترتيبها ٥٩ — آياتها ٢٤

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾

٢٢ - ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ﴾: يصادقون ﴿مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟﴾ أي: المحادُّون.

﴿ءَابَآءَهُمْ﴾ أي: المؤمنين.

﴿أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ بل يقصدونهم بالسوء ويقاتلونهم على الإيمان.

كما وقع لجماعة من الصحابة رضي الله عنهم ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ الذين لا يوادُّونهم.

﴿كَتَبَ﴾: أثبت ﴿فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ﴾: بنور ﴿مِّنْهُ﴾ تعالى.

﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بطاعته ﴿وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ بثوابه.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ﴾ يتبعون أمره ويجتنبون نهيه.

﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: الفائزون.

سُورَةُ الحَشْر

مدنية، أربع وعشرون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ - ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: نَزَّهَهُ، فاللام مزيدة، وفي الإتيان بـ (ما) تغليب للأكثر ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ في ملكه وصنعه.

٢ - ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾: هم بنو النضير من اليهود ﴿مِن دِيَٰرِهِمْ﴾: مساكنهم بالمدينة ﴿لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾: هو حشرهم إلى الشام، وآخره أن جلاهم عمر في خلافته من خيبر.

﴿مَا ظَنَنتُمْ﴾ أيها المؤمنون ﴿أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ﴾، خبر (أنَّ) ﴿حُصُونُهُم﴾، فاعله، به تم الخبر ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾: من عذابه ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾: أمره وعذابه ﴿مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟﴾: لم يخطر ببالهم من جهة المؤمنين ﴿وَقَذَفَ﴾: ألقى ﴿فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ الخوف، بقتل سيدهم كعب بن الأشرف.

﴿يُخْرِبُونَ﴾ من أخربَ ﴿بُيُوتَهُم﴾ لينقلوا ما استحسنوه منها من خشب وغيره ﴿بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾.

٣ - ﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ﴾: قضى ﴿عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ﴾: الخروج من الموطن ﴿لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ بالقتل والسبي كما فعل بقريظة من اليهود ﴿وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ﴾.

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَاقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾

٤ ـ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا۟﴾: خالفوا ﴿ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَاقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ له.

٥ ـ ﴿مَا قَطَعْتُم﴾ يا مسلمون ﴿مِّن لِّينَةٍ﴾: نخلة ﴿أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي: خيَّركم في ذلك ﴿وَلِيُخْزِىَ﴾ بالإذن في القطع ﴿ٱلْفَٰسِقِينَ﴾: اليهود في اعتراضهم أن قطع الشجر المُثمرِ فساد.

٦ ـ ﴿وَمَآ أَفَآءَ﴾: ردَّ ﴿ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ﴾: أسرعتم يا مسلمون ﴿عَلَيْهِ مِنْ﴾، زائدة ﴿خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾: إبل، أي: لم تقاسوا فيه مشقة ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ فلا حقَّ لكم فيه، ويختصُّ به النبي ﷺ ومن ذكر معه في الآية الثانية من الأصناف الأربعة علىٰ ما كان يقسمه من أن لكل منهم خُمس الخمس، وله ﷺ الباقي يفعل فيه ما يشاء، فأعطىٰ منه المهاجرين وثلاثة من الأنصار لفقرهم.

٧ ـ ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ﴾ كـ (الصفراء) و(وادي القرىٰ)، و(ينبُع) ﴿فَلِلَّهِ﴾ يأمر فيه بما يشاء ﴿وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى﴾: صاحب ﴿ٱلْقُرْبَىٰ﴾: قرابة النبي من بني هاشم وبني المطلب ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾: أطفال المسلمين الذين هلكت آباؤهم وهم فقراء ﴿وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾: ذوي الحاجة من المسلمين ﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾: المنقطع في سفره من المسلمين، أي: يستحقه النبي ﷺ والأصناف الأربعة علىٰ ما كان يقسمه، من أن لكل من الأربعة خُمسَ الخُمس، وله الباقي ﴿كَىْ لَا﴾، (كي) بمعنىٰ اللام و(أن) مقدرة بعدها ﴿يَكُونَ﴾ الفيءُ، علةٌ لِقسمه كذلك ﴿دُولَةًۢ﴾: متداولاً ﴿بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ﴾: أعطاكم ﴿ٱلرَّسُولُ﴾ من الفيء وغيره ﴿فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾.

٨ ـ ﴿لِلْفُقَرَآءِ﴾، متعلق بمحذوف، أي: اعجبوا ﴿ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ في إيمانهم.

٩ ـ ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ﴾ أي: المدينة ﴿وَٱلْإِيمَٰنَ﴾ أي: ألِفوه، وهم الأنصار ﴿مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً﴾: حسداً ﴿مِّمَّآ أُوتُوا۟﴾ أي: آتىٰ النبيُّ ﷺ المهاجرين من أموال بني النضير المختصة به ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾: حاجة إلىٰ ما يُؤثرون به ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾: حرصَها علىٰ المال ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

وَالَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمۡ أَحَدًا أَبَدٗا وَإِن قُوتِلۡتُمۡ لَنَنصُرَنَّكُمۡ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنۡ أُخۡرِجُواْ لَا يَخۡرُجُونَ مَعَهُمۡ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمۡ وَلَئِن نَّصَرُوهُمۡ لَيُوَلُّنَّ ٱلۡأَدۡبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنتُمۡ أَشَدُّ رَهۡبَةٗ فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرٗى مُّحَصَّنَةٍ أَوۡ مِن وَرَآءِ جُدُرِۢۚ بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ شَدِيدٞۚ تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَرِيبٗاۖ ذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾

نصف الحزب ٥٥

١٠ ـ ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾: من بعد المهاجرين والأنصار إلىٰ يوم القيامة.

﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا﴾: حقداً ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾.

١١ ـ ﴿أَلَمۡ تَرَ﴾: تنظر ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ وهم بنو النضير وإخوانهم في الكفر: ﴿لَئِنۡ﴾، لام قسم في الأربعة ﴿أُخۡرِجۡتُمۡ﴾ من المدينة ﴿لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمۡ﴾: في خذلانكم ﴿أَحَدًا أَبَدٗا وَإِن قُوتِلۡتُمۡ﴾، حذفت منه اللام الموطِّئة ﴿لَنَنصُرَنَّكُمۡ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾.

١٢ ـ ﴿لَئِنۡ أُخۡرِجُواْ لَا يَخۡرُجُونَ مَعَهُمۡ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمۡ وَلَئِن نَّصَرُوهُمۡ﴾ أي: جاؤوا لنصرهم ﴿لَيُوَلُّنَّ ٱلۡأَدۡبَٰرَ﴾، واستغني بجواب القسم المقدر عن جواب الشرط في المواضع الخمسة ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ أي: اليهود.

١٣ ـ ﴿لَأَنتُمۡ أَشَدُّ رَهۡبَةٗ﴾: خوفاً ﴿فِي صُدُورِهِم﴾ أي: المنافقين ﴿مِّنَ ٱللَّهِۚ﴾ لتأخير عذابه ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ﴾.

١٤ ـ ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾ أي: اليهود ﴿جَمِيعًا﴾: مجتمعين ﴿إِلَّا فِي قُرٗى مُّحَصَّنَةٍ أَوۡ مِن وَرَآءِ جُدُرِۢۚ﴾ والجدر: جمع جدار وهو السور ﴿بَأۡسُهُم﴾: حربهم ﴿بَيۡنَهُمۡ شَدِيدٞۚ تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا﴾: مجتمعين ﴿وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ﴾: متفرقةٌ خلاف الحُسبان ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ﴾.

١٥ ـ مثلهم في ترك الإيمان ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَرِيبٗاۖ﴾: بزمن قريب، وهم أهل بدر من المشركين ﴿ذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ﴾: عقوبته في الدنيا من القتل وغيره ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾: مؤلم في الآخرة.

١٦ ـ مثلهم أيضاً في سماعهم من المنافقين وتخلُّفهم عنهم ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ كذباً منه ورياءً.

فَكَانَ عَـٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَـٰلِدَيْنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْۚ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِۚ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ أَنزَلْنَا هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَـٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَـٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾

سُورَةُ المُمْتَحَنَةِ

ترتيبها ٦٠ — آياتها ١٣

١٧ ـ ﴿فَكَانَ عَـٰقِبَتَهُمَآ﴾ أي: الغاوي والمُغوي ﴿أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَـٰلِدَيْنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾: الكافرين.

١٨ ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍۖ﴾: ليوم القيامة ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

١٩ ـ ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ﴾: تركوا طاعته ﴿فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْۚ﴾ أن يقدموا لها خيراً ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾.

٢٠ ـ ﴿لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِۚ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾.

٢١ ـ ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ﴾ وجُعل فيه تمييزٌ كالإنسان ﴿لَّرَأَيْتَهُۥ خَـٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا﴾: متشقِّقاً ﴿مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ﴾ المذكورةُ ﴿نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيؤمنون.

٢٢ ـ ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِۖ﴾: السرّ والعلانية.

﴿هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

٢٣ ـ ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ﴾: الطاهر عمّا لا يليق به.

﴿ٱلسَّلَـٰمُ﴾: ذو السلامة من النقائص.

﴿ٱلْمُؤْمِنُ﴾: المصدق رسله بخلق المعجزة لهم.

﴿ٱلْمُهَيْمِنُ﴾، من: هيمن يهيمن، إذا كان رقيباً علىٰ الشيء، أي: الشهيد علىٰ عباده بأعمالهم.

﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: القوي.

﴿ٱلْجَبَّارُ﴾: جَبَرَ خلقه علىٰ ما أراد.

﴿ٱلْمُتَكَبِّرُۚ﴾ عما لا يليق به.

﴿سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ﴾ نزّه نفسه ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ به.

٢٤ ـ ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَـٰلِقُ ٱلْبَارِئُ﴾: المنشئُ من العدم.

﴿ٱلْمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰۚ﴾ التسع والتسعون الوارد بها الحديث، و(الحسنىٰ) مؤنث الأحسن.

﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ تقدم أولها.

سورة الممتحنة

مدنية، ثلاث عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِي سَبِيلِي وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾

١ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ﴾: توصلون ﴿إِلَيْهِم﴾ قَصْدَ النبيِّ ﷺ غزوَهم الذي أسرَّه إليكم وورَّىٰ بحُنين ﴿بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ بينكم وبينهم: كتب حاطب بن أبي بلتعة إليهم كتاباً بذلك، لِما له عندهم من الأولاد والأهل المشركين، فاستردَّه النبي ﷺ ممن أرسله معه بإعلام الله تعالىٰ له بذلك، وقَبِلَ عُذر حاطب فيه ﴿وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ أي: دين الإسلام والقرآن ﴿يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾ من مكة بتضييقهم عليكم ﴿أَن تُؤْمِنُواْ﴾ أي: لأجل أن آمنتم ﴿بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا﴾ للجهاد ﴿فِي سَبِيلِي وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِي﴾، وجواب الشرط دل عليه ما قبله، أي: فلا تتخذوهم أولياء ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ﴾ أي: إسرار خبر النبي إليهم ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾: أخطأ طريق الهدىٰ، والسواء في الأصل الوسط.

٢ ـ ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ﴾: يظفروا بكم ﴿يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ بالقتل والضرب ﴿وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ﴾ بالسب والشتم ﴿وَوَدُّواْ﴾: تمنَّوا ﴿لَوْ تَكْفُرُونَ﴾.

٣ ـ ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ﴾: قراباتكم ﴿وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ﴾ المشركون الذين لأجلهم أسررتم الخبر من العذاب في الآخرة ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾ وبينهم، فتكونون في الجنة، وهم في جملة الكفار في النار ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

٤ ـ ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ﴾: قدوة ﴿حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ أي: به قولاً وفعلاً ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ من المؤمنين ﴿إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ﴾، جمع بريء، كظريف ﴿مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ﴾: أنكرناكم ﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾، مستثنىٰ من (أسوة) أي: فليس لكم التأسّي به في ذلك بأن تستغفروا للكفار، وقوله: ﴿وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ﴾ أي: من عذابه وثوابه ﴿مِن شَيْءٍ﴾، كنَىٰ به عن أنه لا يملك له غير الاستغفار، فهو مبني عليه مستثنًى من حيث المرادُ منه، وإن كان من حيث ظاهرُه مما يُتأسَّىٰ فيه: (قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا)، واستغفاره له قبل أن يتبيَّن له أنه عدوٌّ لله كما ذكر في براءة ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ من مقول الخليل ومَن معه، أي: قالوا.

٥ ـ ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي: لا تُظهرهم علينا، فيظنوا أنهم علىٰ الحق فيفتنوا أي: فيميلون عن الحق. ولا تُسلّطهم علينا بعذاب لا نتحمله فيفتنونا ويحولون بيننا وبين ما أوجبت علينا القيام به من قول وعمل واعتقاد. ﴿وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ في ملكك وصنعك.

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾ ۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

نهاية ربع الحزب ٥٥

٦ ـ ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ﴾ يا أمة محمد، جواب قسم مقدر ﴿فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ﴾، بدل اشتمال من (كُم) بإعادة الجار ﴿يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ﴾ أي: يخافهما أو يظن الثواب والعقاب ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ بأن يوالي الكفار ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾ عن خلقه ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ لأهل طاعته.

٧ ـ ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم﴾: من كفار مكة، طاعةً لله تعالىٰ ﴿مَّوَدَّةً﴾ بأن يهديهم للإيمان، فيصيروا لكم أولياء ﴿وَٱللَّهُ قَدِيرٌ﴾ علىٰ ذلك، وقد فعله بعد فتح مكة ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ لهم ما سلف ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم.

٨ ـ ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ﴾ من الكفار ﴿فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ﴾، بدل اشتمال من (الذين) ﴿وَتُقْسِطُوٓا۟﴾: تُفضوا ﴿إِلَيْهِمْ﴾ بالقسط، أي: بالعدل، وهذا قبل الأمر بجهادهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾: العادلين.

٩ ـ ﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟﴾: عاونوا ﴿عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ﴾، بدل اشتمال من (الذين) أي: تتخذوهم أولياء ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

١٠ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ﴾ بألسنتهنَّ ﴿مُهَٰجِرَٰتٍ﴾ من الكفار بعد الصلح معهم في الحديبية علىٰ أن من جاء منهم إلىٰ المؤمنين يُردُّ ﴿فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾ بالحلف أنهن ما خرجن إلا رغبة في الإسلام، لا بغضاً لأزواجهن الكفار، ولا عشقاً لرجال من المسلمين. كذا كان النبي ﷺ يُحلِّفهن ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ﴾: ظننتموهنَّ بالحلِف ﴿مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ﴾: تردوهن ﴿إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم﴾ أي: أعطوا الكفار أزواجهن ﴿مَّآ أَنفَقُوا۟﴾ عليهن من المهور ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ بشرطه وهو انقضاء العدة، هذا إذا كانت المرأة المسلمة مدخولاً بها، أما إذا لم تكن مدخولاً بها فيكون الشرطُ الوليَّ والشاهدين والإيجاب والقبول وغيرها من شروط صحة النكاح. ﴿إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾: مهورهنَّ ﴿وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾ أي: ولا تمسكوا بعصمة الزوجات الكافرات؛ لأنَّ الإسلام قطع هذه العصمة، وهي هنا عقد النكاح، هذا إذا أسلمتم ولم يسلمن، وهذا إن لم تكن المرأة كتابية، فإن نكاحها لا ينقطع، لأنه يجوز للمسلم نكاحها فدوامه أولىٰ. أو اللاحقات بالمشركين مرتدات لقطع ارتدادهن نكاحكم بشرط أن لا ترجع إلىٰ الإسلام في العدة فيما إذا كانت مدخولاً بها، أما الردة قبل الدخول فتُنجز الفُرقة. ﴿وَسْـَٔلُوا۟﴾: اطلبوا ﴿مَآ أَنفَقْتُمْ﴾ عليهنَّ من المهور في صورة الارتداد ﴿وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟﴾ علىٰ المهاجرات، كما تقدم أنهم يُؤتَونه ﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ به ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

١١ ـ ﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ﴾ أي: واحدة فأكثر منهن، أو شيء من مهورهن بالذهاب ﴿إِلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ مرتداتٍ ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾: فغزوتم وغنمتم ﴿فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم﴾ من الغنيمة ﴿مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟﴾ لفواته عليهم من جهة الكفار ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾ وقد فعل المؤمنون ما أُمروا به من الإيتاء للكفار والمؤمنين.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَـٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾

سُورَةُ الصَّفِّ — ترتيبها ٦١ — آياتها ١٤

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٥﴾

١٢ ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ﴾ كما كان يُفعل في الجاهلية من وأد البنات، أي: دفنهنَّ أحياءً خوف العار والفقر ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَـٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ أي: بولد ملقوط ينسبنه إلىٰ الزوج، ووصف بصفة الولد الحقيقي، فإن الأم إذا وضعته سقط بين يديها ورجليها ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِى﴾ فعل ﴿مَعْرُوفٍ﴾: هو ما وافق طاعة الله، كترك النياحة، وتمزيق الثياب، وجزِّ الشعر، وشقِّ الجيب، وخمش الوجه ﴿فَبَايِعْهُنَّ﴾، فعلَ ذلك ﷺ بالقول ولم يصافح واحدة منهن ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

١٣ ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ هم اليهود ﴿قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ أي: من ثوابها، مع إيقانهم بها لعنادهم النبي مع علمهم بصدقه ﴿كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ﴾ الكائنون ﴿مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾ أي: المقبورين من خير الآخرة إذ تُعرض عليهم مقاعدُهم من الجنة لو كانوا آمنوا وما يصيرون إليه من النار.

سُورَةُ الصَّفِّ

مكية أو مدنية أربع عشرة آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ ـ ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: نَزَّهَهُ، فاللام مزيدة، وجيء بـ (ما) دون (من) تغليباً للأكثر ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في كل شأن من شؤونه من صنعه وقدره وتشريعه وجزائه وكلامه وإرساله رسله وإنزاله كتبه إلىٰ غير ذلك.

٢ ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾.

٣ ـ ﴿كَبُرَ﴾: عظم ﴿مَقْتًا﴾، تمييز ﴿عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟﴾، فاعل (كبر) ﴿مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾.

٤ ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ﴾، في الآية ما يدلّ علىٰ أن المحبة صفة لله حقيقة علىٰ ما يليق بجلاله، ويتبع ذلك النصر والإكرام ونحوه من آثارها فهو سبحانه يحب حقيقة وينصر ويكرم ﴿ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا﴾، حال، أي: صافِّين ﴿كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾: ملزق بعضه إلىٰ بعض ثابت.

٥ ـ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى﴾ قالوا: إنه آدر، أي: منتفخ الخصية، وليس كذلك، وكذبوه ﴿وَقَد﴾، للتحقيق ﴿تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾، الجملة حال، والرسول يُحترم ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟﴾: عدلوا عن الحق بإيذائه ﴿أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾: أمالها عن الهدىٰ علىٰ وَفْقِ ما قدره في الأزل ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾: الكافرين في علمه.

وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾

٦ ـ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾، لم يقل: يا قوم، لأنه لا أب له فيهم، وإن كانت أمه منهم، فإنما النسب من جهة الأب. ﴿إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ﴾: قبلي ﴿مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ قال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم﴾: جاء أحمدُ الكفارَ ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: الآيات والعلامات ﴿قَالُوا۟ هَٰذَا﴾ أي: المجيء به ﴿سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾: بيِّن.

٧ ـ ﴿وَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَظْلَمُ﴾: أشدُّ ظلماً ﴿مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ بنسبة الشريك والولد إليه، ووصف آياته بالسحر ﴿وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الكافرين.

٨ ـ ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟﴾، منصوب بـ (أن) مقدرة، واللام مزيدة ﴿نُورَ ٱللَّهِ﴾: شرعه وبراهينه ﴿بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾: بأقوالهم: إنه سحر وشعر وكهانة ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ﴾: مُظهرُ ﴿نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ ذلك.

٩ ـ ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ﴾: يعليه ﴿عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾: جميع الأديان المخالفة له ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ ذلك.

١٠ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم﴾، بالتخفيف ﴿مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: مؤلم، فكأنهم قالوا: نعم، فقال:

١١ ـ ﴿تُؤْمِنُونَ﴾: تدومون علىٰ الإيمان ﴿بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه خير لكم، فافعلوه.

١٢ ـ ﴿يَغْفِرْ﴾، جواب شرط مقدّر، أي: إن تفعلوه يغفر ﴿لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾: إقامة ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾.

١٣ ـ ﴿وَ﴾ يؤتكم نعمةً ﴿أُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بالنصر والفتح.

١٤ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾ لدينه ﴿كَمَا قَالَ﴾ إلخ. المعنىٰ: كما كان الحواريون كذلك الدال عليه قال: ﴿عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾؟ أي: مَن الأنصارُ الذين يكونون معي متوجهاً إلىٰ نصرة الله؟ ﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ والحواريون أصفياء عيسىٰ، وهم أول من آمن به، وكانوا اثني عشر رجلاً: من الحَوَر وهو البياض الخالص، وقيل: كانوا قصارين يُحوِّرون الثياب، أي: يبيضونها ﴿فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ بعيسىٰ وقالوا: إنه عبد الله رُفع إلىٰ السماء ﴿وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ﴾ لقولهم: إنه ابن الله رفعه إليه، فاقتتلت الطائفتان ﴿فَأَيَّدْنَا﴾: قوّينا ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ من الطائفتين ﴿عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ﴾: الطائفة الكافرة ﴿فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ﴾: غالبين.

سورة الجمعة

سورة الجمعة ٦٢ آياتها ١١

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡمَلِكِ ٱلۡقُدُّوسِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنۡهُمۡ لَمَّا يَلۡحَقُواْ بِهِمۡۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٤﴾ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ أَوۡلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوۡنَهُۥٓ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ قُلۡ إِنَّ ٱلۡمَوۡتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنۡهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمۡۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٨﴾

الحزب ٥٦

سورة الجمعة

مدنية إحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ﴾: يُنزِّهُهُ، فاللام زائدة ﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾، في ذكر (ما) تغليب للأكثر ﴿ٱلۡمَلِكِ ٱلۡقُدُّوسِ﴾: المُنزَّه عما لا يليق به ﴿ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ في ملكه وصنعه.

٢ ـ ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ﴾: العرب، والأميُّ من لا يكتب ولا يقرأ كتاباً ﴿رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ﴾ هو محمد ﷺ ﴿يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ﴾: القرآن ﴿وَيُزَكِّيهِمۡ﴾: يُطهِّرهم من الشرك ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾: القرآن ﴿وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾: ما فيه من الأحكام ﴿وَإِنۡ﴾، مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف، أي: وإنهم ﴿كَانُواْ مِن قَبۡلُ﴾: قبلَ مجيئه ﴿لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾: بيِّن.

٣ ـ ﴿وَءَاخَرِينَ﴾، عطف على (الأميين) أي: الموجودين ﴿مِنۡهُمۡ﴾ والآتين منهم بعدهم ﴿لَمَّا﴾: لم ﴿يَلۡحَقُواْ بِهِمۡۚ﴾ في السابقة والفضل ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ في ملكه وصنعه، وهم التابعون، والاقتصار عليهم كافٍ في بيان فضل الصحابة المبعوث فيهم النبيُّ ﷺ على مَن عداهم ممن بُعث إليهم وآمنوا به من جميع الإنس والجن إلى يوم القيامة، لأن كل قرن خير ممن يليه.

٤ ـ ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ﴾: النبيَّ ومَن ذُكر معه ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾.

٥ ـ ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ﴾: كُلِّفوا العملَ بها ﴿ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا﴾: لم يعملوا بما فيها من نعته ﷺ، فلم يؤمنوا به ﴿كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ﴾ أي: كتباً في عدم انتفاعه بها ﴿بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ﴾ المُصدِّقة للنبي ﷺ. والمخصوص بالذم محذوف تقديره: هذا المثل ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الكافرين.

٦ ـ ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ أَوۡلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾، تعلق بـ (تَمنَّوا) الشرطان على أن الأول قيد في الثاني، أي: إن صدقتم في زعمكم أنكم أولياء لله، والوليُّ يؤثر الآخرة ومبدؤها الموت فتمنَّوه.

٧ ـ ﴿وَلَا يَتَمَنَّوۡنَهُۥٓ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۚ﴾ من كفرهم بالنبي المستلزم لكذبهم ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الكافرين.

٨ ـ ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡمَوۡتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنۡهُ فَإِنَّهُۥ﴾، الفاء زائدة ﴿مُلَٰقِيكُمۡۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾: السرّ والعلانية ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ فيجازيكم به.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٠ وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ١١

سُورَةُ المُنَافِقُونَ

ترتيبها ٦٣ — آياتها ١١

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ١ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ٣ ۞ وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ كَأَنَّهُمۡ خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞۖ يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡۚ هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٤

ربع الحزب ٥٦

٩ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن﴾، بمعنىٰ في ﴿يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ﴾: فامضوا ﴿إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ أي: الصلاة ﴿وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ﴾ أي: اتركوا عَقْده ﴿ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ أنـه خـير فافعلوه.

١٠ ـ ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾، أمر إباحة ﴿وَٱبۡتَغُواْ﴾: اطلبوا الرزق ﴿مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ﴾ ذكـراً ﴿كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾: تفوزون.

١١ ـ كان ﷺ يخطب يوم الجمعة، فقدمت عير، وضُرب لقدومها الطبل علىٰ العادة، فخرج لها الناس من المسجد غير اثني عشر رجلاً فنزل: ﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا﴾ أي: التجارة لأنها مطلوبهم دون اللهو ﴿وَتَرَكُوكَ﴾ في الخطبة ﴿قَآئِمٗاۚ قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ من الثواب ﴿خَيۡرٞ﴾ للذين آمـنـوا ﴿مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ يقال: كل إنسان يرزق عائلته، أي: من رزق الله تعالىٰ.

سُورَةُ المُنَافِقُونَ

مدنية إحدى عشرة آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ ـ ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ﴾ بألسنتهم علىٰ خلاف ما في قلوبهم: ﴿نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ﴾: يعلم ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ فيما أضمروه مخالفاً لما قالوه.

٢ ـ ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ﴾: سترة علىٰ أموالهم ودمائهم ﴿فَصَدُّواْ﴾ بها ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ أي: عن الجهاد فيهم ﴿إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾.

٣ ـ ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: سوء عملهم ﴿بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ﴾ باللسان ﴿ثُمَّ كَفَرُواْ﴾ بالقلب، أي: استمرُّوا علىٰ كفرهم به ﴿فَطُبِعَ﴾: خُتم ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ بالكفر ﴿فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ﴾ الإيمانَ.

٤ ـ ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ﴾ لجمالها ﴿وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ﴾ لفصاحته ﴿كَأَنَّهُمۡ﴾ من عِظَم أجسامهم في ترك التفهّم ﴿خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞۖ﴾: ممالة إلىٰ الجدار ﴿يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ﴾ تُصاح، كنداء في العسكر وإنشاد ضالة ﴿عَلَيۡهِمۡۚ﴾ لما في قلوبهم من الرعب أن ينزل فيهم ما يُبيح دماءهم ﴿هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ﴾ فإنهم يُفشون سرَّك للكفار ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ﴾: أهلكهم ﴿أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾: كيف يصرفون عن الإيمان بعد قيام البرهان.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾

سُورَةُ التَّغَابُنِ

مدنية ٦٤ — آياتها ١٨

٥ - ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ﴾ معتذرين.

﴿يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْاْ﴾: عطفوا ﴿رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾: يُعرضون عن ذلك ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾.

٦ - ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ﴾، استغني بهمزة الاستفهام عن همزة الوصل ﴿أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾.

٧ - ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ لأصحابهم من الأنصار:

﴿لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ من المهاجرين ﴿حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ﴾: يتفرقوا عنه.

﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ بالرزق فهو الرازق للمهاجرين وغيرهم ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾.

٨ - ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ﴾ أي: من غزوة بني المصطلق ﴿إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ﴾ عنوْا به أنفسهم ﴿مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ عنوْا به المؤمنين.

﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ﴾: الغلبة ﴿وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

٩ - ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ﴾: تشغلكم ﴿أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾: الصلوات الخمس.

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾.

١٠ - ﴿وَأَنفِقُواْ﴾ في الزكاة ﴿مِن مَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ﴾ بمعنىٰ: هلا، أو (لا) زائدة و(لو) للتمني ﴿أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ﴾، بإدغام التاء في الأصل في الصاد: أتصدّق بالزكاة ﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ بأن أحجَّ.

قال العلامة عبد الرزاق عفيفي: [ذكر الله أعمُّ من الصلوات الخمس، والتصدق أعمُّ من الزكاة، والصلاح أعمُّ من الحج، فلو عمّم المفسّر في المواضع الثلاثة كان أوفق، إلا أن يقال:

إنه من التفسير بالمثال والتنبيه للمطلوب بجزئي من جزئياته].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما قصّر أحد في الزكاة والحج إلا سأل الرجعة عند الموت.

١١ - ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾

سُورَةُ التَّغَابُنِ

مكية أو مدنية، ثماني عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١ ـ ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: ينزهه، فاللام زائدة، وأتى بـ (ما) دون (مَن) تغليباً للأكثر ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

٢ ـ ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

٣ ـ ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ إذ جعل شكل الآدمي أحسن الأشكال ﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾.

٤ ـ ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بما فيها من الأسرار والمعتقدات.

٥ ـ ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ﴾: خبر ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾: عقوبة كفرهم في الدنيا ﴿وَلَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مُؤلم.

٦ ـ ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: عذاب الدنيا ﴿بِأَنَّهُ﴾ ضمير الشأن ﴿كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾: الحجج الظاهرات على الإيمان ﴿فَقَالُوا أَبَشَرٌ﴾، أُريد به الجنس ﴿يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا﴾ عن الإيمان ﴿وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ﴾ عن إيمانهم ﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ﴾ عن خلقه ﴿حَمِيدٌ﴾: محمود في أفعاله.

٧ ـ ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن﴾، مُخففة واسمها محذوف، أي: أنهم ﴿لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

٨ ـ ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ﴾: القرآن ﴿الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

٩ ـ اذكر ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾: يوم القيامة ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ يغبن المؤمنون الكافرين بأخذ منازلهم وأهليهم في الجنة لو آمنوا.

﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٠﴾ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٢﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿١٥﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعِفۡهُ لَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٨﴾

سُورَةُ الطَّلَاقِ

ترتيبها ٦٥ — آياتها ١٢

١٠ ـ ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ : القرآن ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ هي.

١١ ـ ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ﴾ : بقضائه.

﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ في قوله: إن المصيبة بقضائه ﴿يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ﴾ للصبر عليها.

﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾.

١٢ ـ ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ : البيّن.

١٣ ـ ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾.

١٤ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ﴾ أن تطيعوهم في التخلف عن الخير، كالجهاد والهجرة، فإن سبب نزول الآية الإطاعة في ذلك ﴿وَإِن تَعۡفُواْ﴾ عنهم في تثبيطهم إياكم عن ذلك الخير معتلين بمشقة فراقكم عليهم ﴿وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾.

١٥ ـ ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ﴾ لكم شاغلة عن أمور الآخرة ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾ فلا تُفوّتوه باشتغالكم بالأموال والأولاد.

١٦ ـ ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ ناسخة لقوله: (ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ) ﴿وَٱسۡمَعُواْ﴾ ما أمرتم به سماعَ قبول. ﴿وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ﴾ في الطاعة ﴿خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ﴾، خبر (يكن) مقدرة جواب الأمر ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ : الفائزون.

١٧ ـ ﴿إِن تُقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا﴾ بأن تتصدقوا عن طيب نفس ﴿يُضَٰعِفۡهُ لَكُمۡ﴾ بالواحدة عشراً إلىٰ سبع مئة وأكثر ﴿وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ﴾ ما يشاء ﴿وَٱللَّهُ شَكُورٌ﴾ : مجازٍ علىٰ الطاعة ﴿حَلِيمٌ﴾ في العقاب علىٰ المعصية.

١٨ ـ ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ﴾ : السرّ ﴿وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ : العلانية ﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ في صنعه وشؤونه كلها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۚ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ۚ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَٰلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴿٥﴾

نصف الحزب ٥٦

سورة الطلاق

مدنية، ثلاث عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١ ـ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾، المراد أمته بقرينة ما بعده، أو قل لهم: ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ أي: أردتم الطلاق ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ لأولها بأن يكون الطلاق في طُهر لم تُمسَّ فيه، لتفسيره ﷺ بذلك، رواه الشيخان ﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾: احفظوها لتُراجعوا قبل فراغها ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾: أطيعوه في أمره ونهيه ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ﴾ منها حتىٰ تنقضيَ عدتهن ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾ قيل: هي الزنىٰ، فَيُخْرَجن لإقامة الحدّ عليهن، وقيل: إلا أن تصدر منهن بذاءة علىٰ الأزواج ويفحشن في القول فيحلّ حينئذٍ إخراجهن، ﴿وَتِلْكَ﴾ المذكورات ﴿حُدُودُ اللَّهِ ۚ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ۚ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ الطلاقِ ﴿أَمْرًا﴾: مراجعةً فيما إذا كان واحدة أو اثنتين.

٢ ـ ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾: قاربنَ انقضاءَ عدتهن ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ بأن تُراجِعُوهن ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ من غير ضرار ﴿أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾: اتركوهن حتىٰ تنقضي عدتهن، ولا تُضاروُّهن بالمراجعة ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ علىٰ المراجعة أو الفراق ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ لا للمشهود عليه، أو له ﴿ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ من كرب الدنيا والآخرة.

٣ ـ ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾: يخطر بباله ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ في أموره ﴿فَهُوَ حَسْبُهُ﴾: كافيه ﴿إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾: مراده ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ كرخاء وشدة ﴿قَدْرًا﴾: ميقاتاً.

٤ ـ ﴿وَاللَّائِي﴾، بهمزة وياء ﴿يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ﴾ بمعنىٰ: الحَيْض ﴿مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ﴾: شككتم في عدتهن ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ﴾ لصغرهن فعدتهن ثلاثة أشهر، والمسألتان في غير المتوفّىٰ عنهن أزواجهن، أما هن فعدتهن ما في آية: (يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا) ﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ﴾: انقضاء عدتهن مطلقات أو متوفّى عنهن أزواجهن ﴿أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ في الدنيا والآخرة.

٥ ـ ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور في العِدَّة ﴿أَمْرُ اللَّهِ﴾: حكمُه ﴿أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾.

أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُواْ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾

٦ ـ ﴿أَسْكِنُوهُنَّ﴾ أي: المطلقات ﴿مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم﴾ أي: بعض مساكنكم ﴿مِّن وُجْدِكُمْ﴾ أي: سَعتكم، بدل مما قبله بإعادة الجار وتقدير مضاف، أي: أمكنة سعتكم لا ما دونها.

﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيْهِنَّ﴾ المساكنَ، فيحتجن إلىٰ الخروج أو النفقة، فيفتدين منكم.

﴿وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُواْ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ﴾ أولادكم منهن ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ علىٰ الإرضاع ﴿وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُم﴾ وبينهن ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾: بجميل في حق الأولاد، بالتوافق علىٰ أجر معلوم علىٰ الإرضاع ﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ﴾: تضايقتم في الإرضاع، فامتنع الأب من الأجرة والأم من فعله ﴿فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ﴾: للأب ﴿أُخْرَىٰ﴾ ولا تُكره الأم علىٰ إرضاعه.

٧ ـ ﴿لِيُنفِقْ﴾ علىٰ المطلقات والمرضعات ﴿ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ﴾: ضُيِّقَ ﴿عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ﴾: أعطاه ﴿ٱللَّهُ﴾ علىٰ قَدْره.

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾.

٨ ـ ﴿وَكَأَيِّن﴾، بمعنىٰ (كم) ﴿مِّن قَرْيَةٍ﴾ أي: وكثير من القرىٰ ﴿عَتَتْ﴾: عَصتْ، يعني أهلها ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا﴾ في الآخرة، وإن لم تجيء لتحقق وقوعها ﴿حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا﴾: فظيعاً، وهو عذاب النار.

٩ ـ ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾: عقوبته ﴿وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾: خساراً وهلاكاً.

١٠ ـ ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾، تكرير الوعيد توكيد ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: أصحاب العقول ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، نعت للمنادىٰ ﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾: هو القرآن.

١١ ـ ﴿رَّسُولًا﴾ أي: محمداً ﷺ، منصوب بفعل مقدّر، أي: وأرسل ﴿يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ بعد مجيء الذكر والرسول ﴿مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: الكفر الذي كانوا عليه ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾: الإيمان الذي قام بهم بعد الكفر ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا﴾: هو رِزْق الجنة التي لا يَنْقطع نعيمها.

١٢ ـ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ يعني سبع أرضين ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ﴾: الوحيُ ﴿بَيْنَهُنَّ﴾: بين السماوات والأرض ﴿لِتَعْلَمُوٓاْ﴾ متعلق بمحذوف، أي: أعلمكم بذلك الخلق والتنزيل ﴿أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾.

سورة التحريم

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾

سورة التحريم

مدنية، اثنتا عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ من أَمَتك ماريةَ القِبْطيَّة ـ لمّا واقعها في بيتِ حَفْصَة وكانت غائبة، فجاءت وشقَّ عليها كون ذلك في بيتها وعلىٰ فراشِها ـ حيث قُلتَ: «هي حرامٌ علي» ﴿تَبْتَغِي﴾ بتحريمها ﴿مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾ أي: رضاهُنّ ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ غفر لك هذا التحريم.

٢ ـ ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ﴾: شرع ﴿لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾: تحليلها بالكفارة المذكورة في سورة المائدة، ومن الأيمان تحريم الأمة، وهل كَفَّر ﷺ؟ قال مقاتل: أعتق رقبة في تحريم مَارية، وقال الحسن: لم يُكَفِّر لأنه ﷺ مغفور له ﴿وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾: ناصركم ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾.

٣ ـ ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ﴾ هي حَفْصَة ﴿حَدِيثًا﴾ هو تحريم مَارية، وقال لها: «لا تُفشيه» ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ﴾ عائشةَ ظنّاً منها أن لا حرَجَ في ذلك ﴿وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ﴾: أطلَعَهُ ﴿عَلَيْهِ﴾ علىٰ المنبَّأ به ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُ﴾ لحَفْصَة ﴿وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾ تكرُّماً منه ﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ أي: الله.

٤ ـ ﴿إِنْ تَتُوبَا﴾ أي: حَفْصَة وعائشة ﴿إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾: مالت إلىٰ تحريم مارية، أي: سَرَّكُما ذلك مع كَراهة النبي ﷺ له، وذلك ذنب، وجواب الشرط محذوف، أي: تُقْبَلا. وأُطلق (قلوب) علىٰ (قلبين) ولم يُعبَّر به لاستثقال الجمع بين تثنيتين فيما هو كالكلمة الواحدة ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا﴾: تتعاونا ﴿عَلَيْهِ﴾ أي: النبي فيما يكرهه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ﴾، والضمير (هو) ضمير فصل ﴿مَوْلَاهُ﴾: ناصره ﴿وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾: من أمثال أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وغيرهما ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾: بعد نصر الله والمذكورين ﴿ظَهِيرٌ﴾: ظُهراء أعوان له في نصره عليكما.

٥ ـ ﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ﴾ أي: طلق النبي أزواجه ﴿أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ﴾: مُقرات بالإسلام ﴿مُؤْمِنَاتٍ﴾: مخلصات ﴿قَانِتَاتٍ﴾: مطيعات ﴿تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ﴾: صائمات أو مهاجرات ﴿ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾.

٦ ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ﴾ بالحمل علىٰ طاعة الله ﴿نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ﴾: الكفار ﴿وَالْحِجَارَةُ﴾ كأصنامهم منها، يعني أنها مفرطة الحرارة تتقد بما ذكر، لا كَنار الدنيا تَتقِدُ بالحطب ونحوه ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ﴾: خزَنتُها، عِدَّتهُم تسعةَ عشرَ كما سيأتي في المُدَّثِر ﴿غِلَاظٌ﴾، من غِلَظ القلب ﴿شِدَادٌ﴾ في البطش ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ﴾، أي: لا يعصون أمرَ الله ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾، تأكيد، والآية تخويف للمؤمنين عن الارتدَاد، وللمنافقين المؤمنين بألسنتهم دون قلوبهم.

٧ ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ﴾ يقال لهم ذلك عند دخولهم النار، أي: لأنه لا ينفعكم ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: جزاءه.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَـٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَـٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَـٰنِتِينَ ﴿١٢﴾

٨ ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾: صادقة بأن لا يُعاد إلىٰ الذنب ولا يُراد العودُ إليه ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ﴾، تَرْجِيَةٌ تقع أي: هذا الترجّي واقع فضلاً من الله وكرماً منه سبحانه علىٰ القاعدة المعروفة:

كل ترجٍّ في القرآن من الله تبارك وتعالىٰ فهو واجب الوقوع، وهو هنا التكفير وإدخال الجنة.

﴿أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّـٰتٍ﴾: بساتين ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ﴾ بإدخال النار ﴿ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: أمامهم ﴿وَ﴾ يكون ﴿بِأَيْمَـٰنِهِمْ يَقُولُونَ﴾، مستأنف ﴿رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾ إلىٰ الجنة، والمنافقون يُطفأ نورُهم ﴿وَٱغْفِرْ لَنَآ﴾ ربَّنا ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

٩ ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ﴾ بالسيف ﴿وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ﴾ باللسان والحجة ﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ بالانتهار والمقت ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ هي.

١٠ ـ ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَـٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾ في الدين إذْ كفرتا، وكانت امرأة نوح ـ واسمها واهلة ـ تقول لقومه: إنه مجنون، وامرأة لوط ـ واسمها واعلة ـ تدل قومه علىٰ أضيافه إذا نزلوا به ليلاً بإيقاد النار، ونهاراً بالتدخين ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا﴾ أي: نوح ولوط ﴿عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ﴾: من عذابه ﴿شَيْـًٔا وَقِيلَ﴾ لهما: ﴿ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾: من كفار قوم نوح وقوم لوط.

١١ ـ ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ آمنت بموسىٰ، واسمها آسية، فعذبها فرعون بأن أوتد يديها ورجليها وألقىٰ علىٰ صدرها رحًى عظيمة، واستقبل بها الشمس، فكانت إذا تفرَّق عنها من وُكل بها، ظلَّلتها الملائكة.

﴿إِذْ قَالَتْ﴾ في حال التعذيب: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ﴾ فكُشف لها، فرأته، فسَهُل عليها التعذيبُ ﴿وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ﴾ وتعذيبه ﴿وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾: أهل دينه، فقبَضَ الله روحَها.

١٢ ـ ﴿وَمَرْيَمَ﴾، عطف علىٰ (امرأة فرعون) ﴿ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾: حفظته ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ أي: جبريل حيث نفخ في جيب درعها بخلق الله تعالىٰ فِعلَه الواصلَ إلىٰ فرجها فحملت بعيسىٰ، ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَـٰتِ رَبِّهَا﴾: شرائعه ﴿وَكُتُبِهِۦ﴾ المنزلة ﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَـٰنِتِينَ﴾: من القوم المطيعين.

سُورَةُ المُلْك

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾

الجزء ٢٩ الحزب ٥٧

سورة الملك

مكية، ثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿تَبَٰرَكَ﴾ أي: تعالىٰ وتعاظم وعظم خيره وإحسانه وتنزه وتقدَّس ﴿ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

٢ ـ ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ﴾ في الدنيا ﴿وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ في الآخرة، أو هما في الدنيا، فالنطفة تعرض لها الحياة، وهي ما به الإحساس، والموت ضدُّها، أو عدمها، قولان، والخلق على الثاني بمعنىٰ التقدير. قال ابن كثير: ومعنىٰ الآية أنه أوجد الخلائق من العدم ليبلوهم أي: يختبرهم أيّهم أحسن عملاً. ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾: ليختبركم في الحياة ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾: أطوع لله ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في انتقامه ممن عصاه ﴿ٱلْغَفُورُ﴾ لمن تاب إليه.

٣ ـ ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ بعضها فوق بعض من غير مماسة ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ لهن أو لغيرهن ﴿مِن تَفَٰوُتٍ﴾: تبايُن وعدم تناسب ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ﴾: أعِدْهُ إلىٰ السماء ﴿هَلْ تَرَىٰ﴾ فيها ﴿مِن فُطُورٍ﴾: صُدُوع وشُقُوق.

٤ ـ ﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾: كرَّة بعد كرَّة ﴿يَنقَلِبْ﴾: يرجع ﴿إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا﴾: ذليلاً لعدم إدراك خَلَل ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾: منقطع عن رؤية خلل.

٥ ـ ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا﴾: القربىٰ إلىٰ الأرض ﴿بِمَصَٰبِيحَ﴾: بنجوم ﴿وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا﴾: مراجم ﴿لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ إذا استرقوا السمع، بأن ينفصل شهاب عن الكوكب كالقَبَس يُؤخذ من النار، فيقتل الجنيَّ أو يخبله، لا أن الكوكب يزول عن مكانه ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾: النار الموقدة.

٦ ـ ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ هي.

٧ ـ ﴿إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا﴾: صوتاً منكراً كصوت الحمار ﴿وَهِىَ تَفُورُ﴾: تغلي.

٨ ـ ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ﴾: تتقطّع ﴿مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ غضباً علىٰ الكفار ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ﴾: جماعةٌ منهم ﴿سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ﴾ سؤال توبيخ: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾: رسول ينذركم عذاب الله تعالىٰ؟

٩ ـ ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ﴾: ما ﴿أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ﴾ يحتمل أن يكون من كلام الملائكة للكفار حين أخبروا بالتكذيب، وأن يكون من كلام الكفار للنذر، وهذا الاحتمال هو الأرجح أي: أن يكون من كلام الكفار للنذر.

١٠ ـ ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ﴾ أي: سماع تفهم ﴿أَوْ نَعْقِلُ﴾ أي: عقل تفكر ﴿مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾.

١١ ـ ﴿فَٱعْتَرَفُوا۟﴾ حيث لا ينفع الاعتراف ﴿بِذَنۢبِهِمْ﴾ وهو تكذيب النذر ﴿فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾: فبعداً لهم عن رحمة الله.

١٢ ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم﴾: يخافونه ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ في غيبتهم عن أعين الناس، فيطيعونه سرّاً، فيكون علانية أولىٰ ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ أي: الجنة.

وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ (١٣) أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ (١٤) هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ (١٥) ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ (١٦) أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًاۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ (١٧) وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (١٨) أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ (١٩) أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ (٢٠) أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥۚ بَل لَّجُّواْ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ (٢١) أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٢٢) قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ (٢٣) قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٤) وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٢٥) قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٢٦)

١٣ ـ ﴿وَأَسِرُّواْ﴾ أيها الناس ﴿قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ﴾ تعالىٰ ﴿عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾: بما فيها، فكيف بما نطقتم به؟ وسبب نزول ذلك أن المشركين قال بعضهم لبعض: أسِرُّوا قولَكم لا يسمعكم إلٰه محمد.

١٤ ـ ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ ما تُسِرُّون، أي: أينتفي علمه بذلك ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ﴾ في علمه ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ فيه؟ لا.

١٥ ـ ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا﴾: سهلة للمشي فيها ﴿فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا﴾: جوانبها ﴿وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦۖ﴾ المخلوق لأجلكم ﴿وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ من القبور للجزاء.

١٦ ـ ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: أأمنتم الله الذي في العلو، ذلك لأن المراد بالسماء هنا العلوّ. ﴿أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ﴾: تتحرك بكم وترتفع فوقكم.

١٧ ـ ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًاۖ﴾: ريحاً ترميكم بالحصباء ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾ عند معاينة العذاب ﴿كَيْفَ نَذِيرِ﴾: إنذاري بالعذاب، أي: إنه حق.

١٨ ـ ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾: إنكاري عليهم بالتكذيب عند إهلاكهم، أي: إنه حق.

١٩ ـ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ﴾: ينظروا ﴿إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ﴾: في الهواء ﴿صَٰٓفَّٰتٍ﴾: باسطاتٍ أجنحتهن ﴿وَيَقْبِضْنَۚ﴾ أجنحتَهن بعد البسط، أي: وقابضات ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾ عن الوقوع في حال البسط والقبض ﴿إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُۚ﴾ بقدرته ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ﴾ المعنىٰ: ألم يستدلوا بثبوت الطير في الهواء علىٰ قدرتنا أن نفعل بهم ما تقدم وغيرَه من العذاب؟.

٢٠ ـ ﴿أَمَّنْ﴾، مبتدأ ﴿هَٰذَا﴾، خبره ﴿ٱلَّذِى﴾، بدل من (هذا) ﴿هُوَ جُندٌ﴾: أعوان ﴿لَّكُمْ﴾، صلة (الذي) ﴿يَنصُرُكُم﴾، صفة (جند) ﴿مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِۚ﴾ أي: غيره يدفع عنكم عذابه؟ أي: لا ناصر لكم ﴿إِنِ﴾: ما ﴿ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ﴾: غرَّهم الشيطان بأن العذاب لا ينزل بهم. ٢١ ـ ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ﴾ الرحمٰن ﴿رِزْقَهُۥۚ﴾ أي: المطر عنكم، وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله، أي: فمن يرزقكم؟ أي: لا رازق لكم غيره ﴿بَل لَّجُّواْ﴾: تمادَوْا ﴿فِى عُتُوٍّ﴾: تكَبُّرٍ ﴿وَنُفُورٍ﴾: تباعد عن الحق. ٢٢ ـ ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا﴾: واقعاً ﴿عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا﴾: معتدلاً ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ﴾: طريق ﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾، وخبر (مَن) الثانية محذوف دل عليه خبر الأولىٰ، أي: أهدىٰ، والمَثَل في المؤمن والكافر، أي: أيهما علىٰ هُدًى؟ ٢٣ ـ ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ﴾: خلقكم ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَۖ﴾: القلوب ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ (ما) مزيدة، والجملة مستأنفة مخبرة بقلة شكرهم جداً علىٰ هذه النعم. ٢٤ ـ ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ﴾: خلقكم ﴿فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ للحساب. ٢٥ ـ ﴿وَيَقُولُونَ﴾ للمؤمنين: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾: وعد الحشر ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ فيه؟ ٢٦ ـ ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ﴾ بمجيئه ﴿عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾: بيِّن الإنذار.

فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ ﴿٣٠﴾

سُورَةُ القَلَمِ

ترتيبها ٦٨ — آياتها ٥٢

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾

ربع الحزب ٥٧

٢٧ ـ ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ أي: العذاب بعد الحشر ﴿زُلْفَةً﴾: قريباً ﴿سِيٓـَٔتْ﴾: اسودّت ﴿وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ﴾ أي: قال الخزنة لهم: ﴿هَٰذَا﴾ أي: العذاب ﴿ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ﴾: بإنذاره ﴿تَدَّعُونَ﴾ أنكم لا تبعثون، وهذه حكاية حالٍ تأتي، عبَّر عنها بطريق المضيّ لتحقق وقوعها. ٢٨ ـ ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ﴾ من المؤمنين بعذابه كما تقصدون ﴿أَوْ رَحِمَنَا﴾ فلم يُعذبنا ﴿فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾؟ أي: لا مجير لهم منه. ٢٩ ـ ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ﴾ عند معاينة العذاب ﴿مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾: بيِّن، أنحن أم أنتم، أم هم. ٣٠ ـ ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا﴾: غائراً في الأرض ﴿فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ﴾: جارٍ تناله الأيدي والدّلاء كمائكم؟ أي: لا يأتي به إلا الله تعالىٰ، فكيف تنكرون أن يبعثكم؟ ويستحب أن يقول القارئ عقب (معين): الله رب العالمين، كما ورد في الحديث.

سُورَةُ نٓ

مكية، ثنتان وخمسون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ ـ ﴿نٓ﴾ أحد حروف الهجاء، الله أعلم بمراده به ﴿وَٱلْقَلَمِ﴾ الذي كتب به الكائنات في اللوح المحفوظ ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ أي: الملائكة من الخير والصلاح. ٢ ـ ﴿مَآ أَنتَ﴾ يا محمد ﴿بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ أي: انتفىٰ الجنون عنك بسبب إنعام ربك عليك بالنبوة وغيرها، وهذا ردٌّ لقولهم: إنه مجنون. ٣ ـ ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾: مقطوع. ٤ ـ ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾. ٥ ـ ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ﴾. ٦ ـ ﴿بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾، مصدر كالمعقول، أي: الفُتون، بمعنىٰ: الجنون، أي: أبك أم بهم. ٧ ـ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ له، وأعلم بمعنىٰ: عالم. ٨ ـ ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾. ٩ ـ ﴿وَدُّوا۟﴾: تمنَّوا ﴿لَوْ﴾، مصدرية ﴿تُدْهِنُ﴾: تلينُ لهم ﴿فَيُدْهِنُونَ﴾: يلينون لك، وهو معطوف علىٰ (تدهن)، وإنْ جُعل جواب التمني المفهوم من (ودُّوا) قُدِّرَ قبله بعد الفاء: هم. ١٠ ـ ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ﴾: كثير الحَلِفِ بالباطل ﴿مَّهِينٍ﴾: حقير. ١١ ـ ﴿هَمَّازٍ﴾: عيَّاب، أي: مغتاب ﴿مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ﴾: ساع بالكلام بين الناس علىٰ وجه الإفساد بينهم. ١٢ ـ ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾: بخيلٍ بالمال عن الحقوق ﴿مُعْتَدٍ﴾: ظالم ﴿أَثِيمٍ﴾: آثم. ١٣ ـ ﴿عُتُلٍّۭ﴾: غليظ جاف ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾: دَعِيٌّ في قريش. جاء في «صحيح البخاري» (٤٩١٧) عن ابن عباس: (عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ) قال: رجلٌ في قريش له زنمة مثل زنمة الشاة. قال ابن عباس: لا نعلم أن الله وصف أحداً بما وصفه به من العيوب، فألحق به عاراً لا يفارقه أبداً. وتعلّق بـ (زنيم) الظرف قبله. ١٤ ـ ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ أي: لأن وهو متعلق بما دل عليه. ١٥ ـ ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا﴾: القرآن ﴿قَالَ﴾: هي ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي: كذَّب بها لإنعامنا عليه بما ذكر.

سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلۡخُرۡطُومِ ﴿١٦﴾ إِنَّا بَلَوۡنَٰهُمۡ كَمَا بَلَوۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ إِذۡ أَقۡسَمُواْ
لَيَصۡرِمُنَّهَا مُصۡبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسۡتَثۡنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيۡهَا طَآئِفٞ مِّن رَّبِّكَ
وَهُمۡ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصۡبَحَتۡ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوۡاْ مُصۡبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ
ٱغۡدُواْ عَلَىٰ حَرۡثِكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُواْ وَهُمۡ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾
أَن لَّا يَدۡخُلَنَّهَا ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكُم مِّسۡكِينٞ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوۡاْ عَلَىٰ حَرۡدٖ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا
رَأَوۡهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوۡسَطُهُمۡ أَلَمۡ أَقُل
لَّكُمۡ لَوۡلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقۡبَلَ
بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ
رَبُّنَآ أَن يُبۡدِلَنَا خَيۡرٗا مِّنۡهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلۡعَذَابُۖ وَلَعَذَابُ
ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ
﴿٣٤﴾ أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمۡ
لَكُمۡ كِتَٰبٞ فِيهِ تَدۡرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمۡ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمۡ لَكُمۡ أَيۡمَٰنٌ
عَلَيۡنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمۡ لَمَا تَحۡكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلۡهُمۡ أَيُّهُم
بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَآءُ فَلۡيَأۡتُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾
يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾

١٦ ـ ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾: سنجعل على أنفه علامة يُعيَّر بها ما عاش، فخُطم أنفه بالسيف يوم بدر.

١٧ ـ ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ﴾: امتحنَّا أهل مكة بالقحط والجوع ﴿كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾: البستان ﴿إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا﴾: يقطعون ثمرتها ﴿مُصْبِحِينَ﴾: وقت الصباح كي لا يشعر بهم المساكين، فلا يُعطونهم منها ما كان أبوهم يتصدق به عليهم منها.

١٨ ـ ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾ في يمينهم بمشيئة الله تعالىٰ، والجملة مستأنفة، أي: وشأنهم ذلك. ١٩ ـ ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ﴾: نار أحرقتها ليلاً ﴿وَهُمْ نَائِمُونَ﴾.

٢٠ ـ ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾: كالليل الشديد الظلمة، أي: سوداء. ٢١ ـ ﴿فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ﴾.

٢٢ ـ ﴿أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ﴾: غلّتكم، تفسير للتّنادي ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ﴾: مريدين القطع، وجواب الشرط دل عليه ما قبله. ٢٣ ـ ﴿فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ﴾: يتسارُّون. ٢٤ ـ ﴿أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ﴾، تفسير لما قبله. ٢٥ ـ ﴿وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ﴾: منع للفقراء ﴿قَادِرِينَ﴾ عليه في ظنهم. ٢٦ ـ ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا﴾ سوداءَ محترقة ﴿قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ﴾ عنها، أي: ليست هذه، ثم قالوا لما علموها: ٢٧ ـ ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ ثمرتَها بمنعنا الفقراء منها. ٢٨ ـ ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾: خيرهم: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا﴾: هلَّا ﴿تُسَبِّحُونَ﴾ الله تائبين. ٢٩ ـ ﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ بمنع الفقراء حقَّهم. ٣٠ ـ ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ﴾. ٣١ ـ ﴿قَالُوا يا﴾، للتنبيه ﴿وَيْلَنَا﴾: هلاكنا ﴿إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ﴾. ٣٢ ـ ﴿عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾ ليقبلَ توبتَنا ويرد علينا خيراً من جنتنا. ٣٣ ـ ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل العذاب لهؤلاء ﴿الْعَذَابُ﴾ لمن خالف أمرنا من كفار مكة وغيرهم ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ عذابَها، ما خالفوا أمرنا. ٣٤ ـ ونزل لما قالوا: إن بُعثنا نُعطَ أفضلَ منكم: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾. ٣٥ ـ ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ أي: مساوين لهم في العطاء؟ ٣٦ ـ ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ هذا الحكم الفاسد؟ ٣٧ ـ ﴿أَمْ﴾ أي: بل ﴿لَكُمْ كِتَابٌ﴾ منزّلٌ ﴿فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾ أي: تقرؤون. ٣٨ ـ ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾: تختارون. ٣٩ ـ ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ﴾: عهود ﴿عَلَيْنَا بَالِغَةٌ﴾: واثقة ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾، متعلّق معنًى بـ (علينا)، وفي هذا الكلام معنىٰ القسم، أي: أقسمنا لكم، وجوابه: ﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ به لأنفسكم. ٤٠ ـ ﴿سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذَلِكَ﴾ الحكم الذي يحكمون به لأنفسهم من أنهم يُعطَون في الآخرة أفضلَ من المؤمنين ﴿زَعِيمٌ﴾: كفيل لهم؟ ٤١ ـ ﴿أَمْ لَهُمْ﴾ أي: عندهم ﴿شُرَكَاءُ﴾ موافقون لهم في هذا المقول يكفُلون لهم به؟ فإن كان كذلك ﴿فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ﴾ الكافلين لهم به ﴿إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾. ٤٢ ـ اذكر ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ هو عبارة عن شدة الأمر يومَ القيامة للحساب والجزاء. قال العلامة عبد الرزاق عفيفي: روي معنىٰ ذلك عن ابن عباس. يقال: كشفت الحرب عن ساق: إذا اشتد الأمرُ فيها ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ﴾ امتحاناً لإيمانهم ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ تصير ظهورهم طبقاً واحداً.

خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾

سُورَةُ الحَاقَّة

ترتيبها ٦٩ — آياتها ٥٢

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾

نصف الحزب ٥٧

٤٣ ـ ﴿خَٰشِعَةً﴾، حال من ضمير (يُدعون) أي: ذليلة ﴿أَبْصَٰرُهُمْ﴾ لا يرفعونها ﴿تَرْهَقُهُمْ﴾: تغشاهم ﴿ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ﴾ في الدنيا ﴿إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾ فلا يأتون به بأن لا يُصلُّوا. ٤٤ ـ ﴿فَذَرْنِى﴾: دعني ﴿وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾: القرآن ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾: نأخذهم قليلاً قليلاً ﴿مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾. ٤٥ ـ ﴿وَأُمْلِى لَهُمْ﴾: أمهلُهم ﴿إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾: شديد لا يطاق. ٤٦ ـ ﴿أَمْ﴾: بل أ ﴿تَسْـَٔلُهُمْ﴾ علىٰ تبليغ الرسالة ﴿أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ﴾ مما يعطونكه ﴿مُّثْقَلُونَ﴾ فلا يؤمنون لذلك. ٤٧ ـ ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ﴾ أي: اللوح المحفوظ الذي فيه الغيب ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ منه ما يقولون. ٤٨ ـ ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ فيهم بما يشاء ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ في الضَّجر والعجلة، وهو يونس عليه السلام ﴿إِذْ نَادَىٰ﴾: دعا ربه ﴿وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾: مملوءٌ غمّاً في بطن الحوت. ٤٩ ـ ﴿لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ﴾: أدركه ﴿نِعْمَةٌ﴾: رحمةٌ ﴿مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ﴾ من بطن الحوت ﴿بِٱلْعَرَآءِ﴾: بالأرض الفضاء ﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ لكنه رُحم، فنُبذ غيرَ مذموم. ٥٠ ـ ﴿فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾ بالنبوة ﴿فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: الأنبياء. ٥١ ـ ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ﴾ أي: ينظرون إليك نظراً شديداً يكاد أن يصرعك ويسقطك من مكانك ﴿لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ﴾: القرآن ﴿وَيَقُولُونَ﴾ حسداً: ﴿إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾ بسبب القرآن الذي جاء به. ٥٢ ـ ﴿وَمَا هُوَ﴾ أي: القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾: موعظة ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾: الجن والإنس لا يَحدُث بسببه جنون.

سُورَةُ الحَاقَّة

مكية، إحدى ـ أو اثنتان ـ وخمسون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ ـ ﴿ٱلْحَآقَّةُ﴾: القيامة التي يحق فيها ما أُنكر من البعث والحساب والجزاء، أو المظهرة لذلك. ٢ ـ ﴿مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ تعظيم لشأنها، وهو مبتدأ وخبر، خبر (الحاقة). ٣ ـ ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾: أعلمك ﴿مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ زيادة تعظيم لشأنها، فـ (ما) الأولىٰ مبتدأ، وما بعدها خبره، و(ما) الثانية وخبرُها في محل المفعول الثاني لـ (أدرىٰ). ٤ ـ ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ﴾: القيامة، لأنها تقرع القلوب بأهوالها. ٥ ـ ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ﴾: بالصيحة المجاوزة للحدِّ في الشدة. ٦ ـ ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾: شديدة الصوت ﴿عَاتِيَةٍ﴾: قوية شديدة علىٰ عاد مع قوتهم وشدتهم. ٧ ـ ﴿سَخَّرَهَا﴾: أرسلها بالقهر ﴿عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ﴾ وكانت في عَجُز الشتاء ﴿حُسُومًا﴾: متتابعات، شبهت بتتابع فعل الحاسِم في إعادة الكيّ علىٰ الداء كرَّة بعد أخرىٰ حتىٰ ينحسم ﴿فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ﴾: مطروحين هالكين ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ﴾: أصول ﴿نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾: ساقطة فارغة. ٨ ـ ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾، صفة (نفس) مقدرة، أو التاء للمبالغة، أي: باقٍ؟ لا.

وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَـٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَـٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَـٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَـٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَـٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَـٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَـٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَـٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾

سكتة لطيفة على هاء ماليه

٩ ـ ﴿وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ﴾: من تقدّمه من الأمم الكافرة ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَـٰتُ﴾ أي: أهلها، وهي قرىٰ قوم لوط ﴿بِٱلْخَاطِئَةِ﴾، بالفَعلات ذات الخطأ.

١٠ ـ ﴿فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾ أي: لوطاً وغيره ﴿فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً﴾: زائدة في الشدة علىٰ غيرها.

١١ ـ ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ﴾: علا فوق كل شيء من الجبال وغيرها زمن الطوفان ﴿حَمَلْنَـٰكُمْ﴾ يعني آباءكم إذ أنتم في أصلابهم ﴿فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾: السفينة التي عملها نوح، ونجا هو ومن كان معه فيها، وغرق الباقون.

١٢ ـ ﴿لِنَجْعَلَهَا﴾ أي: هذه الفَعْلة، وهي إنجاء المؤمنين وإهلاك الكافرين ﴿لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾: عظة ﴿وَتَعِيَهَآ﴾: ولتحفظها ﴿أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾: حافظة لما تسمع.

١٣ ـ ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ للفصل بين الخلائق، وهي الثانية.

١٤ ـ ﴿وَحُمِلَتِ﴾: رفعت ﴿ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا﴾: دُقّتا ﴿دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾.

١٥ ـ ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾: قامت القيامة.

١٦ ـ ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾: ضعيفة.

١٧ ـ ﴿وَٱلْمَلَكُ﴾ يعني: الملائكة ﴿عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا﴾: جوانب السماء ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ﴾ أي: الملائكة المذكورين ﴿يَوْمَئِذٍ ثَمَـٰنِيَةٌ﴾ من الملائكة، أو ثمانية من صفوفهم.

١٨ ـ ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾ للحساب ﴿لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ من السرائر.

١٩ ـ ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ﴾ خطاباً لجماعته لِما سُرَّ به: ﴿هَآؤُمُ﴾: خذوا ﴿ٱقْرَءُوا۟ كِتَـٰبِيَهْ﴾.

٢٠ ـ ﴿إِنِّى ظَنَنتُ﴾: تيقنت ﴿أَنِّى مُلَـٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾.

٢١ ـ ﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾: مرضية.

٢٢ ـ ﴿فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾.

٢٣ ـ ﴿قُطُوفُهَا﴾: ثمارها ﴿دَانِيَةٌ﴾: قريبة يتناولها القائم والقاعد والمضطجع. ٢٤ ـ فيقال لهم: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا﴾، حال، أي: متهنئين ﴿بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾: الماضية في الدنيا. ٢٥ ـ ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يـا﴾، للتنبيه ﴿لَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَـٰبِيَهْ﴾. ٢٦ ـ ﴿وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ﴾. ٢٧ ـ ﴿يَـٰلَيْتَهَا﴾ أي: الموتة في الدنيا ﴿كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ﴾: القاطعة لحياتي بأن لا أُبعث. ٢٨ ـ ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ﴾. ٢٩ ـ ﴿هَلَكَ عَنِّى سُلْطَـٰنِيَهْ﴾: قوتي وحجتي، وهاء (كتابيه) و(حسابيه) و(ماليه) و(سلطانيه) للسكت، تثبت وقفاً ووصلاً اتّباعاً للمصحف الإمام والنقل، ومنهم من حذفها وصلاً. ٣٠ ـ ﴿خُذُوهُ﴾، خطاب لخزنة جهنم ﴿فَغُلُّوهُ﴾: اجمعوا يديه إلىٰ عنقه في الغُلّ. ٣١ ـ ﴿ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ﴾: النار المحرقة ﴿صَلُّوهُ﴾: أدخلوه. ٣٢ ـ ﴿ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ﴾ أي: أَدْخِلُوهُ فيها بعد إدخاله النار، ولم تمنع الفاء من تعلق الفعل بالظرف المتقدم. ٣٣ ـ ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ﴾. ٣٤ ـ ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾.

فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾

سُورَةُ المَعَارِج

آياتها ٤٤ — ترتيبها ٧٠

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾

٣٥ ـ ﴿فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ﴾: قريب ينتفع به. ٣٦ ـ ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾: صديد أهل النار، أو شجر فيها. ٣٧ ـ ﴿لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ﴾: الكافرون. ٣٨ ـ ﴿فَلَآ﴾، (لا) زائدة ﴿أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ﴾ من المخلوقات. ٣٩ ـ ﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ منها، أي: بكل مخلوق. ٤٠ ـ ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي: القرآن ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ أي: قاله رسالة عن الله تعالىٰ. ٤١ ـ ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾. ٤٢ ـ ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾، و(ما) زائدة مؤكِّدة، والمعنىٰ: أنهم آمنوا بأشياء يسيرة وتَذكَّروها مما أتىٰ به النبي ﷺ من الخير والصلة والعفاف، فلم تُغنِ عنهم شيئاً. ٤٣ ـ بل هو ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. ٤٤ ـ ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ﴾ أي: النبي ﴿عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ﴾ بأن قال عنا ما لم نقله. ٤٥ ـ ﴿لَأَخَذْنَا﴾: لَنِلْنا ﴿مِنْهُ﴾ عقاباً ﴿بِٱلْيَمِينِ﴾: ٤٦ ـ ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾: نياط القلب، وهو عِرق متصل به، إذا انقطع مات صاحبه. ٤٧ ـ ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾، هو اسم (ما)، و(مِن) زائدة لتأكيد النفي، و(منكم) حال من (أحد) ﴿عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾: مانعين، خبر (ما)، وجُمع لأن (أحداً) في سياق النفي بمعنىٰ الجمع، وضمير (عنه) للنبي ﷺ، أي: لا مانع لنا عنه من حيث العقاب. ٤٨ ـ ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي: القرآن ﴿لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾. ٤٩ ـ ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم﴾ أيها الناس ﴿مُّكَذِّبِينَ﴾ بالقرآن، ومصدقين. ٥٠ ـ ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي: القرآن ﴿لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ إذا رأوا ثواب المصدقين وعقاب المكذبين به. ٥١ ـ ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي: القرآن ﴿لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ أي: اليقينُ الحقُّ. ٥٢ ـ ﴿فَسَبِّحْ﴾: نزِّه ﴿بِٱسْمِ﴾، الباء زائدة ﴿رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ سبحانه.

سُورَةُ المَعَارِج

مكية، أربع وأربعون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ ـ ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ﴾: دعا داع ﴿بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾. ٢ ـ ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ﴾ هو النضر بن الحارث قال: (اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم). ٣ ـ ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾، متصل بـ (واقع) ﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾: مصاعد الملائكة، وهي السماوات. ٤ ـ ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ﴾: جبريل ﴿إِلَيْهِ﴾: ﴿فِى يَوْمٍ﴾، متعلق بمحذوف، أي: يقع العذاب بهم في يوم القيامة ﴿كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ بالنسبة إلىٰ الكافر، لما يلقىٰ فيه من الشدائد، وأما المؤمن فيكون عليه أخفَّ من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا، كما جاء في الحديث. ٥ ـ ﴿فَٱصْبِرْ﴾، هذا قبل أن يؤمر بالقتال ﴿صَبْرًا جَمِيلًا﴾ أي: لا جزَع فيه. ٦ ـ ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ﴾ أي: العذابَ ﴿بَعِيدًا﴾: غير واقع. ٧ ـ ﴿وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾: واقعاً لا محالة. ٨ ـ ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ﴾، متعلق بمحذوف، أي: يقع، ﴿كَٱلْمُهْلِ﴾: كذائب الفضة. ٩ ـ ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ﴾: كالصوف في الخفة والطيران بالريح. ١٠ ـ ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾: قريبٌ قريبَه، لاشتغال كلٍّ بحاله.

يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٥٧

١١ ـ ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ أي: يُبصر الأحمَّاء بعضُهم بعضاً، ويتعارفون ولا يتكلمون، والجملة مستأنفة ﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ﴾: يتمنىٰ الكافر ﴿لَوْ﴾، بمعنىٰ أن ﴿يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ﴾.

١٢ ـ ﴿وَصَٰحِبَتِهِۦ﴾: زوجته ﴿وَأَخِيهِ﴾.

١٣ ـ ﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾: عشيرته، لفصله منها ﴿ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ﴾: تضمه.

١٤ ـ ﴿وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ ذلك الافتداءُ، عطف علىٰ (يفتدي).

١٥ ـ ﴿كَلَّآ﴾ ردٌّ لما يوده ﴿إِنَّهَا﴾ أي: النار ﴿لَظَىٰ﴾ اسم لجهنم لأنها تتلظىٰ، أي: تتلهب علىٰ الكفار.

١٦ ـ ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾، جمع شَواةٍ، وهي جلدة الرأس.

١٧ ـ ﴿تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ﴾ عن الإيمان بأن تقول: إليَّ إليَّ.

١٨ ـ ﴿وَجَمَعَ﴾ المالَ ﴿فَأَوْعَىٰٓ﴾: أمسكه في وعائه، ولم يؤدِّ حقَّ الله منه.

١٩ ـ ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾، حال مقدرة، وتفسيره: ٢٠ ـ ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا﴾ وقت مسِّ الشرِّ.

٢١ ـ ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ وقت مسِّ الخير، أي: المال، لحقِّ الله منه.

٢٢ ـ ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾ أي: المؤمنين.

٢٣ ـ ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾: مواظبون.

٢٤ ـ ﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾: هو الزكاة.

٢٥ ـ ﴿لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾: المتعفف عن السؤال، فيُحرَم. ٢٦ ـ ﴿وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾: الجزاء. ٢٧ ـ ﴿وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾: خائفون. ٢٨ ـ ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ نزوله. ٢٩ ـ ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ﴾. ٣٠ ـ ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ من الإماء ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾. ٣١ ـ ﴿فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾: المتجاوزون الحلال إلىٰ الحرام. ٣٢ ـ ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ﴾: ما اؤتمنوا عليه من أمر الدين والدنيا ﴿وَعَهْدِهِمْ﴾ المأخوذ عليهم في ذلك ﴿رَٰعُونَ﴾: حافظون. ٣٣ ـ ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ﴾: يقيمونها ولا يكتمونها. ٣٤ ـ ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ بأدائها في أوقاتها. ٣٥ ـ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ﴾. ٣٦ ـ ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قِبَلَكَ﴾: نحوك ﴿مُهْطِعِينَ﴾، حال، أي: مديمي النظر. ٣٧ ـ ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ﴾ منك ﴿عِزِينَ﴾، حال أيضاً، أي: جماعات حِلَقاً حِلَقاً، يقولون استهزاء بالمؤمنين: لئن دخلِ هؤلاء الجنة لندخُلنَّها قبلهم. ٣٨ ـ قال تعالىٰ: ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾؟ ٣٩ ـ ﴿كَلَّآ﴾ ردع لهم عن طمعهم في الجنة ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم﴾ كغيرهم ﴿مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ من نُطَفٍ، فلا يُطمَعُ بذلك في الجنة، وإنما يُطمع فيها بالتقوىٰ.

فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرًا مِّنۡهُمۡ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

سُورَةُ نُوحٍ

ترتيبها ٧١ — آياتها ٢٨

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ﴿٥﴾ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ﴿٩﴾ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ﴿١٠﴾

٤٠ ـ ﴿فَلَآ﴾، (لا) زائدة ﴿أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ﴾ للشمس والقمر، وسائر الكواكب ﴿إِنَّا لَقَٰدِرُونَ﴾.

٤١ ـ ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ﴾: نأتي بدلَهم ﴿خَيۡرًا مِّنۡهُمۡ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ﴾: بعاجزين عن ذلك.

٤٢ ـ ﴿فَذَرۡهُمۡ﴾: اتركهم ﴿يَخُوضُواْ﴾ في باطلهم ﴿وَيَلۡعَبُواْ﴾ في دنياهم ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ﴾: يلقَوْا ﴿يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ﴾ فيه العذاب.

٤٣ ـ ﴿يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ﴾: القبور ﴿سِرَاعًا﴾ إلى المحشر ﴿كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ﴾: شيء منصوب كعَلَم أو راية ﴿يُوفِضُونَ﴾: يُسرعون.

٤٤ ـ ﴿خَٰشِعَةً﴾: ذليلة ﴿أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ﴾: تغشاهم ﴿ذِلَّةٞۚ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾ (ذلك) مبتدأ، وما بعده الخبر، ومعناه يوم القيامة.

سُورَةُ نُوحٍ

مكية، ثمان ـ أو تسع ـ وعشرون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ ـ ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ﴾ أي: بإنذار ﴿قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ﴾ إن لم يؤمنوا ﴿عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾: مؤلم في الدنيا والآخرة.

٢ ـ ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ﴾: بيّنُ الإنذار.

٣ ـ ﴿أَنِ﴾ أي: بأن أقول لكم: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾.

٤ ـ ﴿يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ﴾، (من) زائدة، فإن الإسلام يُغفَر به ما قبله، أو تبعيضية لإخراج حقوق العباد ﴿وَيُؤَخِّرۡكُمۡ﴾ بلا عذاب ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ﴾: أجل الموت ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ﴾ بعذابكم إن لم تؤمنوا ﴿إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ ذلك لآمنتم.

٥ ـ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا﴾ أي: دائماً متصلاً.

٦ ـ ﴿فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا﴾ عن الإيمان.

٧ ـ ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ﴾ لئلا يسمعوا كلامي ﴿وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ﴾: غطُّوا رؤوسَهم بها لئلا ينظروني ﴿وَأَصَرُّواْ﴾ على كفرهم ﴿وَٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾: تكبروا عن الإيمان ﴿ٱسۡتِكۡبَارٗا﴾.

٨ ـ ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا﴾ أي: بأعلى صوتي.

٩ ـ ﴿ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ﴾ صوتي ﴿وَأَسۡرَرۡتُ﴾ الكلام ﴿لَهُمۡ إِسۡرَارٗا﴾.

١٠ ـ ﴿فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ﴾ من الشرك ﴿إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا﴾.

يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَـٰلًا ﴿٢٤﴾ مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾

١١ ـ ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ﴾: المطرَ، وكانوا قد مُنِعُوه ﴿عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾: كثير الدرور.

١٢ ـ ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ﴾: بساتين ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا﴾ جاريةً.

١٣ ـ ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ أي: ما لكم لا تعظمون الله حق التعظيم فتؤمنوا به وتطيعوه، فإنّ الإيمان به وطاعته من أجلىٰ مظاهر تعظيم الله وتوقيره، أفلا تخافون بأسه ونقمته؟

١٤ ـ ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾، جمع طَوْر وهو الحال، فطوراً نطفة، وطوراً علقة، إلىٰ تمام خلق الإنسان، والنظر في خلقه يوجب الإيمان بخالقه، فإن التقصير في توقير من هذه شؤونه في القدرة القاهرة والإحسان التام مع العلم بها مما لا يكاد يصدر عن العاقل.

١٥ ـ ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟﴾: تنظروا ﴿كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ بعضها فوق بعض.

١٦ ـ ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ قال أبو السعود: أي منوراً لوجه الأرض في ظلمة الليل ونسبته إلىٰ الكل مع أنه في السماء الدنيا لأنها محاطة بسائر السموات، فما فيها يكون في الكل. ﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾: مصباحاً مضيئاً، وهو أقوىٰ من نور القمر.

١٧ ـ ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم﴾: خلقكم ﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ إذ خلق أباكم آدمَ منها ﴿نَبَاتًا﴾. ١٨ ـ ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾ مقبورين ﴿وَيُخْرِجُكُمْ﴾ للبعث ﴿إِخْرَاجًا﴾.

١٩ ـ ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا﴾: مبسوطة. ٢٠ ـ ﴿لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا﴾: طرقاً ﴿فِجَاجًا﴾: واسعة.

٢١ ـ ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟﴾ أي: السِّفْلَة والفقراء ﴿مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ﴾ وهم الرؤساء المُنعَم عليهم بذلك، ﴿إِلَّا خَسَارًا﴾: طغياناً وكفراً.

٢٢ ـ ﴿وَمَكَرُوا۟﴾ أي: الرؤساء ﴿مَكْرًا كُبَّارًا﴾: عظيماً جدّاً بأن كذّبوا نوحاً وآذوه ومن اتّبعه.

٢٣ ـ ﴿وَقَالُوا۟﴾ للسِّفْلة: ﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ هي أسماء أصنامهم. ٢٤ ـ ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا۟﴾ بها ﴿كَثِيرًا﴾ من الناس بأن أمروهم بعبادتهم ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَـٰلًا﴾، عطفاً علىٰ (قد أضلوا). دعا عليهم لما أُوحي إليه: (أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ). ٢٥ ـ ﴿مِّمَّا﴾، (ما) صلة ﴿خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ﴾ بالهمز ﴿أُغْرِقُوا۟﴾ بالطوفان ﴿فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا﴾ عوقبوا بها عقب الإغراق تحت الماء ﴿فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ﴾ أي: غير ﴿ٱللَّهِ أَنصَارًا﴾ يمنعون عنهم العذاب. ٢٦ ـ ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ أي: نازل دار، والمعنىٰ: أحداً. ٢٧ ـ ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾: مَن يَفجُر ويكفر، قال ذلك لِمَا تقدم من الإيحاء إليه. ٢٨ ـ ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ﴾ وكانا مؤمنين ﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ﴾: منزلي أو مسجدي ﴿مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ﴾ إلىٰ يوم القيامة ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا﴾: هلاكاً، فأهلكوا.

سُورَةُ الجِنّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ ۖ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾

سُورَةُ الجِنّ

مكية، ثمان وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١ ـ ﴿قُلْ﴾ يا محمد للناس: ﴿أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ أي: أُخبرتُ بالوحي من الله تعالىٰ ﴿أَنَّهُ﴾، الضمير للشأن ﴿اسْتَمَعَ﴾ لقراءتي ﴿نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ وذلك في صلاة الصبح ببطن نخلة، موضع بين مكة والطائف، وهم الذين ذكروا في قوله تعالىٰ: (وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ) الآية ﴿فَقَالُوا﴾ لقومهم لما رجعوا إليهم: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ يُتعجب منه في فصاحته وغزارة معانيه وغير ذلك.

٢ ـ ﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾: الإيمان والصواب ﴿فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ﴾ بعد اليوم ﴿بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾.

٣ ـ ﴿وَأَنَّهُ﴾، الضمير للشأن فيه وفي الموضعين بعده ﴿تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾: تنزه جلالُه وعظمتُه عمّا نُسب إليه ﴿مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً﴾: زوجة ﴿وَلَا وَلَدًا﴾.

٤ ـ ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾: جاهلنا ﴿عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾: غلواً في الكذب بوصفه بالصاحبة والولد.

٥ ـ ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن﴾، مخففة، أي: أنه ﴿لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بوصفه بذلك حتىٰ تبيَّنَّا كذبهم بذلك.

٦ ـ قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ﴾: يستعيذون ﴿بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ﴾ حين ينزلون في سفرهم بمَخُوف، فيقول كل رجل: أعوذ بسيد هذا المكان من شر سفهائه، وهذا من الشرك ﴿فَزَادُوهُمْ﴾ بعوذهم بهم ﴿رَهَقًا﴾: طغياناً، فقالوا: سُدنا الجن والإنس.

٧ ـ ﴿وَأَنَّهُمْ﴾ أي: الجن ﴿ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ﴾ يا إنس ﴿أَن﴾ مخففة، أي: أنه ﴿لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾ بعد موته.

٨ ـ قال الجن: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ﴾: رُمنا استراق السمع ﴿فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا﴾ من الملائكة ﴿شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾: نجوماً محرقة، وذلك لما بُعث النبي ﷺ.

٩ ـ ﴿وَأَنَّا كُنَّا﴾ أي: قبل مبعثه ﴿نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ﴾ أي: نستمع ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ أي: أُرصدَ له ليُرمىٰ به.

١٠ ـ ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ﴾ بعدم استراق السمع ﴿بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾: خيراً.

١١ ـ ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ﴾ بعد استماع القرآن ﴿وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أي: قومٌ غير صالحين ﴿كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا﴾: فرقاً مختلفين مسلمين وكافرين.

١٢ ـ ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن﴾، مخففة، أي: أنه ﴿لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا﴾ أي: لا نفوته كائنين في الأرض، أو هاربين منها إلىٰ السماء.

١٣ ـ ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ﴾: القرآن ﴿آمَنَّا بِهِ ۖ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ﴾ بتقدير (هو) ﴿بَخْسًا﴾: نَقصاً من حسناته ﴿وَلَا رَهَقًا﴾: ظلماً بالزيادة في سيئاته.

وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوْاْ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾

١٤ ـ ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ﴾: الجائرون بكفرهم ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوْاْ رَشَدًا﴾ قصدوا هداية. ١٥ ـ ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾: وَقوداً ١٦ ـ قال تعالىٰ في كفار مكة: ﴿وأنْ﴾ ـ مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف، أي: وأنهم، وهو معطوف علىٰ (أنه استمع) ـ ﴿لو ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾ أي: طريقة الإسلام ﴿لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾: كثيراً من السماء، وذلك بعد ما رُفع المطرُ عنهم سبع سنين. ١٧ ـ ﴿لِّنَفْتِنَهُمْ﴾: لنختبرهم ﴿فِيهِ﴾ فنعلم كيف شكرهم عِلمَ ظهور ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ﴾: القرآن ﴿يَسْلُكْهُ﴾: يُدْخِلْهُ ﴿عَذَابًا صَعَدًا﴾: شاقاً. ١٨ ـ ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ﴾: مواضعَ الصلاة ﴿لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ﴾ فيها ﴿مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ بأن تُشركوا كما كانت اليهود والنصارىٰ إذا دخلوا كنائسهم وبِيَعهم أشركوا. ١٩ ـ ﴿وَأَنَّهُۥ﴾، والضمير للشأن ﴿لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ﴾: محمد النبي ﷺ ﴿يَدْعُوهُ﴾ يعبده ببطن نخلة ﴿كَادُواْ﴾ أي: الجن المستمعون لقراءته ﴿يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾، بكسر اللام جمع لِبْدَة، كاللِّبد في رُكوب بعضهم بعضاً ازدحاماً، حرصاً علىٰ سماع القرآن. ٢٠ ـ ﴿قُلْ﴾ مجيباً للكفار في قولهم: ارجع عما أنت فيه، ﴿إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى﴾ إلهاً ﴿وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا﴾. ٢١ ـ ﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا﴾: غيّاً ﴿وَلَا رَشَدًا﴾: خيراً. ٢٢ ـ ﴿قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ﴾ من عذابه إن عصيتُه ﴿أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ﴾ أي: غيره ﴿مُلْتَحَدًا﴾: ملتجأً. ٢٣ ـ ﴿إِلَّا بَلَٰغًا﴾، استثناء من مفعول: أملك، أي: لا أملكُ لكم إلا البلاغ إليكم ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: عنه ﴿وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾، عطف علىٰ (بلاغاً) وما بين المستثنىٰ منه والاستثناء اعتراض، لتأكيد نفي الاستطاعة ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ في التوحيد فلم يؤمن ﴿فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ﴾، حال من ضمير (مَن) في (له) رعاية لمعناها، وهي حال مقدَّرة، والمعنىٰ: يدخلونها مقدَّراً خلودهم ﴿فِيهَآ أَبَدًا﴾. ٢٤ ـ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ﴾، (حتىٰ) ابتدائية فيها معنىٰ الغاية المقدّر قبلَها، أي: لا يزالون علىٰ كفرهم إلىٰ أن يروا ﴿مَا يُوعَدُونَ﴾ من العذاب ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾ عند حلوله بهم يوم القيامة ﴿مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾: أنا أم هم؟ فقال بعضهم: متىٰ هذا الوعد؟ فنزل: ٢٥ ـ ﴿قُلْ إِنْ﴾ أي: ما ﴿أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ به من العذاب ﴿أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا﴾: غاية وأجلاً لا يعلمه إلا هو. ٢٦ ـ ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾: ما غاب عن العباد ﴿فَلَا يُظْهِرُ﴾: يُطلع ﴿عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾ من الناس. ٢٧ ـ ﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ﴾ مع اطلاعه علىٰ ما شاء منه معجزة له ﴿يَسْلُكُ﴾: يجعل ويُسيِّر ﴿مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ أي: الرسول ﴿وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾: ملائكةً يحفظونه حتىٰ يُبلِّغه في جملة الوحي. ٢٨ ـ ﴿لِّيَعْلَمَ﴾ اللهُ علمَ ظهور ﴿أَن﴾، مخففة من الثقيلة، أي: أنه ﴿قَدْ أَبْلَغُواْ﴾ أي: الرسل ﴿رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ﴾، روعي بجمع الضمير معنىٰ (مَن) ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾، عطف علىٰ مقدر، أي: فعلم ذلك ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا﴾، تمييز، وهو محول عن المفعول، والأصل، أحصىٰ عدد كلِّ شيء.

سورة المزمل

بسم الله الرحمن الرحيم

يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ٤ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ٦ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا ٧ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ٨ رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ٩ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ١٠ وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا ١١ إِنَّ لَدَيۡنَآ أَنكَالٗا وَجَحِيمٗا ١٢ وَطَعَامٗا ذَا غُصَّةٖ وَعَذَابًا أَلِيمٗا ١٣ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلۡجِبَالُ كَثِيبٗا مَّهِيلًا ١٤ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا ١٥ فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلٗا ١٦ فَكَيۡفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرۡتُمۡ يَوۡمٗا يَجۡعَلُ ٱلۡوِلۡدَٰنَ شِيبًا ١٧ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦۚ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَفۡعُولًا ١٨ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ١٩

سورة المزمل

مكية، أو إلا قوله (إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ...) إلى آخرها فمدنيٌّ

تسع عشرة أو عشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾: النبي، وأصله: المتزمِّل، أدغمت التاء في الزاي، أي: المتلفِّف بثيابه حين مجيء الوحي له خوفاً منه لهيبته. ٢ ـ ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ﴾: صلِّ ﴿إِلَّا قَلِيلٗا﴾. ٣ ـ ﴿نِّصۡفَهُۥٓ﴾، بدل من (قليلاً)، وقلَّته بالنظر إلىٰ الكل ﴿أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ﴾: من النصف ﴿قَلِيلًا﴾ إلىٰ الثلث. ٤ ـ ﴿أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ﴾ إلىٰ الثلثين، و(أو) للتخيير ﴿وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾: تثبَّتْ في تلاوته، أي: اقرأه علىٰ تؤدة وتبيين حروف ﴿تَرۡتِيلًا﴾. ٥ ـ ﴿إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا﴾: قرآناً ﴿ثَقِيلًا﴾: مهيباً، أو شديداً لما فيه من التكاليف. ٦ ـ ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ﴾: القيام بعد النوم ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا﴾ موافقة السمع للقلب علىٰ تفهم القرآن وأجمع للخاطر في أداء القراءة وتفهمها من النهار ﴿وَأَقۡوَمُ قِيلًا﴾: أبين قولاً. ٧ ـ ﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا﴾: تصرُّفاً في أشغالك لا تَفرُغُ فيه لتلاوة القرآن. ٨ ـ ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ﴾ أي: قل: بسم الله الرحمٰن الرحيم في ابتداء قراءتك، وكذلك فالآية تدل أيضاً علىٰ معنًى أعمّ وهو: ودم علىٰ ذكر الله تعالىٰ في قلبك ولسانك ليلاً ونهاراً علىٰ أي وجه كان من تفكر وتسبيح وتهليل وتحميد وصلاة وقراءة ودراسة علم ﴿وَتَبَتَّلۡ﴾: انقطع ﴿إِلَيۡهِ﴾ في العبادة ﴿تَبۡتِيلٗا﴾، مصدر بَتَّلَ، جيء به رعاية للفواصل، وهو ملزوم التبتل. ٩ ـ هو ﴿رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا﴾: موكولاً له أمورك. ١٠ ـ ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ أي: كفار مكة من أذاهم ﴿وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا﴾: لا جزع فيه، وهذا قبل الأمر بقتالهم. ١١ ـ ﴿وَذَرۡنِي﴾: اتركني ﴿وَٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾، عطف علىٰ المفعول، والمعنىٰ: أنا كافيكهم وهم صناديد قريش ﴿أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ﴾: التنعم ﴿وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا﴾ من الزمن، فقُتلوا بعد يسير منه ببدر. ١٢ ـ ﴿إِنَّ لَدَيۡنَآ أَنكَالٗا﴾: قيوداً ثقالاً، جمع نِكْل، بكسر النون ﴿وَجَحِيمٗا﴾: ناراً مُحرقة. ١٣ ـ ﴿وَطَعَامٗا ذَا غُصَّةٖ﴾: يغص به في الحلق، وهو الزَّقوم، أو الضَّريع، أو الغِسْلين، أو شوك من نار لا يخرج ولا ينزل ﴿وَعَذَابًا أَلِيمٗا﴾: مؤلماً زيادةً علىٰ ما ذُكر لمن كذَّب النبي ﷺ. ١٤ ـ ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ﴾: تُزلزل ﴿ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلۡجِبَالُ كَثِيبٗا﴾: رملاً مجتمعاً ﴿مَّهِيلًا﴾: سائلاً بعد اجتماعه، وهو من هال يَهيل وأصله: مَهيُول، استثقلت الضمة علىٰ الياء فنقلت إلىٰ الهاء، وحذفت الواو ثاني الساكنين لزيادتها، وقلبت الضمة كسرة لمجانسة الياء. ١٥ ـ ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا﴾: هو محمد ﷺ ﴿شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ﴾ يومَ القيامة بما يصدر منكم من العصيان ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا﴾: هو موسىٰ عليه الصلاة والسلام. ١٦ ـ ﴿فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلٗا﴾: شديداً. ١٧ ـ ﴿فَكَيۡفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرۡتُمۡ﴾ في الدنيا ﴿يَوۡمٗا﴾، مفعول (تتقون) أي: عذابَه، أي: بأيِّ حصن تتحصنون من عذاب يوم ﴿يَجۡعَلُ ٱلۡوِلۡدَٰنَ شِيبًا﴾ ـ جمع أشيب ـ لشدة هوله، وهو يوم القيامة، والأصل في شين (شيباً) الضم وكُسرت لمجانسة الياء، ويقال في اليوم الشديد: يوم يُشَيِّبُ نواصي الأطفال، وهو مجاز، ويجوز أن يكون المراد في الآية الحقيقة. ١٨ ـ ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ﴾: ذات انفطار، أي: انشقاق ﴿بِهِۦ﴾: بذلك اليوم لشدته ﴿كَانَ وَعۡدُهُۥ﴾ تعالىٰ بمجيء ذلك اليوم ﴿مَفۡعُولًا﴾ أي: هو كائن لا محالة. ١٩ ـ ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ﴾: الآيات المخُوفَة ﴿تَذۡكِرَةٞ﴾: عظةٌ للخلق ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾: طريقاً بالإيمان والطاعة.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿٢٠﴾﴾

سُورَةُ المُدَّثِّرِ

ترتيبها ٧٤ — آياتها ٥٦

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴿٧﴾ فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾ ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾

٢٠ ـ ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ﴾ : أقلَّ ﴿مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ﴾ وقيامُه كذلك نحو ما أُمر به أولَ السورة ﴿وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ﴾، عطف علىٰ ضمير (تقوم) وجاز من غير تأكيد للفصل، وقيام طائفة من أصحابه كذلك للتأسِّي به، ومنهم من كان لا يدري كم صلىٰ من الليل وكم بقي منه، فكان يقوم الليل كلَّه احتياطاً، فقاموا حتىٰ انتفخت أقدامهم سَنَةً أو أكثر، فخُفِّف عنهم. قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ﴾ : يُحصي ﴿ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن﴾، مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف، أي: أنه ﴿لَّن تُحْصُوهُ﴾ أي: الليل، لتقوموا فيما يجب القيام فيه إلا بقيام جميعه، وذلك يشق عليكم ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ : رجع بكم إلىٰ التخفيف ﴿فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ في الصلاة بأن تُصلُّوا ما تيسر ﴿عَلِمَ أَن﴾، مخففة من الثقيلة، أي: أنه ﴿سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ : يسافرون ﴿يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ : يطلبون من رزقه بالتجارة وغيرها ﴿وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وكلٌّ من الفِرَق الثلاثة يشق عليهم ما ذكر في قيام الليل، فخفف عنهم بقيام ما تيسر منه، ثم نسخ ذلك بالصلوات الخمس ﴿فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ﴾ كما تقدم ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ المفروضة ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُواْ ٱللَّهَ﴾ بأن تُنفقوا ما سوىٰ المفروض من المال في سبيل الخير ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ عن طيب قلب ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا﴾ مما خلّفتم، و(هُوَ) ضمير فصل، وما بعده وإن لم يكن معرفة يشبهها لامتناعه من التعريف ﴿وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾ للمؤمنين.

سُورَةُ المُدَّثِّرِ

مكية، خمس وخمسون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ : النبي ﷺ، وأصله المتدثِّر، أُدغمت التاء في الدال، أي: المتلفِّف بثيابه عند نزول الوحي عليه. ٢ ـ ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ : خوِّفْ أهلَ مكة النارَ إن لم يؤمنوا. ٣ ـ ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ : عَظِّمْ عن إشراك المشركين. ٤ ـ ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ عن النجاسة، أو قصِّرها، خلاف جَرِّ العرب ثيابَهم خيلاء، فربما أصابتها نجاسة، أو أخلصْ عملك بإخلاصه لله وموافقته لما يُوحىٰ إليك من التشريع. ٥ ـ ﴿وَٱلرُّجْزَ﴾ فسَّره النبي ﷺ بالأوثان ﴿فَٱهْجُرْ﴾ أي: دُمْ علىٰ هجره. ٦ ـ ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾، بالرفع حال، أي: لا تُعطِ شيئاً لتطلب أكثر منه، وهذا خاص به ﷺ لأنه مأمور بأجمل الأخلاق وأشرف الآداب. ٧ ـ ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾ علىٰ الأوامر والنواهي. ٨ ـ ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ﴾ : نفخ في الصور ـ وهو القرن ـ النفخةُ الثانية. ٩ ـ ﴿فَذَٰلِكَ﴾ أي: وقت النقر ﴿يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾، ١٠ ـ ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾، فيه دلالة علىٰ أنه يسير علىٰ المؤمنين، أي: في عسره. ١١ ـ ﴿ذَرْنِى﴾ : اتركني ﴿وَمَنْ خَلَقْتُ﴾، عطف علىٰ المفعول، أو مفعول معه ﴿وَحِيدًا﴾، حال من (مَن) أو من ضميره المحذوف مِن (خلقتُ) أي: منفرداً بلا أهل ولا مال، هو الوليد بن المغيرة المخزومي. ١٢ ـ ﴿وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا﴾ : واسعاً متصلاً من الزروع والضروع والتجارة. ١٣ ـ ﴿وَبَنِينَ﴾ عشرة أو أكثر ﴿شُهُودًا﴾ : يشهدون المحافل وتُسمع شهادتهم. ١٤ ـ ﴿وَمَهَّدتُّ﴾ : بسطتُ ﴿لَهُۥ﴾ في العيش والعمر والولد ﴿تَمْهِيدًا﴾. ١٥ ـ ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾. ١٦ ـ ﴿كَلَّآ﴾ لا أزيده علىٰ ذلك ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا﴾ أي: القرآن ﴿عَنِيدًا﴾ : معانداً. ١٧ ـ ﴿سَأُرْهِقُهُۥ﴾ : أُكلِّفه ﴿صَعُودًا﴾ : مشقة من العذاب، أو جبلاً من نار يصعد فيه، ثم يهوي أبداً.

إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدۡبَرَ وَٱسۡتَكۡبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ يُؤۡثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبۡقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٞ لِّلۡبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةٗۖ وَمَا جَعَلۡنَا عِدَّتَهُمۡ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيَسۡتَيۡقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَيَزۡدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنٗا وَلَا يَرۡتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَٱلۡقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحۡدَى ٱلۡكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرٗا لِّلۡبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّٰتٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلۡيَقِينُ ﴿٤٧﴾

١٨ ـ ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ﴾ فيما يقول في القرآن الذي سمعه من النبي ﷺ ﴿وَقَدَّرَ﴾ في نفسه ذلك. ١٩ ـ ﴿فَقُتِلَ﴾: لُعن وعُذب ﴿كَيۡفَ قَدَّرَ﴾: علىٰ أيِّ حال كان تقديره؟ ٢٠ ـ ﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ﴾. ٢١ ـ ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ في وجوه قومه، أو فيما يقدح به فيه. ٢٢ ـ ﴿ثُمَّ عَبَسَ﴾: قبض وجهه وكلَحه ضيقاً بما يقول ﴿وَبَسَرَ﴾: زاد في القبض والكُلوح. ٢٣ ـ ﴿ثُمَّ أَدۡبَرَ﴾ عن الإيمان ﴿وَٱسۡتَكۡبَرَ﴾: تكبَّر عن اتِّباع النبي ﷺ. ٢٤ ـ ﴿فَقَالَ﴾ فيما جاء به: ﴿إِنۡ﴾: ما ﴿هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ يُؤۡثَرُ﴾: يُنقل عن السحرة. ٢٥ ـ ﴿إِنۡ﴾: ما ﴿هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ﴾ كما قالوا: (إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞ). ٢٦ ـ ﴿سَأُصۡلِيهِ﴾: أدخِلُه ﴿سَقَرَ﴾: جهنم. ٢٧ ـ ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ﴾، تعظيم لشأنها. ٢٨ ـ ﴿لَا تُبۡقِي وَلَا تَذَرُ﴾ شيئاً من لحم ولا عصب إلا أهلكته، ثم يعود كما كان. ٢٩ ـ ﴿لَوَّاحَةٞ لِّلۡبَشَرِ﴾: مُحرقة لظاهر الجلد. ٣٠ ـ ﴿عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ﴾ مَلَكاً خَزَنتها، قال بعض الكفار وكان قويّاً شديد البأس: أنا أكفيكم سبعةَ عشرَ، واكفوني أنتم اثنين. ٣١ ـ قال تعالىٰ: ﴿وَمَا جَعَلۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةٗ﴾ أي: فلا يُطاقون كما يتوهمون ﴿وَمَا جَعَلۡنَا عِدَّتَهُمۡ﴾ ذلك ﴿إِلَّا فِتۡنَةٗ﴾: ضلالاً ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بأن يقولوا: لِمَ كانوا تسعة عشر؟ ﴿لِيَسۡتَيۡقِنَ﴾: ليستبين ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ أي: اليهود صدقَ النبي ﷺ في كونهم تسعةَ عشرَ الموافق لما في كتابهم ﴿وَيَزۡدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ من أهل الكتاب ﴿إِيمَٰنٗا﴾: تصديقاً لموافقة ما أتىٰ به النبيُّ ﷺ لما في كتابهم ﴿وَلَا يَرۡتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ من غيرهم في عدد الملائكة ﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ﴾: شكٌّ ﴿وَٱلۡكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا﴾ العدد ﴿مَثَلٗا﴾ يقولون: أي شيء أراد الله بهذا المثل العجيب وإنما سموه مثلاً لأنه أمر مستغرب ومستبعد والمعنىٰ: أي غرض قصد في جعل الملائكة تسعة عشر لا عشرين، ومرادهم بذلك إنكار هذا من أصله ولذلك سموه مثلاً. ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل إضلال مُنكِر هذا العدد وهُدىٰ مُصدِّقه ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ﴾ أي: الملائكةَ في قوتهم وأعوانهم ﴿إِلَّا هُوَۚ وَمَا هِيَ﴾ أي: سقر ﴿إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡبَشَرِ﴾. ٣٢ ـ ﴿كَلَّا﴾، استفتاح بمعنىٰ ألا ﴿وَٱلۡقَمَرِ﴾. ٣٣ ـ ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ﴾ أي: مضىٰ. ٣٤ ـ ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ﴾: ظهر. ٣٥ ـ ﴿إِنَّهَا﴾ أي: سقر ﴿لَإِحۡدَى ٱلۡكُبَرِ﴾: البلايا العظام. ٣٦ ـ ﴿نَذِيرٗا﴾، حال من (إحدىٰ) وذُكِّر لأنها بمعنىٰ العذاب ﴿لِّلۡبَشَرِ﴾. ٣٧ ـ ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ﴾، بدل من (البشر) ﴿أَن يَتَقَدَّمَ﴾ إلىٰ الخير أو الجنة بالإيمان ﴿أَوۡ يَتَأَخَّرَ﴾ إلىٰ الشر أو النار بالكفر. ٣٨ ـ ﴿كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ﴾: مرهونةٌ مأخوذة بعملها في النار. ٣٩ ـ ﴿إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ﴾: وهم المؤمنون، فناجون منها. ٤٠ ـ كائنون ﴿فِي جَنَّٰتٖ يَتَسَآءَلُونَ﴾ بينهم. ٤١ ـ ﴿عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ وحالهم. ٤٢ ـ ويقولون لهم بعد إخراج الموحدين من النار: ﴿مَا سَلَكَكُمۡ﴾: أدخلكم ﴿فِي سَقَرَ﴾. ٤٣ ـ ﴿قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ﴾. ٤٤ ـ ﴿وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ﴾. ٤٥ ـ ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ﴾ في الباطل ﴿مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ﴾. ٤٦ ـ ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾: البعث والجزاء. ٤٧ ـ ﴿حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلۡيَقِينُ﴾: الموت.

فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾

سُورَةُ القِيَامَةِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾

٤٨ ـ ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ من الملائكة والأنبياء والصالحين، والمعنىٰ: لا شفاعة لهم. ٤٩ ـ ﴿فَمَا﴾، مبتدأ ﴿لَهُمْ﴾، خبره، متعلق بمحذوف انتقل ضميره إليه ﴿عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾، حال من الضمير، والمعنىٰ: أيُّ شيء حصل لهم في إعراضهم عن الاتعاظ؟ ٥٠ ـ ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ﴾: وحشية نافرة مذعورة، والحمر الوحشية إذا عاينت الأسد هربت، فكذلك هؤلاء المشركون إذا سمعوا التذكرة هربوا. ٥١ ـ ﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ﴾: أسد، أي: هربت منه أشد الهرب. ٥٢ ـ ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾ أي: من الله تعالىٰ باتِّباع النبي كما قالوا: لن نؤمن لك (حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ). ٥٣ ـ ﴿كَلَّا﴾، ردع عما أرادوه ﴿بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ أي: عذابها. ٥٤ ـ ﴿كَلَّآ﴾، استفتاح ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي: القرآن ﴿تَذْكِرَةٌ﴾: عظة. ٥٥ ـ ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾: قرأه فاتَّعظ به. ٥٦ ـ ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ بأن يُتَّقىٰ ﴿وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ بأن يغفر لمن اتقاه.

سورة القيامة

مكية، أربعون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ ـ ﴿لَآ﴾، زائدة في الموضعين ﴿أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾. ٢ ـ ﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ التي تلوم نفسها وإن اجتهدت في الإحسان، وجواب القسم محذوف، أي: لَتُبْعَثُنَّ، دل عليه: ٣ ـ ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ أي: الكافر ﴿أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾ للبعث والإحياء. ٤ ـ ﴿بَلَىٰ﴾ نجمعها ﴿قَٰدِرِينَ﴾ مع جمعها ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ﴾: وهو الأصابع، أي: نُعيد عظامها كما كانت مع صغرها، فكيف بالكبيرة؟ ٥ ـ ﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ﴾، اللام زائدة، ونصبه بـ (أن) مقدرة، أي: أن يكذب ﴿أَمَامَهُۥ﴾ أي: يوم القيامة، دل عليه: ٦ ـ ﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ﴾: متىٰ ﴿يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ سؤال استهزاء وتكذيب. وهناك قول آخر في معنىٰ الآية ذكره المفسرون وهو: يريد الإنسان أن يفجر ويدوم علىٰ فجوره فيما يستقبل من الزمان ما عاش لا ينزع عن المعاصي ولا يتوب، ويكذب بيوم القيامة. ٧ ـ ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ﴾: دَهِشَ وتَحيَّرَ لِمَا رأىٰ مما كان يكذبه. ٨ ـ ﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ﴾: أظلم وذهب ضوؤه. ٩ ـ ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ فطلعا من المغرب، أو ذهب ضوؤهما وذلك في يوم القيامة. ١٠ ـ ﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ﴾. الفرار. ١١ ـ ﴿كَلَّا﴾، ردع عن طلب الفرار ﴿لَا وَزَرَ﴾: لا ملجأ يُتَحصَّنُ به ١٢ ـ ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ﴾: مستقر الخلائق، فيحاسبون ويجازَون ١٣ ـ ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ بأول عمله وآخره. ١٤ ـ ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ﴾: شاهد تنطق جوارحُه بعمله، والهاء للمبالغة، فلا بد من جزائه. ١٥ ـ ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾، جمع معذرة علىٰ غير قياس، أي: لو جاء بكل معذرة ما قُبلت منه. ١٦ ـ قال تعالىٰ لنبيه: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ﴾ بالقرآن قبل فراغ جبريل منه ﴿لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ خوفَ أن ينفلت منك. ١٧ ـ ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ﴾ في صدرك ﴿وَقُرْءَانَهُۥ﴾: قراءتك إياه، أي: جريانه علىٰ لسانك. ١٨ ـ ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ﴾ عليك بقراءة جبريل ﴿فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾: استمع قراءته، فكان ﷺ يستمع ثم يقرؤه. ١٩ ـ ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ بالتفهيم لك، والمناسبة بين هذه الآية وما قبلها أن تلك الآيات من قوله: (أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ . . .) إلىٰ قوله: (وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ) تضمنت الإعراض عن آيات الله، وهذه تضمنت المبادرة إليها بحفظها.

كَلَّا بَلۡ تُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذِۭ بَاسِرَةٞ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفۡعَلَ بِهَا فَاقِرَةٞ ﴿٢٥﴾ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةٗ مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةٗ فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴿٤٠﴾

سُورَةُ الإِنسَانِ — ترتيبها ٧٦ — آياتها ٣١

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغۡلَٰلٗا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾

٢٠ ـ ﴿كَلَّا﴾، استفتاح بمعنىٰ ألا ﴿بَلۡ تُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ﴾: الدنيا، ٢١ ـ ﴿وَتَذَرُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾ فلا تعملون لها. ٢٢ ـ ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ﴾ أي: في يوم القيامة ﴿نَّاضِرَةٌ﴾: حَسَنةٌ مضيئةٌ. ٢٣ ـ ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾ أي: يرون الله ﷻ في الآخرة. ٢٤ ـ ﴿وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذِۭ بَاسِرَةٞ﴾: كالحةٌ شديدةُ العبوس. ٢٥ ـ ﴿تَظُنُّ﴾: توقن ﴿أَن يُفۡعَلَ بِهَا فَاقِرَةٞ﴾: داهيةٌ عظيمةٌ تكسر فقار الظهر. ٢٦ ـ ﴿كَلَّآ﴾، بمعنىٰ ألا ﴿إِذَا بَلَغَتِ﴾ النفسُ ﴿ٱلتَّرَاقِيَ﴾: عظام الحلق. ٢٧ ـ ﴿وَقِيلَ﴾: قال مَن حوله: ﴿مَنۡۜ رَاقٖ﴾ يرقيه ليشفىٰ؟ ٢٨ ـ ﴿وَظَنَّ﴾: أيقن من بلغت نفسه ذلك ﴿أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ﴾: فراق الدنيا. ٢٩ ـ ﴿وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾ أي: إحدىٰ ساقيه بالأخرىٰ عند الموت، أو التفّت شدة فراق الدنيا بشدة إقبال الآخرة. ٣٠ ـ ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ﴾ أي: السَّوق، وهذا يدل علىٰ العامل في (إذا)، المعنىٰ: إذا بلغت النفس الحلقوم تُساق إلىٰ حكم ربها. ٣١ ـ ﴿فَلَا صَدَّقَ﴾ الإنسان ﴿وَلَا صَلَّىٰ﴾ أي: لم يُصدق ولم يصل. ٣٢ ـ ﴿وَلَٰكِن كَذَّبَ﴾ بالقرآن ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ عن الإيمان. ٣٣ ـ ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ﴾: يتبختر في مشيته إعجاباً. ٣٤ ـ ﴿أَوۡلَىٰ لَكَ﴾، فيه التفات عن الغيبة، والكلمة اسم فعل واللام للتبيين، أي: وَلِيَكَ ما تكره ﴿فَأَوۡلَىٰ﴾ أي: فهو أولىٰ بك من غيرك. ٣٥ ـ ﴿ثُمَّ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰٓ﴾، تأكيد. ٣٦ ـ ﴿أَيَحۡسَبُ﴾: يظنُّ ﴿ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى﴾: هَمَلاً لا يكلفُ بالشرائع؟ أي: لا يَحسَبْ ذلك. ٣٧ ـ ﴿أَلَمۡ يَكُ﴾ أي: كان ﴿نُطۡفَةٗ مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ﴾ تُصبُّ في الرحم. ٣٨ ـ ﴿ثُمَّ كَانَ﴾ المنيُّ ﴿عَلَقَةٗ فَخَلَقَ﴾ اللهُ منها الإنسانَ ﴿فَسَوَّىٰ﴾: عَدَل أعضاءه. ٣٩ ـ ﴿فَجَعَلَ مِنۡهُ﴾: من المنيِّ الذي صار علقةً، أي: قطعة دم، ثم مضغةً، أي: قطعةَ لحم، ﴿ٱلزَّوۡجَيۡنِ﴾: النوعين ﴿ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾ يجتمعان تارةً وينفردُ كلٌّ منهما عن الآخر تارة. ٤٠ ـ ﴿أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ﴾ الفعَّالُ لهذه الأشياء ﴿بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ قال ﷺ: (بلىٰ).

سُورَةُ الإِنسَانِ

مكية أو مدنية، إحدى وثلاثون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ ـ ﴿هَلۡ﴾: قد ﴿أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ﴾: آدم ﴿حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ﴾: أربعون سنة ﴿لَمۡ يَكُن﴾ فيه ﴿شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا﴾ كان فيه مصوراً من طين لا يُذكر، أو المراد بالإنسان الجنس، وبالحين مدة الحمل. ٢ ـ ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ﴾، الجنس ﴿مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ﴾: أخلاط، أي: من ماء الرجل وماء المرأة المختلطَيْن الممتزجين ﴿نَّبۡتَلِيهِ﴾: نختبره بالتكليف، والجملة مستأنفة، أو حال مقدرة، أي: مريدين ابتلاءه حين تأهله ﴿فَجَعَلۡنَٰهُ﴾ بسبب ذلك ﴿سَمِيعَۢا بَصِيرًا﴾. ٣ ـ ﴿إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾: بَيَّنَّا له طريقَ الهدىٰ ببعث الرسل ﴿إِمَّا شَاكِرٗا﴾ أي: مؤمناً ﴿وَإِمَّا كَفُورًا﴾، حالان من المفعول، أي: بَيَّنَّا له في حال شكره أو كفره المقدَّرة، و(إما) لتفصيل الأحوال. ٤ ـ ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا﴾: هيّأنا ﴿لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ﴾ يُسحبون بها في النار ﴿وَأَغۡلَٰلٗا﴾ في أعناقهم تُشد فيها السلاسل ﴿وَسَعِيرًا﴾: ناراً مُسعَّرة، أي: مُهيَّجة يعذبون بها. ٥ ـ ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ﴾ جمع بَرٍّ أو بارّ، وهم المطيعون ﴿يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ﴾: هو إناءُ شرب الخمر وهي فيه، والمراد: من خمر، تسميةً للحالِّ باسم المحل، و(مِن) للتبعيض ﴿كَانَ مِزَاجُهَا﴾: ما تُمزج به ﴿كَافُورًا﴾.

عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرٗا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ﴿٧﴾ وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوۡمًا عَبُوسٗا قَمۡطَرِيرٗا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ وَحَرِيرٗا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۖ لَا يَرَوۡنَ فِيهَا شَمۡسٗا وَلَا زَمۡهَرِيرٗا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيۡهِمۡ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتۡ قُطُوفُهَا تَذۡلِيلٗا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيۡهِم بِـَٔانِيَةٖ مِّن فِضَّةٖ وَأَكۡوَابٖ كَانَتۡ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٖ قَدَّرُوهَا تَقۡدِيرٗا ﴿١٦﴾ وَيُسۡقَوۡنَ فِيهَا كَأۡسٗا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيۡنٗا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلۡسَبِيلٗا ﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيۡتَهُمۡ حَسِبۡتَهُمۡ لُؤۡلُؤٗا مَّنثُورٗا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيۡتَ ثَمَّ رَأَيۡتَ نَعِيمٗا وَمُلۡكٗا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمۡ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضۡرٞ وَإِسۡتَبۡرَقٞۖ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٖ وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابٗا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمۡ جَزَآءٗ وَكَانَ سَعۡيُكُم مَّشۡكُورًا ﴿٢٢﴾ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ تَنزِيلٗا ﴿٢٣﴾ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا ﴿٢٤﴾ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴿٢٥﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٥٨

٦ ـ ﴿عَيۡنٗا﴾، بدل من (كافوراً) فيها رائحته ﴿يَشۡرَبُ بِهَا﴾: منها ﴿عِبَادُ ٱللَّهِ﴾: أولياؤه ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرٗا﴾: يقودونها حيث شاؤوا من منازلهم. ٧ ـ ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ﴾ في طاعة الله ﴿وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا﴾: منتشراً. ٨ ـ ﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ أي: الطعام وشهوتهم له ﴿مِسۡكِينٗا﴾: فقيراً ﴿وَيَتِيمٗا﴾ لا أب له ﴿وَأَسِيرًا﴾ يعني المحبوس. ٩ ـ ﴿إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ﴾: لطلب ثوابه ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا﴾: شكراً، فيه علة الإطعام، وهل تكلموا بذلك، أو علمه اللهُ منهم، فأثنىٰ عليهم به؟ قولان. ١٠ ـ ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوۡمًا عَبُوسٗا﴾: تكلح الوجوه فيه، أي: كريهَ المنظر لشدته ﴿قَمۡطَرِيرٗا﴾: شديداً في ذلك. ١١ ـ ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ وَلَقَّىٰهُمۡ﴾: أعطاهم ﴿نَضۡرَةٗ﴾: حُسناً وإضاءةً في وجوههم ﴿وَسُرُورٗا﴾. ١٢ ـ ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ﴾: بصبرهم عن المعصية ﴿جَنَّةٗ﴾ أُدخِلوها ﴿وَحَرِيرٗا﴾ أُلبسوه. ١٣ ـ ﴿مُّتَّكِـِٔينَ﴾، حال من مرفوع: أُدخِلوها، المقدر، ﴿فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۖ﴾: السرر في الحِجال ﴿لَا يَرَوۡنَ﴾: لا يجدون، حال ثانية ﴿فِيهَا شَمۡسٗا وَلَا زَمۡهَرِيرٗا﴾ أي: لا حرّاً ولا برداً، وقيل: الزمهرير القمر، فهي مضيئة من غير شمس ولا قمر. ١٤ ـ ﴿وَدَانِيَةً﴾: قريبةً، عطف علىٰ محل (لا يرون) أي: غير رائين ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾: منهم ﴿ظِلَٰلُهَا﴾: شجرُها ﴿وَذُلِّلَتۡ قُطُوفُهَا تَذۡلِيلٗا﴾: أُدنيت ثمارُها، فينالُها القائم والقاعد والمضطجع. ١٥ ـ ﴿وَيُطَافُ عَلَيۡهِم﴾ فيها ﴿بِـَٔانِيَةٖ مِّن فِضَّةٖ وَأَكۡوَابٖ﴾: أقداح بلا عُرىٰ ﴿كَانَتۡ قَوَارِيرَا۠﴾. ١٦ ـ ﴿قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٖ﴾ أي: أنها من فضة يُرىٰ باطنُها من ظاهرها كالزجاج ﴿قَدَّرُوهَا﴾ أي: الطائفون ﴿تَقۡدِيرٗا﴾ علىٰ قدرِ ريِّ الشاربين من غير زيادة ولا نقص، وذلك ألذُّ الشراب. ١٧ ـ ﴿وَيُسۡقَوۡنَ فِيهَا كَأۡسٗا﴾ أي: خمراً ﴿كَانَ مِزَاجُهَا﴾: ما تمزج به ﴿زَنجَبِيلًا﴾. ١٨ ـ ﴿عَيۡنٗا﴾، بدل من (زنجبيلاً) ﴿فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلۡسَبِيلٗا﴾ يعني أن ماءها كالزنجبيل الذي تستلذ به العرب، سهل المساغ في الحلق. ١٩ ـ ﴿وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ﴾ بصفة الولدان لا يشيبون ﴿إِذَا رَأَيۡتَهُمۡ حَسِبۡتَهُمۡ﴾ لحسنهم وانتشارهم في الخدمة ﴿لُؤۡلُؤٗا مَّنثُورٗا﴾ من سِلْكه أو من صَدَفه. ٢٠ ـ ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَ ثَمَّ﴾ أي: وُجِدَتِ الرؤيةُ منك في الجنة ﴿رَأَيۡتَ﴾، جواب (إذا) ﴿نَعِيمٗا﴾ لا يوصف ﴿وَمُلۡكٗا كَبِيرًا﴾: واسعاً لا غاية له. ٢١ ـ ﴿عَٰلِيَهُمۡ﴾: فوقهم، فنصبه علىٰ الظرفية، وهو خبر لمبتدأ بعده، وما بعده أي: ثياب: خبره، والضمير المتصل به للمَطُوف عليهم ﴿ثِيَابُ سُندُسٍ﴾: حرير ﴿خُضۡرٞ﴾، بالرفع ﴿وَإِسۡتَبۡرَقٞۖ﴾ ما غلظ من الديباج، فهو البطائن، و(السندس) : الظهائر ﴿وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٖ﴾ وفي موضع آخر: من ذهب، للإيذان بأنهم يحلون من النوعين معاً ومفرقاً ﴿وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابٗا طَهُورًا﴾، مبالغة في طهارته ونظافته، بخلاف خمر الدنيا. ٢٢ ـ ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ النعيمَ ﴿كَانَ لَكُمۡ جَزَآءٗ وَكَانَ سَعۡيُكُم مَّشۡكُورًا﴾. ٢٣ ـ ﴿إِنَّا نَحۡنُ﴾، تأكيد لاسم (إنَّ) أو ضمير فصل ﴿نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ تَنزِيلٗا﴾، خبر (إن)، أي: فصّلناه ولم ننزله جملة واحدة. ٢٤ ـ ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾ عليك بتبليغ رسالته ﴿وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ﴾ أي: الكفار ﴿ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا﴾ أي: عتبة بن ربيعة والوليد بن المغيرة قالا للنبي ﷺ: ارجع عن هذا الأمر. ويجوز أن يُراد كل آثم وكافر، أي: لا تُطع أحدَهما أيّاً كان فيما دعاك إليه من إثم أو كفر. ٢٥ ـ ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ﴾ في الصلاة ﴿بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا﴾ يعني: الفجر والظهر والعصر.

وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا ﴿٢٧﴾ نَّحۡنُ خَلَقۡنَٰهُمۡ وَشَدَدۡنَآ أَسۡرَهُمۡۖ وَإِذَا شِئۡنَا بَدَّلۡنَآ أَمۡثَٰلَهُمۡ تَبۡدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿٣٠﴾ يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ﴿٣١﴾

سُورَةُ المُرسَلات (ترتيبها ٧٧ - آياتها ٥٠)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ﴿١﴾ فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ﴿٢﴾ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا ﴿٣﴾ فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا ﴿٤﴾ فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا ﴿٥﴾ عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٞ ﴿٧﴾ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ﴿٨﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ﴿١٢﴾ لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ﴿١٤﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾

٢٦ ـ ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ﴾ يعني: المغرب والعشاء ﴿وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا﴾: صلِّ التطوع فيه كما تقدم من ثلثيه أو نصفه أو ثلثه. ٢٧ ـ ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ﴾: الدنيا ﴿وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا﴾ شديداً، أي: يوم القيامة، لا يعملون له. ٢٨ ـ ﴿نَّحۡنُ خَلَقۡنَٰهُمۡ وَشَدَدۡنَآ﴾: قوّينا ﴿أَسۡرَهُمۡۖ﴾: أعضاءهم ومفاصلهم ﴿وَإِذَا شِئۡنَا بَدَّلۡنَآ﴾: جعلنا ﴿أَمۡثَٰلَهُمۡ﴾ في الخلقة بدلاً منهم بأن نهلكهم ﴿تَبۡدِيلًا﴾، تأكيد. ٢٩ ـ ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ﴾ السورة ﴿تَذۡكِرَةٞۖ﴾: عظة للخلق ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا﴾: طريقاً بالطاعة. ٣٠ ـ ﴿وَمَا تَشَآءُونَ﴾ اتخاذَ السبيلِ بالطاعة ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ ذلك. قال العلّامة عبد الرزاق عفيفي: التعميم في متعلق المشيئة أنسب لحذف المفعول، والتقدير: وما تشاؤون شيئاً ما، من خير أو شر إلا أن يشاء الله، ويدخل في ذلك اتخاذ السبيل إلىٰ الله بالطاعة دخولاً أولياً لدلالة ما سبق، وبذلك تدل الآية علىٰ ما ذهب إليه أهل السنة من عموم مشيئة الله. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٗا﴾ في فعله وفي كل شؤونه ﷻ. ٣١ ـ ﴿يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ﴾: جنته، وهم المؤمنون، ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ﴾، ناصبه فعل مقدر، أي: أوعد، يفسره: ﴿أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا﴾: مؤلماً، وهم الكافرون.

سورة المرسلات

مكية، خمسون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ ـ ﴿وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا﴾ أي: الرياح متتابعة كعُرف الفرس يتلو بعضه بعضاً، ونصبه علىٰ الحال. ٢ ـ ﴿فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا﴾: الرياح الشديدة. ٣ ـ ﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا﴾: الرياح تَنشُر المطر. ٤ ـ ﴿فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا﴾ أي: آيات القرآن تُفرق بين الحق والباطل، والحلال والحرام. ٥ ـ ﴿فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا﴾ أي: الملائكة تنزل بالوحي إلىٰ الأنبياء، والرسل يُلقون الوحي إلىٰ الأمم. ٦ ـ ﴿عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا﴾ أي: للإعذار والإنذار من الله تعالىٰ. ٧ ـ ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾ أي: من البعث والعذاب ﴿لَوَٰقِعٞ﴾: كائن لا محالة. ٨ ـ ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ﴾: مُحي نورُها. ٩ ـ ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ﴾: شُقَّت. ١٠ ـ ﴿وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ﴾: فُتِّتت وسُيِّرت. ١١ ـ ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ﴾، أي: جُمعت لوقت. ١٢ ـ ﴿لِأَيِّ يَوۡمٍ﴾: ليوم عظيم ﴿أُجِّلَتۡ﴾ للشهادة علىٰ أممهم بالتبليغ. ١٣ ـ ﴿لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ﴾ بين الخلق، ويُؤخذ منه جواب (إذا) أي: وقع الفصل بين الخلائق. ١٤ ـ ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ﴾ تهويل لشأنه. ١٥ ـ ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾ هذا وعيد لهم. ١٦ ـ ﴿أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ بتكذيبهم؟ أي: أهلكناهم. ١٧ ـ ﴿ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ ممن كذبوا، ككفار مكة، فنهلكهم. ١٨ ـ ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثل فعلنا بالمكذبين ﴿نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ بكل من أجرم فيما يستقبل فنهلكهم. ١٩ ـ ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾، تأكيد.

أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُواْ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾

٢٠ ـ ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾: ضعيف، وهو المني.
٢١ ـ ﴿فَجَعَلْنَٰهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾: حريز، وهو الرحم.
٢٢ ـ ﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾: وهو وقت الولادة.
٢٣ ـ ﴿فَقَدَرْنَا﴾ علىٰ ذلك ﴿فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾ نحن.
٢٤ ـ ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.
٢٥ ـ ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا﴾، مصدر كَفَتَ، بمعنىٰ ضَمَّ، أي: ضامَّة.
٢٦ ـ ﴿أَحْيَآءً﴾ علىٰ ظهرها ﴿وَأَمْوَٰتًا﴾ في بطنها.
٢٧ ـ ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ شَٰمِخَٰتٍ﴾: جبالاً مرتفعات ﴿وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا﴾: عذباً.
٢٨ ـ ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾
٢٩ ـ ويقال للمكذبين يوم القيامة: ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ﴾ من العذاب ﴿تُكَذِّبُونَ﴾.
٣٠ ـ ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٍ﴾: هو دخان جهنم، إذا ارتفع، افترق ثلاث فرق لعظمه.
٣١ ـ ﴿لَّا ظَلِيلٍ﴾: كنين يُظلهم من حر ذلك اليوم ﴿وَلَا يُغْنِي﴾: يردُّ عنهم شيئاً ﴿مِنَ ٱللَّهَبِ﴾: النار.
٣٢ ـ ﴿إِنَّهَا﴾ أي: النار ﴿تَرْمِي بِشَرَرٍ﴾: هو ما تطاير منها ﴿كَٱلْقَصْرِ﴾ من البناء في عظمه وارتفاعه.
٣٣ ـ ﴿كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ﴾، جمع جِمالة جمع جمل، ﴿صُفْرٌ﴾ في هيئتها ولونها، وفي الحديث: «شَرارُ النار أسود كالقِير» والعرب تسمي سود الإبل صُفراً لِشَوبْ سوادها بصفرة، فقيل: صفر في الآية بمعنىٰ سود لِما ذُكر، وقيل: لا، أي ليس صفر بمعنىٰ سود، بل هو باق علىٰ حقيقته، والشَّرر جمع شررة، والشَّرار جمع شرارة، والقِير: القار.

٣٤ ـ ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾. ٣٥ ـ ﴿هَٰذَا﴾ أي: يوم القيامة ﴿يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ﴾ فيه بشيء. ٣٦ ـ ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ﴾ في العذر ﴿فَيَعْتَذِرُونَ﴾، عطف علىٰ (يؤذن) من غير تسبب عنه، فهو داخل في حيز النفي، أي: لا إذن، فلا اعتذار. ٣٧ ـ ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾. ٣٨ ـ ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ﴾ أيها المكذبون من هذه الأمة ﴿وَٱلْأَوَّلِينَ﴾ من المكذبين قبلكم، فتحاسبون وتعذبون جميعاً. ٣٩ ـ ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ﴾: حيلةٌ في دفع العذاب عنكم ﴿فَكِيدُونِ﴾: فافعلوها. ٤٠ ـ ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾. ٤١ ـ ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي ظِلَٰلٍ﴾ أي: تكاثف أشجار، إذ لا شمسَ يُظلُّ من حرِّها ﴿وَعُيُونٍ﴾ نابعة من الماء. ٤٢ ـ ﴿وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ فيه إعلام بأن المأكل والمشرب في الجنة بحسب شهواتهم، بخلاف الدنيا، فبحسب ما يجد الناس في الأغلب. ٤٣ ـ ويقال لهم: ﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا﴾، حال، أي: متهنئين ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من الطاعة. ٤٤ ـ ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾ كما جزينا المتقين ﴿نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ﴾. ٤٥ ـ ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾. ٤٦ ـ ﴿كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ﴾ خطاب للكفار في الدنيا ﴿قَلِيلًا﴾ من الزمان وغايته إلىٰ الموت، وفي هذا تهديد لهم ﴿إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ﴾. ٤٧ ـ ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾. ٤٨ ـ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُواْ﴾: صلُّوا ﴿لَا يَرْكَعُونَ﴾: لا يصلون. ٤٩ ـ ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾. ٥٠ ـ ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ﴾ أي: القرآن ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ أي: لا يمكن إيمانهم بغيره من كتب الله بعد تكذيبهم به لاشتماله علىٰ الإعجاز الذي لم يشتمل عليه غيره.

سورة النبإ

ترتيبها ٧٨ — آياتها ٤٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِلطَّاغِينَ مَآبًا ﴿٢٢﴾ لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَاءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾

سورة النبإ

مكية، إحدى وأربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿عَمَّ﴾: عن أيِّ شيء ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾: يسألُ بعضُ قريش بعضاً. ٢ ـ ﴿عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾: بيانٌ لذلك الشيء، والاستفهام لتفخيمه، وهو ما جاء به النبي ﷺ من القرآن المشتمل على البعث وغيره. ٣ ـ ﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ فالمؤمنون يُثبتونه والكافرون يُنكرونه. ٤ ـ ﴿كَلَّا﴾ ردع ﴿سَيَعْلَمُونَ﴾ ما يحلُّ بهم على إنكارهم له. ٥ ـ ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾، تأكيد، وجيء فيه بـ (ثم) للإيذان بأن الوعيد الثاني أشدُّ من الأول. ٦ ـ ثم أومأ تعالى إلى القدرة على البعث، فقال: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا﴾: فراشاً كالمهد. ٧ ـ ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ تُثبَّت بها الأرض كما تُثبَّت الخيام بالأوتاد، والاستفهام للتقرير. ٨ ـ ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾: ذكوراً وإناثاً. ٩ ـ ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾: راحة لأبدانكم. ١٠ ـ ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾: ساتراً بسواده. ١١ ـ ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾: وقتاً للمعاش. ١٢ ـ ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا﴾: سبع سماوات ﴿شِدَادًا﴾، جمع شديدة، أي: قوية محكمة لا يؤثر فيها مرور الزمان. ١٣ ـ ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا﴾: منيراً ﴿وَهَّاجًا﴾: وقاداً، يعني الشمس. ١٤ ـ ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾: السحابات التي حانَ لها أن تُمطر ﴿مَاءً ثَجَّاجًا﴾: صباباً. ١٥ ـ ﴿لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا﴾ كالحنطة ﴿وَنَبَاتًا﴾ كالتبن. ١٦ ـ ﴿وَجَنَّاتٍ﴾: بساتين ﴿أَلْفَافًا﴾ ملتفة، جمع لفيف كشريف وأشراف. ١٧ ـ ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ بين الخلائق ﴿كَانَ مِيقَاتًا﴾: وقتاً للثواب والعقاب. ١٨ ـ ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾: القرن، بدل من (يوم الفصل) أو بيان له، والنافخ إسرافيل ﴿فَتَأْتُونَ﴾ من قبوركم إلى الموقف ﴿أَفْوَاجًا﴾: جماعاتٍ مختلفة. ١٩ ـ ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ﴾: شُققت لنزول الملائكة ﴿فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾: ذات أبواب. ٢٠ ـ ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ﴾: ذُهب بها عن أماكنها ﴿فَكَانَتْ سَرَابًا﴾: هباءً، أي: مثله في خفة سيرها. ٢١ ـ ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾: راصدة أو: مُرصَدة. ٢٢ ـ ﴿لِلطَّاغِينَ﴾: الكافرين، فلا يتجاوزونها ﴿مَآبًا﴾: مرجعاً لهم، فيدخلونها. ٢٣ ـ ﴿لَابِثِينَ﴾، حال مقدرة، أي: مقدراً لبثهم ﴿فِيهَا أَحْقَابًا﴾: دهوراً لا نهاية لها، جمع حُقب بضم أوله. ٢٤ ـ ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا﴾: نوماً فإنهم لا يذوقونه ﴿وَلَا شَرَابًا﴾: ما يُشرب تلذذاً. ٢٥ ـ ﴿إِلَّا﴾: لكن ﴿حَمِيمًا﴾: ماءً حارّاً غاية الحرارة ﴿وَغَسَّاقًا﴾: ما يسيل من صديد أهل النار، فإنهم يذوقونه. جُوزوا بذلك: ٢٦ ـ ﴿جَزَاءً وِفَاقًا﴾: موافقاً لعملهم، فلا ذنب أعظم من الكفر، ولا عذابَ أعظم من النار. ٢٧ ـ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ﴾: يخافون ﴿حِسَابًا﴾ لإنكارهم البعث. ٢٨ ـ ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾: القرآن ﴿كِذَّابًا﴾: تكذيباً. ٢٩ ـ ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ﴾ من الأعمال ﴿أَحْصَيْنَاهُ﴾: ضبطناه ﴿كِتَابًا﴾ كَتْباً في اللوح المحفوظ لنجازي عليه، ومن ذلك تكذيبهم بالقرآن. ٣٠ ـ ﴿فَذُوقُوا﴾ أي: فيقال لهم في الآخرة عند وقوع العذاب عليهم: ذوقوا جزاءكم ﴿فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ فوق عذابكم.

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

ترتيبها ٧٩ — آياتها ٤٦

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ ﴿٩﴾ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾

٣١ ـ ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾: مكان فوز في الجنة. ٣٢ ـ ﴿حَدَآئِقَ﴾: بساتين، بدل من (مفازاً) أو بيان له ﴿وَأَعْنَٰبًا﴾، عطف على (مفازاً). ٣٣ ـ ﴿وَكَوَاعِبَ﴾: جواري تكعبت ثُديُّهن، جمع كاعب ﴿أَتْرَابًا﴾ على سن واحد، جمع تِرب بكسر التاء وسكون الراء. ٣٤ ـ ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾: خمراً مالئة محالّها، وفي سورة القتال: (وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ). ٣٥ ـ ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾ أي: الجنة عند شرب الخمر وغيرها من الأحوال ﴿لَغْوًا﴾: باطلاً من القول ﴿وَلَا كِذَّٰبًا﴾ أي: تكذيباً من واحد لغيره، بخلاف ما يقع في الدنيا عند شرب الخمر. ٣٦ ـ ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ﴾ أي: جزاهم الله بذلك جزاءً ﴿عَطَآءً﴾، بدل من (جزاء) ﴿حِسَابًا﴾ أي: كثيراً، من قولهم: أعطاني فأحسبني، أي: أكثر عليَّ حتى قلتُ: حسبي. ٣٧ ـ ﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ﴾ أي: الخلق ﴿مِنْهُ﴾ تعالى ﴿خِطَابًا﴾ أي: لا يقدر أحد أن يخاطبه خوفاً منه. ٣٨ ـ ﴿يَوْمَ﴾، ظرف لـ (لا يملكون) ﴿يَقُومُ ٱلرُّوحُ﴾: جبريل ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾، حال، أي: مصطفين ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ﴾ أي: الخلق ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ في الكلام ﴿وَقَالَ﴾ قولاً ﴿صَوَابًا﴾ من المؤمنين والملائكة، كأن يشفعوا لمن ارتضى. ٣٩ ـ ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ﴾: الثابت وقوعه وهو يوم القيامة ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا﴾: مرجعاً، أي: رجع إلى الله بطاعته ليَسْلَمَ من العذاب فيه. ٤٠ ـ ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ أي: عذاب يوم القيامة الآتي، وكلُّ آتٍ قريب ﴿يَوْمَ﴾، ظرف لـ (عذاباً) بصفته ﴿يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ﴾: كلُّ امرئ ﴿مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ من خير وشر ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَا﴾، حرف تنبيه ﴿لَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾ يعني: فلا أُعذَّب، يقول ذلك عندما يقول الله تعالى للبهائم بعد الاقتصاص من بعضها لبعض: كوني تراباً.

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

مكية ست وأربعون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ ـ ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ﴾: الملائكة تنزع أرواح الكفار ﴿غَرْقًا﴾: نزعاً بشدة. ٢ ـ ﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا﴾: الملائكة تَنْشِطُ أرواحَ المؤمنين أي: تَسُلُّها برفق. ٣ ـ ﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا﴾: الملائكة تسبح من السماء بأمره تعالى، أي: تنزل. ٤ ـ ﴿فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا﴾: الملائكة تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة. ٥ ـ ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾: الملائكة تُدبر أمر الدنيا، أي: تنزل بتدبيره، وجواب هذه الأقسام محذوف، أي: لتُبْعَثُنَّ يا كفار مكة، وهو عامل في: ٦ ـ ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ﴾: النفخة الأولى، بها يرجف كل شيء، أي: يتزلزل، فوصفت بما يحدث بها. ٧ ـ ﴿تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾: النفخة الثانية، والجملة حال من (الراجفة). ٨ ـ ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾: خائفة قلقة. ٩ ـ ﴿أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ﴾: ذليلة لهول ما ترى. ١٠ ـ ﴿يَقُولُونَ﴾ أي: أرباب القلوب والأبصار استهزاءً وإنكاراً للبعث: ﴿أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ﴾ أي: أَنُرَدُّ بعد الموت إلى الحياة؟ والحافرة هي الطريق التي يرجع الإنسان فيها من حيث جاء. يقال: رجع في حافرته، وعلى حافرته.. ثم صار يعبر بها عن الرجوع في الأحوال من آخر الأمر إلى أوله. وقيل: الحافرة الأرض التي قبورهم فيها، ومعناه: أئنا لمردودون ونحن في القبور. ١١ ـ ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً﴾ نحيا؟. ١٢ ـ ﴿قَالُوا۟ تِلْكَ﴾ أي: رجعتُنا إلى الحياة ﴿إِذًا﴾: إن صَحَّتْ ﴿كَرَّةٌ﴾: رجعة ﴿خَاسِرَةٌ﴾: ذات خسران. ١٣ ـ قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هِىَ﴾ أي: الرادفة التي يعقبها البعث ﴿زَجْرَةٌ﴾: نفخة ﴿وَٰحِدَةٌ﴾. ١٤ ـ فإذا نُفخت ﴿فَإِذَا هُم﴾ أي: كل الخلائق ﴿بِٱلسَّاهِرَةِ﴾: بوجه الأرض أحياء بعدما كانوا ببطنها أمواتاً. ١٥ ـ ﴿هَلْ أَتَىٰكَ﴾ يا محمد ﴿حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾ عامل في:

إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾
فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ
ٱلْـَٔايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ
فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ
﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا
﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾
وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾
وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ
ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ
لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ
هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ
﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا
﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ
مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾

سُورَةُ عَبَسَ

ترتيبها ٨٠ — آياتها ٤٢

١٦ ـ ﴿إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾، اسم الوادي، ١٧ ـ فقال: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾: تجاوزَ الحدَّ في الكفر. ١٨ ـ ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ﴾: أدعوك ﴿إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾: تتطهر من الشرك، بأن تشهدَ أن لا إلٰه إلا الله. ١٩ ـ ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾: أدلك علىٰ معرفته ببرهان ﴿فَتَخْشَىٰ﴾: فتخافه. ٢٠ ـ ﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْـَٔايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ من الآيات التسع، وهي اليد أو العصا. ٢١ ـ ﴿فَكَذَّبَ﴾ فرعون موسىٰ ﴿وَعَصَىٰ﴾ الله تعالىٰ. ٢٢ ـ ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ عن الإيمان ﴿يَسْعَىٰ﴾ في الأرض بالفساد. ٢٣ ـ ﴿فَحَشَرَ﴾: جمعَ السحرة وجندَه ﴿فَنَادَىٰ﴾. ٢٤ ـ ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ لا رب فوقي. ٢٥ ـ ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ﴾: أهلكه بالغرق ﴿نَكَالَ﴾: عقوبة ﴿ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ أي: هذه الكلمة ﴿وَٱلْأُولَىٰٓ﴾ أي: قوله قبلها: ما علمت لكم من إلٰه غيري. ٢٦ ـ ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ﴾ الله تعالىٰ. ٢٧ ـ ﴿ءَأَنتُمْ﴾ أي: منكرو البعث ﴿أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ﴾ أشدُّ خلقاً؟ ﴿بَنَىٰهَا﴾، بيان لكيفية خلقها. ٢٨ ـ ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا﴾، تفسير لكيفية البناء، أي: جعل سمتها في جهة العلو رفيعاً، وقيل: سمكها سقفها ﴿فَسَوَّىٰهَا﴾: جعلها مستوية بلا عيب. ٢٩ ـ ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾: أظلمه ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا﴾: أبرز نورَ شمسها، وأضيف إليها الليل لأنه ظلها، والشمس لأنها سراجها. ٣٠ ـ ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾: بسطها. ٣١ ـ ﴿أَخْرَجَ﴾، حال بإضمار (قد) أي: مُخرِجاً ﴿مِنْهَا مَآءَهَا﴾ بتفجير عيونها ﴿وَمَرْعَىٰهَا﴾: ما ترعاه النعم من الشجر والعشب، وما يأكله الناس من الأقوات والثمار، وإطلاق المرعىٰ عليه استعارة. ٣٢ ـ ﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا﴾: أثبتها علىٰ وجه الأرض لتسكن. ٣٣ ـ ﴿مَتَٰعًا﴾، مفعول له لمقدر، أي: فعل ذلك منفعة، أو مصدر، أي: تمتيعاً ﴿لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾، جمع نَعَم، وهي الإبل والبقر والغنم. ٣٤ ـ ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ﴾: النفخة الثانية. ٣٥ ـ ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾، بدل من (إذا) ﴿مَا سَعَىٰ﴾ في الدنيا من خير وشر. ٣٦ ـ ﴿وَبُرِّزَتِ﴾: أُظهرت ﴿ٱلْجَحِيمُ﴾: النار المحرقة ﴿لِمَن يَرَىٰ﴾: لكل راءٍ، وجواب إذا: ٣٧ ـ ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ﴾: كفر. ٣٨ ـ ﴿وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ باتباع الشهوات. ٣٩ ـ ﴿فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾: مأواه. ٤٠ ـ ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾: قيامه بين يديه ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ﴾ الأمّارة ﴿عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ المُرْدي باتباع الشهوات. ٤١ ـ ﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ وحاصل الجواب: فالعاصي في النار، والمطيع في الجنة. ٤٢ ـ ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾: متىٰ وقوعها وقيامها. ٤٣ ـ ﴿فِيمَ﴾ في أيِّ شيء ﴿أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ﴾ أي: ليس عندك علمها حتىٰ تذكرها؟ ٤٤ ـ ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ﴾: منتهىٰ علمها لا يعلمه غيره. ٤٥ ـ ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ﴾: إنما ينفع إنذارك ﴿مَن يَخْشَىٰهَا﴾: يخافها. ٤٦ ـ ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟﴾ في قبورهم ﴿إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾: عشية يوم أو بكرته، وصح إضافة الضحىٰ إلىٰ العشية لما بينهما من الملابسة، إذ هما طرفا النهار، وحسّنَ الإضافةَ وقوعُ الكلمة فاصلة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ (١) أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ (٤) أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ (٥) فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ (٦) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ (٧) وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ (٨) وَهُوَ يَخْشَىٰ (٩) فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ (١٠) كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (١١) فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ (١٢) فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ (١٣) مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ (١٤) بِأَيْدِى سَفَرَةٍ (١٥) كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ (١٦) قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ (١٧) مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ (١٨) مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ (١٩) ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ (٢٠) ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ (٢١) ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ (٢٢) كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ (٢٣) فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ (٢٤) أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٢٩) وَحَدَآئِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ (٣٢) فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ (٣٣) يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٧) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ (٣٨) ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ (٣٩) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (٤٠) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (٤١) أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ (٤٢)

سُورَةُ عَبَسَ

مكية، اثنتان وأربعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

١ ـ ٢ ـ ﴿عَبَسَ﴾ النبي ﷺ: كَلَحَ وجهُه ﴿وَتَوَلَّىٰٓ﴾: أعرض لأجلِ ﴿أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ﴾: عبد الله بن أم مكتوم، فقطعه عما هو مشغول به ممن يرجو إسلامه من أشراف قريش الذي هو حريص علىٰ إسلامهم، ولم يدر الأعمىٰ أنه مشغول بذلك، فناداه: عَلِّمْني مما عَلَّمَكَ الله، فانصرف النبي ﷺ إلىٰ بيته، فعوتب في ذلك بما نزل في هذه السورة، فكان بعد ذلك يقول له إذا جاء: «مرحَباً بمن عاتبني فيه ربي» ويبسط له رداءه. ٣ ـ ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾: يُعلمك ﴿لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾، فيه إدغام التاء في الأصل في الزاي، أي: يتطهر من الذنوب بما يسمع منك. ٤ ـ ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ﴾، فيه إدغام التاء في الأصل في الذال، أي: يتعظ ﴿فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ﴾: العظة المسموعة منك. ٥ ـ ﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ﴾ بالمال. ٦ ـ ﴿فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ﴾: تُقْبِلُ وتَتعرَّض. ٧ ـ ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾: يؤمن. ٨ ـ ﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ﴾، حال من فاعل جاء. ٩ ـ ﴿وَهُوَ يَخْشَىٰ﴾ اللهَ، حال من فاعل (يسعىٰ) وهو الأعمىٰ. ١٠ ـ ﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾، فيه حذف التاء الأخرىٰ في الأصل، أي: تتشاغل.

١١ ـ ﴿كَلَّآ﴾ لا تفعل مثل ذلك ﴿إِنَّهَا﴾ أي: السورة، أو الآيات ﴿تَذْكِرَةٌ﴾: عظة للخلق. ١٢ ـ ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾: حفظ ذلك فاتعظ به. ١٣ ـ ﴿فِى صُحُفٍ﴾، خبر ثان لـ (إنها)، وما قبله اعتراض ﴿مُّكَرَّمَةٍ﴾ عند الله. ١٤ ـ ﴿مَّرْفُوعَةٍ﴾ في السماء ﴿مُّطَهَّرَةٍۭ﴾: منزَّهة عن مسِّ الشياطين. ١٥ ـ ﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ﴾: كتبة ينسخونها من اللوح المحفوظ. ١٦ ـ ﴿كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ﴾: مطيعين لله تعالىٰ، وهم الملائكة. ١٧ ـ ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾: لُعن الكافرُ ﴿مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾؟ استفهام توبيخ، أي: ما حمله علىٰ الكفر. والظاهر أنّ قوله (ما أكفره) صيغة تعجب. أي: ما أشدّ كفره مع معرفته بكثرة إحسانه إليه وأياديه عنده. ١٨ ـ ﴿مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾؟ استفهام تقرير، ثم بيّنه فقال: ١٩ ـ ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ﴾ علقة ثم مضغةً، إلىٰ آخر خلقه. ٢٠ ـ ﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ﴾ أي: طريق خروجه من بطن أمه ﴿يَسَّرَهُۥ﴾. ٢١ ـ ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ﴾: جعله في قبر يستره. ٢٢ ـ ﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾ للبعث. ٢٣ ـ ﴿كَلَّآ﴾: حقّاً ﴿لَمَّا يَقْضِ﴾: لم يفعل ﴿مَآ أَمَرَهُۥ﴾ به ربه. ٢٤ ـ ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ نظرَ اعتبار ﴿إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾ كيف قُدِّر ودُبِّر له. ٢٥ ـ ﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ﴾ من السحاب ﴿صَبًّا﴾. ٢٦ ـ ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ﴾ بالنبات ﴿شَقًّا﴾. ٢٧ ـ ﴿فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾ كالحنطة والشعير. ٢٨ ـ ﴿وَعِنَبًا وَقَضْبًا﴾: هو القَتُّ الرطب، أي: علف الدواب الرطب، وسُمي قضباً لأنه يقتضب أي يقطع مرة بعد أخرىٰ. ٢٩ ـ ﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا﴾. ٣٠ ـ ﴿وَحَدَآئِقَ غُلْبًا﴾: بساتين كثيرة الأشجار. ٣١ ـ ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾: ما ترعاه البهائم، وقيل: التبن. ٣٢ ـ ﴿مَّتَٰعًا﴾: مُتعة أو تمتيعاً كما تقدم في السورة قبلها ﴿لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ تقدم فيها أيضاً. ٣٣ ـ ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ﴾: النفخة الثانية. ٣٤ ـ ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾. ٣٥ ـ ﴿وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ﴾. ٣٦ ـ ﴿وَصَٰحِبَتِهِۦ﴾: زوجته ﴿وَبَنِيهِ﴾، (يوم) بدل من (إذا)، وجوابها دل عليه: ٣٧ ـ ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾، حال يشغله عن شأن غيره، أي: اشتغل كل واحد بنفسه. ٣٨ ـ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾: مضيئة. ٣٩ ـ ﴿ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾: فرحة، وهم المؤمنون. ٤٠ ـ ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾: غبار. ٤١ ـ ﴿تَرْهَقُهَا﴾: تغشاها ﴿قَتَرَةٌ﴾: ظُلمة وسواد. ٤٢ ـ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾: أهل هذه الحالة ﴿هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ﴾ أي: الجامعون بين الكفر والفجور.

سورة التكوير ٨١ آياتها ٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم

إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾

سورة الانفطار ٨٢ آياتها ١٩

سورة التكوير

مكية، تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾: لُفِفَتْ وذُهب بنورها. ٢ ـ ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾: انقضَّتْ وتساقطت. ٣ ـ ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾: ذُهب بها عن وجه الأرض، فصارت هباءً مُنبثّاً. ٤ ـ ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ﴾: النوق الحوامل ﴿عُطِّلَتْ﴾: تُركت بلا راعٍ، أو بلا حلب لِما دهاهم من الأمر، ولم يكن مال أعجب إليهم منها. ٥ ـ ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾: جُمعت بعد البعث، ليُقتصَّ لبعض من بعض، ثم تصير تراباً. ٦ ـ ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾: أوقدت فصارت ناراً. ٧ ـ ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾: قُرنت بأجسادها. ٨ ـ ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ﴾: الجاريةُ تدفن حيةً خوف العار والحاجة ﴿سُئِلَتْ﴾ تبكيتاً لقاتلها. ٩ ـ ﴿بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾، وجوابها أن تقول: قُتلتُ بلا ذنب. ١٠ ـ ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ﴾: صحف الأعمال ﴿نُشِرَتْ﴾: فُتحت وبُسطت. ١١ ـ ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ﴾: نُزعت عن أماكنها كما ينزع الجلد عن الشاة. ١٢ ـ ﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ﴾: النار ﴿سُعِّرَتْ﴾: أُجِّجتْ. ١٣ ـ ﴿وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾: قُرِّبَتْ لأهلها ليدخلوها. وجواب (إذا) أول السورة وما عطف عليها: ١٤ ـ ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾ أي: كل نفس وقت هذه المذكورات، وهو يوم القيامة ﴿مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ من خير وشر. ١٥ ـ ﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾، لا زائدة ﴿بِٱلْخُنَّسِ﴾. ١٦ ـ ﴿ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ﴾ هي النجوم الخمسة: زُحل والمُشتري والمِرِّيخ والزُّهرة وعُطارد، تَخنُس ـ بضم النون ـ أي: ترجع في مجراها وراءها، بينما ترىٰ النجم في آخر البرج إذْ كَرَّ راجعاً إلىٰ أوله، وتَكْنِسُ بكسر النون: تدخل في كِناسها، أي: تغيب في المواضع التي تغيب فيها. ١٧ ـ ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾: أقبل بظلامه أو أدبر. ١٨ ـ ﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾: امتدَّ حتىٰ يصير نهاراً بيّناً. ١٩ ـ ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي: القرآن ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ علىٰ الله تعالىٰ، وهو جبريل أضيف إليه لنزوله به. ٢٠ ـ ﴿ذِى قُوَّةٍ﴾ أي: شديد القوىٰ ﴿عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ﴾ أي: الله تعالىٰ ﴿مَكِينٍ﴾: ذي مكانة، متعلق به (عند). ٢١ ـ ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ﴾ أي: تطيعه الملائكة في السماوات ﴿أَمِينٍ﴾ علىٰ الوحي. ٢٢ ـ ﴿وَمَا صَاحِبُكُم﴾: محمد ﷺ، عطف علىٰ (إنه) إلىٰ آخر المُقسَم عليه ﴿بِمَجْنُونٍ﴾ كما زعمتم. ٢٣ ـ ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ﴾: رأىٰ محمد ﷺ جبريل علىٰ صورته التي خُلق عليها ﴿بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾: البين، وهو الأعلىٰ بناحية المشرق. ٢٤ ـ ﴿وَمَا هُوَ﴾ أي: محمد ﷺ ﴿عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ ما غاب من الوحي وخبر السماء ﴿بِضَنِينٍ﴾: ببخيل، فينتقص شيئاً منه. ٢٥ ـ ﴿وَمَا هُوَ﴾ أي: القرآن ﴿بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ﴾: مسترق السمع ﴿رَّجِيمٍ﴾: مرجوم. ٢٦ ـ ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ أي: فأيّ طريق تسلكون في إنكاركم القرآن وإعراضكم عنه. ٢٧ ـ ﴿إِنْ﴾: ما ﴿هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾: عِظَةٌ ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾: الإنس والجن. ٢٨ ـ ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ﴾، بدل من (العالمين) بإعادة الجار ﴿أَن يَسْتَقِيمَ﴾ باتباع الحق. ٢٩ ـ ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: الخلائق.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ ﴿٤﴾ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلۡ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ﴿١٤﴾ يَصۡلَوۡنَهَا يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمۡ عَنۡهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾

سُورَةُ المُطَفِّفِين

ترتيبها ٨٣ — آياتها ٣٦

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿٥﴾ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾

نصف الحزب ٥٩

سورة الانفطار

مكية، تسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ﴾ : انشقت.

٢ ـ ﴿وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ﴾ : انقضَّت وتساقطت.

٣ ـ ﴿وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ﴾ : فُتح بعضها في بعض، فصارت بحراً واحداً، واختلط العذب بالملح.

٤ ـ ﴿وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ﴾ : قُلب ترابها وبُعث موتاها، وجواب (إذا) وما عطف عليها:

٥ ـ ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ﴾ أي: كلُّ نفس وقت هذه المذكورات، وهو يوم القيامة ﴿مَّا قَدَّمَتۡ﴾ من الأعمال ﴿وَ﴾ ما ﴿أَخَّرَتۡ﴾ منها فلم تعمله.

٦ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ الكافر ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾ حتىٰ عصيته.

٧ ـ ﴿ٱلَّذِي خَلَقَكَ﴾ بعد أن لم تكن ﴿فَسَوَّىٰكَ﴾ : جعلك مستوي الخلقة سالم الأعضاء ﴿فَعَدَلَكَ﴾ : جعلك معتدل الخلق متناسب الأعضاء، ليست يدٌ أو رجل أطولَ من الأخرىٰ.

٨ ـ ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا﴾، زائدة ﴿شَآءَ رَكَّبَكَ﴾.

٩ ـ ﴿كَلَّا﴾، ردع عن الاغترار بكرم الله تعالىٰ ﴿بَلۡ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ﴾ : بالجزاء علىٰ الأعمال.

١٠ ـ ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ﴾ من الملائكة لأعمالكم. ١١ ـ ﴿كِرَامٗا﴾ علىٰ الله ﴿كَٰتِبِينَ﴾ لها. ١٢ ـ ﴿يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ﴾ جميعه. ١٣ ـ ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ﴾ : المؤمنين الصادقين في إيمانهم ﴿لَفِي نَعِيمٖ﴾ : جنة. ١٤ ـ ﴿وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ﴾ : الكفار ﴿لَفِي جَحِيمٖ﴾ : نار مُحْرِقة. ١٥ ـ ﴿يَصۡلَوۡنَهَا﴾ : يدخلونها ويقاسون حرَّها ﴿يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾ : الجزاء. ١٦ ـ ﴿وَمَا هُمۡ عَنۡهَا بِغَآئِبِينَ﴾ : بمُخرَجين. ١٧ ـ ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ﴾ : أعلمك ﴿مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ﴾. ١٨ ـ ﴿ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ﴾، تعظيم لشأنه. ١٩ ـ ﴿يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ﴾ من المنفعة ﴿وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ﴾ لا أمر لغيره فيه، أي: لم يُمكِّنْ أحداً من التوسط فيه، بخلاف الدنيا.

سورة التطفيف

مكية أو مدنية، ست وثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿وَيۡلٞ﴾ : كلمة عذاب، أو وادٍ في جهنم ﴿لِّلۡمُطَفِّفِينَ﴾. ٢ ـ ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى﴾ أي: من ﴿ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ﴾ الكيلَ. ٣ ـ ﴿وَإِذَا كَالُوهُمۡ﴾ أي: كالوا لهم ﴿أَو وَّزَنُوهُمۡ﴾ أي: وزنوا لهم ﴿يُخۡسِرُونَ﴾ : ينقصون الكيلَ أو الوزنَ. ٤ ـ ﴿أَلَا﴾، استفهام توبيخ ﴿يَظُنُّ﴾ : يتيقن ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ﴾. ٥ ـ ﴿لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾ أي: فيه، وهو يوم القيامة. ٦ ـ ﴿يَوۡمَ﴾، بدل من محل (ليوم)، فناصبه: مبعوثون ﴿يَقُومُ ٱلنَّاسُ﴾ من قبورهم ﴿لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ : الخلائق، لأجل أمره وحسابه وجزائه.

٧ ـ ﴿كَلَّآ﴾ : حقّاً ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ﴾ أي: كتاب أعمال الكفار ﴿لَفِي سِجِّينٖ﴾ قيل: هو كتاب جامع

كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾

لأعمال الشياطين والكَفَرة، وقيل: هو مكان أسفل الأرض السابعة وهو محل إبليس وجنوده.

٨ ـ ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ﴾: ما كتاب سجين.

٩ ـ ﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾: مختوم.

١٠ ـ ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

١١ ـ ﴿ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾: الجزاء، بدل، أو بيان (للمكذبين).

١٢ ـ ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ﴾: متجاوزٍ الحدَّ ﴿أَثِيمٍ﴾، صيغة مبالغة.

١٣ ـ ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا﴾: القرآن ﴿قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: الحكايات التي سطرت قديماً، جمع أسطورة، بالضم، أو إسطارة، بالكسر.

١٤ ـ ﴿كَلَّا﴾، ردع وزجر لقولهم ذلك ﴿بَلْ رَانَ﴾: غلب ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِم﴾ فغشيها ﴿مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ من المعاصي، فهو كالصدأ.

١٥ ـ ﴿كَلَّآ﴾: حقاً ﴿إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ﴾: يوم القيامة ﴿لَّمَحْجُوبُونَ﴾ فلا يرونه.

١٦ ـ ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ﴾: لداخلو النار المُحْرقة.

١٧ ـ ﴿ثُمَّ يُقَالُ﴾ لهم: ﴿هَٰذَا﴾ أي: العذاب ﴿ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾.

١٨ ـ ﴿كَلَّآ﴾: حقاً ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ﴾ أي: كتاب أعمال المؤمنين الصادقين في إيمانهم ﴿لَفِى عِلِّيِّينَ﴾ قيل: هو كتاب جامع لأعمال الخير من الملائكة ومؤمني الثقلين، وقيل: هو مكان في السماء السابعة تحت العرش. ١٩ ـ ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾: أعلمك ﴿مَا عِلِّيُّونَ﴾: ما كتاب عليين؟ ٢٠ ـ هو ﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾: مختوم. ٢١ ـ ﴿يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ من الملائكة. ٢٢ ـ ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾: جنة. ٢٣ ـ ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾: السرر في الحِجال ﴿يَنظُرُونَ﴾ ما أعطوا من النعيم. ٢٤ ـ ﴿تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾: بهجةَ التنعم وحسنه. ٢٥ ـ ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ﴾: خمر خالصة من الدَّنس ﴿مَّخْتُومٍ﴾ على إنائها لا يفك ختمه إلا هم. ٢٦ ـ ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾ أي: آخر شربه تفوح منه رائحة المسك ﴿وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾: فليرغبوا بالمبادرة إلى طاعة الله. ٢٧ ـ ﴿وَمِزَاجُهُۥ﴾ أي: ما يمزج به ﴿مِن تَسْنِيمٍ﴾ فُسِّر بقوله: ٢٨ ـ ﴿عَيْنًا﴾، فنصبُه بـ (أمدحُ) مقدّراً ﴿يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ أي: منها، أو ضُمِّنَ (يشرب) معنى يلتذ. ٢٩ ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟﴾ كأبي جهل ونحوه ﴿كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ كعمار وبلال ونحوهما ﴿يَضْحَكُونَ﴾ استهزاءً بهم. ٣٠ ـ ﴿وَإِذَا مَرُّوا۟﴾ أي: المؤمنون ﴿بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾: أي: يُشير المجرمون إلى المؤمنين بالجفن والحاجب استهزاءً. ٣١ ـ ﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟﴾: رجعوا ﴿إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ﴾: معجَبين بذكرهم المؤمنين. ٣٢ ـ ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ﴾: رأوا المؤمنين ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ﴾ لإيمانهم بمحمد ﷺ. ٣٣ ـ قال تعالى: ﴿وَمَآ أُرْسِلُوا۟﴾ أي: الكفار ﴿عَلَيْهِمْ﴾ على المؤمنين ﴿حَٰفِظِينَ﴾ لهم أو لأعمالهم حتى يردُّوهم إلى مصالحهم. ٣٤ ـ ﴿فَٱلْيَوْمَ﴾ أي: يوم القيامة ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾.

٣٥ ـ ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ في الجنة ﴿يَنظُرُونَ﴾ من منازلهم إلى الكفار وهم يعذبون، فيضحكون منهم كما

عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾

سُورَةُ الانشِقَاقِ — ترتيبها ٨٤ — آياتها ٢٥

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ﴿١﴾ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ ﴿٣﴾ وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا ﴿١١﴾ وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓۚ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرٗا ﴿١٥﴾ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَۤ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونِۭ ﴿٢٥﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٥٩ — سجدة

ضحك الكفار منهم في الدنيا. ٣٦ ـ ﴿هَلۡ ثُوِّبَ﴾: جُوزي ﴿ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾؟ نعم.

سُورَةُ الانشِقَاقِ

مكية، ثلاث أو خمس وعشرون آية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ ـ ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾. ٢ ـ ﴿وَأَذِنَتۡ﴾: سمعت وأطاعت في الانشقاق ﴿لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ﴾ أي: حُقَّ لها أن تسمع وتطيع. ٣ ـ ﴿وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ﴾: زيد في سَعتها كما يُمد الأديم، ولم يبق عليها بناء ولا جبل. ٤ ـ ﴿وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا﴾ من الموتىٰ إلىٰ ظاهرها ﴿وَتَخَلَّتۡ﴾ عنه. ٥ ـ ﴿وَأَذِنَتۡ﴾: سَمِعتْ وأطاعت في ذلك ﴿لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ﴾ وذلك كله يكون يوم القيامة، وجواب (إذا) وما عطف عليها محذوف دل عليه ما بعده تقديره: لقيَ الإنسان عمله. ٦ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ﴾: جَاهِدٌ في عملك ﴿إِلَىٰ﴾ لقاء ﴿رَبِّكَ﴾ وهو الموت ﴿كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ﴾ أي: ملاق عملك المذكور من خير أو شر يوم القيامة.

٧ ـ ﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ﴾: كتاب عمله ﴿بِيَمِينِهِۦ﴾ هو المؤمن. ٨ ـ ﴿فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا﴾ هو عَرْضُ عمله عليه كما فُسِّرَ في حديث «الصحيحين»، وفيه: «من نوقش الحساب هلك»، رواه البخاري (٦٥٣٦) ومسلم (٢٨٧٦)، وبعد العرض يُتجاوز عنه. ٩ ـ ﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ﴾ في الجنة ﴿مَسۡرُورٗا﴾ بذلك. ١٠ ـ ﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ﴾ هو الكافر، تُغلُّ يمناه إلىٰ عنقه، وتُجعل يسراه وراء ظهره، فيأخذ بها كتابه. ١١ ـ ﴿فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ﴾ عند رؤيته ما فيه ﴿ثُبُورٗا﴾: ينادي هلاكه بقوله: يا ثبوراه. ١٢ ـ ﴿وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا﴾: يدخل النار الشديدة. ١٣ ـ ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهۡلِهِۦ﴾: عشيرته في الدنيا ﴿مَسۡرُورًا﴾: بطراً باتباعه لهواه. ١٤ ـ ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن﴾، مخففة من الثقيلة واسمها محذوف، أي: أنه ﴿لَّن يَحُورَ﴾: يرجع إلىٰ ربه. ١٥ ـ ﴿بَلَىٰٓ﴾ يرجع إليه ﴿إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرٗا﴾: عالماً برجوعه إليه. ١٦ ـ ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ﴾، لا زائدة ﴿بِٱلشَّفَقِ﴾: هو الحمرة في الأفق بعد غروب الشمس. ١٧ ـ ﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ﴾: جمعَ ما دخل عليه من الدواب وغيرها. ١٨ ـ ﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ﴾: اجتمع وتمَّ نوره، وذلك في الليالي البيض. ١٩ ـ ﴿لَتَرۡكَبُنَّ﴾ أيها الناس، أصله: تركبونن، حُذفت نون الرفع لتوالي الأمثال، والواو لالتقاء الساكنين ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٖ﴾ حالاً بعد حال، وهو الموت ثم الحياة وما بعدها من أحوال القيامة. ٢٠ ـ ﴿فَمَا لَهُمۡ﴾ أي: الكفار ﴿لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ أي: أيُّ مانع لهم من الإيمان؟ أو أيُّ حجة لهم في تركه مع وجود براهينه. ٢١ ـ ﴿وَ﴾ ما لهم ﴿إِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَ﴾: يخضعون بأن يؤمنوا به لإعجازه؟ ٢٢ ـ ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ﴾ بالبعث وغيره. ٢٣ ـ ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾: يَجمعون في صحفهم من الكفر والتكذيب وأعمال السوء. ٢٤ ـ ﴿فَبَشِّرۡهُم﴾: أخبرهم ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: مؤلم. ٢٥ ـ ﴿إِلَّا﴾: لكن ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونِۭ﴾: غير مقطوع ولا منقوص، ولا يُمَنُّ به عليهم.

سورة البروج (ترتيبها ٨٥ – آياتها ٢٢)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾

سورة الطارق (ترتيبها ٨٦ – آياتها ١٧)

سورة البروج

مكية، ثنتان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾ للكواكب اثنا عشر برجاً تقدمت في الفرقان.

٢ ـ ﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ﴾: يوم القيامة.

٣ ـ ﴿وَشَاهِدٍ﴾: يوم الجمعة ﴿وَمَشْهُودٍ﴾: يوم عرفة، كذا فُسِّرت الثلاثة في الحديث، فالأول موعود به، والثاني شاهد بالعمل فيه، والثالث تشهده الناس والملائكة. وجواب القسم محذوف صدره تقديره: لقد

٤ ـ ﴿قُتِلَ﴾: لعن ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾: الشَّقّ في الأرض.

٥ ـ ﴿ٱلنَّارِ﴾، بدل اشتمال منه ﴿ذَاتِ ٱلْوَقُودِ﴾: ما توقد به.

٦ ـ ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا﴾ أي: حولها علىٰ جانب الأخدود علىٰ الكراسي ﴿قُعُودٌ﴾.

٧ ـ ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بالله من تعذيبهم بالإلقاء في النار إن لم يرجعوا عن إيمانهم ﴿شُهُودٌ﴾: حضور. روي أن الله أنجىٰ المؤمنين الملقَين في النار بقبض أرواحهم قبل وقوعهم فيها، وخرجت النار إلىٰ من ثَمَّ، فأحرقتهم.

٨ ـ ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿ٱلْحَمِيدِ﴾: المحمود.

٩ ـ ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ أي: ما أنكر الكفار علىٰ المؤمنين إلا إيمانهم.

١٠ ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ بالإحراق ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ بكفرهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾ أي: عذاب إحراقهم المؤمنين في الآخرة، وقيل: في الدنيا بأن خرجت النار فأحرقتهم، كما تقدم.

١١ ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ﴾.

١٢ ـ ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ﴾ بالكفار ﴿لَشَدِيدٌ﴾ بحسب إرادته.

١٣ ـ ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ﴾ الخلق ﴿وَيُعِيدُ﴾ فلا يعجزه ما يريد.

١٤ ـ ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ﴾ للمذنبين المؤمنين ﴿ٱلْوَدُودُ﴾: المتودد إلىٰ أوليائه بالكرامة.

١٥ ـ ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ﴾، بالرفع: المستحقُّ لكمال صفات العلو.

١٦ ـ ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ لا يُعجزه شيء.

١٧ ـ ﴿هَلْ أَتَىٰكَ﴾ يا محمدُ ﴿حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ﴾.

١٨ ـ ﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾، بدل من (الجنود) واستُغني بذكر فرعون عن أتباعه وحديثهم أنهم أُهلكوا بكفرهم، وهذا تنبيه لمن كفر بالنبي ﷺ والقرآن ليتعظوا. ١٩ ـ ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ﴾ بما ذكر. ٢٠ ـ ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾: لا عاصم لهم منه. ٢١ ـ ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ﴾: عظيم. ٢٢ ـ ﴿فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾.

سورة الطارق مكية، سبع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾، أصله كل آتٍ ليلاً، ومنه النجوم لطلوعها ليلاً. ٢ ـ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾: أعلمك ﴿مَا الطَّارِقُ﴾؟ مبتدأ وخبر في محل المفعول الثاني لـ (أدرىٰ)، وما بعد (ما) الأولىٰ خبرها، وفيه تعظيم لشأن الطارق المُفسَّر بما بعده، هو: ٣ ـ ﴿النَّجْمُ﴾ أي: الثريا، أو كل نجم ﴿الثَّاقِبُ﴾: المضيء لثقبه الظلام بضوئه، وجواب القسم: ٤ ـ ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾، فـ (إنْ) نافية، و(لَمَّا) بمعنىٰ (إلا)، والحافظ من الملائكة يحفظ عملها من خير وشر. ٥ ـ ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ﴾ نظرَ اعتبار ﴿مِمَّ خُلِقَ﴾: من أي شيء؟ جوابه: ٦ ـ ﴿خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ﴾: ذي اندفاق من الرجل والمرأة في رحمها. ٧ ـ ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ﴾ للرجل ﴿وَالتَّرَائِبِ﴾ للمرأة، وهي عظام الصدر. ٨ ـ ﴿إِنَّهُ﴾ تعالىٰ ﴿عَلَىٰ رَجْعِهِ﴾: بعث الإنسان بعد موته ﴿لَقَادِرٌ﴾ فإذا اعتبر أصله، علمَ أن القادرَ علىٰ ذلك قادرٌ علىٰ بعثه. ٩ ـ ﴿يَوْمَ تُبْلَىٰ﴾: تُختبر وتُكشف ﴿السَّرَائِرُ﴾: ضمائر القلوب في العقائد والنيات. ١٠ ـ ﴿فَمَا لَهُ﴾: لمنكر البعث ﴿مِنْ قُوَّةٍ﴾ يمتنع بها من العذاب ﴿وَلَا نَاصِرٍ﴾ يدفعه عنه. ١١ ـ ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾: المطر، لعوده كل حين. ١٢ ـ ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾: الشقّ عن النبات. ١٣ ـ ﴿إِنَّهُ﴾ أي: القرآن ﴿لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾: يفصل بين الحق والباطل. ١٤ ـ ﴿وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾: باللعب والباطل. ١٥ ـ ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي: الكفار ﴿يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾: يعملون المكائد للنبي ﷺ. ١٦ ـ ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾: أستدرجهم من حيث لا يعلمون. ١٧ ـ ﴿فَمَهِّلِ﴾ يا محمد ﴿الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ﴾، تأكيد، حَسّنَهُ مُخالفةُ اللفظ، أي: أنْظِرهم ﴿رُوَيْدًا﴾: قليلاً، وهو مصدر مؤكِّد لمعنىٰ العامل مصغر رُود أو إرواد علىٰ الترخيم، وقد أخذهم الله تعالىٰ ببدر، ونُسخ الإمهال بآية السيف، أي: الأمر بالقتال والجهاد.

سورة الأعلى مكية، تسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ﴾ أي: نَزِّهْ ربَّك عما لا يليق به ﴿الْأَعْلَى﴾، صفة لـ (ربك). ٢ ـ ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ مخلوقه: جعله متناسب الأجزاء غير متفاوت. ٣ ـ ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ﴾ ما شاء ﴿فَهَدَىٰ﴾ إلىٰ ما قدَّره من خير وشر. ٤ ـ ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ﴾: أنبت العشب. ٥ ـ ﴿فَجَعَلَهُ﴾ بعد الخضرة ﴿غُثَاءً﴾: جافّاً هشيماً ﴿أَحْوَىٰ﴾: أسود يابساً. ٦ ـ ﴿سَنُقْرِئُكَ﴾ القرآنَ ﴿فَلَا تَنْسَىٰ﴾ ما تقرؤه. ٧ ـ ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ أن تنساه بنسخ تلاوته وحكمه، وكان ﷺ يجهر بالقراءة مع قراءة جبريل خوف النسيان، فكأنه قيل له: لا تعجل بها، إنك لا تنسىٰ، ولا تتعب نفسك بالجهر بها ﴿إِنَّهُ﴾ تعالىٰ ﴿يَعْلَمُ الْجَهْرَ﴾ من القول والفعل ﴿وَمَا يَخْفَىٰ﴾ منهما. ٨ ـ ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾: للشريعة السهلة، وهي الإسلام. ٩ ـ ﴿فَذَكِّرْ﴾: عظ بالقرآن ﴿إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَىٰ﴾ مَن تذكَّره، المذكور في (سَيَذَّكَّرُ) يعني: وإن لم تنفع، ونفعُها لبعض، وعدم النفع لبعض آخر. ١٠ ـ ﴿سَيَذَّكَّرُ﴾ بها ﴿مَنْ يَخْشَىٰ﴾: يخاف الله تعالىٰ، كآية: (فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ). ١١ ـ ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا﴾ أي: الذكرىٰ، أي: يتركها جانباً لا يلتفت إليها ﴿الْأَشْقَى﴾ بمعنىٰ الشقي، أي: الكافر. ١٢ ـ ﴿الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ﴾: هي نار الآخرة، والصغرىٰ نار الدنيا. ١٣ ـ ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ فيستريح ﴿وَلَا يَحْيَىٰ﴾ حياةً هنيئة. ١٤ ـ ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾: فازَ ﴿مَنْ تَزَكَّىٰ﴾: تطهَّر بالإيمان. ١٥ ـ ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ﴾ مكبراً ﴿فَصَلَّىٰ﴾ الصلواتِ الخمسَ، وذلك من أمور الآخرة.

بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾

سُورَةُ الغَاشِيَةِ (ترتيبها ٨٨ — آياتها ٢٦)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ﴿٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِىُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾

١٦ ـ ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ علىٰ الآخرة. ١٧ ـ ﴿وَٱلْـَٔاخِرَةُ﴾ المشتملة علىٰ الجنة ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾. ١٨ ـ ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ أي: إفلاح من تزكَّىٰ، وكون الآخرة خيراً ﴿لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ أي: المنزلة قبل القرآن. ١٩ ـ ﴿صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾: وهي عشرةُ صحف لإبراهيم، والتوراة لموسىٰ.

سُورَةُ الغَاشِيَةِ

مكية، ست وعشرون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ ـ ﴿هَلْ﴾: قد ﴿أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ﴾: القيامة لأنها تغشىٰ الخلائق بأهوالها.

٢ ـ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾، عَبَّرَ بها عن الذَّوات في الموضعين ﴿خَٰشِعَةٌ﴾: ذليلة.

٣ ـ ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾: ذات نَصَب وتعب بالسلاسل والأغلال.

٤ ـ ﴿تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾.

٥ ـ ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ﴾: شديدة الحرارة.

٦ ـ ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾ هو نوع من الشوك لا ترعاه دابة لِخُبثه.

٧ ـ ﴿لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ﴾.

٨ ـ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾: حسنة.

٩ ـ ﴿لِّسَعْيِهَا﴾ في الدنيا بالطاعة ﴿رَاضِيَةٌ﴾ في الآخرة لما رأت ثوابه.

١٠ ـ ﴿فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ حسّاً ومعنًى.

١١ ـ ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً﴾ أي: نفساً ذات لغو، أي: هذيان من الكلام.

١٢ ـ ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ بالماء، بمعنىٰ عيون.

١٣ ـ ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾ ذاتاً وقدراً ومحلاً.

١٤ ـ ﴿وَأَكْوَابٌ﴾: أقداحٌ لا عُرىٰ لها ﴿مَّوْضُوعَةٌ﴾ علىٰ حافَّات العيون معدَّة لشربهم.

١٥ ـ ﴿وَنَمَارِقُ﴾: وسائدُ ﴿مَصْفُوفَةٌ﴾ بعضها بجنب بعض يُستند إليها. ١٦ ـ ﴿وَزَرَابِىُّ﴾: بُسُطٌ طنافس لها خَمْلٌ ﴿مَبْثُوثَةٌ﴾: مبسوطة. ١٧ ـ ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ﴾، نظر اعتبار ﴿إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾. ١٨ ـ ﴿وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾. ١٩ ـ ﴿وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾. ٢٠ ـ ﴿وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ أي: بُسطت، فيستدلون بها علىٰ قدرة الله تعالىٰ ووحدانيته؟ وصُدِّرت بالإبل لأنهم أشدُّ ملابسة لها من غيرها. ٢١ ـ ﴿فَذَكِّرْ﴾هُمْ نِعَمَ اللهِ ودلائلَ توحيده ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾. ٢٢ ـ ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ أي: بمسلَّط، وهذا قبل الأمر بالجهاد. ٢٣ ـ ﴿إِلَّا﴾: لكن ﴿مَن تَوَلَّىٰ﴾: أعرض عن الإيمان ﴿وَكَفَرَ﴾ بالقرآن. ٢٤ ـ ﴿فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ﴾: عذابَ الآخرة، والأصغر عذاب الدنيا بالقتل والأسر. ٢٥ ـ ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ﴾: رجوعهم بعد الموت. ٢٦ ـ ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾: جزاءهم لا نتركه أبداً.

سورة الفجر

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾

سورة الفجر

مكية، أو مدنية ثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿وَالْفَجْرِ﴾ أي: فجر كل يوم.

٢ ـ ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ أي: عشر ذي الحجة.

٣ ـ ﴿وَالشَّفْعِ﴾: الزوج ﴿وَالْوَتْرِ﴾: الفرد.

٤ ـ ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ مقبلاً ومدبراً.

٥ ـ ﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ﴾ القسم ﴿قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾: عقل، وجواب القسم محذوف، أي: لَتعذَّبُنَّ يا كفار مكة.

٦ ـ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: تعلم يا محمد ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾؟

٧ ـ ﴿إِرَمَ﴾: هي عادُ الأولىٰ، فـ (إرم) عطف بيان أو بدل، ومُنع الصرفَ للعلمية والتأنيث ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ أي: الطول.

٨ ـ ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ في بطشهم وقوتهم.

٩ ـ ﴿وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا﴾: قطعوا ﴿الصَّخْرَ﴾، جمع صخرة، واتخذوها بيوتاً ﴿بِالْوَادِ﴾: وادي القُرىٰ.

١٠ ـ ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾ كان يَتِدُ أربعة أوتاد، يَشد إليها يدي ورجلي من يعذبه.

١١ ـ ﴿الَّذِينَ طَغَوْا﴾: تجبروا ﴿فِي الْبِلَادِ﴾.

١٢ ـ ﴿فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾: القتلَ وغيره.

١٣ ـ ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ﴾: نوعَ ﴿عَذَابٍ﴾.

١٤ ـ ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾: يرصد أعمال العباد، فلا يفوته منها شيء ليجازيهم عليها.

١٥ ـ ﴿فَأَمَّا الْإِنسَانُ﴾: الكافرُ ﴿إِذَا مَا ابْتَلَاهُ﴾: اختبرَه ﴿رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ﴾ بالمال وغيره ﴿وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾.

١٦ ـ ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ﴾: ضيَّق ﴿عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾. ١٧ ـ ﴿كَلَّا﴾، ردع، أي: ليس الإكرام بالغنىٰ والإهانة بالفقر، وإنما هو بالطاعة والمعصية، والكفار لا يتنبهون لذلك ﴿بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾: لا تحسنون إليه مع غناكم، أو لا تعطونه حقَّه من الميراث. ١٨ ـ ﴿وَلَا تَحَاضُّونَ﴾: ولا يحث بعضكم بعضاً ﴿عَلَىٰ طَعَامِ﴾ أي: إطعام ﴿الْمِسْكِينِ﴾. ١٩ ـ ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ﴾: الميراث ﴿أَكْلًا لَّمًّا﴾ أي: شديداً لِلَمِّكم نصيب النساء والصبيان من الميراث مع نصيبكم منه، أو مع مالكم. ٢٠ ـ ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ أي: كثيراً، فلا تنفقونه ٢١ ـ ﴿كَلَّا﴾، ردع لهم عن ذلك ﴿إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾: زُلزلت حتىٰ ينهدمَ كلُّ بناء عليها وينعدم. ٢٢ ـ ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ﴾ أي: الملائكةُ ﴿صَفًّا صَفًّا﴾، حال، أي: مصطفين، أو ذوي صفوف كثيرة. ٢٣ ـ ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ تقاد بسبعين ألفَ زمام، كلُّ زمام بأيدي سبعين ألفَ ملك، لها زفير وتغيُّظ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾، بدل من (إذا)، وجوابُها: ﴿يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ﴾ أي: الكافر ما فرط فيه ﴿وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ﴾؟ استفهام بمعنىٰ النفي، أي: لا ينفعه تذكُّره ذلك.

يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾

سُورَةُ البَلَدِ

ترتيبها ٩٠ — آياتها ٢٠

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ ﴿٢٠﴾

سُورَةُ الشَّمْسِ

ترتيبها ٩١ — آياتها ١٥

٢٤ ـ ﴿يَقُولُ﴾ مع تذكُّره ﴿يا﴾: للتنبيه ﴿لَيْتَنِي قَدَّمْتُ﴾ الخيرَ والإيمان ﴿لِحَيَاتِي﴾ الطيبة في الآخرة، أو وقت حياتي في الدنيا.

٢٥ ـ ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ﴾، بكسر الذال ﴿عَذَابَهُۥٓ﴾ أي: الله ﴿أَحَدٌ﴾ أي: لا يَكِلُه إلىٰ غيره.

٢٦ ـ ﴿وَ﴾ كذا ﴿لا يوثِقُ﴾، بكسر الثاء ﴿وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ﴾.

٢٧ ـ ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾: الآمنة، وهي المؤمنة.

٢٨ ـ ﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ يقال لها ذلك عند الموت ﴿رَاضِيَةً﴾ بالثواب ﴿مَّرْضِيَّةً﴾ عند الله بعملك، أي: جامعة بين الوصفين، وهما حالان. ويقال لها في القيامة:

٢٩ ـ ﴿فَٱدْخُلِى فِى﴾ جملة ﴿عِبَٰدِى﴾ الصالحين.

٣٠ ـ ﴿وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ معهم.

سُورَةُ البَلَدِ

مكية، عشرون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ ـ ﴿لَآ﴾، زائدة ﴿أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾: مكة.

٢ ـ ﴿وَأَنتَ﴾ يا محمد ﴿حِلٌّۢ﴾: حلال ﴿بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ بأن يُحَلَّ لك، فتقاتل فيه، وقد أنجز الله له هذا الوعد يوم الفتح، فالجملة اعتراض بين المقسم به وما عطف عليه.

٣ ـ ﴿وَوَالِدٍ﴾: أي: آدم ﴿وَمَا وَلَدَ﴾ أي: ذُرِّيَّته و(ما) بمعنىٰ مَن.

٤ ـ ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ أي: الجنس ﴿فِى كَبَدٍ﴾: نَصَب وشدة، يُكابد مصائبَ الدنيا وشدائدَ الآخرة.

٥ ـ ﴿أَيَحْسَبُ﴾: أيظنُّ الإنسانُ ﴿أَن﴾، مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف، أي: أنه ﴿لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾؟ والله قادر عليه. ٦ ـ ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا﴾: كثيراً بعضه علىٰ بعض. ٧ ـ ﴿أَيَحْسَبُ أَن﴾ أي: أنه ﴿لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ فيما أنفقه، فيعلم قدره؟ والله عالم بقدره، وأنه ليس مما يُتكثر به، ومجازيه علىٰ فعله السيِّئ. ٨ ـ ﴿أَلَمْ نَجْعَل﴾، استفهام تقرير، أي: جعلنا ﴿لَّهُۥ عَيْنَيْنِ﴾؟ ٩ ـ ﴿وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾؟ ١٠ ـ ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾: بَيَّنَّا له طريقَي الخير والشر. ١١ ـ ﴿فَلَا﴾، فهلّا ﴿ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾: جاوزها. ١٢ ـ ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾: أعلمك ﴿مَا ٱلْعَقَبَةُ﴾ التي يقتحمها، تعظيم لشأنها، والجملة اعتراض، وبَيَّن سببَ جوازها بقوله: ١٣ ـ ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ من الرِّقِّ بأن أعتقَها. ١٤ ـ ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ﴾: مجاعة. ١٥ ـ ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾: قرابة. ١٦ ـ ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ أي: لُصوق بالتراب لفقره، فيقدر قبل العقبة: اقتحام. ١٧ ـ ﴿ثُمَّ كَانَ﴾، عطف علىٰ (اقتحم)، و(ثم) للترتيب الذكري، والمعنىٰ: كان وقت الاقتحام ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟﴾: أوصىٰ بعضهم بعضاً ﴿بِٱلصَّبْرِ﴾ علىٰ الطاعة وعن المعصية ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾: الرحمة علىٰ الخلق. ١٨ ـ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ الموصوفون بهذه الصفات ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾: اليمين. ١٩ ـ ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾: الشمال.

٢٠ ـ ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ﴾، بالهمزة: مُطبقة.

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ﴿٢﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴿٤﴾ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ﴿١١﴾ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿١٥﴾

سورة الليل

ترتيبها ٩٢ — آياتها ٢١

بسم الله الرحمن الرحيم

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾

سورة الشمس

مكية، خمس عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾: ضوئها. ٢ ـ ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾: تبِعَها طالعاً عند غروبها. ٣ ـ ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا﴾ بارتفاعه. ٤ ـ ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾: يُغطيها بظلمته، و(إذا) في الثلاثة لمجرد الظرفية، أي للظرف المجرد عن الشرط. ٥ ـ ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾. ٦ ـ ﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾: بسطها. ٧ ـ ﴿وَنَفْسٍ﴾ بمعنىٰ: (نفوس) ﴿وَمَا سَوَّاهَا﴾ في الخلقة، و(ما) في الثلاثة مصدرية، أو بمعنىٰ (مَن). ٨ ـ ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾: بَيَّن لها طريقَ الخير والشر، وأخَّر التقوىٰ رعاية لرؤوس الآي، وجواب القسم: ٩ ـ ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾، حُذفت منه اللام لطول الكلام ﴿مَن زَكَّاهَا﴾: طهَّرها من الذنوب. ١٠ ـ ﴿وَقَدْ خَابَ﴾: خسر ﴿مَن دَسَّاهَا﴾: أخفاها بالمعصية وأصله: دسسها، أبدلت السين الثانية ألفاً تخفيفاً. ١١ ـ ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ﴾ رسولَها صالحاً ﴿بِطَغْوَاهَا﴾: بسبب طغيانها. ١٢ ـ ﴿إِذِ انبَعَثَ﴾: أسرعَ ﴿أَشْقَاهَا﴾ إلىٰ عقر الناقة برضاهم. ١٣ ـ ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ صالح: ﴿نَاقَةَ اللَّهِ﴾ أي: ذروها ﴿وَسُقْيَاهَا﴾: شِرْبَها في يومها، وكان لها يوم ولهم يوم. ١٤ ـ ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ في قوله ذلك عن الله، المرتَّب عليه نزولُ العذاب بهم إن خالفوه ﴿فَعَقَرُوهَا﴾: قتلوها ليسلم لهم ماءُ شربها. ﴿فَدَمْدَمَ﴾: أطبقَ ﴿عَلَيْهِمْ رَبُّهُم﴾ العذابَ ﴿بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾ أي: الدَّمْدَمَة عليهم، أي: عَمَّهم بها، فلم يُفلِت منهم أحد. ١٥ ـ ﴿وَلَا يَخَافُ﴾ تعالىٰ ﴿عُقْبَاهَا﴾: تبعتَها.

سورة الليل

مكية، إحدى وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ بظلمته كلَّ ما بين السماء والأرض. ٢ ـ ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾: تكشَّف وظهر، و(إذا) في الموضعين لمجرد الظرفية، والعاملُ فيها فعل القسم. ٣ ـ ﴿وَمَا﴾، بمعنىٰ (مَن)، أو مصدرية ﴿خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾ آدم وحواء، وكلَّ ذكر وكلَّ أنثىٰ، والخنثىٰ المُشكل عندنا، ذكرٌ أو أنثىٰ عند الله تعالىٰ، أي: والخنثىٰ وإن أشكل أمره عندنا فهو عند الله غير مشكل، معلوم بالذكورة أو الأنوثة؛ فيحنث بتكليمه من حلف لا يكلم ذكراً ولا أنثىٰ. ٤ ـ ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ﴾: عملكم ﴿لَشَتَّىٰ﴾: مختلف، فعامل للجنة بالطاعة، وعامل للنار بالمعصية. ٥ ـ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ﴾ حقَّ الله ﴿وَاتَّقَىٰ﴾ الله. ٦ ـ ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾ أي: بلا إله إلا الله في الموضعين. ٧ ـ ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾: للجنة. ٨ ـ ﴿وَأَمَّا مَن بَخِلَ﴾ بحقِّ الله ﴿وَاسْتَغْنَىٰ﴾ عن ثوابه. ٩ ـ ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ﴾. ١٠ ـ ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ﴾: نهيِّئه ﴿لِلْعُسْرَىٰ﴾: للنار. ١١ ـ ﴿وَمَا﴾، نافية ﴿يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ﴾ في النار. ١٢ ـ ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾: لَتَبيينَ طريق الهدىٰ من طريق الضلال، لِيُمتثل أمرُنا بسلوك الأول، ونهيُنا عن ارتكاب الثاني. ١٣ ـ ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ﴾ أي: الدنيا، فمن طلبهما من غيرنا فقد أخطأ. ١٤ ـ ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ﴾: خوَّفتُكم ﴿نَارًا تَلَظَّىٰ﴾، بحذف إحدىٰ التاءين من الأصل، أي: تتوقد.

لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾

سُورَةُ الضُّحَىٰ

ترتيبها ٩٣ — آياتها ١١

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾

سُورَةُ الشَّرْحِ

ترتيبها ٩٤ — آياتها ٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾

١٥ ـ ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ﴾: يدخلها ﴿إِلَّا ٱلْأَشْقَى﴾ بمعنىٰ: الشقي. ١٦ ـ ﴿ٱلَّذِى كَذَّبَ﴾ النبيَّ ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ عن الإيمان، وهذا الحصر مُؤوَّل، أي: مصروف عن ظاهره؛ لأن المسلم الفاسق إما أن لا يدخل النار إذا عفا الله عنه لقوله تعالىٰ: (إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ)، وإما أن لا يعفىٰ عنه فإنه يدخلها ليعاقب علىٰ فسقه، ولكنه لا يخلد فيها، بل تشمله رحمة الله فيخرج منها، فالمعنىٰ: لا يدخلها دخولاً مؤبداً إلا الكافر. ١٧ ـ ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا﴾: يُبعد عنها ﴿ٱلْأَتْقَى﴾ بمعنىٰ: التقي. ١٨ ـ ﴿ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾: متزكّياً به عند الله تعالىٰ، بأن يُخرجه لله تعالىٰ لا رياءً ولا سمعة، فيكون زاكياً عند الله. وهذا نزل في الصديق رضي الله تعالىٰ عنه لما اشترىٰ بلالاً المعذَّب علىٰ إيمانه وأعتقه، فقال الكفار: إنما فعل ذلك لِيَدٍ كانت له عنده، فنزلت. ١٩ ـ ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ﴾. ٢٠ ـ ﴿إِلَّا﴾: لكن فعل ذلك ﴿ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ أي: طلب ثواب الله. ٢١ ـ ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ بما يُعطاه من الثواب في الجنة، والآية تشمل مَن فعلَ مثلَ فعلِه رضي الله تعالىٰ عنه، فيبعد عن النار ويُثاب.

سورة الضحى مكية، إحدى عشرة آية

ولما نزلت كبَّر ﷺ آخرها، فسُنَّ التكبير آخرَها، ورُوي الأمرُ به خاتمتَها وخاتمةَ كلِّ سورة بعدها، وهو: الله أكبر، أو: لا إله إلا الله، والله أكبر.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ أي: أول النهار. ٢ ـ ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾: غطّىٰ بظلامه، أو سكن. ٣ ـ ﴿مَا وَدَّعَكَ﴾: تركك يا محمد ﴿رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾: أبغضك، نزل هذا لما قال الكفار عند تأخر الوحي عنه خمسة عشر يوماً: إن ربَّه ودعه وقلاه. ٤ ـ ﴿وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ﴾ لما فيها من الكرامات لك ﴿مِنَ ٱلْأُولَىٰ﴾: الدنيا. ٥ ـ ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ﴾ في الآخرة من الخيرات عطاء جزيلاً ﴿فَتَرْضَىٰٓ﴾ به، فقال ﷺ: «إذن لا أرضىٰ وواحد من أمتي في النار». إلىٰ هنا تم جواب القسم بمُثبتين بعد منفيَّيْن. ٦ ـ ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ﴾، استفهام تقرير، أي: وجدك ﴿يَتِيمًا﴾ بفقد أبيك قبل ولادتك، أو بعدها ﴿فَـَٔاوَىٰ﴾؟ بأن ضمّك إلىٰ عمِّك أبي طالب. ٧ ـ ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا﴾ عما أنت عليه الآن من الشريعة ﴿فَهَدَىٰ﴾؟ أي: هداك إليها. ٨ ـ ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا﴾: فقيراً ﴿فَأَغْنَىٰ﴾؟ أغناك بما قنَّعك به من الغنيمة وغيرها، وفي الحديث: «ليس الغنىٰ عن كثرة العَرَض ولكن الغنىٰ غنىٰ النفس». ٩ ـ ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ بأخذ ماله أو غير ذلك. ١٠ ـ ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾: تزجره لفقره. ١١ ـ ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ عليك بالنبوة وغيرها ﴿فَحَدِّثْ﴾: أخبر، وحذف ضميره ﷺ في بعض الأفعال رعاية للفواصل.

سورة الشرح مكية، ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾، استفهام تقرير، أي: شرحنا ﴿لَكَ﴾ يا محمد ﴿صَدْرَكَ﴾ بالنبوة وغيرها؟ ٢ ـ ﴿وَوَضَعْنَا﴾: حططنا ﴿عَنكَ وِزْرَكَ﴾؟ ٣ ـ ﴿ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ﴾: أثقل ﴿ظَهْرَكَ﴾ وهذا كقوله تعالىٰ: (لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ). ٤ ـ ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ بأن تُذكر مع ذكري في الأذان والإقامة والتشهد والخطبة وغيرها. ٥ ـ ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ﴾: الشدة ﴿يُسْرًا﴾: سهولة. ٦ ـ ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾، والنبيُّ ﷺ قاسىٰ من الكفار شدَّة ثم حصل له اليسر بنصره عليهم. ٧ ـ ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ من الصلاة ﴿فَٱنصَبْ﴾: اتعب في الدعاء. ٨ ـ ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾: تضرَّعْ.

سورة التين

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾

سورة العلق

بسم الله الرحمن الرحيم

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ﴿٦﴾ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴿٨﴾ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ﴿١٠﴾ أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ﴿١٢﴾ أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾

سجدة

سورة التين مكية، أو مدنية، ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾ أي: المأكولين، أو جبلين بالشام يُنبتان المأكولين. ٢ ـ ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾: الجبل الذي كلم الله تعالىٰ عليه موسىٰ، ومعنىٰ سينين: المبارك، أو الحسن بالأشجار المثمرة. ٣ ـ ﴿وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾: مكة، لأمن الناس فيها جاهلية وإسلاماً. ٤ ـ ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ﴾، الجنس ﴿فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ تعديل لصورته. ٥ ـ ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ﴾ في بعض أفراده ﴿أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ أي: رددناه إلىٰ النار.. أي: ثم بعد هذا الحسن والنضارة مصيره إلىٰ النار إنْ لم يطع الله ويتبع الرسل، ولهذا قال: (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ). وذلك كقوله تعالىٰ: (وَالْعَصْرِ ۝ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ). هذا هو القول الراجح في تفسير الآية، وقد ذهب المفسر رحمه الله إلىٰ أن قوله تعالىٰ: (أَسْفَلَ سَافِلِينَ): كناية عن الهرم والضعف، فينقص عمل المؤمن عن زمن الشباب، ويكون له أجره بقوله تعالىٰ: ٦ ـ ﴿إِلَّا﴾ أي: لكن ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾: مقطوع، وفي الحديث: «إذا بلغ المؤمن من الكِبَر ما يُعجزه عن العمل، كتب له ما كان يعمل». ٧ ـ ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ﴾ أيها الكافر ﴿بَعْدُ﴾ أي: بعدَ ما ذُكر من خلق الإنسان في أحسن صورة، ثم ردِّه إلىٰ أرذل العمر الدالِّ علىٰ القدرة علىٰ البعث ﴿بِالدِّينِ﴾: بالجزاء المسبوق بالبعث والحساب، أي: ما يجعلك مكذباً بذلك؟ ولا جاعل له. ٨ ـ ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾؟ أي: هو أقضىٰ القاضين، وحكمه بالجزاء من ذلك، وفي الحديث: «من قرأ: والتين إلىٰ آخرها، فليقل: بلىٰ وأنا علىٰ ذلك من الشاهدين».

سورة اقرأ مكية، تسع عشرة آية، صدرها إلى (مَا لَمْ يَعْلَمْ) أول ما نزل من القرآن، وذلك بغار حراء، رواه البخاري

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿اقْرَأْ﴾: أوجد القراءة مبتدئاً ﴿بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ الخلائق. ٢ ـ ﴿خَلَقَ الْإِنسَانَ﴾، الجنس ﴿مِنْ عَلَقٍ﴾، جمع علقة، وهي القطعة اليسيرة من الدم الغليظ. ٣ ـ ﴿اقْرَأْ﴾، تأكيد للأول ﴿وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ الذي لا يُوازيه كريم، حال من ضمير (اقرأ). ٤ ـ ﴿الَّذِي عَلَّمَ﴾ الخطَّ ﴿بِالْقَلَمِ﴾، وأولُ مَن خط به إدريس عليه السلام. ٥ ـ ﴿عَلَّمَ الْإِنسَانَ﴾، الجنس ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ قبل تعليمه من الهدىٰ والكتابة والصناعة وغيرها. ٦ ـ ﴿كَلَّا﴾: حقّاً ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ﴾. ٧ ـ ﴿أَن رَّآهُ﴾ أي: نفسه ﴿اسْتَغْنَىٰ﴾ بالمال، نزل في أبي جهل، و(رأىٰ) علمية، و(استغنىٰ) مفعول ثان، و(أن رآه) مفعول له. ٨ ـ ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ يا إنسان ﴿الرُّجْعَىٰ﴾ أي: الرجوع، تخويف له، فيجازي الطاغيَ بما يستحقه. ٩ ـ ﴿أَرَأَيْتَ﴾، في مواضعها الثلاثة للتعجب ﴿الَّذِي يَنْهَىٰ﴾: هو أبو جهل. ١٠ ـ ﴿عَبْدًا﴾: هو النبي ﷺ ﴿إِذَا صَلَّىٰ﴾. ١١ ـ ﴿أَرَأَيْتَ إِن كَانَ﴾ أي: المنهيُّ ﴿عَلَى الْهُدَىٰ﴾. ١٢ ـ ﴿أَوْ﴾، للتقسيم ﴿أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ﴾. ١٣ ـ ﴿أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ﴾ أي: الناهي النبيَّ ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ عن الإيمان. ١٤ ـ ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾ ما صدر منه؟ أي: يعلمه، فيجازيه عليه، أي: اعجب منه يا مخاطب من حيث نهيُه عن الصلاة، ومن حيث إن المنهي علىٰ الهدىٰ آمرٌ بالتقوىٰ، ومن حيث إن الناهي مكذِّب مُتولٍّ عن الإيمان. ١٥ ـ ﴿كَلَّا﴾، ردع له ﴿لَئِن﴾، لام قسم ﴿لَّمْ يَنتَهِ﴾ عما هو عليه من الكفر ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾: لنجرَّنَّ بناصيته إلىٰ النار. ١٦ ـ ﴿نَاصِيَةٍ﴾، بدل نكرة من معرفة ﴿كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ وصفُها بذلك مجاز، والمراد صاحبُها. ١٧ ـ ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ أي: أهل ناديه، وهو المجلس يُنتدىٰ يتحدث فيه القوم، وكان قال للنبي ﷺ ـ لما انتهره حيث نهاه عن الصلاة ـ: لقد علمتَ ما بها رجلٌ أكثرَ نادياً مني لأملأنَّ عليك هذا الوادي إن شئتُ خيلاً جُرداً ورجالاً مُرداً. ١٨ ـ ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾: الملائكةَ الغلاظ الشداد لإهلاكه. في الحديث: «لو دعا ناديَه، لأخذته الزبانيةُ عِياناً». ١٩ ـ ﴿كَلَّا﴾، ردعٌ له ﴿لَا تُطِعْهُ﴾ يا محمدُ في ترك الصلاة ﴿وَاسْجُدْ﴾: صل لله ﴿وَاقْتَرِب﴾ منه بطاعته.

سورة القدر

(ترتيبها ٩٧ — آياتها ٥)

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾

سورة البينة

(ترتيبها ٩٨ — آياتها ٨)

بسم الله الرحمن الرحيم

لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾

سورة القدر

مكية، أو مدنية خمس ـ أو ست ـ آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ أي: القرآن ﴿فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ أي: الشرف والعِظَم.

٢ ـ ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾: أعلمك يا محمد ﴿مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ﴾؟ تعظيم لشأنها وتعجيب منه.

٣ ـ ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ ليس فيها ليلة القدر، فالعمل الصالح فيها خير منه في ألف شهر ليست فيها.

٤ ـ ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾، بحذف إحدىٰ التاءين من الأصل ﴿وَٱلرُّوحُ﴾: أي: جبريل ﴿فِيهَا﴾ في الليلة ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِم﴾: بأمره ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ قضاه الله فيها لتلك السنة إلىٰ قابل، و(من) سببية بمعنىٰ الباء.

٥ ـ ﴿سَلَٰمٌ هِىَ﴾، خبر مقدم ومبتدأ ﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾: إلىٰ وقت طلوعه، جُعلت سلاماً لكثرة السلام فيها من الملائكة، لا تَمُرُّ بمؤمن ولا مؤمنة إلا سلّمت عليه.

سورة لم يكن

مكية، أو مدنية، تسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ﴾، للبيان ﴿أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ﴾ أي: عبدة الأصنام عطف علىٰ (أهل) ﴿مُنفَكِّينَ﴾، خبر (يكن)، أي: زائلين عما هم عليه ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ﴾ أي: أتتهم ﴿ٱلْبَيِّنَةُ﴾ أي: الحجة الواضحة، وهي محمد ﷺ.

٢ ـ ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾، بدل من (البينة) وهو النبي ﷺ ﴿يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ من الباطل.

٣ ـ ﴿فِيهَا كُتُبٌ﴾: أحكام مكتوبة ﴿قَيِّمَةٌ﴾: مستقيمة، أي: يتلو مضمون ذلك، وهو القرآن، فمنهم من آمن به، ومنهم من كفر.

٤ ـ ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ في الإيمان به ﷺ ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ أي: هو ﷺ، أو القرآن الجائي به معجزةً له. وقبل مجيئه ﷺ كانوا مجتمعين علىٰ الإيمان به إذا جاء، فحسده من كفر به منهم.

٥ ـ ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟﴾ في كتابَيْهم: التوراة والإنجيل ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أي: أن يعبدوه، فحذفت (أن) وزيدت اللام ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ من الشرك ﴿حُنَفَآءَ﴾: مستقيمين علىٰ دين إبراهيم ودين محمد إذا جاء، فكيف كفروا به؟ ﴿وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ﴾ الملّة ﴿ٱلْقَيِّمَةِ﴾: المستقيمة.

٦ ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾، حال مقدرة، أي: مقدراً خلودهم فيها من الله تعالىٰ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾.

٧ ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾: الخليقة.

جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾

سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

ترتيبها ٩٩ — آياتها ٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾

سُورَةُ العَادِيَاتِ

ترتيبها ١٠٠ — آياتها ١١

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٦٠

٨ - ﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾: إقامة ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بطاعته ﴿وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ بثوابه ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾: خاف عقابه، فانتهىٰ عن معصيته تعالىٰ.

سورة الزلزلة

مكية، أو مدنية، تسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

١ - ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ﴾: حُرِّكت لقيام الساعة ﴿زِلْزَالَهَا﴾: تحريكها الشديد المناسب لِعظمها.

٢ - ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾: كنوزها وموتاها، فألقتها علىٰ ظهرها.

٣ - ﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾: الكافر بالبعث: ﴿مَا لَهَا﴾؟ إنكاراً لتلك الحالة.

٤ - ﴿يَوْمَئِذٍ﴾، بدل من (إذا)، وجوابُها: ﴿تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾: تخبر بما عُمل عليها من خير وشر.

٥ - ﴿بِأَنَّ﴾: بسبب أن ﴿رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ أي: أمرها بذلك، في الحديث: «تشهد علىٰ كل عبد أو أمة بكل ما عمل علىٰ ظهرها».

٦ - ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ﴾: ينصرفون من موقف الحساب ﴿أَشْتَاتًا﴾: متفرقين، فآخذٌ ذاتَ اليمين إلىٰ الجنة، وآخذٌ ذاتَ الشمال إلىٰ النار ﴿لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ أي: جزاءها من الجنة، أو النار.

٧ - ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾: زنة نملة صغيرة ﴿خَيْرًا يَرَهُۥ﴾: ير ثوابه.

٨ - ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾: ير جزاءه.

سورة العاديات

مكية، أو مدنية، إحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

١ - ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ﴾: الخيل تعدو في الغزو وتَضْبَحُ ﴿ضَبْحًا﴾: هو صوت أجوافها إذا عَدَتْ.

٢ - ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ﴾: الخيل تُوري النار ﴿قَدْحًا﴾ بحوافرها إذا سارت في الأرض ذات الحجارة بالليل.

٣ - ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا﴾: الخيل تُغير علىٰ العدو وقت الصبح بإغارة أصحابها.

٤ - ﴿فَأَثَرْنَ﴾: هَيَّجنَ ﴿بِهِۦ﴾: بمكان عَدْوهنَّ، أو بذلك الوقت ﴿نَقْعًا﴾: غباراً بشدة حركتهن.

٥ - ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ﴾: بالنقع ﴿جَمْعًا﴾ من العدو، أي: صرن وسطه، وعُطف الفعلُ علىٰ الاسم لأنه في تأويل الفعل، أي: واللاتي عدَوْنَ فأوْرَيْن فأغَرْنَ.

٦ - ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾: لكفور يجحد نعمته تعالىٰ.

٧ - ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ﴾ أي: كنوده ﴿لَشَهِيدٌ﴾: يشهد علىٰ نفسه بصنعه.

٨ - ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ﴾ أي: المال ﴿لَشَدِيدٌ﴾ أي: لشديد الحبِّ له، فيبخل به.

٩ - ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ﴾: أُثير وأُخرج ﴿مَا فِى ٱلْقُبُورِ﴾ من الموتىٰ، أي: بُعثوا.

وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾

سُورَةُ ٱلْقَارِعَةِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾

سُورَةُ ٱلتَّكَاثُرِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾

١٠ ـ ﴿وَحُصِّلَ﴾: بُيِّنَ وأُفرز ﴿مَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾: القلوب من الكفر والإيمان. ١١ ـ ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾: لَعالمٌ، فيجازيهم علىٰ كفرهم، أُعيد الضمير جمعاً نظراً لمعنىٰ الإنسان، وهذه الجملة دلت علىٰ مفعول (يعلم) أي: إنا نجازيه وقت ما ذكر، وتعلّق (خبير) بـ (يومئذ) ـ وهو تعالىٰ خبير دائماً ـ لأنه يوم المجازاة.

سُورَةُ ٱلْقَارِعَةِ

مكية، ثمان آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ ـ ﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾ أي: القيامةُ التي تقرع القلوبَ بأهوالها. ٢ ـ ﴿مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾، تهويلٌ لشأنها، وهما مبتدأ وخبر، خبر (القارعة). ٣ ـ ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾: أعلمك ﴿مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾؟ زيادة تهويل لها، و(ما) الأولىٰ مبتدأ، وما بعدها خبرُه، و(ما) الثانية وخبرها في محل المفعول الثاني لـ (أدرىٰ). ٤ ـ ﴿يَوْمَ﴾ ناصبُه دل عليه (القارعة) أي: تقرع ﴿يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾: كغوغاء الجراد المنتشر، يموج بعضهم في بعض للحَيْرة، إلىٰ أن يُدعَوا للحساب. ٥ ـ ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾: كالصوف المندوف في خفة سيرها حتىٰ تستويَ مع الأرض. ٦ ـ ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ بأن رَجحت حسناته علىٰ سيئاته. ٧ ـ ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ في الجنة، أي: ذات رضًى بأن يرضاها، أي: مَرضية له. ٨ ـ ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ بأن رَجحت سيئاته علىٰ حسناته. ٩ ـ ﴿فَأُمُّهُۥ﴾: فمسكنُه ﴿هَاوِيَةٌ﴾. ١٠ ـ ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ﴾؟ أي: ما هاوية؟ ١١ ـ هي ﴿نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾: شديدة الحرارة، وهاء (هيه) للسكت، تثبت وصلاً ووقفاً.

سُورَةُ ٱلتَّكَاثُرِ

مكية، ثمان آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ ـ ﴿أَلْهَىٰكُمُ﴾: شغلكم عن طاعة الله ﴿ٱلتَّكَاثُرُ﴾: التفاخر بالأموال والأولاد والرجال. ٢ ـ ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ بأن متم، فدفنتم فيها، أو عَددتم الموتىٰ تكاثراً. ٣ ـ ﴿كَلَّا﴾، ردع ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾. ٤ ـ ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ سوء عاقبة تفاخركم عند النَّزع، ثم في القبر. ٥ ـ ﴿كَلَّا﴾: حقاً ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾ أي: علماً يقيناً عاقبةَ التفاخر ما اشتغلتم به. ٦ ـ ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ﴾: النار، جواب قسم محذوف، وحُذف منه لام الفعل وعينه، وأُلقيَ حركتها علىٰ الراء. ٧ ـ ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا﴾، تأكيد ﴿عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾، مصدر، لأنَّ (رأىٰ) و(عاين) بمعنى واحد. ٨ ـ ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ﴾، حذف منه نون الرفع لتوالي النونات، وواو ضمير الجمع لالتقاء الساكنين ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: يوم رؤيتها ﴿عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾: ما يلتذُّ به في الدنيا من الصحة والفراغ، والأمن والمطعم والمشرب، وغير ذلك.

سورة العصر

وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣

سورة الهمزة

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ۝٣ كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ۝٦ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ۝٩

سورة الفيل

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥

سورة العصر

مكية، أو مدنية، ثلاث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

١ - ﴿وَالْعَصْرِ﴾: الدهر، أو ما بعد الزوال إلىٰ الغروب، أو صلاة العصر. ٢ - ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ﴾، الجنس ﴿لَفِي خُسْرٍ﴾ في تجارته. ٣ - ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فليسوا في خسران ﴿وَتَوَاصَوْا﴾: أوصىٰ بعضهم بعضاً ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي: الإيمان والعمل الصالح والخلق الكريم ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ علىٰ الطاعة وعن المعصية وعلىٰ المصيبة والبلاء.

سورة الهمزة

مكية أو مدنية، تسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

١ - ﴿وَيْلٌ﴾ كلمة عذاب، أو وادٍ في جهنم ﴿لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ أي: كثير الهمز واللمز، أي: الغيبة. نزلت فيمن كان يغتاب النبي ﷺ والمؤمنين، كأمية بن خلف، والوليد بن المغيرة، وغيرهما. ٢ - ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾: أحصاه وجعله عُدة لحوادث الدهر. ٣ - ﴿يَحْسَبُ﴾ لجهله ﴿أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾: جعله خالداً لا يموت. ٤ - ﴿كَلَّا﴾، ردع ﴿لَيُنبَذَنَّ﴾، جواب قسم محذوف، أي: لَيُطرَحَنَّ ﴿فِي الْحُطَمَةِ﴾ التي تَحطِمُ كلَّ ما أُلقي فيها. ٥ - ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾: أعلمك ﴿مَا الْحُطَمَةُ﴾؟ ٦ - ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ﴾: المُسعَّرة. ٧ - ﴿الَّتِي تَطَّلِعُ﴾: تُشرف ﴿عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾: القلوب، فتُحرقُها، وألمُها أشدُّ من ألم غيرها لِلُطفها. ٨ - ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم﴾، جمع الضمير رعاية لمعنىٰ (كل) ﴿مُّؤْصَدَةٌ﴾: مطبقة. ٩ - ﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾، صفة لما قبله، فتكون النار داخل العمَد.

سورة الفيل

مكية، خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

١ - ﴿أَلَمْ تَرَ﴾، استفهام تعجيب، أي: اعجب ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾؟ هو محمود وأصحابه أبرهة ملك اليمن وجيشه، بنىٰ بصنعاء كنيسة ليصرف إليها الحاج عن مكة، فأحدث رجل من كنانة فيها، ولطَّخ قبلتها بالعَذِرَة احتقاراً بها، فحلف أبرهة ليَهدِمنَّ الكعبة، فجاء مكة بجيشه علىٰ أفيال مقدمها محمود، فحين توجهوا لهدم الكعبة أرسل الله عليهم ما قصه في قوله: ٢ - ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ﴾ أي: جعل ﴿كَيْدَهُمْ﴾ في هدم الكعبة ﴿فِي تَضْلِيلٍ﴾: خسار وهلاك؟ ٣ - ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾: جماعات جماعات، قيل: لا واحد له، كـ(أساطير). وقيل: واحدُه إبَّوْل أو إبَّال أو إبِّيل كـ: عِجَّوْل ومفتاح وسكِّين. ٤ - ﴿تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾: طين مطبوخ. ٥ - ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾: كورق زرع أكلته الدوابُّ وداسته وأفنته، أي: أهلكهم الله تعالىٰ، كل واحد بحجره المكتوب عليه اسمه، وهو أكبر من العدسة وأصغر من الحِمَّصة، يخرق البيضة والرجل والفيل ويصل إلىٰ الأرض، وكان هذا عام مولد النبي ﷺ. قال شيخنا عبد الرزاق عفيفي: القول في صفة هذه الطير، والجهة التي منها جاءت وعددها، وكتابة اسم كل معذب علىٰ حجره، إلىٰ غير ذلك يحتاج إلىٰ توقيف عن المعصوم ﷺ.

سورة قريش

بسم الله الرحمن الرحيم

لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾

سورة الماعون

بسم الله الرحمن الرحيم

أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾

سورة الكوثر

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾

سورة قريش

مكية أو مدنية، أربع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾. ٢ ـ ﴿إِۦلَٰفِهِمْ﴾، تأكيد، وهو مصدر آلف، بالمد ﴿رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ﴾ إلىٰ اليمن ﴿وَ﴾ رحلة ﴿ٱلصَّيْفِ﴾ إلىٰ الشام في كل عام، يستعينون بالرحلتين للتجارة علىٰ المقام بمكة، لخدمة البيت الذي هو فخرهم، وهم ولد النضر بن كنانة. ٣ ـ ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟﴾، تعلَّق به (لإيلاف) والفاء زائدة ﴿رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ﴾. ٤ ـ ﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ﴾ أي: من أجله ﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾ أي: من أجله، وكان يصيبهم الجوع لعدم الزرع بمكة، وخافوا جيش الفيل.

سورة الماعون

مكية أو مدنية، أو نصفها ونصفها، ست ـ أو سبع ـ آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ﴾: بالجزاء والحساب، أي: هل عرفته؟ وإن لم تعرفه. ٢ ـ ﴿فَذَٰلِكَ﴾، بتقدير (هو) بعد الفاء ﴿ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾ أي: يدفعه بعنف عن حقه. ٣ ـ ﴿وَلَا يَحُضُّ﴾ نفسه ولا غيره ﴿عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ أي: إطعامه، نزلت في العاص بن وائل، أو الوليد بن المغيرة. ٤ ـ ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾. ٥ ـ ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾: غافلون، يؤخرونها عن وقتها. ٦ ـ ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ﴾ في الصلاة وغيرها. ٧ ـ ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾ كالإبرة والفأس والقِدر والقَصعة.

سورة الكوثر

مكية أو مدنية، ثلاث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ﴾ يا محمد ﴿ٱلْكَوْثَرَ﴾ هو نهر في الجنة، هو حوضه تَردُ عليه أُمته، أو الكوثر: الخير الكثير من النبوة والقرآن والشفاعة ونحوها. ٢ ـ ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ صلاةَ عيد النحر ﴿وَٱنْحَرْ﴾ نُسكَك. قال شيخنا عبد الرزاق عفيفي: الأولىٰ التعميم في الصلاة وفي النحر وبيان أن ذلك لله وحده، فيقال: أخلص صلاتك لربك فريضةً أو نافلةً أو دعاءً، وتوجَّهْ إليه وحده بنسكك ضحية أو هدياً، أو قربان نذرٍ أو تطوعٍ، شكراً له علىٰ ما أعطاك من الخير الكثير، كما قال الله لرسوله: (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ). ٣ ـ ﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾ أي: مبغضك ﴿هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾: المنقطع عن كل خير، أو المنقطع العَقِب، نزلت في العاص بن وائل، سمَّىٰ النبيَّ ﷺ أبتر عند موت ابنه القاسم.

سورة الكافرون

بسم الله الرحمن الرحيم

قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾

سورة النصر

بسم الله الرحمن الرحيم

إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾

سورة المسد

بسم الله الرحمن الرحيم

تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴿٥﴾

سورة الكافرون

مكية أو مدنية، ست آيات

نزلت لما قال رهط من المشركين لرسول الله ﷺ: تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلٰهك سنة.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾. ٢ ـ ﴿لَآ أَعْبُدُ﴾ في الحال ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ من الأصنام. ٣ ـ ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ﴾ في الحال ﴿مَآ أَعْبُدُ﴾، وهو الله تعالىٰ وحده. ٤ ـ ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ﴾ في الاستقبال ﴿مَّا عَبَدتُّمْ﴾. ٥ ـ ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ﴾ في الاستقبال ﴿مَآ أَعْبُدُ﴾، علم الله منهم أنهم لا يؤمنون، وإطلاق (ما) علىٰ الله علىٰ وجه المقابلة. ٦ ـ ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾: الشرك ﴿وَلِىَ دِينِ﴾: الإسلام، وهذا قبل أن يؤمر بالحرب.

سورة النصر

مدنية، ثلاث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ نبيَّهُ ﷺ علىٰ أعدائه ﴿وَٱلْفَتْحُ﴾: فتح مكة. ٢ ـ ﴿وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ﴾ أي: الإسلام ﴿أَفْوَاجًا﴾: جماعات بعدما كان يدخل فيه واحدٌ واحدٌ، وذلك بعد فتح مكة، جاءه العرب من أقطار الأرض طائعين. ٣ ـ ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي: متلبساً بحمده ﴿وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾، وكان ﷺ بعد نزول هذه السورة يكثر من قول: «سبحان الله وبحمده، أستغفر الله وأتوب إليه» وعلمَ بها أنه قد اقترب أجله، وكان فتح مكة في رمضان سنة ثمان، وتوفي ﷺ في ربيع الأول سنة عشر.

سورة تبت

مكيّة، خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ لما دعَا النبي ﷺ قومَه وقال: «إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»، فقال عمه أبو لهب: تباً لك، ألهذا دعوتنا؟ نزل: ﴿تَبَّتْ﴾: خسرت ﴿يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾ أي: جملته، وعُبر عنها باليدين مجازاً لأن أكثر الأفعال تزاول بهما، وهذه الجملة دعاء ﴿وَتَبَّ﴾: خسر هو، وهذه خبر، كقولهم: أهلكه الله وقد هلك، ولما خوَّفه النبي بالعذاب فقال: إن كان ما يقول ابن أخي حقّاً فإني أفتدي منه بمالي وولدي، نزل: ٢ ـ ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾ أي: وكسبُه، أي: ولده، و(أغنىٰ) بمعنىٰ: يغني. ٣ ـ ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ أي: تَلهُّب وتوقُّد، فهي مآل تكنيته، لتلهُّب وجهه إشراقاً وحمرة. ٤ ـ ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ﴾، عطف علىٰ ضمير (يصلىٰ)، سوغه الفصلُ بالمفعول وصفته، وهي أم جميل ﴿حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾: الشَّوكُ والسَّعْدان تلقيه في طريق النبي ﷺ. ٥ ـ ﴿فِى جِيدِهَا﴾: عنقها ﴿حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ﴾ أي: ليف.

سورة الإخلاص

مكية أو مدنية، أربع ـ أو خمس ـ آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ سئل ﷺ عن ربه، فنزل ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، ف(الله) خبر (هو) و(أحد) بدل منه أو خبر ثان. ٢ ـ ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾، مبتدأ وخبر، أي: المقصود في الحوائج على الدوام. ٣ ـ ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ لانتفاء مجانسته ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ لانتفاء الحدوث عنه. ٤ ـ ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ أي: مكافئاً، ومماثلاً، ف(له) متعلّق بـ(كفواً) وقُدّم عليه لأنه مَحطُّ القصد بالنفي، وأُخّر (أحد) وهو اسم (يكن) عن خبرها رعاية للفاصلة.

سورة الفلق **مكية أو مدنية، خمس آيات**

نزلت هذه السورة والتي بعدها لما سَحر لبيد اليهودي النبيَّ ﷺ، في وَتَر به إحدى عشرة عقدة، فأعلمه الله بذلك وبمحلّه، فأُحضر بين يديه ﷺ، وأمر بالتعوّذ بالسورتين، فكان كلما قرأ آية منهما انحلت عقدة ووجد خِفَّة، حتى انحلّت العقد كلُّها، وقام كأنما نَشِطَ من عِقال. قلت: حديث لبيد بن الأعصم اليهودي رواه البخاري في مواضع من «صحيحه» (منها ما جاء في (٥٧٦٣)) ورواه مسلم أيضاً (٢١٨٩) وليس في هذا الحديث أن سورة الفلق وسورة الناس نزلتا بهذه المناسبة. وما ذكره المؤلف رحمه الله من أن هذه الحادثة كانت سبب نزول هاتين السورتين محل نظر. قال شيخنا عبد الرزاق عفيفي: (رُوي ذلك مطولاً عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، والكلبي هو محمد بن السائب فيه مقال، فإنه رُمي بالكذب، بل روى سفيان الثوري أن الكلبي قال: ما حدثت عن أبي صالح عن ابن عبّاس فهو كذب فلا ترووه. وإذا ثبت أن السورتين مكيتان بَعُدَ أن يكون سحر الرسول سببَ نزولهما، إلا أن يقال بجواز تكرار النزول للآية أو السورة أو السور).

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾: الصبح. ٢ ـ ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ من حيوان مكلف وغير مكلف، وجماد، كالسمِّ وغير ذلك. ٣ ـ ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ أي: الليل إذا أظلم، أو القمر إذا غاب. ٤ ـ ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ﴾: السواحر تنفث ﴿فِى ٱلْعُقَدِ﴾ التي تعقدها في الخيط، تنفخ فيها بشيء تقوله من غير ريق، ٥ ـ ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾: أظهر حسده، وعمل بمقتضاه، كلبيد المذكور من اليهود الحاسدين للنبي ﷺ، وذكر الثلاثة الشامل لها (ما خلق) بعده لشدة شرها.

سورة الناس **مكية أو مدنية، ست آيات** بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾: خالقهم ومالكهم، خُصوا بالذكر تشريفاً لهم، ومناسبة للاستعاذة من شر الموسوس في صدورهم. ٢ ـ ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾. ٣ ـ ﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾، بدلان، أو صفتان، أو عطفا بيان، وأظهر المضاف إليه فيهما زيادة للبيان. ٤ ـ ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ﴾ أي: الشيطان، سمِّي بالمصدر وهو الوسواس لكثرة ملابسته له ﴿ٱلْخَنَّاسِ﴾ لأنه يَخنُس ويتأخر عن القلب كلما ذُكر الله. ٥ ـ ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾: قلوبهم إذا غفلوا عن ذكر الله. ٦ ـ ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾، بيان للشيطان الموسوس أنه جنِّيٌّ وإنسيٌّ، كقوله تعالى: (شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ)، أو (من الجنة) بيان له، و(الناس) عطف على (الوسواس). واعتُرض الأول بأن الناس لا يوسوس في صدورهم الناس، إنما يوسوس في صدورهم الجن؟ وأجيب بأن الناس يوسوسون أيضاً بمعنًى يليق بهم في الظاهر، ثم تصل وسوستُهم إلى القلب وتثبُت فيه بالطريق المؤدي إلى ذلك، والله تعالى أعلم.

الفهرس

قرآن كريم